

شرح
العقيدة الطحاوية
المسماة بـ (بيان أهل السنة والجماعة)

مع الأدلة من الكتاب والسنة،
والترتيب؛ والتحقيق لقضايا العقيدة الهامة،
والشرح من التفاسير؛ وكتب الحديث المعتمدة.

قدم له السادة الفضلاء
أ.د. محمد فوزي فيض الله أ.د. عناية الله إبلاغ أ.د. أحمد الحجي الكردي

تأليف
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد
غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمشايقه وللمسلمين

دعاء بالثبات على الإيمان

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)
(8) سورة آل عمران.

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
(101) سورة يوسف.

وفي سنن الترمذي عن شهر بن حوشب، قال: قلت لأُم سلمة: يا أم المؤمنين
ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان
أكثر دعائه:

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله ما لأكثر
دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: " يا أم سلمة إنه ليس
آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ " .
فتلا معاذ: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)⁽¹⁾.

وفي رواية للترمذي⁽²⁾: عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " ، **فقلت: يا رسول**
الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: " نعم، إن القلوب بين
أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء " ⁽³⁾

١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
- باب منه - حديث: 3526 ثم قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة، والنواس بن سمعان، وأنس،
وجابر، وعبد الله بن عمرو، ونعيم بن همار .. وهذا حديث حسن،

٢) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -
باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن - حديث: 2117 ثم قال: وفي الباب عن النواس بن
سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وأبي ذر وهذا حديث حسن وهكذا روى غير
واحد، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس، وروى بعضهم عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن
جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.

٣) عندما كتب عبد الله القصيمي كتابه الكبير: " الصراع بين الإسلام والوثنية "، قال بعض طلبة
العلم: لقد دفع عبد الله القصيمي مهر الجنة بهذا الكتاب. ثم طال به الأمد، فاستزله الشيطان ببعض
خببيئات نفسه المكنونة، فألحد إلحاداً فظيلاً وكفر كفرة شنيعاً. ثم أدركه الموت الذي لا مفر منه .
فجاءه الشيخ عبدالرحمن القاسم - رحمه الله - لدعوته للتوبة، فدخل عليه وهو مستلقي على سرير
المرض وتحدث معه محاولاً إقناعه بالدول عن افكاره، فأجابه وهو يبكي: بأنه يريد ذلك ولكنه لا
يقدر !! ثم قال له: احذروا أن يقرأ أبناءكم كتب الفلسفة !! قلت: تذكرت قول الامام ابن القيم وابن
رجب: بأن سوء الخاتمة لا يكون إلا بسبب خبيثة سيئة صاحبت صاحبها، فخذله الله بها . نسأل الله
الثبات والعافية ، قال محمد نور عفا عنه ربه الغفور: فلذا أوردت دعاء الرسول صلى الله عليه
وسلم وقصة هذا الرجل لكي يكون للجميع عبرة بعدم الغرور واستمرار الدعاء.

أقوال الأئمة رضي الله عنهم

روى أبو عمر في التمهيد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول: أيها الناس إن الرجم حق فلا تخذعن عنه، وإن آية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد رجم، وإن أبا بكر - رضي الله عنه - قد رجم، وإنا قد رجمنا بعدهما، وسيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون بالرجم؛ ويكذبون بالدجال؛ ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها؛ ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا) كتاب التذكرة للقرطبي رحمه الله فصل عذاب القبر.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: " ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة".

ألا يُمكن حمل كلام ..من خالف .. على أحسن المحامل والدعاء له بالمغفرة إن ضلّ في مسألة ثم من جزم وأقرّ بأن الحق معه... وكفرّ غيره وأقصاه... ظنا منه أنه... يُغض الله هل هو صادق في صلاته حين يدعو اهدنا ... يا رب كلنا .. كلنا ... للصراط المستقيم!!!

قال السيد القطب الرباني أحمد الرفاعي رضي الله عنه: غاية المعرفة بالله هو الإيقان بوجوده بلا كيف ولا مكان، وكل توحيدك لله قبل تنزيهه تعالى هو شرك، التوحيد وجدان في القلب يمنع التشبيه والتعطيل.

قال السيد القطب الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: فرّغ قلبك الذي هو بيت الحق عز وجل، لا تدع فيه غيره، إذا كانت الملائكة عليهم السلام لا تدخل بيتاً فيه صورة، فكيف يدخل الحق عز وجل إلى قلبك وفيه صور وأصنام؟!!!

قال الإمام تاج الدين بن الإمام تقي الدين السبكي رحمهما الله:

(المذاهب الأربعة والله الحمد في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق يقرون: عقيدة أبي جعفر الطحاوي - رحمه الله - التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول).⁽¹⁾

وصدق الله إذ يقول: (وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سورة الأعراف.

⁽¹⁾ انظر كتاب: (معيد النعم ومبيد النقم) (ص 25) طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

قال عطاء الله الاسكندراني في حكمه: دَلَّ بِوُجُودِ آثَارِهِ عَلَى وُجُودِ
أَسْمَائِهِ، وَبِوُجُودِ أَسْمَائِهِ عَلَى ثُبُوتِ أَوْصَافِهِ، وَبِثُبُوتِ أَوْصَافِهِ عَلَى وُجُودِ
ذَاتِهِ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُومَ الْوَصْفُ بِنَفْسِهِ، فَأَرْبَابُ الْجَذِبِ يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ كَمَالِ
ذَاتِهِ، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ صِفَاتِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُهُمْ إِلَى التَّعَلُّقِ بِأَسْمَائِهِ، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ
إِلَى شُهُودِ آثَارِهِ، وَالسَّالِكُونَ عَلَى عَكْسِ هَذَا، فَنِهَائِيَةُ السَّالِكِينَ بِدَايَةِ
الْمَجْدُوبِينَ، وَبِدَايَةِ السَّالِكِينَ نِهَائِيَةُ الْمَجْدُوبِينَ؛ لَكِنْ لَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ فَرُبَّمَا
التَّقْيَا فِي الطَّرِيقِ، هَذَا فِي تَرْقِيهِ وَهَذَا فِي تَدْلِيهِ.

قال الإمام السنوسي رحمه الله: (ليس من علم من علوم الظاهر يورث
معرفة تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر
معرفة يزداد خوفه).

التنزيه هو اتباع قول ذي النون المصري: "مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَالله
بِخِلَافِ ذَلِكَ" رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

قال الإمام أبو عبد الله السكوني الاشبيلي رحمه الله: من شبّه أو مثّل أو كيّف
أو صوّر فما استقبل ربه بعبادته يوماً قط .

ذكر محمد وائل الحنبلي في صفحته في التلغرام 5/12/1440هـ:

1- قال العلامة الأثري جمال الدين القاسمي الدمشقي ومن خطّه نقلتُ
(وإذا احتمل أمرٌ كفرًا من 99 وجهًا، وكان وجهٌ واحدٌ يدفعه، فإنه يُدْرَأُ
التكفيرُ لهذه الوجهة)

2- وروينا بالحديث المسلسل بالسماع عن ابنن عابدين صاحب الحاشية:
وكل قول ينفي فيه الكفر عن مؤمن ولو ضعيفاً أخرى
مجموعة رسائل ابن عابدين 32 / 1

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة أستاذنا الدكتور محمد فوزي فيض الله رحمه الله:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، وآله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

تمثل العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي، اعتقاد أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان، وأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني.

وعلى هذه العقيدة أتباعهم، الذين لا يقلون عن نصف هذه الأمة المحمدية، على توالي القرون.

وقد تلقى الطحاوي - رحمه الله تعالى - علوم هؤلاء الأعلام، في الاعتقاد والعمل، عن أربعة من مشاهير أهل العلم: سليمان بن شعيب الكيساني، وبكار بن قتيبة، وابن أبي عمران، وأبي حازم⁽¹⁾:

فالأول - سليمان بن شعيب - كان يروي عن أبيه، عن محمد، عن أبي يوسف وأبي حنيفة.

والثاني - بكار بن قتيبة - كان يروي عن هلال بن يحيى، عن زفر وأبي يوسف وأبي حنيفة.

والثالث - ابن أبي عمران - أخذ العلم، ورواه من طريقتين:

1 - عن ابن سماعة، عن محمد وأبي يوسف.

2 - عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف.

والرابع - ابن أبي خازم - كان يروي عن عيسى بن أبان، عن محمد. والعقيدة الطحاوية معتبرة مقدمة عند أهل السنة، مروية عن الثقات

(1) عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي أبو حازم أصله من البصرة وأخذ الفقه عن الكبير العمي وتفقه عليه أبو جعفر الطحاوي ولي قضاء الشام والكوفة والكرخ من بغداد مات سنة اثنين وتسعين ومائتين وله كتاب المحاضر والسجلات وكتاب أدب القاضي وكتاب الفرائض وكان ورعا عالما بمذهب أبي حنيفة وبالفرائض والحساب والذرع والقسمة والجبر والمقابلة وحساب الدور وغامض الوصايا والمناسخات) انظر تاج التراجم في طبقات الحنفية (ص: 11، بترقيم الشاملة آليا) (م نور). وفي الجواهر المضيئة (26/3): ذكره صاحب (الهداية) في (الرهن) أصله من البصرة وأخذ العلم عن بكر العمي من العم هو أخ الأب كما تقدم جليل القدر ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من مدينة السلام تفقه عليه أبو جعفر الطحاوي وأبو طاهر الدباس ولقيه أبو الحسن الكرخي وحضر مجلسه وكان منقطعا إلى البردعي وتولى القضاء للمعتضد ثم ابنه المكتفي بعده وله معه قصص كثيرة. مات سنة اثنين وتسعين ومائتين (م نور).

المعتبرين، مستفيضة مشهورة، ومنقولة إلينا بالتواتر، إلى يومنا، لا يتشكك أحد من أهل السنة، الماضين والحاضرين، فيما جاء فيها من خصال العقيدة الإسلامية، فضلاً عن أن يخالف فيه.

وقد طبعت مرات، مقابلة على مخطوطات محفوظة موثوقة، بشروحها الثلاثة: ابن أبي العز، والبابرتي، والميداني.

وأولى الشباب البارع، المهندس الذواقة المنظم، الأستاذ محمد نور سويد متن العقيدة الطحاوية، عناية خاصة، إذ تدرس - في عكوف وامتزاج - بدراسة المتن والشروح التي كتبت عليه، فرأى بفكره النير المرتب - أن يستل المتن من المشروح، ليركز فيه خصال العقيدة، في فقرات متميزة، بعنوان جامع بارز لافت، من أجل زرع العقيدة وترسيخها، وهذا ما تستوجبه العقيدة نفسها.

وأضاف إلى المتن المحقق، دليلاً أو أكثر، من أهم الأدلة القطعية، على وجوب الإيمان بكل فقرة، تمثل خصلة عقدية.

كما رمز إلى اختلاف النسخ، مجدداً ما قد يضيفه - توضيحاً أو استكمالاً - بقوسين معقوفتين، إشارة إلى الإضافات المناسبة.

وأفرد لكل جزئية من الإيمانيات، سطوراً مستقلة، فأحسن بذلك الإبراز المسلسل.

وبذلك رتب مشتملات العقيدة، ترتيباً منطقياً، معقولاً مقبولاً ميسوراً، معيناً للمسلم على استخلاص سريع، جامع لشعب عقيدة الدين الخالص، في عشرة فصول وخاتمة.

شكر الله للكاتب الأنيق اللبق، صنعته اللطيفة المهدبة، ووفقه لنتاج أمثاله، من المستجدات، في العقيدة والشريعة، والكتاب والسنة، ونفع بما قدمه ويقدمه للمسلمين، وأهل العلم والمتعلمين، وادخر له المثوبة، منمأة مذكورة يوم الدين.

وكتبه

الكويت - الشويخ

5 من رمضان المبارك: 1413 هـ. أ.د. محمد فوزي فيض الله

رئيس قسم الفقه والأصول في 26 / 2 / 1993 م.

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، من جامعة الكويت. (1).

(١) كانت مقدمة أستاذنا رحمه الله تعالى قبل إضافة الحاشية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة أستاذنا الدكتور عناية الله إبلاغ حفظه الله:

الحمد لله الذي توحد بذاته، وتفرد بصفاته، تنزهه عن الأمثال بانتفاء الفساد عن الأرض والسموات العلى، وتقّس عن الحدوث والتشبه والانتها، أعجز الأفكار عن إدراك ذاته، وحير العلماء، ودبر الخلق بحكمته، له الحكم في الآخرة والأولى.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى كافة الناس بالهدى، وعلى آله وأصحابه الذين تأدّبوا بأدابه فوصلوا إلى العلى، وبعد:

فإن علم العقائد من أهم العلوم الإسلامية قدراً، وأدقها سرّاً، إذ به تعرف دقائق الإيمان، ومبادئ الاستدلال، وعليه مدار الائتار والامثال، وبذلك سمى الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى رسالته في علم العقائد فقهاً أكبر، وتبعه الكثيرون في هذا الاصطلاح، علماً منهم بأن القضايا الاعتقادية أكثر أهمية من القضايا الفرعية العلمية.

إن المتنّبع للقضايا الفقهية يجد آلافاً من الكتب المؤلفة في البحث عن القضايا الفرعية العلمية بأنواعها: العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، وغيرها، من أول يوم دخل التأليف في الثقافة الإسلامية إلى يومنا هذا. ومع هذه الكمية الهائلة في الفروع الفقهية؛ لا تزال العقيدة تعرف بالفقه الأكبر؛ لدى كثير من الباحثين، وعلم الفقه بالفقه الأصغر؛ لا لصغرهما كمّاً وكيفاً؛ بل لأنها بالمرتبة الثانية بالنسبة للعقيدة.

وقد ثبت أن عظمة العلم بعظم موضوعه، وباستقامة أدلته، وأهمية مسائله، فما يأخذ بأيدينا ليعرفنا الإيمان بالله تعالى، والتصديق بالرسول - صلى الله عليه وسلم -، وبيعة الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ويعلمنا بقية القضايا الاعتقادية فهو العلم الأول والأحق بالاهتمام من غيره.

إن التاريخ الإسلامي سجل أسماء المؤلفين في هذا العلم - رحمهم الله تعالى ورضي الله عنهم وأرضاهم -، قاموا لإقامة الحق، وقاوموا البدع والإلحاد والانحرافات الفكرية، واستقاموا في السلوك، ولم يتركوا التحقيق والتدقيق مهما كانت العوائق، معتقدين أن من يقدر على التأليف في هذا العلم من واجبه أن يساهم بقدر استطاعته، ويستزيد إذا وجد ما يزيد في علمه.

وها هو الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه الله - يدخل في المناقشات العلمية ضد الملحدين، في عصر كثرت فيه الخلافات الفكرية، وزادت البحوث في الحلقات العلمية، حول القضايا العقيدية، ولا يستدل بالأدلة النقلية فحسب، بل

ينتقل حيناً إلى الاستدلال العقلي، وقد روي عنه أنه قال في استدلاله:
ماذا تقولون في سفينة مشحونة بالأحمال، تجري في نهر دجلة من غير
سَفَّان؟! فيجيب المعارض بقوله: إن هذا محال. فيقول أبو حنيفة: فإذا كان هذا
محال، فماذا تقولون في سفينة كبيرة - وهي العالم -، تجري بكل دقة، بأيامها
ولياليها، وشمسها وقمرها، من غير مُجَرٍّ وَخَالِقٍ وَمُكَوِّنٍ؟! ويعجز المخاطبون
5 عن الاستدلال، ويعترفون بالحق، ويؤمن كثير منهم.

وتابع العلماء الأعلام خطواته، منهم: الإمام الطحاوي - رحمة الله عليه -
المولود عام 239 هجرية والمتوفى عام 321 هجرية، الذي نشأ في بيت العلم
والفضل، وتعمق في القضايا العلمية، وتفقه في الفقه الشافعي رحمه الله بتعليم
خاله، الإمام المزني - رحمه الله - ألقاه أصحاب الإمام الشافعي، وناشر علمه،
10 وأدام النظر في كتب الحنفية، فإذا به يتحول من مذهب الإمام الشافعي إلى
مذهب أبي حنيفة رحمهم الله، مع بقاء احترامه وحبه للمذاهب كلها، ويقال في
سبب تحوله أحد أمرين:

1 - أنه دقق في التصانيف التي ألقت في كلا المذهبين، واشترك في
حلقات العلم التي تقام في جامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فوصل
15 إلى ما وصل إليه.

2 - التقاؤه بالشيوخ الذين كانوا على مذهب أبي حنيفة - رحمهم الله، ممن
ورد إلى مصر والشام، وتولى منصب القضاء، كالقاضي بكار بن قتيبة، وابن
أبي عمران، وأبي خازم. (1)
وليس هذا التحول من مذهب إلى مذهب سبباً للاستغراب، فقد تحول غير
20 واحد من العلماء من مذهب إلى مذهب فقهي آخر، من غير أن ينكر عليه أحد
من العلماء.

وكان الإمام الطحاوي - رحمه الله - حريصاً على الاستزادة في العلم،
حينما كان في الشام ما بين عام 268 - 269 هجرية تتلمذ على تلاميذ محمد
بن الحسن الشيباني، تلميذ أبي حنيفة، منهم الإمام بكر بن العمى، وغيره.
25 كما عاصر الأئمة الحفاظ من أصحاب الكتب الستة.

واستفاد من مشايخ عصره منهم:

- الإمام العلامة إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني (ت 264 هـ).

(1) وهناك سبب ثالث لتحول الإمام الطحاوي من الشافعية إلى الحنفية وهو أنه رأى خاله المزني
يكثّر من النظر في كتب محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمهم الله ، فانقل إليه
والله أعلم. (م نور).

- والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داوود السجستاني (ت 316 هـ).
 - والإمام الحافظ يونس بن عبد الأعلى المصري (ت 268 هـ).
- وغيرهم.

وتتلمذ عليه كثير من الأئمة الحفاظ منهم:

- 5 - الحافظ أبو الفرج بن القاسم بن الخشاب (ت 364 هـ).
 - والإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
 - والشيخ الحافظ محمد بن مظفر البغدادي، وغيرهم.
- وقد أثنى عليه العلماء الأعلام منهم: الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 27/15 قائلاً:

- 10 "الإمام العلامة الطحاوي الحافظ الكبير محدث الديار المصرية، وفقهها ومن نظر في مؤلفات هذا الإمام علم محله من العلم وسعة معارفه".
- كما أثنى عليه كل من:

- ابن يونس في تاريخه.
- وابن النديم في كتابه "الفهرست".
- والقرشي في كتابه "الجواهر المضية".
- 15 - وابن الجوزي في كتابه "المنتظم". وكثير غيرهم.

أما بعد فأقول:

- إن الدخول في القضايا العقدية، يتطلب الدقة والاحتياط، ولذلك نرى بعض العلماء لا يجيزون البحث حول القضايا علم الكلام (1)، بدليل أن هذا العلم يبحث في إطار النقاش، وربما يكون دليل المخالف أوقع في ذهن من دليل الموافق، ولا يستطيع المستدل إلزام المنكر بالأدلة العقلية.
- 20 لا نقول إن الاستدلال العقلي ليس له صلة بالأمور الاعتقادية، كلا وحاشا، بل نقول:

- إن الإسهاب في الاستدلال، وإدخال كل قضية عقدية، في إطار العقل؛ خارج عن متطلبات علم العقائد، ولعل الآخذين - من بعض الباحثين - على
- 25 علم الكلام لم يعجبهم القيل والقال، والمناقشات الفلسفية، في القضايا الاعتقادية، فقالوا ما قالوا، وأرادوا أن يبقى إطار العقدية خالياً عن النقاش، وبعبارة أدق: عالياً عنه، علماً منهم بأن ما يتعلق بالعقيدة هو المكون للشخصية الإسلامية، وليكن بعيداً عن تداول الآراء، وتطول المناقشات العندية، وليبق

(1) وعلم الكلام في حقيقة الأمر، هو بحث عن الأدلة اليقينية العقلية والنقلية التي تدعم قواعد الدين.

المكون بحالته الأصلية، وهو التسليم أمام الحقائق الدينية، وتقديس ما ينسب إلى المصادر المقدسة.

وهذا من فضل الله العزيز الوهاب أن يلقي في قلوب المؤمنين نوراً، يدرك بالعلم الحضورى، البعيد عن العلم الحسولى الاستدلالي؛ المرتب على النظر.

5 علماً بأن الاستدلال بالآيات القرآنية ليس ذا أهمية في ساحة الاستدلال فحسب، بل استدلال مشوب بالاستتارة بأنوار القرآن الكريم المعجز، وهذا ليس استدلالاً محضاً، بل أكثر من الاستدلال المعروف.

إن القرآن الكريم، في هدايته العقديّة أحال:

1 - مرة إلى الإيمان المحض، والايتمار والقبول بقوله:

10 **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)** [سورة الإخلاص]

خاطب محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلم الأمة، بل وعلم البشرية كلها بأن يقولوا: الله أحد، وصمد، وبريء من الوالد والولد والمثل.

2 - ومرة أخرى دعى العقل أيضاً إلى النظر والتأمل بقوله تعالى:

15 **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22))** [سورة الأنبياء]

فهذا استدلال نقلي فيه استدلال عقلي، إذا بعقولنا ندرك هذا التعليق الشرطي، وهو: أن وجود الآلهة يترتب عليه الفساد، فإذا كان الفساد منتقياً (وهو منتف حقاً) يستدل به على عدم وجود آلهة متعددة.

20 3 - كما يوجهنا إلى التفكير في الكائنات بقوله تعالى:

(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)) [سورة آل عمران].

وقوله: **(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21))** [سورة الذاريات]

تلك الطرق التي ترشدنا إلى طريق هداية القرآن، في القضايا العقديّة.

25 يقول أحد العلماء الأعلام: " سألت أحد الفلاحين عن وجود الله تعالى، فرد علي بحماسة المطلوب: إن الله موجود، وإذا كنت تنكره، فردي عليك بالعصا، ولست من أهل الاستدلال، ومن حينه تأكدت أن ما ذكرته من آلاف الأدلة، جنب جزم ورسوخ وإخلاص هذا الأمي المسلم لا قيمة له".

كلامنا في رسالة قدمها الأخ الشاب الفاضل محمد نور سويد وسماها:

30 "شرح العقيدة الطحاوية"، حيث طلب مني أن أعلق على ما كتبه، فاعتذرت، نظراً إلى أن الدخول في هذا الباب ليس سهلاً، ثم راجعني وكرر طلبه قائلاً:

إن الرسالة ترتيب، وليس تأليفاً، ولا إظهاراً لرأي مستقل كما يظهر من اسمه، وعلمت أن هذا الأخ الكريم الباحث الفطن؛ يريد أن يقدم في الثقافة الإسلامية شيئاً، ينفع المسلمين، وهو مرتب وليس مؤلفاً مستقلاً في علم العقيدة (وإن كان مؤلفاً لكتابين نشر في غير علم العقيدة ⁽¹⁾)، وقلت له: أعانك الله، ووفقك لما يحب ويرضى، وأشرت إليه تجديد النظر في بعض ما قدمه، لئلا يخرج من 5 ساحة الترتيب إلى ساحة التأليف، علماً بأن من يكتب مقدمة؛ أو تقریظاً؛ أو تعليقاً، يعتبر شريكاً مع من يقدم، ويكون بتوثيقه مسؤولاً أكثر من صاحب التأليف والأثر.

هذا من باب النصح، وأما ميزة هذا الترتيب فيلخص بما يلي:

- 1 - توثيق المتن والمقارنة بين النسخ المنقولة إلينا، والأخذ بما هو الأقرب 10 إلى الفهم، والأبعد عن الشبه.
- 2 - الاستدلال بالآيات القرآنية، والذي ذكرنا عنه بأنه الاستدلال بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية أوقع في الذهن.
- 3 - الالتزام الكامل بما روى عن الإمام مالك رحمه الله بعدم الدخول فيما لا يصلح الدخول فيه (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، 15 والسؤال عنه بدعة) وهذا ليس في قضية الاستواء فحسب، بل في كل أمر ينسب إلى الله تعالى، ويقصر عقولنا عن إدراك حقيقته.
- 4 - التبويب بطريق يسهل على الأفهام دركه وضبطه، والتنسيق بين القضايا العقدية، بذكر كل قضية مع التي تضاهيها، أو تقرب إليها في التبويب، وهذا مما يساعد في فهم الموضوعات، والدقة فيها. 20
- وختاماً أسأل الله العلي القدير الكبير أن يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقه لخدمة الإسلام والمسلمين، ويزيد من حماسه الديني، وحبه للثقافة الإسلامية، والتحقيقات العلمية، ويبعده عن موجبات الرياء والسمعة، وحب الشهرة، إنه ولي التوفيق.

وكتبه

العبد العاصي الراجي عفو ربه المتعال

عناية الله إبلاغ بن مولوي عبد الغني - شيخ الحديث - رحمهما الله ⁽²⁾.

(1) الأول: كتاب منهج التربية النبوية للطفل، والثاني: الفرائد الحسان في تجويد القرآن.

(2) كانت مقدمة أستاذنا قبل وبعد وضع الحاشية وتركت الكتاب مع حاشيته لمدة سنة وكان رحمه الله يطالبني بطبعها وكلما شاهدني يسألني هل طبعت الكتاب، وكان يتعجب أن هذا المتن الصغير له

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة أستاذنا الدكتور أحمد الحجي الكردي حفظه الله:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

5

فإن العقيدة أول ما يجب أن يبدأ به المسلم؛ في نفسه وأهله وعامة المسلمين، إذ بالعقيدة السليمة يكون الدخول إلى الجنة والنجاة من النار، وبالعقيدة الفاسدة يستحق الإنسان الطرد من رحمة الله تعالى؛ والخلود في نار جهنم، ومن هنا كان اهتمام النبي (في أول البعثة بالعقيدة أولاً، وكان أول ما تنزل من القرآن الكريم معنياً بها أيضاً، ومهتماً بها كل الاهتمام، ومتفرغاً لتوجيهها الوجهة الحق، لأن بها تهدأ النفوس، وينتظم السلوك، وتخلص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده، ويرتفع العمل إليه.

10

ولقد أفرد السلف الصالح لأمر العقيدة بحوثاً مطوّلة، وكتباً متخصصة، وفرغوا لها، وتخصصوا فيها، وناقحوا عنها، وأزالوا الشبهات من نفوس من علق بها، وناظروا بكل جدية وعقلانية أصحاب الشكوك والأوهام؛ والخرافات والزيف، معتمدين في ذلك على أدلة العقل والنقل.

15

ومن الكتب المعتبرة في ذلك متن العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، ولقد عني بشرح هذا الكتاب - لأهميته وقيّمته العلمية - عدد من العلماء الفضلاء في المذهب، ونشرت شروحهم، وأفاد منها الناس كثيراً، على اختلاف مشاربهم، وتعدد توجهاتهم، لموضوعيتها؛ واعتدالها؛ ووضوح عباراتها، والتزامها مذهب أهل السنة والجماعة، بعيداً عن أي تطرف أو عصبية، وعدّوها من أفضل ما كتب في هذا الفن.

20

ولقد أولى الشاب المهندس المذهب محمد نور الدين بن عبد الحفيظ سويد هذا المتن عناية مميزة، وأفردته بدراسة خاصة، تضمنت إعادة ترتيب بحوثه، فقدم ما حقه التقديم منها، وأخر ما حقه التأخير، دون حذف أو زيادة أو تغيير في النص، ثم عمل على شرح الغامض فيها، وتذليل الصعب من كلماتها، معتمداً في ذلك على مجموعة من كتب السلف الصالح؛ من أهل السنة والجماعة؛ المتفق على صحتها وسلامتها من الزيف والشطط، بما في

25

هذا الشرح الكبير والله الأمر من قبل ومن بعد والمهم عندي هو القبول عند الله تعالى والانصاف في العرض.

ذلك شروح هذا المتن المختلفة، وزاد على ذلك ربط كل حكم بدليله من القرآن الكريم؛ والسنة المطهرة الصحيحة، ما وسعه الجهد في ذلك، مما أضفى على هذا الكتاب حلة قشبية جعلته مميزاً على غيره وأكثر نفعاً.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب متناً؛ وشرحاً؛ وترتيباً؛ وأدلة؛

- 5 عباده المتقين، ويصحّ به عقائد الزائغين، ويهدي به الضالين، ويثيب كل من عمل فيه أجراً في الجنة، وأن يحشرني معهم تحت لواء النبي محمد ﷺ ويُظِلّنا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

6/صفر الخير/1419هـ، يوافقه 1998/6/2م

- 10 أ.د. أحمد الحجي الكردي
أستاذ في كليتي الشريعة والحقوق بدمشق
والخبير في الموسوعة الفقهية في الكويت.

تفسير هواية الشرك والتكفير⁽¹⁾

الشيخ الداعية: مختار علي محمد أحمد الدسوقي حفظه الله

- جاء الإسلام إلى العرب ليعلنوا دولة التسامح والتفاهم في وجه قبائل الحقد والقبح وضيق الأفق.. أسس العرب بالإسلام وطن الرحمة بعد أن فشلت الجاهلية في تأسيس مثل هذا الوطن ولو في حجم بعوضة أو في حجم قرص أسبرين،، وعلى بوابة هذا الوطن رصعوا أسماء الله الحسنى وصلوا صلاة الفجر تحت أعمدة مساجد رخامية تسلفت عليها التسابيح والأدعية كنباتات خضراء.
- ما الذي جرى لنا بعد العمر من الإيمان؟ لماذا نشعر بالإفلاس الروحي رغم كل ما ورثناه من ثروات دينية؟ لماذا حافظنا على قشرة السلام الخارجية واحتفظنا تحت جلودنا بأفكار الجاهلية؟ لماذا تركنا سيمفونية الماء وعدنا إلى الجفاف والعطش؟ لقد نقشت في العقود الأخيرة هواية تكفير الناس وسهولة رجمهم بالشرك وفي أضعف الإيمان وصف ما يفعلون بالبدعة والبدعة ضلالة والضلالة في النار فعلنا ذلك دون أن نتذكر قول الشاعر:
- لا توحش النفس بخوف الظنون.. وأغنم من الحاضر أمن اليقين..
- فقد تساوى في الثرى راحل غدا... وماض من ألوف السنين".
- إن التعريف ينقذنا من هذه الهواية المؤلمة لو تعارفنا لتآلفنا**
- التعريف هو التقاء على كلمة سواء.. هو أن نبحث في الشيء عن حكمه.. يصعب أن نبحث عن حكم الخمر قبل أن نعرفها.
- يصعب أن نحكم على شخص بأنه مشرك قبل أن نعرف معنى الشرك..
- لقد وردت تعاريف كثيرة ومطولة ومعقدة للشرك بعضها يتعثر العلماء أحياناً في شرحها وأغلبها ليس للعامة فما المانع أن نحاول التوصل إلى تعريف مبسط ومحكم في الوقت نفسه.. **الشرك هو أن يجعل مع الله غيره فيما لا ينبغي إلا له**
- ...إذاً ليس معنى الشرك أن يجعل مع الله غيره على إطلاقه، فقد يأذن الله لأحد من خلقه بعمل هو من شأنه سبحانه وتعالى.. كأن يأذن لعيسى عليه السلام بإحياء الميت، ومن ثم فمدار الأمر في التعريف هو جملة: **"فيما لا ينبغي إلا له"**

(١) جريدة صوت الأمة القاهرية 2002/10/28

فما هو الشيء الذي لا ينبغي إلا لله بحيث استأثر به لنفسه ولم يأذن به لأحد من عباده؟. الذي لا ينبغي إلا لله هو "الألوهية".

وللألوهية مقتضيات: بمعنى أنه لو ادعى أحد الألوهية، علينا كما أمرنا الإسلام أن نناقشه تماماً، ومن ثم لو ادعى أحد الألوهية علينا أن نسأله:

5 ما هي علامات أو دلالات ألوهيتك سيقول مثلاً: أنا كريم والله كريم أنا غني والله غني.. أنا قوي والله قوي.. أنا عالم والله عالم.. أنا قادر والله قادر..

سنقول له: منذ متى وأنت تتمتع بهذه الصفات؟ سيقول: منذ ولادتي، سنقول له مبدئياً: أنت مولود، والله لم يولد، وبذلك نصل إلى أولى صفات الألوهية وهي **"السبق"**.. **أول مقتضيات الألوهية** الذي لا ينبغي لغير الله هو السبق.

10 ثم نقول له: هذه الصفات التي ادعيتها ما حدودها؟ هل حدودها العالم كله بكل كائناته؟ هل كرمك وعلمك وقدرتك وقوتك تستوعب العالم ما ظهر منه وما خفي مخلوقاته الظاهرة والباطنة؟.. لا شك سيقول: إن لها حدوداً، **سنقول له:**

إن الصفات الإلهية الخاصة به سبحانه وتعالى لها طبيعة "الإطلاق" الإطلاق في الماضي والحاضر والمستقبل الإطلاق في الظاهر والباطن.

15 ثم نسأله: إلى أي مدى تستمر هذه الصفات؟ مائة سنة.. ألف سنة.. جيلاً واحداً ثلاثة أجيال مهما طالبت فهي فانية بينما الصفات الإلهية تتمتع **بالسرمدية "الخلود" عدم الانقطاع.**

ويكون سؤالنا الأخير له: من الذي علمك لو كنت عالماً؟.. من الذي علمك صفة الكرم لو كنت كريماً؟.. سيقول: أبي.. شيعي... أستاذي... على الفور سنسأله ومن علم هؤلاء؟ سيقول: الله.. **سنقول له: إذن علمك مستمد، وعلم الله غير مستمد.. أي "ذاتي". وبذلك تكون مقتضيات الألوهية: السبق والإطلاق والسرمدية والذاتية.**

فمن ادعى لنفسه واحدة منها؛ فقد جعل نفسه شريكاً لله فيما لا ينبغي إلا له، وكذلك من ادعاه لغيره فهو أيضاً قد أشرك مع الله غيره.

25 **نعود ونكرر الشرك هو أن يجعل مع الله غيره فيما لا ينبغي إلا له ..** والذي لا ينبغي إلا له وهي مقتضيات الألوهية السبق والإطلاق والسرمدية والذاتية.

السبق في القول إن اسمه هو "الأول"

والسرمدية في القول أن اسمه هو "الآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"

إذن لو كان باب الإدعاء مفتوحاً فلا مفر من إغلاقه بمناقشة المدعي ما ادعاه فتكون الحجة بالحجة يقول سبحانه: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: من الآية 125) ..

وبذلك لو لم ينسب شخص صفة من صفات الألوهية لنفسه أو لغيره فيكون بريئاً من تهمة الشرك، ولا يجوز أن نرميه بها .. ويمكن أن نوجه إليه صفة 5 بديلة وهي الجهل، وفي هذه الحالة علينا أن نزيل عنه الصفة، وهذا هو دور العلماء. ولا بد أن تعريف الشرك على هذا النحو يغلق الباب على هواية رجم الناس به بسهولة.

أما البدعة فقد سبق أن توقفنا عندها إنها إطلاق ما قيده الله ورسوله ﷺ أو تقييد ما أطلقه الله ورسوله ﷺ ..

وبقى أن نعرف الكفر .. **والكفر له تعاريف كثيرة أيضاً لكن أسهل تعريف له هو: أن ينسب إلى الله ما تنزه عنه من: الكم؛ والكيف؛ والأين؛ والند؛ والضد؛ والشبيه؛ والمثيل⁽¹⁾؛ والشريك؛ والزوجة؛ والولد؛ وكل ما خطر ببالك هالك والله بخلاف ذلك..**

بتعبير مبسط الكفر أن يعتقد الإنسان في قلبه صورة لله..

(١) مسألة ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير ؟

قال السيوطي رحمه الله (في كتابه (الحاوي للفتاوى) ج 2 ص 273): مسألة ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير ؟
الجواب :

المثل: أخص الثلاثة، **والشبيه** أعم من المثل؛ **وأخص** من النظير، **والنظير** أعم من الشبيه وبيان ذلك:

- أن **المماثلة** تستلزم المشابهة وزيادة.
 - **والمشابهة لا تستلزم المماثلة** فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له.
 - **والنظير** قد لا يكون مشابهاً.
 - **وحاصل هذا الفرق:**
 - أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه.
 - والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها.
 - والمناظرة تكفي في بعض الوجوه؛ ولو وجهاً واحداً، يقال: هذا نظير هذا في كذا، وإن خالفه في سائر جهاته.
- ويؤيد هذا الذي قلته من المنقول: ما نقله الشيخ سعد الدين في شرح العقائد عن الأشعرية: **أن المماثلة عندهم إنما تثبت بالاشتراك في جميع الأوصاف حتى لو اختلفا في وصف واحد انتفت المماثلة، وأما عند اللغويين فإنهم جعلوا المثل والشبيه والنظير بمعنى واحد . اهـ**

لكن ما قولنا في رجل يشهد أن لا إله إلا الله بكل ما تحمل هذه الشهادة من معنى، ويشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.. أي أنه واسطة بيننا وبين الله.. رجل شهد الله بالألوهية، وشهد للنبي بالرسالة، شهد أنه عبد مخلوق لله، يعتقد أن النفع والضرر بيد الله، رجل مثل هذا؛ لا يمكن أن ننعتة بالكفر حتى لو سعى إلى الحصول على ما أودعه الله من سر وخير في إنسان أو حيوان أو نبات أو 5 غير ذلك **(فالخير بيد الله يضعه حيث يشاء وعلى المؤمن أن يطلبه حيث وضعه الله) ..** يقول سبحانه وتعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة: من الآية 143) "

بقي أن نعرف العبادة: هي قصد المعبود لحاجة عنده، وبإذنه، وما عنده ذاتي.

10

وبقي أن نعرف معنى الإتياع: إننا نتبع الرسول ابتغاء مرضاة من أرسله (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: من الآية 80)، فالمؤمن لا يعبد من يتبع، فالرسول غير معبود، والصالحون والأولياء الذين نتبعهم غير مقصودين بالعبادة، إن الناس لا نتبعهم لذواتهم.. ولكن بسبب ما أودع الله لديهم من أسرار على أنه لا عاقل يقول: **إننا نتبع الله، فالمعبود لا يتبع، والمتبع لا يعبد،** إن 15 جوهر العقيدة كلها معرفة الفرق بين العبادة والاتباع. أما من يرمي المتبع بأنه عابد فهذا جاهل بالتعريف، والجهل ليس بحجة..

وفي الاتباع يكون الحب فلا يمكن أن نتبع الرسول دون أن يكون محبوباً، لكن الحب شيء، والعبادة شيء آخر، قال صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم، وأحبوني لحب الله) (1)

20

إن الحب هنا ليس لذات الرسول الكريم ولكن لحب الله، يقول سبحانه وتعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (آل عمران: 31) يعني أنه للحصول على محبة الله يجب اتباع الرسول ﷺ.

وبقي كذلك أن نعرف ما المقصود بجملة **"من دون الله"** إنها تعني **"من غيره"**.. والمقصود الأولياء ولكن ليس على إطلاقهم .. لأن هناك أولياء لله؛ 25 وهم أولياء الرحمن، وأولياء من دون الله؛ وهم أولياء الشيطان..

(1) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم - حديث: 3805 عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي (لحي) هذا حديث حسن غريب.**

يقول سبحانه وتعالى: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (يونس:62)، ولسنا الآن بصدد الكلام عن الأولياء على أن الأولياء من دون الله هم الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم، وأمرهم أن يتخذوا المؤمنين أولياء. ولا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين.. **(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..)** (آل عمران:28)

وبالتالي يمكن اتخاذ أولياء من المؤمنين، إذن لو عرفنا ما معنى كلمة عبادة، وما المقصود "من دون الله" لاسترحنا من كثير من المغالطات ولأرحنا العامة من تفسيرات مغرضة، ولارتفع مستوى العامة إلى مستوى الخاصة، ولاطمأن كل مسلم على دينه وإيمانه، وبالتالي فزيارة الأولياء ليست حراماً؛ ولا كفراً كما يروج البعض لسبب أو لآخر.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعد: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

- 5 تأملت كتب العقيدة لعلي أظفر برسالة وجيزة؛ تُعين الناشئة من أبناء المسلمين على فهم عقيدتهم، بعيدة عن المناقشات والآراء، ميسرة بأسهل طريق، وأقوى دليل، وأسرع برهان، فوجدت القلوب مجتمعة على متن العقيدة الطحاوية (1) المسماة بـ (بيان أهل السنة والجماعة (2)) { فأكثر من قراءته، وجعلته ورداً لي، أقرؤه وأتدبره، فوجدته بحاجة لترتيب جديد، يجمع ويضمّ مباحث العقيدة بعضها إلى بعض، وكنت أثناء ترديدي للمتن؛ أتمنى لو يذكر 10 الدليل القرآني للفكرة، ليكون ورداً قرآنياً أيضاً، وليكون أقرب لقلوب المؤمنين، وعوناً للشارحين، وتوثيقاً للمتن، وتعميماً للنفع، وتأكيذاً ليسر العقيدة الإسلامية، لأن أفضل من يبين الإيمان بالله هو وحيه المتلو وهو القرآن؛ ووحيه غير المتلو وهو الحديث النبوي.
- 15 وكنت أتمنى إعادة ترتيبه حسب الموضوعات المتخصصة؛ حيث إن المتن ينتقل بين المواضيع المختلفة (الإلهيات - النبوات - الملائكة - عالم الآخرة)، ثم يعود إليها أكثر من مرة أحياناً، فوجدت من الضروري إعادة ترتيبه إلى المواضيع العقيدية، لتكون أقرب إلى الفهم والحفظ؛ ودون الإخلال بالمعنى،

(1) قال الإمام تاج الدين السبكي الشافعي - رحمه الله - : (وهذه المذاهب الأربعة والله الحمد في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق، يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول).

(انظر كتاب: معيد النعم ومبيد النقم) للسبكي (ص 25) طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت. وبالتالي فإن مخالفة هذا المتن المجمع عليه؛ يعتبر مخالفة شرعية في حق المخالف، فلا يقبل من أي شارح؛ أن يخالف هذا المتن؛ الذي أقره علماء الأمة، وتلقوه بالقبول، وخاصة وأن الإمام الطحاوي هو من بقية السلف الصالح، وأن متنه عقيدة ثلاثة من أساطين العلم والسلف الصالح. والله أعلم.

(2) سمي أهل السنة والجماعة بهذا الاسم: لأنهم يأخذون السنة عن أهل بيت الرسول ﷺ وعن الصحابة أجمعين، وسموا بالجماعة لأخذهم بالإجماع؛ ولزومهم جماعة المسلمين، وفي بيعة سيدنا الحسن وتنازله بالخلافة لسيدنا معاوية رضي الله عنهما سمي ذلك العام بعام الجماعة والله أعلم.

وهذه مهمة صعبة ودقيقة؛ وقد استغرقت جهداً لا بأس به، ومما ساعدني على ذلك وسهل عملية النقل هو استخدامي للحاسب الآلي مباشرة عند كتابتي للموضوع؛ فله الحمد والفضل والمنة.

وقد اعتمدت في ترتيب هذا المتن للعقيدة الطحاوية تأليف الإمام الفقيه المحدث الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي الحنفي المصري 5 (239 - 321) هـ على ما يلي:

أولاً - شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (731 - 792) هـ، والتحقيق فيه أنه شرح الشيخين ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله - وذلك لكثرة نقول أبي العز عنهما؛ وقل أن يشير إلى أخذه منهما، كما أثبت ذلك محققا الشرح كل من الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد ذكرا أنهما رجعا في تحقيق الشرح إلى أربع مخطوطات، وقد طبعتها مؤسسة الرسالة في مجلدين: الأول من صفحة (1 - 343) والثاني من صفحة (344 - 872)، وبدون ذكر تاريخ الطبع، وقد رمزت إليه بحرف - أ - أول حرف من كلمة أبي العز.

ثانياً - شرح عقيدة أهل السنة والجماعة للإمام الفقيه الأصولي الحنفي 15 أكمل الدين محمد بن محمد البابرّي (712 - 786) هـ تحقيق الدكتور عارف آيتكن، وهو شرح لمتن العقيدة الطحاوية، وقد ذكر المحقق أنه رجع في تحقيقه للشرح إلى ثلاث مخطوطات، وقد قامت بنشره وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت سلسلة الرسائل التراثية - 3 - سنة 1409 هـ - 1989 م، وقد رمزت إليه بحرف - ب - أول حرف من كلمة بابرتي.

ثالثاً - شرح العقيدة الطحاوية للفقيه المحقق عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي (1222 - 1298) هـ، تحقيق الأستاذ محمد مطيع الحافظ والأستاذ محمد رياض المالح، الطبعة الثانية، نشر دار الفكر سورية، عام (1402 هـ - 1982 م)، وقد ذكر المحققان أنهما رجعا في تحقيق الشرح إلى ثلاث مخطوطات، وقد رمزت إليه بحرف - غ - أول حرف من كلمة غُنَيْمِي. 25

فيكون عملي هذا مقتبساً من عشرة مخطوطات بالتبعية لا بشكل مباشر.
وقد وجدت بين المتنين الأولين اختلافاً؛ وصل إلى سقوط عبارات كثيرة

من - البابرتي -، وموافقة متن (الغنيمي) لمتن (أبي العز) في كثير من المواضع.

وإذا قرأنا كتاب (الفقه الأكبر) للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله فنجد أن الإمام الطحاوي قد لخص متنه من (الفقه الأكبر)، لذلك نجد عبارة الإمام الطحاوي أن ما جاء في متنه يمثل عقيدة أبي حنيفة وصاحبيه الإمامين: 5
أبي يوسف؛ ومحمد رحمهم الله تعالى؛ صحيحة وسليمة، إلا أن الفقه الأكبر أكثر شمولية.

وأما عن عملي في التحقيق والترتيب؛ بالإضافة لما سبق فقد قمت بعمل الآتي:

- 1 - جعلت التحقيق الأول هو الأصل - وهي النسخة (أبي العز). 10
- 2 - أثبت ما كان اختلافاً مغيراً للمعنى أو يزيده وضوحاً ورمزت إليه حسب حرفه أ - ب - ج - غ.
- 3 - قَسَّمْتُ المَتْنَ إلى: مَوَاضِع؛ وفقرات؛ ورتبتهما ترتيباً موضوعياً، وقمت بتريقيم الفقرات لكل موضوع.

15 **وجعلت المتن بخط سميك وضمن إطار هكذا؛ للتمييز بين المتن والشرح والحاشية.**

4 - لم أذكر أرقام الصفحات للمتن في الشروح الثلاثة لسهولة الرجوع إليها لمن طلبها.

5 - الزيادات التي وَضَعْتُهَا هي:

- أ - وضع العناوين الأساسية والفرعية وبعض الشرح الضروري. 20
- ب - ذكر الدليل القرآني والنبوي، حسب ترتيب المتن الجديد؛ في نهاية كل موضوع، استخرجته من الشروح الثلاثة، وكتب العقيدة الأخرى، واستفدت من برنامج القرآن الكريم - صخر - في تحقيق كثير من القضايا العَقْدِيَّة، وكذلك استفدت من برنامج موسوعة الحديث الشريف - شركة صخر -، واخترت الدليل الواضح من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الصحيحة، 25

وأتبعت في الحاشية شرح الآية والحديث الشريف (1) من مصادرهما، للاستزادة من العلم؛ ومعرفة المعاني، ومعرفة أقوال السلف الصالح رحمهم الله.

ج - ترقيم الفقرات وتقطيعها عمودياً، لإظهار معانيها للقارئ، ولإزاد تَمَعُّناً فيها، فكل جملة تمثل موضوعاً، وحتى لا تُقرأ سرداً بشكل سريع، جعلتها 5 مفردة في سطر للتفكير والتدبر.

6 - اجتهدت (2) في تقديم مبحث أركان الإيمان على غيره، حيث اعتادت كتب العقيدة تأخيرها إلى بعد منتصف المباحث، وجعلته أول مباحث العقيدة، لمعرفة أركانه، وذلك لأن سبب ضعف المسلمين اليوم، عدم اهتمامهم في هذا الموضوع، لذا قدمته على غيره، ومبحث الإيمان هو أساس العقيدة وهو مدخل 10 لها، حتى قال أكثر من صحابي: (كنا نؤتي الإيمان قبل القرآن)(3)، فأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت لهذا التقديم.

7 - كذلك اجتهدت في تقديم مبحث الإيمان بالقضاء والقدر إلى نهاية مبحث الإيمان بالله تعالى؛ لشدة تعلق المبحثين؛ وقد اعتادت كتب العقيدة تأخيرها كثيراً، مما جعله مبحثاً عقلياً أكثر منه نقلي، والعكس هو الصحيح، 15 واتبعت تلك الكتب - فيما يبدو لي - تسلسل حديث جبريل عليه السلام، الذي رواه مسلم في صحيحه: (قال - أي جبريل - : فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ - أَي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

(1) وذكرت تخريج الحديث الشريف باختصار: (خ) للبخاري في صحيحه، و(م) لمسلم في صحيحه، و(ت) للترمذي في سننه، و(ن) للنسائي في سننه، و(د) لأبي داود في سننه، و(ج) لابن ماجه في سننه، و(حم) لأحمد في مسنده، و(ط) لمالك في موطنه، و(مي) للدارمي في سننه.

(2) ليس المقصود هنا بالاجتهاد بالمعنى الاصطلاحي العام، وإنما المقصود التعبير عن الرأي.

(3) مشكل الآثار للطحاوي - باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ - حديث: 1253: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: " لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ثم لقد رأيت اليوم رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينتثره نثر الدقل " ورواه الحاكم في مستدركه.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ.. الحديث) ورواه: خ: الترمذي في سننه: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده، ويمكن الإجابة عن ذلك؛ بأن حرف الواو لا يفيد الترتيب في اللغة.

وقمت بتقديم مبحث القضاء والقدر إلى مبحث الإيمان بالله تعالى وصفاته لتعلقه بها، وسوف يجد القارئ، حلاوة هذا المبحث، ويزول منه كثير من الشكوك التي تراود النفس، ويملك الإجابة على كثير من التساؤلات، إن شاء الله تعالى.

8 - قمت بتحقيق كثير من القضايا العقدية من القرآن، وبوبتها ورتبتها في مكانها - سوف يجدها القارئ إن شاء الله -، بالإضافة إلى حصر بعض الكلمات ⁽¹⁾ والتي من أهمها:

10

- حرف لا: مكرر 1728 مرة؛ وما يخص النفي عن الله تعالى: 167 مرة.

- حرف ما: مكرر 2153 مرة؛ وما يخص النفي عن الله تعالى: 69 مرة.

- حرف لم: مكرر 366 مرة؛ ما يخص النفي عن الله تعالى: 14 مرة.

- ليس: مكرر 89 مرة ما يخص النفي عن الله تعالى: 3 مرات.

15

فيكون مجموع ماورد من آيات النفي عن الله تعالى هو:

$167 + 69 + 14 + 3 = 253$ ثلاث وخمسون ومئتا آية.

⁽¹⁾ باستخدام برنامج القرآن الكريم - صخر - فكانت النتائج كما يلي:

- الحي: البقرة/ 255 - آل عمران/ 2 - الفرقان 58 - غافر / 65

- القيوم: البقرة/ 255 - آل عمران / 2 - طه / 111

- الرحمن: مكرر 45 مرة

- الله: مكرر 2153 مرة

- العلي: البقرة/ 255 - الحج/ 62 - لقمان / 30 - سبأ/ 23 - غافر/ 12 -

الشورى / 4

- الأسماء الحسنى: الأعراف / 180 - الإسراء / 110 - طه / 8

- كلمة (تأويل): آل عمران / 7 - الأعراف / 53 - يونس / 39 - يوسف / 6 - 21 - 36 - 37 -

44 - 45 - 100 - 101 - الكهف / 78 - 82 - الحشر / 24

- كلمة (أبدأ) الخاصة بالجنة: النساء 57 - 122 - المائدة/ 119 - التوبة/ 22 - 100 - الكهف / 3

- التغابن / 9 - الطلاق/ 11 - البينة/ 8

- كلمة (أبدأ) الخاصة بجهنم: النساء / 169 - الأحزاب / 65 - الجن / 23

وهذا يدل على ضرورة الاهتمام بهذا الجانب، بخلاف الاعتقاد السائد أن عدد آيات النفي عن الله تعالى قليلة، وهذه النتيجة العملية للحصر، تؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة، من أن النفي والإثبات متلازمان حيثما ورد النص القرآني والنبوي تحقيقاً لشهادة: (لا إله إلا الله) بتقديم النفي، وهو مؤيد أيضاً بقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [سورة الشورى]؛ 5 وقوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم..) البدء بالإثبات، ويعني هذا التنزيه والإثبات لأن النص ورد بهما جميعاً، وسيجد القارئ مزيداً من الأدلة إن شاء الله تعالى.

9 - امتاز هذا الكتاب - بتوفيق الله تعالى - : بالتوثيق والتحقيق للمتن؛ والترتيب؛ والتبويب؛ ووضع العناوين؛ وذكر الدليل من خلاصة ثلاثة شروح 10 وغيرها، وبرنامج القرآن الكريم لشركة صخر، فكنت أبحث فيه، بدلالة الكلمة، فينتج أحياناً مئات من الآيات، فأستعرضها كلها على الشاشة، وأقوم بنقل ما يتصل بالموضوع، وهذا العمل تطلب جهداً كبيراً، يعرفه كل من يجلس أمام الحاسب الآلي، وسيجده القارئ ويتعرف عليه في الصفحات المقبلة إن شاء الله. 15

10 - يمكن للقارئ المستعجل استعراض الأدلة وقراءتها في الأعلى، وأما الحاشية في الأسفل، فهي لمن يحب الاستزادة من العلم والمعرفة والبيان، وزيادة الشرح والتوضيح واليقين.

ولا بد من ملاحظة أن الدليل الشرعي هو مجموع الآيات والأحاديث، وليس هو آية واحدة أو حديثاً واحداً إلا في حالة عدم وجود غيرها في الباب. 20 فأخذ آية وترك أخرى هو مذهب أهل الأهواء، وعدم اتباع منهج واحد في الفهم والشرح؛ هو مذهب أهل الضلال، لذا حرصت على جمع الآيات في الفكرة الواحدة للتعرف على المطلب القرآني ما أمكنت الاستطاعة إليه.

وكان لهذا السبر قوة في النتائج، وميزة لهذا الكتاب تختلف عن غيره من الكتب، وفي كلها خير، وهذه الطريقة استنفذتها من طريقة الحنفية في 25 استنباط أصولهم من المسائل الفقهية الفرعية، وهي طريقة المنهج التجريبي العلمي الحديث المعاصر، الذي يقوم على الإحصاء، وفرز النتائج، وهي في

الأصل من وصايا الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن:
أخرج أبو داود حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي عَوْنٍ عَنْ الْحَارِثِ
بْنِ عَمْرٍو (1) ابْنِ أَخِي الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ أَنَسٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ مِنْ
أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ
مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟) قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ
5 اللَّهُ، قَالَ: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟) قَالَ: فَيَسُنُّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، قَالَ: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا فِي
كِتَابِ اللَّهِ؟) قَالَ: أَجْنَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَدْرَهُ وَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لَمَّا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)
10 ورواه: الترمذي في سننه: أحمد في مسنده: مسلمي (2).

وأخرج البيهقي بسند صحيح (3) عن ميمون بن مهران قال: " كان أبو بكر
الصدِّيق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى
بينهم، وإن علمه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به، وإن لم يعلم
خرج فسأل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين
15 وعلماءهم واستشارهم " وأن عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك) انتهى من فتح
الباري.

وإنني إذ أساهم في هذا الموضوع العَقْدِي تَعْلُمًا وتعليمًا، أكثرت فيه من
الشواهد القرآنية، لأن القرآن هو أساس عقيدة المسلمين ثم السنة النبوية
الشريفة، وذلك لترسيخ الاهتمام بالقرآن والسنة، إذ هما مصدر الوحي المنقول

(1) وثقه ابن حبان وضعفه الباقر، وباقي السند ثقات.

(2) قال ابن حجر في كتاب تلخيص الحبير - كتاب القضاء - حديث: 2075 بعد ذكره للحديث: رواه
أحمد وأبو داود والترمذي وابن عدي والطبراني والبيهقي من حديث الحارث بن عمرو عن ناس
من أصحاب معاذ عن معاذ ..، وقد استند أبو العباس بن القاص في صحته إلى تلقي أئمة الفقه
والاجتهاد له بالقبول، قال: وهذا القدر مغن عن مجرد الرواية، وهو نظير أخذهم بحديث: (لا وصية
لوارث) مع كون راويه إسماعيل بن عياش) انتهى.

وقد أيد هذا الرأي ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) 202/1، بأن
شهرة الحديث تغني، وإن تلاميذ الصحابي معاذ كلهم موثقون فانظره.

(3) قاله ابن حجر في فتح الباري باب وشاورهم في الأمر.

إلينا، ونرى كتب العقيدة كافة تناقش بعض القضايا المثارة في زمانها، والتي يمكن ألا تستجد إثارتها مرة أخرى - نحو مسألة خلق القرآن وغيرها -، وإنما يستجد غيرها، فالذي يفيد في التصدي للقضايا العقيدة المستجدة إنما هو القرآن والسنة⁽¹⁾.

11 - لم أتعرض لحكاية وعرض الأقوال المخالفة، اقتناعاً مني بأن معرفة الحق والصواب بالدليل القرآني والنبوي خير كله، واعتقاد الحق أفضل من ذكر أنواع الباطل الكثيرة والمتغيرة حسب الزمان والمكان؛ والملل والنحل، ثم وجدت الإمام مسلم ذكر رأياً وجيهاً في مقدمة صحيحه، فعدلت عن رأي السابق فقال:

10 (وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ مُنْتَحِلِي الْحَدِيثِ؛ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا؛ فِي تَصْحِيحِ الْأَسَانِيدِ وَتَسْقِيمِهَا؛ بِقَوْلٍ لَوْ ضَرَبْنَا عَنْ حِكَايَتِهِ، وَذَكَرْ فَسَادِهِ صَفْحًا، لَكَانَ رَأْيًا مَتِينًا، وَمَذْهَبًا صَحِيحًا، إِذَا الْإِعْرَاضُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُطْرَحِ أُخْرَى لِإِمَاتَتِهِ، وَإِخْمَالِ ذِكْرِ قَائِلِهِ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِلْجُهَالِ عَلَيْهِ).

⁽⁶⁾ نحو: نظرية فرويد التي تقول: إن أصل الإنسان هو القرد، الذي تطور مع الزمن فأصبح إنساناً، فكتب العقيدة لم تبحث مثل هذا الموضوع - ليس نقصاً منها أو عجزاً، وإنما لأنها قضية جديدة لم تثر فيما سبق - لهذا فإن الاهتمام بالقرآن كمصدر عقدي أساسي ثم السنة الشريفة، يؤسسان عقيدة متصلة في كافة الأزمان والأمكنة والأعصار، فنرى القرآن يخبرنا الخبر الصادق في الموضوع، وهو أن أصل الإنسان آدم، وأدم أبو البشر خلقه الله من التراب ثم نفخ فيه الروح، ثم أنزله وأهبطه من الجنة في السماء إلى الأرض.

وبذلك يثبت القرآن أن الإنسان ليس أصله قرداً، فهذا اعتقاد المسلم، ثم يبدأ بعد ذلك الرد العلمي حول الموضوع الذي أشبع بحثاً في بطلان ذلك الادعاء، والله الحمد والمنة.

ومن القضايا العقيدة المستجدة في أيامنا، مسألة تحكيم الشريعة الإسلامية في واقع المسلمين، وإقامة حدود الله تعالى، إذ لم تصب الأمة الإسلامية فيما سبق، أن أزيلت الشريعة الإسلامية من حاكمية الدولة والمجتمع، ولهذا لا نجد ذكرها في كتب العقيدة السابقة، وهي من المستجدات، وغيرها كثير مما تناوله الكتّاب والباحثون في هذا العصر.

والغيورون على الإسلام مدعوون أن يهتموا بالكتب الدراسية المقررة والتي تدرس في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية كل حسب بلده، ويدرسوها دراسة واعية، ويكشفوا الأباطيل والافتراءات التي تعمل في ذهن الطلاب كغسيل للمعلومات والأفكار الإسلامية، وإن هذا الكشف جانب مهم جداً في العمل الدعوي، بل هو مجال الدعوة الخصب. وفق الله تعالى من يقوم بذلك.

غَيْرَ أَنَّا لَمَّا تَخَوَّفْنَا مِنْ شُرُورِ الْعَوَاقِبِ، وَاعْتَرَارِ الْجَهْلَةِ بِمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ،
وَإِسْرَاعِهِمْ إِلَى اعْتِقَادِ خَطِئِ الْمُخْطِئِينَ، وَالْأَقْوَالِ السَّاقِطَةِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، رَأَيْنَا
الْكَشْفَ عَنْ فُسَادِ قَوْلِهِ، وَرَدَّ مَقَالَتِهِ، بِقَدْرِ مَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الرَّدِّ، أَجْدَى عَلَى
الْأَنَامِ، وَأَحْمَدَ لِلْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) انتهى.

- 5 لذا وضعت شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الحاشية لمن يريد
المناقشة، ومعرفة آراء السلف الصالح، واخترت من هذه التفاسير من حرر
المسألة ودرسها بأعمق من غيره في موطن الشاهد من الآية التي تم الاستشهاد
بها في الشرح، وبهذه الطريقة من العرض، تحولت مباحث العقيدة من الجدل
العقلي إلى الروح الإيماني، ومن منطق الفلاسفة المتشكك إلى وحي القرآن
والسنة الثابت الراسخ، ومن المعرفة العقلية الباردة إلى القوة المحركة
10 الدافعة المغيرة في السلوك والواقع، ومن ظلمات الأدلة العقلية فحسب، إلى
نور القرآن والسنة وضيائهما، ومن ذكر أسماء الفلاسفة الإسلاميين (1)
وغير الإسلاميين إلى ذكر رجال السلف الصالحين، من المفسرين الأعلام،
وعلماء الحديث الشريف الكرام، والله الموفق والهادي للصواب.

15

والقرآن وصفه الله تعالى بأنه مهيمٌ، فقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (2) فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ

(1) ليس هذا من باب انتقاص الفلاسفة الإسلاميين، - مع التحفظ على بعض أفكارهم - وإنما
موضعهم المناسب هو في مباحث الرد ومناقشة الفلاسفة غير الإسلاميين، لمقارعة الحجة العقلية
بالحجة العقلية، وأما مباحث العقيدة للمسلمين فتنبع من القرآن والسنة، وهما الركز الأساسي في
إقامة العقيدة الإسلامية، ولا تنبع العقيدة الإسلامية من الفلسفة أو غيرها من المباحث العقلية والله
أعلم.

(2) قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: (ومهيماً عليه) أي عالياً عليه ومرتفعاً. وقال قتادة:
المهيم منناه المشاهد. وقيل: الحافظ. وقال الحسن: المصدق؛ ومنه قول الشاعر:
إن الكتاب مهيم لنبينا
والحق يعرفه ذوو الألباب

وقال ابن عباس: "ومهيماً عليه" أي مؤتمناً عليه. قال سعيد بن جبير: القرآن مؤتمن على ما قبله
من الكتب، وعن ابن عباس والحسن أيضاً: المهيم: الأمين) انتهى باختصار.

قال ابن كثير في تفسيره: (وقال العوفي عن ابن عباس "ومهيماً" أي حاكماً على ما قبله من
الكتب).

اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لَكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) سورة المائدة.

ومن أسماء الله تعالى (المُهَيْمِنُ)، قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ⁽¹⁾) (العَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) سورة الحشر.

وبذلك يكون القرآن مهيمناً على العقول والنفوس واللغة والمنطق وكافة العلوم والكتب السماوية، وهو مصدر لطريقة التفكير، وهو الأساس الذي تحاكم به الأفكار والآراء والمعتقدات، وهذا منهج الراسخين: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) [سورة آل عمران].

والعقل أحياناً يشذ في التفكير والاستنباط، وخاصة في موضوع الإلهيات لأنها عالم غيبي، فهو بحاجة ماسة للمعجزة حتى ترده إلى الصواب، ولذا كانت المعجزة الكبرى لرسالة سيدنا محمد ﷺ هي القرآن، على مدار الزمان وإلى يوم القيامة، وكل ما يتعلق بالقرآن معجز برسمه، وبكلماته، وبمعانيه، وبموضوعاته، وبتجويده، وبقراءاته، والتي حفظت بأدق الطرق العلمية، وهو التلقي بالمشافهة جيلاً عن جيل، فيحفظه الملايين في الصدور جيلاً بعد جيل ثم في السطور طباعة وحفظاً بالحاسب الآلي والأجهزة الذكية.

لذا فإن التسليم للقرآن أساس العقيدة، وهو القاعدة والأساس الذي يبنى بعده أي شيء:

20

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو: أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (انتهى باختصار).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى "المهيمن" قال ابن عباس وغير واحد أي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله "والله على كل شيء شهيد" وقوله "ثم الله شهيد على ما يفعلون" وقوله "أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت" الآية) انتهى باختصار.

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (65) سورة النساء.

والقرآن له طريقة خاصة في إثبات الحقائق، فهو يخاطب كينونة الإنسان كلها، على خلاف كلام البشر، الذي لا يخاطب إلا شيئاً منها، وبشكل منفصل عن بعضه البعض، بينما كلام الله تعالى يخاطب الكينونة الإنسانية كلها دفعة واحدة: (المشاعر والأحاسيس، والروح والنفس، والعقل والتفكير، والحزن والفرح، والأمل واليأس، والشجاعة والخوف، والكرم والبخل، وغيرها كثير في كينونة الإنسان)، وبالتالي فهو يؤثر في كينونة الإنسان مهما كان ذلك الإنسان، وبأي حالة هو، وبأي درجة من العلم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: (وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. ورواه: الدارمي.

فتوجيه أهل العلم والعلماء والدعاة كلما تركز على كشف أسرار وشرح القرآن، أنتج جيلاً فريداً، يستطيع التصدي لكل الأفكار مهما كان نوعها ومصدرها.

لأن القضايا العقدية تتكرر إثارة بعضها؛ وتستجد بعضها في كل زمان ومكان، وبأساليب مختلفة عما مضى ولحق من الأساليب البشرية⁽¹⁾، وإن

(1) في السابق كانت الفلسفة هي المسيطرة، واليوم تستخدم نتائج الأبحاث العلمية؛ التي تُقرأ قراءة إحادية؛ لإبعاد الإسلام عن الحياة، لذلك وجب تلقي العلوم بدون أن يصابها أي تفسير فكري أو فلسفي أو عقدي، وذلك حتى لا يلبس الملحدون إحادهم بصبغة العلم، وإنما يتعروا على حقيقتهم، والحمد لله نشأ من بين الشباب المسلم علماء أتقياء من كافة العلوم المادية، وسقطت ترهات وصرعات الذين ينادون بإبعاد الإسلام عن الحياة، لأن الإسلام هو دين العلم، وأول كلمة نزلت من القرآن: (اقرأ)، فشعار الإسلام من اليوم الأول القراءة وطلب العلم، وأول العلم معرفة الله تعالى وتوحيده، ومن لا يؤمن بالله ويوحده، فذلك مجنون، حتى لو حمل شهادة العلم المادي، لأن أول حقائق العلم الإيمان بالله تعالى، فالفيزيائي والكيميائي، والفلكي والألكتروني، إذا لم يعلن إيمانه بالله تعالى نتيجة أبحاثه، فهو كالأعمى الذي بجانبه الحقيقة ولا يراها، وانظر وتأمل قول الله تعالى: (وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (179) [سورة الأعراف].

الذي يغطي الإجابة عنها هو القرآن الكريم والسنة النبوية. ويمكن تحقيق ذلك في ميدان الواقع بتناول أحد كتب العقيدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة وتعلمها، وذلك لمعرفة المسائل والمناقشات المبحوثة سابقاً، ثم التركيز على تفسير القرآن، حتى يبقى المسلم متصلاً بكتاب الله تعالى؛ ليفهم وليعلم عن إخبار الله تعالى له عن عالم الغيب، وعالم الشهادة، السابق واللاحق منهما، فيؤمن بما ورد في القرآن من أخبار، إيماناً اعتقادياً جازماً راسخاً، من أنه الحق؛ ومخالفته هو الباطل، وجحوده هو الكفر.

وننتعلم في عرض الآيات الكريمة طريقة القرآن في الإقناع، حيث يتم ذلك من خلال واقع حي (كوني أو بشري، أو تدافع الحق والباطل من خلال جهاد الأنبياء والرسل وأتباعهم المؤمنين مع أقوامهم) تعرضه الآيات بطريقة يفهمها كل إنسان حسب عمق علمه، وخبرته في الحياة، وإطلاعه على الأمور، والتزامه التطبيق الإسلامي، وممارسته الدعوة إلى الله تعالى.

وأما طريقة البشر في الإقناع فهي العقل وحده، وهو يخص المفكرين والعلماء أكثر مما يخص عامة البشر، في حين أن القرآن للناس كافة، يقنع العالم والجاهل، ويؤثر في الكبير والصغير، ويناقش المفكر والسادج، ويقوم 15 الحجة على الجميع، وهذه ميزة القرآن، وخصيصة من خصائصه المعجزة، في طريقة عرضه، وطريقة تأثيره، وطريقة إقناعه، إنه كلام الله المعجز.

إن المعركة القائمة بين الإسلام وخصومه سواء كان الخصوم من أبناء جلدتنا أو غيرهم. إنما هي في صميم العقيدة (وهو الفقه الأكبر)، وما لم يهتم المسلمون في عقيدة أبائهم وأجيالهم، فستبقى القهقري إلى الوراء هي 20 السائدة، لأن التطبيق السلوكي للإسلام (وهو الفقه الأصغر) قائم على قوة العقيدة في النفوس، فالتواني في تعليم العقيدة جد خطير، وعدم الاهتمام بتدريسها بعمق، يسهل ويزيد من تأخر الإسلام وأهله، لأنه يسهل على الخصوم نشر آرائهم بكافة طرق الإعلان، ويبقى المسلم مُفرَّغاً من عقيدته، تُهاجم عقيدته في عقر داره، ولا يجد من يصحح له مفاهيمها.

وقوله تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (44) [سورة الفرقان]

قال الشيخ الإمام مصطفى صبري رحمه الله تعالى: (ومما يدل على عظم خطورة الناحية الاعتقادية في الإسلام التي هي الناحية العلمية، بالنسبة إلى الناحية العملية، مع كون الثانية أصعب من الأولى، أن شارب الخمر بالفعل أو الزاني بالفعل مثلاً لا يكفر؛ ما دام يعد نفسه أثماً فيما يفعله، ويكفر من لم يزن ولم يشرب الخمر فعلاً، ولكنه أباحهما) ⁽¹⁾ انتهى.

5

وقال تاج الدين السبكي في مقدمة الطبقات: "لا خلاف عند الأشعري وأصحابه بل وسائر المسلمين أن من تلفظ بالكفر أو فعل أفعال الكفار أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار وإن عرف قلبه، وأنه لا تنفعه المعرفة مع العناد ولا تغني عنه شيئاً، لا يختلف مسلمان في ذلك."

10

ولئن حصل الخلاف بين أئمة الإسلام - أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية ومنزهة أهل الحديث - في بعض الجوانب العقيدة الفرعية، إلا أن المتفق عليه هو القضايا الأساسية، وأما القضايا الفرعية، فإنها تتبع الاجتهاد في الفهم للنص، وهذا ليس اختلافاً بقدر ما هو اجتهاد يحتمله النص ⁽²⁾.

15

فلا بد من تغذية نور التصديق بشرح القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الذي هو ركن الإيمان الأساسي، حتى يصحح السلوك، وبقدر ازدياد تغذية هذا الركن فسيزداد العمل والتطبيق، والعكس بالعكس، وإن مناداة الناس ودعوتهم إلى التطبيق ستبقى ضعيفة الأثر، ما لم يقارنها تغذية نور التصديق الإيماني الذي هو المحرك والدافع والمغذي للتطبيق.

20

وإلا كيف نفسر إندفاع الصحابة رضوان الله عليهم وتحملهم المشاق، واستبسالهم مع رسول الله ﷺ في حياته وبعد انتقاله للرفيق الأعلى، حتى وصلت فتوحاتهم ما أعجز العقول، وحير الألباب، وبهر العقلاء، إلا لكون نور

(1) انظر كتاب (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) للشيخ مصطفى صبري آخر شيخ الإسلام للدولة العثمانية العلية. 16/1، وهذا الكتاب اعتبره العلماء كتاب القرن العشرين، فاحرص عليه وتعلم من مناقشاته.

(2) لذلك اخترت المتن المجمع عليه بين أهل السنة والجماعة، سلفاً وخلفاً، وهو متن عقيدة الطحاوي رحمه الله والمستخرج من رسائل العقيدة للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه والتي قمت بنشرها، ونلاحظ أن المتن لم يدخل في القضايا الفرعية وإنما بالكلية، فمن اعتنى بفهمها، واهتم بأدلتها، فيسهل عليه ما تبقى إن شاء الله تعالى.

إيمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ واليوم الآخر كان قوياً، وحتى وصل بأنس بن النضر ﷺ أن يشم رائحة الجنة دون جبل أحد، وبأبي بكر ﷺ أن يقدم كل ماله في سبيل الله، وبالأنصار الذين تركوا أموالهم وديارهم وأهليهم ابتغاء وجه الله تعالى، وبالأنصار الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين فقامموهم ديارهم وأموالهم وحتى نساءهم، إلا ذلك من قوة نور التصديق الإيماني لديهم، فكان 5 في أعلى درجاته على مر التاريخ الإسلامي.

بينما نحن في واقعنا نتعامل مع العقيدة بكل بلاهة حس، وعدم تفاعل مع متطلباتها، وضعف نصرتنا لها؛ وذلك بأوهام دخلت على العقول، وتقديمتنا الحياة الدنيا على الآخرة، وهو الوهن الذي أشار إليه الرسول ﷺ بخبره المعجز (1)، وما ذاك إلا لضعف نور التصديق فينا، فأدى إلى سوء السلوك وصدق 10 الرسول ﷺ في قوله:

فيما أخرجه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: 15 - لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، - وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ،

- وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، 20

- وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ،

- وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَنُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمُ

(1) أخرج أبو داود عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا) فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمِنَا؟ قَالَ: (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمِنَا كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ) فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ.

بَيِّنُهُمْ) (1).

إن كل تلك الانحرافات السلوكية التي أخبر بها الرسول ﷺ، كان نتيجة ضعف نور التصديق بالله واليوم الآخر، وزاد من الانحراف الخوف من البشر، مما يسميه عامة الناس (بناء المستقبل المادي)، كل ذلك نتيجة ضعف نور التصديق بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، والله تعالى علمنا أن نعتقد:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (51) سورة التوبة.

ونرى أعمال السلف الصالح العلمية والعملية من الأئمة المجتهدين الأربعة وأتباعهم ومن بعدهم إلى قيام الساعة، من المؤلفات والمخطوطات التي امتلأت مكتبات العالم (2)، ما يبهر العقول ويحير الألباب، وما حصل لهم ذلك إلا من جانب نور تصديقهم الكبير، والعمل الدؤوب المخلص لله تعالى في نشر العلم والأمل معقود بالله تعالى أن يوفق النفوس المؤمنة - إن شاء الله - التي تغار على الإسلام عقيدة وشرعية، والذين عَشَّشَ وعشَّش نور الإيمان في قلوبهم، وتوقدت حرارته في نفوسهم، أن تتحول من الجدل إلى العمل، ومن البطالة إلى المجاهدة، ومن الاشتغال بأحوال الأموات إلى الاشتغال بالأحياء،

١) رواه مالك في الموطأ موقوفاً على ابن عباس رض الله عنهما، وقال السندي في شرحه: (قوله (إذا ابتليتكم) على بناء المفعول والجزاء محذوف أي فلا خبر (لم تظهر الفاحشة) أي الزنا (بالسنين) أي بالقحط (منعوا القطر) منعوا على بناء المفعول والقطر بالسكون المطر وهو بالنصب مفعول ثانٍ (لم يمتروا) على بناء المفعول (عهد الله) هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب وفي الزوائد هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن مالك وأبيه).

٢) من الأمور الخطيرة أن ينهل علماء أوربا من المخطوطات الإسلامية ولا يشيرون لذلك في كتبهم، وبعض الغربيين يعتبر نفسه مخترعاً وقد سرق ذلك الاختراع من المخطوطات الإسلامية، بل تعدى البعض إلى سرقة كتب كاملة ونسبها لنفسه، والأمور في انكشاف والله الحمد والفضل والمنة، ومن المؤسف أنه ما زال من أبناء جلدتنا لا يلقون بالأ لتلك المخطوطات، وتلك العلوم، ويردد مثل الببغاء مزاعم أساتذته المستشرقين، انظر مقدمة تاريخ الأدب العربي للعالم التركي الدكتور فؤاد سزكين فقد كشفهم اسماً اسماً، وانظر إلى متحفه الذي أقامه في المانيا عن اختراعات علماء المسلمين عبر التاريخ. للاستزادة عليك بهذا الرابط:

<http://waqfeya.com/book.php?bid=308>

ومن التغني بأمجاد الماضي التليد؛ إلى الاستبسال في تغيير الحاضر المريض المرير، ومن الفرقة والنزاع على الدنيا، إلى التآلف والأخوة الإيمانية والمنافسة على درجات الآخرة: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (26) [سورة المطففين]، فكل مسلم من المسلمين على ثغرة من ثغور الإسلام، الله الله لا يؤتين الإسلام من قبل أحد منهم، وهذا هو منهج أهل الصلاح، وعمل السلف 5 الصالح رحمهم الله تعالى.

فانظر إلى ما كان عليه السلف الصالح وليس الطالح أصحاب الأهواء، فهلم الآن إلى تدين المتبعين وسيرة المتمسكين، وسبيل المتقدمين، بكتاب الله وسنته، والمنادين بشرايعه وحكمته، الذين قالوا: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: 53)، وتتكبوا سبيل المكذبين بصفات الله، 10 وتوحيد رب العالمين، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وآياته فرقاناً، ونصبوا الحق بين أعينهم عياناً، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم جنة وسلاحاً، واتخذوا طرقها منهاجاً، وجعلوها برهاناً، فلقوا الحكمة، ووقوا من شر الهوى والبدعة، لامتثالهم أمر الله في اتباع الرسول، وتركهم الجدل بالباطل ليدحضوا به 15 الحق) (1).

ولا يذوق حلاوة الإيمان من لا يمارس الدعوة إلى هذا الإيمان، فالدعوة أولى خصائص الإسلام، والمسلمون هم حملة رسالة ربانية، تنتظرهم البشرية لإنقاذهم، وليس مطلوباً منهم أن يقدموا للعالم - في مرحلة الانطلاقة على الأقل - 20 -الاختراع في المادة، وإن كان ذلك حصل في التاريخ الإسلامي، ولكن مهمتهم الأولى والأساسية إنقاذ ذلك المخترع وغيره، من أوهام الكفر والضلال، وذلك بواسطة نور الوحي القرآني والنبوي.

لقد هاجر المسلمون إلى الحبشة هجرتين، وهاجر مصعب إلى المدينة، ولم يكن معهم سوى القرآن، ثم حصلت الهجرة المباركة لجميعهم إلى المدينة المنورة، فتحركوا بالقرآن فأناروا العقول، وفتحوا القلوب بنور الإسلام. 25 والآيات القرآنية لا يجد نورها من لا يدعوا إليها بإخلاص، ولا يعرف

١) انظر شرح عقيدة أهل السنة للحافظ أبو القاسم اللالكلائي 20/1، ت. د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة.

معاني مشاهد حركة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ولا يتذوق سياقها من لا يساهم العمل والدعوة مثلما ساهموا، فمن خلال الواقع والتفاعل معه تنبض حرارة الإيمان في القلوب، ومن خلال التضحية تغلوا العقيدة في النفوس، ويعلوا شأنها، وتظهر عظمة هذا القرآن في ميدان الواقع، وليس في ميدان الادعاء فقط، وعندها تتشوق النفوس إلى لقاء الأحبة سيدنا 5 محمد ﷺ وصحبه؛ كما تشوق بلال وإخوانه رضي الله عنهم.

ونور الإيمان سيبقى يهدي الحيارى من كافة الأمم المتقدمة علمياً والمتأخرة عنه، لأن نور الإسلام أقوى من ظلمات الباطل، وطهارة الإسلام أقوى من نتن الكفر وجبروته، ولأن نور الإسلام عندما يسري في الفؤاد والقلب سوف يُكرّر من مشهد آسية زوجة فرعون (1)، ويُكرّر مشهد مصعب 10 بن عمير اللذين بُسّطت لهما الدنيا، فلم تؤخر من عزيمة إعلان إيمانها، فبالا - رحمهما الله تعالى - ما نالا من صنوف التعذيب، على يد أقرب المقربين لديهم (آسية المؤمنة من زوجها فرعون الطاغى الكافر، ومصعب الصحابي 15 من أمه الكافرة)، ولم يزد هما إلا إيماناً وتسليماً لله تعالى، فضلاً عن تضحية أول أسرة إسلامية ياسر وزوجته سمية، وبلال وخباب بن الأرت من المستضعفين من المسلمين الأوائل، والذي يتكرر عبر التاريخ وإلى يوم القيامة.

وسيبقى قول رسول الله ﷺ: (صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة)، مستمراً إلى يوم القيامة يغذي المؤمنين، ويمنيهم بلقاء سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه الكرام. 20

وأرجو من القارئ الكريم أن لا يمل ولا يسأم من كثرة الاستدلال بالقرآن في هذا الكتاب، فإن الارتواء من نور القرآن يزيد من نور التصديق، وهذا ما أحسست به وأنا أبحث وأنقل الآيات كلما وجدتها، وأعتبر أن كل آية لها تأثير خاص في النفس والعقل والروح والقلب، فإذا تعددت الآيات فإنما لسد تلك الفراغات في الكيان الإنساني، وسد وساوس الشيطان الذي يوسوس في صدر 25

(1) (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) سورة التحريم.

الإنسان، والذي ما يفتأ أن يضلّه ويغويه، بشتى أنواع الوسوس، ولا يَنْخسُهُ ولا يذله ولا يدحض شبهه ووسوسه سوى القرآن، ولعل في تلاوة القارئ الكريم للآيات ما يفتح له باب الفهم، وحل مشكلة - كان يعاني منها- لم يخطر بباله حلها قبل تلاوته للآية، وهذا سر من أسرار القرآن.

- 5 وأذكر القارئ الكريم بما قاله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم - شرح حديث جبريل-، فقال رحمه الله تعالى، نَاصِحاً طالب العلم: (ولا ينبغي للناظر في هذا الشرح -أي شرحه لصحيح مسلم- أن يسأم من شيء من ذلك يجده مَبْسُوطاً وَاضِحاً، فإني إنما أقصد بذلك إن شاء الله الكريم، الإيضاح والتيسير، والنصيحة لمطالعه، وإعانتة وإغنائه من مراجعة غيره في بيانه، وهذا مقصود الشروح. فمن استطال شيئاً من هذا وشبهه؛ فهو بعيد من 10 الإِتقان، مباحد للفلاح في هذا الشأن ⁽¹⁾، فليعز نفسه لسوء حاله، وليرجع عما ارتكبه من قبيح فعّاله. ولا ينبغي لطالب التحقيق؛ والتنقيح؛ والإِتقان؛ والتدقيق؛ أن يلتفت إلى كراهة أو سامة ذوي البطالة، وأصحاب الغباوة والمهانة والملافة، بل يفرح بما يجده من العلم مَبْسُوطاً، وما يصادفه من القواعد والمشكلات وَاضِحاً مَبْسُوطاً، ويحمد الله الكريم على تيسيره، ويدعو 15 لجامعه الساعي في تنقيحه وإيضاحه وتقريره. وفقنا الله الكريم لمعالي الأمور، وجنبنا بفضلّه جميع أنواع الشرور، وجمع بيننا وبين أحبّابنا في دار الحبور والسرور. والله أعلم) ⁽²⁾ انتهى كلام النووي رحمه الله.
- وَأخيراً لا يفوتني إلا أن أقدم جزيل شكري وامتناني لكل من أساتذتي الشيوخ الأفاضل الكرام؛ شيوخ الجيل بل الأجيال كل من السادة الفضلاء، 20 الذين لهم عليّ فضل التربية والتعليم:

(1) إذ هو السبيل للتقدم والرقى، والغوص في حقائق العلم، وعدم الرضى بالقليل، إذ هذا ليس من شأن طلاب الآخرة، ولقد كان وصف صحابة رسول الله ﷺ: (رهبان في الليل، ليوث في النهار) رواه الطبراني بسند حسن، ومن قرأ كتاب (صفحات من صبر العلماء) للشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله، وجد نفسه بجانب أولئك الركب أنه من المسرفين في إضاعة الوقت، وبعيداً عن تحصيل العلم، وفقني الله وإياك لحب العلم وخدمته وتحقيق مسأله.

أستاذنا الشيخ الأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله رحمه الله الذي رباني وعلمني، وأساتذنا الشيخ الأستاذ الدكتور عناية الله إبلاغ حفظه الله الذي راعني بالتربية والتعليم، وأستاذنا الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد الحجي الكردي الذي علمني ورعاني - حفظهم الله في صحة وعافية وعناية ورعاية (1) اللذين لهم كبير الأثر في إخراج هذا الكتاب إلى عالم الطباعة، فتفضلوا مشكورين 5 مأجورين بالاطلاع عليه، وإبداء الملاحظات التي أخذت بعين الاعتبار؛ فجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

كما أشكر أحبابي الذين أطلعهم على الكتاب، وأبدوا نصائحهم وملاحظاتهم، والتي أخذت بعين الاعتبار، فجزاهم الله خير الجزاء. 10 وَخِتَاماً أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ يُسَدِّي لِي نُصْحًا؛ أَوْ يَبِينُ خِلَافًا؛ أَوْ يَقْتَرِحُ تَحْسِينًا؛ أَوْ يُبَدِّي رَأْيًا؛ أَوْ يَنْبِهُ لِفَكْرَةٍ؛ فَ (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) (2)، وأهم التناصح في القضايا العقدية.

(اللهم إني أعيدك أن أشرك بك شيئاً أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه، لا إله إلا أنت)

15 (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) رواه: مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والموطأ.

(دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) سورة يونس.

20 (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) سورة هود.

(1) أستاذنا الشيخ أ. د. محمد فوزي أستاذ جامعي أكثر من خمسين سنة تنقل بين جامعات دمشق وبيروت والرياض والكويت، وأستاذنا الشيخ أ. د. عناية الله أستاذ جامعي أكثر من أربعين سنة، تنقل بين جامعات القاهرة وكابول والكويت، وأستاذنا الشيخ أ. د. أحمد أستاذ جامعي أكثر من أربعين سنة، تنقل بين جامعات دمشق وحلب وبيروت وليبيا والكويت، فهم أساتذة الأجيال بحق وحقيق، وبكل أمانة في الدين، ورعاية لحق العلم والتعليم، فجزاهم الله خير الجزاء.

(2) رواه مسلم - في كتاب الإيمان - عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَنْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) ورواه: أبو داود: أحمد في مسنده.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل العمل،
ويتجاوز عن الذنب والزلل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.
كان البدء في كتابة ترتيب المتن

5 وكتبه الراجي رحمة وعفو ربه الكريم

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمشايقه وللمسلمين.

الاثنين 6 من رجب الفرد: 1413 هـ. الذي يصادف من يناير كانون الثاني:

1993 م.

ترجمة الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (1)

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطَّحَاوِيُّ (2). أصله من قبائل حَجْر الأزْد اليمنية، سكن أجداده مصر بعد الفتح الإسلامي. ولد سنة 229 هـ. تسع وعشرين ومائتين على ما صححه جُل المتأخرين، وينسب إلى قرية طَحَا.

ولقد أكرمه الله بمعاصرة أصحاب الأمهات الست كلهم وغيرهم من أئمة الحديث.

قال البدر العيني: كان عُمر الطَّحَاوِيِّ حين مات أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري سبعاً وعشرين سنة، وكان عُمرُهُ حين مات مسلم بن الحجاج إثنين وثلاثين سنة، وشاركه في روايته عن بعض شيوخه، وكان عمره حين مات أبو داود ستاً وأربعين سنة، وشاركه في روايته عن بعض شيوخه، وكان عمره حين مات أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي خمسين سنة، وكان عمره حين مات أحمد بن شعيب النسائي أربعاً وسبعين سنة، وشاركه في روايته وروى عنه، وكان عمره حين مات محمد بن يزيد بن ماجه أربعاً وأربعين سنة، وشاركه في روايته عن بعض شيوخه، وكان عمره حين مات الإمام أحمد إثنين عشرة سنة، وكان عمره حين مات يحيى بن مَعِين أربع سنين.

مشايخه:

ومشايخه كثيرون وقد جمعهم في جزء عبدالعزيز بن طاهر التَّمِيمِي، ومنهم أبوه، وخاله المزني وقد سمع منه كثيراً وروى عنه مسند الإمام الشافعي،

(1) <http://www.aslein.net/showthread.php?t=123>

(2) مصادر الترجمة

سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ج2/15-33. والحاوي في سيرة الإمام الطحاوي للشيخ محمد زاهد الكوثري، الجواهر المضية 1: 102، لسان الميزان 1: 274، هدية العارفين 1: 58، وابن خلكان 1: 19 وتذكرة النواذر 1: 19، وتنتاج العروس 10: 323، والمكتبة الأزهرية 1: 564، وطبقات الحفاظ للسيوطي والفهرست لابن النديم.

(1) حَجْر: بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من أفخاذ قبيلة الأزْد، ويقال لها أزد الحجر تمييزاً لها عن أزد شنوءه، الأزْد : بفتح الهمز وسكون الزاي أفخاذ كثيرة

وابن أبي عمران، والقاضي بكار بن قتيبة البصري، وقد أخذ عنهما مذهب الإمام أبي حنيفة.

ومنهم هارون بن سعيد الأيلي شيخ مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة وأبي حاتم والربيع بن سليمان الجيزي شيخ مسلم وأبي داود والنسائي.

5 ومنهم الحسن بن عبد الأعلى الصنعاني، وعبد الرحمن بن عمرو الدمشقي أبو زُرْعَة وأبو يوسف بن عبد الأعلى الصَّدْفِي، وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضي أبو حازم، وغيرهم. تلاميذه:

10 روى عن الطحاوي خلق كثير وقد أفردهم بعض أهل العلم بتأليف في جزء، منهم أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي، وأبو محمد عبد العزيز التميمي الجوهري قاضي الصعيد، وأبو القاسم الدَّوْدِي شيخ أهل الظَّاهر في عصره، والحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني صاحب المعجم والحافظ أحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادي المعروف بابن الخَشَّاب، وغيرهم.

15 **مصنفاته:**

1- معاني الآثار.

وهو كتاب عظيم، إذا تَأَمَّلَه الناظر يجده راجحاً على كثير من كتب الحديث المشهورة.

20 وذلك لزيادة ما فيه من وجوه الاستنباطات، وإظهار وجوه المعارضات وتوضيح النواسخ من المنسوخات، ونحو ذلك.

ولأهل العلم عناية بتدريسه، وروايته وتلخيصه وشرحه والكلام في رجاله وقد شرحه البدر العيني بشرحين أحدهما نُحْبُ الأفكار، والثاني مباني الأخبار وغيره، وَلَخَّصَهُ الحافظان ابن عبد البرِّ والزَّيْلَعِي.

2- صحيح الآثار.

25 **3- مشكل الآثار:**

وهو المعروف بمشكل الآثار في نَفْي التَّضَاد عن الأحاديث واستخراج الأحكام.

وقد اختصره ابن رشد الجد، واختصر المختصر قاضي القضاة جميل الدين يوسف بن موسى المُلْطِي سماه (المُعْتَصِرُ من المختصر)، واختصره ابن خَلْف البَاجِي.

4- اختلاف العلماء: في نحو مائة وثلاثين جزءاً، واختصره أبو بكر الرَّازِي

5

5- أحكام القرآن: في نحو عشرين جزءاً.

6- الشروط الكبير في التوثيق: في نحو أربعين جزءاً- وله الشروط الأوسط في خمسة.

7- مختصر الطحاوي: (في الفقه الحنفي) على شاكلة مختصر المَزْنِي في مذهب الإمام الشافعي، وله عدة شروح.

10

8- النوار الفقهية: في عشرة مجلدات

9- الرد: في خمسة مجلدات على كتاب المدلسين لِلْكَرَابِيسِي وهو كتابٌ قد نزهه الإمام أحمد وغيره، لمناصرته أهل البدع.

15

10- التاريخ الكبير.

11- وله العقيدة المشهورة (المسماة ببيان اعتقاد أهل السنة والجماعة) ولها عدة شروح منها:

-شرح نجم الدين أبي شجاع بكبرس الناصري البغدادي من شيوخ الشرف الدَّمِيَّاطِي.

20

-شرح السراج عمر بن إسحاق الغَزْنَوي، ثم المصري.

-شرح محمود بن أحمد بن مسعود القونوي.

-شرح الصدر على بن محمد الأزرعي، وهي موجودة بالخزانات لم يطبع منها شيء.

-نسأل الله أن يهيئ من يقوم باستخراجها ونشرها.

25

وله كتب كثيرة غير هذه اقتصرنا منها على ما ذكر قصداً للاختصار.

مذهب:

تَفَقَّهَ الإمام الطحاوي على المزني بمذهب الإمام الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة، وقد وردت عن سبب انتقاله حكايات لا تخلو من مآخذ سنداً ومقتناً. وليس في انتقاله عَجَب ولا داعي للبحث عن السبب ولم يكن اختلاف المذاهب يؤثر في تصافي علماء ذلك العهد رحمهم الله. نعم كانوا يتبعون المذاهب المعتمدة، ولكنهم لا يتعصبون لها التعصب الأعمى.

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

من مواقفه مع الأمراء والحكام:

قال له أمير مصر (أبو منصور) الشهير بِالْجَيَّارِ. أريد أن أزوجه ابنتي. فقال له لا أفعل. فقال له أَلَلَّكَ حَاجَةٌ بِمَالٍ؟ قال: لا. فقال: هل أقطع لك أرضاً؟ قال: لا. قال فاسألني ما شئت؟ قال: وتسمع؟ قال نعم. قال احفظ دينك لئلا ينفلت، واعمل في فَكَّاكَ نَفْسِكَ قبل الموت، وإياك ومظالم العباد. فيقال إنه رجع عن ظُلمِهِ لأهل مصر.

ثناء العلماء عليه:

قال البدر العيني، في نخب الأفكار: أما الطحاوي فإنه مجمع عليه في ثقته وأمانته وفضيلته التامة ويده الطولى في الحديث وَعَلِيلُهُ وناسخة ومنسوخه، ولقد أثني عليه السلف والخلف وقال أبو سعيد بن يوسف في تاريخ العلماء المصريين: كان الطحاوي ثقة ثبناً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله.

وقال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر: كان الطحاوي كوفي المذهب وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء.

وقال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة: كان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو وصنف المصنفات الحسان، وكان من كبار فقهاء الحنفية.

وقال السيوطي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التَّصَانِيفِ البديعة، وكان ثقةً ثبناً فقيهاً لم يخلف بعده.

وقد أثنى عليه كل من ذكره من أهل الحديث والتاريخ وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين.

وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ودفن بالقرافة
رحمه الله تعالى

5

مَتْنُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

ألفها العلامة حُجَّةُ الإسلامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ فِي ذِكْرِ بَيَانِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فَقَهَاءِ الْمِلَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي
يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ
- رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ .

قَالَ الْإِمَامُ وَبِهِ قَالَ الْإِمَامَانِ الْمَذْكُورَانِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ
اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ، بِتَوْفِيقِ .

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهٌ
غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا
يُرِيدُ، لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا تُشَبِّهُهُ الْأَنَامُ.

حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ لَهُمْ بِلَا مُؤْنَةٍ، مُمِيتٌ بِلَا
مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ. مَازَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ. لَمْ يَزِدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا
لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتِفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةِ اسْتِفَادَ اسْمَ
الْبَارِي، لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ، وَمَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ وَلَا مَخْلُوقٌ، وَكَمَا أَنَّهُ
مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَاهُمْ، اسْتَحَقَّ هَذَا الْاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ

اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ،
وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ).

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَاراً، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالاً، لَمْ يَخَفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
 مِنْ أَفْعَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ
 بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَمَشِيئَتُهُ
 تَنْفُذُ، وَلَا مَشِيئَةٌ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي مَنْ يَشَاءُ فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ
 5 وَيَبْتَلِي عَذْلاً. وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ
 لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ، أَمَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيُّقُنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ.

وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ
 الْمُرْتَضَى، خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ
 10 الْعَالَمِينَ، وَكُلُّ دَعْوَةٍ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَعْيٌ وَهَوَى؛ وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ
 الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحِيًّا،
 وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيُّقُنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ. لَيْسَ
 بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِّيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ
 تَعَالَى وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ، حَيْثُ قَالَ: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ سَقَرَ
 15 لِمَنْ قَالَ: (إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) عَلِمْنَا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ
 الْبَشَرِ، وَمَنْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ
 هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ أَنْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ
 كَالْبَشَرِ.

وَالرُّبُوبِيَّةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبَّنَا
 20 حَيْثُ قَالَ: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى وَعِلْمُهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَهُوَ كَمَا قَالَ،
 وَمَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بَارِئِينَ وَلَا مُتَوَهِّمِينَ
 25 بِأَهْوَانِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ؛ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ، وَلَا يَتَّبِعُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى
 ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ

فَهَمُّهُ، حَجَبُهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ،
فَيَنْدَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوسَّسًا تَائِهًا،
زَائِعًا شَاكًا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكْذِبًا.

وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَا لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنْ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ
تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذَا كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنَى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ
تَرَكَ التَّأْوِيلَ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينَ الْمُرْسَلِينَ وَشَرَائِعَ النَّبِيِّينَ. وَمَنْ لَمْ
يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلًّا، وَلَمْ يُصِيبِ التَّنْزِيهَ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ
بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، أَلَيْسَ بِمَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ،
تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السَّتُّ
كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ. وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي
الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُلَى، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
بِمَا شَاءَ، (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى
وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ. وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا
اللَّهُ لَهُمْ كَمَا رُوي فِي الْأَخْبَارِ. وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً
وَاحِدَةً، لَا يُرَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ؛ وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ، فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ
أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ. وَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.
وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ
بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَصْلُ الْقَدْرِ سِرُّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطْلُعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ
مُرْسَلٌ. وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرْيَةُ الْخِذْلَانِ، وَسَلْمُ الْحَرَمَانِ، وَدَرَجَةُ
الطُّغْيَانِ. فَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا أَوْ فِكْرًا أَوْ وَسْوَسةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
طَوَى عِلْمَ الْقَدْرِ عَنْ أَنْامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ: (لَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ كِتَابِ اللَّهِ، وَمَنْ رَدَّ
حُكْمَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

فَهَذَا جُمْلَةٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُتَوَرِّ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ
الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ:
عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ،
وَادْعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ .

5 وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.
وَنُؤْمِنُ بِاللُّوحِ، وَالْقَلَمِ، بِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ. فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى
شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا
هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ
لِيُخْطِئَهُ.

10 وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدَّرَ
ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا
مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا زَائِدٌ وَلَا نَاقِصٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَذَلِكَ
مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأَصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ؛ كَمَا قَالَ
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ (:وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)، وَقَالَ تَعَالَى :
15 (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا) . فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لَهُ اللَّهُ فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا،
وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدْ اتَّخَذَ بَوَهِمِهِ فِي مَحْضِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا،
وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَاكًا أَثِيمًا.

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ. وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ
بِكُلِّ شَيْءٍ وَبِمَا فَوْقَهُ، قَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقُهُ.
20 وَلَا نَخَوضُ فِي اللَّهِ، وَلَا نُمارِي فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ؛ وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،
فَعَلَّمَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.
وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ. وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ؛
وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

25 وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِسْلَامِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ؛ وَتَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ. وَنَخَافُ
عَلَيْهِمْ وَلَا نُقْنِطُهُمْ. وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ الْمِلَّةِ؛ وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا

لأهل القبلة،

وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ .

وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ،

وَأَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ .

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ .

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ وَحُلُوهُ وَمُرُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ .

وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ إِذَا مَاتُوا،

وَهُمْ مُوَحَّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي

مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ

الْعَزِيزِ (:إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .)وَإِنْ شَاءَ

عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِقَدَرِ جَنَائِبِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ

الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى أَهْلِ

مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ

يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ . اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسْكِنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ .

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوزَ وَالْخِلَافَ وَالْفِرْقَةَ . وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ

وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ .

وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ . وَالْحُجُّ

وَالْجِهَادُ فَرَضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ لَا

يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ، وَلَا يَنْقُضُهُمَا .

وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ حَافِظِينَ .

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكَ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ .

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ .

وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ

الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ رَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَالْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ .
وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَبِجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ
الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ .

وَالْمِيزَانَ يُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ .
وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا يَفْنِيَانِ، وَلَا يَبِيدَانِ .
وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا .
فَمَنْ شَاءَ إِلَى الْجَنَّةِ أَدْخَلَهُ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ أَدْخَلَهُ عَذَابًا
مِنْهُ .

وَكُلُّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِعَ مِنْهُ، وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ .
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ، وَالْإِسْطِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ
التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهَا تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا
الْإِسْطِطَاعَةُ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْأَلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا
يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (: لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) .

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَسْبِ مِنَ الْعِبَادِ .
وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ حَاصِلُ
تَفْسِيرِ قَوْلِ " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " ، تَقُولُ : لَا حِيلَةَ وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ؛ وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةٍ وَالنَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا
بِتَوْفِيقِ اللَّهِ .

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ .
غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا شَاءَ وَهُوَ
غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا .

تَقْدَسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ، وَتَنْزَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يَسْأَلُونَ)

وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ لِلْأَمْوَاتِ وَصَدَقَتَهُمْ مَنَفَعَةً لِلْأَمْوَاتِ .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ

شَيْءٌ .
وَلَا يُسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرَفَةً عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرَفَةً عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْخُسْرَانِ .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى .
وَنُحِبُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبَغَيْرِ الْحَقِّ لَا نَذْكُرُهُمْ؛ وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا وَإِيمَانًا وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا وَشِقَاقًا وَنِفَاقًا وَطُغْيَانًا .

وَنُثَبِّتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَقْضِيلاً وَتَقْدِيماً عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَيُّمَةُ الْمَهْدِيُّونَ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَكَانُوا بِهِ يَعْدِلُونَ .

وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَشَّهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ كَمَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ النِّفَاقِ .

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسَوْءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ .

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ رِوَايَتِهِمْ .

وَتُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْهَا: خُرُوجُ الدَّجَالِ، وَنُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَبَطْلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا . وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ .

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيِّغًا وَعَذَابًا.

وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ، وَقَالَ تَعَالَى (: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) ، وَقَالَ تَعَالَى (: وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) ، وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ ، وَالْجَبْرِ وَالْقَدَرِ ، وَالْأَمْنِ وَالْيَأْسِ .

5

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا .

وَنَحْنُ نَبِرُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَبَيَّنَّاهُ .

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِطَةِ وَالْأَرَءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، كَالْمُشَبَّهَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَاتَّبَعَ الْبِدْعَةَ وَالضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضَلَالٌ وَأَرْدِيَاءٌ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ .

10

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما رواه أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله - (1)، هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهل السنة والجماعة (2)

(1) **الإمام الهمام أبو جعفر الطحاوي:** هو الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي رضي الله عنه (229 - 351 هـ). قال الكوثري عنه: (من أعظم المجتهدين في الفقه الإسلامي، وقد خلف مؤلفات عظيمة النفع للغاية، في علوم الرواية والدراية، وقد جمع بين براعتين: البراعة في علوم الحديث والبراعة في الفقه وأصوله جمعاً قل من جمع بينهما جمعه في علماء هذه الأمة) اهـ. **من مؤلفاته المطبوعة:** شرح معاني الآثار بتحقيق محمد زهري النجار، وهو من نفائس تعليم الفقه والحديث والناسخ والمنسوخ، وطريقة الاستنباط، ثم بتحقيق د. المرعشلي، وكتاب اختلاف العلماء في نحو مئة وثلاثين جزءاً حديثياً، وهو غير مطبوع لفقده حتى الآن، إلا أنه اختصره أبو بكر الرازي، وقد قام بطبعه أخيراً دار البشائر الإسلامية في بيروت بتحقيق د. عبد الله نذير أحمد في خمسة مجلدات، وله كتاب مختصر الطحاوي في الفقه الحنفي مطبوع بتحقيق أبو الوفا الأفغاني رحمه الله، وعليه شرح للإمام لأبي بكر الرازي الجصاص وقد حققه أربعة لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة أم القرى أحدهم صديقنا وأخونا الدكتور محمد سائد بكداش وفقهم الله لطباعته كاملاً، وله كتاب شرح مشكل الآثار طبع أخيراً بشكله الكامل في ستة عشر جزءاً عن مؤسسة الرسالة بتحقيق الشيخ شعيب أرنؤوط.

وأما غير المطبوع فأهمها كتاب أحكام القرآن في نحو عشرين جزءاً، وقد طبع أحد المستشرقين جزءاً منه.

وأما عن شروح عقيدة الطحاوي - بالإضافة لما ذكر في المقدمة - فأهمها كما يقول الكوثري رحمه الله:

- 1 - شرح نجم الدين أبي شجاع بكبرس الناصري البغدادي من شيوخ الشرف الدمياطي.
 - 2 - شرح السراج عمر بن إسحاق الغزنوي ثم المصري.
 - 3 - شرح الصدر علي بن محمد الأذرعي.
- وتلك الشروح توجد في الخزانات بكثرة، ولها شراح سوى ذلك) للتوسع انظر الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي لوكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية الشيخ محمد زاهد كوثري رحمه الله تعالى وعنا وعن المسلمين اللهم آمين.

(2) من هم أهل السنة والجماعة

قال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب:
اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، وبالجمله فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:
الأولى - أهل الحديث: ومعتد مبادئهم الأدلة السمعية: الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية - أهل النظر العقلي: وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط، والعقلية والسمعية في غيرها، واففقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة - أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية: ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية) اهـ. (نقلا من هامش (إشارات المرام في شرح عبارات الإمام) ص 298 تحقيق يوسف عبد الرزاق ط مصطفى البابي الحلبي ط 1 1368 هـ - 1949 م).

فضل الأشعرية: وعن عياض الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي موسى: " هم قوم هذا - يعني في قوله: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هم قوم هذا " (انظر مصنف ابن أبي شيبة قال: حدثنا ابن إدريس، عن شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري - كتاب الفضائل - ما ذكر في أبي موسى رضي الله عنه - حديث: 31623 والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب التفسير - باب سورة المائدة - حديث: 3665، ومسند ابن أبي شيبة - عياض الأشعري - حديث: 666، وجامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة المائدة - القول في تأويل قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من - حديث: 11073، وحديث: 11074، و11075 - 11076، والمستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير - تفسير سورة المائدة - حديث: 3153، ودلائل النبوة للبيهقي - جامع أبواب غزوة تبوك - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن - حديث: 2093، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح).

وقال الامام تاج الدين السبكي في الطبقات 254/2: " واعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأيا ولم يُنشئ مذهباً وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً " .

وقال أبو يعلى الفراء كما في طبقات الحنابلة لابنه:

"وقد أجمع أهل علماء أهل الحديث والأشعرية منهم على قبول هذه الأحاديث: فمنهم من أقرها على ما جاءت وهم أصحاب الحديث - ومنهم من تأولها وهم الأشعرية، وتأويلهم إياها قبول منهم لها، إذ لو كانت عندهم باطلة لأطرحوها كما أطرحوا سائر الأخبار الباطلة، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أمتي لا تجتمع على خطأ ولا ضلالة).

وقال العلامة: المواهبي الحنبلي رحمه الله تعالى (العين والأثر ص/53): (طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتريديّة، بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكتب الكلامية وجميع كتب الحنابلة) اهـ.

وقال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي صاحب العقيدة السفارينية:

في كتابه لوامع الأنوار شرح عقيدته ص 73/1: - "أهل السنة والجماعة ثلاث فرق - : **الأثرية** وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، **والأشعرية** وإمامهم أبو الحسن الأشعري، **والماتريديّة** وإمامهم أبو منصور الماتريدي.

وقال في ص 76/1: " قال بعض العلماء: هم - يعني الفرقة الناجية - أهل الحديث يعني الأثرية والأشعرية و الماتريدية "

وقال الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (في أقاويل الثقات ص133):

"وفرقه أخرى أثبتت الصفات المعنوية من نحو السمع والبصر والعلم والقدرة والكلام وهو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة، ومنهم أتباع أئمة المذاهب الأربعة، ثم اختلفوا فيما ورد به السمع من لفظ العين واليد والوجه والنفوس والروح:

- **فرقة أولتها على ما يليق بجلال الله تعالى**، وهم جمهور المتكلمين من الخلف فعدلوا بها عن الظاهر إلى ما يحتمله التأويل من المجاز والاتساع، خوف توهم التشبيه والتمثيل.

- **وفرقه أثبتت ما أثبته الله ورسوله منها** وأجرؤوها على ظواهرها، ونفوا الكيفية والتشبيه عنها، قائلين إن إثبات البراء سبحانه إنما هو إثبات وجود بما ذكرنا لا إثبات كيفية، فذلك إثبات صفاته إنما هي إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف)

وقال الإمام هبة الله التركستاني الحنفي - رضي الله عنه - في بيان معنى أهل والجماعة:

"قال - [أي الإمام الطحاوي] - رضي الله عنه: (هذا بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة).

فإنما قال ذلك لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف:108].

فالسنة عبارة عن الطريق والملة التي أمر الله تعالى رسوله بالكون عليها، وعلى حقيقتها قامت الحجج الواضحات، وذلك معنى قوله: على بصيرة؛ أي على علم وبيان وحجة قاطعة، وقوله: ومن اتبعني، أيضاً على حجة وبرهان.

وأما قوله: والجماعة، فهم الذين اتبعوه على ملته، ودانوا بها، ودعوا سائر الأمم إليها، حتى صار إجماعهم حجة من حجج الله تعالى موجبة للعلم قطعاً." اهـ.

ويحاول المجسمة في كل زمان ومكان التمسح بنصوص الكتاب والسنة وإصااق المعاني الباطلة بهما إصاقاً بلا دليل، وإظهار التقوى والورع واللين وحسن الأخلاق، وهم عارون عن ذلك كله. وأشهر دليل على ذلك ما نراه ممن ينتسب إلى السلفية المعاصرة في زماننا هذا، وهم أتباع السلف الطالح وفروع الكرامية والجهمية والمجسمة ممن انتسبوا إلى الإمام أحمد وهو منهم براء.

والحق أن **الأشاعرة والماتريدية** هم المدافعون عن عقيدة أهل السنة والجماعة على مر التاريخ والأزمان إلى هذا الزمان، ولا يجهل هذا إلا من لا اعتبار له أو حاقط متعصب مُغرَّر به.

معنى الكيف والكيفية:

الكَيْفُ هو كل ما كان من صفات الأجسام كالطول والعرض والهيئة والصورة.

وكل ما كان مخلوقاً كان محدوداً بالزمان والمكان ومحتاجاً وحادثاً وله حجم (طول وعرض وارتفاع)، ويوصف بالصفات التالية: أمام وخلف، ويمين ويسار، وفوق وتحت، وداخل وخارج، ومتصل ومنفصل، وبداية ونهاية، وحركة وسكون، وصعود وهبوط، ووالد ومولود، وله مثل

وكفؤ، وحياء وموت، وقوة وضعف، وعلم وجهل، ويفتقر لغيره في كل شيء، وينام ويستيقظ، وغيرها كثير.

قال الأصبهاني: " كَيْف " يُسأل به عَمَّا يَصْحُ أن يُقال فيه شبيهه و غير شبيهه كالأبيض و الأسود و الصحيح و السقيم و لهذا لا يَصْحُ أن يُقال في الله عزَّ و جلَّ " كَيْف .
وقال الفيروز أبادي (القاموس المحيط): يَصِفُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ: اللهَ تعالى أنه موجودٌ بلا كميةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ (١هـ).

الجلوسُ كَيْفِيَّةٌ و السكونُ كَيْفِيَّةٌ و الوجودُ في مكان كَيْفِيَّةٌ .. فلفظ " بلا كَيْفٍ أو كيف عنه مرفوع أو الكيف غير معقول " معناه نُثِبَتْ لله صفةُ الوجود و ننفي عنه سبحانه صفات المخلوقات .

وقال أبو سليمان الخطابي المتوفى سنة 388 للهجرة قال: " إن الذي يجبُ علينا وعلى كل مسلم أن يعلمهُ أن ربَّنَا ليس بذي صورة و لا هيئةٍ، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفيَّة " (رواه البيهقي في الأسماء و الصفات)، وكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك .

ما حكم من وصف الله بالكيفية؟: أجاب الامام الطحاوي رحمه الله تعالى: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر).

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه [المجسم كافر] ذكره الحافظ السيوطي في "الأشباه والنظائر" ص 488.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه [من قال الله جسم لا كالأجسام كفر] رواه عن الإمام أحمد أبو محمد البغدادي صاحب الخصال من الحنابلة كما رواه عن أبي محمد الحافظ الفقيه الزركشي في كتابه "تشنيف المسامع" المجلد 4 ص 684.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه: [من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به] ذكره في كتابه النوادر.

وقال الشيخ الكمال بن الهمام الحنفي: [من قال: الله جسم لا كالأجسام كفر] ذكر ذلك في شرح فتح القدير باب صفة الأئمة في المجلد الأول.

وقال الإمام أبو عبدالله السكوني الاشبيلي رحمه الله: من شبَّه أو مثَّل أو كَيَّف أو صوَّر فما استقبل ربه بعبادته يوماً قط .

قال القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي المتوفى سنة 422هـ في شرحه على عقيدة مالك الصغير ص: 28

[ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سأله الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام].

وقال الإمام أبو سعيد المتولي الشافعي (المتوفى في سنة 478هـ) في كتابه الغنية:

(الباري تعالى ليس بجسم، وذهبت الكرامية إلى أن الله تعالى جسم .
والدليل على فساد قولهم: إن الجسم في اللغة بمعنى التأليف واجتماع الأجزاء والدليل عليه أنه نقول عن زيادة الأجزاء وكثرة التأليف جسم وأجسم كما يقال عند زيادة العلم عليم وأعلم، وقال تعالى

على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي؛ (1)

(وزاده بسطة في العلم والجسم) فلما كان وصف المبالغة كزيادة التأليف دل على أن أصل الاسم للتأليف).

وقال الشيخ نظام الهندي في كتابه الفتاوى الهندية المجلد الثاني: [ويكفر بإثبات المكان لله].
وقال العلامة جلال الدين الدواني في شرح العقائد العضدية:

(ليس بجوهر) إذ الجوهر هو الممكن المستغني عن المحل، هو المتحيز بالذات، وهو تعالى منزّه عن الامكان والتحيز، (ولا عرض) لأن العرض محتاج إلى المحل المقوم له والواجب مستغن عن الغير، (ولا جسم) لأن الجسم مركب فيحتاج إلى الجزء فلا يكون واجباً، (ولا في حيز وجهة) لأنهما من خواص الأجسام والجسمانيات، (ولا يشار إليه بـ (ههنا أو هناك)، **(ولا يصح عليه الحركة والانتقال)** لما سبق، والمشبهة منهم من قال: إنه جسم حقيقة، ثم افترقوا:

- أ- فقال بعضهم: إنه مركب من لحم ودم،
- ب- وقال البعض: هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشبر نفسه.
- ت- ومنهم من يقول: إنه على صورة إنسان: فمنهم من قال: إنه شاب أمرد أجرد جعد قطط، ومنهم من قال إنه شيخ أشمط الرأس.
- ث- ومنهم من قال هو في جهة فوق، ومماس للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال، وتبدل الجهات ويئط العرش تحته أطيط الرجل الجديد تحت الراكب الثقيل، وهو يفضّل على العرش بقدر أربعة أصابع.
- ج- ومنهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماس له وبعده عنه بمسافة متناهية وقيل بمسافة غير متناهية، ولم يستنكف هذا القائل من جعل غير المتناهي محصوراً بين الحاصرين).

١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (80 - 150) هـ إمام العقيدة والفقه والحديث، دخل البصرة مناظراً في العقيدة أكثر من عشرين مرة، ويكفيه فخراً وشرفاً أن يدين الله تعالى بمذهبه أكثر من نصف عدد المسلمين، وأن تحكم الخلافات الإسلامية بفقهه وعقيدته على مدار التاريخ، وتلك منقبة لم تحصل لغيره من الأئمة الأعلام.

له خمس رسائل في العقيدة - قمت بجمعها وإعدادها وفي طريقها للنشر إن شاء الله - : رسالة الفقه الأكبر، ورسالة الفقه الأبسط، ورسالة العالم والمتعلم، ورسالة إلى عثمان البتي، ورسالة الوصية، وله في الحديث مرويّات كثيرة جُمع أغلبها في كتاب (جامع المسانيد) جمعه محمد بن محمود الخوارزمي (ت 665هـ)، وقد قام العلامة مرتضى الزبيدي باختصاره بكتاب سماه: (عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة فيما وافق فيها الأئمة الستة أو بعضهم)، وقد قام بنشره أخيراً مؤسسة الرسالة بتحقيق الشيخ وهبي سليمان الغاوي. وله في علم التصريف رسالة تسمى (المقصود) نشرت مع شرحها في مطبعة البابي الحلبي في مصر ويقال إنها منسوبة له، وأما في الفقه فهو أشهر من أن يعرف، فهو أول من فتن مسائل الفقه، وقال عنه الإمام الشافعي: (كل

وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري؛⁽¹⁾
وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني،⁽²⁾ رضوان الله عليهم
أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به ربّ العالمين، ب - غ)

الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة) ومن المعلوم أنه لا بد للفقهاء من أصول يسير عليها، وبالتالي فهو أول أصولي، مات في السجن بعد عذاب وتعذيب، لعدم قبوله منصب قاضي قضاة. رحمه الله تعالى.

١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم أول قاضي قضاة في تاريخ الإسلام، في عهد الخليفة هارون الرشيد، وهو أول من وضع نظام الدولة الإسلامي المالي في كتابه (الخراج)، له من الكتب المطبوعة: كتاب الآثار، والخراج، والرد على سير الأوزاعي، وكتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، كلها نشرته لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن، بتحقيق أبو الوفا الأفغاني رحمه الله، أو إشرافه، وعنها أخذت دور النشر الطباعة والنشر، توفي أبو يوسف 182 هـ رحمه الله تعالى.

٢) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ناشر علم فقه أبي حنيفة رحمهما الله تعالى، وعنه أخذ الشافعي علم الفقه، فقال: حملت وقر بغير من علم من محمد بن الحسن رحمهما الله، وهو أول من ألف في فقه العلاقات الدولية في كتابه (السير الكبير) وله:

السير الصغير، وكتاب الأصل، وكتاب الجامع الصغير؛ والجامع الكبير، وكتاب الزيادات وتسمي كتب ظاهر الرواية، التي تعتبر عمدة الفقه الحنفي، والتي لا يفتى بخلافها، وله من التصانيف أيضاً: كتاب الحجة على أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكتاب الموطأ روى كتاب موطأ مالك وزاد عليه بما يؤيد مذهب الإمام أبي حنيفة، وله كتاب الآثار، وكتاب زيادة الزيادات كلها نشرته دائرة المعارف النعمانية وعنها نشرت باقي دور النشر توفي رحمه الله 189 هـ. والحمد لله كل الكتب المذكورة أعلاه موجودة عندي.

الفصل الأول الإيمان
المبحث الأول - أركان الإيمان.
المبحث الثاني - أصل الإيمان.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَنَحْنُ فُتَيَانُ حَزَاوِرَةَ،
فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،
ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَأَزْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)
رواه ابن ماجه في سننه - المقدمة - (1).

5

وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(إِنَّ قَلْبَكَ حُشِيَ الْإِيمَانَ،
وَإِنَّ الْإِيمَانَ يُعْطَى الْعَبْدَ قَبْلَ الْقُرْآنِ).

10

(1) قال السندي في شرحه لابن ماجه: قوله (ونحن فتیان) بكسر الفاء جمع فتى (حزاورة) جمع الحزور بفتح الحاء المهملة وسكون زاي معجمة وفتح واو ثم راء ويقال له الحزور بتشديد الواو: هو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم كذا في الصحاح؛ وفي النهاية: هو الذي قارب البلوغ، قوله (فازددنا به) أي بسبب القرآن وفي الزوائد إسناد هذا الحديث صحيح؛ رجاله ثقات. انتهى.

الفصل الأول الإيمان

المبحث الأول - أركان الإيمان

1 - والإيمانُ هو: الإقرارُ باللسان، والتصديقُ بالجَنان.

في مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا - باب -
حديث: 29814

حدثنا يزيد قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن أبي صادق، عن علي
قال: " إن الإسلام ثلاث أثافي: الإيمان والصلاة والجماعة، **فلا تقبل صلاة إلا**
بإيمان، ومن آمن صلى ومن صلى جامع، ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الإسلام من عنقه "

فالإيمان هو الأساس الذي تبنى عليه الأحكام الشرعية.
وقام أستاذنا الشيخ الدكتور عناية الله إبلاغ (الأفغاني) بتقديم بحث لكلية
الشرعية من جامعة الكويت بهذا الموضوع وقد استأذنته في إيراده في هذا
الكتاب فقدمه لي مشكوراً مأجوراً، وقامت كلية الشريعة في الكويت بطباعته،
وأورده هنا بتمامه لما له من أهمية وبحث دقيق، وإليك البحث كاملاً:

معاني الإيمان في القرآن الكريم د إبلاغ

دراسة مقارنة بين أقوال المفسرين

والمحدثين وآراء علماء العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله

وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن إدارة الأبحاث بجامعة الكويت اهتمت بالبحوث العلمية، التي تعتبر
بحق من الوظائف الهامة لأعضاء هيئة التدريس، في الكشف عن خبايا العلوم
المختلفة التي تحتاج إلى البحث والتدقيق والتحقيق ليستفاد منها في شتى
المجالات.

وقد قبلت اقتراحي بكتابة بحث عنوانه:

معاني الإيمان في القرآن الكريم، دراسة مقارنة بين: أقوال المفسرين والمحدثين وآراء علماء العقائد.

**فرتبت البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:
أما المقدمة:**

- 5 ففي بيان الضرورة لمثل هذه البحوث في القضايا الاعتقادية المستنبطة من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة ليكون المسلمون على علم ودراية فيما هو ضروري للمشتغلين بعلم العقيدة الإسلامية؛ ليدخلوا من مدخلها الأصلية.

والباب الأول:

- 10 في بيان الإيمان لغة واصطلاحاً؛ وأقوال العلماء فيه وإن القرآن الكريم لم يذكر الإيمان لمعنى واحد، بل لمعان متعددة؛ حسب إيجاب المواقف والمقتضيات.

والباب الثاني:

- 15 في بيان المذاهب في الإيمان؛ مع ذكر بعض أدلتها ومناقشة عدد من الآراء، وذكر بعض الردود على المذاهب الباطلة.

والباب الثالث:

- في بيان اتجاهات العلماء في توجيه الأحاديث الواردة بدخول الأعمال في الإيمان، وتحقيق مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - في خروج العمل عن ماهية الإيمان وبيان مذهب الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذا الباب.

والخاتمة:

- 20 في نتيجة البحث، وبيان ضرورة التحقيق حول الإيمان؛ في عصرنا هذا الذي كثر فيه البعد عن الاهتمام بالحقائق العلمية الإسلامية، وضرورة الاستفادة من مثل هذه البحوث في مجال الدعوة الإسلامية.

المقدمة:

مضت قرون عديدة على اهتمام علماء المسلمين حول تحقيق القضايا الإعتقادية؛ التي تعتبر بحق من أهم ما يصرف فيه عمر الباحثين للوصول إلى ما هو ضروري في عالمنا الإسلامي من تصحيح عقائد المسلمين، وصونها عن الانحرافات؛ التي تواجههم في كل عصر، وفي كل مصر.

كان بعض الباحثين يرون أن مدرسة الإيمان من طريق النقل؛ لا توافق مدرسة الإدراك من طريق العقل، فليخصص الكلام في الإعتقادات بإطار بعيد عن الكلام في علم الكلام، وبعضهم يؤيدون دور العقل في القضايا العقدية بشدة، معتقدين أن العقل المستنير بأنوار النقل لا يترك المجال للخطر والزيغ، ويردون على القائلين بأن العقل والدين لا يتلفان.

إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ترشد البشرية إلى التعقل والتفكر ويعطى للتأمل، والتدبر دورا هاما في الوصول إلى الحقائق الثابتة؛ تدل دلالة واضحة على أن العقل والإيمان ليسا في طرفي النقيض، وإن الكفار الذين لم يهتدوا إلى الحق ليس لهم حظ من العقل بمعنى الكلمة، وبالمفهوم الذي ركز عليه القرآن الكريم.

نحن نعيش في عصر عمت فيه البلوى من كل جانب؛ فالماديون يسعون بإلقاء الشكوك والشبهات في القضايا الإعتقادية اليقينية في مؤلفاتهم الفلسفية حول كيفية الخلق وزمانه وقدم العالم وما إلى ذلك.

ومن ناحية أخرى؛ فإن التوجه إلى متاع الحياة الدنيا دفع كثيرا من الباحثين إلى التخلي عن التعمق في أسرار القرآن الكريم، والاكتفاء بما هو ضروري في نظرهم؛ في القضايا الإسلامية، ومواكبة العصر في الوصول إلى حياة مادية أفضل، والبعد عن الخوض في الآراء، والشبهات التي اشتهرت في العالم الإسلامي بعد ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية مع أن العلماء الأعلام طوال قرون عديدة توجهوا إلى الرد على ما يخالف الإسلام عقيدة وسلوكا بوجه خاص؛ بحيث أصبح الاطلاع على آراء المخالفين، والرد عليهم بكل دقة واجبا عليهم؛ ليتمكنوا من أداء حق الدعوة الإسلامية الملقى على عاتقهم.

إن العقل مع إسهامه الكامل في معرفة الحقائق الإعتقادية فإنه يصل إلى درجة إذا وصل الأمر إلى الكلام عن درك أسرار الله تعالى في كنه ذاته وصفاته؛ يعترف بأنه عاجز في هذا المجال، وأنه يتمسك بأدبه مع الله، ويترك الأمر إلى النصوص من القرآن، والحديث احتفاظاً باتزان، ورعاية للحكمة التي أودعها فيه.

5

إن جولان العقل إلى حد معين وتوقفه عن درك ما يصعب عليه مثل معرفة الروح التي أحالها الله إلى أمره بالإرشاد القرآني:
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (85) سورة الإسراء.

10 إن عجز العقل عن إدراك كثير من الأشياء، أكبر دليل على أن أسرار العالم لا يمكن دركها عن طريق العقل؛ فمنها ما يدرك حسب إرادة الله، وتسهيل الوسائل لإدراكها، ومنها ما منعه الله إن يدخل تحت ساحة الإدراك لحكمة لا يعلمها إلا هو.

وبعد:

15 فإن درك معاني الإيمان في القرآن الكريم، والتعمق في هذه المعاني لمعرفة أسرارها، والإستئارة بأنوار القرآن الكريم في القضايا الاعتقادية لا سيما فيما يتعلق بالإيمان يتطلب التحقيق في بيان معاني الإيمان.

علما بأن الإيمان ومشتقاته من صيغ: الماضي والمضارع، واسم الفاعل ذكر في القرآن الكريم في نحو (277) موضع تقريباً، وندرك إختلاف المعاني في بعض المواضع، وهذا يأتي حسب المقام كما تقتضيه الصلة التي تذكر مع الإيمان (حرف الجر المذكورة بعد الإيمان من الباء أو اللام).

20 إن هذا التنوع في التعبير عن الإيمان بصلات مختلفة، ولمعان متعددة لا ينحصر على الجانب البلاغي، وبالأخص الجانب البديعي والتحسيني؛ بل له أثر فيما يراد من الإيمان ذاته ومفهومه وأركانه، ولذلك نجد الحاجة ماسة إلى ما هو أكثر تفصيلاً، وأتم توضيحاً مما قيل في الإيمان لأجل شرح هذه الكلمة التي تحتوى على أسرار، ورموز إعتقادية، ولغوية، وبلاغية.

الباب الأول:

في بيان معنى الإيمان لغة واصطلاحاً وأقوال بعض العلماء فيه

أولاً - المعنى اللغوي للإيمان:

إن ما يذكر في المعنى اللغوي للإيمان بأنه تصديق قابل للمناقشة من ناحية اللغة؛ لأن الإيمان مصدر من باب الإفعال مثل (الإكرام) و(الإعلام)،⁵ ومن خصوصية هذا الباب انه يراعى فيه حفظ معنى المصدر المجرد، فإن (الإكرام) بمعنى إعطاء الكرم، وهكذا في سائر المصادر من هذا الباب، ونظراً إلى هذه الخصوصية فإن الإيمان معناه لغة إعطاء الأمن حفظاً لمادتها الأصلية في الثلاثي المجرد. وقد جاء الإيمان بمعنى إعطاء الأمن في القرآن الكريم في آية: (وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (4) سورة قريش.¹⁰

ولا يصح بأي طريق من الطرق أن نعتبر الإيمان في هذه السورة بمعنى التصديق بل بمعنى إعطاء الأمن، فلا يصح أن نقول: إن الله صدق قريش من خوف؛ بل جعلهم نوى أمن من خوف.

ويظهر من أقوال بعض العلماء انهم يعترفون بهذا المعنى اللغوي الأصلي وهو إعطاء الأمن. ونظراً إلى أهمية الموضوع وإثبات أن في أقوال بعض العلماء تسامحاً، نحتاج إلى التفصيل الآتي:

1 - الإيمان مصدر الثلاثي المزيد من باب الإفعال؛ مثل: (إكرام) و(إعلام)، والمصدر المجرد من هذا الباب هو الأمن، ومن خصوصيات هذا الباب أنه إذا كان المجرد لازماً يصير باب الإفعال منه متعدياً إلى مفعول واحد مثل: (الإكرام)، فإن مجرده وهو الكرم، لا يحتاج إلى المفعول، وإذا نقل إلى باب الإفعال يتعدى إلى مفعول واحد.²⁰

وأما إذا كان المجرد متعدياً قبل نقله إلى باب الإفعال مثل: باب علم، فإنه يطلب المفعول الواحد، فإذا جعلناه من باب الإفعال يصير (أعلم) ويطلب المفعولين فيقال: أعلم زيد عمراً الكتاب.

وهذه القاعدة اللغوية ترشدنا إلى:

أن أهل اللغة يراعون معنى المجرد في المزيد، ولا يستعملونه في غير المادة الأصلية التي تشتمل على المجرد إلا بطريق المجاز أو النقل، وبذلك

نتأكد أن المعنى الأصلي للإيمان هو إعطاء الأمن، وإرادة المعنى الآخر وهو التصديق؛ تكون بطريق النقل أو المجاز، ونظراً إلى أن الشرط في النقل ترك المعنى الأول؛ مثل نقل الصلاة من تحريك الصلوتين إلى الأركان المخصصة؛ فإنه ترك فيها المعنى الأول، ويكون التصديق معنى مجازياً للإيمان، لأنه لم يترك المعنى الأول (وهو إعطاء الأمن) في الإيمان.

5 ونذكر في القرآن الكريم بهذا المعنى في: (وَأَمَّنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4) سورة قريش).

2 - التصديق من ناحية اللغة مصدر من باب التفعيل؛ ومعناه عد الشخص صادقاً، أو عدّ الكلام صادقاً.

10 - وأما على مذهب المنطقيين فإن التصديق عبارة عن الجملة المشتملة على الموضوع والمحمول والنسبة، ولذلك نجد اصطلاحات ثلاث في التصديق:

أ - اصطلاح أهل اللغة الرامي إلى رعاية الصدق ضد الكذب في معنى التصديق سواء كان صدقاً واقعياً أو صدقاً ادعائياً.

15 ب - التصديق عند المنطقيين، وهويتشكل من ثلاثة أجزاء كما ذكرنا.
ج - التصديق عند علماء العقائد فإنه إذعان بالمعتقدات الدينية حسب ما يتعلق به الإذعان:

فإن التصديق بالله إذعان بأن الله هو الواحد الأحد المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص.

20 والتصديق بالرسول إذعان بأنهم مبعوثون من الله وهم صادقون فيما أخبروا به.

والتصديق بالملائكة إذعان بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهكذا في المعتقدات الأخرى حسب إيجاب كل على حدة.

25 - ذكر العلامة الألوسي في تفسيره المعروف بـ (روح المعاني)؛
المعنى اللغوي والاصطلاحي للإيمان وقال:

(الإيمان في اللغة: التصديق، أي إذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقاً⁽¹⁾).

ثم يقول:

(وهو) (إفعال) من (الأمن) كأن حقيقة آمن به: آمنه التكذيب والمخالفة،

5 ويتعدى باللام كما في قوله تعالى: (قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) (111) سورة الشعراء.

وبالباء كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الإيمان أن تؤمن بالله ... الحديث⁽¹⁾).

قالوا: والأول باعتبار تضمينه معنى الإذعان.

10 والثاني باعتبار تضمينه معنى الاعتراف إشارة إلى أن التصديق لا يعتبر ما لم يقترن به الاعتراف، وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث أن الوثائق صار (ذا أمن) وهو فيه حقيقة عرفية أيضاً كما في الأساس⁽²⁾.

وما ذكره العلامة الألوسي من بيان أصل الباب توضيح أن هذا الباب يراعى فيه معنى المجرد، وأن تعدية باب الإفعال بالباء واللام لغرض آخر وهو أداء هذا اللفظ (الإيمان) لمعنى آخر؛ غير إعطاء الأمن وهذا المعنى 15 الزائد على المعنى الأصلي المطلوب من باب الإفعال وهو إعطاء الأمن؛ عبارة عن:

- الإذعان عند تعديته باللام.

- والاعتراف عند تعديته بالباء.

20 وما ذكره الألوسي قريب لما ذكره عدد من علماء الأعلام أمثال:

1 - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في كتابه:

(فتح الباري) شرح صحيح البخاري. إذ يقول:

(والإيمان لغة: التصديق، وشرعاً: تصديق الرسول فيما جاء به عن ربه).

وبعد ذكر شيء مما يرتبط بالتصديق والعمل يقول:

⁽¹⁾ رواه مسلم وهو المسمى بحديث جبريل عند المحدثين.

⁽²⁾ تفسير روح المعاني تأليف الألوسي جزء 10 ص 110

(والإيمان فيما قيل مشتق من: (الأمن) وفيه نظر لتباين مدلولي الأمن والتصديق، إلا أن لوحظ فيه معنى مجازي فيقال: آمنه إذا صدقه أي آمنه التكذيب). انتهى كلامه. ⁽¹⁾

وهذا الكلام قريب لما نقلناه من كلام الألويسي بشيء من الفرق وهو: أن الألويسي عند بيانه أن الإيمان بمعنى: (أمنه التكذيب) لم يصرح أنه عند إرادة 5 التصديق يكون مجازاً، وابن حجر العسقلاني صرح بكونه مجازاً في التصديق.

2 - العلامة البدر العيني في كتابه: (عمدة القاري) شرح صحيح البخاري يقول: (الكلام في الإيمان على أنواع: - الأول في معناه اللغوي:

10 - قال الزمخشري: الإيمان: إفعال من الأمن؛ يقال: آمنته وأمنته غيري. ثم يقال: آمنه إذا صدقه، وحقيقته: آمنه التكذيب والمخالفة، وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى: أقر وأعترف. وأما ما حكى أبو زيد عن العرب: ما آمنت أن أجد صحابة. أي ما وثقت، فحقيقته: صرت ذا أمن به، أي ذا سكون 15 وطمأنينة.

وقال بعض شراح كلامه: وحقيقة قولهم: آمنت صرت ذا أمن وسكون. ثم ينقل إلى الوثوق، ثم إلى التصديق، ولا خفاء إن اللفظ مجاز بالنسبة إلى هذين المعنيين، لأن من آمنه التكذيب فقد صدقه، ومن كان ذا أمن فهو في وثوق وطمأنينة. فهو انتقال من الملزوم إلى اللازم ثم ينتقل بعد ذلك إلى المعنى الشرعي للإيمان ويقول: 20

- الثاني: في معناه باعتبار عرف الشرع:

فقد اختلف أهل القبلة في مسمى الإيمان في عرف الشرع على أربع فرق. ... ⁽²⁾.

3 - العلامة ملا علي القاري في كتابه: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح إذ يقول:

25

⁽¹⁾ فتح الباري 64/1

⁽²⁾ عمدة القاري تأليف البدر العيني ج10 ص 102

وهو (الإيمان) التصديق الذي معه أمن وطمأنينة لغة، وفي الشرع تصديق القلب بما جاء به من عند الرب تعالى. فكأن المؤمن يجعل به نفسه آمنة من العذاب في الدارين، أو من التكذيب والمخالفة، وهو (إفعال) من الأمن: يقال: آمنت وآمنت غيري. ثم يقال: آمنه إذا صدقه، وقيل معنى آمن: صرت ذا أمن، ثم نقل إلى التصديق ويعدى باللام نحو: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا 5 .. (17) [سورة يوسف].

وحكاية قول فرعون: (قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادِنَ لَكُمْ (71) [سورة طه].

وقد يضمن معنى: اعترف - فيعدى بالباء نحو: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (3) [سورة البقرة]، واختلف العلماء فيه على أقوال (1).

4 - الإمام الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين) إذ يقول: (والمبحث الأول في موجب اللغة، والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) [سورة يوسف]، أي بمصدق لنا.

ويذكر العلامة الزبيدي في شرح كلام الإمام الغزالي تفصيلاً إذ يقول: فهذا مفهوم الإيمان لغة، وهمزة أمن: للتعدية أو الصيرورة فعلى الأول: كأن المصدق جعل الغير آمناً من تكذيبه. وعلى الثاني: كأن المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذوباً. وباعتبار تضمنه معنى الإقرار والاعتراف يتعدى بالباء كما قال تعالى: (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ (285) [سورة البقرة]. وباعتبار تضمنه معنى القبول يعدى باللام ومنه قوله تعالى: (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ (26) [سورة العنكبوت].

والحكم الواحد يصح تعليقه بمتعلقات متعددة باعتبارات مختلفة مثل: آمنت بالله: أي بأنه واحد، متصف بكل كمال منزّه عن كل وصف لا كمال فيه.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج 1 ص 107

وَأَمَنْتُ بِالرَّسُولِ: أي بأنه مبعوث من الله صادق فيما أخبر به.

وَأَمَنْتُ بِالْمَلَائِكَةِ: أي بأنهم عباد الله المكرمون.

وَأَمَنْتُ بِكُتُبِ اللَّهِ: أي بأنها منزلة من عنده. ⁽¹⁾

5 - العلامة بشير أحمد الديوبندي العثماني في شرحه على

صحيح مسلم المعروف بفتح الملهم ويقول:

البحث الأول في موجب اللغة؛ قال الزمخشري: الإيمان إفعال من الأمن

يقال:

أمنته وأمنته غيري ثم يقال: آمنه إذا صدقه، وحقيقة آمنه التكذيب والمخالفة، وأما تعديته بالباء فلتضمنه معنى: أقر وأعترف، وتعديته باللام كما في قوله تعالى:

10

(قَالُوا أَنْوُْمِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ) (111) [سورة الشعراء].

فالتضمنه معنى الإذعان والانقياد، وأما ما حكى أبو زيد عن العرب: ما أمنت أن أجد صحابة؛ أي ما وثقت، فحقيقته: صرت ذا أمن به. أي ذا سكون وطمأنينة.

15

وقال بعض شراح كلامه: وحقيقة قولهم أمنت صرت ذا أمن وسكون، ثم ينقل إلى الوثوق ثم إلى التصديق، ولا خفاء في أن اللفظ مجاز بالنسبة إلى هذين المعنيين لأن من آمنه التكذيب فقد صدقه، ومن كان ذا أمن فهو في وثوق وطمأنينة.

فهو انتقال من الملزوم إلى اللازم. ⁽²⁾

20

وقد ذكرنا نص عبارات هؤلاء العلماء الإعلام مع وجود التكرار في بعضها لا سيما عند نقلهم كلام الزمخشري حفظاً للأمانة العلمية.

ويظهر لي - أي د إِبلاغ - أن القول بالتصديق هو المعنى اللغوي

للإيمان لا يخلوا من التسامح إن لم نقل: من الاضطراب، للأدلة التالية:

⁽¹⁾ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين تأليف الزبيدي ج 2 ص 234

⁽²⁾ فتح الملهم ج 1 ص 151

المعنى اللغوي إذا ذكر مطلقاً يراد منه ما يستفاد من مادة الكلمة وجوهرها، وإذا ذكر المعنى اللغوي مقيداً بعبارات (يستعمل في اللغة لكذا؛ أومعناه في استعمال اللغويين كذا) فهذا المعنى اللغوي لا يتقيد بمادة الكلمة وجوهرها، وحروفها ويتكئ على ما سمع من أهل اللغة.

5 الإيمان في أقوال العلماء ذكر في الرديف الأول وهو: المعنى اللغوي مطلقاً من غير التقيد فليكن التصديق عند هذه العبارة (الإيمان لغة التصديق) مفهوماً ومدلولاً لمادة كلمة الإيمان، ومعلوم أن مادة هذه الكلمة وجوهرها لا تدل على التصديق مباشرة، ولكن يستفاد منه التصديق في الاستعمال لا في أصل اللغة.

وبعد هذه المقدمات نقول:

10

1 - إن الإيمان له معنى واحد في اللغة وهو إعطاء الأمن، وهذا هو المعنى الحقيقي، ثم استعمل في التصديق استعمالاً مجازياً، لعلاقة بين المعنى الحقيقي وهو إعطاء الأمن، والمعنى المجازي وهو التصديق لأن من يصدق شخصاً في كلامه يجعله ذا أمن من التكذيب، وهذه العلاقة علاقة اللزوم المعتمد في علاقات المجاز والتي حددت عند علماء البلاغة والمنطق

15

بأربعة وعشرين علاقة (1)

(1) ذكر محب الله البهاري في كتابه (سلم العلوم) في علم المنطق: إن العلماء حصروا المجاز في 24 نوعاً، وذكر صاحب ضياء النجوم هذه العلاقة في: السببية والمسببية وبالعكس، وإطلاق الملزوم على اللازم وبالعكس، والمطلق على المقيد وعكسه؛ وإطلاق الخاص على العام وعكسه؛ وحذف المضاف مثل: وأسأل القرية؛ أي أهله وحذف المضاف إليه، وكذلك اعتبروا المحاورة أيضاً من أنواع علاقات المجاز؛ كما أن تسمية الشيء باعتبار ما يؤول إليه من مسوغات المجاز؛ وعكسه إطلاق الشيء على ما كان الأول مثل: إطلاق الشيخ على الشباب والثاني عكسه، وكذلك إطلاق الظرف على المظروف، وعكسه، وإطلاق الآله على ذي الآلة وعكسه، وإطلاق أحد البدلين على الآخر كإطلاق الدم على الدية، وإطلاق أحد الضدين على الآخر وغيرها من العلاقات الثابتة في الاستقراء. سلم العلوم طبع باكستان ص 42.

2 - إن إطلاق الإيمان على التصديق إطلاقاً مجازياً لا حقيقةً لم يصرح به عدد من العلماء بل اكتفوا بعبارة: الإيمان معناه اللغوي التصديق.

ولم يذكروا الفروق الأساسية بين المعنى المستنبط من مادة الكلمة والمعنى المستعمل فيه عند أهل اللغة، وإذا كنا نتبع كلام العرب لا نجد كلمة يكون لها معنيان لغويان من غير أن يكون أحدهما حقيقةً، والآخر مجازياً، أو أحدهما منقولاً والآخر منقولاً إليه.

3 - ما ذكره بعض شراح قول الزمخشري بأن حقيقة قولهم: آمنت صرت ذا أمن، محل نظر واعتراض؛ لأن (صرت ذا أمن) هو معنى قولنا: (أمنت) بفتح الهمزة من الأمن لا آمنت من الإيمان؛ وإلا لا يكون هناك أي فرق بين الفعل المشتق من المصدر المجرد وهو: (الأمن) والفعل المشتق من المصدر المزيد من باب الإفعال وهو (الإيمان) فكيف ذكروا هذا المطلب نقلاً عن بعض الشراح - من غير اسم أو أسماء هؤلاء الشارحين - ولم يعلقوا عليه وينبهوا إلى ما وقعوا فيه من الأخطاء. وكأنهم اقتنعوا بما ذكره هؤلاء الشراح.

4 - ما ذكره العلامة الزبيدي وغيره من أن الهمزة في آمنت يمكن أن تكون للتعدية أو الصيرورة؛ فعلى الأول: كأن المصدق جعل الغير آمناً (الأولى في التعبير عد الغير آمناً لأن الجعل لا يتحقق في هذا المقام)، وعلى الثاني: كأن المصدق صار ذا أمن من أن يكون مذبذباً.

إن ما ذكره الزبيدي - رحمه الله - بظاهره يبرر ما ذكره شارح كلام الزمخشري بأن حقيقة قولهم:

(أمنت) صرت ذا أمن، ولكن المتعمق في اللغة يعرف أن استعمال باب الإفعال للصيرورة، إذا لم يكن الفعل المجرد دالاً على الصيرورة حتى يضطر إلى تغيير الباب من المجرد إلى المزيد، وإذا كان أصل باب المجرد دالاً على الصيرورة؛ فلا داعي لاشتقاق باب الإفعال لأجل هذا المطلب وهو الصيرورة؛ وهاهنا حينما نقول: (أمنت) بصيغة الماضي من مصدر الأمن يكون المعنى:

صرت ذا أمن فلا حاجة إلى أن نجعل بناء آخر وهو: (أمنت) من الإيمان للدلالة على الصيرورة؛ ومن ناحية أخرى كلمة أمنت من الإيمان يتعدى إلى المفعول وهذه التعدية تتطلب أن يكون هذا البناء للتصيير لا للصيرورة، ولا يخفى من الفرق الدقيق بين الصيرورة والتصيير، لأن الصيرورة مصدر لازم، والتصيير مصدر متعد، والمناسب مع الفعل المتعدى؛ وهو المصدر المتعدى أي التصيير من باب التفعيل لا الصيرورة وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ونظراً إلى أن الموضوع يتطلب التفصيل والاستدلال من قواعد الصرف؛ نذكر ما ورد في كتاب الشافية لابن الحاجب وشرحه تأليف الشيخ رضي الدين:

- 10 إن باب الإفعال يأتي للصيرورة أي صيرورته ذا كذا؛ وصيرورة ما هو فاعل أفعل صاحب شيء، وهو على ضربين:

- أما أن يصير صاحب ما اشتق منه: نحو (ألحم زيد) أي صار ذا لحم و(أطفلت امرأة) أي صارت ذا طفل و: (أعسر) و(أيسر) و(أقل) أي صار ذا عسر ويسر وقلة و(أغد البعير) أي صار ذا غدة و: (أرأب فلان) أي صار ذا ريبة.

15

- أن يصير الشيء صاحب شيء وهو صاحب ما اشتق منه: نحو (أجرب الرجل) أي صار ذا إبل ذات جرب، و(أخبث الرجل) أي صار ذا أحباب خبثاء، و(الأم زيد) أي صار صاحب قوم يلومونه، وإذا أردنا أن لا نستعمل الصيرورة في مادة اللوم فلا نقول: (الأم زيد) بل نقول: زيد ملوم أي يلومه الناس. (1)

20

5 - ذكر البدر العيني في شرحه على صحيح البخاري المعروف بعمدة القاري؛ ما يدل على أن الإيمان نقل إلى التصديق والوثوق، وهذا النقل من

(1) شرح الشافية تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي ج 1 ص 84

(2) البدر العيني ج 1 ص 102

المعنى اللغوي وهو صرت ذا أمن ثم ذكر: أن اللفظ مجاز بالنسبة إلى هذين المعنيين⁽²⁾، وهذا محل مناقشة حسب ما يلي:

أ - صرح بأن كلمة: (آمن) بمعنى صار ذا أمن، وقد ذكرنا أن آمن فعل

الماضي من باب الإفعال، وحسب ما تقتضيه طبيعة هذا الباب أن يكون آمن بمعنى جعل شيء آخر ذا أمن؛ لا أن يكون الشيء بنفسه ذا أمن لأن هذا 5 معنى (آمن) صيغة المجرّد كما ذكرنا.

ب - إذا كان استعمال الإيمان بمعنى الوثوق والتصديق استعمالاً مجازياً - كما صرح به - فلا يصح إطلاق النقل عليه؛ للفرق بين: النقل؛ والتجوز؛ والمنقول؛ والمجاز؛ لأن النقل يتطلب ترك المعنى المنقول عنه، كالصلاة عند من يقول: إنه منقول عن المعنى اللغوي وهو تحريك الصلّوين إلى الأركان 10 المخصوصة المناسبة بينهما. وصار المعنى متروكاً حسب ما تقتضيه القاعدة الثابتة لدى العلماء في النقل⁽¹⁾

وأما المعنى المجازي فلا يشترط في إرادته ترك المعنى الحقيقي، ولذلك يسمونه مجازاً لتجاوز اللفظ من المعنى الحقيقي إلى المعنى المراد. وبعبارة أخرى:

15

(3) ذكر محب الله البهاري رحمه الله في كتابه (سلم العلوم) في المنطق؛ ما يدل على أن المنقول من جملة الكلمات الكثيرة المعنى، ويمتاز عن المشترك بأن كل معانيه موضوع له؛ وأما المنقول فإن الوضع بازاء المعنى الأول؛ وينقل إلى الثاني، ويقول أحد شراح كلامه: اللفظ الموضوع للكثير الذي تخلل النقل بين معانيه، يسمى منقولاً؛ فإذا استعمل في المعنى الأول الأصلي المتروك؛ يحتاج إلى القرينة كالصلاة حقيقة في الدعاء ومجاز في الأركان المخصوصة. وخلاصة كلام محب الله البهاري وشارح قوله: **أن المنقول** يمتاز عن المجاز بأن النقل فيه ترك للمعنى الأصلي، ويكون اللفظ مشهوراً في المعنى الثاني، **وفي المجاز** لا يكون المعنى الأول وهو الحقيقي متروكاً. سلم العلوم طبع باكستان ص 40 .

إن إطلاق المعنى المجازي على المعنى المراد حينما كان المعنى الأول الحقيقي بقوته وقدرته في الاستعمال، ولا يطرأه أي طارئ من الترك، أو قلة الاستعمال فلا نقول: إن استعمال الأسد للرجل الشجاع يقتضي ترك المعنى الحقيقي، بل نقول: إن المعنى الحقيقي ثابت ومستعمل ولكن لا يراد عند إطلاقه على الرجل الشجاع.

5

ب - إذا كان الإيمان بمعنى التصديق في اللغة فليستعمل أحدهما موضع الآخر، مع أنه لا يصح هذا الاستعمال بطريق الإيجاب الكلي بل بطريق الإيجاب الجزئي فلا يصح أن يقال: كل ما يطلق عليه التصديق يطلق عليه الإيمان بل: بعض ما يطلق عليه التصديق لا يصدق عليه الإيمان، والبعض الآخر يصدق عليه الإيمان، **ومن الأدلة على هذا المطلب:**

10

1- قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (37) [سورة يونس].

2- قول الله تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف: 17)

15

3- ففي هاتين الآيتين لا يصح أن نضع الإيمان موضع التصديق ونقول: إيمان الذي بين يديه، لأن التصديق في الآيتين المباركتين المذكورتين صفة القرآن وهو لا يتصف بالإيمان فلا يقال: أن القرآن إيمان، بل يقال: إن القرآن تصديق للكتب السماوية السابقة ومصدق لها، والقرآن لا يتصف بأنه مؤمن، ويتصف بأنه مصدق، وبذلك ندرك الفرق بين الإيمان والتصديق.

20

- أن الإيمان مصدر من باب الإفعال أصله (إيمان)، ومعناه عد الشخص أو الشيء مأموناً.

- والتصديق مصدر من باب التفعيل، بمعنى عد الشخص صادقاً، أو عد الكلام صادقاً.

25

وبهذين التعريفين يجتمعان حيناً ويفترقان حيناً آخر، وبذلك نقول: الحكم بأن الإيمان هو التصديق إذا كان بطريق المسامحة في الكلام فله وجه ودليل، وإذا

كان الحكم بطريق المساوات بين المبتدأ والخبر والموضوع والمحمول)
الإيمان التصديق) فلا دليل عليه.

وخلاصة الكلام:

أن الإيمان بالمعنى اللغوي هو إعطاء الأمن أو وعد الشيء مأموناً، وهذا
5 المعنى موافق لمادة الصيغة ويستعمل في التصديق استعمالاً مجازياً، والدليل
على صحة هذا الاستعمال وعلى وجود العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي
أن المصدق المؤمن يعطى الأمان للمؤمن به من التكذيب، أي يعتقد غير
مكذوب فيصرف العطاء إلى الاعتقاد لأن المؤمن لا يعطى الأمن والأمان

بل يعتقد ويجزم أن المؤمن به ذو أمن من كونه مكذوباً. فقولنا آمنة بالقرآن
10 إعتقدنا أن القرآن ذو أمن من التكذيب أي لا يليق أن يكذب ونصدقه أي نعتبره
صادقاً. فالإيمان بالقرآن عقيدة المؤمن بهذا الأمن وإن كان القرآن غير مأمون
من طرف شخص آخر وهو الكافر، ولكن المؤمن بقوله: (آمنت بالقرآن) يحكى
عن حاله، وعن نفسه وعن عقيدته، وتصديقه بأن القرآن مأمون من التكذيب
وهو حينما يؤمن به لا يكون مكذوباً له، ويتفرع عن هذا القول أمور أخرى:

15 إن إطلاق المؤمن على الله تعالى وهو اسم من أسماء الله الحسنى يراعى فيه
المعنى اللغوي: (إعطاء الأمن) وصيغة (المؤمن) اسم فاعل على وزن مفعول
ويكون المعنى: أن الله مؤمن أي يعطى الأمان للخلق من الظلم يدل عليه قوله
تعالى: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (49) [سورة الكهف].

وقيل يطلق على الله المؤمن؛ لأنه آمن (أؤمن) أولياؤه عذابه: قال ابن
20 الاعرابي: قال المنذري: سمعت أبا العباس يقول: **المؤمن عند العرب**
المصدق. وإطلاق المؤمن على الله تعالى لأنه يصدق عباده المسلمين يوم
القيامة إذا سئل الأمم عن تبليغ رسولهم فيقولون: ما جاءنا من رسول ولا نذير
ويكذبون أنبياءهم، ويؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيسئلون عن ذلك
فيصدقون الرسل الماضيين فيصدقهم الله تعالى ويصدقهم النبي صلى الله عليه
25 وسلم يدل عليه قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى
هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (41) [سورة النساء].

- وقيل في إطلاق المؤمن على الله تعالى أنه يؤمنهم (يعطيهم الأمان) في القيامة عذابه فهو ضد (الخوف) أو يطلق على الله المؤمن لأنه يصدق (فعل المضارع من الصدق) عباده ما وعدهم – أو يصدق (فعل المضارع من التصديق) أي يصدق عباده ما وعدهم، وكل هذه الصفات لله عز وجل لأنه صدق بقوله من (التصديق) ما دعا إليه عباده من توحيد، وكأنه أمان الخلق من 5 ظلمه وما وعد من البعث والجنة لمن آمن به، والنار لمن كفر به فإنه مصدق وعده لا شريك له. قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى المؤمن، هو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان بمعنى التصديق، أو يؤمنهم يوم القيامة فهو من الأمان؛ ضد الخوف، المحكم: المؤمن الله تعالى يؤمن عباده من عذابه. ⁽¹⁾
- 1- نظرا إلى ما ثبت من: أن الأشياء تعرف بأضدادها. علينا أن نعرف 10 الأمان والأمانة، والإيمان والتصديق فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر (حسب اصطلاح الشرع لا اللغة) والتصديق ضد التكذيب. وكل منها ورد في القرآن الكريم بمشتقاتها. قال الله تعالى: **(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)** (99) [سورة الأعراف].
- فإن هذه الآية تشتمل على الماضي والمضارع من مصدر (الأمن) فتكون 15 الصيغ: (الماضي والمضارع واسم الفاعل والمصدر) على النحو التالي: **أمن، يأمن أمانا، (أمن) فعل الماضي و(يأمن) فعل المضارع في الآية المذكورة، وأما اسم الفاعل ففي قوله تعالى: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) (97) [سورة آل عمران].**
- والمصدر في قوله تعالى: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)** (125) 20 [سورة البقرة].

وأيضا وردت صيغة الصفة المشبهة من هذا الباب في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) (107) [سورة الشعراء].

⁽¹⁾ لسان العرب 26/13 مادة أمن

وأما مشتقات مصدر: (الإيمان) من باب الإفعال الثلاثي المزيد فعبارة عن:

آمن، يؤمن، إيماناً، مؤمن، (الصيغ الأربع: الماضي والمضارع والمصدر واسم الفاعل) والأمثلة في القرآن الكريم:

5 **الماضي واسم الفاعل: (آمنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ)** (البقرة: 285)

فعل المضارع: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة: 3)

المصدر: (وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (البقرة: من الآية 108).

10

مثال آخر لصيغة اسم الفاعل: (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) (البقرة: من الآية 221).

وقد ورد مصدر (آمن) مع مشتقاته في القرآن الكريم في ما يقرب إلى: (57) مرة ومصدر إيمان مع مشتقاته فيما يقرب إلى (830) مرة والأمانة مع مشتقاتها في (8) مواضع تقريباً. ومصدر تصديق مع مشتقاته في ما يقرب إلى 15 (11) مرة.

15

والمتتبع للآيات القرآنية والدارس لأسرار القرآن الكريم والمستنير بأنوار هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه يتأكد بوجود المناسبة بين مصادر: (إيمان، آمن، أمانة والتصديق) ويمكن القول بأن الإيمان أمانة في أعناق المؤمنين وفيه أمن وأمان من العذاب، والفتن والشُرور إذا رسخ في قلب المؤمن.

20

2- إن استعمال الإيمان ومشتقاته إما متعدياً بنفسه أو بحرف الجر بالباء أو اللام كما ذكرنا يجعل الموضوع قابلاً للنظر والتعمق. إذ أن تعديته بنفسه هي الموافقة لطبيعة هذا الباب (باب الإفعال) لأنه ثبت في علم الصرف في

خواص الأبواب: إن باب الإفعال يأتي للتعدية غالباً. (1)، وحينما يتعدى الإيمان بنفسه لا يراد منه الإيمان الشرعي ضد الكفر، بل يراد إعطاء الأمن ضد الخوف قال الله تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (قریش:4)

5 هذا هو فعل الماضي من مصدر الإيمان، واستعمل من غير تعديته بحرف الجر ولم يرد منه الإيمان الشرعي المضاد للكفر.

والإيمان المذكور في القرآن، ومشتقاته يتعدى بالباء أكثر من تعديته باللام، ولعل السر في ذلك (والله أعلم)؛ أن الإيمان يحتاج إلى الاعتراف لأنه ثبت عند المفسرين: أن الإيمان حينما يتعدى بالباء يكون متضمناً لمعنى الاعتراف: يقال: اعترف به وأقر به – ويكون مذهب الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) في جعل الإقرار ركناً أساسياً للإيمان موافقاً لاستعمال كلمة الإيمان مع حرف الباء. وكما نجد في كثير من الآيات القرآنية أن الإيمان ذكر بهذه الحرف (ب)، وورد في الحديث أيضاً هذا الاستعمال حينما أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل حينما سألته وقال: أخبرني عن الإيمان فرد عليه بقوله: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.... الحديث(2).

10 علماً بأن ركنية الإقرار في الإيمان، وركنية التصديق ليست على نسق واحد فإن التصديق ركن أساسي يترتب عليه الإيمان وجوداً وعدماً، ولكن الإقرار والاعتراف ليس بهذه المثابة فإنه يسقط أحياناً كما يدل عليه قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل:106)، والركنية تتفاوت حسب أهمية هذا الركن. مثلاً:

(1) الشافعية تأليف ابن الحاجب طبع باكستان ص13

(2) رواه البخاري ومسلم والنسائي كلهم في كتاب الإيمان وابن ماجه في كتاب المقدمة وكتاب الفتن وأحمد في مسند باقي المكثرين.

رأس الإنسان ركن له، ويد الإنسان ركن له وكذلك رجله، ولكن الإنسان إذا قطع رأسه لا يبقى حياً، وإذا قطعت اليد أو الرجل يبقى حياً.

فالإيمان بدون التصديق لا يكون إيماناً، ولكن بدون الإقرار والاعتراف يكون إيماناً بشرط أن يكون عدم الإقرار لعذر، إذ عند تصديقه بالقلب وعدم وجود المانع للإقرار باللسان، ومع هذا لا يعترف بالإيمان لا يكون مؤمناً، لأنه حينذاك إما معاند أو شاك وكلاهما ينافيان الإيمان، وبالتالي ينافيان التصديق القلبي الداعي لرفع العناد والشك. ولذلك يقول المحققون من علماء العقائد أن مجرد التصديق كاف في الإيمان لأنه المقصود. وأما الإقرار فهو قرينة للعلم بوجود الإيمان في القلب لأنه أمر باطني، ونستدل بوجوده في التعبير باللسان، وإذا حصل أن الشخص آمن بقلبه وصدق تصديقاً موافقاً للمعايير الإعتقادية 10 وجزم وتأكد وتيقن، ولكن لم تتح له الفرصة لإظهار هذه الحالة القلبية باللسان فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، ويكون مقره الجنة عند وفاته في هذه الحالة وهي الدخول في الإسلام بقلبه وعدم الفرصة لإظهار الإيمان باللسان.

ذكر ابن الهمام: أن أهل هذا القول (الحكم بإيمان تارك الإقرار) اتفقوا على: أنه يلزم أن يعتقد المصدق بأنه متى طلب منه الإقرار يأتي به، فإن 15 طولب ولم يقر فهو كافر عناداً.

ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله وكثير من أتباعه؛ أن الإقرار وما في حكمه (كإشارة الأخرس) لا بد منه، فالمصدق لا يكون مؤمناً إيماناً يترتب عليه الأحكام الأخروية إذا لم يكن مقراً (1)

يقصد الإمام أبو حنيفة بهذه العبارة أن المصدق إذا لم يكن مقراً ولا يكون 20 أي مانع لإقراره لا يكون مؤمناً؛ لأن هذا دليل على عناده والله تعالى ذم المعاندين أكثر مما ذم الجاهلين، وبذلك يكون تصديقه القلبي ضد النكارة مساوياً للمعرفة لا ضد الإنكار بمعنى أن هذا الشخص يعرف الحق ولكن

(1) رسائل الإمام أبي حنيفة: الفقه الأكبر، الفقه الأبسط العالم والمتعلم، ورسائل أبي حنيفة إلى أبي مسلم البتي، والوصية (تحقيق م نور).

لا يعترف به، وهذا القدر لا يعتبر إيماناً لقول الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: 146)

فإن المعرفة لها معنيان:

الأول: ضد النكارة، فيقال هذا معروف أي غير مجهول.

والثاني: ضد الإنكار ويقال: أعرف هذا وأقر به ولا أنكره.

5

وفرق بين النكارة والإنكار. والمعرفة المعتبرة في الإيمان هي التي تكون معها التصديق ولا يشوبها الإنكار. وقد روي عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال: الإيمان معرفة، والمعرفة تسليم، والتسليم تصديق. (1)

10

المعرفة الإيمانية فيها ضد النكارة زائد عليه أنها ضد الإنكار أي المؤمن يعرف المؤمن به، ووصل علمه به وليس جاهلاً عن معرفته، ومع هذا العلم يأتي بشيء آخر يترتب عليه الإيمان، وهو أنه يصدقه ويجزم به ولا ينكره.

15

وقد ذكرنا أن أهل الكتاب وكثير من الكفار يعرفون صدق القرآن وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يصدقون به أي لا يتبعون المعرفة ضد الإنكار للمعرفة ضد النكارة أي لا يؤمنون بما يعلمون ولا يصدقون.

20

ويمكن القول بأن المعرفة ضد الإنكار المعتبرة في الإيمان أخص مطلقاً، والمعرفة ضد النكارة أعم مطلقاً، ونظراً إلى قاعدة العموم والخصوص المطلق كلما تحقق الخاص يتحقق العام وليس كلما تحقق العام يتحقق الخاص، مثل الحيوان العام والإنسان الخاص؛ فكلما تحقق الإنسان يتحقق الحيوان ولا عكس، أي كلما تحقق الحيوان لا يلزم منه أن يتحقق الإنسان لأنه يمكن وجوده في النوع الآخر وهو البقر أو الفرس.

فكلما تحققت المعرفة الإيمانية ضد الإنكار، تتحقق المعرفة بمعنى العلم وضد النكارة، وليس كلما تحقق المعرفة والعلم ضد النكارة؛ تحقق المعرفة

(2) تفسير روح المعاني تأليف الألوسي طبع دار إحياء التراث ج 1 ص 111

الإيمانية، مثل معرفة أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم فإن فيها المعرفة والعلم ضد النكارة وليس فيها المعرفة الإيمانية ضد الإنكار وكذلك الموضوعات الإيمانية الأخرى، فإنهم يعرفونها ولكن لا يصدقون بها ولذلك بقوا في ضلالهم.

الباب الثاني:

في بيان المذاهب في الإيمان

وأدلتها ومناقشة بعض الآراء والرد على المذاهب الباطلة

- إن الباحث الذي يريد التحقيق الكامل في الإيمان على وجه سرد المذاهب، وإيراد الأدلة لكل مذهب لا يصل إلى آخر الخط، ولا يكاد ينال حق البحث في 5 استيفاء كل الجوانب الضرورية في موضوع الإيمان. وما ذكره بعض المفسرين، وبعض المتكلمين يعتبر أداء حق التحقيق نظرا إلى طبيعة مؤلفاتهم مع الالتزام ببيان ترجيح مذهب خاص يكون المؤلف والمحقق متمذهبا به، وهذا يتسبب في عدم ذكر أدلة المخالفين والدخول فيها بالتعمق.
- وأیضا أن ذكر المذاهب كلها قلما نال حظه في المؤلفات، ولم يذكر 10 المؤلفون إلا أربعة مذاهب التي كثر ذكرها في كتب العقائد.
- وبعد سرد المذاهب في عدة كتب نجد المذاهب المعروفة في الإيمان ثمانية وما زاد عليها فلا يعتبر إلا من المذاهب غير المعروفة.
- ووجه الحصر في ثمانية يمكن أن يذكر بالطريق الآتي:
- الإيمان إما شيء مفرد أو شيان أو ثلاثة. ويتشكل من الأول ثلاثة مذاهب 15 ومن الثاني ثلاثة مذاهب ومن الثالث مذهبان وذلك:
- لأن الشيء المفرد أما أن يكون إقرارا فقط أو تصديقا فحسب أو المعرفة وحدها.

الأول: مذهب الكرامية

والثاني: مذهب بعض قدماء المتكلمين

والثالث: مذهب جهم بن صفوان

وإذا كان الإيمان شيئين تتحقق فيه ثلاثة أوجه، كل وجه يكون مذهباً مستقلاً. كما يلي:

الإقرار والتصديق ركنان مستقلان – أو الإقرار شرط والتصديق ركن، 25 أو بالعكس.

الأول مذهب الإمام أبي حنيفة.

والثاني: مذهب كثير من الفقهاء وينسب إلى الماتريدي والأشعري وبعض أهل الحديث.

والعكس وهو أن يكون الإقرار ركناً، والتصديق شرطاً فهو مذهب القطان أحد علماء العقائد.

فيكون سرد المذاهب كالتالي:

5

1- الإيمان هو التصديق والإقرار ركنان مستقلان وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله ومن يأخذ بأرائه مثل الإمام الطحاوي.

2- الإيمان هو المعرفة وحدها وإليه ذهب جهم بن صفوان وأتباعه.

3- الإيمان هو الإقرار وحده، وإليه ذهب الكرامية.

10

4- الإيمان هو التصديق في القلب والإقرار شرط لإجراء الأحكام لا لتحقيق أصل ماهية الإيمان، وإليه ذهب الفقهاء، وينسب إلى الماتريدي والأشعري وبعض أهل الحديث.

5- الإيمان هو الإقرار، وأما التصديق فشرط وإليه ذهب القطان أحد علماء العقائد.

15

6- الإيمان هو التصديق وحده وإليه ذهب بعض قدماء المتكلمين.

7- الإيمان هو الإقرار والتصديق والعمل وهذا الأخير (العمل) شرط لتحقيق الإيمان الكامل وإليه ذهب أهل الحديث.

8- الإيمان هو الإقرار والتصديق والعمل وهذا الأخير (العمل) داخل في ماهية الإيمان، وإليه ذهب المعتزلة والخوارج مع الفرق بين الطائفتين بأن المعتزلة يقولون: مرتكب الكبائر خارج عن الإيمان، وليس داخلًا في الكفر بل هو في منزلة بين المنزلتين. وأما الخوارج فيقولون: إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، وليس هناك واسطة بين الإيمان والكفر.

20

وبعد هذا السرد الإجمالي نقول:

لا شك أن الله تعالى منح عباده – الذين كلفوا بالإيمان – قلباً به يدركون الحقائق ويذكرون به عظمة معبودهم، ولساناً به يعبرون عن المقاصد التي تدور في أفكارهم. وجوارح بها يعبدون ربهم وخالقهم، ولا يشك أحد في هذا

25

بل الكل يعترف بأن هذه الثلاثة لها تكليف بنوع من التعظيم، والذي يدور حوله النزاع أنه:

هل للكل دخل في تحقق ماهية الإيمان ؟ كما ذهب إليه القائلون بأن أجزاء ماهية الإيمان ثلاثة، أو الإيمان من حيث تحقق أصل ماهيته يتوقف على البعض دون البعض، وقبل بيان تحقيق مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله نذكر المذاهب الأخرى مع بعض الأدلة لأصحابها ونقد تلك الأدلة:

1- يستدل القائلون بأن الإيمان هو التصديق وحده، وليس للإقرار أية علاقة بالإيمان لا شرطاً ولا شرطاً بما يلي:

إن اللغة لا تعرف لكلمة الإيمان معنى إلا واحداً وهو التصديق والأصل عدم النقل من المعنى اللغوي. وأن قوله تعالى: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: من الآية 14)

وقوله تعالى: (كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) (المجادلة: من الآية 22).

وقوله تعالى: (وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) (المائدة: من الآية 41).

وغير المذكور من الآيات التي ذكر فيها القلب مع الإيمان تدل دلالة واضحة على أن الإيمان هو التصديق القلبي وحده ولا دخل للإقرار به.

ونوقش هذا المذهب بأن آية: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) (البقرة: من الآية 136)

وقوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (الفتح: من الآية 26)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (1)

وقوله صلى الله عليه وسلم: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا (2)

صريح في أن الإقرار له دخل في الإيمان – فالقول بأن الإقرار ليس له علاقة بالإيمان لا شرطاً ولا شرطاً يخالف هذا النصوص.

(1) رواه أحمد ومسلم بلفظ: يقولوا – والبخاري بلفظ يشهدوا

(2) رواه أحمد في مسنده

2-يستدل القائلون بأن الإيمان هو المعرفة وحدها: إن الله بين لأهل الكتاب المعرفة بقوله تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) (البقرة:146)

ثم قال الله تعالى: (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة

البقرة آية 146، فلو كان كل عارف كافرا غير مؤمن لما لحق الذم بالفريق 5
الكاتم منهم، بل يلحق الكل وهذا يدل على أن العارف ينقسم الى قسمين: كافر
وهو الكاتم الجاحد اللسان والذي قال تعالى في حقه: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ) (النمل: من الآية14)

ومؤمن وهو العارف الساكت. وقد نادى بهذا جهنم بن صفوان سنة 128

هجرية وكان يقول: إن ذوى الإيمان لا يتفاضلون فيه. إذ الإيمان معرفة 10
والمعارف لا تتفاضل وقد أعلن جهنم هذا المذهب مع سائر أقواله في الجبر،
وأعلن مذهبه بسمرقند وترمز – ونرد على استدلاله بالآيات القرآنية بما يلي:
إن قوله تعالى: (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: من
الآية12).

بعد قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) 15
(البقرة:146) يدل على أن الله تعالى وصف العارف بأنه غير مؤمن ورتب
عليه الذم، ولو كان الإيمان المعرفة وحدها لا يترتب الذم على هذه المعرفة.

وقد ناظر الإمام أبو حنيفة رحمه الله مؤسس هذا المذهب وهو جهنم بن
صفوان وغلبه في المناظرة وقال جهنم: سأرجع إلى قولك ولم يرجع. (1)

وأيضا ذهب جهنم بن صفوان إلى أن العقل هو الموجب للمعارف قبل 20
ورود السمع، فالعقل يمكنه أن يعرف الخير ويميزه من الشر، ويمكنه أن يصل
إلى معرفة ما وراء الطبيعة، ويجب على الإنسان أن يعمل بهدى العقل في ذلك
إذا لم يكن هناك وحي إلهي.

(1) انظر كتاب: أبو حنيفة لموفق الدين المكي

3-ويستدل القائلون بأن الإيمان هو الإقرار وحده، والمؤمن هو الذي يقر بالشهادتين: بأن الآيات التي ذكر فيها القول، تدل على أن الإيمان ليس إلا القول بالشهادتين، ولا دخل لغير القول في تحقق ماهية الإيمان.

والقائلون بهذا القول، وهم الكرامية يقولون: إن من أضرر الكفر، وأظهر الإيمان يكون مؤمناً إلا أنه يستحق الخلود في النار، ومن أضرر الإيمان،⁵ وأظهر الكفر لا يكون مؤمناً، ومن أضرر الإيمان، ولم يتفق معه الإظهار، والإقرار لم يستحق الجنة.

ونوقش هذا المذهب بأن الإيمان في اللغة التصديق، والاستدلال بأن الآيات القرآنية التي تدل على أن الإيمان ليس إلا القول بالشهادتين؛ ليس في محله، إذ أن هذه الآيات لم تخصص الإيمان في القول المحض، بل في المتبادر¹⁰ من القول، وهو ما يعبر عن التصديق القلبي، فالقول يكون إيماناً إذا كان ترجماناً عما في القلب، وذلك لأن الآيات التي تدل على أن محل الإيمان هو القلب، إذا روعيت مدلولاتها مع هذه الآيات التي تتخصص بالقول، يظهر من مجموعها أن الإيمان يترتب على التصديق والإقرار معاً.

15 غاية ما في الأمر أن يكون دور الإقرار كشرط حسبما ذهب إليه بعض الفقهاء، وينسب إلى الماتريدي والأشعري وبعض أهل الحديث. أو يكون دوره كركن أساسي مقوم لماهية الإيمان، ولا يكون أي فرق بين الإقرار والتصديق في الركنية كما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

ومن الأدلة على أن الإيمان لا يستعمل بمعنى الإقرار اللساني المحض: أن الإيمان حينما استعمل في اللغة بمعنى التصديق؛ بقي هذا الاستعمال جارياً²⁰ على ألسنة العلماء واللغويين طوال قرون عديدة، ولم يرو النقل من هذا المعنى إلى المعنى الآخر في اصطلاح الشرع.

وذكر بعض العلماء أن الإيمان فيه النقل، لأنه عام في اللغة، يتعلق بكل قضية، ثم نقل عند أهل الشرع إلى التصديق بالأمور المعدودة، وهي المعتقدات الشرعية.

25

وهذا القول باطل لأن هذا لا يعتبر نقلاً بل هو تخصيص في متعلق الإيمان عند الشرع، بعد ما كان متعلقه عاماً عند أهل اللغة.

ذكر شارح العقائد النسفية: أن الإيمان في اللغة التصديق (إفعال) من الأمن فإن حقيقة – آمن به: آمنه من التكذيب والمخالفة. ⁽¹⁾

وبما ذكرنا ظهر أن الإيمان لا يستعمل بمعنى الإقرار اللساني، وأن المعنى اللغوي للإيمان هو التصديق، ولذا صار إطلاق الإيمان على الإقرار خلاف ما عليه اللغة.

أما مخالفة هذا المذهب (الكرامية القائلين بأن الإيمان إقرار) لصريح القرآن فلأن الله تعالى وضح لنا بكفر المنافقين في قوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (التوبة: 84) كما ذكر الله تعالى نفي الإيمان عنهم بقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: 8).

وأيضاً ثبت أن المكروه الذي زال عنه الإقرار بالإكراه يكون مؤمناً بقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (النحل: من الآية 106)

مع زوال الإقرار عنه، وذكرنا في استدلالهم بأن المنافقين يجرى عليهم بعض أحكام المسلمين؛ من رفع القتل والأسر، وهذا دليل على أن الإسلام اعتبر إقرارهم إيماناً، والجواب:

إن هذا ليس من خصائص المسلمين، ولا يكون دليلاً على إيمان المنافقين، إذ أن رفع القتل والأسر مشترك بينه وبين الذمي والمستأمن، مع أننا لا نحكم بإيمانهم، وأيضاً إن الكلام في المنافق الذي ظهر كفره ولا نعلم دليلاً على جواز قتله بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، لما وقع في الحديث أن عمر رضى الله عنه قال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، حينما قال للرسول صلى الله عليه وسلم: اعدل ⁽²⁾. وحينما ظهر نفاقه منع من قتله، وفي حادثة أبي بن سلول منع من قتله بقوله ﷺ: دعه لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ⁽³⁾

⁽¹⁾ شرح العقائد النسفية طبع باكستان

⁽²⁾ أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ومسلم في الزكاة وابن ماجه في الفتن وأحمد في باقي مسند المكثرين.

⁽³⁾ الحديث رواه أحمد في مسنده 293 / 3

وهذا يدل على جواز قتل المنافق الذي ظهر كفره؟

4-وأما استدلال القائلين بأن الإيمان هو التصديق، وأما الإقرار فهو شرط لإجراء الأحكام الشرعية؛ لا لتحقيق ماهية الإيمان:

أن الله جعل القلب محلاً للإيمان في قوله تعالى: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

5 قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: من الآية 14)، والآيات الأخرى التي تدل على أن الإيمان هو التصديق القلبي وأيضاً ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم ثبت قلبي على دينك وعلى طاعتك) (1)

وهذا يدل على أن الإيمان يتعلق بالقلب، وليس عبارة إلا عن التصديق

فقط، ومن الأدلة على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسامة رضي الله عنه حينما قتل من قال: لا إله إلا الله - بدليل أن هذه الشهادة لأجل الخوف لا للإيمان الأصلي: (هلا شققت قلبه). (2)

مستنكراً هذا العمل، ويدل قوله صلى الله عليه وسلم: على أن الإيمان محله القلب وليس إلا التصديق.

وأيضاً يستدل القائلون بأن الإيمان هو التصديق بالإضافة إلى ما ذكرنا بالأدلة الآتية:

15 الإيمان لغة: بمعنى التصديق ولم يبين الشارع للإيمان معنى آخر، فالأصل إبقاؤه على معناه الأصلي، والنقل خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا لداع.

20 الإيمان الشرعي: هو الإيمان اللغوي ولا فرق بينهما إلا باعتبار المتعلق، إذ أنه في اللغة: عام ليس فيه التخصيص بالقضايا الدينية، وفي الشرع: عبارة عن التصديق المتعلق بأشياء مخصوصة، وهذا لا يعتبر نقلاً اصطلاحاً؛ بل تخصيص لمتعلق الإيمان بعد ما كان عاماً.

وقد ذكر الإيمان في الدلالة على المعنى اللغوي العام أيضاً في القرآن الكريم في قوله تعالى: في قصة يوسف عليه السلام وإخوته: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) سورة يوسف آية 17.

25

(1) رواه الترمذي عن أم سلمة ورواه الحاكم عن جابر والبيهقي عن النواس.

(2) انظر روايات الحديث في تفسير ابن كثير سورة النساء آية 94

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في جواب جبريل عليه السلام عند سؤاله عن الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته إلى آخر الحديث.

والرسول صلى الله عليه وسلم عند ذكره جملة (أن تؤمن) وعدم ذكر معنى الإيمان كأنه واضح أن معنى الإيمان واضح لا حاجة إلى ذكره، وما يحتاج إلى التوضيح هو متعلق بالإيمان.

5 إن ما ورد في الإيمان بأنه من المنقولات الشرعية فهذا مسامحة، أراد القائلون به تخصيص المتعلق بعد ما كان عاماً، وأطلقوا على هذا التخصيص من مطلق التصديق إلى التصديق بأمور مخصوصة وكأنه نقل، وإلا فإنه لا يعتبر نقلاً بمعنى الكلمة؛ لأن النقل الحقيقي يتعلق بماهية الشيء والتخصيص في المتعلق لا يؤثر في تغيير مفهوم الشيء فعلم أن الإيمان بمعنى التصديق.

10 يستدل القائلون بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق شرط بأن الآيات التي وردت فيها الإيمان مثل:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: 136)

15 تدل على أن الإيمان هو الإقرار ولكن بشرط أن يكون معبراً عما في القلب وإلا لم يكن للإقرار أية قيمة في الإيمان.

ونوقش هذا القول بأن هذا مخالف للغة والاصطلاح إذ الإيمان لغة هو التصديق كما ذكرنا، والشرع جعله مرتبطاً بالقلب ولم يعبر عنه إلا بالتصديق، فجعل التصديق شرطاً خلاف الواقع:

20 يستدل القائلون بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق والعمل وهذا الأخير (العمل) جزء من الإيمان الكامل – وينسب هذا إلى أهل الحديث وإلى الإمام الشافعي رحمه الله أيضاً ويستدلون بما يلي:

أ – أن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدة وهذه الطاعات لا يعتبر شيء منها إيماناً إلا إذا كانت مرتبطة على الأصل

25 الذي هو المعرفة وقالوا:

أن الجحود وإنكار القلب كفر ثم كل معصية بعد ذلك كفر على حدة ولم يعتبروا شيئاً من الطاعات إيماناً ما لم توجد المعرفة والإقرار ولا شيء من المعاصي كفراً ما لم يوجد الجحود والإنكار لأن الفرع لا يحصل بدون ما هو أصله.

ب – إن الإيمان اسم للطاعات كلها وهو إيمان واحد والفرائض والنوافل 5 كلها من جملة الإيمان، ومن ترك شيئاً من الفرائض فقد انتقص إيمانه ومن ترك النوافل لا ينتقص إيمانه ومنهم من قال: الإيمان اسم للفرائض دون النوافل. (1)

ج – إن بعض الآيات القرآنية صريح في قبول الإيمان الزيادة والنقصان، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان العمل داخلًا في الإيمان. 10

1- يذهب المعتزلة والخوارج والزيدية إلى أن الأعمال داخلية في مفهوم مطلق الإيمان وجزء ماهيته فالإيمان عندهم عبارة عن:

فعل القلب واللسان والجوارح مع الفرق بين المعتزلة والخوارج؛ بأن مرتكب الكبيرة خارج عن الإيمان وداخل في الكفر عند الخوارج وفي المنزلة 15 بين المنزلتين عند المعتزلة والفرق الآخر:

أن الإيمان عند الخوارج عبارة عن المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلاً عقلياً من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما شرع من الأوامر والنواهي صغيراً كان أو كبيراً، وقالوا: مجموع هذه الأشياء هو الإيمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر.

وأما المعتزلة فلا يثبتون مطالبهم بهذا الطريق المعروف لدى الخوارج 20 بل يقولون: أن الإيمان إذا عدى بالباء فالمراد به التصديق ولذلك يقال: فلان آمن بالله وبرسوله ويكون المراد التصديق. فلا يقال فلان آمن بكذا، إذا صلى وصام بل يقال: فلان آمن بالله. كما يقال: صلى وصام لله. فالإيمان المعدى بالباء يجرى على طريق أهل اللغة أما إذا ذكر مطلقاً غير معدى (غير متعد

(1) تفسير الإمام فخر الدين الرازي ج2 ص 24

بحرف الجر) فقد اتفقت المعتزلة على أن هذا الإيمان منقول من المسمى اللغوي الذي هو التصديق إلى معنى آخر. ثم اختلفوا فيه على وجوه:

أحدها: أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهزيل والقاضي عبد الجبار ابن أحمد.

وثانيها: أن الإيمان عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وهو قول أبي علي وأبي هاشم.

وثالثها: أن الإيمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد فالمؤمن عند الله كل من اجتنب كل الكبائر، والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد وهو قول النظام.

ومن أصحابه من قال: شرط كونه مؤمناً عند الله وعندنا اجتناب الكبائر.

(¹)

ومما يجب ذكره أن بعض الناس في عصرنا هذا (1419 هـ - 1999م) لا يفرقون بين مذهب أهل الحديث ومذهبي المعتزلة والخوارج، فيقعون في مشكلة الخلط بين المذاهب، وبالتالي في الإيهام بأن أهل الحديث جعلوا العمل جزءاً من الإيمان وداخلياً في ماهيته، وهذه الفكرة ليست خطأً فحسب، بل خطيرة من ناحية العقيدة، وخطأً بين المذهب الحق، وهو مذهب أهل الحديث، ومذهبي المخالفين (المعتزلة والخوارج) وقبل أن ندخل في الرد على المعتزلة والخوارج نقول:

إن الفرق الواضح بين مذهب أهل الحديث، ومذهب المعتزلة والخوارج:

- أن أهل الحديث لا يجعلون الأعمال ركناً داخلياً في ماهية الإيمان بحيث يكون المخل بالعمل خارجاً عن الإيمان، وداخلياً في الكفر بل يجعلون الأعمال مكملات للإيمان، وعند الإخلال بالعمل لا يزول الإيمان بل ينقص

(¹) تفسير فخر الرازي ج 2 ص 24

جانب تكميله؛ وأما المعتزلة والخوارج فإنهم يجعلون الأعمال جزء من ماهية الإيمان وركناً أساسياً وبزواله يزول الإيمان.

ومن الأدلة على الرد على هذين المذهبين (المعتزلة والخوارج):

1 - أن الله ذكر العمل معطوفاً على الإيمان في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (فصلت:8) والجزء لا يعطف على كله.

2 - جعل الإيمان شرطاً لصحة الأعمال في قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) (الأنبياء:94) مع القطع بأن الشرط لا يدخل في المشروط لامتناع اشتراط الشيء بنفسه.

3 - ورد إثبات الإيمان لمن ترك بعض الأعمال كما في قوله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) (الحجرات: من الآية9). مع أنه لا يتحقق الشيء بدون ركنه.

- أدلة المعتزلة والخوارج بدخول الأعمال:

ونذكر أدلة المعتزلة والخوارج بدخول الأعمال في ماهية الإيمان مع بيان الرد عليهم.

الدليل الأول:

إن الإيمان لو كان عبارة عن التصديق من غير دخول الأعمال لما اختلف، مع أن إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشبه إيمان العوام؛ بل ولا الخواص.

والجواب:

إن التصديق الواحد وإن سلمنا عدم الزيادة والنقصان فيه من النبي، والواحد منا، إلا أنه لا يمتنع التفاوت بينهما بسبب عروض الشكوك والشبهات لنا، وعدمه للأنبياء عليهم السلام:

الدليل الثاني:

إن الإيمان يناقضه الفسوق والعصيان ولا يجامعه بنص:

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: من الآية 7).
ولو كان بمعنى التصديق لما امتنع اجتماعه.

والجواب:

- 5 بأن الآية ليس فيها ما يدل على أن الفسوق لا يجامع الإيمان فإنه لو قيل: حبيب إليكم العلم وكره إليكم الفسوق؛ لم يدل على المناقضة بين العلم والفسوق، وكون الكفر مقابلاً للإيمان لا يستفاد من الآية بل من خارج، ولئن سلمنا دلالة الآية على ما ذكرتم إلا أن ذلك معارض لما يدل على عدمه كقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: 82) فإنه يدل على مقارنة الظلم للإيمان في بعض الأحوال.

- 10 **الدليل الثالث:** للمعتزلة والخوارج بدخول الأعمال في ماهية الإيمان: أن فعل الكبيرة مما ينافي الإيمان لقوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً) سورة الأحزاب آية 43

- مع قوله تعالى: (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (النور: من الآية 2).

- 15 الوارد في حق الزاني والزانية فإذا منع الله الرأفة والرحمة بهما مع أن الله بالمؤمنين رحيم يظهر من هذا أن مرتكبي الزنا خارجان عن الإيمان.
- والجواب:** أن هذه الآية لا تدل على كون فعل الكبيرة منافياً للإيمان وليس المقصود من نفي الرأفة نفي الرحمة مطلقاً عنهما بل المعنى:
- 20 لا تحيطكم الشفقة والرأفة عند إجراء الحدود على الزاني والزانية بعد وجوبها، لتصير هذه الشفقة سبباً لإسقاط حدود الله، بل عليكم إجراء الحدود من غير أي تدخل للجانب العاطفي.

الدليل الرابع لهم:

- أن المؤمن غير مخزي نظراً إلى قول الله تعالى: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) (التحریم: من الآية 8)
- 25 وقد ورد في حق قطاع الطريق:

(ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(المائدة: من الآية33)

فإثبات الخزي لهم دليل خروجهم من الإيمان لأن المؤمن لا يكون له الخزي والجواب:

- 5 إن ما ورد في الآيتين المذكورتين لا يدل على إثبات ما تدعونه من دخول العمل في ماهية الإيمان لأن نفي الخزي في الآية الأولى متوجه إلى: (يوم) وهو يوم الآخرة، وأما إثبات الخزي لقاطع الطريق فهو خزي الدنيا، ولا يلزم من منافات الخزي يوم القيامة للإيمان؛ منافاته للإيمان في الدنيا أيضاً، لأن إجراء الحدود في الإسلام خزي، وفي عين الحال تطهير له، من عقوبة يوم القيامة على المذهب الأصح، فالمؤمن الذي يواجهه الخزي في الدنيا لا يكون مخزي في الآخرة.

الدليل الخامس: للمعتزلة والخوارج على إثبات مذهبهم:

أن القرآن الكريم صرح بأن مستطيع الحج إذا تركه يصير كافراً نظراً إلى قول الله تعالى:

- 15 (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)(آل عمران: من الآية97).
- مع أنه مصدق وإذا كان التصديق كافياً في الإيمان لا يحكم عليه بالكفر.

الجواب:

- عدم قبول كفر من ترك الحج من غير عذر، وما استنبطه هؤلاء من الآية غير صحيح. لأن قول الله تعالى: (ومن كفر) هو ابتداء الكلام ولا علاقة له بما سبق. أو المراد من الآية:

أن من كفر بمناسك الحج ولم يصدق بها وجدها، فإن الله غني عن العالمين، ونحن لا ننكر أن جحود الأحكام الشرعية كفر⁽¹⁾، واختلافنا في ترك العمل هل هو كفر كما يقولون؟ أو ليس بكفر بل معصية كما نذهب إليه؟.

25

الدليل السادس لهم:

¹ (جحود الأحكام الشرعية الثابتة بالقرآن أو السنة المتواترة أو الإجماع المتواتر كفر، وجحود الأحكام الثابتة بطريق الأحاد فسق.

أن الحكم بغير ما أنزل الله ذنب، والله اعتبر مرتكبه كافراً في قوله تعالى:
(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(المائدة: من الآية 44)
والجواب:

أن معنى الآية: ومن لم يصدق بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.
أو: ومن لم يحكم بشيء مما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.
أو أن الآية ليس في حق المؤمنين بل في حق أهل الكتاب الذين لا
يحكمون بالتوراة، بقريئة ما سبق من الآيات فلا دخل لموضوع مرتكب
الكبيرة من المؤمنين في حكم الآية المذكورة.

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من لم يحكم بما أنزل الله
جاحداً فهو كافر، وإن لم يكن جاحداً فهو فاسق ظالم) يؤيد القول الأول. (1)

الدليل السابع للمعتزلة والخوارج:

أن الزاني كافر بنص حديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. (2)
مع أنه مصدق فظهر بأن التصديق المحض لا يكفي في الإيمان ما لم يكن
معه العمل.

والجواب:

أن معنى الحديث: لا يزني الزاني وهو مؤمن؛ أي من عذاب الله إن زنى
فليخف عذاب الله ولا يأمن مكره.

أو المراد: لا يزني مستحلاً لزناه وهو مؤمن.

أولاً يزني وهو على صفات المؤمن من اجتناب المحظورات؛ لأن هذا
الحديث يضاد حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. قال: وإن زنى وإن
سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. الدال على بقاء الإيمان مع الكبيرة. وبما
ذكرنا من معنى الحديث الأول يرتفع التناقض بين الحديثين الصحيحين.

الثامن:

أن المستخف بالنبي صلى الله عليه وسلم مصدق مع أنه كافر بالإجماع.

(1)

25

(1) هامش تفسير الجلالين ص 101 طبع باكستان

(2) رواه أحمد في مسنده

والجواب:

أن الاستخفاف دليل على عدم التصديق، وما أجمع عليه العلماء من تكفير المستخف لا يعني أن الاستخفاف ذنب كبير يبقى معه الإيمان كذنب، ولكن أجمعوا على الحكم بكفره زجراً، بل المقصود أن الاستخفاف والتوهين دليل على عدم وجود التصديق في الشخص الذي يصدر منه هذا الاستخفاف.

5

دليلهم التاسع:

إن فعل الواجبات هو الدين لقوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (البينة:5)

والدين هو الإسلام لقوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران:85) والجواب: أن الآية قد فرقت بين الدين وفعل الواجبات بقرينة العطف المقتضى للمغايرة.

10

والدليل العاشر للمعتزلة والخوارج:

أنه لو كان الإيمان عبارة عن التصديق ولا تكون الأعمال داخلة في مفهومه لما صح وصف المكلف به حقيقة إلا وقت صدور هذا التصديق منه كما في سائر الإفعال مع أن النائم والغافل يوصفان بالإيمان إجماعاً مع أن التصديق غير باق فيهما في هذه الحالة.

15

والجواب: أن هذا دليل عليكم وليس دليلاً لكم لأنكم اعتبرتم العمل جزءاً وعند عدم وجود العمل لا يكون الإيمان حسب قولكم. فما ذكرتم فهو مشترك الإلزام بيننا وبينكم فما هو جوابكم فهو جوابنا، وإذا كنتم تقولون أن النائم يزول عنه التصديق فنقول: أنكم تجعلون التصديق مع الأعمال جزءاً؛ فإذا لم يكن النائم مصدقاً عندكم فهو ليس عاملاً أيضاً فيزول عنه الإيمان على قولكم لزوال أمرين التصديق والعمل ولكننا نقول إن العمل ليس داخلاً في ماهية الإيمان، وأما التصديق فلا يزول عنه في حالة النوم، غاية ما في الباب أنه يزول عنه

20

25

¹ (تفسير روح المعاني 114/1

التصديق في هذه الحالة تصديقا فعليا مباشرا لكن من ناحية آثار التصديق فإنها باقية فيه فإنه عندما يصحبا من النوم، ويسأل عن التصديق يرد بما هو دال على التصديق؛ لأن التصديق في حال النوم والغفلة باق في القلب، وأما الذهول فهو عن حصوله. والنوم ضد لإدراك الأشياء ابتداء لا أنه مناف لبقاء الإدراك الحاصل حال اليقظة.

5

ومن ناحية أخرى: فإن الشارع جعل المحقق الذي لا يطرأ ما يضاده، في حكم الباقي حتى كان المؤمن اسما لمن آمن في الحال أوفي الماضي ولم يطرأ عليه ما هو علامة التكذيب.

والدليل الحادي عشر لهم:

10 أنه لو كان الإيمان هو التصديق يلزم أن يقال لمن صدق بألوهية غير الله سبحانه وتعالى مؤمن وهو خلاف الإجماع.

والجواب: الكلام في المؤمن شرعا، وهو الذي يصدق بوحداية الله ورسالة الرسول ويؤمن بالملائكة، والكتب، والرسول، واليوم الآخر. وأما تسمية المصدق لغير الله مؤمنا فهو في اللغة وليس كلامنا في الأمور المرتبطة باللغة إذا كان مخالفا للشرع بل نراعي الأحكام اللغوية عند عدم التضاد.

15

والدليل الثاني عشر للمعتزلة والخوارج:

إن الله وصف بعض المؤمنين به بكونه مشركا فقال: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف: 106) ولو كان الإيمان عبارة عن التصديق لامتنع اجتماعه مع الشرك.

20 **والجواب:** أن الإيمان هو ضد الشرك بالإجماع ويكون المراد من الإيمان في القرآن الإيمان اللغوي، وهو الإيمان ببعض المؤمنين به دون بعض آخر؛ كالإيمان بالله دون الرسول أو الإيمان بالله والرسول دون الملائكة والكتب؛ لأن الإيمان الشرعي وهو التصديق؛ يجمع ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به وبجميع ما يرتبط بالإيمان؛ فإنه لا يجمع الشرك؛ فالمشرك المصدق ببعض

دون بعض لا يكون مؤمناً إلا بحسب اللغة دون الشرع لإخلاله بالتوحيد⁽¹⁾ وفي الآية إشارة إليه.

ومما ذكره المعتزلة والخوارج: أن القائلين بكون الإيمان عبارة عن التصديق يفضي إلى القول بأن الإيمان عبارة عن ما يجري على اللسان؛ لأن أهل اللغة لا يفهمون من التصديق إلا التصديق باللسان.

5

والجواب: أن القول بأن أهل اللغة لا يفهمون من التصديق إلا التصديق باللسان مجرد دعوى لا يساعده البرهان؛ لأن أهل اللغة يطلقون المؤمن على المقر باللسان إذا كان معبراً عما في القلب؛ كما يطلقون الغضبان والفرحان على سبيل الحقيقة على شخص تدل الأدلة على الآثار اللازمة للغضب والفرح، فكما أن هاتين الصفتين لا يتصف الإنسان بهما إلا إذا كانتا معبرتين عن الواقع، والحقيقة فكذلك التصديق لا يتصف الإنسان به إلا إذا كان معبراً عما في القلب، وما يقال بأن أحكام الإيمان تجري ظاهراً على المؤمن باللسان من غير التصديق بالقلب فنقول:

10

لا نزاع في ذلك إنما النزاع في كونه مؤمناً عند الله. والرسول صلى الله عليه وسلم، ومن يتبع سنته من الصحابة والتابعين؛ كما كانوا يحكمون بإيمان من تكلم بالشهادتين، كانوا يحكمون أيضاً بكفر المنافق، وهذا يدل على أنه لا يكفي في الإيمان فعل اللسان فقط. والكرامية مع قولهم بأن الإيمان عبارة عن الإقرار، ومذهبهم باطل ومع هذا يقولون:

15

(1) قال أبو الحسن علي البوشنجي: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطل عن الصفات، وقال الجنيد: التوحيد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير {ليس كمثل شئ وهو السميع البصير}، وقال أبو علي الروذباري: التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه.

ثم قال: (وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام) يعني أن الأجسام تقبل الانقسام وتتحدد بالتقدير، والرب سبحانه وتعالى لا يجوز عليه شيء من ذلك، لأن التأليف والتركيب والتحليل والتحديد حوادث، وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبقها كان حادثاً مثلها، ولو صح حدوث الباري لما صح أن يكون إلهاً لافتقاره، وذلك باطل لوجود غناه وثبوت اتصافه به.

من أضمّر الإنكار وأظهر الإذعان وإن كان مؤمناً لغة وشرعاً لتحقيق اللفظ الدال الذي وضع لفظ الإيمان بإزائه (حسب زعمهم) إلا أنه يستحق ذلك الشخص الخلود في النار لعدم تحقق مدلول ذلك اللفظ، الذي هو مقصود من اعتبار دلالاته. – صرح به العلامة شهاب الدين الألوسي في تفسير روح المعاني. (1)

5

ولقد فصلنا دلائل القائلين بدخول الأعمال في ماهية الإيمان وناقشناها نظراً إلى أن بعض المؤلفين يقعون في اشتباه عدم الفرق بين كون العمل جزءاً مكماً كما هو مذهب أهل الحديث، وبين كونه جزءاً أساسياً للإيمان، وركناً مهماً يزول الإيمان بزواله؛ كما هو مذهب المعتزلة والخوارج، كما اشتبه على عدد من الطاعنين على الإمام أبي حنيفة رحمه الله في نظره إلى العمل، 10 ويظنون أنه حينما يذهب إلى أن الإيمان إقرار وتصديق فهو لا يبالي بالعمل، وبالتالي فهو يذهب مذهب المرجئة، وإن هذا الطعن ناشئ عن عدم التعمق في مذهبهم وفيما سلكه، وفيما أتى به من الأعمال الصالحة التي تنبئ عن مدى عقيدته بتأثير العمل في المسلم وضرورة المؤمن إلى العمل لا كجزء لماهية الإيمان بل كفرع عملي لا مخلص للمؤمن إلا أن يأتي به، ولا يصح للمؤمن 15 الذي أدرك جوهر الإيمان أن يكتفي به فقط، وبذلك نتأكد أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله بحرصه على العمل بحيث يقال: إنه صلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً، يشتغل بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن، لا يمكن أن يكون غير مبال بالعمل، فلا يصح الاتهام عليه بما ذكره بعض الناس في قضية العمل.

20

التصديق العقدي والتصديق المنطقي:

بعد ذكر المذاهب في الإيمان وبيان موقف التصديق من تلك المذاهب نقول:

إن التصديق في المذاهب كلها مغاير للتصديق عند علماء المنطق لأن التصديق في علم العقيدة عبارة عن الجزم والإذعان، وهو عمل القلب وليس 25

(1) تفسير روح المعاني ج1 ص 114 بتصرف بسيط .

- مرتبطاً باللسان وما يجري في اللسان فهو جزء آخر من الإيمان (عند من يقول: الإيمان إقرار وتصديق وهما ركنان مستقلان) وشرط عند من يقول: (الإيمان هو التصديق والإقرار شرط لإجراء الأحكام) وكذلك المذاهب الأخرى تنظر الى التصديق بنفس النظر ونجد شبه الاتفاق بين أصحاب المذاهب في معنى التصديق. والتصديق المعتبر في الإيمان مغاير عن التصديق عند المنطقيين تعريفاً ويتحد معه في بعض الوجوه مصداقاً وذلك:
- 5 - لأن التصديق عند علماء المنطق يتركب من الموضوع والمحمول والنسبة والحكم، وأما التصديق عند علماء العقيدة فلا يرتبط باللفظ بل بالقلب، وليس مركباً من أمور كما هو عند المنطقيين؛ بل أمر بسيط يعبر عنه بالكيفية التي تلحق الذهن بعد علمه بالشئ، وهذه الكيفية المسماة بالتصديق إذا درسناها في جانب التعبير اللفظي فهي تتطلب أشياء كثيرة منها: وجود شكليات الخبر والقضية وبعبارة أخرى:
- 10 إن التصديق العقدي في تحققه لا يحتاج إلا إلى أمر قلبي، وهو الإذعان، وأما في جانب التعبير حينما نريد التعبير عنه في اللفظ فيحتاج إلى شكلية الخبر. وبذلك يمكن القول بأن التصديق عند علماء العقائد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما هو المعبر عنه لا بالتعبير.
- 15 1- لأن التصديق المنطقي يطلق على القضية الصادقة وعلى القضية الكاذبة؛ لأنه يحتاج إلى الموضوع والمحمول والنسبة والحكم لتشكيل الأجزاء، وأما الصدق والكذب؛ فيرتبط بالقضية ارتباطاً ثانوياً لا لأجل توقف صياغة القضية عليهما بل لتحقيق ما تقتضيه هذه القضية، ويطلبه هذا المركب من احتمال الصدق والكذب. وأما التصديق العقدي المعتبر في الإيمان فإنه لا يطلق إلا على الإذعان المعبر عنه بالقضية الصادقة. ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى:
- (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: 8)
- 25 فإن هذا القول (آمنا) الصادر من المنافقين تصديق منطقي، وجملة خبرية يوجد فيه كل مقومات التصديق، وليس تصديقاً اعتقادياً، ولا يحكم على قائله

هذا القول بأنهم أهل التصديق، وبالتالي أهل الإيمان لأن الله تعالى نفي عنهم الإيمان.

وأيضاً أن الله تعالى عد المنافقين مخادعين بعيدين عن الحق وجعل حالهم أشد من حال الكفار المجاهرين بالكفر، والمنكرين الذين لا يقولون: آمنا بالله وباليوم الآخر. وهذا دليل على أن القول المخالف للاعتقاد والخالي عن الإذعان والجزم إظهار لخلاف ما يبطنه الإنسان ويؤاخذ بهذه المخالفة زيادة على مخالفة الحق، وأيضاً يدل على أن المنافق أشد من الكافر لأنه بالإضافة إلى كفره يرتكب أمراً خطيراً آخر؛ وهو أنه يتكلم بكلام ظاهره شيء وباطنه شيء آخر، ليلبس أمره على المسلمين ويستفيد من الإسلام الظاهري وهو بصنيعه هذا يستحق العذاب الشديد، مع أن شكليات قوله موافقة للتصديق المنطقي.

2- بعد بيان الفرق الكامل بين التصديق المنطقي والتصديق العقدي تعريفاً، وبيان تحقق الأول في الأجزاء اللفظية، وتحقيق الثاني في الإذعان القلبي، يمكن القول بأن كلا التصديقين مع تباينهما في المفهوم توجد نسبة العموم والخصوص بينهما في المصداق، مثل الأسود والإنسان فإنهما متغايران مفهوماً؛ إذ مفهوم الأسود ذات له السواد، ومفهوم الإنسان الحيوان الناطق، وبينهما عموم وخصوص من وجه في المصداق الذي يقتضي مادة الاجتماع ومادتي الافتراق.

أما مادة الاجتماع مثل الإنسان الأسود، ومادتي الافتراق: الإنسان الأبيض والجدار الأسود، ففي الأول يتحقق الإنسان لا الأسود. وفي الثاني يتحقق الأسود لا الإنسان.

وفيما نحن فيه من التصديقين (المنطقي والعقدي) تطبيق قاعدة العموم والخصوص من وجه حسب المصداق إذ يجتمعان في قول المؤمن: الله واحد فإنه تصديق منطقي لوجود أجزاء التصديق فيه من الموضوع والمحمول والنسبة وتصديق اعتقادي؛ لأنه يعبر عن الجزم والإذعان، ولا يوجد في علم العقيدة تصديق إلا مثل هذا الذي ذكرنا.

علما بأن الحكم على أن جملة: (الله واحد) تصديق مسامحة، لأنه لفظ والإذعان أمر قلبي، ولكن يطلق عليهما التصديق باعتبار حكايته وتعبيره عن التصديق القلبي.

وأما مادة الافتراق من طرف التصديق المنطقي مثل قول المشرك: (الله واحد) فإنه تصديق منطقي لتحقق مقومات القضية فيه: (الموضوع والمحمول 5 والنسبة والحكم). ولا يعتبر تصديقا عقديا لأن المشرك لا يوجد فيه الجزم والإذعان بالتوحيد بل جزمه بنقيض جملة: (الله واحد) وضد التوحيد وهو الشرك.

ومادة الافتراق من جانب التصديق العقدي، مثل الجزم القائم بالقلب بحيث لم يظهر باللسان ولم يخرج إلى إطار اللفظ فإنه تصديق عقدي وليس 10 تصديقا منطقياً لأنه ليس لفظاً مشتملاً على الموضوع والمحمول والنسبة والحكم.

3-التصديق عند علماء العقيدة كما يعتبر مغايراً للتصديق المنطقي من ناحية المفهوم فهو أيضاً مغاير للتصديق اللغوي في بعض أشكاله لأن التصديق حسبما تدل عليه الصيغة (المصدر من باب التفعيل) عبارة عن عد الشخص 15 صادقاً، فإذا تكلم أحد وأنت تصدقه وتعهده صادقاً في كلامه فهو تصديق لغوي، ولا يعتبر تصديقا عقديا إلا إذا كان صادراً عن صدق وعقيدة وإخلاص وبذلك يجتمع التصديق اللغوي والتصديق العقدي، إذا صدقت الشخص في كلامه، وكنت مدعنا وجازماً في تصديقك له وكنت ترى أن كلامه تعبير عن الإذعان. ويفرق التصديق اللغوي عن التصديق العقدي إذا صدقت الشخص في كلامه، 20 واعتبرته صادقاً في الظاهر، ولا يكون في ذهنك العلم بمضمون الكلام بدرجة الإذعان؛ فإنه تصديق لغوي لأنك صدقت هذا المتكلم وليس تصديقا عقدياً؛ لأنه لا يعبر عن إذعانك بمضمون الجملة، وبذلك تكون النسبة بينهما عموم وخصوص مطلقاً، فالتصديق اللغوي أعم مطلقاً والتصديق الاعتقادي أخص؛ لأنه كلما تحقق التصديق العقدي يتحقق التصديق اللغوي ولا عكس. 25

وبعبارة أخرى: العموم والخصوص المطلق يتطلب مادة الاجتماع ومادة الافتراق من طرف العام تحقيقاً لمعني العموم مثل النسبة بين الإنسان

والحيوان؛ ففيها مادة الاجتماع في الإنسان، ومادة الافتراق في الفرس فإنه حيوان وليس بإنسان، ولا توجد مادة الافتراق من طرف الإنسان بحيث يتحقق الإنسان ولا يتحقق الحيوان لأنه كلما وجد الخاص وجد العام ولا عكس.

4-التصديق المنطقي لا يختص بالاختيار بل يطلق على العلم الذي

- 5 يحصل من الموضوع، والمحمول، والنسبة، والحكم، ولوبغير الاختيار. وأما التصديق العقدي فهو التصديق الاختياري ولذلك يقول بعض علماء علم العقيدة: إذا حصل التصديق للشخص بالاضطرار، ومن غير الإرادة فإن هذا لا يعتبر إيماناً إلا إذا كرره باختياره وبذلك يقولون: إذا حصل الإيمان عن طريق المعجزة اضطراراً لا يكون معتبراً إلا إذا تبعه التصديق الاختياري والإذعان الإرادي بدليل قول الله تعالى حكاية عن سحرة فرعون: (فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ)(46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (الشعراء:48)

- فإن السحرة لما رأوا المعجزة تأكدوا بأن ما قاله موسى عليه السلام من دعوى النبوة حق، وأن ما أتى به عن طريق إلقاء العصا معجزة وليس من جنس السحر الذي تعودوا به، ووصلوا إلى ما لم يصله الآخرون، ولم يكتفوا بهذا التأكد الاضطراري والعجز في المقابلة بل آمنوا باختيارهم، وقالوا آمنا برب العالمين.

وذكروا في التصديق المعتبر في الإيمان: أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر والمخبر عنه.

- 20 والدليل على ذلك أن الإيمان تكليف، وكل ما هو من أنواع التكليف في الشريعة الإسلامية لا يكون إلا بالاختيار تحقيقاً للثواب والعقاب وتمشياً مع ما تقتضيه آية: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (الكهف: من الآية 29) وأيضاً من الأدلة على ضرورة الاختيار في الأمور التكليفية؛ إن الأمور الخارجة عن إختيار العبد إذا تعلق بها التكليف يكون تكليفاً بما لا يطاق، وهذا لا يعتبر في الشريعة كما لا يخفى.

25

5-التصديق عند علماء العقيدة يتطلب الأمن ولذلك يعبر عن التصديق بالإيمان؛ لأن المصدق جعل المصدق به آمناً من تكذيبه إذا كان باب آمن

(أصله ءامن) من الأبواب التي تكون همزته للتعدية، أو أن المصدق (بصيغة إسم المفعول) صار ذا أمن من أن يكون مكنوبا إذا كانت همزته للصيرورة. وذلك نظرا إلى القاعدة المعروفة في علم الصرف: إن همزة باب الإفعال إما للتعدية أو للصيرورة.

5 **لا يقال في الاعتراض:** إن باب الإفعال لا يتعدى بحرف الجر بل يتعدى بنفسه مثل: أكرمه وأعلمه والإيمان يتعدى بحرف الجر، فكيف يكون من باب الإفعال ؟ **والجواب:** أنه من باب الإفعال والقاعدة منطبقة عليه وأما تعديته بالباء في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة:3)

10 وباللهام في قوله تعالى: (قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) (الشعراء:111)

حكاية عما قال قوم نوح له، لدليل آخر وهو:

أنه يتضمن معنى الإقرار والاعتراف وهما يتعدان بحرف الجر، لأنه يقال: أقربه واعترف به، ويتعدى باللهام عند تضمينه معنى الإذعان، يقال: أذعن له وهذا التحليل اللغوي يمكن أن يكون دليلا لمن يعتبر الإقرار في 15 الإيمان ركنا أو شرطا حسب التفصيل الذي ذكرناه في سرد المذاهب. والآيات التي ذكر فيها الإيمان مع الباء (حرف الجر) كثيرة، ولذلك نرى أن بعض العلماء اعتبروا عنصر الإقرار ركنا وليس شرطا، ولكن النظر الدقيق يثبت أن ذكر حرف الجر (الباء) لا يمنع اعتبار الإقرار شرطا، ولا يخصص الإقرار بالركنية لأن قولنا: اعترفت بكذا، لا يمنع أن يكون الاعتراف 20 شرطا لشيء آخر.

وبعد ذكر أن الإيمان عند علماء العقيدة يؤخذ فيه مادة الكلمة وهو الأمن بالتفصيل الذي ذكرناه نقول:

هذا دليل آخر على أن التصديق العقدي غير التصديق المنطقي لأن 25 عنصر الأمن غير موجود في التصديق المنطقي لعدم اعتبار الصدق في التصديق المنطقي لأنه يطلق على الخبر الكاذب أيضا، لوجود شكليات التصديق: (الموضوع، والمحمول، والنسبة، والحكم) فيه. وبعدم ضرورة

- الصدق في التصديق المنطقي لا يعتبر فيه الأمن؛ فلا يكون معنى التصديق المنطقي ان يعتبر المصدق (بصيغة اسم الفاعل) المصدق به (بصيغة اسم المفعول) مأمونا من التكذيب حسب خصوصية باب الإفعال (كما شرحنا) فالتصديق المنطقي بحاجته إلى: الموضوع، والمحمول، والنسبة والحكم، وإطلاقه على القضية الصادقة والكاذبة على السواء يزول عنه المعنى اللغوي 5 للتصديق الذي تعتبر فيه مادة الصدق. وحينما نعرف القضية بقولنا:
- قول يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيها أوكاذب نعلن أن التصديق المرادف للقضية عند المنطقيين بعيد عن ما يقتضيه مصدر باب التفعيل. (التصديق) من حيث اللغة.
- 10 6-التصديق عند علماء المنطق لا يجري فيه الاعتبارات المختلفة، وأما التصديق عند علماء العقيدة فإن فيه طرق التصديق مختلفة، ويعين كل طريق حسب المصدق به، لأن التصديق بالله باعتبار بأنه الواحد الأحد المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص.
- 15 والتصديق بالرسول باعتبار آخر وهو أنه مبعوث من الله وهو صادق فيما أخبر به، وأمين في أداء الرسالة، وغير ذلك من الصفات التي يتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول الآخرون صلوات الله عليهم أجمعين. والإيمان بالملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون وهكذا في المعتقدات الأخرى حسب إيجابها. (1)

الباب الثالث

في بيان أقوال العلماء حول توجيه الأحاديث الواردة الدالة بدخول الأعمال في الإيمان. وبيان قول الإمام أبي حنيفة في خروج العمل عن ماهية الإيمان. إن هذا الموضوع مع كثرة تداوله بين العلماء لا يزال يحتاج إلى تحقيق دقيق يعين الموقف الصحيح ويخرج الناس من التردد والشبهات. وقبل الدخول في التفصيل نقول:

إن البحث حول هذا الموضوع يتطلب تمهيد المقدمات التالية:

1- معنى ركنية العمل في الإيجاب والفرق بينها وبين ركنية التصديق والإقرار.

2- الفروق الأساسية بين مذهبي المعتزلة والخوارج من طرف، ومذهب أهل الحديث من طرف آخر حتى لا نقع في الخطأ الفاحش وهو الخلط بين المذاهب كما حققنا قبل ذلك.

3- إن الركنية لها اعتباران وذلك تماماً مثل ركنية أعضاء الإنسان فمثلاً: رأس الإنسان ركن له ويده أيضاً ركن له ولكن بزوال الأول لا يبقى الإنسان حياً وبزوال الثاني يبقى حياً. وقد ذكرنا قبل هذا

4- العمل في أقوال علماء العقيدة يعم الجنان والأركان وهذا التعميم يتسبب في توجيه قول من يقول: الإيمان قول وعمل ويريد به عمل القلب

5- قبول الزيادة والنقصان من نتائج القول بدخول العمل في الإيمان، والقرآن الكريم ذكر الزيادة في عدة آيات مع العلم بأن الزيادة تنقسم إلى الكمية والكيفية.

وبعد القول بهذا التعميم لا يمكن أن نجعل قبول الزيادة والنقصان دليلاً على دخول الأعمال في الإيمان؛ لأن الزيادة في الكيفية أي القوة، والنقصان فيها، أي الضعف، لا تنافي الإيمان تصديقا وإقرارا أي جزءان كما ويتقبلان الزيادة والنقصان كيفاً مع ملاحظة ما ذكرنا من أن الكمية فيما نحن فيه تشبيهي وليس كمية حقيقية.

نصوص أقوال المحدثين:

الأول: نص ما ذكره الإمام البخاري في كتاب الإيمان بقوله: باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم: بنى الإسلام على خمس وهو قول، وفعل يزيد وينقص قال الله تعالى:

(ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) و (زدناهم هدى) و (يزيد الله الذين إهتدوا هدى) وقوله تعالى: (الذين آمنوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) و (يزداد الذين آمنوا إيماناً) وقوله تعالى: (أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) وقوله جل ذكره: (فاخشوهم فزادهم إيماناً) وقوله تعالى: (وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً).

والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: أن للإيمان فرائض؛ وشرائع؛ وحدوداً؛ وسنناً، فمن إستكملها إستكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. فإن أعش فسأبينها لكم؛ حتى تعلموا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، وقال إبراهيم عليه السلام: (ولكن ليظمنن قلبي) وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة. وقال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله. وقال ابن عمر: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر. وقال مجاهد: شرع لكم أوصيناك يا محمد وإياه ديناً واحداً. وقال ابن عباس: شرعة ومنهاجه سبلاً وسنة).

وما ذكره الإمام البخاري يتطلب عدة توضيحات:

1- تكميل الآيات التي ذكر منها شيئاً وبيان السور التي تقع فيها، والتفسير الإجمالي لهذه الآيات الكريمة:

الآية الأولى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح:4) عن ابن عباس رضى الله عنهما: أول ما آتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده، أنزل الصلاة والزكاة؛ ثم الحج ثم الجهاد، فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم. أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا بإعتقاد ذلك إيماناً إلى إيمانهم. وقيل أنزل الله فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم.

الآية الثانية: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (الكهف:13) نبأهم أي خبرهم والفتية جمع فتى، والهدى الدلالة الموصلة إلى المطلوب (في هذه الآية وإن كان من حيث المعنى الأصلي أعم من أن تكون موصلة إلى المطلوب أو بمعنى الإرشاد إلى الطريق). وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت.

الآية الثالثة: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) (مريم:76) أي يزيد الله المهتدين هداية بتوفيقه والمراد من الباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها، وقيل الصلوات، وقيل: سبحان الله

والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر. أي هي خير من مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا وعاقبة.

الآية الرابعة: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد: 17)

أي زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها.

الآية الخامسة: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا

فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (المدثر: 31) أي وما جعلنا عدة الملائكة الذين يلون أمر جهنم؛ لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله، وبالغضب له، ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا والتقدير: لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين.

الآية السادسة: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ

إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124) أي فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أياكم زادته هذه السورة إيمانا يقولون هذا القول إنكارا واستهزاء بالمؤمنين، وباعتقاد المؤمنين زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به.

الآية السابعة: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران: 173) المراد من الناس الأول نعيم بن مسعود الأشجعي، ومن الناس أهل مكة، وروي أن أبا سفيان نادى عند إنصرافه من أحد: يا محمد موعدنا موسم بدر نقابل إن شئت.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن شاء الله. فلما كان القابل خرج أبوسفيان في أهل مكة حتى نزل من الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي؛ وقد قدم معتمرا، فقال: يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر، وإن هذا عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي، ولكن إن خرج محمد، ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبتهم ولك عندي عشر من الإبل.

فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرأي. أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً، أفتريدون أن تخرجوا، وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد.

وقيل: مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة، فجعل لهم حمل بغير من زبيب أن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في 70 ركباً وهم يقولون: **(حسبنا الله ونعم الوكيل)**. وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً (ولم يأت أبو سفيان الموسم وألقى الله الرعب في قلبه)، ورجعوا سالمين غانمين. فخرج أبو سفيان إلى مكة فسمي أهل مكة جيشه **جيش السويق**، وقالوا: إنما خرجتم لتشربوا السويق.

الآية الثامنة: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب: 22)
أي وما زادهم إلا إيماناً بالله؛ ولم يطرأ عليهم أي خوف من الأحزاب وإلا تسليماً لقضاء الله وقدره.

هذا ما كان ضرورياً في بيان الآيات كاملة وشرح شيء من تفسيرها.
لا يقال في الاعتراض على الإمام البخاري رحمه الله؛ بأنه في صدد إثبات أن الإيمان قول وفعل، ترك شيئاً هاماً يتفق العلماء على ضرورة اعتباره ركناً أساسياً للإيمان، وهو التصديق لأننا نقول في الجواب:

لا نزاع في أن التصديق لا بد منه، والكلام في الفعل والعمل هل هو داخل في الإيمان؟ أم لا؟ ولذلك ركز عليه، ويمكن الجواب: بأن القول بدخول العمل في الإيمان قول بدخول التصديق؛ لأن الفعل أعم من أن يكون فعل الجوارح أو فعل القلب فيدخل فيه التصديق الذي من أفعال القلب.

ولا يخفى أنه يريد إثبات قبول الإيمان الزيادة والنقصان، وأما الآيات التي استدلت بها فإن فيها الزيادة، **إلا أن يقول: كل ما يقبل الزيادة يكون قابلاً للنقصان؛** فيصح استدلاله بما يريد إثباته من قبول الإيمان الزيادة والنقصان، وعن طريق هذا القبول؛ القول بدخول الأعمال في الإيمان.

وما استدلت به الإمام البخاري رحمه الله في دخول الأعمال في الإيمان يلخص في:

أ – الآيات التي ذكرت فيها زيادة الإيمان بالطريق الذي ذكرنا.

ب - الأحاديث التي تدل على أن الحب في الله، والبغض في الله من الإيمان فذكر إجمال ما يدل على أن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان، والتفصيل في الأحاديث الواردة بهذا الشأن منها:

1- حديث: **أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**. رواه أبو داود بإسناده إلى أبي ذر رضى الله عنه مرفوعاً.

2 - حديث رواه ابن عيينة في مصنفه وقال: حدثنا زيد بن الحباب عن الصعق بن حرب قال حدثني عقيل الجعد عن أبي إسحاق، عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**.

3 - حديث رواه الترمذي عن أنس الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من أعطى الله، ومنع الله، وأحب الله، وأبغض له فقد استكمل الإيمان. وفي رواية أبي داود بهذه العبارة: **من أحب له، وأبغض له، وأعطى له، ومنع له فقد استكمل الإيمان.**

ج - **ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: أن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً، وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص.**

وما استدلل به البخاري بما كتب عمر بن العزيز رحمه الله يكون في محله إذا كان القول بأن **للإيمان⁽¹⁾ فرائض** وشرائع إلى آخره؛ كما هو في رواية أبي الحسن عبد الرحمن بن عمر بن يزيد، فيكون الإيمان مبتدأً، وفرائض وشرائع خبره، ونظراً إلى أن الخبر يكون محمولاً على المبتدأ ومتحدداً معه تكون الشرائع

(١) قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور في مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا - باب - حديث: 29831، عدي بن عدي قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز " أما بعد فإن **للإيمان فرائض** وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت قبل ذلك فما أنا على صحبتكم بحريص "

وفي مصنف ابن أبي شيبة أيضاً ما قالوا في صفة الإيمان - حديث: 29708 قال سيدنا علي عليه السلام: " الإيمان يبدأ نقطة ببيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت بياضاً حتى يبيض القلب كله، والنفاق يبدأ نقطة سوداء في القلب، كلما ازداد النفاق ازدادت سواداً، حتى يسود القلب كله، والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود "

والفرائض عين الإيمان، وأما رواية: إن للإيمان فرائض وشرائع بزيادة حرف الجر (لـ) في الإيمان بحيث يصير خبراً مقديماً، وفرائض وشرائع مبتدأ مؤخرًا، ويكون تقديم الخبر على المبتدأ مصححاً، لكون النكرة مبتدأ فلا يصح استدلال البخاري به؛ إذ يظهر منه أن الإيمان شيء آخر غير العمل، وله فرائض وشرائع (كما صرح بذلك الكرمانى أيضاً)، ومآل الأول أن الإيمان هو العمل. ومآل الثاني أن للإيمان عمل، وهذا ما لا ينكره أحد بأن الأعمال مرتبطة بالإيمان وله أعمال، **والخلاف في أن العمل هو نفس الإيمان أو شيء مغاير له.**

علما بأن رواية: **الإيمان فرائض ورد برواية ابن أبي شيبة (١) فيكون الفرائض وأخواتها عين الإيمان** وكذلك في رواية ابن عساكر كما ورد: الإيمان فرائض برواية أبي الحسن عبد الرحمن، وعلى كل حال فإنه لا يصح التأكد بالاستدلال على ما كتبه عمر بن عبد العزيز؛ لمجيئه بروايتين، وكل منهما يدل على معنى غير ما يدل عليه الآخر؛ فلا يكون الاستدلال يقينياً بل احتمالياً. وأيضاً معنى: فمن استكملها أي استكمل الفرائض ونحوها؛ لا الإيمان فجعل الكمال لها لا للإيمان فيكون الكمال مباشرة مرتبطة بالأعمال وعن طريقها راجعا للإيمان.

د - الاستدلال بالآية القرآنية الدالة على الاطمئنان في الحكاية عن إبراهيم عليه السلام: **ولكن ليطمئن قلبي.** وهذا الاستدلال على قبول الزيادة؛ لأنه إذا انضم عين اليقين إلى علم اليقين فلا شك أنه يكون الإيمان أقوى. والمتعمق في هذه الآية يعرف أن الإيمان كمل قبل هذه المرحلة بدليل قول إبراهيم عليه السلام في جواب قول الله: **(أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** (البقرة: من الآية 260)؛ فيكون الاطمئنان زائداً على أصل الإيمان الواجب، وبذلك يكون قصد إبراهيم عليه السلام الاطمئنان الذي يغيّر ما هو الواجب، وأزيد بما هو اللازم من أصل الإيمان، وبذلك لا يصح الاستدلال به يقيناً بل احتمالياً وظنياً.

هـ - ما نقل عن معاذ ابن جبل: اجلس بنا نؤمن ساعة: فإن هذا القول لا يدل على أصل الإيمان؛ لأن معاذاً كان مؤمناً، وأي مؤمن؛ فالمراد كما ذكره

(١) قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: يشير الدكتور إلى رواية كتاب الإيمان لابن أبي شيبة - ما ذكر في الإيمان - حديث: 132: عن عدي بن عدي، قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن **الإيمان فرائض**، وشرائع، وحدود، وسنن، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أنا مت قبل ذلك فما أنا على صحبتكم بحريص

النووي. أو معناه: نتذاكر الخير وأحكام الآخرة وأمور الدين فإن ذلك إيمان. قال ابن المرباط: نتذاكر ما يصدق اليقين في قلوبنا لأن الإيمان هو التصديق. (1)(2)

١ (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج 1 ص 115
٢ (قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: في (الإيمان) لابن سلام بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله - باب الزيادة في الإيمان والانتقاص منه - حديث: 19:

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، قال: **قال معاذ بن جبل لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة يعني: نذكر الله.** وبهذا القول كان يأخذ سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس، يرون أعمال البر جميعا من الزيادة في الإسلام، لأنها كلها عندهم منه وحببتهم في ذلك ما وصف الله به المؤمنين في خمس مواضع من كتابه، منه قوله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران: 173)

وقوله: (لَيَسْتَفِيقَنَّ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) (المدثر: من الآية 31) وقوله: (لَيَزِدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح: من الآية 4)، وموضع آخران قد ذكرناهما في الباب الأول، فاتبع أهل السنة هذه الآيات، وتأولوها أن الزيادات هي الأعمال الزاكية. **وأما الذين رأوا الإيمان قولاً ولا عمل فإنهم ذهبوا في هذه الآيات إلى أربعة أوجه:**

أحدها: أن قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمال الفرائض، مثل الصلاة والزكاة وغيرها، والزيادة بعد هذه الجمل وهو أن تؤمنوا بأن هذه الصلاة المفروضة هي خمس، وأن الظهر هي أربع ركعات، والمغرب ثلاثة وعلى هذا رأوا سائر الفرائض.

والوجه الثاني: أن قالوا: أصل الإيمان الإقرار بما جاء من عند الله، والزيادة تمكن من ذلك الإقرار.

والوجه الثالث: أن قالوا: الزيادة في الإيمان الزيادة من اليقين.

والوجه الرابع: أن قالوا: إن الإيمان لا يزداد أبداً، ولكن الناس يزدادون منه.

وكل هذه الأقوال لم أجد لها مصدقا في تفسير الفقهاء، ولا في كلام العرب، فالتفسير ما ذكرناه عن معاذ حين قال: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيتوهم على مثله أن يكون لم يعرف الصلوات الخمس، ومبلغ ركوعها وسجودها إلا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فضله النبي صلى الله عليه وسلم على كثير من أصحابه في العلم بالحلال والحرام، ثم قال: " يتقدم العلماء برتوه " ؟ هذا لا يتأوله أحد يعرف معاذاً.

وأما في اللغة: فإننا لم نجد المعنى فيه يحتمل تأويلهم، وذلك كرجل أقر له رجل بألف درهم له عليه، ثم بينها، فقال: مائة منها في جهة كذا، ومائتان في جهة كذا، حتى استوعب الألف، ما كان هذا يسمى زيادة، وإنما يقال له: تلخيص وتفصيل، وكذلك لو لم يلخصها، ولكنه ردد ذلك الإقرار مرات، ما قيل له زيادة أيضاً، إنما هو تكرير وإعادة، لأنه لم يغير المعنى الأول، ولم يزد فيه شيئا فأما الذين قالوا: يزداد من الإيمان، ولا يكون الإيمان هو الزيادة، فإنه مذهب غير موجود، لأن رجلا لو وصف ماله فقيل: هو ألف، ثم قيل: إنه ازداد مائة بعدها، ما كان له معنى يفهمه الناس إلا أن يكون المائة هي الزائدة على الألف، وكذلك سائر الأشياء، فالإيمان مثلها، لا يزداد الناس منه شيئا، إلا كان ذلك الشيء هو الزائد في الإيمان وأما الذين جعلوا الزيادة ازدياد اليقين فلا معنى لهم، لأن اليقين من الإيمان، فإذا كان الإيمان عندهم كله برمته إنما هو الإقرار، ثم استكملوه هؤلاء المقرون بإقرارهم، أفليس قد أحاطوه باليقين من قولهم فكيف يزداد من شيء قد استقصي وأحيط به ؟ رأيتم رجلا نظر إلى الناس بالضحى حتى أحاط

و- ما نقله عن أبي مسعود رضى الله عنه: اليقين الإيمان كله. ووجه الاستدلال به إن كلمة (كل) لا يؤكد به إلا ذو أجزاء يصح افتراقها حسا أو حكما فعلم منه أن للإيمان كلا وبعضا فيقبل الزيادة والنقصان.

وأیضا روي عن ابن مسعود أنه كان يقول: **اللهم زدنا إيمانا و يقينا وفقها** ⁽¹⁾. وهذا الاستدلال في قبول الإيمان الزيادة والنقصان، لا يعتبر تاما إذا التعبير باليقين يرجح جانب الاعتقاد في الإيمان لا جانب العمل لأنه ثبت عند العلماء في تعريف اليقين بأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يزول بتشكيك المشكك. وحينما يقول ابن مسعود: اليقين الإيمان كله يجعل الإيمان اعتقاداً.

وأما الاستدلال بذكر كلمة كل بأنها لا تستعمل إلا في ما يكون ذا أجزاء فإنه لا يتمشى مع كلمة (يقين) لأن اليقين علم في مرتبة معينة؛ وهي مرتبة الوصول إلى درجة مئة بالمئة وان ذكر الكل لا يدل على الأجزاء إلا فيما يكون له أجزاء؛ فهذه الكلمة تفيد التأكيد المحض من غير النظر إلى إفادة مجموع الأجزاء.

مثلا حينما نقول: الحق خير كله؛ أو أن هذا العمل خير كله، لا يدل هذا القول على الاشتمال على الأجزاء، وأيضا أن الاستدلال بقول ابن مسعود رضى الله عنه في قوله: (اليقين الإيمان كله) استدلال بخروج الأعمال عن الإيمان؛ لأنه جعل اليقين كل الإيمان فلم يبق أي شيء خارجا عن الإيمان بعد اعتبار اليقين، وهذا يطابق تماما مذهب القائلين بعدم دخول الأعمال في الإيمان.

وأما الرواية الأخرى وهي: (اللهم زدنا إيمانا و يقينا وفقها)، فإنه يدل على الزيادة فقط ويمكن أن نقول: المقصود من الزيادة في القوة. أي: اللهم اجعل إيماننا قويا بحيث لا يعرضه الشك واحفظه من الضعف والخلل والتردد. فلا يكون دليلا على ما ساقه الإمام البخاري رحمه الله من دخول الأعمال في الإيمان.

ز - ما نقل عن ابن عمر رضى الله عنهما: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر. ذكر الكرمانى في شرحه لصحيح البخاري ⁽²⁾

عليه كله بضوئه، هل كان يستطيع أن يزداد يقينا بأنه نهار، ولو اجتمع عليه الإنس والجن هذا يستحيل ويخرج مما يعرفه الناس) انتهى.

⁽¹⁾ قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: الرواية في السنة لأبي بكر بن الخلال - جامع الإيمان والتسليم - حديث: 1124، وفي السنة لعبد الله بن أحمد - سئل عن الإيمان والرد على المرجئة - حديث: 714.

⁽²⁾ شرح الكرمانى على صحيح البخاري ج 1 ص 75

حقيقة التقوى أي الإيمان؛ لأن المراد من التقوى وقاية النفس عن الشرك، وفيه إشعار بأن بعض المؤمنين بلغوا إلى كنه الإيمان وبعضهم لا. فيجوز الزيادة والنقصان. **وفي بعض الروايات بدل التقوى لفظ الإيمان.**

وما ذكره الكرمانى في توجيه قول الإمام البخارى نظر لان قوله: بعض المؤمنين بلغوا كنه الإيمان وبعضهم لا، تقسيم للمؤمنين إلى قسمين، وهذا لم يقل به أحد من علماء العقائد لأن الشخص إما أن يكون مؤمناً أولاً يكون مؤمناً، وأما الوصول إلى كنه الإيمان فهذا اصطلاح جديد ذكره الكرمانى وبكل جرأة.

وذكر صاحب عمدة القارى في شرحه لصحيح البخارى: التقوى الخشية قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا) (لقمان: من الآية 33) وكذلك في قول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: (إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (الشعراء: 106) أي ألا تخشون الله - وذكر آيات أخرى تدل على أن التقوى عبارة عن الخشية من الله. وأيضاً أن كلمة التقوى في قول الله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (الفتح: من الآية 26)

بمعنى التوحيد والتوبة (1) ومع كل هذه التوجيهات لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث على قبول الإيمان الزيادة والنقصان؛ لأن التقوى والخشية والخوف من الله والخوف من عذاب الآخرة كلها من آثار الإيمان، وليس نفس الإيمان كما يدل ذكر التقوى في (248 تقريباً) مواضع من القرآن الكريم بالصيغ المختلفة مصدراً، واسم الفاعل كأمر مرتب على الإيمان لا نفس الإيمان. وأما معنى ما حاك في الصدر أي ما يقع في القلب ولا ينشرح له صدره وخاف الإثم فيه

ج - ما نقله عن مجاهد: شرع لكم أوصيناك يا محمد وإياه ديناً واحداً. يستدل بقول مجاهد رضى الله عنه في تفسير آية: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى: 13)

ووجه الاستدلال أن شرع الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم، فجعل الدين ما وصى له نوحا، والأنبياء السابقين وهويزيد وينقص؛ فدل على أن الإيمان قابل للزيادة والنقصان، وهذا الذي يستدل به الإمام البخارى يمكن القول فيه بأنه لا يدل دلالة واضحة على

(1) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ج 1 ص 116

قبول الإيمان الزيادة والنقصان، وغاية ما في الباب جعل التوصيات ديناً وهو يطلق على الإيمان والأعمال جميعاً؛ أي إن اصطلاح الدين يطلق على الإيمان والأعمال، وليس كلامنا فيه، والكلام في أن الإيمان يشمل الأعمال؟ أم لا؟ وأما شمول الدين للأعمال فلا خلاف فيه، ولا يكون دليلاً معتبراً في قبول الإيمان الزيادة والنقصان.

هـ - ما استدل بتفسير ابن عباس رضى الله عنه لقوله تعالى: شرعة ومنهاجاً في آية: (لَكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) (المائدة: من الآية 48) سبلاً وسنة.

وتمام الاستدلال: أن الشرعة (الشريعة) ما شرع الله لعباده من الدين. فإن قلت ما الجمع بين مقتضى الآية الأولى من اتحاد شرعة الأنبياء ومقتضى الآية الثانية من: أن لكل شرعة. والجواب: الاتحاد في أصول الدين والتعدد في فروعه. وما ذكر في بند (ح) من أن استدلال الإمام البخاري فيه كلام يجرى هنا أيضاً إذ كل ما يظهر في الآية أن لكل شريعة وطريق، وهذا لا يدل صراحة على قبول الإيمان الزيادة والنقصان.

و- ما ذكره الإمام البخاري في هذا الباب أحاديث تدل على قبول الإيمان الزيادة والنقصان من:

حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) (1).
حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (2).
وأحاديث أخرى اعتبرها الإمام البخاري رحمة الله عليه من أدلة قبول الإيمان الزيادة والنقصان.

وأما ما ذكره البخاري في باب دعائكم إيمانكم. قال الإمام ابن بطال: معنى قول ابن عباس: لولا دعائكم الذي هو زيادة في إيمانكم وقد وقع في كثير من نسخ البخاري هنا بهذه العبارة: (باب دعائكم إيمانكم) وهذا غلط والصواب العبارة التالية: دعائكم إيمانكم - من غير ذكر الباب يقصد به البخاري بأن الدعاء في

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم في كتاب الإيمان وأخرج أبو داود في كتاب السنن وابن ماجه في المقدمة وأحمد في باقي مسند المكثرين.

(2) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي كلهم في كتاب الإيمان، والترمذي في صفة القيامة والرقائق وابن ماجه في المقدمة وأحمد في باقي مسند المكثرين، والدارمي في الرقائق.

الآية: (قُلْ مَا يَغِبُّ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (الفرقان: 77) بمعنى الإيمان، وأما ذكر الباب فلا علاقة له بما سيأتي من حديث يأتي بعد ذلك من رواية ابن عمر رضى الله عنهما بأنه بنى الإسلام على خمس إلى آخر الحديث.

ذكر الكرمانى في شرحه لصحيح البخارى توجيه قبول الإيمان الزيادة والنقصان أن القائلين بقبول الإيمان للزيادة والنقصان يرون أن الإيمان يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان وعلى الأعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه الأمور وينقص بنقصانها. وبعد ذكر هذا التوجيه يقول:

وأكثر المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه وقالوا: متى قبل الزيادة، والنقص كان شكا وكفرا. وقال المحققون منهم نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص؛ بزيادة ثمراته ونقصانها وهي الأعمال.

قال: والمختار خلافه، وهو أن نفس التصديق أيضاً يزيد وينقص، بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولذا يكون إيمان الصديقين أقوى؛ بحيث لا يتزلزل إيمانهم بعارض، ولا يتشكك عاقل في أن تصديق أبي بكر الصديق رضى الله عنه لا يساويه تصديق أحاد الناس، وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه، وهذا المعنى أراد البخارى في صحيحه بالأبواب الآتية بعد هذا كقوله:

باب أمور الإيمان. باب الصلاة من الإيمان. باب الجهاد من الإيمان، وأراد الرد على المرجئة في قولهم: الإيمان قول بلا عمل. وقال: اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين؛ على أن المؤمن الذي يحكم عليه بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار. لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام، ونطق مع ذلك بالشهادتين فإن اقتصر على أحدهما لا يكون من أهل القبلة أصلاً؛ بل يخلد في النار، إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن بسبب تعجيل الموت قبل النطق بالشهادتين فإنه حينذاك يكون مؤمناً، – والمعنى الذي يتحقق به العبد المدح والموالاة من المؤمنين هو الإتيان بالأمور الثلاثة (التصديق والإقرار والعمل) حينما يذكر هذا القول نقلاً عما ذكره ابن بطال يقول:

ولا خلاف في أنه لو أقر وعمل بلا اعتقاد أو اعتقد وعمل، وجدد بلسانه لا يكون مؤمناً؛ فكذا لو أقر واعتقد ولم يعمل الفرائض لا يسمى مؤمناً بالإطلاق ثم يعقب على هذا الكلام بقوله:

لعل مراده (ابن بطال) كمال الإيمان لا أصل الإيمان ونفسه، وإلا فكل من ترك فرضاً مرة فلا يكون مؤمناً، وهو مشكل مع أنه يثبت أنه كان من أقر باللسان سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً على الإطلاق (1)

وعند اعتبار كمال الإيمان في العمل، وأن العمل لا يؤثر في زوال أصل الإيمان يكون الاختلاف بين علماء العقائد لفظياً وشكلياً لأن من يقول: العمل من الإيمان يريد أنه مكمل للإيمان، ومن يقول العمل ليس داخلياً في الإيمان يريد أن زوال العمل لا يكون سبباً لزوال الإيمان؛ كما ذكرنا قبل ذلك، ومن المؤلفين الذين ذكروا رجوع الاختلاف بين أهل السنة إلى الاختلاف اللفظي أبو العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية إذ يقول:

ثم بعد هذا الاتفاق بين أهل السنة (يشير إلى ما ذكره أن أهل السنة والجماعة متفقون في الحقائق المرتبطة بالإيمان ويذكر ذلك بالتفصيل) اختلفوا اختلافاً لفظياً لا يترتب عليه فساد وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، كفر دون كفر؟ كما اختلفوا في: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دون إيمان؟ وهذا الاختلاف ينشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل هو قول وعمل يزيد وينقص؟، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من الممتنع أن يسمى الله سبحانه تعالى الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافراً، ولا نطلق نحن عليه اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. قال هو كفر عملي (أي أن الحاكم بغير ما أنزل الله إذا لم يكن منكراً بما أنزل الله فهو كافر عملي وليس كافراً اعتقادياً)، والكفر عنده على مراتب كفر دون كفر كالإيمان عنده. ومن قال أن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان. والكفر هو الجحود. فلا يزيدان ولا ينقصان، وأيضاً سمي الكفر العملي كافراً مجازياً غير حقيقي؛ إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسميته بعض الأعمال بالإيمان كقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة: من الآية 143) أي صلاتكم إلى بيت المقدس: إنما سميت الصلاة إيماناً مجازاً لتوقف صحتها على الإيمان أو لدالاتها على الإيمان: إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى كصلاتنا. فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين بظاهرها وباطناتها بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما تواتر عنهم أنهم من أهل

(1) الكرمانى ج 1 ص 76 - 77

الوعيد ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول: بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة، ولكن أردأ ما في ذلك التعصب من بعضهم وإلزامه لمن يخالف قوله لما لا يلزمه والتشنيع عليه. وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)** (المائدة: من الآية 8) وهذا أمر يجب أن يفطن له وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة. وقد تكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً، وإما كفراً أصغر؛ على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا الكفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستقراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطأه مغفور) انتهى كلام أبي العز الحنفي. ⁽¹⁾، والمتعمق فيما ذكره أبو العز الحنفي رحمه الله يدرك تماماً أن الحق واضح وأن أهل السنة يخالفون المعتزلة والخوارج في قضية الإيمان ولا يختلفون فيما بينهم اختلافاً حقيقياً.

يقول أبو العز في موضع آخر: من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً. ومن مادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون⁽²⁾.

النص الثاني من أقوال المحدثين: النص الثاني من أقوال المحدثين المعروفين من أئمة الحديث قول الإمام مسلم في صحيحه ونذكر منه:

1 - حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وعثمان بن أبي شيبة كلاهما عن جرير قال يحيى أخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان قال سمعت جابراً يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **إن بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة.**

⁽¹⁾ شرح العقيدة الطحاوية تأليف أبي العز الحنفي ص 239 - 240. ومن العجيب أن هذا الكلام العلمي الصادر من أبي العز الحنفي رحمه الله لم يعجب الشيخ الألباني فذكر في رسالته المسماة بـ (العقيدة الطحاوية شرح وتعليق) وقال: إن النزاع ليس لفظياً، وذكر دلائل غير مقبولة منها: ما ذكره في صفحة 43 من هذا الكتاب بأنه يعرف شخصاً من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية فأبى قائلاً: لو لا إنك شافعي. ولو فترض أنه حصل هذا الأمر من شخص واحد فلا يعتبر دليلاً على التعصب والاختلاف الحقيقي بين الحنفية والشافعية بحيث يكون بعيداً عن الاختلاف اللفظي.

⁽²⁾ شرح العقيدة الطحاوية تأليف أبي العز الحنفي ص 236

2 - حدثنا أبو غسان المسمعي حدثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريح قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.**

3 - حدثنا منصور بن مزاحم حدثنا إبراهيم بن سعد، ح، وحدثني محمد بن جعفر أبي زياد أخبرنا إبراهيم يعني ابن سعد ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: **سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله)، قال: ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)، قال: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)، وفي رواية محمد بن جعفر قال: (إيمان بالله ورسوله).**

1- حدثني أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة، ح، وحدثنا خلف بن هشام واللفظ له، حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه؛ عن أبي مرواح الليثي قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟

قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله)، قال قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: (أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا)، قال: قلت فإن لم أفعل؟ قال: (تعين صانعًا أوتصنع لأخرق)، قال: قلت يا رسول الله! أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: (تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك).

نرى في الحديث الأول والثاني ما يدل على أن الصلاة كعمل يكون تركه سببا للكفر والشرك، وفي الحديث الثالث جعل الإيمان بالله تعالى والجهاد والحج في مرتبة واحدة؛ من حيث العمل ويظهر منه أن الإيمان شيء والعمل شيء آخر. وهكذا في الحديث الرابع ما يظهر منه أن الإيمان جنب العمل وهو لا يشمل العمل.

وقد ذكر النووي في توجيه الحديثين الأولين التفصيل الآتي:

مقصود مسلم رحمه الله بذكر هذين الحديثين هنا أن من الأفعال ما تركه يوجب الكفر إما حقيقة وإما تسمية. فأما كفر إبليس بسبب الجحود فمأخوذ من قوله تعالى:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: 34)، قال جمهور العلماء: معناه كان في علم الله تعالى من الكافرين، وقال بعضهم: وصار من الكافرين كقوله تعالى: **(وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (هود: من الآية 43).**

وأما تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج عن ملة الإسلام؛ إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين

مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس؛ فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف؛ إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدا؛ كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله، وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رحمه الله، وذهب أبو حنيفة رحمه الله وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي. احتج من قال بكفره بظاهر الحديث الثاني المذكور وبالقياس على كلمة التوحيد واحتج من قال: لا يقتل بحديث: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث وليس فيه الصلاة، واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: من الآية 48)، وبقوله صلى الله عليه وسلم:

- من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

- و: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة لا يلقي الله تعالى عبد

بهما غير شاك فيحجب عن الجنة.

- حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله. وغير ذلك. واحتجوا على قتله

بقوله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: من الآية 5).

- وقوله صلى الله عليه والسلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

إلا الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم) وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة).

على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل أو أنه محمول

على المستحل، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم انتهى كلام النووي. (1)

وقد ذكر الإمام مسلم في صحيحه أحاديث غير ما ذكرنا بعضها يدل على

دخول الأعمال في الإيمان وبعضها على عكسه مثل: حديث رواه الإمام مسلم

بسند عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(1) شرح النووي على صحيح مسلم ج2 ص 70 - 71

(ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً؛ وبالإسلام ديناً؛ وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً) وبوب له النووي وقال: باب الدليل على أن من رضى بالله رباً؛ وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي.

ثم يذكر الحديث ويبين أن معنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه؛ ثم نقل عن القاضي عياض معنى الحديث بالآتي:

صح إيمانه واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضى أمراً سهلاً عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله ولذت له، والله أعلم. ⁽¹⁾

حديث رواه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**، وحديث رواه أيضاً بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الإيمان بضع وسبعون أوبضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).**

إن مقتضى هذا الحديث مغاير تماماً عن الحديث السابق الذي يدل على عدم دخول الأعمال في الإيمان، وهذا الحديث صريح في تبعية الإيمان وتجزئته حتى يصل إلى: أن المرتبة الأدنى منه إزالة الأذى عن الطريق.

هكذا توجد أحاديث أخرى صحيحة معتبرة تدل على دخول الأعمال في الإيمان، وحينما نقارن بين هذه الأحاديث والأحاديث الدالة على أن الإيمان عبارة عن التصديق وليس للعمل أي دخل فيه؛ نتأكد بأن الموضوع يحتاج إلى كمال الدقة لأنه لا يمكن أن يكون في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم تعارض (العياذ بالله) أو هناك اضطراب فيما يرتبط بأصول الدين.

وللوصول إلى ما يوضح الطريق ويزيل الخفاء نحتاج إلى تمهيد مقدمات

وهي:

⁽¹⁾ شرح النووي لصحيح مسلم ج2 ص2

أصل الإيمان التوحيد وهو متعين على كل أحد ولا يصح ترتب أي عمل إلا بعد صحة التوحيد شرعا.

1- إن كلام علماء العقائد في استدلال بعضهم على دخول الأعمال في الإيمان وبعضهم على عدم دخولها؛ يؤول إلى الرد على المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهؤلاء في طرف والخوارج في طرف؛ فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار.

2- إن أهل السنة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينتقل عن الملة بالكلية؛ كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينتقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي قصاص في حق القاتل الذي يعتبر عمله كفرا. وأيضا لا تجرى الحدود في الزنى والسرقة وشرب الخمر كما أن كلهم متفقون ببقاء الإيمان مع ارتكاب الكبائر بدليل نص: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) (البقرة: من الآية 178)، فإن الله تعالى لم ينف الإيمان عن القاتل ونص: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: من الآية 178)، وجعل الله القاتل أخا لولي القصاص والمراد الأخوة في الدين بلا ريب. وآية: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا) (الحجرات: من الآية 9)، وآية: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات: 10) ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد. وهذا دليل على بقاء الإيمان فيه.

4 - الكفر يطلق على الكفر الحقيقي والكفر المجازي. أما الأول فهو الذي ينقل عن الملة، وأما الكفر المجازي؛ أو الكفر الأصغر، ونذكر كلا النوعين في المثال فإن الحكم بغير ما أنزل الله ينقل عن الملة إذا كان الحاكم معتقدا بأن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا أو كفرا أصغرا (وقد بينا ذلك فيما سبق) وبهذا التقسيم يمكن القول بأن الإيمان أيضا

يطلق على بعض الأعمال مجازاً كما في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)** (البقرة: من الآية 143).

أي صلاتكم إلى بيت المقدس. وإنما سميت الصلاة نحو البيت المقدس إيماناً مجازاً لدلالاتها على الإيمان إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً.

5 - ليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين ظاهراً وباطناً بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة.

6 - إن التعصب في قضية ترتبط بالإيمان والعمل لا يليق بحال العلماء؛ لأننا مأمورون بالعدل في مجادلة الكافرين فكيف لا نعدل فيما يرتبط بأمرنا نحن المسلمين. قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ..)** (المائدة: 8)

7 - إن العقيدة بالتوبة التي وردت في عدة آيات من القرآن الكريم يجعل الموقف واضحاً وهو: إن التوبة في مقابل الذنب وعند بقاء الإيمان والتوبة النصوح لا يختص بذنوب دون ذنب وليس شيء يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة قال الله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** (الزمر: 53)

وقال الله تعالى: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً)** (مريم: 60)، وقوله: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)** (الفرقان: 70) وقال الله تعالى: **(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** (البقرة: 160) وغيرها من الآيات الدالة على التوبة⁽¹⁾. ⁽²⁾

وقد ذكر العلماء عدة أسباب لسقوط عقوبة جهنم عن مرتكب الذنب:

⁽¹⁾ قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: وإليك الآيات **(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** (آل عمران: 89)

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً) (النساء: 146)

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة: 34)

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور: 5)

⁽²⁾ لقد ذكرنا بعض هذه القضايا المرقمة بالأرقام قبل ذلك ولا يعتبر تكراراً لأن ما ذكر قبل ذلك كان نقلاً عن أبي العز الحنفي، وما يذكر هنا هو كلام الباحث أخذاً من المراجع وقبوله هذه المقدمات.

الأول - التوبة كما ذكرنا.

الثاني - الاستغفار: قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا

كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال:33)

إن الاستغفار تارة يذكر وحده وتارة يذكر مقارنا بالتوبة فإن ذكر وحده دخل معه التوبة. كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار فالتوبة تتضمن الاستغفار والاستغفار تتضمن التوبة وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

الثالث - الحسنات: قال الله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود:

من الآية 114)، وقال صلى الله عليه وسلم: (وَأَتْبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا).⁽¹⁾

الرابع: المصائب الدنيوية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يصيب

المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر به من خطاياها.⁽²⁾

إن المصائب مكفرة وبالصبر عليها يثاب العبد وبالتسخط يآثم فالصبر والتسخط أمر آخر غير المصيبة؛ فالمصيبة من فعل الله تعالى لا من فعل العبد وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويآثم على فعله والصبر والتسخط من فعله، وإن كان الثواب والأجر قد يحصل بغير عمل من العبد بل بفضل من الله قال تعالى: (وَيُؤْتِ مَنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: من الآية 40).

وهناك أسباب أخرى لسقوط العقوبة بدخول جهنم عن العبد المذنب مثل:

دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة، وبعد الممات: ما يهدي إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو حج أو نحو ذلك وشفاعة الشافعين وعفو أرحم الراحمين كما تدل عليه قول الله تعالى: (وَيَغْفِرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: من الآية 48).

والعبد المؤمن الذي مات موحدًا إذا لم تشمله هذه الأسباب فيشمله ما جاء في الحديث برواية أنس رضي الله عنه: من أنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال

⁽¹⁾ أخرجه الترمذي والدارمي.

⁽²⁾ أخرجه البخاري ومسلم.

ذرة من الإيمان. كما امتنع الحكم باليقين بدخول أحد في الجنة إلا من ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن نرجو للمحسنين ونخاف عليهم. وبما ذكرنا ظهر الفرق بين المؤمن العاصي، والعبد الذي زال عنه الإيمان وقد صرح صاحب العقيدة الطحاوية بأنه لا يخرج العبد من الإيمان إلا لاجود ما أدخله فيه. وبهذا التصريح فرق بين مذهب أهل السنة ومذهب الخوارج والمعتزلة وأثبت بذلك أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بما صرح به النص الشرعي من: إنكار ما ثبت في الإسلام أو توهين أوامر الله بحيث يدل على الإنكار.

بعد ذكر هذه المقدمات نقول: لا خلاف بين أهل السنة أن الله أراد من العباد القول والعمل وأعني بالقول التصديق بالقلب والإقرار باللسان ويعبر عن المجموع بالقول لأن الإقرار الإيماني معبر عن التصديق وهذا الذي يعني به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل. إلى هنا ليس فيه نزاع والاختلاف في:

هل العمل يشمل اسم الإيمان ؟ أم الإيمان أحدهما وهو القول المعبر عن التصديق فيكون العمل مغايراً له لا يشملهما عند إفراده بالذكر وإن أطلق على كليهما كان مجازاً.

وبما وضحنا يظهر ما ذكرنا نقلاً عن رأي أبي العز الحنفي من أن الاختلاف بين أهل السنة والجماعة اختلاف لفظي، ولا يمكن بأي طريق من الطرق أن يكون الاختلاف بين الأئمة فيما يتعلق بأصول الدين اختلافاً حقيقياً وجوهرياً، إذ نتأكد أن كل واحد من هؤلاء الأعلام علم في التقوى والخوف من الله والتهيؤ للسعادة الأخروية؛ فلا يعقل أن يكون الاختلاف بينهم أكثر من نطاق الاختلاف اللفظي؛ لأنهم قد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم مستحق للوعيد.

ومما يجب الانتباه له أن القول بعدم دخول الأعمال في الإيمان لا يلزم منه أن يكون التساوي بين المؤمنين مطلقاً، ويقال: إن إيماننا كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام؛ لأن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، وهكذا المؤمنون يتفاوتون فيما بينهم بعد التساوي في أصل الإيمان وجوهره، وهذا تماماً مثل الشمس والشمع فإن كلاهما يشتمل على النور، وفي أصل النور لا فرق بينهما ولكن في كيفية النور والقوة والضعف والتفاوت كثير لا يمكن إنكاره.

ولهذا ذكر الإمام الطحاوي بأنه: أهل الإيمان في أصل الإيمان سواء يريد بذلك أن التساوي في أصل الإيمان ولا يلزم منه التساوي من كل وجه بل تفاوت نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله تعالى. فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس ومنها من نور هذه الكلمة في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم⁽¹⁾ على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علما وعملا، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم، أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته؛ بحيث أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة إلا أحرقت. وهذا حال الصادق في توحيده فسماء إيمانه حرست بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى⁽²⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله⁽³⁾)** وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظنوا بعضهم منسوخة، وظنوا بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار – وأول بعضهم الدخول بالخلود ونحو ذلك. والشارع صلوات الله عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط. فإن هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب صاحبها⁽⁴⁾ ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة. وأيضا نرى مثل هذه التفاضل في كثير من الأشياء، ومنها العقل؛ فإن الناس في أصله سواء، ولكن من حيثية أخرى يقبل التفاضل فإن بعض الناس أعقل من بعض آخر.

⁽¹⁾ يشير الدكتور إلى قوله تعالى: **(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** (الحديد: 12) (م نور).

⁽²⁾ قطعة من حديث مطول أخرجه البخاري (425)

⁽³⁾ صحيح مسلم (29)

⁽⁴⁾ حديث صحيح أخرجه الترمذي

وأيضاً أن الزيادة والنقصان في الإيمان تتحقق بطريقتين: الأول الإجمال والتفصيل إذ معلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن الكريم كله، وكذلك لا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب على من بلغه خبره كما في حق النجاشي ⁽¹⁾، **الطريق الثاني الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح** فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ⁽²⁾ إن التوجيه لإثبات الزيادة والنقصان في الإيمان بطرق علمية سليمة، وإن كان في ظاهر الأمر مشوباً بالتكلف، ولكن في الحقيقة توجيه سليم لمعرفة معنى الزيادة الواردة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والأخذ به يخرجنا من مشكلة قبول الاختلاف الحقيقي بين علماء السنة؛ بل وبين أئمتهم مع أن التعمق في أقوالهم يثبت عدم اختلافهم، وبتعبير أبي العز الحنفي يرجع اختلافهم إلى الاختلاف اللفظي والشكلي ولا يرجع إلى الاختلاف الحقيقي. لا يقال في الاعتراض على هذا التوجيه إن الاختلاف اللفظي ليس من دأب العقلاء فكيف بهؤلاء العلماء الأعلام؟

والجواب:

أن الاختلاف اللفظي إذا كان اختلافاً يظهر من الأول أنه راجع إلى اللفظ فهذا لا يناسب مقام أهل العلم والدقة، وأما الاختلاف الذي ينوّل ويرجع إلى الاختلاف اللفظي فهذا يمكن صدوره من العلماء الأعلام. إذ لا شك في ثبوت أن الحق واحد ولا يتعدد، فإذا وجد أحد من العلماء كلامه مخالفاً للآخر فعليه أن يدقق في منشأ هذا الخلاف من ناحية، وفي تتبع طريق الوصول إلى التقارب من ناحية أخرى، وعندما تطبق نتيجة دقته لا يبقى أمامه إلا مجال التقارب. ومن الأمثلة على هذا التقارب ما نسمع من بعض علماء العقيدة من تقسيم الإيمان إلى الإيمان الإجمالي والإيمان التفصيلي، وأن الأول فرض عين والثاني فرض كفاية. فإذا قرأنا في كتاب أحد العلماء أن الإيمان فرض عين؛ لا نحكم عليه بأنه

⁽¹⁾ هو ملك الحبشة واسمه (أصحمة) أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه وأخبره معهم، ومع كفار قريش الذين طلبوا عنه أن يسلم إليهم المسلمين، مشهورة وتوفي في بلده قبل فتح مكة وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب بالمدينة وكبر عليه أربعاً. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 ص 117 القسم الثاني من حرف الألف.

⁽²⁾ شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص 250 - 251 - 252

أخطأ بل نقول أراد من الإيمان، الإيمان الإجمالي وبالعكس، إذا واجهنا في كلام آخر بأن الإيمان فرض كفائي نحمل على الإيمان التفصيلي وزائد عما يقتضيه التكليف الأولى في: (آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)

وقد ذكر عدد من العلماء منهم الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في التوفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة، وأقاول السلف المؤيدة لذلك، وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون **بأن المقصود من الزيادة؛ الزيادة في الثمرات، وهي الأعمال ونقصانه، أيضاً من ناحية الثمرات وهي الأعمال، ليست الزيادة والنقصان بحسب التصديق الذي هو كيفية نفسانية لا يتصور فيها الزيادة والنقصان.**

وقد صرح بعضهم بأن الإيمان بمعنى التصديق أيضاً يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعثرهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرفة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلف (مؤلفة القلوب) ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك. وهذا مما لا يمكن إنكاره. ⁽¹⁾

تحقيق قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله في خروج العمل عن ماهية الإيمان نحتاج إلى معرفة ما ذكره الإمام أبو حنيفة معرفة كاملة، والأدلة التي يذكرها لإثبات مذهبه العقيدي، ولا يصح الاستعجال في الحكم عليه أوله لا سيما في هذا العصر الذي ابتلينا فيه بقلة التعمق وبالسطحية.

إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله يجعل الإيمان مركبا من جزئين؛ التصديق والإقرار ومع أن الإقرار داخل عنده في ماهية الإيمان يعتبر كركن مطلوب لغيره يكمل الركن الأول وهو التصديق، ولذا يسقط أحيانا عند العذر كما في المكره.

إن تحقيق مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله يتوقف على الإحاطة بنصوصه في رسائله العقدية، وأدلته في مناظراته التي نقلها التاريخ حينما كان يناقش الطوائف

المختلفة في القضايا العقدية والأدلة التي ساقه أتباعه في مناظراتهم.

⁽¹⁾ (شرح النووي على صحيح مسلم ج 1 ص 149)

وقبل أن نحقق رأي الإمام أبي حنيفة في موضع العمل وصلته بالإيمان علينا أن نحقق معنى الركنية عنده لكل من: الإقرار والتصديق:

إن الركنية عنده في الإقرار أقل من الركنية في التصديق؛ لأنه يسقط في حالة الإكراه كما تدل عليه آية: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (النحل: من الآية 106).

وركنية الإقرار في الإيمان مثل ركنية القيام في الصلاة؛ فإنه يسقط عند العجز، وركنية التصديق في الإيمان مثل ركنية النية في الصلاة فإنها لا تسقط في حال من الأحوال، وكذلك لا يسقط التصديق في حال من الأحوال وإذا زال التصديق لا يعتبر الشخص مؤمناً. فالركنية تتفاوت حسب حال الركن. وذكر في رسائله العقدية: الفقه الأكبر – الوصية – العالم والمتعلم – أن الإقرار وحده لا يكون إيماناً، وإلا يكون المنافقون كلهم مؤمنين لوجود الإقرار فيهم، مع أن القرآن الكريم نفي عنهم الإيمان.

وكذلك المعرفة لا تعتبر إيماناً بدون الإقرار والتصديق بدليل قول الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) (البقرة: من الآية 146).

ومع هذه المعرفة لا يمكن إطلاق المؤمنين عليهم كما حققنا ذلك في بيان الفرق بين المعرفة والتصديق، وركزنا الفرق بين المعرفة المحضة الخالية عن التصديق والإذعان والجزم، على أن المعرفة لا تتوقف على الاختيار؛ إذ كثيراً ما تحصل المعرفة من غير الإرادة والاختيار، والإيمان يعتبر تكليفاً فهو اختياري لأن الله تعالى لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم واختيارهم حسب ما تتطلبه طبيعة التكليف.

إن اعتبار الإقرار والتصديق ركنين أساسيين للإيمان مع الفرق بينهما كما ذكرنا، وعدم اعتبار المعرفة ركناً يظهر مما نقله بعض كتب التاريخ عن مناظرة وقعت بين الإمام أبي حنيفة رحمه الله وبين جهم بن صفوان: روى عن أبي اسحق الخوارزمي إن جهم بن صفوان قصد الإمام أبا حنيفة فلما لقيه قال:

أتيتك لأكلمك في أشياء فقال الإمام: الكلام معك عار والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى قال: كيف حكمت علي ولم تسمع كلامي؟

قال بلغني عنك أقاويل لا يقول بها أهل الصلاة. قال: أفتحكم علي بالغيب؟ قال: اشتهر ذلك عنك عند الخاصة والعامة فصاغ لي أن أحقق ذلك عنك، فقال: يا أبا حنيفة لا أسألك إلا عن الإيمان. قال: أولم تعرف الإيمان إلى الساعة

حتى تسألني عنه ؟ قال: بلى. ولكن شككت في نوع منه. قال: الشك في الإيمان كفر. قال: لا يحل لك ان تقول ذلك حتى تفسر لي من أي وجه يلحقني الكفر ؟ قال: سل: قال: أخبرني عن عرف الله بقلبه أنه واحد، وعرف صفاته كلها، لكنه مات قبل أن يتكلم مع القدرة عليه. أمات مؤمنا ؟ أم كافرا ؟ قال: مات كافرا من أهل النار ما لم يتكلم. قال كيف لا يكون مؤمنا وقد عرف التوحيد والصفات. قال: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة تكلمت به معك. وإن كنت لا تجعله حجة تكلمت معك بما يتكلم به مع من خالف الإسلام. فقال: أو من بالقرآن وأجعله حجة. قال: جعل الله الإيمان في كتابه بجارحتين: القلب واللسان فقال:

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (المائدة: 83) إلى قوله: (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ) سورة المائدة الآية 85 - فجعلهم مؤمنين وأثابهم بما قالوا وصدقوا، وقال الله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) (البقرة: من الآية 136) إلى قوله (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا) (البقرة: من الآية 137).

وقال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (فاطر: من الآية 10)(¹).

(¹) قلت محمد نور غفر له ربه الغفور: فهم البعض من كلمة (يصعد) أن الله في جهة العلو الحسي، وهذا خطأ، لأن الجهة للمخلوق، وعلو الله علو مطلق (أي لا يحده الزمان ولا المكان)، وجهة السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة المصلي، ويزيد الأمر وضوحاً إلى أين تصعد حديث صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في ذكر سدرة المنتهى - حديث: 278: عن عبد الله، قال: " لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، **إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها** "، قال: " إذ يغشى السدرة ما يغشى "، قال: " فراش من ذهب "، قال: " فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً، **المُفَحِّمَاتُ** " . وقال النووي رحمه الله **(المُفَحِّمَاتُ):** هو بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء ومعناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها وتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام : **من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحّمات** . والمراد والله أعلم بغفرانها أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً .

وفي رواية سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب: ومن سورة والنجم - حديث: 3279: وقال غير مالك بن مغول (أحد الرواة): **إليها ينتهي علم الخلق لا علم لهم بما فوق ذلك** " هذا حديث حسن صحيح . وفي رواية مستخرج أبي عوانة - كتاب الإيمان - بيان غسل قلب النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم بعد - حديث: 260: وزاد فيه أبو أحمد (أحد الرواة) فقال: **إليها ينتهي بما عرج من الأرواح ويقبض بها**.

وقال عليه السلام (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ولم يجعل لهم الفلاح بالمعرفة دون القول، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان) والحديث في الصحيحين. وفي حديث آخر؛ قال: (من قال لا إله إلا الله)، ولم يقل: من كان في قلبه المعرفة – ولو كان القول لا يحتاج إليه، ويكتفي بالمعرفة؛ لكان العارف بالقلب دون القول باللسان مؤمناً. قال إبليس: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) (الحجر: من الآية 39) – (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الحجر: 36) عرف أن الله تعالى خالقه، وباعثه، ومع ذلك لم يكن مؤمناً، ولكان الكفار بمعرفتهم مؤمنين، وإن أنكروا باللسان. قال الله تعالى عنهم، وقوله صدق وحجة: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (النمل: من الآية 14)، وقال تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (النحل: 83)

وقال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: 146) وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (يونس: 31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ) (يونس: 32)

لم يجعلهم مؤمنين، بالمعرفة، لجحودهم باللسان، فقال ابن صفوان: قد أوقعت في خلدي شيئاً، فسأرجع إليك؛ فقام من عنده ولم يرجع. (1) بعد ذكر ما يثبت رأيه في أركان الإيمان ورده الصريح على القائلين بأن الإيمان هو المعرفة ندخل في بيان رأيه حول العمل:

الإيمان والعمل عند الإمام أبي حنيفة (رحمه الله)

إن الإمام أبا حنيفة لا ينكر عن أهمية العمل في الإيمان، وليس كما يتصوره بعض الناس بأنه يميل إلى الإرجاء بمعنى أنه يقول: كما لا تنفع مع الكفر طاعة لا تضر مع الإيمان معصية؛ لأن هذا القول يسقط أهمية العمل في الإسلام، وهذا بعيد كل البعد عن الإمام الذي كانت له غاية الحرص في العمل بحيث أنه صلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً. بل يعترف بأهمية العمل بحيث لا يكفر تاركه إذا كان لديه الإقرار والتصديق، وكما ذكرنا فإنه لا فرق في الحقيقة بين

(1) مناقب أبي حنيفة لابن البزاز الكردي، طبع الهند، ص 185

أقوال المحدثين فيما يتعلق بالعمل بأنه مكمل للإيمان، وبين قول الإمام أبي حنيفة، كما أنه لا يوجد أي فرق في كون هذين القولين (قول أهل الحديث وقول الإمام أبي حنيفة) في مقابل قول المعتزلة والخوارج الذين يقولون بخروج مرتكب الكبيرة عن الإيمان.

إن التحقيق حول رأي الإمام أبي حنيفة يتطلب الدراسة من كل الجوانب ومنها موقفه من الإرجاء لنعلم بذلك ما يقوله الإمام، وما يعتقده بعيدا عما يقال في حقه من أنه لا يهتم بالعمل.

ولقد اشتبه على بعض العلماء والمؤلفين موقف الإمام أبي حنيفة رحمه الله من الإرجاء فذكروا كلاما لا يناسب مع موقف الإمام، وما قام به في توضيح العقائد الإسلامية والرد على أهل الضلال والمبتدعة منهم:

1 - الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله فإنه ذكر في كتابه: (مقالات الإسلاميين) ما يدل على أن أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة. (1)

2 - عبد الحي اللكنوي نقلا عما ذكره عبد الشكور السالمي بأن الإمام أبا حنيفة اعترف بكونه مرجئا. (2)

وأیضا ذكر عدد من المؤلفين نسبة الإرجاء إلى الإمام كوسيلة **للرد عليه بأنه لا يعترف بالزيادة والنقصان في الإيمان فيكون من المرجئة**، والمتعمق في رسائل الإمام وبالأخص في رسالته إلى أبي مسلم البتي يدرك تماما أن الإمام كتب هذه الرسالة لنفي الاتهام عن نفسه، ولذلك يقال في التعريف بهذه الرسالة (رسالة أبي حنيفة إلى أبي مسلم البتي) هذه رسالة في التبري مما يرمي به أبو حنيفة من الإرجاء ويظهر من هذه الرسالة أنه ألفها بعد تألمه مما سمع من نسبة الإرجاء إليه وحقق موضوع الإرجاء تحقيقا علميا.

ومما يذكر أن بعض الناس قد طالت ألسنتهم على الإمام في قضية الإرجاء وغيرها، حتى وصل الأمر إلى أنهم ذكروه باسم المبتدع وما يماثله. ومن هؤلاء الذين دخلوا في صف المتقللين من قيمة الإمام العلمية، الخطيب البغدادي الذي ذكر في حقه ما لا يناسبه. وقد قام عدد من العلماء الأعلام في الدفاع عنه منهم:

(1) مقالات الإسلاميين تأليف الأشعري

(2) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل تأليف اللكنوي ص 160

ابن الجوزي رحمه الله في تأليفه مرآة الزمان، والملك عيس بن أبي بكر الأيوبي رحمه الله في تأليفه: السهم المصيب في كبد الخطيب⁽¹⁾.

إن الخلاف حول إطلاق اسم الإرجاء على الإمام أبي حنيفة وأمثاله من عظماء أئمة الإسلام خلاف لا يستأهل أن نبذل فيه كبير مؤنة، ولا أن نثير بسببه ضجة. لأن الإرجاء إذا كان بمعنى أن العبد يصحح إيمانه على مقتضى الكتاب والسنة، ويلزم العمل على وفقها لا يفرط في صغيرة، ولا كبيرة من العمل بل ربما يشق على نفسه فيحملها فوق ما تطيق كما روي أن الإمام الأعظم كان يصلي الفجر بوضوء العشاء، ويقضي بينهما قائماً ساجداً لله أربعين سنة ويقرأ في شهر رمضان نحو ستين ختمة بمعدل ختمتين كل يوم وليلة. نقول:

إذا كان الإرجاء يقصد به هذا المعنى؛ فلا شك أنه شرف أي شرف، ولا نرى أي حرج في أن نطلقه على أبي حنيفة ولا على غيره من عظماء أئمة الإسلام لأن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ. غير أنه إذا كان هذا الاسم قد أطلق على جماعة من الناس قد انحرفت عن السنن المستقيمة؛ فغالت إلى حد أسقطت معه التكليف كلية عمن آمن، وجعلت الإيمان وحده كافياً فإن نسبة هذه الفرقة من العلماء الأعلام وعظماء الإسلام إلى الإرجاء حط من قيمتهم وجفاء معهم. ولعل من حاول أن ينفي اسم الإمام عن قائمة المرجئة، أراد المعرفة بقيمته وسما به إلى مقام يبعد كل البعد عن أن يندرج مع مثل هذه الطائفة تحت اسم واحد مشترك.⁽²⁾

بعد بيان موقف الإمام من الإرجاء، وبعد بيان ما ذكره بعض العلماء في نسبة الإرجاء إليه عن قصد أو من غير قصد نقلا عن الآخرين من غير أن

⁽¹⁾ قلت: محمد نور عفا عنه ربه الغفور: ومنهم أستاذنا الدكتور محمود الطحان - أستاذ الحديث في جامعتي الرياض والكويت - رسالته للدكتوراة المطبوعة - وأهداني نسخة منها وعنوانها (الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث)، ومما قاله لي شفويّاً: أنه متعجب من الإمام الخطيب كيف يسوق أسانيد موضوعة في ذم الإمام أبي حنيفة، وهو يعلمها موضوعة ولا ينبه عليها، وقد رد الأستاذ الدكتور محمود طحان في رسالته على الخطيب البغدادي، وكذلك قال لي: ما إنّه متعجب من صنيع الإمام البخاري بأنه لم يرو عنه وروى عن بعض الشيعة) والله أعلم.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: إن الإمام البخاري رحمه الله نشأ حنفياً بدليل تقسيمه عناوين صحيحه إلى اجتهادات فقهية، لكن بعض معاصريه من الحنفية شعر منهم إيذاء فلم يرو عن الإمام أبي حنيفة، أو يمكن القول: إنه لم تبلغه أسانيد الإمام حسب شروطه (أي البخاري) التي وضعها والله أعلم.

⁽²⁾ الإمام الأعظم وآراؤه في العقيدة الإسلامية تأليف د/ إبلاغ ص 329 طبع الكويت

يتعمق في خطورة هذه النسبة التي تعتبر طعنا في حق إمام خدم الإسلام والمسلمين خدمة لا ينساها التاريخ، بعد كل هذا نقول:
إن رأي الإمام أبي حنيفة في قضية الزيادة والنقصان، وإن كان بظاهره يخالف ما عليه أكثر العلماء من: أن الإيمان يزيد وينقص، ولكن عندما نعرف حقيقة ما يذهب إليه فإننا لا نجد أي خلاف بينه وبين الآخرين إلا شكليا وذلك:
لأن الإمام أبا حنيفة يركز رأيه في عدم قبول الإيمان الزيادة والنقصان على عدة أمور:

إن الإيمان بمعنى التصديق القلبي البالغ حد الجزم والإذعان أمر بسيط لا يعتبر فيه الزيادة والنقصان، فمن صدق بالله فإن تصديقه باق على حاله في حال ارتكاب الحسنات والسيئات، وأما الإقرار فنظرا إلى أن ركنيته عند الإمام أبي حنيفة باعتبار دلالة على التصديق فهو أيضا لا يقبل الزيادة والنقصان.
1- إن الآيات التي ذكر فيها الزيادة والنقصان، فإن الإمام أبا حنيفة يركز تفسيرها على ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة والحج والجهاد وازدادوا إيماناً إلى إيمانهم، وعلى هذا القول تكون زيادة الإيمان بزيادة المؤمن به وهذا لا يتصور في غير عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.
2- إن علينا القول بالفرق بين الإجمال والتفصيل والزيادة والنقصان فإن الأول يلاحظ فيه شيء يتحقق في كل عصر؛ لأنه من الممكن أن يؤمن المؤمن بكل ما جاء من عند الله إجمالاً، ثم يدرس كلا من محتويات هذا الإيمان الإجمالي بالتفصيل، وهذا لا يطلق عليه الزيادة والنقصان بل يعتبر تفصيلاً بعد الإجمال. فكل ما هو ملحوظ بالتفصيل ملحوظ في صورة الإجمال ولكن بطريق إجمالي، ولا يمكن أن نعبر عن التفصيل بأنه أزيد من الإجمال بل نقول: إنه أوضح من الإجمال إذ الزيادة لا تتصور إلا باعتبار أمر في التفصيل يكون خارجاً عما في الإجمال، وهذا لا يسمى تفصيلاً لهذا الإجمال بل يكون أمراً مغايراً له. ويمكن أن نلاحظ الفرق بعبارة أخرى وهي:

إن الزائد يكون مشتملاً على شيء لا يوجد في الناقص تحقيقاً لمعنى الزيادة والنقصان، وأما المفصل والصورة التفصيلية للشيء فليس بأزيد من الصورة الإجمالية في تحقق الماهية الأصلية، وليس مغايراً لها إلا بالإجمال والتفصيل، وإلا لم يكن الإجمال والتفصيل لصورة واحدة، غاية ما في الأمر أن التفصيل أوضح من الإجمال، ولا يمكن أن يكون التفصيل مشتملاً على حقيقة لم يكن

الإجمال شاملا لها، وإلا لم يكن الإجمال والتفصيل اعتبارين لحقيقة واحدة بعينها؛ بل يكون هناك أمران مختلفان بالماهية تماما فينخرق الفرض؛ لأن المفروض عدم الاختلاف بين الإجمال والتفصيل اختلافا حقيقيا وجوهريا، فإذاً يجب أن يكون المعلوم في الصورتين واحدا في الحقيقة، وإنما يكون الاختلاف في الصورة العلمية، والتفاوت في نحو العلم لا في المعلوم، فالإيمان في مرتبة الإجمال إيمان بكل المؤمن به الملحوظ بالصورة الإجمالية، وفي مرتبة التفصيل إيمان بكل المؤمن به بالصورة التفصيلية وليس بين هذين المتعلقين تفاوت في الحقيقة واختلاف في المفهوم بل في اللحاظ والتعبير فقط.

3- يظهر من كلام أبي حنيفة أن القول بدخول الأعمال في الإيمان يفضي إلى القول بعدم قبول الإيمان الزيادة والنقصان؛ على عكس ما يتصوره الكثيرون القائلون بقبول الإيمان الزيادة والنقصان أن هناك تلازم بين القولين، وأن من يقول بدخول الأعمال فهو القائل بالزيادة والنقصان وذلك:

لأن الزيادة تتحقق بعد تمام ماهية الشيء لا قبلها؛ فيلزم أن تكون ماهية الإيمان حاصلة قبل العمل ثم بالعمل يزيد أو ينقص، وهذا يفضي إلى اعتبار الإيمان قبل العمل ثم بالعمل يزيد أو ينقص، وهذا يفضي إلى اعتبار الإيمان قبل العمل، ثم زيادة الإيمان بالعمل؛ لأن الزيادة إنما تتصور على ذي النهاية والغاية، وعند القول بأن الأعمال داخلة في ماهية الإيمان يكون كل عمل صالح محققا لأصل ماهية الإيمان لا للزيادة؛ لأن الزائد غير المزيد عليه وكونه جزء للإيمان ينافي الغيرية؛ لأن القول بأن جزء الشيء مغاير لذلك الشيء ظاهر الفساد.

وعلى هذا التوجيه الذي يظهر من كلام الإمام يكون أمر الزيادة واضحا في مذهب من يقول: الإيمان تصديق وإقرار أو تصديق فقط؛ فإن المؤمن حينما يصدق ويقر يصير إيمانه متحققا، ثم إذا عمل صالحا أتى بشيء زائد على أصل ماهية الإيمان - علما بأن هذا التوجيه يتمشى مع ظاهر الآيات الكريمة الدالة على زيادة الإيمان، **وليس في الآيات لفظ نقصان الإيمان**، والزيادة بالمعنى الذي ذكرنا لا يتحقق إلا في مذهب الإمام أبي حنيفة والمذاهب الأخرى القائلة بتركيز الإيمان على التصديق حسب ما يقتضيه قول الله: **(ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)** وجعل القلب محلا للإيمان.

5 - ذكر النووي أن نفس التصديق يقبل الزيادة؛ لأنه يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعثرهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم منشحة نيرة وإن

اختلفت عليهم الأحوال وأما غيرهم من المؤلف (مؤلفة القلوب) ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس، ولهذا قال البخاري في صحيحه: قال ابن مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل والله أعلم. (1)

ونوقش قول النووي بأن النظر الواحد إذا أدى إلى جزم يمنع المقيض فقد

حصل التصديق، وإن كرر ألف مرة فهو مثل الأول بلا زيادة وكذا الجزم الحاصل من ألف نظر مثلاً يساويه الجزم الواحد من نظر واحد، فلا زيادة تحصل من كثرة النظر ويمكن أن نذكر مثلاً في الشمس؛ فإن النظر الواحد إليها يأتي بالتصديق بنورها وضياؤها، وإذا كرر ألف مرة لا يمكن أن يأتي التغيير في التصديق والجزم بأن الشمس لها نور وضياء؛ فالزيادة في الآيات القرآنية فهي راجعة إلى زيادة المؤمن به، وهذا لا يتصور إلا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرنا ذلك مستدلاً بما يظهر من كلام ابن عباس رضي الله عنه.

وأما قول النووي بتفاوت تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع تصديق آحاد الناس؛ فإن هذا لا يرجع إلى نفس التصديق بمعنى الجزم؛ لأنه أمر بسيط إما أن يكون أولاً يكون، بل يرجع إلى ثمرات هذا التصديق، وأنواره فإنها موجودة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه بطريق، وفي المؤمن العادي بطريق آخر، ولا يمكن أن يقاس إيماننا بإيمانه من حيث الثمار والأنوار والنتائج. ويدل على هذا الفرق الذي ذكرنا في إيماننا بالقياس إلى إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما ذكره **الإمام الطحاوي بقوله: (وأهله في أصله سواء)** أي أن أهل الإيمان في تحقق أصل الإيمان سواء فالتساوي في الأصل لا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل التفاوت موجود وواضح غاية الوضوح؛ لأن نور لا إله إلا الله في قلوب المؤمنين لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نور كلمة التوحيد في قلبه كالنور في كوكب الدري وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار؛ بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً، وعملاً. وكلما اشتد

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ج1 ص 48 - 149 طبع دار الكتب العلمية بيروت وقد ذكرنا قول النووي قبل ذلك بطريق الإجمال ونذكره هنا ليرتب عليه المناقشة.

نور هذه الكلمة وعظم، أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شبهة، ولا شهوة ولا ذنبا إلا أحرقه - وهذا حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه حرسست بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى (1) وقوله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله (2)، وغيره من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظننها بعضهم منسوخة، وظننها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود ونحو ذلك. (3)

6 - يستدل القائلون بزيادة الإيمان ونقصانه بقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: من الآية 3)، فإن هذا صريح على أن الإيمان يقبل الكمال فيكون نصاً على أن الإيمان يقبل الزيادة. **والجواب:** أن كلمة (اليوم) إشارة إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والقائلون بعدم قبول الإيمان الزيادة والنقصان لا يخالفون هذا - كما ذكرنا من قبل أن الزيادة والنقصان باعتبار المؤمن به ممكن في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا المراد من اليوم يوم فتح مكة؛ لأن هذه الآية نزلت في ذلك اليوم. وما عليه أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت يوم عرفة، يوم الجمعة، أول ليلة الجمعة ليلة عرفة فيكون الإكمال للدين عبارة عن التمكين من الوقوف والطواف على قواعد إبراهيم عليه السلام وصد المشركين الطائفين عرايا، ولقد أتوا قبل هذا بالأربع من الخمس الذي بنى الإسلام عليها، وبقي الحج فلما وفقوا للوقوف تمت عليهم النعمة بإكمال الشرائع. أوكمل الدين بالنص على قوانين الاعتقادات، أوكمل الدين بتمام بيان الناسخ والمنسوخ؛ إذ الشرائع قبل الإسلام لم تكن آمنة من النسخ، أوكمل الدين بإنزال جميع تفاريع الشرائع والأحكام، وفي هذا التوجيه كلام لأن آية حكم الزنى وآية حكم الكلاله نزلت بعده؛ إلا إذا أريد معظم الشرائع. ونوقش هذا التفسير بما يلي:

(1) قطعة من حديث مطول أخرجه البخاري (425)

(2) صحيح مسلم (29)

(3) شرح العقيدة الطحاوية تأليف أبي العز الحنفي ص 252 - لقد ذكرنا هذا المطلب مرتين مرة لأجل تحقيق موضوع العمل وصلته بالإيمان عامة؛ ومرة هنا لأجل تحقيق قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله

أ - يلزم على ذلك التوجيه نقصان الدين قبل هذا والقول به ينافي قول الله تعالى (ديناً قيماً) في قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام: 161)

إذ الدين القيم لا يكون ناقصاً. وأيضاً يلزم من نقصان الدين قبله وكماله بعده، أن كل من أسلم بعد نزوله يكون على دين كامل والمؤمنون الذين بذلوا سعيهم لدين الله وماتوا قبل هذه الآية ماتوا على دين ناقص مع أن الله تعالى بين مقامهم بقوله تعالى:

(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد: من الآية 10).

ب - يلزم من هذا التفسير أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانين يوماً على دين كامل وقبله على دين ناقص (العياذ بالله) فالتوجيه السليم الذي لا يرد عليه أي شيء من هذه الشبهات، ما ذكرنا من أن الآية نزلت يوم عرفة، وفيها إشارة إلى تمكينهم من أداء الحج كما ذهب إلى هذا التوجيه أكثر المفسرين.

7 - والدليل الآخر للقائلين بقبول الإيمان الزيادة والنقصان ما يقولون بأن قول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح: من الآية 4) يدل على الزيادة.

ونوقش هذا الاستدلال بأنه يمكن أن يكون المراد: ليزدادوا إيماناً بالشرائع بعد الإيمان بالله واليوم الآخر. وأيضاً يجوز أن يراد بالزيادة الزيادة في نور الإيمان فإنه ما من عمل إلا وله نور قال الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) (الزمر: من الآية 22).

وشرح الصدر عبارة عن التوفيق فضلاً منه تعالى، وذلك النور يقبل الزيادة والنقصان، والقائلون بعدم قبول الإيمان الزيادة والنقصان يقولون:

أن محل النزاع هو الزيادة من حيث ذات الشيء المضاهية للزيادة الكمية؛ لا الزيادة في الإشراق والمضاهية للكيفية، وبعبارة أخرى:

إن القائلين بالزيادة والنقصان في أصل الإيمان يعتبرون الإيمان شيئاً، وإشراقه شيئاً آخر، وإذا رجعنا الزيادة والنقصان في الكيفية فلا يكون هناك أي اختلاف؛ لأن النزاع في تفاوت الإيمان بحسب الكمية أي القلة والكثرة لا الكيفية أي القوة والضعف، ولذا ذهب الإمام فخر الدين الرازي وعدد من المتكلمين إلى أن هذا الخلاف لفظي راجع إلى تفسير الإيمان وتعريفه فإن فسرناه بالتصديق فلا

يقبلهما لأنه لا يقبل التفاوت؛ لأن الواجب هو اليقين وهو أمر بسيط له مرتبة واحدة إما أن يكون أو لا يكون. وإن قلنا هو الأعمال أيضاً فيقبلهما.

والتحقيق يثبت أن هذا النزاع ليس كنزاع لفظي؛ لأننا إذا فسرنا الإيمان بالتصديق ولا ندخل الأعمال في حقيقة الإيمان يتوجه إليه النزاع أيضاً؛ لأنه يمكن أن يكون مراد القائلين: الإيمان يزيد وينقص (بعد قولهم إن الإيمان هو التصديق) أن التصديق يعم اليقين والتقليد واليقين كما عرفوه: اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يزول بتشكيك المشكك يغير التقليد الذي يقبل التشكيك وبذلك نقول: إن الإيمان بمعنى التصديق اليقيني أزيد من غيره، بل إن الإيمان بالمعنى الأول المتحقق في التصديق اليقيني أيضاً يقبل التفاوت من: علم اليقين وعين اليقين وعلى سبيل المثال:

فإن التصديق بحدوث العالم المكتسب من الأدلة النظرية، وترتيب القياس الموصل إلى درجة اليقين أدون من التصديق واليقين بطولوع الشمس عند مشاهدتها، وقول إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) (البقرة: من الآية 260) أكبر دليل على أن لليقين درجات؛ إذ أنه قوله عليه السلام: بلى. في جواب قول الله تعالى: (أَوَلَمْ تَوْمُنْ)، دليل على أنه أثبت لنفسه الإيمان بالمأمور به في الدرجة الأولى، وهي علم اليقين، وأراد الاستطلاع بأكثر مما عليه التكليف تطمينا للقلب كما يستنبط من هذا أن القلب يطلب إيمان المشاهدة وإلا فهو مطمئن قبل المشاهدة اطمئنان الدليل.

ومن الواجب ذكره؛ أن إثبات الاطمئنان بعد المشاهدة في قول إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا يدل على أنه قبل هذا كان له ضد الاطمئنان وهو الاضطراب والتردد؛ بل المراد بالاطمئنان الاطمئنان بالمشاهدة، بعد الاطمئنان بالاستدلال، فهذا اطمئنان على الاطمئنان، لا الاطمئنان بعد القلق.

ذكر ابن الهمام: أن الحنفية ومعهم إمام الحرمين لا يمنعون الزيادة والنقصان؛ باعتبار جهات غير ذات التصديق، وفي ذلك روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: إيماني كإيمان جبريل عليه السلام ولا أقول إيماني مثل إيمان جبريل عليه السلام؛ لأن المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات، والتشبيه لا يقتضها بل يكفي لإطلاق المساواة في بعضها، فلا أحد يقول بالمساواة بين إيمان أحاد الناس، وإيمان الملائكة، والأنبياء عليهم السلام من كل وجه.

وبما ذكرنا من مذهب الإمام في هذا الموضوع يظهر دليل الرد على من يقول: كيف يجعل أبو حنيفة إيمان عوام الناس مثل إيمان الأنبياء؟

وما ذكره ابن الهمام موافق لكل ما صرح به الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسائله الاعتقادية. علماً بأن بعض ما ذكره الإمام فيه لفظ (مثل) كما في كتاب: (العالم والمتعلم) فإنه صرح بقوله: إن إيماننا مثل إيمان الملائكة، فإنه لم يرد بالمثلية إلا بالمشابهة^(١) بالمعنى الذي ذكره ابن الهمام، وهو ما يعتبر أقل من المساواة في كل الأمور ومن كل وجه، والدليل على ذلك جوابه لسؤال المتعلم حينما سأل: من أين ينبغي لنا أن نقول: إن إيماننا مثل إيمان الملائكة والرسول وقد نعلم أنهم كانوا أطوع لله عز وجل منا؟ ويقول العالم (الإمام الأعظم) في جوابه: أنهم كما فضلوا بالنبوة والرسالة؛ فضلوا كذلك بالخوف، والرغبة، وجميع مكارم الأخلاق على من سواهم، والخصلة الأخرى أنهم عاينوا من العجائب ما لم نعاينه ثم يوضح الموضوع بقوله: إن القياس في ذلك كرجلين عالمين بالسباحة لا يقوى أحدهما صاحبه في شيء من الأمور؛ فانتهايا إلى نهر كثير الماء شديد الجرية؛ فأحدهما على دخوله أجراً، والآخر أجبن، أو كرجلين بهما مرض واحد وأتيا بدواء واحد شديد المرارة فأحدهما على شربه أجراً، والآخر أجبن. ويسأل المتعلم مرة أخرى ويقول:

لكن أخبرني إن كان إيماننا مثل إيمان الرسول؛ أليس ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم؟ فإن كان ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم فما فضلهم علينا؟ وقد استوينا بالدنيا بالإيمان، واستوينا في الآخرة في ثواب الإيمان؛ فإن كان ثواب إيماننا دون ثواب إيمانهم أليس هذا ظلماً؟ إذ كان إيماننا مثل إيمانهم ولم يجعل لنا من الثواب ما جعل لهم؟ ويجيب الإمام بقوله:

(١) قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: قال السيوطي رحمه الله (في كتابه (الحاوي للفتاوى) ج 2 ص 273): مسألة ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير؟

(مسألة ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير؟) الجواب: المثل: أخص الثلاثة، والشبيه أعم من المثل؛ وأخص من النظير، والنظير أعم من الشبيه وبيان ذلك: أن المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لا تستلزم المماثلة فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له، والنظير قد لا يكون مشابهاً وحاصل هذا الفرق: أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها.

- والمناظرة تكفي في بعض الوجوه؛ ولو وجهاً واحداً، يقال: هذا نظير هذا في كذا، وإن خالفه في سائر جهاته، ويؤيد هذا الذي قلته من المنقول: ما نقله الشيخ سعد الدين في شرح العقائد عن الأشعرية: أن المماثلة عندهم إنما تثبت بالاشتراك في جميع الأوصاف حتى لو اختلفا في وصف واحد انتفت المماثلة، وأما عند اللغويين فإنهم جعلوا المثل والشبيه والنظير بمعنى واحد. اهـ

ألست تعلم أن إيماننا مثل إيمانهم (يريد المشابهة لا المثالية الكاملة كما حققنا) لأننا آمنّا بكل شيء آمنّا به الرسل، ولهم بعد الفضل علينا في الثواب على الإيمان، وجميع العبادات لأن الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم، وصلاتهم، وبيوتهم، ومساكنهم، وجميع أمورهم على غيرها من الأشياء، ولم يظلمنا ربنا إذ لم يجعل ثوابنا مثل ثوابهم، وذلك إنما يكون الظلم لو نقصنا حقنا فأسخطنا؛ فأما إذا زاد أولئك؛ ولم ينقصنا حقنا، وأعطانا حتى أرضانا؛ فإن ذلك ليس بظلم، والأنبياء والرسل لهم الفضل في الدنيا على جميع الناس؛ لأنهم هم القادة وهم أمناء الرحمن ولا يدانيهم أحد من الناس في عبادتهم وخوفهم وخشوعهم وتحملهم المشقات وكذلك إنما أدرك الناس بإذن الله الفضل بهم فلهم مثل أجور من يدخل الجنة بدعائهم.

بان مما تقدم أن الإمام الأعظم يقول بالمساواة بين إيمان المؤمنين نظرا إلى مذهبه في ماهية الإيمان، وإلى قوله بعدم دخول الأعمال في الإيمان المأمور به شرعا، ويجعل التكليف بالأعمال مرتبا على التكليف بالإيمان ومغايرا له وما ذكره في رسالته (العالم والمتعلم) من الدليل يكفي في تحقيق مذهبه، ولسنا بعد ذلك في حاجة إلى زيادة التوضيح مستنديين على أدلة أخرى. إذ نصوص الإمام أقوى دليل في تحقيق آرائه الكلامية. وقد بين مذهبه في رسائله العقيدية بطريق لا مجال لإنكاره، وليس لنا بعد ذلك أن نشك في هذا بالنظر إلى ما استدلل به الإمام وبني عليه مذهبه في ماهية الإيمان، وتحقيقه بالتصديق والإقرار، وعدم دخول الأعمال في ماهية الإيمان. (1)

بيان بعض آراء الإمام ابن تيمية رحمه الله في موضوع قبول الإيمان الزيادة والنقصان:

من أهم البحوث حول الإيمان والعمل هو بيان آراء الإمام ابن تيمية الذي عرف بأنه ممن يجعل العمل جزء من الإيمان مطلقا من غير أي قيد ويتمسك بذلك بعض الشباب في عصرنا هذا (1420هـ - 1999) بأن القول الصحيح ما نقل عن ابن تيمية، وكأنهم وضعوا ابن تيمية في موضع مقابل ومضاد لما ذكره الإمام أبو حنيفة من أن الإيمان عبارة عن الإقرار والتصديق، وأيضا لما ذكره صاحب العقيدة الطحاوية في مادة رقم (62) بأن الإيمان إقرار وتصديق.

(1) الإمام الأعظم أبو حنيفة وآراؤه في العقيدة الإسلامية ج1 ص 293

والمتعمق في كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله يدرك تماما أنه يشدد على العمل للرد على المرجئة الذين يقولون: إن الذنب لا يضر مع الإيمان كما أن الطاعة لا تنفع مع الكفر. لا أنه يجعل العمل جزء أصليا للإيمان وإلا يكون قوله مثل قول الخوارج والمعتزلة!!، **وهذا نص ما ذكره شيخ الإسلام في كتابه (الإيمان):**

(ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان، وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل، ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب، كما تقوله الجماعة، ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين ظاهراً وباطناً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ولا يخلد منهم فيها أهد ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحدا منهم يدخل النار بل نقف في هذا كله.) انتهى كلام ابن تيمية بالنص في هذا الباب. (1) ومع أنه أضاف أشياء أخرى للفرق بين أقوال المرجئة والخوارج، والمعتزلة فقد تركناها لأننا بصدد إثبات أن الإمام ابن تيمية يعتبر هذا النزاع نزاعاً لفظياً، ونستغرب مما ذكره الشيخ الألباني بأن النزاع ليس نزاعاً لفظياً؛ ليرد على ما ذكره أبو العز شارح العقيدة الطحاوية في هذا الباب، وأغرض الألباني عينيه عن صريح ما ذكره ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع، ويظهر من أقوال أبي العز الحنفي أنه أخذ هذا من أقوال ابن تيمية وإن لم يصرح به كما هو دأبه بأنه لا يذكر مرجع أقواله، ويظهر من أقوال ابن تيمية رحمه الله أنه يستدل بعدم كفر مرتكب الذنوب بأن عقوبة القطع للسارق وعقوبة الجلد

(1) الإيمان تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية طبع المكتب الإسلامي ص 281 - 282 وأيضاً نجد هذا النص في فتاوى ابن تيمية كتاب الإيمان ج7 ص 186 - 187

للزاني دليل على بقاء أصل الإيمان فيه وأيضاً أن قتل الزاني المحصن عن طريق الرجم ليس لأجل أنه مرتد عن الإسلام فيقتل، بدليل أن قتل المرتد يكون بالسيف بعد الاستتابة، وأما الزاني المحصن فيرجم بالحجارة بلا استتابة.

ولما ذكره أدلة كثيرة منها حديث إقرار الزاني والزانية أمام الرسول صلى الله عليه وسلم في واقعتين منفردتين بالزنا للنجاة من عذاب الآخرة، وهذان الحديثان معروفان فهذا أكبر دليل على أن القتل بالرجم تطهيراً، وليس قتلاً بذنب الكفر. وأيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى على ماعز المعلن بالزنا والمجرى عليه حد الرجم، وهذا أكبر دليل على أن إجراء حد الرجم على مرتكب الزنا تطهير له ويتوقع غفرانه.

وحيثما يحقق ابن تيمية رحمه الله موضوع الإيمان في مؤلفاته يبين الأدلة بطريق علمي لا يمكن إنكاره، ويستدل بأدلة تجمع بين طوائف أهل السنة والجماعة ولا يأتي بعبارات موهمة ومشككة حتى لا يبقى فيما يريده أي إجمال ونذكر نماذج من أقواله:

1- يذكر في الرد على الخوارج القائلين بكفر مرتكب الذنب في فتاواه ما يلي:

ويقال للخوارج: الذي نفى عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الإيمان، هو لم يجعلهم مرتدين على الإسلام؛ بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحصن، ولم يقتله قتل المرتد، فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرمي بالحجارة؛ بلا استتابة فدل ذلك على أنه وإن نفى عنهم الإيمان، فليس عندهم مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم، وليسوا كالمناققين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر. (1)

2- يذكر في توجيه كلامه من يقول: أنا مؤمن حقاً – بأنه أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم، ولكون الإيمان ليس مجرد التصديق بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمالاً ظاهرة كما تقدم. (2)

وما ذكره رحمه الله يبين الموقف لدى القائلين بصحة: أنا مؤمن حقاً، بأن الغرض من هذا القول هو الحكاية عن الجزم الذهني من غير النظر إلى ما يستلزمه هذا الجزم من الأعمال. وكأن ابن تيمية يرجع الاختلاف في: هل يصح

(1) مجموعة فتاوى ابن تيمية رحمه الله ج7 ص 187 طبع دار الوفاء ودار ابن حزم .

(2) نفس المرجع السابق ج7 ص 192

في أن يقول المؤمن أنا مؤمن حقاً أو عليه أن يذكر بطريق الاستثناء إلى الاختلاف اللفظي بحيث أن القائل بقول: أنا مؤمن حقاً يعبر عن أصل الجزم لا عن لوازم الجزم، وأما القائلون بالاستثناء فإنهم يعتبرون الملزوم مع اللازم. وقد أتى بهذا الفرق رفع الفروق الأساسية التي يظنها الناس بين هذين القولين ونستنبط من كلامه السؤال الموجه إلى كل فريق، فنسأل القائلين بجواز قول: أنا مؤمن حقاً: هل العمل ليس له دخل في الإيمان؟ فيرد ويقول كيف وإن العمل من متطلبات الإيمان، ولكن أصل الإيمان يرتبط بالجزم، وعلى المؤمن أن يأتي بمتطلباته.

ولا يترك ابن تيمية رحمه الله الأمر في هذا الحد بل يفصل ويقول: فحب الله ورسوله من الإيمان، وحب ما أمر الله به، وبغض ما نهى عنه هذا من أخص الأمور بالإيمان، ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث:

أن: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) (1)

فهذا يحب الحسنة ويفرح بها، ويبغض السيئة ويسوؤه فعله وإن فعلها بشهوة غالبية وهذا الحب والبغض من خصائص الإيمان.

ثم يشرح الموضوع أكثر ويقول:

ومعلوم أن الزاني حين يزني؛ إنما يزني لحب نفسه لذلك الفعل، فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة أو حب الذي يغلب الشهوة، لم يزن ولهذا قال الله تعالى عن يوسف على نبينا عليه الصلاة والسلام: **(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: من الآية 24).**

فمن كان مخلصاً لله حق الإخلاص لم يزن وإنما يزني لخلوه عن ذلك، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه، ولم ينزع منه نفس التصديق. ولهذا قيل: هو مسلم وليس بمؤمن، فإن المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصدقاً وإلا كان منافقاً. لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الأحوال الإيمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله، ومثل خشية الله، والإخلاص له في الأعمال والتوكل عليه، بل يكون الرجل مصدقاً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك يراني بأعماله ويكون أهله، وماله أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله، وقد خوطب بهذا المؤمنون في آخر الأمر في سورة براءة فقل لهم: **(قُلْ إِنْ كَانَ**

¹ (حديث رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه أحمد 18 / 1)

أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (التوبة: 24)، ومعلوم أن كثيراً من المؤمنين أو أكثرهم بهذه الصفة (1)

3 - يذكر رحمه الله أن المراد بالكفر في إطلاقه على تارك العمل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (2) وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فلم يكن كذلك، باء بالكفر. (3)

فقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بقتاله أخاه كافراً - والمراد بالكفر ليس كفراً ينقل عن الملة، ولكن الكفر من جهة العمل يستشهد بما يقوله في عدة مواضع من مؤلفاته لا سيما في تأليفه (الإيمان) وفي مجموعة فتاواه ويقول في موضع:

قالوا: فمن ثم قلنا: إن ترك التصديق بالله كفر، وإن ترك الفرائض مع تصديق الله أنه قد أوجبها، كفر، ليس بكفر بالله، إنما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل كفرتني حقي ونعمتي، يريد ضيعت حقي، وضيعت شكر نعمتي. قالوا: ولنا في هذا قدوة **بمن روى عنهم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين؛ إذ جعلوا للكفر فروعا، دون أصله لا ينقل صاحبه عن ملة الإسلام كما أثبتوا للإيمان من جهة العمل فروعا للأصل لا ينقل تركه عن ملة الإسلام.** من ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (المائدة: من الآية 44)، قال محمد بن نصر: حدثنا ابن يحيى، حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام، يعني ابن عروة عن حجير عن طاؤس عن ابن عباس: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)**: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه. ثم يذكر في رواية أخرى عن ابن عباس: فهو كافر كفراً لا ينقل عن الملة وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وأيضا روى عن ابن جرير عن **عطاء قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم وفسق دون فسق.**

(1) فتاوى ابن تيمية ج 7 ص 193

(2) صحيح البخاري في الإيمان (48) ومسلم في الإيمان (64) (116)

(3) البخاري في الأدب (3، 610، 10) ومسلم في الإيمان (111/68)

قال محمد بن نصر: قالوا: وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالماً ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً فظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل، قال الله تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: 82)، وقال تعالى: **(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** (لقمان: من الآية 13).

وذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه قال: لما نزلت: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** (الأنعام: 82) شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ قال رسول صلى الله عليه وسلم: ليس بذلك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: **(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** إنما هو الشرك ⁽¹⁾

وأيضاً قال محمد بن نصر: وكذلك الفسق فسقان، فسق ينقل عن الملة، فسق لا ينقل عن الملة، فيسمى الكافر فاسقاً، والفاسق من المسلمين فاسقاً. ذكر الله إبليس فقال: **(فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)** (الكهف: من الآية 50)، وكان ذلك الفسق منه كفراً وقال الله تعالى: **(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ..)** (السجدة: 20)، يريد به الكفار دل على ذلك قوله تعالى: **(كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ)** سورة السجدة آية 20

وسمي الفاسق من المسلمين فاسقاً، ولم يخرج من الإسلام قال تعالى: **(وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** (النور: 4)

وقال الله تعالى: **(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٍ وَلَا فُسُوقٍ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)** (البقرة: من الآية 197)، ذكر العلماء في تفسير الفسوق هاهنا هي المعاصي.

قالوا: فلما كان الظلم ظلمين والفسق فسقين كذلك الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة والآخر لا ينقل عن الملة، وكذلك الشرك شركان، شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء. قال الله تعالى:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: من الآية 110). سورة الكهف آية 110

⁽¹⁾ البخاري في التفسير (4776) ومسلم في الإيمان 197/124

يريد بذلك المراعاة بالأعمال الصالحة. وورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **الطيرة شرك** (1) (2)

يستدل الإمام ابن تيمية على مذهبه في قضية العمل وصلته بالإيمان بأدلة كثيرة منها:

1- ما نقله عن ابن شبيبة في بيان حديث (لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن) (3) لا يكون مستكمل الإيمان، يكون ناقصا من إيمانه، قال: وسألت أحمد بن حنبل عن الإسلام والإيمان. فقال: الإيمان قول وعمل؛ والإسلام إقرار. قال وبه قال أبو خيثمة. وقال ابن أبي شبيبة: **لا يكون الإسلام إلا بالإيمان ولا إيمان إلا بالإسلام.** (4)

2- ومنها ما يستدل به من آيات:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: 2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (الأنفال: 3) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال: 4)

يستدل بهذه الآيات على قبول الإيمان الزيادة والنقصان، وإن ناقص الإيمان ليس ككامله، ويذكر ما روي عن حسان بن عطية أنه قال: الإيمان في كتاب الله صار إلى العمل قال الله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)** (الأنفال: من الآية 2) ثم صيرهم إلى العمل فقال: **(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** (الأنفال: 3)، قال: وسمعت الأوزاعي يقول: قال الله تعالى: **(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)** (التوبة: من الآية 11) والإيمان بالله باللسان وتصديق به بالعمل.

ويزيد الإمام ابن تيمية توضيحا ويقول: وقال معمر عن الزهري: كنا نقول الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل؛ والإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر. وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله؛ فإن كان عمله أوزن من قوله

1 (ذكره ابو داود في الطب (39) والترمذي في السير (1614) وقال حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل - وذكره ابن ماجة في الطب (3538)

2 (مجموعة فتاوى ابن تيمية ج 7 ص 206

3 (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد.

4 (المرجع السابق ص 207

صعد إلى الله، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله؛ ورواه أبو عمر والطلمنكي بإسناده المعروف.

وقال معاوية بن عمر عن ابن اسحق الفزاري عن الأوزاعي قال: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان؛ والإيمان من العمل. وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدق العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم ليصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقا للقول ورووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه معاذ بن أسد: حدثنا الفضيل بن عياض عن ليث بن أبي بن سليم عن مجاهد عن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: الإيمان الإقرار والتصديق بالعمل ثم تلا: **(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** (البقرة: 177)

قلت: حديث أبي ذر هذا مروى من غير وجه؛ فإن كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم فلا كلام، وإن كانوا رووا بالمعنى دل على أنه من المعروف في لغتهم أنه يقال: صدق قوله بعمله وكذلك قال شيخ الإسلام الهروي: الإيمان تصديق كله. ⁽¹⁾ ونكتفي بهذا القدر من ذكر آراء ابن تيمية رحمه الله الذي يدل على أنه يعطي للعمل أهمية كاملة ولكن لا يخرج المقصر في العمل من

⁽¹⁾ مجموعة فتاوى ابن تيمية المجلد السابع ص 185 - 186 ومما يورث الانتباه ان ابن تيمية ذكر عبد الله الأنصاري الهروي باسم شيخ الإسلام، وهذا يدل على أنه رحمه الله لا يعادي كل الصوفية؛ بل الصوفية المنحرفين، ومعروف ان الهروي وهو مؤلف كتاب: (منازل السائرين) من أئمة التصوف وكتابه وهو المرجع لكتاب ابن القيم الجوزية رحمه الله: (مدارج السالكين ومنازل السائرين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين) ومع أنه اعترض على بعض آراء الهروي لكنه يؤيد كثيراً منها وكتب كتابه على نهجه.

الإيمان إلا إذا كان مستخفاً به ومصرراً إصراراً يظهر منه ان في تصديقه شيء من الخلل.

نتيجة البحث وبيان ضرورة التحقيق حول الإيمان في عصرنا هذا الذي كثر فيه البعد عن الاهتمام بالحقائق العلمية الإسلامية وضرورة الاستفادة من مثل هذه البحوث في مجالات الدعوة الإسلامية

إن عصرنا هذا الذي غلبت فيه الماديات على التحقيقات العلمية المرتبطة بالأمور المعنوية (الأمور الميتافيزيقية)؛ يعتبر عصر إعطاء القضايا الإسلامية للبيئات، والأفراد والمجتمعات بطريق يكون هضم القضايا سهلاً من ناحية، ووضع النقاط على الحروف فيما يحتاج إليه المحبون للتحقيق بطريق دقيق، من ناحية أخرى.

علماً بأن العقيدة الإسلامية لا تتغير ولا تتطور؛ ولكن النظرة إليها تتطور بتطور الأزمنة والأفكار.

ولقد رأى المسلمون في القرون المتوالية منذ ظهور شمس الإسلام فرقاً وطوائف مختلفة وأحزاباً متنوعة. كل حزب بما لديهم فرحون، ولكن المنصفين من هؤلاء الطوائف أعلنوا أن الإسلام منذ ظهوره نادى بوحدة العقيدة ونبذ الشرك بكل أنواعها، وعلى كل متبع للحق وداع إلى دين الله أن يسعى إلى محو جميع الفروق الطائفية والعنصرية الهدامة؛ التي تفضي إلى التشتت في عقائد المسلمين. وليكن تمسكه بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم جميع المسلمين إلى وحدة العقيدة وإلى الجهاد والتضحية في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

لقد جاء الإسلام في حال كان العالم يعيش في ظلام دامس، وجهل مطبق وعقائد محرفة ومضللة، فبدل ظلام الحياة ضياء ونورا، وجهل الناس ثقافة وعلماء، دعا الناس إلى عقيدة تجمع بين العقائد والأديان السماوية التي تنمى مع الفطر السليمة، وأعلن أن الأوهام الزائفة هي الواجب محوها، وأن البشرية تحتاج إلى ما هو الواجب عقيدة، وسلوكاً، وتفكيراً، وتنظيماً في شتى نواحي الحياة والحضارة. وجه الإسلام الناس جميعاً عربهم وعجمهم أسودهم وأبيضهم إلى العمل بدستور أبدي وخالد تكفل الله بحفظه؛ وهو القرآن الكريم بحيث يفضي هذا التمسك وهذا العمل إلى محاربة الأفكار الجاهلية الأولى.

أعلن الإسلام بقوة وحدة العقيدة الإسلامية، وبضوء المبادئ والأسس السليمة الخالدة التي لا تقبل التغيير والتطوير أن التعاون بين المسلمين هو الأساس للدعوة إلى الحق، والخير، والفضيلة، والعدل، والمساوات، والحرية الواقعية، والرقى للمحافظة على الشرف والكرامة، ومحاربة الأهواء، والتقاليد الضارة. إن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك لا تبقى منحصرة في إطار واحد؛ بل يدعوا إلى تحرير الإنسان من الجمود، والجهل، والاستبداد.

إن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع نموذج من النماذج الهامة؛ لوضع أسس سليمة لا يصل الإنسان إلى السعادة الأبدية إلا بالتمسك بها إذ يقول: **(أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم؛ ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فاشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب) (1).**

إن القضاء على الفوارق القومية والعنصرية، وإن اعتبار التقوى معياراً أصلياً للفضيلة مع رعاية أنواع التقوى: في العبادة والسلوك الاجتماعي والتقوى في السيرة والخلق والتقوى في الخوف من الله ومن حساب يوم القيامة، وسائر ما تشتمل عليه هذه الكلمة المليئة بالمعاني؛ كل ذلك مرتبط بعقيدة الوحدة ونبذ الشرك بأنواعه المختلفة.

ومع هذا الإعلان العام والإعلام الشامل وكثير غيره من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم التي ترشد البشرية إلى الحق والصدق واليقين نرى المسلمين محاطون بأنواع شتى من الأفكار المختلفة، والآراء المتناقضة البعيدة عن روح التمسك بهذه الخطبة الجامعة المزیلة للفوارق والخطب الأخرى التي وضحت الطريق أمام المسلمين ليأخذوا بما هو الواجب عليهم.

إن أعداء الإسلام والمسلمين افتروا على الإسلام، واتهموه بأنه يمنع حرية الفكر والرقى الحقيقي ونسوا أن القرآن الكريم وجميع وصايا ديننا الحنيف شاهد صدق على أن الإسلام بسعة رفقته لا يمنع التفكير والوصول إلى المدارج العليا؛ بل يرشد الناس إلى غزاة المعرفة واتساع الأفق والبعد عن التردد.

إن الإسلام لم يترك شيئاً يكون فيه نفع البشرية مع الاحتفاظ بكرامتها، وعزتها وشوكتها، فبين ما هو واجب المسلمين في العقائد والعبادات والمعاملات

(1) رواه أحمد في مسنده.

لتكون أعمالهم مؤسسة على التأمل العقلي، وهو ذلك النور الذي وصى به القرآن الكريم في عدة مواضع بإرشادات:

أفلا تعقلون – لتكون نفوسهم مستعدة لقبول الحقائق بمعيار العقل، ويكون الشخص بتفكره وتدبره منصفاً في الفرق بين الحق والباطل – خارجاً عن التقليد الأعمى الذي يزول بتشكيك المشككين – وليكن النظر إلى الحقائق بالفكر والروح والدقة؛ بحيث يكون ممداً لقبول القضايا الإسلامية العقديّة والسلوكية بكل ذوق وحب.

إن التعمق في القضايا المرتبطة بالإيمان في نصوص القرآن والحديث يجعلنا بحال نعتقد أن العالم أكبر بكثير من ظاهره المشهود؛ لأن العالم ليس عالم الشهادة وحده؛ بل ينقسم إلى عالم الغيب والشهادة، وأن العالم ليس هذه الدنيا وحدها، بل هو الدنيا والآخرة، وأن الموت ليس فناءً أبدياً ونهايةً للوجود، وإنما هو مرحلة من مراحل الطريق والحياة الممتدة إلى أبد الأبد هي بعد الموت وبعد زوال الحياة العارضة الدنيوية.

إن التعمق في القضايا الإيمانية يعطي للإنسان مولداً جديداً أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته؛ فيرى في الوجود والعالم والحياة تصوراً جديداً، وينظر إلى الحقائق بمنظار التعمق الديني.

إن القرآن الكريم أرشدنا إلى أن التقوى يتركز أول ما يتركز على الإيمان بالغيب، ثم على العمل بالفرائض، والبدء بالإيمان بالغيب؛ هو البدء بما يميز الإنسان من الحيوانات الأخرى التي لا تدرك إلا عن طريق الحواس، وبذلك نعرف ونعترف أن الوجود أكبر وأعظم وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس، وأنعم الله على الإنسان المؤمن بأنه يدرك الكون وما وراء الكون ويعترف بالقوة التي تدير الكون وما فيه.

إن الإنسان بإيمانه بالغيب يبرز الطاقة الفكرية التي وهبها الله له ويظهر طاقته العقلية في أن عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في الغيب المكنون ويتأكد بأن الله العليم الخبير هو الذي يحيط بالظاهر، والباطن، والغيب، والشهادة، نعم ! الإيمان بالغيب هو الطريق في الفصل بين آراء الماديين؛ الذين لا وجود عندهم إلا للمحسوس، وبين آراء المؤمنين بالغيب الذين يدركون الخط الفاصل بين المحسوس واللا محسوس؛ فيؤمنون بأن الله هو الخالق لكل من الغيب، والشهادة، ويستدلون بوجود الله وبقدرته وخلقه استدلالاً (إنّيّا): (وهو الاستدلال العلمي من المعلول إلى العلة) بقوة العقل والتدبر.

إن الإيمان بالغيب يجعل من المؤمن بحال يعتقد أن تصديق جبريل عليه السلام بقوله: صدقت عند سؤاله عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان. وجوابه بقوله: (أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره) أكبر دليل على أن الإيمان يبدأ من الإيمان بالغيب.

ولا ننسى ما ذكره بعض المفسرين من معنى (الإيمان بالغيب) حيث قال: الإيمان بالغيب أي بضمائرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين. وقال الشاعر: وبالعيب آمنة وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد (1) وهذا مفسر يبين الغيب بمعنى آخر غير ما ذكرناه وفصلناه.

روى ابن كثير سنده عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: كنا عند عبدالله بن مسعود جلوساً، فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وما سبقونا به فقال عبد الله: إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لما رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ: (الذين يؤمنون بالغيب) إلى قوله تعالى (المفلحون) (2)

وفي معنى هذا الحديث ما رواه أحمد (3) رحمه الله عن (ابن محيريز) قال قلت لأبي جمعة: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: نعم أحدثك حديثك جيداً؛ تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح؛ فقال يا رسول الله: هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك،، جاهدنا معك قال: نعم ! **قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني.**

وفي رواية أخرى عن صالح بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ببیت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ (رجاء بن حيوة) رضي الله عنه فلما انصرف خرجنا نشيعه فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: هات، رحمك الله. قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة – فقلنا يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجراً؟ آمنة بك واتبعناك قال: (ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن تأليف الإمام القرطبي ج 1 ص 115

(2) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم. وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(3) رواه أحمد عن أبي الجمعة الأنصاري. وله طرق أخرى .

السماء ؟ بل قوم بعدكم يأتيهم من بين لوحين يؤمنون به، ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا، أولئك أعظم منكم أجرا. (1)

إن هذه الإرشادات النبوية وكثير غيرها يعطي لنا المفتاح لمعرفة الإيمان بالغيب، والذي ذكر في صفة المتيقن كميز بارز لهؤلاء الذين نالوا بتقواهم مرتبة الفلاح ثبتوا على الهداية فثبتهم الله على الاهتداء وذكرهم الله بطريق الحصر بقوله:

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: من الآية 157)، فلا هداية إلى الإيمان بالغيب إلا هداية الله ولا اهتداء إلا بالتطبيق العقدي والعملية.

إن المتعمق في الآيات القرآنية التي ذكر فيها الإيمان بصيغ: المصدر الفعل الماضي – الفعل المضارع، اسم الفاعل، يتأكد بأن معرفة حقيقة الإيمان ودراساتها في الأعمال والأفعال تحتاج إلى هذه التوضيحات التي أتت بها الأحاديث النبوية لبيان الإيمان: مفهومه، ومصادقه، وإطلاقاته المتنوعة بعبارات متنوعة لها أهميتها لغويا وبلاغيا.

ويلخص هذا التعمق في ملاحظة: أن الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضا وفي بيان الأحاديث النبوية لمعانيها في المطالب التالية:

أ- إن الإيمان واجب وتكلف فيكون أمرا اختياريا، وإلا يلزم تكليف ما لا يطاق ومع هذا فإنه يستلزم الأمور التي لا تتعلق بالاختيار؛ بل يعرض القلب الذي هو محل الإيمان بغير قصد منه ولا تعمد ومنها: الوجه. بدليل قول الله تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: 2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الأنفال: 3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: 4)

وللوصول إلى حقيقة الوجه نحتاج إلى معرفة ما روي عن أم الدرداء رضي الله عنها في قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: 2)** قالت: الوجه في القلب كاحتراق السعة (2) أما تجد له قشعريرة. ؟ قال بلى ! قالت: إذا

(1) رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن صالح بن جبير عن أبي جمعة – مختصر تفسير ابن كثير

ج 1 ص 29

(2) السعة جريرة النخل. مختصر تفسير ابن كثير ج 2 ص 84

وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فإن الدعاء يذهب ذلك. ⁽¹⁾، ونجد الصلة بين هذه الآية وآية: **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: 23)**، وآية: **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون: 2)**

وبعد هذه الجولات في الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية يمكن لنا القول بأن **الوجل** هي الارتعاشة الوجدانية؛ التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر الله في أمر أو نهى فيغشاه جلاله وتنفض فيه مخافته.

والوجل إما فرع لذكر الله استعظاما له، وتهيبا من جلاله، أو هو الخوف من عقاب الله تعالى يأتي على المؤمن حينما يهيم بمعصية؛ فيقال له: اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه، وهذا الأخير موافق لما ذكره سفيان الثوري ويقول: سمعت الذي يقول في قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..) (الأنفال: 2)** هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهيم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه، وعلى كلا المعنيين فلا شك من استلزام الإيمان له وكونه خارجا عن الإرادة والتكليف ويتبع الإيمان تبعية طبيعية.

وحينما نذكر الوجل بكلا المعنيين، علينا أن نذكر لازما آخر للإيمان وهو الاطمئنان الذي بظاهره ينافي الوجل؛ لأن الاطمئنان فيه تسكين للنفس والخوف ارتعاشها. ولكن المتعمق يدرك عدم المناقاة بينهما؛ لأن الاطمئنان عبارة عن شرح الصدر بنور المعرفة، والتوحيد وتلج الفؤاد، وهو يجمع الخوف، ووفق بعض المفسرين بين الآيتين (آية الخوف وآية الاطمئنان) بأن الذكر في إحداها ذكر رحمة، وفي الأخرى ذكر عقوبة. فلا منافاة بينهما. ولكن القول الأول أقوى من حيث الدليل؛ لأن المؤمن حينما يستلذ بذكر الله ويشرح صدره لا يغيب عنه الخوف من العقاب، وقد جمع الله بين المعنيين في الآية التي ذكرنا وهي **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (الزمر: من الآية 23)** ويظهر منها أن سكون

⁽¹⁾ رواه الثوري عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء تفسير في ظلال القرآن ج 3 ص 1474

النفس من حيث اليقين إلى الله وإن كانت تخاف الله فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته. (1)

والتعمق في مستلزمات الإيمان وجعلها في التجربة العملية بحيث يمتحن المؤمن نفسه بهذه المستلزمات يظهر من الآيات القرآنية الأخرى أيضاً إضافة إلى ما تدل عليه الآية المذكورة: (إنما المؤمنون ...) إلى (يتوكلون) وهي:

أ- (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة: 22).

ب- (تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) (المائدة: 80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (المائدة: 81)

ت- إن الآية الأولى ترشدنا إلى أن الجمع بين الإيمان الخالص وموادة من حاد الله ورسوله غير ممكن ولو كان المحادون بعض الأقربين.

ولا يصح التفسير بأنه لا ينبغي أن يكون كذا؛ لأن هذا التفسير لا يشعر بعدم إمتناع الجمع بين الإيمان وحب الكفار والمفهوم من الآية هو الثاني.

ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لا تجد لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني أجد فيما أوحى إلي: **(لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...)** ويروى أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وذلك: أن أبا قحافة (والد أبي بكر الصديق) قد سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكته سكة سقط منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوقد فعلته؟ قال: نعم. قال: لا تعد. قال: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته.

إن ما صدر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أكبر دليل على أن الجمع بين الإيمان وموادة من حاد الله ورسوله غير ممكن حتى مع أقرب الأقارب وهو الأب.

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج 4 ص 32 - 233، وتفسير البيضاوي مع شرح شيخ زاده ج 2 ص 295 ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج 2 ص 84 والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج 2 ص 117 وكتاب الإيمان لابن تيمية ص 13

إن روابط الدم والقرباة تنقطع عند حد الإيمان. إن القرباة والصحة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها بنص القرآن حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان، وعند وجود المحادة والخصومة، والحرب تنقطع هذه الأوامر التي لا تربط بالعروة الواحدة، وبالحبل الواحد، وبذلك نفرق بين الوالدين المشركين الصامتين والساكتين وبين الوالدين المشركين النشطين في العداوة مع الله والرسول والمؤمنين.

وليس بين مقتضى الآيتين (الآية الدالة على الإحسان إلى الوالدين المشركين، والآية المانعة من ود من يعادي الله ورسوله) أي تناقض وتباعد واختلاف.

ومن مظاهر هذه الحالة الطبيعية (عدم الجمع بين الإيمان وموادة من حاد الله ورسوله) ما ثبت من قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه في يوم بدر، وقتل مصعب ابن عمير أخاه عبيد بن عمير، وقتل كل من: عمر وحمزة وعلي رضي الله عنهم أقرباءهم وعشيرتهم متجردين من علائق الدم والقرباة إلى آصرة الدين والوحدة العقدية.

وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله. وبذلك نقول:

لا نسب، ولا صهر، ولا قرابة، ولا وطن، ولا جنس، ولا عصبية، ولا قومية إنما الثابت الذي تجب رعايته العقيدة الإسلامية فإن المؤمنين يجمعون تحت راية الحق مع اختلاف ألوانهم وأوطانهم وعشائرهم. ⁽¹⁾ ومما يجب ذكره أن الود الممنوع شرعاً، والذي ينافي الإيمان لا يقتضي الانقطاع الكامل عن الكفار، بحيث لا يصح الكلام معهم، بل يقتضي عدم إلقاء حبه في القلب الذي هو محل الإيمان؛ لأنه يحصل به اجتماع الضدين، وهذا محال وإذا كانت الحياة تقتضي التعامل معهم من غير الود والحب فلا مانع من ذلك

وفي الآية الثانية: ذكر الله تعالى الجملة الشرطية: ولو كانوا... إلى آخر الآية.

⁽¹⁾ تفسير غرائب القرآن تأليف النيسابوري ج28 ص17 وتفسير: في ظلال القرآن تأليف سيد قطب ج6 ص3514 - 3515

والجملة الشرطية مقتضاها التلازم بين الشرط والمشرط (الجزاء) وجودا وعدما، وتدل على أن الإيمان المذكور ينفي ويضاد اتخاذهم أولياء. ⁽¹⁾ **ج -** آيات أخرى تدل على ما دلت عليه الآيتان المذكورتان من أن الإيمان يستلزم عدم المودة مع الكفار.

1- إن ذكر الإيمان مع حرف الجر (الباء) في المؤمن به وذكره مع حرف الجر (اللام) يوجهنا إلى الدقة في مقتضى كل منهما:

- فإن الأول لتضمنه معنى الاعتراف المُعَدَّى بالباء فيقال: اعترف به، لا لرعاية معناه الأصلي، وهو التصديق فقط؛ بل التصديق مع شيء زائد عليه، وهو الاعتراف بحيث يكون المعنى الأصلي وهو التصديق مقيدا؛ والمعنى الثاني (الاعتراف) قَيْدًا له، ويقال: في يؤمنون بالغيب يصدقون بالغيب معترفين به، كما هو المقرر من قاعدة التضمنين في اللغة العربية.

- وفي الثاني؛ أي التعدية باللام لا يتضمن الاعتراف بل في كل موضع من المواضع التي ذكر فيها الإيمان مع اللام يقصد معنى خاص، ومنها الآيات الآتية:

1- (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: 75)

2- (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنَكْشِفَ عَنَّْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ بِكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الأعراف: 134)

3- (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلُّ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة: 61)

4- (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) (يونس: 83)

5- (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف: 17)

6- (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) (الاسراء: 90) (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ)

⁽¹⁾ (الإيمان تأليف ابن تيمية ص14)

لِرُقِيكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَاهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا
(الاسراء:93)

7- (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى) (طه:71)

8- (فَقَالُوا أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) (المؤمنون:47)
9- (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى) (طه:71)

10- (قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ) (الشعراء:111)
11- (فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(العنكبوت:26)

12- ففي الآية الثالثة: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة:61)

13- (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) اللام ليس صلة للإيمان، وقد صرح بذلك البيضاوي في تفسيره إذ يقول: واللام مزيدة للترقية بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ويذكر في توجيه كلامه الشارح شيخ زاده ما يلي:
جواب ما يقال: لم عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام
وتقرير الجواب: إن الإيمان بمعنى الأمان من الخلد في النيران، وهو الإيمان المقابل للكفر حقه أن بعدى بالباء، وأما الإيمان بمعنى التصديق والتسليم؛ فإنه يعدى باللام للترقية بينهما، وإن كان حقه أن يعدى بنفسه؛ كالتصديق حيث يقال: صدقتك ولا يقال صدقت لك.

ويلاحظ مع هذا ما ذكره البيضاوي في (يؤمنون بالغيب) بأن الإيمان متضمن لمعنى الاعتراف، ولذلك عدى بالباء ويظهر من قوله أن الإيمان إذا استعمل بمعنى التصديق ولا يتضمن معنى آخر فحقه التعدية بنفسه لا بحرف الجر فالتعدية بحر الجر (الباء) لتضمينه معنى الاعتراف، و: (باللام) يكون لأغراض أخرى ذكرها المفسرون في كل آية عدى فيها الإيمان باللام، وليست التعدية لغرض واحد، وإفادة مطلب واحد، ولذلك لا يمكن القول بأن التعدية باللام في (ويؤمن للمؤمنين) للفرق بين معنيي الإيمان كما ذكره البيضاوي تراد في:

(أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وتطبق في كل آية ذكر فيها الإيمان باللام. ولا ندخل في تفصيل كل آية وتفسيرها وعلّة تعدية الإيمان فيها باللام. بدليل: إننا بصدد إثبات وجود المعاني المختلفة للإيمان في القرآن الكريم، والاستدلال على هذا المطلب عن طريق ذكر صيغ الإيمان وتعديته، وأما بيان الفروق الأساسية بين معاني الإيمان المعدى باللام فقط؛ فهذا خارج عن نطاق البحث ويحتاج إلى بحث تفصيلي آخر.

وبالجملة: إن الإيمان وارد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة:

- 1 - صيغة المصدر:** (الإيمان) ولا يذكر متعلق الإيمان مع هذه الصيغة.
 - 2 - صيغ الماضي:** آمن، آمنوا، آمنتم، آمنت، آمنّا وغيرها فإنه يذكر معها متعلق الإيمان (المؤمن به)
 - 3 - صيغ المضارع:** يؤمن (مفردا وجمعا) تؤمن (مفردا وجمعا) ونؤمن ويذكر معها متعلقاتها
 - 4 - صيغة الأمر:** آمنوا ويذكر معها المتعلق.
- وأخيرا:

فإن دراسة معاني الإيمان في القرآن الكريم كما ترشدنا إلى القضايا الاعتقادية الهامة؛ كذلك تجعلنا مؤمنين بأن القرآن الكريم بإعجازه في مجال الفصاحة والبلاغة يشتمل على جوانب أخرى من الإعجاز، ويتطلب العلم بها؛ أن يكون الدارس ملما بالفروق الأساسية في معاني الإيمان وغيرها من المعاني ليصل بها إلى مزيد العلم؛ بأن هذا القرآن كلام الله لا يشبه كلام المخلوقين ولا يمكن لأحد الإتيان بمثله إلى يوم القيامة مهما وصل العلم، والاكتشاف إلى المراحل الراقية؛ فالقرآن باق على إعجازه وتعجيزه العالم بالإتيان بأقصر سورة من مثله وهذا هو الإيمان الكامل بالقرآن الكريم. وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين) انتهى النقل من د عناية الله إبلاغ حفظه الله في صحة وعافية.

والإيمان لغة:

هل الإيمان أصله من: آمَنَ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا فهو مُؤْمِنٌ؟

أم أصله من: آمَنَ يَأْمَنُ أَمْنًا فهو آمِنٌ؟ سندرس الحالتين وأثارهما:

- 1 - آمَنَ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا فهو مُؤْمِنٌ:** فآمَنَ فعل مشتق من المصدر المزيد من باب الإفعال (الإيمان) ومشتقاته **وهو إعطاء الأمن؛** ودليله:

أ - إن أصل كلمة إيمان هو إيمان؛ نظراً لقاعدة الصرف: إذا اجتمعت همزتان وكانت الأولى مكسورة تقلب الثانية ياءً.

ب - إن الإيمان مصدر من باب الإفعال؛ وباب الإفعال يستعمل في التصيير:
أي عدُّ الشخص أو الشيء مأموناً: فقولنا (أمنّا بالقرآن) أي اعتقدنا أن القرآن ذا أمن من التكذيب: أي لا يليق أن يكذب، ونصدقه أي نعتبره صادقاً.
ففي صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:
"بني الإسلام على خمس"، وهو قول وفعل، ويزيد وينقص:

قال الله تعالى: **(لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ)** (الفتح:4)، **(وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى)** (مريم: من الآية76) **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)** (محمد:17)، وقوله: **(وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا)** (المدثر: من الآية31)، وقوله: **(وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَكُنْمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** (التوبة:124)، وقوله جل ذكره: **(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)** (آل عمران:173)، وقوله تعالى: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** (الأحزاب:22).

ويتابع البخاري قوله ونقله في إثبات زيادة الإيمان على أصله فيقول:
(والحب في الله والبغض في الله من الإيمان).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي⁽¹⁾: إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص".

وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: **(وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي)** (البقرة: من الآية260)، وقال معاذ بن جبل: **(اجلس بنا نؤمن ساعة)**⁽²⁾، وقال ابن

⁽¹⁾ وهو في مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا باب - حديث: 29831، وهو في السنة لأبي بكر بن الخلال - باب مناكحة المرجئة - حديث: 1166: عن عيسى بن عاصم، عن عدي بن عدي، وهو يومئذ أمير على أرمينية، قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز وذكر الحديث.

⁽²⁾ صحيح البخاري - كتاب الإيمان، قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: قد وردت كذلك روايات عن سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وهي:

مسعود بن عبد الله: (اليقين الإيمان كله)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر)، وقال مجاهد: (شرع لكم من الدين أوصيناك يا محمد وإياه ديناً واحداً)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (شرعة ومنهاجاً)، سبيلاً وسنة، باب (دعائكم): إيمانكم، لقوله عز وجل: (قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) (الفرقان: من الآية 77) ومعنى الدعاء في اللغة: الإيمان) انتهى من صحيح البخاري.

ج - الأصل في الإيمان: الدخول في صدق الأمانة التي انتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن (1).
(وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ عَٰثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283) سورة البقرة.

1- مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا - باب - حديث: 29813: كان عبد الله بن راحة يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: " تعالوا نؤمن ساعة ؛ تعالوا فلنذكر الله ونزداد إيماناً، تعالوا نذكره بطاعته لعله يذكرنا بمغفرته"

2- الإبانة الكبرى لابن بطة - باب زيادة الإيمان ونقصانه، وما دل على الفاضل فيه والمفضول - حديث: 1128: أن أبا الدرداء قال: كان ابن راحة يأخذ بيدي فيقول: " تعالوا نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً ". قال يعقوب بن إبراهيم: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أنا أقول: إن الإيمان يتفاضل، وكان الأوزاعي يقول: ليس هذا زمان تعلم، هذا زمان تمسك.

3- مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم - مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه - حديث: 13547: عن أنس بن مالك، قال: كان عبد الله بن راحة إذا لقي الرجل من أصحابه، يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن راحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله ابن راحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة"

4- وفي شعب الإيمان للبيهقي - باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه - حديث: 49: عن عطاء بن يسار، أن عبد الله بن راحة قال لصاحب له: " تعال حتى نؤمن ساعة " . قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: " بلى، ولكننا نذكر الله فنزداد إيماناً"

5- وفي الإيمان لابن أبي شيبة - ما ذكر في الإيمان - حديث: 113: كان عبد الله بن راحة يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: " تعالوا فلنؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولتزدادوا إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته"

وفي الزهد والرقائق لابن المبارك - باب فضل ذكر الله عز وجل - حديث: 1375: أن أبا الدرداء قال: كان ابن راحة يأخذ بيدي ويقول: " تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً"

(1) لسان العرب 23/13

فالعلاقة بين الإيمان والأمانة قوية لذا جاء في القرآن: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) سورة الأحزاب⁽¹⁾)

والإنسان حمل الأمانة لأن الله تعالى أشهده على نفسه، وحمله أمانة الإيمان به: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) سورة الأعراف⁽²⁾..

(¹) (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا): أي طبعتهن لا يخلف بعضها بعضاً، لأن الخليفة هو الذي يخلف بعضه بعضاً، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: 165)، والله أعلم.

(²) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى "فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: 30)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة" وفي رواية "على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء".

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم".

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله - وأسنده - عن الأسود بن سريع بن بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات، قال: فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك صلى الله عليه وسلم، فاشتد عليه، ثم قال "ما بال أقوام يتناولون الذرية" فقال رجل: يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: "إن خياركم أبناء المشركين، ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها"، ثم قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه " (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (172) سورة الأعراف⁽²⁾) " الآية وقد رواه الإمام أحمد بسنده، وأخرجه النسائي في سننه.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم:

قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به، قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي" أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به...

وقال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد:

كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك، قالوا ولهذا قال "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" ولم يقل من آدم "من

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60)

سورة يس.

وروى أحمد - بسند حسن - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَلَّمَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ).

وانظر إلى تبيان الرسول ﷺ إلى أن الأمانة من لوازم الإيمان وحقيقته:

أخرج البخاري - باب رفع الأمانة وباب الفتن - عن حذيفة قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ: رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: (أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ) وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: (يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ؛ كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رَجُلِكَ فَتَفْطِرُ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيَقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلُهُ! وَمَا أَظْرَفُهُ! وَمَا أَجْلَدُهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ) وَلَقَدْ أَتَى عَلِيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهَ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايَعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا) ورواه مسلم: الترمذي في سننه: ابن ماجه: أحمد في مسنده. (1).

ظهورهم" ولم يقل من ظهره "ذرياتهم" أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" وقال "ويجعلكم خلفاء الأرض" وقال "كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين" ثم قال "وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى" أي أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالوا، والشهادة تارة تكون بالقول كقوله "قالوا شهدنا على أنفسنا" الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى "ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر" أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى "وإنه على ذلك لشهيد".

كما أن السؤال تارة يكون بالقال، وتارة يكون بالحال كقوله "وأتاكم من كل ما سألتموه". قالوا ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراف فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده؟

فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال "أن تقولوا" أي لئلا تقولوا يوم القيامة "إنا كنا عن هذا" أي التوحيد "غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا" الآية. انتهى باختصار.

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والجذر: بفتح الجيم وكسر هاء الأصل في كل شيء، والوكت: بفتح الواو وسكون الكاف بعدها مثناة: أثر النار ونحوه، والمجل: بفتح الميم وسكون الجيم بعدها لام هو أثر

العمل في الكف، والمنتبر: بنون ثم مثناة مفتوحة ثم موحدة مكسورة وهو المنتفط. قوله (ولا يكاد أحدهم) في رواية الكشميهني "أحد" بغير ضمير. قوله (من إيمان) قد يفهم منه أن المراد بالأمانة في الحديث الإيمان وليس كذلك بل ذكر ذلك لكونها لازمة للإيمان.

وقال في باب الفتن شارحاً للحديث: (قوله) (ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة) كذا في هذه الرواية بإعادة ثم، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم واجباً كان أو مندوباً.

قوله (وحدثنا عن رفعها) هذا هو الحديث الثاني الذي ذكر حذيفة أنه ينتظره وهو رفع الأمانة أصلاً حتى لا يبقى من يوصف بالأمانة إلا النادر، ولا يعكر على ذلك ما ذكره في آخر الحديث مما يدل على قلة من ينسب للأمانة فإن ذلك بالنسبة إلى حال الأولين، فالذين أشار إليهم بقوله "ما كنت أباع إلا فلانا وفلانا" هم من أهل العصر الأخير الذي أدركه والأمانة فيهم بالنسبة إلى العصر الأول أقل، وأما الذي ينتظره فإنه حيث تفقد الأمانة من الجميع إلا النادر.

قوله (فيظل أثرها) أي يصير وأصل "ظل" ما عمل بالنهار ثم أطلق على كل وقت، وهي هنا على بابها لأنه ذكر الحالة التي تكون بعد النوم وهي غالباً تقع عند الصبح، والمعنى أن الأمانة تذهب حتى لا يبقى منها إلا الأثر الموصوف في الحديث.

قوله (مثل أثر الوكت) بفتح الواو وسكون الكاف بعدها مثناة، تقدم تفسيره في الرقاق وأنه سواد في اللون، وكذا المجل وهو بفتح الميم وسكون الجيم أثر العمل في اليد.

قوله (فنفط) بكسر الفاء بعد النون المفتوحة أي صار منقطاً وهو المنتبر بنون ثم مثناة ثم موحدة يقال انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلاً ماء وحاصل الخبر أنه أندر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة فإنه يصير خائناً لأن القرين يقتدي بقرينه.

قوله (ولقد أتى علي زمان إلخ) يشير إلى أن حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير فأشار إليه، قال ابن التين: الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف. وعن ابن عباس: هي الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها، وقيل هي الطاعة، وقيل التكليف، وقيل العهد الذي أخذه الله على العباد. وهذا الاختلاف وقع في تفسير الأمانة المذكورة في الآية (إنا عرضنا الأمانة).

وقال صاحب التحرير: الأمانة المذكورة في الحديث هي الأمانة المذكورة في الآية وهي عين الإيمان، فإذا استمكنك في القلب قام بأداء ما أمر به واجتنب ما نهى عنه.

وقال ابن العربي: المراد بالأمانة في حديث حذيفة الإيمان، وتحقيق ذلك فيما ذكر من رفعها أن الأعمال السنية لا تزال تضعف الإيمان، حتى إذا تناهى الضعف لم يبق إلا أثر الإيمان، وهو التلطف باللسان والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب، فشبهه بالأثر في ظاهر البدن، وكني عن ضعف الإيمان بالنوم، وضرب مثلاً لزهوق الإيمان عن القلب حالاً بزهوق الحجر عن الرجل حتى يقع بالأرض.

قوله (ولا أبالي أيكم بايعت) تقدم في الرقاق أن مراده المبايعة في السلع ونحوها، لا المبايعة بالخلافة ولا الإمارة. وقد اشدت إنكار أبي عبيد وغيره على من حمل المبايعة هنا على الخلافة وهو واضح، ووقع في عبارته أن حذيفة كان لا يرضى بأحد بعد عمر يعني في الخلافة وهي مبالغة، وإلا فقد كان عثمان ولاه على المدائن وقد قتل عثمان وهو عليها، وباع لعلني وحررض على المبايعة له والقيام فيه نصره، ومات في أوائل خلافته.. والمراد أنه لو وثقه بوجود الأمانة في الناس أولاً كان يقدم على مبايعة

وروى أيضاً عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَهُ: أَمَا خِفْتَ أَنْ أَقْعِدَ لَكَ رَجُلًا فَيَقْتُلَكَ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لَتَفْعَلِيهِ؛ وَأَنَا فِي بَيْتِ أَمَانٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَعْني الْإِيمَانُ قَيْدُ الْفِتْنِ، كَيْفَ أَنَا فِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ وَفِي حَوَائِجِكَ؟، قَالَتْ: صَالِحٌ، قَالَ: فَذَعِينَا وَإِيَّاهُمْ حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ.

وبذلك يتضح من تعريف الإيمان أنه يؤدي للأمان في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا: فبالتصديق بالجنان والإقرار باللسان، فيأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه:

روى مسلم في - كتاب البر والصلة - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبْعَ

من اتفق من غير بحث عن حاله، فلما بدا التغير في الناس وظهرت الخيانة صار لا يبايع إلا من يعرف حاله.

ثم أجاب عن إيراد مقدر كأن قائلًا قال له: لم تنزل الخيانة موجودة لأن الوقت الذي أشرت إليه كان أهل الكفر فيه موجودين وهم أهل الخيانة، فأجاب بأنه وإن كان الأمر كذلك لكنه كان يثق بالمؤمن لذاته وبالكافر لوجود ساعيه وهو الحاكم الذي يحكم عليه، وكانوا لا يستعملون في كل عمل قل أو جل إلا المسلم، فكان واثقًا بإنصافه وتخليص حقه من الكافر إن خان، بخلاف الوقت الأخير الذي أشار إليه فإنه صار لا يبايع إلا أفرادًا من الناس يثق بهم.

وقال ابن العربي: قال حذيفة هذا القول لما تغيرت الأحوال التي كان يعرفها على عهد النبوة والخليفين فأشار إلى ذلك بالمبايعة، وكني عن الإيمان بالأمانة وعما يخالف أحكامه بالخيانة، والله أعلم) انتهى باختصار.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم - باب رفع الأمانة - : (وأما قول حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين فمعناه: حدثنا حديثين في الأمانة، وإلا فروايات حذيفة كثيرة في الصحيحين وغيرهما).

قال صاحب التحرير: وعنى بأحد الحديثين: قوله: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، وبالثاني قوله: ثم حدثنا عن رفع الأمانة إلى آخره.

قوله: (أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال) ..، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده والعهد الذي أخذه عليهم. قال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمه الله في قول الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال):

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد. وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة. وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه. وقال مقاتل: الأمانة الطاعة.

قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين. قال: فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب. والله أعلم.) انتهى باختصار.

بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ).**
وأما نتيجة الإيمان في الآخرة فهي دخول الجنة، والأمن من الخلود في النار.

وقد ورد مصدر (الإيمان) ومشتقاته في القرآن الكريم فيما يقرب إلى (830) مرة تقريباً:

مثال وروده حسب الترتيب: **أَمَنْ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ:**
 (أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) سورة البقرة.
 (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) سورة البقرة.

(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108) سورة البقرة.
 (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ (221) سورة البقرة
 2 - أما أَمِنْ يَأْمِنُ أَمْنًا فهو أَمِنْ: فهو فعل مشتق من المصدر المجرد وهو (الأَمْنُ) أي (صار ذا أَمْنٍ) لأن الصيرورة مصدر لازم، وقد ورد مصدر (أَمِنْ) مع مشتقاته في القرآن الكريم فيما يقرب إلى (57) مرة:
 مثال ورود الفعل الماضي والمضارع:
 (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمِنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) سورة الأعراف.

- مثال ورود اسم الفاعل:
 (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ أَمِنًا (97) سورة آل عمران.
 - مثال ورود المصدر:
 (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (125) سورة البقرة.
 - ومثال وروده صيغة الصفة المشبهة:
 (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) سورة الشعراء.
 وبذلك يتضح أن الأصل اللغوي لكلمة (الإيمان) هو أَمِنْ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا فهو

مُؤْمِنٌ وليس هو **أَمِنْ** **أَمْنًا** فهو **آمِنٌ** ⁽¹⁾ وبذلك يثبت معنى الإيمان اللغوي أنه **عَدُّ الشَّخْصِ** أو **الشَّيْءِ مَأْمُونًا**، انطلاقاً من أن الإيمان مصدر من باب الإفعال؛ وباب الإفعال يستعمل في التصيير. والذي يجعل الشخص مأْمُونًا هو التصديق أولاً في القلب بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ثم التعبير عنه باللسان، فيصبح الشخص نتيجة الإيمان **آمِنًا**:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)
(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتَّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

أي إن المعنى اللغوي لكلمة الإيمان لا يدخل فيه العمل، ⁽²⁾ وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم، وفعله الصحابة أثناء الغزوات والفتوحات، قبولهم من الناس النطق بالشهادتين، فيصبح الشخص مؤمناً وآمناً على: دمه وماله وعرضه، وحتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليقبل الأذان دليلاً على الإيمان: أخرج البخاري في صحيحه -كتاب الأذان - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ

(1) كما حققه أستاذنا الشيخ الدكتور عناية الله إبلاغ - حفظه الله في صحة وعافية - في كتابه القيم: "التصور والتصديق خصائصهما ومجالاهما" والذي نقلنا منه ما سبق مع التصرف.

(2) ليس المقصود من هذا انتقاص أهمية العمل، إذ درجات الأحكام العملية متدرجة في حكم الأمر بين: الفرض والواجب والسنة المؤكدة والسنة غير المؤكدة والمندوب والمستحب، وكذلك متدرجة في حكم النهي بين: الحرام والمكروه تحريماً، والمكروه تنزيهاً، وهكذا، والأحكام العملية خاضعة للاجتهاد البشري كثيراً، بينما الإيمان لا يقبل ذلك التدرج والتنوع، فإما إيمان أو كفر، كما أن الإيمان لا يقبل الاجتهاد البشري فيه سوى التلقي عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

وأما محل وضعية العمل بالنسبة للإيمان فهو الاعتقاد بحكم الفرض فرض، والواجب واجب، والحرام حرام هذا أولاً.

وأما ثانياً فهو الانتقال إلى عمل الفرض والواجب والسنن، وترك الحرام والمكروه تحريماً، وهو الفقه العملي الذي يتبع تطبيقه نور التصديق بأصل الإيمان: (وهو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى)، كما سيأتي بيانه.

والمهم في ذلك وضع الشيء والحكم في مكانه الصحيح، وعدم الخلط بين الاعتقاد والعمل، لأن لكل واحد منهما مكان ينبع منه، ومكان تظهر آثاره فيه، فالاعتقاد في القلب، والعمل في السلوك والجوارح الظاهرة، والاعتقاد لا يتبدل ولا يتغير بين دعوة الرسل جمعياً: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ (59) - 67 - 73 - 85) سورة الأعراف (50 - 61 - 84) سورة هود (23 - 32) سورة المؤمنون، أي الاعتقاد بالأمر ثابت لا يتغير وهو عن الله تعالى، بينما ذات العمل يتبدل ويتغير: (كُلُّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (48) سورة المائدة والله أعلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بَنًا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بَنًا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ: فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنْ قَدِمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ؛ اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرَبْتُ خَيْبَرَ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ؛ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ) ورواه الثمانية. (1).

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ:

(إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ) ورواه: مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد والدارمي. (2)

(1) قال ابن حجر في فتح الباري: (قال الخطابي: فيه أن الأذان شعار الإسلام، وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه هـ).

وهذا أحد أقوال العلماء... وهو أحد الأوجه في المذهب. وأغرب ابن عبد البر فقال: لا أعلم فيه خلافاً، وأن قول أصحابنا من نطق بالتشهد في الأذان حكم بإسلامه إلا إذا كان عيسوياً فلا يرد عليه مطلق حديث الباب، لأن العيسوية طائفة من اليهود حدثت في آخر دولة بني أمية فاعترفوا بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن إلى العرب فقط، وهم منسوبون إلى رجل يقال له أبو عيسى أحدث لهم ذلك. انتهى.

(2) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (.. قوله (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب) هم اليهود، وكان ابتداء دخول اليهودية اليمن في زمن أسعد ذي كرب وهو تبع الأصغر كما ذكره ابن إسحاق مطولاً في السيرة، فقام الإسلام وبعض أهل اليمن على اليهودية، ودخل دين النصرانية إلى اليمن بعد ذلك لما غلبت الحبشة على اليمن، وكان منهم أبرهة صاحب الفيل الذي غزا مكة وأراد هدم الكعبة حتى أجلاه عنها سيف بن ذي يزن، كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً أيضاً، ولم يبق بعد ذلك باليمن أحد من النصاري أصلاً إلا بنجران وهي بين مكة واليمن، وبقي ببعض بلادها قليل من اليهود).

قوله (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا ذلك) مضى في وسط الزكاة من طريق إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بلفظ "فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله" وكذا أخرجه مسلم عن الشيخ الذي أخرجه عنه البخاري.

وقد تمسك به من قال أول واجب المعرفة كإمام الحرمين واستدل بأنه لا يتأتى الإتيان بشيء من الأمور على قصد الامتثال، ولا الانكفاف عن شيء من المنهيات على قصد الانزجار إلا بعد معرفة الأمر والناهي.

واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى إلا بالنظر والاستدلال، وهو مقدمة الواجب فيجب فيكون أول واجب النظر، وذهب إلى هذا طائفة كابن فورك.

وتعقب بأن النظر ذو أجزاء يترتب بعضها على بعض، فيكون أول واجب جزأ من النظر وهو محكي عن القاضي أبي بكر بن الطيب وعن الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني أول واجب القصد إلى النظر، وجمع بعضهم بين هذه الأقوال بأن من قال أول واجب المعرفة أراد طلباً وتكليفاً، ومن قال النظر أو القصد أراد امتثالاً لأنه يسلم أنه وسيلة إلى تحصيل المعرفة، فيدل ذلك على سبق وجوب المعرفة وقد ذكرت - القول لابن حجر - في "كتاب الإيمان" من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: 30)، وحديث "كل مولود يولد على الفطرة" فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة، وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عليه الصلاة والسلام "فأبواه يهودانه وينصرانه".

وقد وافق أبو جعفر السمعاني وهو من رؤوس الأشاعرة على هذا وقال: إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة؛ وتفرع عليها أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه، وأنه لا يكفي التقليد في ذلك انتهى.

وقرأت في جزء من كلام شيخ شيخنا الحافظ صلاح الدين العلائي ما ملخصه: أن هذه المسألة مما تناقضت فيها المذاهب وتباينت بين مفرط ومفرط ومتوسط.

فالطرف الأول قول من قال: يكفي التقليد المحض في إثبات وجود الله تعالى ونفي الشريك عنه، وممن نسب إليه إطلاق ذلك عبيد الله بن الحسن العنبري وجماعة من الحنابلة والظاهرية، ومنهم من بالغ فحرم النظر في الأدلة واستند إلى ما ثبت عن الأئمة الكبار من ذم الكلام كما سيأتي بيانه.

والطرف الثاني: قول من وقف صحة إيمان كل أحد على معرفة الأدلة من علم الكلام، ونسب ذلك لأبي إسحاق الأسفرايني،

وقال الغزالي: أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرزمة يسيرة من المتكلمين.

وذكر نحوه أبو المظفر بن السمعاني وأطال في الرد على قائله، ونقل عن أكثر أئمة الفتوى أنهم قالوا: لا يجوز أن تكلف العوام اعتقاد الأصول بدلائلها، لأن في ذلك من المشقة أشد من المشقة في تعلم الفروع الفقهية.

وأما المذهب المتوسط فذكره وسأذكره ملخصاً بعد هذا.

وقال القرطبي في المفهم: في شرح حديث "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" الذي تقدم شرحه في أثناء "كتاب الأحكام" وهو في أوائل "كتاب العلم" من صحيح مسلم.

هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلف أمته، إلى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وأمور صناعية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية ينشأ

بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها.

ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعيدها واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها؟

وفي الكلام: هل هو متحد أو منقسم؟ وعلى الثاني: هل ينقسم بالنوع أو الوصف؟ وكيف تعلق في الأزل بالمأمور مع كونه حادثاً؟، ثم إذا انعدم المأمور هل يبقى التعلق؟

وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلاً هو نفس الأمر لعمره بالزكاة؟ إلى غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم، بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده، ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات.

ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به فهو عن إدراك غيره أعجز.

وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزله عن الشبيه مقدس عن النظير متصف بصفات الكمال.

ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه، كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحب من الزلل.

ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والشافعي - رحمهم الله - .

وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضللاً.

قال: وأفضي الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وبيعضهم إلى الإلحاد وبيعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلبهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال " ركببت البحر الأعظم، وغصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فرارا من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف " هذا كلامه أو معناه وعنه أنه قال عند موته " يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام، فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلتم به "

إلى أن قال القرطبي: ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقاً بالذم:

- إحداهما قول بعضهم إن أول واجب الشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى

النظر، وإليه أشار الإمام بقوله ركببت البحر.

- ثانيتهما قول جماعة منهم إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه، حتى لقد أورد على بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك، فقال: لا تشنع علي بكثرة أهل النار.

قال: وقد رد بعض من لم يقل بهما على من قال بهما بطريق من الرد النظري وهو خطأ منه، فإن القائل بالمسألتين كافر شرعاً، لجعله الشك في الله واجباً، ومعظم المسلمين كفاراً حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة، وإلا فلا يوجد في الشرعيات ضروري،

وختم القرطبي كلامه بالاعتذار عن إطالة النفس في هذا الموضع لما شاع بين الناس من هذه البدعة حتى اغتر بها كثير من الأعمار فوجب بذل النصيحة، والله يهدي من يشاء انتهى.

وقال الأمدى في أبحار الأفكار: ذهب أبو هاشم من المعتزلة إلى أن من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر، لأن ضد المعرفة النكرة، والنكرة كفر.

قال: وأصحابنا مجمعون على خلافه، وإنما اختلفوا فيما إذا كان الاعتقاد موافقاً لكن عن غير دليل، فمنهم من قال إن صاحبه مؤمن عاص بترك النظر الواجب، ومنهم من اكتفى بمجرد الاعتقاد الموافق وإن لم يكن عن دليل وسماه علماً، وعلى هذا فلا يلزم من حصول المعرفة بهذا الطريق وجوب النظر.

وقال غيره: من منع التقليد وأوجب الاستدلال لم يرد التعمق في طريق المتكلمين، بل اكتفى بما لا يخلو عنه من نشأ بين المسلمين من الاستدلال بالمصنوع على الصانع، وغايته أنه يحصل في الذهن مقدمات ضرورية تتألف تألفاً صحيحاً وتنتج العلم، لكنه لو سئل كيف حصل له ذلك ما اهتدى للتعبير به.

وقيل الأصل في هذا كله المنع من التقليد في أصول الدين، وقد انفصل بعض الأئمة عن ذلك بأن المراد بالتقليد أخذ قول الغير بغير حجة، ومن قامت عليه حجة بثبوت النبوة حتى حصل له القطع بها، فمهما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم كان مقطوعاً عنده بصدقه فإذا اعتقده لم يكن مقلداً لأنه لم يأخذ بقول غيره بغير حجة، وهذا مستند السلف قاطبة في الأخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهذا الباب، فأمنوا بالمحكم من ذلك وفوضوا أمر المتشابه منه إلى ربهم.

وإنما قال من قال: إن مذهب الخلف أحكم بالنسبة إلى الرد على من لم يثبت النبوة، فيحتاج من يريد رجوعه إلى الحق أن يقيم عليه الأدلة إلى أن يدعن فيسلم أو يعاند فيهلك، بخلاف المؤمن فإنه لا يحتاج في أصل إيمانه إلى ذلك، وليس سبب الأول إلا جعل الأصل عدم الإيمان فلزم إيجاب النظر المؤدي إلى المعرفة، وإلا فطريق السلف أسهل من هذا كما تقدم إيضاحه من الرجوع إلى ما دلت عليه النصوص حتى يحتاج إلى ما ذكر من إقامة الحجة على من ليس بمؤمن، فاختلط الأمر على من اشترط ذلك والله المستعان.

واحتج بعض من أوجب الاستدلال باتفاقهم على ذم التقليد: وذكروا الآيات والأحاديث الواردة في ذم التقليد، وبأن كل أحد قبل الاستدلال لا يدري أي الأمرين هو الهدي، وبأن كل ما لا يصح إلا بالدليل فهو دعوى لا يعمل بها، وبأن العلم اعتقاد الشيء على ما هو عليه من ضرورة أو استدلال وكل ما لم يكن علماً فهو جهل، ومن لم يكن عالماً فهو ضال.

والجواب عن الأول أن المذموم من التقليد أخذ قول الغير بغير حجة، وهذا ليس منه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله أوجب اتباعه في كل ما يقول، وليس العمل فيما أمر به أو نهى عنه داخلاً تحت التقليد المذموم اتفاقاً، وأما من دونه ممن اتبعه في قول قاله واعتقد أنه لو لم يقله لم يقل هو به فهو المقلد المذموم، بخلاف ما لو اعتقد ذلك في خبر الله ورسوله فإنه يكون ممدوحاً.

وأما احتجاجهم بأن أحداً لا يدري قبل الاستدلال أي الأمرين هو الهدي فليس بمسلم: بل من الناس من تطمئن نفسه وينشرح صدره للإسلام من أول وهلة، ومنهم من يتوقف على الاستدلال، فالذي ذكروه هم أهل الشق الثاني، فيجب عليه النظر ليقى نفسه النار لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحریم: من الآية 6) ويجب على كل من استترشده أن يرشده ويبرهن له الحق وعلى هذا مضى السلف الصالح من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده.

وأما من استقرت نفسه إلى تصديق الرسول ولم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقاً من الله وتيسيراً. فهم الذين قال الله في حقهم (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانُ وَرَأَيْتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: من الآية 7) الآية. وقال (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) (الأنعام: من الآية 125) الآية

وليس هؤلاء مقلدين لأبائهم ولا لرؤسائهم. لأنهم لو كفر آبؤهم أو رؤسائهم لم يتابعوهم بل يجدون النفرة عن كل من سمعوا عنه ما يخالف الشريعة.

وأما الآيات والأحاديث فإتباعاً وردت في حق الكفار الذين اتبعوا من نهوا عن اتباعه وتركوا اتباع من أمروا باتباعه. وإنما كلفهم الله الإتيان ببرهان على دعواهم بخلاف المؤمنين فلم يرد قط أنه أسقط أتباعهم حتى يأتوا بالبرهان.

وكل من خالف الله ورسوله فلا برهان له أصلاً وإنما كلف الإتيان بالبرهان تبيكيتاً وتعجيزاً. وأما من اتبع الرسول فيما جاء به فقد اتبع الحق الذي أمر به وقامت البراهين على صحته، سواء علم هو بتوجيه ذلك البرهان أم لا.

وقول من قال منهم إن الله ذكر الاستدلال وأمر به مُسلم: لكن هو فعل حسن مندوب لكل من أطاقه، وواجب على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق كما تقدم تقريره وبالله التوفيق.

وقال غيره قول من قال طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم ليس بمستقيم: لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف.

وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده، وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله.

وأما قولهم في العلم فزادوا في التعريف عن ضرورة أو استدلال وتعريف العلم، انتهى عند قوله عليه: فإن أبوا إلا الزيادة فليزدادوا عن تيسير الله له ذلك وخلق ذلك المعتقد في قلبه، وإلا فالذي زادوه هو محل النزاع فلا دلالة فيه وبالله التوفيق.

وقال أبو المظفر بن السمعاني تعقب بعض أهل الكلام قول من قال إن السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بإيراد دلائل العقل في التوحيد بأنهم لم يشتغلوا بالتعريفات في أحكام الحوادث وقد قبل الفقهاء ذلك واستحسنوه فدونوه في كتبهم، فكذلك علم الكلام.

ويمتاز علم الكلام بأنه يتضمن الرد على الملحدين وأهل الأهواء، وبه تزول الشبهة عن أهل الزيغ ويثبت اليقين لأهل الحق، وقد علم الكل أن الكتاب لم تعلم حقيقته، والنبي لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقل.

وأجاب أما أولاً: فإن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وأمروا بالاتباع، وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب.

وأما الفروع فلم يثبت عن أحد منهم النهي عنها إلا من ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس، وأما من اتبع النص وقاس عليه فلا يحفظ عن أحد من أئمة السلف إنكار ذلك، لأن الحوادث في المعاملات لا تنقضي وبالناس حاجة إلى معرفة الحكم، فمن ثم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام.

وأما ثانياً: فإن الدين كمل لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ) (المائدة: من الآية 3)، فإذا كان أكمله وأتمه وتلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم، فأى حاجة بهم إلى تحكيم العقول والرجوع إلى قضاياها وجعلها أصلاً، والنصوص الصحيحة الصريحة تعرض عليها فتارة يعمل بمضمونها، وتارة تحرف عن مواضعها لتوافق العقول. وإذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصاناً في المعنى، مثل زيادة أصبع في اليد فإنها تنقص قيمة العبد الذي يقع به ذلك.

وقد توسط بعض المتكلمين فقال: لا يكفي التقليد بل لا بد من دليل ينشرح به الصدر. وتحصل به الطمأنينة العلمية، ولا يشترط أن يكون بطريق الصناعة الكلامية بل يكفي في حق كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه انتهى.

والذي تقدم ذكره من تقليد النصوص كاف في هذا القدر.

وقال بعضهم: المطلوب من كل أحد التصديق الجزمي الذي لا ريب معه بوجود الله تعالى والإيمان برسله وبما جاءوا به كيفما حصل وبأي طريق إليه يوصل، ولو كان عن تقليد محض إذا سلم من التزلزل.

قال القرطبي: هذا الذي عليه أئمة الفتوى ومن قبلهم من أئمة السلف، واحتج بعضهم بما تقدم من القول في أصل الفطرة وبما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة أنهما حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الأوثان، **فقبلوا منهم الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام الإسلام من غير إلزام بتعلم الأدلة،** وإن كان كثير منهم إنما أسلم لوجود دليل ما، فأسلم بسبب وضوحه له، فالكثير منهم قد أسلموا طوعاً من غير تقدم استدلال، بل بمجرد ما كان عندهم من أخبار أهل الكتاب بأن نبياً سيبعث وينتصر على من خالفه، فلما ظهرت لهم العلامات في محمد صلى الله عليه وسلم بادروا إلى الإسلام، وصدقوه في شيء قاله ودعاهم إليه من الصلاة والزكاة وغيرهما، وكثير منهم كان يؤذن له في الرجوع إلى معاشه من رعاية الغنم وغيرها، وكانت أنوار النبوة وبركاتها تشملهم فلا يزالون يزدادون إيماناً ويقيناً.

وقال أبو المظفر بن السمعاني أيضاً ما ملخصه: إن العقل لا يوجب شيئاً ولا يحرم شيئاً، ولا حظ له في شيء من ذلك، ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على أحد شيء، لقوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (الاسراء: من الآية 15) وقوله (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: من الآية 165) وغير ذلك من الآيات.

فمن زعم أن دعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إنما كانت لبيان الفروع، لزمه أن يجعل العقل هو الداعي إلى الله دون الرسول ويلزمه أن وجود الرسول وعدمه بالنسبة إلى الدعاء إلى الله سواء، وكفى بهذا ضلالاً.

ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقه، مع قطع النظر عن السمعية لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب والأحاديث الصحيحة التي تواترت ولو بالطريق المعنوي.

ولو كان يقول أولئك لبطلت السمعية التي لا مجال للعقل فيها أو أكثرها، بل يجب الإيمان بما ثبت من السمعية، فإن عقلناه فبتوفيق الله وإلا اكتفينا باعتقاد حقيقته على وفق مراد الله سبحانه وتعالى انتهى.

ويؤيد كلامه ما أخرجه أبو داود عن ابن عباس " أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: **أشذك الله، الله أرسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال: (نعم)، فأسلم."**

وأصله في الصحيحين في قصة ضمام بن ثعلبة، وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم أنه " أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما أنت؟ قال: (نبي الله). قلت: آله أرسلك؟ قال: (نعم). قلت: بأي شيء؟ قال: (أوحى الله لا أشرك به شيئاً) " الحديث،.

وفي حديث أسامة بن زيد في قصة قتله الذي قال: (لا إله إلا الله)، فأنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وحديث المقداد في معناه، وقد تقدما في " كتاب الديات " .

وفي كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد؛ إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التواتر المعنوي الدال على أنه صلى الله عليه وسلم لم يزد في دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه.

فمن فعل ذلك قبل منه، سواء كان إذعانه عن تقدم نظر أم لا، ومن توقف منهم نبهه حينئذ على النظر، أو أقام عليه الحجة إلى أن يذعن أو يستمر على عناده.

وقال البيهقي في " كتاب الاعتقاد " : سلك بعض أئمتنا في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمعجزات الرسالة فإنها أصل في وجوب قبول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا الوجه وقع إيمان الذين استجابوا للرسول.

ثم ذكر قصة النجاشي وقول جعفر بن أبي طالب له " بعث الله إلينا رسولا نعرف صدقه فدعانا إلى الله وتلا علينا تنزيلاً من الله لا يشبهه شيء فصدقناه وعرفنا أن الذي جاء به الحق " الحديث بطوله.

وقد أخرجه ابن خزيمة في " كتاب الزكاة " من صحيحه من رواية ابن إسحاق وحاله معروفة وحديثه في درجة الحسن.

قال البيهقي: فاستدلوا بإعجاز القرآن على صدق النبي، فأمنوا بما جاء به من إثبات الصانع ووحدانيته وحدوث العالم وغير ذلك مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن وغيره، واكتفاء غالب من أسلم بمثل ذلك مشهور في الأخبار، فوجب تصديقه في كل شيء ثبت عنه بطريق السمع، ولا يكون ذلك تقليداً بل هو اتباع والله أعلم.

وقد استدل من اشترط النظر بالآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ولا حجة فيها لأن من لم يشترط النظر لم ينكر أصل النظر، وإنما أنكر توقف الإيمان على وجود النظر بالطرق الكلامية، إذ لا يلزم من الترغيب في النظر جعله شرطاً.

واستدل بعضهم بأن التقليد لا يفيد العلم إذ لو أفاده لكان العلم حاصلًا لمن قلده في قدم العالم ولمن قلده في حدوثه. وهو محال لإفضائه إلى الجمع بين النقيضين.

وهذا إنما يتأتى في تقليد غير النبي صلى الله عليه وسلم. وأما تقليده صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه فلا يتناقض أصلاً.

واعترض بعضهم عن اكتفاء النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه بإسلام من أسلم من الأعراب من غير نظر بأن ذلك كان لضرورة المبادئ. وأما بعد تقرر الإسلام وشهرته فيجب العمل بالأدلة ولا يخفى ضعف هذا الاعتذار.

والعجب أن من اشترط ذلك من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول داع إليه حتى استقر في الأذهان أن من أنكر قاعدة من القواعد التي أصلوها فهو مبتدع ولو لم يفهمها ولم يعرف مأخذها وهذا هو محض التقليد فالأمرهم إلى تكفير من قلده الرسول عليه الصلاة والسلام في معرفة الله تعالى والقول بإيمان من قلدهم وكفى بهذا ضلالاً.

وما مثلهم إلا كما قال بعض السلف: إنهم كمثل قوم كانوا سفراً فوقعوا في فلاة ليس فيها ما يقوم به البدن من المأكول والمشروب ورأوا فيها طرقاً شتى فانقسموا قسمين:

- فقسم وجدوا من قال لهم أنا عارف بهذه الطرق وطريق النجاة منها واحدة، فاتبعوني فيها تنجوا فتبعوه فنجوا، وتخلفت عنه طائفة فأقاموا إلى أن وقفوا على أمانة ظهر لهم أن في العمل بها النجاة فعملوا بها فنجوا.

- وقسم هجموا بغير مرشد ولا أمانة فهلكوا، فليست نجاة من اتبع المرشد بدون نجاة من أخذ بالأمانة إن لم تكن أول منها.

ونقلت من جزء الحافظ صلاح الدين العلائي يمكن أن يفصل فيقال:

- من لا له أهلية لفهم شيء من الأدلة أصلاً وحصل له اليقين التام بالمطلوب إما بنشأته على ذلك أو لنور يقذفه الله في قلبه، فإنه يكتفي منه بذلك.

- ومن فيه أهلية لفهم الأدلة لم يكتف منه إلا بالإيمان عن دليل، ومع ذلك فدليل كل أحد يحسبه وتكفي الأدلة المجملة التي تحصل بأدنى نظر، ومن حصلت عنده شبهة وجب عليه التعلم إلى أن تزول عنه.

قال: فهذا يحصل الجمع بين كلام الطائفة المتوسطة.

وأما من غلا فقال: لا يكفي إيمان المقلد فلا يلتفت إليه، لما يلزم منه من القول بعدم إيمان أكثر المسلمين.

وكذا من غلا أيضاً فقال: لا يجوز النظر في الأدلة لما يلزم منه من أن أكابر السلف لم يكونوا من أهل النظر انتهى ملخصاً.

واستدل بقوله " فإذا عرفوا الله " بأن معرفة الله بحقيقة كنهه ممكنة للبشر، فإن كان ذلك مقيداً بما عرف به نفسه من وجوده وصفاته اللاتئة من العلم والقدرة والإرادة مثلاً، وتنزيهه عن كل نقیصة كالحديث فلا بأس به.

فأما ما عدا ذلك فإنه غير معلوم للبشر وإليه الإشارة بقوله تعالى (ولا يحيطون به علماً) فإذا حمل قوله فإذا عرفوا الله على ذلك كان واضحاً مع أن الاحتجاج به يتوقف على الجزم بأنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللفظة وفيه نظر.

لأن القصة واحدة ورواة هذا الحديث اختلفوا: هل ورد الحديث بهذا اللفظ أو بغيره؟

فلم يقل صلى الله عليه وسلم إلا بلفظ منها، ومع احتمال أن يكون هذا اللفظ من تصرف الرواة لا يتم الاستدلال، وقد بينت في أواخر " كتاب الزكاة " أن الأكثر رويوه بلفظ:

- " فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك "

- ومنهم من رواه بلفظ " فادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك " .

- ومنهم من رواه بلفظ " فادعهم إلى عبادة الله، فإذا عرفوا الله " .

ووجه الجمع بينهما أن المراد بالعبادة: التوحيد، والمراد بالتوحيد: الإقرار بالشهادتين، والإشارة بقوله ذلك إلى التوحيد.

وقوله: فإذا عرفوا الله أي عرفوا توحيد الله، والمراد بالمعرفة الإقرار والطوعية فبذلك يجمع بين هذه الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة وبالله التوفيق.

وفي حديث ابن عباس ؓ في الفوائد غير ما تقدم الاختصار في الحكم:

- **بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين،** فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك، فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين. وأما ما وقع من بعض المبتدعة من إنكار شيء من ذلك فلا يقدح في صحة الحكم الظاهر، لأنه إن كان مع تأويل فظاهر، وإن كان عناداً قدح في صحة الإسلام، فيعامل بما يترتب عليه من ذلك كإجراء أحكام المرتد وغير ذلك.

وقال النووي في شرح حديث الجارية: (قوله صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم وغيره، فيه: دليل على أن الكافر لا يصير مؤمناً إلا بالإقرار بالله تعالى وبرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه: دليل على أن من أقر بالشهادتين، واعتقد ذلك جزماً كفاه ذلك في صحة إيمانه، وكونه من أهل القبلة والجنة، ولا يكلف مع هذا إقامة الدليل والبرهان على ذلك، ولا يلزمه معرفة الدليل، وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور).

فدل الحديثان أن الإيمان هو التصديق والإقرار.

- وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به، وتعقب بأن مثل خبر معاذ حفته قرينة أنه في زمن نزول الوحي فلا يستوي مع سائر أخبار الأحاد، وقد مضى في باب إجازة خبر الواحد ما يغني عن إعادته.

- وفيه أن الكافر إذا صدق بشيء من أركان الإسلام كالصلاة مثلاً يصير بذلك مسلماً، وبالغ من قال كل شيء يكفر به المسلم إذا جحدته يصير الكافر به مسلماً إذا اعتقده، والأول أرجح كما جزم به الجمهور، وهذا في الاعتقاد أما الفعل لو صلى فلا يحكم بإسلامه وهو أولى بالمنع لأن الفعل لا عموم له، فيدخله احتمال العبث والاستهزاء.

- وفيه وجوب أخذ الزكاة ممن وجبت عليه، وقهر الممتنع على بذلها ولو لم يكن جاحداً، فإن كان مع امتناعه ذا شوكة قوتل، وإلا فإن أمكن تعزيره على الامتناع عزر بما يليق به، وقد ورد عن تعزيره بالمال حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً ولفظه "ومن منعها - يعني الزكاة - فإننا أخذوها، وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا" الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة والحاكم... انتهى النقل من فتح الباري.

علم الكلام المذموم من يقدم العقل على النقل كالمعتزلة

وقد صح عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قوله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام؟ أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي 462/1، والخطيب والبغداد في شرف أصحاب الحديث رقم: 163، وابن عبد البر في الانتقاء في مناقب الأئمة الثلاثة الفقهاء ص 123 - 124، وأبو نعيم في حلية الأولياء 116/9، والبغوي في شرح السنة 218/1، وابن حجر في توالي التأسيس ص 111، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء 29/10، وعلي القاري في شرح الفقه الأكبر ص 2 - 3، والسيوطي في الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع ص 72، وفي صون المنطق والكلام ص 31 و65، وابن مفلح الحنبلي في الآداب الشرعية 225/1، وغيرهم.

وكلامه رضي الله عنه مصروف لمتكلمي المعتزلة الذي جعلوا العقل أصلاً للأحكام والنقل تبعاً له، بخلاف متكلمي أهل السنة من أشاعرة وماتريدية، وغيرهم من الذين جعلوا النقل هو الأصل والعقل تابعاً له، وكلام الإمام الشافعي يفسر بعضه، فهو يقول: هذا جزاء من يترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام، والحمد لله ليس في أهل السنة والجماعة من ترك الكتاب والسنة وأقبل على غيره.

قال سيدنا علي بن أبي طالب فيما نقله أبو منصور البغدادي⁽¹⁾: **(كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان).**

وقال *البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات" ما نصه:

(استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي □ «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء *لم يكن في مكان* إله.

ونقل الزبيدي⁽²⁾ عن سيدنا علي بن أبي طالب رض الله عنه قوله: **(من زعم إلهانا محدود فقد جهل الخالق المعبود).**

وقال حفيده سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فيما نقله القشيري عنه في كتابه (الرسالة ص:6): (إنه قال: **(من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء: فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً).**

وكان زين العابدين- قدس الله سره - يدعو: (أنت الله الذي لا يحويه مكان)⁽³⁾ إله.

وفي رسالة الفقه الأبيسط سئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه (ت: 150هـ):

قلت: أرايت لو قيل: أين الله تعالى؟

قال: يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن: أين؛ ولا خلق؛ ولا شيء، وهو خالق كل شيء.

وهذا تفسير لقول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه عندما قال: من قال: أنا لا أعرف ربي في السماء؟ أو في الأرض؟ فقال: كفر⁽⁴⁾؛ وكذا من قال: إنه على العرش؛ ولا أدري أين العرش أهو في السماء أو في الأرض. والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في

١ (كتابه (الفرق بين الفرق) ص 333

٢ (إتحاف السادة المتقين 380/4

٣ (إتحاف السادة المتقين 380/4

٤ (لأنه أثبت لله مكاناً وهو لا يعرفه أين هو؟ فيكفر لإثبات المكان لله تعالى، والله أعلم.

شيء) انتهى.

وشرحها الإمام أبو حنيفة في وصيته فقال ﷺ: (ونقرأ بأن الله - سبحانه وتعالى - على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش؛ وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجاً لما قدير على إيجاد العالم وتدبيره، كالمخلوقين، ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) (1).

وفي كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى (2)

: (وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء، إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد) اهـ.

وفي [ص 119]: «... وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قرباً من العرش» اهـ.

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه أكثر ما قاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالي عليه رضوان الله ورفع مقامه إلى الفردوس الأعلى في كتابه الممتع الأحياء (3): (وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى؛ بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى؛ وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان؛

(1) كتاب الوصية ص2 وشرح الفقه الأكبر [75]

(2) ص21، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، ط دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى 1397 هـ.

(3) إحياء علوم الدين 1 / 90، ط دار المعرفة - بيروت.

كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

وفي كتاب الإمام أبو بكر ابن فورك الأصفهاني الأشعري - وهو من أعرف الناس بمذهب الشيخ الأشعري - في كتابه (مشكل الآثار):

قال: واعلم انا اذا قلنا ان الله عز ذكره (فوق ما خلق) لم نرجع به الى فوقية المكان والارتفاع على الأمكنة بالمسافة والإشراف عليها بالتماسة لشيء منها، بل قلنا انه فوقها **يحتمل وجهين:**

أحدهما - أن يراد به أنه قاهر لها مستول عليها إثباتاً لإحاطة قدرته بها، وشمول قهره لها، وكونها تحت تدبيره جارية؛ على حسب علمة ومشيتته.

والوجه الثاني - أن يراد به أنه فوقها على معنى أنه مباين لها بالصفة والنعته، وأن ما يجوز على المحدثات من العيب والنقص والعجز والآفة والحاجة لا يصح شيء من ذلك عليه، ولا يجوز وصفة به، وهذا متعارف في اللغة أن يقال: (فلان فوق فلان) ويراد بذلك رفعة المرتبة والمنزلة والله (فوق خلقه) على الوجهين جميعاً.

وإنما يمتنع الوجه الثالث وهو أن يكون على معنى التحيز في جهة والاختصاص ببقعة دون بقعة). انتهى المراد مشكل الأثر ص 81

وذكر هذه الطريقة البيهقي في كتابه الأسماء والصفات نقلاً عن ابن مهدي الطبري و ابن فورك وعلى هذا المعنى والمنوال يجب حمل كلام الأشعري -

إن صح عنه -

ومما يدل على أن هذا القول صحيح أن الإمام الأشعري في - رسالة إلى أهل الثغر - ينفي أن تكون ذات الله في مكان دون مكان أو تكون ذاته محدودة بصريح اللفظ فقد قال: **(كما لا يجب أن تكون نفس الباري عز وجل جسماً أو**

جوهرًا أو محدوداً في مكان دون مكان). انظر رسالته إلى أهل الثغر .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني (832 - 895هـ):

(إنك يا مولاي لما تنزهت عن التحيز وصفات الأجرام من قبول الأئين والجهات، لم يكن للأئين منك أئين، أي: لم يكن للفظ الأئين منك أئين ولا لمعناه، والسؤال به من جهة جلالك محال، ولا يُسَلَّمُ الكلام الذي يُقال فيه: أئين أنت؟ بل يُعْتَرَضُ ذلك الكلام ويُبْطَل، إلا أن يريد به صاحبه غير معنى الأئين الحقيقي، وينصب قرينة على مراده، كقوله - عليه الصلاة والسلام - للسوداء: (أين الله؟)، فإنه قال - عليه الصلاة والسلام - ذلك اختباراً لها هل هي من

المشركات والمشركون الذين يعبدون الأصنام التي محلّها في الأرض ووُجِدَ تعظيمها فيها فقط، فأجابت هي بأنّ معبودها ليس الذي يُعظّم في الأرض فقط - وهي الأصنام -، وإنما معبودها الله، في السماء لا يعظّم فيها غيره، بخلاف الأرض فإنه قد عُبِدَ فيها مولاتنا - جَلَّ وَعَلَا - وعُبِدَ فيها غيرُه، ولهذا لم تُشِرْ إلى الأرض لما في ذلك من اللبس لاختلاط المعبود الحقّ فيها بالمعبودات الباطلة في العبادة، ولا كذلك السماء، فكأنها أجابت بأنّ معبودها الله الذي تعبّده الملائكة في السماء وحده، كما قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)** [الزخرف: 84] أي معبودٌ فيهما، وقَدَّمَ السماءَ لشرفها وعَدَمَ الاشتراك فيها .

ويحتمل أن يكون مراده بقوله - عليه الصلاة والسلام - «أين الله؟» أي: أين منزلته في قلبك؟ هل هو مثل منزلته في قلوب المشركون من تسويتهم له تعالى مع مخلوقاته في الألوهية، فأهانوا منصب الألوهية الأعلى وتلاعبوا به حيث أثبتوه لمن لا يستحقّه عقلاً ولا نقلاً من بعض الحيوانات والجمادات، كما قال تعالى: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)** [الأنعام: 1]،

فَذَكَرَ - سُبْحَانَهُ - أفعاله التي يعجزُ عنها كل ما سواه فلا يفعلها لا بالحقيقة ولا بالمجاز، ثم الذين كفروا بأنعم المولى العظيم وَجَحَدُوا دَلَائِلَ وَحِدَانِيَّتِهِ وَتَنَزَّهَهُ تعالى عن الشريك في ذاته وصفاته وأفعاله يَعْدِلُونَ به غيره، أي: يُساوُونَ به غيره، وأتي بـ"ثُمَّ" لاستبعاد صدور هذه الرذيلة من العقلاء، فأجابت تلك السوداء لتعذر النطق منها بأنّ منزلة الله تعالى عندها ليس كمثلي منزلته في قلوب المشركون من عدم التعظيم، بل هو عندها في الرفعة والجلالة في السماء الأعلى لا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى قَدْرِهِ وَلَا إِلَى التَّشْبِيهِ بِهِ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا عَظَّمُوا أَحَدًا فِي غَايَةِ التَّعْظِيمِ قَالُوا فِي التَّعْبِيرِ فِي ذَلِكَ: فَلَانْ أَرَاهُ فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَى وَنَجْمًا فِي السَّمَاءِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وفي الفتاوى الهندية الجزء الثاني - يكفر بإثبات المكان لله تعالى فلو قال: (ازخدا هيج) مكان خالي نيست يكفر ولو قال: الله تعالى في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد به المكان يكفر، وإن لم تكن له نية يكفر عند الأكثر، وهو الأصح وعليه الفتوى⁽¹⁾

^١ (الفتاوى الهندية » كتاب السير وهو مشتمل على عشرة أبواب » الباب التاسع في أحكام المرتدين » مطلب في موجبات الكفر أنواع منها ما يتعلق بالإيمان والإسلام.

وقال الإمام الشافعي (ت: 204 هـ) رحمه الله: (إنه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفة الأزليّة كما كان قبل خلق المكان، ولا يجوز عليه التغيّر في ذاته، ولا التبديل في صفاته)⁽¹⁾.

وكذلك شرحها العلماء من بعده، وإليك ذلك:

1 - قال الإمام أبو الحسن الأشعري (324 هـ) فيما نقله عنه الإمام ابن عساكر (571 هـ) في كتابه: (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) ص 150: (كان الله ولا مكان، فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه) انتهى.

2 - وقال إمام السنة أبو منصور الماتريدي (333 هـ) في كتابه (التوحيد): (وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة)⁽²⁾، والله أن يتعبّد عباده بما شاء، ويوجههم إلى حيث شاء، وإن ظن من يظن أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجّهاً في الصلاة ونحوها، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة، أو نحو مكة لخروجه إلى الحج، جل الله عن ذلك) انتهى.

3 - قال القطب الرباني الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه (512 - 578 هـ) في بداية كتابه (البرهان المؤيد):

(وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك)، ثم قال القطب أحمد الرفاعي رحمه الله: (وقال الإمام أبو حنيفة

(¹) إتحاف السادة المتقين 2/ 24.

(²) العبادة هي: قصد المعبود؛ لحاجة عنده؛ وبإذنه؛ وما عنده ذاتي.

فقصد المعبود فيخرج ما هو غير قاصد، **لحاجة عنده**: من ضر ونفع، فمن لم يملك النفع والضر وقضاء الحاجات فلا يسمى قصده عبادة له، **وبإذنه**: فمن لم يأذن في عبادته، فليس معبوداً، **فمثلاً سيدنا عيسى** لم يأذن لقومه أن يعبدوه: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (المائدة: 116)، **بخلاف فرعون الذي طلب عبادته وأخبر الله تعالى عنه قوله**: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات: 24)، (وما علمت لكم من إله غيري) **وعندها يتضح معنى قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) (الأنبياء: 98)** أنهم الذين أذنوا في عبادتهم من الجن والإنس، وما عنده ذاتي: أي الذي يستحق العبودية يكون قادراً غنياً عن غيره، وهو الله فقط، وبذلك تبطل عبادة غيره سبحانه، والله أعلم.

رضي الله عنه من قال: لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر، **لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه** انتهى.

4 - وقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: **(ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)** والمكان من معاني البشر الذي لا يفارقهم، وهذا ينطبق مع القاعدة: كل ما خطر ببالك فهو هالك، والله بخلاف ذلك، التي أساسها قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11))، وقوله: **(بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4))** أي لا يشبه المخلوقين في شيء، وكذلك قاعدة: إثبات بلا تكليف، فالقول بأن له مكان في السماء أو في داخل السماء تكليف وتمثيل وتشبيه.

5 - وقال الشيخ العز بن عبد السلام الشافعي (660هـ) في كتابه (حل الرموز) فقال: **(لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه)** انتهى. وأعقبه الملا علي القاري في نهاية شرحه على الفقه الأكبر: (ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله) (1) انتهى.

وقال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله أيضاً في طبقات الشافعية (2):

(قال الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء: الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْكَمَالِ، وَالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، لَيْسَ بِجِسْمٍ مُصَوَّرٍ، وَلَا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ، وَلَا يَشْبَهُ شَيْئًا وَلَا يُشَبَّهُهُ شَيْءٌ، وَلَا تَحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ، وَلَا تَكْتَنِفُهُ الْأَرْضُونَ وَلَا السَّمَوَاتُ، كَانَ قَبْلَ أَنْ كُونَ الْمَكَانَ وَدَبَرَ الزَّمَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، خَلَقَ الْخُلُقَ وَأَعْمَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَهِيَ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ فَهِيَ عَذَابٌ، { لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ } اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الْمَجِيدِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ، وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، اسْتَوَاءً مَنْزَهَا عَنِ الْمَمَاسَةِ، وَالِاسْتِقْرَارَ، وَالتَّمَكُّنَ، وَالْحُلُولَ، وَالْإِنْتِقَالَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، بَلْ لَا يَحْمِلُهُ الْعَرْشُ، بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلْتَهُ مَحْمُولُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ، مَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ، أَحَاطَ

(١) كما نقله العلامة ملا علي قاري - رحمه الله - في شرح الفقه الأكبر ص 198، وعزاه لكتاب العز بن عبد السلام (حل الرموز).

(٢) انظر " طبقات الشافعية الكبرى " 219/8

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عِدَدًا، مَطَّلَعَ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ، وَحَرَكَاتِ الْخَوَاطِرِ، حَيٍّ، مُرِيدٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ، لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي كَلَامِهِ أَنْ يَنْقَلِبَ مَدَادًا فِي الْأَلْوَاكِ وَالْأَوْرَاقِ شَكْلًا تَرْمَقُهُ الْعُيُونُ وَالْأَحْدَاقُ، كَمَا زَعَمَ أَهْلُ الْحَشْوِ وَالنَّفَاقِ، بَلِ الْكِتَابَةُ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي أَفْعَالِهِمْ أَنْ تَكُونَ قَدِيمَةً، وَيَجِبُ احْتِرَامُهَا؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَى كَلَامِهِ؛ كَمَا يَجِبُ احْتِرَامُ أَسْمَائِهِ؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتِهِ، وَحَقٌّ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُعْتَقَدَ عَظَمَتُهُ، وَتُرْعَى حُرْمَتُهُ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ احْتِرَامُ الْكُتُبَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْعِبَادِ وَالصَّالِحِينَ. اهـ.

. وهذا قول أهل السنة والجماعة بلا استثناء.

6- وقال الإمام أبو منصور عبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق ص 333) (وأجمعوا أي أهل السنة - على أنه تعالى - لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان) انتهى.

7- قال الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (429هـ.) في كتابه (الفرق بين الفرق) ص 321 :

(وأجمعوا أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان خلاف قول من زعم من الشهابية والكرامية أنه مماس لعرشه وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، وقال أيضاً: قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان، وأجمعوا على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عنه و على نفي الحركة والسكون عنه خلاف قول الهشامية من الرافضة في قولها بجواز الحركة عليه وفي دعواهم أن مكانه حدوث من حركته و خلاف قول من أجاز عليه التعب والراحة و الغم والسرور والملاحة كما حكى عن أبي شعيب الناسك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

8- وقال البغدادي أيضاً⁽¹⁾: (قوم زعموا أن الإله في مكان مخصوص، متمكن فيه، مماس له، وهذا قول الكرامية، والهشامية من الروافض، وزعموا جميعاً أنه ملاقٍ لعرشه من فوق، على وجه لا يكون بينهما واسطة ...).

^١ (انظر: أصول الإيمان ص 65

9- قال ابن قائد النجدي الحنبلي - رحمه الله - : (فمن اعتقد أو قال: بأن الله تعالى بذاته في كل مكان، أو في مكان فكافر، فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو على ما عليه كان قبل خلق المكان)(¹).

10- وقال شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى: (ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، ولا في مكان... والدلالة على أنه لا يجوز إطلاق القول عليه بأنه في مكان هو أن إضافته إلى المكان توجب قدم المكان بقدمه تعالى...)(²).

11- وقال الإمام الاسفراييني - رحمه الله - : (وأن تعلم أن خالق العالم قائم بنفسه، ومعناه: أنه بوجوده مستغن عن خالقٍ يخلقه، وعن محل يحله، وعن مكان يقُلُّه)(³).

12- قال العلامة التفتازاني - رحمه الله - : (لو كان في مكان لكان محتاجاً إليه ضرورة، والمحتاج إلى الغير ممكن، فيلزم إمكان الواجب) (⁴) ا.هـ.

13- الفرق بين ما يقال إنه المكان الوجودي والمكان العدمي راجع إلى التعريفات الثلاثة للمكان:

- 1 - السطح الباطن للجسم الحاوي للجسم المحوي وهو لأرسطو وغيره.
 - 2 - امتداد وجودي متداخل مع الجسم وهو لأفلاطون وغيره.
 - 3 - امتداد موهوم بمقدار الجسم وهو للمتكلمين.
- فالمكان بحسب التعريف الثالث ليس شيئاً موجوداً هو غير الجسم. وابن تيمية دائماً ينفي المعنى الأول ويثبت الثالث، لكن يندر جداً جداً أن تجد أحداً من أتباعه يفهمه!

14- اعتراف أبو نصر السجزي (444هـ) بأن الله تعالى ليس له مكان محدود:

(وليس في قولنا: إن الله سبحانه فوق العرش تحديد، إنما التحديد يقع للمحدثات، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود، والله سبحانه فوق ذلك بحيث لا مكان

^١ (نجاة الخلف في اعتقاد السلف ص 73.

^٢ المعتمد في أصول الدين 56 - 57.

^٣ (التبصير في الدين ص 156.

^٤ (شرح المقاصد 3/ 33.

ولا حد، لاتفاقنا أن الله سبحانه كان ولا مكان، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان⁽¹⁾.

15- استشكل بعض الناس قوله ابن أبي زيد القيرواني - رحمه الله - في رسالته حين قال: (وأنة فوق عرشه، المجيد بذاته).

وقد خرَّج هذه الكلمة أئمةٌ ومنهم العلامة النفراوي في: (الفواكه الدواني)⁽²⁾ حيث قال: (والضمير عائد على العرش، أي العظيم في ذاته، وقيل عائد على الله، والمعنى: أن هذه الفوقية المعنوية له تعالى مستحقها بالذات لا بالغير... والحاصل: أنه يجوز إطلاق لفظ الفوقية غير المقيدة بلفظ الذات على الله، فيجوز قول القائل: فوق سمائه أو فوق عرشه، وتحمل على فوقية الشرف والجلال والسلطنة لا فوقية حيز ومكان لاستحالة الفوقية الحسية عليه تعالى لاستلزامها الجرمية والحدوث الموجبين لافتقاره المنزه عنه الخالق جل وعلا " وأقول - أي النفراوي - : الضمير في "ذاته" عائد على الحق تبارك وتعالى وليس عائداً على العرش - والله أعلم - وإن كان قد قرئ بالعود على الله ﷻ وعلى العرش كما في قوله تعالى: (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) (البروج: 15) ⁽³⁾؛ ولذا يعتبر قول القيرواني بعد إثبات الفوقية بقوله " المجيد بذاته " تعقيباً لإثبات تنزيه الله ﷻ عن معاني الخلق التي تتبادر إلى أفهام المجسمة من قوله (وأنة فوق عرشه)، فوصفه بأنه المجيد بذاته الذي لا يحلُّ في مخلوقاته بعد أن ذكر أنه فوق العرش أي فوقية العظمة والمكانة .

قال الذهبي في العلو ⁽⁴⁾: (وقد نقموا عليه -يعني ابن أبي زيد القيرواني - قوله بذاته فليته تركها) ا.هـ مع أن المظنون أنها مدسوسة، فهذا الكوثري رحمه الله تعالى يقول: (يطبق شراح رسالته على أن هذه اللفظة إما مدسوسة؛ أو من قبيل الاحتراس بالرفع أي: المجيد بذاته لا بالخدم والخول"⁽⁵⁾).

١ (رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من انكر الحرف والصوت ص131 - الراية، قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: ومن المؤسف أن يوصف كلام الله تعالى القائم في نفسه بأنه حرف وصوت، وهو مما لم يثبت لا نقلاً ولا عقلاً والعياذ بالله تعالى.

٢ (الفواكه الدواني 76/1

٣ (قرأ الجمهور برفع المجيد على أنه نعت لـ ﴿ذُو﴾ وقرأ الكوفيون إلا عاصماً بالجر على أنه نعت للعرش .

٤ (والذي يظهر أنه ألفه في بداياته حينما كان متأثراً بابن تيمية إذ إن آخر تأليفه تنفي ما قرره فيه . والله أعلم

٥ (انظر بهامش تبیین كذب المفتري 123.

16- قال القاضي عياض رحمه الله (1): (لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بكون الله تعالى في السماء كقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) (الملك: 16) الآية ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم ..). انتهى.

17- وقال الامام الرازي (604) كتاب التفسير الكبير (ج 15 جزء 30 ص 61):

واعلم أن المشبهة احتجوا على اثبات المكان لله تعالى بقوله: " أأمنتم من في السماء والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لان كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله شيئاً حقيراً بالنسبة للعرش وذلك باتفاق علماء الاسلام محال، لانه تعالى قال: " قل لمن ما في السماوات والارض قل لله. "

فلو كان الله في السماء لوجب ان يكون مالكا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها الى التأويل).

18- وقال الفقيه الحنفي ابن نجيم (970هـ.) في (البحر الرائق) باب أحكام المرتدين (129/5): **(ويكفر بإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر).** انتهى.

19- قال الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي (المتوفى سنة 1122 هـ) في شرحه على موطأ الإمام مالك ما نصه: **و قال البيضاوي: " لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية و التحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه " اهـ**

20- وقال الإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي المصري (974هـ.) في كتابه (المنهاج القويم) ص 244: **(واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الإمام الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك).** انتهى.

21- اذا قال لك مجسم أخبرني عن عقيدة أهل السنة فقل:
إن الله تعالى قال: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4))**
لم يلد ولم يولد: أي ليس بجسم

(١) انظر شرح مسلم للنووي 27/5.

ولم يكن له كفواً أحد: أي لا يشبهه شيء ولا يماثله شيء.
وفي هذا المعنى قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في كتاب القبس في
شرح موطأ مالك ج 1 ص 289:

إن الله سبحانه منزّه عن الحركة والانتقال لأنه لا يحويه مكان، كما لا يشتمل
عليه زمان، ولا يشغل حيّزاً كما لا يدنو إلى مسافة بشيء ولا يغيب بعلمه عن
شيء، متقدس الذات عن الآفات منزّه عن التغيير والاستحالات إله في الأرض
إله في السموات. وهذه عقيدة مستقرة في القلوب ثابتة بواضح الدليل. انتهى.

22- قال الإمام الرازي (ت 606 هـ) في التفسير الكبير: قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (11) سورة الشورى: وهذه الآية فيها مسائل المسألة الأولى: احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء وحاصلاً في المكان والجهة، وقالوا لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ). انتهى.

23 - رد الإمام الكوثري على ابن القيم في اثباته الصوت لله نقلاً وعقلاً:

قال الإمام الكوثري في تعليقاته على السيف الصقيل عند قول ابن القيم:

واذكر حديثاً في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشأن
فيه نداء الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصياً والداني

قال: إن كان يريد حديث جابر عن عبد الله بن أنيس (يحشر الله العباد فيناديهم
بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب..) الحديث، فهو حديث ضعيف علّقه
البخاري بقوله: **ويذكر** عن جابر؛ دلالة على أنه ليس من شرطه. ومداره على
عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف باتفاق، وقد انفرد عنه القاسم بن عبد
الواحد، وعنه قالوا إنه ممن لا يحتج به.

وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبیین وجوه الضعف في الحديث
المذكور.

وأما إن كان يريد حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (يقول الله يا آدم
يقول لبيك وسعديك **فَيُنَادِي** بصوت **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ** ...) الحديث، فلفظ يُنَادِي فيه
على صيغة المفعول جزماً بدليل "إن الله يأمرك"

ولو كان على صيغة الفاعل لكان إني آمرُك كما لا يخفى، على أن لفظ (صوت)
انفرد به حفص بن غياث وخالفه وكيع وجريز وغيرهما فلم يذكروا الصوت.

وسئل أحمد عن حفص هذا فقال: كان يخلط في حديثه، كما ذكره ابن الجوزي،
فأين الحجة للناظم في مثله؟

على أن الناظم نفسه خرج في حادي الأرواح -وفي هامشه إعلام الموقعين -
(2 - 97) عن الدارقطني من حديث أبي موسى **(يبعث الله يوم القيامة منادياً**
بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله وعدهم...) الحديث، وهذا يعين أن الإسناد
مجازي على تقدير ثبوت الحديثين.
فظهر بذلك أن الناظم متمسك في ذلك بالسراب؛ والمؤلف تساهل في الرد عليه؛
وفي (القواصم والعواصم) لابن العربي ما يقصم ظهر الناظم في (2 - 29))
انتهى.

24 - ومن العلماء المعاصرين السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله
فقال: " الحديث شاذ لا يجوز العمل به، وبيان شذوذه من وجوه: (مخالفته لما
تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أتاه شخص يريد الإسلام
سأله عن الشهادتين، فإذا قبلها حكم بإسلامه):

أ - وفي الموطأ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رجلاً من
الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجارية له سوداء، فقال: يا
رسول الله علي رقبة مؤمنة، فإن كنت تراها مؤمنة أعتقتها، فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟، قالت: نعم، قال: أتشهدين أن
محمدًا رسول الله؟، قالت: نعم، قال: أتوقنين بالبعث بعد الموت؟، قالت: نعم،
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعتقها⁽¹⁾.

وهذا هو المعلوم من حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة.

ب - وجاء حديثان مخالفان لحديث معاوية يؤكدان شذوذه:

1 - فروى البيهقي من طريق عون بن عبد الله بن عتبة حدثني أبي عن
جدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمة سوداء،
فقال: يا رسول الله علي رقبة مؤمنة، أتجزئ عني هذه؟، فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم: (من ربك؟)، قالت: الله ربي، قال: (فما دينك؟)، قالت:
الإسلام، قال: (من أنا؟)، قالت: أنت رسول الله، قال: (أفتصلين الخمس وتقرين

(١) موطأ مالك - كتاب العتق والولاء - باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة - حديث: 1465،
ورواه مسند أحمد بن حنبل - مسند المكيين - حديث رجل - حديث: 15438 - 21083، ورواه
مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب المدبر - باب ما يجوز من الرقاب - حديث: 16241، ورواه
المنتقى لابن الجارود - كتاب البيوع والتجارات - باب ما جاء في الأيمان - حديث: 907 م نور.

بما جئت به من عند الله؟)، قالت: نعم، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ظهرها وقال: أعتقيها⁽¹⁾.

2 - وروى أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن الشريد بن السويد الثقفي قال: قلت يا رسول الله إن أُمِّي أوصت إلي أن أعتق عنها رقبة، وأنا عندي جارية نوبية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ادع بها، فقال: (من ربك؟)، قالت: الله، قال: (فمن أنا؟)، قالت: رسول الله، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة).

3 - وجاء حديث ثالث.. **أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أركان الإيمان** في حديث سؤال جبريل، حيث قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)⁽²⁾، ولم يذكر فيها عقيدة أن الله في السماء.

- **أن العقيدة المذكورة (الإشارة إلى السماء) لا تثبت توحيداً، ولا تنفي شركاً**، فكيف يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاحبها بأنه مؤمن؟!..!! كان المشركون يعتقدون أن الله في السماء، ويشركون معه آلهة في الأرض..

- أن كون الله في السماء ليس على حقيقته عند جماعة من العلماء، بل هو مؤول عندهم على معنى العلو المعنوي. **قال الباجي على قول الجارية: في السماء:** (لعلها تريد وصفه بالعلو، وبذلك يوصف من كان شأنه العلو، يقال: مكان فلان في السماء، يعني علو حاله ورفعته وشأنه).. وأركان الإيمان لا يدخلها تأويل⁽³⁾ (انتهى كلام الصديق

(1) انظر السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الظهار - باب إعتاق الخرساء إذا أشارت بالإيمان وصلت - حديث: 14250، ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم - ذكر عتبة بن مسعود أخي عبد الله بن مسعود رضي الله - حديث: 5088 م نور.

(2) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان - حديث: 34 م نور.

(3) انظر كتاب: الفوائد المقصودة، للسيد العلامة عبد الله الصديق الغماري رحمه الله تعالى. قلت - محمد نور عفا عنه ربه الغفور - وقد جاءت روايات بأنها كانت أعجمية لا تحسن الكلام، وروايات أنها خرساء، فاكتفت بالإشارة إلى السماء، وإليك بيانها:

أ - روايات إشارة الأمة إلى السماء:

سنن أبي داود - كتاب الإيمان والنذور - باب في الرقبة المؤمنة - حديث: 2873: عن أبي هريرة ؓ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فقال لها: " أين الله ؟ " فأشارت إلى السماء بأصبعها، فقال لها: " فمن أنا؟ " فأشارت إلى النبي صلى الله

الغماري

قال ابن تيمية في رسالته التدميرية ان من قال ان الله محصور في السماء فقد كفر.

عليه وسلم وإلى السماء يعني أنت رسول الله، فقال: (أعتقها فإنها مؤمنة). انظر مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب المدبر - باب ما يجوز من الرقاب - حديث: 16243، ومشكل الآثار للطحاوي - باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث: 4364

ب - روايات أن الأمة أعجمية أو خرساء:

1 - مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم - مسند أبي هريرة رضي الله عنه - حديث: 7700: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم **بجارية سوداء أعجمية**، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة. فقال لها رسول الله: (أين الله؟) **فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة**، فقال لها: " من أنا ؟ " **فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: " أعتقها " .**

2 - وفي التوحيد لابن خزيمة - باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأن الله عز وجل في حديث: 147: عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن محمد بن الشريد، **جاء بخادمة سوداء عتماء** إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي جعلت عليها عتق رقبة مؤمنة، فقال: يا رسول الله: هل يجزى أن أعتق هذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخادم: (أين الله؟)، **فرفعت رأسها**، فقالت: في السماء، فقال: " من أنا ؟ " قالت: أنت رسول الله، فقال: (أعتقها؛ فإنها مؤمنة).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله **بجارية أعجمية**، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، أفأعتق هذه ؟، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أين الله؟ **فأشارت إلى السماء**، قال رسول الله: (ومن أنا؟)، قالت: فأشارت إلى رسول الله، وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعتقها ؛ فإنها مؤمنة).

حدثنا بحر بن نصر، قال: ثنا أسد السنة يعني ابن موسى، قال: ثنا المسعودي، بهذا مثله، وقال: **بجارية سوداء لا تفصح**، فقال: إن علي رقبة مؤمنة، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ربك ؟ **فأشارت بيدها إلى السماء**، ثم قال: (من أنا ؟)، فقالت بيدها: ما بين السماء إلى الأرض تعني رسول الله والباقي مثله.

حدثنا محمد بن معمر، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا المسعودي، قال: أخبرني عون بن عبد الله بن عتبة، بهذا الإسناد مثله، وقال أيضا: **بجارية عجماء لا تفصح**، وقال: (أعتقها) وقال: فقال المسعودي مرة: (أعتقها ؛ فإنها مؤمنة) قال أبو بكر: أملت تمام هذا الباب في كتاب الظهار في ذكر عتق الرقبة في الظهار.

ورواه في شرح أصول الاعتقاد - سياق ما روي في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى - حديث: 496 - 13025.

قلت - محمد نور عفا عنه ربه الغفور: وقد قال ابن تيمية في الرسالة التدميرية: (من قال إن الله محصور في السماء فقد كفر) انتهى، قلت: فلم يبق من معنى السماء سوى العلو المطلق المعنوي وليس العلو الحسي المادي الذي يشبه المخلوق، والله أعلم.

وكذلك لو سلمنا بصحة الحديث وبصحة الإجابة، فهي حالة مخصوصة بالنبي ﷺ المتصل بالوحي المباشر، لم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم في فتوحاتهم، فلم يسألوا أحدا: أين الله؟، وإنما كان ولا يزال شعار التوحيد هو النطق بالشهادتين، والله أعلم.

وانما كان المشركون يعبدون سبعة الهة في الأرض وواحد في السماء اي العالي علوا مطلقاً.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما عرج للسماوات العلى لم ير الله في السماء ولا جالساً على العرش وانما عرج الى اعلى من العرش وخاطب الله في مكان لا زمان ولا مكان وفرض عليه الصوت الخمس.

والله بكل شيء محيط ومن اعتقد ان الله يحيط بذاته شيء فقد كفر والعياذ بالله بالاضافة الى ان المسلمين طلبوا نطق الشهادتين في فتوحاتهم كلها، ولم يقولوا لأحد ان الله في السماء الا هؤلاء الحشوية المجسمة المشبهة خوارج العصر. والأن نقوم بالدراسة الحديثية لنرى صحة ما ذهبنا إليه من اعتقاد جميع المسلمين من أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والمانريدية والتي حكمت بهما الخلافة الإسلامية على مدار التاريخ:

المجموعة الأولى

الرواية الأولى الشهادتين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما (1): أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن على أمي رقبة مؤمنة، وعندي رقبة سوداء أعجمية، قال: "أنت بها، أنتشدين أن لا إله إلا الله؟"، قالت: نعم، قال: "أنتشدين أني رسول الله؟"، قالت: نعم، قال: "أعتقها".

الرواية الثانية الشهادتين والإيمان بالبعث يوم القيامة:

وأخرج مالك في الموطأ (2) أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية له سوداء. فقال: يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة. فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتشدين أن لا إله إلا الله؟" قالت: نعم. قال: "أنتشدين أن محمداً رسول الله" قالت: نعم. قال: "أتوقنين بالبعث بعد الموت؟" قالت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعتقها".

الرواية الثالثة الشهادتين والبعث والجنة والنار حق:

(1) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني- كتاب الإيمان والتوحيد- باب إثبات الإيمان لمن شهد الشهادتين- حديث: 2960، و سنن الدارمي- ومن كتاب النور والإيمان- باب إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة - حديث: 2309، و مصنف ابن أبي شيبة- كتاب الإيمان والرؤيا- ما ذكر فيما يطوي عليه المؤمن من الخلال - حديث: 29732- المعجم الأوسط للطبراني- باب العين- باب الميم من اسمه: محمد - حديث: 5627

(2) موطأ مالك- كتاب العتق والولاء- باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة - ديث: 1466 و مصنف عبد الرزاق الصنعاني- كتاب المدبر- باب ما يجوز من الرقاب - حديث: 16241، و المنتقى لابن الجارود- كتاب البيوع والتجارات- باب ما جاء في الإيمان - حديث: 907، و مسند أحمد بن حنبل- مسند المكين- حديث رجل - حديث: 15463-

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه⁽¹⁾، عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء، أن رجلاً كانت له جارية في غنم ترعاها، وكانت شاة صفي - يعني غزيرة - في غنمه تلك فأراد أن يعطيها نبي الله صلى الله عليه وسلم فجاء السبع فانتزع ضرعها فغضب الرجل فصك وجهه جاريته فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له وذكر أنها كانت عليه رقبة مؤمنة وافية قد هم أن يجعلها إياها حين صكها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " انتني بها " فسألها النبي صلى الله عليه وسلم: " أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ " قالت: نعم، وأن محمداً عبد الله ورسوله ؟ " قالت: نعم " وأن الموت والبعث حق ؟ " قالت: نعم " وأن الجنة والنار حق ؟ " قالت: نعم، فلما فرغ قال: " أعتق أو أمسك " قلت: أثبت هذا ؟ قال: نعم، وزعموا وحدثنيه أبو الزبير فولدت بعد ذلك في قريش.

مناقشة ابن خزيمة في كتابه (التوحيد) للروايات:

حدثنا محمد بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن رجل، من الأنصار أنه جاء بامرأة سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقها، فقال: " " أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ " " قالت: نعم، قال: " " أتشهدين أني رسول الله ؟ " " قالت: نعم، قال: " " أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ " " قالت: نعم، قال: " " أعتقها " "

- رواه مالك عن ابن شهاب، عن عبيد الله، عن عبد الله مرسلاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا محمد بن يحيى، قال: ثنا بشر بن عمر، قال: ثنا مالك، قال أبو بكر: أخطأ الحسين بن الوليد في إسناد هذا الخبر، ورواه، عن مالك، عن الزهري، عن عبيد الله، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، في عقب خبر المسعودي قال: أخبرنا الحسين بن الوليد، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبيد الله، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه من ذلك، يريد من حديث المسعودي، عن عون، عن عبيد الله بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال نحوه من ذلك، إلا أنه لم يقل إنها مؤمنة . قال أبو بكر: لا شك ولا ريب أن هذا غلط، ليس في خبر مالك ذكر أبي هريرة، فأما معمر في روايته، فإنه قال: عن رجل من الأنصار، وأبو هريرة دوسي، ليس من الأنصار، ولست أنكر أن يكون خبر معمر ثابتاً صحيحاً، ليس بمستنكر لمثل عبيد الله بن عبد الله أن يروي خبراً عن أبي هريرة، عن رجل من الأنصار، لو كان متن الخبر متناً واحداً، كيف وهما متنان، وهما علمي حديثان لا حديثاً واحداً:

1- حديث عون بن عبد الله في الامتحان، إنما أجابت السوداء بالإشارة، لا بالنطق.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني- كتاب المدبر- باب ما يجوز من الرقاب - حديث: 16242، السنن الكبرى للبيهقي- كتاب الظهار- باب وصف الإسلام - حديث: 14257- السنن الكبرى للبيهقي- كتاب الأيمان- باب ما يجوز في عتق الكفارات - حديث: 18590

2- وفي خبر الزهري، أجابت السوداء بنطق: نعم، بعد الاستفهام لما قال لها: "أتشهدين أن لا إله إلا الله؟"، وفي الخبر أنها قالت: نعم، وكذا عن الاستفهام قال لها: "أتشهدين أني رسول الله؟"، قالت: نعم، نطقاً بالكلام، والإشارة باليد، ليس النطق بالكلام،
3- وفي خبر الزهري زيادة الامتحان بالبعث بعد الموت، لما استفهما: (أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟)، فافهموا لا تغالطوا⁽¹⁾. انتهى كلام ابن خزيمة والذي أثاره أنهما أمتان ثنتان لا أمة واحدة، فلنناقش حالة الأمة الثانية التي تارة أشارت إلى السماء وتارة قالت في السماء وتارة أنها بكاء:

في سنن أبي داود⁽²⁾ عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، جارية لي صككتها صكة، فعظم ذلك علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أفلا أعتقها؟ قال: "انتني بها"، قال: فجئت بها، قال: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله، قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن الشريد أن أمه أوصته أن يعتق عنها رقبة مؤمنة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، وعندي جارية سوداء نوبية، فذكر نحوه.

عبد الرزاق⁽³⁾، عن أبي بكر بن محمد، عن محمد بن عمرو، عن عمرو بن أوس، عن رجل من الأنصار أن أمه هلكت وأمرته أن يعتق عنها رقبة مؤمنة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وقال: لا أملك إلا جارية سوداء أعجمية⁽⁴⁾ لا تدري ما الصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "انتني بها" فجاء بها فقال: "أين الله؟" قالت: في السماء قال: "فمن أنا؟" قالت: رسول الله قال: "أعتقها".

حالة جارية سوداء نوبية ثالثة ونطقها بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

السنن الكبرى للنسائي⁽⁵⁾ - أخبرنا موسى بن سعيد الطرسوسي، قال: حدثنا هشام بن عبد الملك، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن الشريد بن سويد الثقفي، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن أمي أوصت أن تعتق

⁽¹⁾ التوحيد لابن خزيمة - باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأن الله عز وجل - حديث: 148

⁽²⁾ سنن أبي داود - كتاب الإيمان والنذور - باب في الرقبة المؤمنة - حديث: 2872

⁽³⁾ مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب المدبر - باب ما يجوز من الرقاب - حديث: 16277

⁽⁴⁾ كل من ليس من أصل عربي فهو أعجمي.

⁽⁵⁾ السنن الكبرى للنسائي - كتاب الوصايا - فضل الصدقة عن الميت - حديث: 6286، وصحيح ابن حبان - كتاب الإيمان - باب فرض الإيمان ذكر خبر آخر يصرح بصحة ما ذكرنا أن العرب تذكر - حديث: 189، و مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين - حديث الشريد بن سويد الثقفي - حديث: 17640 - مسند أحمد بن حنبل - أول مسند الكوفيين - حديث الشريد بن سويد الثقفي - حديث: 19046، و مسند أحمد بن حنبل - أول مسند الكوفيين - حديث الشريد بن سويد الثقفي - حديث: 19057، السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الظهار - باب وصف الإسلام - حديث: 14258

عنها رقبة، وإن عندي جارية نوبية، أفجزئ عني أن أعتقها عنها؟، قال: " انتني بها "، فأتيته بها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: " من ربك ؟ "، قالت: الله، قال: " من أنا ؟ "، قالت: أنت رسول الله، قال: " أعتقها، فإنها مؤمنة "

- عقيدة علماء أهل الحديث من أهل السنة والجماعة:

1 - الحافظ ابن عبد البر يرد على المجسمة:

ذكر الرواية في (التمهيد) 143/7 عن مالك (بأنه ينزل أمره ورحمته) فلم يستبعدوها لا من حيث السند ولا من حيث المتن، بل قدمها أولاً بقوله: (وقد قال قوم من أهل الأثر أيضاً أنه ينزل أمره وتنزل رحمته ((اهـ .

ثم ذكر إسنادها إلى مالك .. وعقب عليها بقوله:

(وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه الله على معنى أنه تنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة، وذلك من أمره أي أكثر ما يكون في ذلك الوقت، والله أعلم...) اهـ.

وقال رحمه الله في كتابه (التمهيد) 144/7 رداً على من فسر حديث النزول بنزول الذات: (ليس هذا - يعني قول من قال ينزل بذاته - بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة لأن هذا كيفية وهم يفرعون منها) اهـ

وأكدتها الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم 6 / 37: فقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن نزول الرب عز وجل، فقال "ينزل أمره تعالى كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو".

2 - قال الحافظ محمد بن حبان (354هـ.) صاحب الصحيح وذلك في مقدمة

كتابه (الثقات) قال: (الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى، ولا له أجل معدود فيفنى، ولا يحيط به جوامع المكان، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان). انتهى.

وفي صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ- ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض - حديث: 6232: عن وكيع بن حذس، عن عمه أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: " هل ترون ليلة البدر القمر أو الشمس بغير سحاب؟ "، قالوا: نعم. قال: " فالله أعظم ". قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: " في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء ".

قال أبو حاتم - أي ابن حبان - رضي الله عنه: " وَهَمَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ مِنْ حَيْثُ فِي غَمَامٍ إِنَّمَا هُوَ فِي عَمَاءٍ، يَرِيدُ بِهِ أَنْ الْخَلْقَ لَا يَعْرِفُونَ خَالِقَهُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ، إِذْ كَانَ وَلَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لَهُ زَمَانٌ، وَلَا مَكَانٌ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَالِقُهَا، **كَانَ مَعْرِفَةُ الْخَلْقِ إِيَّاهُ كَأَنَّهُ كَانَ فِي عَمَاءٍ عَنْ عِلْمِ الْخَلْقِ، لَا أَنَّ اللَّهَ كَانَ فِي عَمَاءٍ، إِذْ هَذَا الْوَصْفُ شَبِيهٌ بِأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ).** انتهى.

وفي سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب: ومن سورة هود - حديث: 3117 حدثنا أحمد بن منيع قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حذس، عن عمه أبي رزين، قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: **"كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخُلِقَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"** قال أحمد بن منيع، : قال يزيد بن هارون: (العماء): أي ليس معه شيء". هكذا يقول حماد بن سلمة: وكيع بن حذس، ويقول شعبة وأبو عوانة وهشيم: وكيع بن عدس: وهو أصح، وأبو رزين اسمه: لقيط بن عامر، وهذا حديث حسن) انتهى.

وفي الأسماء والصفات للبيهقي - باب بدء الخلق - حديث: 770 أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر بن أحمد، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حذس، عن أبي رزين يعني العقيلي، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يُسأل، فإذا سأله أبو رزين أعجبه، قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال صلى الله عليه وسلم: **"كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خُلِقَ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ"**. هذا حديث تفرد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس، ويقال: ابن عدس، ولا نعلم لو كيع بن عدس هذا راوياً غير يعلى بن عطاء.

ووجدته في كتابي " في عماء " مقيدا بالمد، فإن كان في الأصل ممدودا فمعناه سحب رقيق. ويريد بقوله " في عماء ". أي: فوق سحب مدبراً له وعالياً عليه، كما قال تعالى: (أَأْمَنْتُمْ مِنَ السَّمَاءِ) يعني: من فوق السماء. وقال: ولأصلبكم في جذوع النخل يعني: على جذوعها. وقوله: **" مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ "** أي ما فوق السحاب هواء، وكذلك قوله: **" وما تحته هواء "** أي: ما تحت السحاب هواء.

وقد قيل: إن ذلك من العما مقصوراً، والعما إذا كان مقصوراً، فمعناه: لا شيء ثابت، لأنه مما يُعمى على الخلق لكونه غير شيء، وكأنه قال في جوابه: كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره. كما قال في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ثم قال: "فما فوقه ولا تحته هواء". أي: ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود هواء، ولا تحته هواء، لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه، والله أعلم.

وقال أبو عبيد الهروي صاحب الغريبين، وقال بعض أهل العلم: معناه أين كان عرش ربنا؟ فحذف اختصاراً كقوله: واسأل القرية أي: أهل القرية، ويدل على ذلك قوله: "وكان عرشه على الماء" انتهى.

3 - وقال الإمام الخطابي (388هـ.) صاحب (معالم السنن): (وليس معنى قول المسلمين إن الله على العرش هو أنه تعالى مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته، لكنه بائن⁽¹⁾ من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية 11)⁽²⁾ انتهى.

4 - العلامة المحدث ابن بطل المالكي (449هـ.) أحد شراح صحيح البخاري، وابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري لصحيح البخاري حيث ينقل قول ابن بطل مؤيداً في فتح الباري 416/13 ما يلي: (غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه، فقد كان ولا مكان، **وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه أي تعالىه - مع**

⁽¹⁾ قولهم: (بائن من خلقه) يأتي على معنيين كما في مقدمة ابن خلدون (ص/868):
- أولهما: **المبانية في الحيز والجهة**: وهذه باطلة في حق الله؛ لأن ذلك إنما يكون في حق المتحيزات.

- **والثاني: المبانية بمعنى المغايرة والمخالفة**: فيقال: الله مباين في ذاته وصفاته لخلقه سبحانه. وهذه حق لقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: من الآية 11)، **وهذه المبانية (يعني: بمعنى المغايرة والاختلاف): هي مذهب أهل الحق كلهم**: من جمهور السلف وعلماء الشرائع والمتكلمين، والمتصوفة الأقدمين كأهل الرسالة (يعني كتاب: رسالة للقشيري) ومن نحا منحاهم" انتهى. والله أعلم.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: فيتضح من كلام ابن خلدون أن معنى المبانية له معنيان حسي ومعنوي، فالحسي منفي عن الله تعالى، فبقي المعنوي. والله أعلم.
⁽²⁾ انظر كتاب (أعلام الحديث) كتاب بدء الخلق.

تنزيهه عن المكان). ويتابع نقله في 433/13: (لا تعلق للمجسمة في إثبات المكان، لما ثبت من استحالة أن يكون سبحانه جسماً أو حالاً في مكان) انتهى.

5 - وفي الأسماء والصفات للإمام البيهقي - باب ما جاء في قول الله عز وجل: هل ينظرون - حديث: 908

قال أبو سليمان: وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً قال له، كيف ينزل؟ فقال له بالفارسية: (كخدائ كارخویش كن) **ينزل كما يشاء.**

قال أبو سليمان رحمه الله: "وإنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو نزلة من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت، وهذا **صفة الأجسام والأشباح**، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده، وعطفه عليهم واستجابته دعائهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء، لا يتوجه على صفاته كيفية، ولا على أفعاله كمية، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

وقال أبو سليمان رحمه الله في معالم السنن: وهذا من العلم الذي أمرنا أن نؤمن بظاهره، وأن لا نكشف عن باطنه، وهو من جملة المتشابه الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: 7) الآية. **فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم الظاهر، ويوكل باطنه إلى الله عز وجل، وهو معنى قوله:** وما يعلم تأويله إلا الله، وإنما حظ الراسخين أن يقولوا: آمنا به كل من عند ربنا.

وكذلك ما جاء من هذا الباب في القرآن كقوله عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (البقرة: 210)

وقوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (1) (الفجر: 22)، والقول في جميع

(1) قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) = (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (هود: 40) = (وَلَمَّا

جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (هود:58) = (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِيذُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (هود:66) = (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) (هود:76) = (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَحَيَّبُ) (هود:101) = (.. وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخُصِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) (غافر:78) = (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد:14)، **فالمجيء هو لأمر الله تعالى، وليس للذات الإلهية، فالذات الإلهية غيب، وما ورد في القرآن فذكر لصفاتها، والقرآن يفسر بعضه بعضاً. والله أعلم.**

قال ابن عبد البر رحمه الله في كتابه التمهيد 141/7: وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا فقد أكثر الناس التنازع فيه والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة.

وقد قال قوم من أهل الأثر أيضاً أنه ينزل أمره وتنزل رحمته وروى ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره، وأنكره منهم آخرون وقالوا: هذا ليس بشيء لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمراً قال له كن فيكون في أي وقت شاء، ويختص برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سودة بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا؟ فقال **مالك: ينزل أمره**، وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه الله على معنى أنه: تنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت والله أعلم، ولذلك ما جاء فيه الترغيب في الدعاء وقد روى من حديث أبي ذر أنه قال: يا رسول الله أي الليل أسمع؟ قال: (جوف الليل الغابر) يعني الآخر وهذا على معنى ما ذكرنا، ويكون ذلك الوقت مندوباً فيه إلى الدعاء كما ندب إلى الدعاء عند الزوال وعند النداء وعند نزول غيث السماء وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء، والله أعلم).

وقال آخرون: ينزل بذاته أخبرنا أحمد بن عبدالله أن أباه أخبره قال حدثنا أحمد بن خالد قال حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح بمصر قال: سمعت نعيم بن حماد يقول حديث النزول يرد على الجهمية قولهم، قال: وقال نعيم: ينزل بذاته وهو على كرسيه.

قال أبو عمر - أي ابن عبد البر - : ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً، وقد جل الله وتعالى عن ذلك وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيهه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11)، **قال أبو عمر:**

أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكروها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة

ذلك عند علماء السلف هو ما قلناه، وروي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

6 - ويتابع الإمام البيهقي قوله: (وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه، فقال: إن قال قائل: كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء. فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء

رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله، روى حرمة بن يحيى قال سمعت عبدالله بن وهب يقول: **سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله: (وقالت اليهود يد الله مغلولة) وأشار بيده إلى عنقه ومثل قوله (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) فأشار إلى عينيه؛ أو أذنه؛ أو شيئاً من بدنه؛ قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه، ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال: لا يضحي بأربع من الضحايا وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده قال البراء ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره البراء أن يصف رسول الله ﷺ إجلالاً له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله.**

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة في رسالته إلى أهل الثغر كما يقرر في إثباته السني للصفات الإلهية منزلها ربه تعالى عن كل نقص وجسمية:

"الإجماع السابع: وأجمعوا على أنه تعالى يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارح، وأن يديه تعالى غير نعمته).

(الإجماع الثامن: وأجمعوا على أنه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهرًا فإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة، أو حركة ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم جاءت زيدا الحمى أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهرًا وإنما مجيئها إليه وجودها به". اهـ

ومن أمر الله تعالى الروح: ففي جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة النحل - القول في تأويل قوله تعالى: (يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) (النحل: من الآية 2) - حديث: 19540

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: قوله: **(يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ)** قال: " لا ينزل ملك إلا معه روح (يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (النحل: من الآية 2) قال: " بالنبوة ". قال ابن جريج: وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (الاسراء: من الآية 85) انتهى.**

لم يتحرك. وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث، وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما، ليس كمثله شيء. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش.

قال: وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيراً ولا يفيد رشداً، ونسأل الله العصمة من الضلال، والقول بما لا يجوز من الفاسد والمحال.

7 - وقال القتيبي: قد يكون النزول بمعنى إقبال على الشيء بالإرادة والنية، وكذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير، وأشباه هذا الكلام، وذكر من كلام العرب ما يدل على ذلك. قال: **ولا يراد في شيء من هذا انتقال يعني بالذات⁽¹⁾**، وإنما يراد به القصد إلى الشيء بالإرادة والعزم والنية. قلت: وفيما قاله أبو سليمان رحمه الله كفاية، وقد أشار إلى معناه القتيبي في كلامه، فقال: لا نحتم على النزول منه بشيء، ولكننا نبين كيف هو في اللغة، والله أعلم بما أراد.

ويتابع الإمام البيهقي قوله: وقرأت بخط الأستاذ أبي عثمان رحمه الله في كتاب الدعوات عقيب حديث النزول: قال الأستاذ أبو منصور يعني الحمشاذي على إثر الخبر: وقد اختلف العلماء في قوله: " ينزل الله " فسئل أبو حنيفة عنه فقال: **ينزل بلا كيف**. وقال حماد بن زيد: **نزوله إقباله⁽²⁾**. وقال بعضهم: ينزل

(١) ذات الله تعالى لا يعلمها إلا الله، حتى الرسل والملائكة لا يعرفون ذات الله، لقوله تعالى (ويحذركم الله نفسه)، وقد وصف الله تعالى نفسه: (علام الغيوب) فما هي تلك الغيوب؟، قطعاً ليست غيوب مخلوقة، لأنه خالقها وعالمها وشاهدها ومبصرها، وإنما تلك الغيوب تعود إليه سبحانه، وهي: غيب ذاته، وغيب أحديته، وغيب واحديته، وغيب هويته، والأحدية: لا تعد ولا تتعدد، والواحدية: تُعد ولا تتعد، والهوية: قل هو الله أحد، فالغيوب الأربعة لا يعلمها إلا الله تعالى والله أعلم.

(٢) قال العلامة الكوثري - رحمه الله ورضي عنه - في مقالاته حول أحاديث النزول: "ومعنى النزول فتحه لباب الإجابة لعباده، وهو استعمال عربى صحيح، وحمله على الانتقال من فوق إلى تحت جهلاً بما يجوز في الله وما لا يجوز، فلا بد من حمل النزول على **الإسناد المجازي**؛ بمعنى بعثه من ينادي هذا النداء، كما يدل على ذلك حديث النسائي أو على **المجاز في الظرف**؛ بمعنى أنه يُقبل على المستغفرين، كما ذهب إلى ذلك حماد بن زيد وغيره.

والغروب وثلاث الليل ممّا يختلف باختلاف المطالع، فيستمر هذا وذاك بالنظر إلى مختلف البلاد فلا يتصور أن يراد الهبوط الحسي في مطلق أحاديث النزول." اهـ.

نزولاً ً يليق بالربوبية بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق؛ **بالتجلي والتجلي**، لأنه جل جلاله منزله عن أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزلها عن أن تكون ذاته مثل ذات الغير، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيفية.

ثم روى الإمام رحمه الله عقيب حكاية ابن المبارك حين سئل عن كيفية نزوله، فقال عبد الله: " كد خدائي كارخويش كن " ينزل كيف يشاء. وقد سبقت منه هذه الحكاية بإسناده وكتبتها حيث ذكرها أبو سليمان رحمه الله.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: " حديث النزول قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة " وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا

قلت محمد نور عفا عنه ربه العفو الغفور: بحثت عن الحديث فوجدت السنن الكبرى للنسائي - كتاب المواعظ- الملائكة - حديث:11480:

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نزل ملك من السماء، فبشرني أن فاطمة سيدة نساء أمتي، وأن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة". ورواه المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم- ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث:4668.

ووجدت حديثاً آخر: سنن أبي داود - كتاب الأدب- باب في الانتصار - حديث:4272
عن سعيد بن المسيب، أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فأذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم أذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت على يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان"

وقال الشيخ محمد أبو زهرة * - رحمه الله - عن الإمام الكوثري - رحمه الله - : " لا أعرف أن عالماً مات فخلأ مكانه في هذه السنين، كما خلا مكان الإمام الكوثري، لأنه بقيت السلف الصالح الذين لم يجعلوا العلم مرتزقاً ولا سلماً لغاية، بل كان هو منتهى الغايات عندهم، وأسمى مطارح أنظارهم، فليس وراء علم الدين غاية يتغيها مؤمن، ولا مرتقى يصل إليه عالم.
لقد كان رضي الله عنه عالماً يتحقق فيه القول المأثور " العلماء ورثة الأنبياء "، وما كان يرى تلك الوراثة شرفاً فقط، ليفتخر به ويستطيل على الناس، إنما كان يرى تلك الوراثة جهاداً في إعلان الإسلام، وبيان حقائقه، وإزالة الأوهام التي تلحق جوهره، فيبدي للناس صافياً مشرقاً منيراً، فيعشوا الناس إلى نوره، ويهتدون بهديه، وأن تلك الوراثة تتقاضى العالم أن يجاهد كما جاهد النبيون، ويصبر على البأساء والضراء كما صبروا، وأن يلقي العنت ممن يدعوهم إلى الحق والهداية كما لقوا، فليست تلك الوراثة شرفاً إلا لمن أخذ في أسبابها، وقام بحققها، وعرف الواجب فيها، وكذلك كان الإمام الكوثري رضي الله عنه. " اهـ

صَقًا (الفجر:22)

والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى، من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً). انتهى كلام البيهقي.

أقوال الإمام البيهقي (ت 458 هـ):

1- في " الاعتقاد و الهداية " للبيهقي 117/1: (و في الجملة يجب أن يُعلم أن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، و أن مجيئه ليس بحركة، و أن نزوله ليس بنقلة، و أن نفسه ليس بجسم، و أن وجهه ليس بصورة، و أن يده ليست بجارحة، و أن عينه ليست بحدقة، و إنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف، فقلنا بها و نفينا عنها التكييف، فقد قال (ليس كمثله شيء) [الشورى 11]، و قال: (ولم يكن له كُفُوًا أحد) [الإخلاص 4]، وقال: (هل تعلم له سمياً) [مريم 65].

2- و قال في الشعب 112/1: (فصل في معرفة الله عز وجل و معرفة صفاته و أسمائه: حقيقة المعرفة أن تعرفه موجوداً قديماً لم يزل و لا يفنى، أحداً صمداً، شيئاً واحداً لا يتصور في الوهم، و لا يتبعض و لا يتجزأ، ليس بجوهر و لا عرض، و لا جسم ... و صفات له أبدية تقوم به، موجودة بوجوده، دائمة بدوامه، ليست بأعراض و لا بأغيار، و لا حالة في أعضاء، غير مكيفة بالتصور في الأذهان، و لا مقدورة بالتمثيل في الأوهام).

8 - وقال إمام الظاهرية ابن حزم الأندلسي (456هـ) في كتابه (علم الكلام) مسألة نفى المكان عن الله تعالى ص / 65:

(وأنه تعالى لا في مكان ولا في زمان، بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة، قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) (الفرقان:2) وقال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) (الفرقان:59) والزمان والمكان هما مخلوقان، وقد كان تعالى دونهما، والمكان إنما هو للأجسام) انتهى.

9 - وفي شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين: مسألة الاعتقاد لعمر بن أحمد قال أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين، رضي الله عنه،

ونفعه بما كان يعتقد من السنة قال: (وأشهد أن الله عالم بالأشياء كلها قبل حلولها، وأشهد أن جميع الصفات التي وصف بها الله عز وجل في القرآن حق، **سميع بصير بلا حد محدود، ولا مثال مضروب، جل عن أن يضرب له الأمثال).**

10 - قال الإمام الحافظ النووي في شرح قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "ومن أتاني يمشي أتيته هرولة": هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويستحيل إرادة ظاهره. (1).

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم 19/3: (إن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو منزّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق).

11 - قال العلامة الكوثري - رحمه الله ورضي عنه - في مقالاته حول تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات:

"تنزيه الله جل شأنه عن سمات الحدوث وعن حلول الحوادث فيه مما ثبت في دين الإسلام بالضرورة، وعلى هذه العقيدة جرت الأمة من فجر الإسلام إلى اليوم:

1- قال الله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} آية 11 سورة الشورى،

2- وقال تعالى: {أفمن يخلق كمن لا يخلق} آية 17 سورة النحل،

3- وقال جل شأنه: {ولم يكن له كفؤاً أحد} آية 4 سورة الإخلاص،

4- وقال تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال} آية 74 سورة النحل،

5- وقال سبحانه: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون} آية 180 سورة الصافات،

إلى غير ذلك من آيات التسبيح والتعالي الدالة على تنزيه الله جل جلاله عن مشابهة المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله حتى أصبحت هذه العقيدة راسخة كل الرسوخ في نفوس العامة والخاصة على حد سواء بل العامة تجددهم أكثر تهيئاً من الخواص من الخوض في ذات الله وصفاته من بعض من يصف في صف الخاصة.

ومع ذلك لا تخلو من أن يفاجئك في بعض الحشود الحاشدة من لا يصون لسانه من فلتات في هذا الباب على مرأى من الناس ومسمع منهم، فربما تدعو تلك

(1) المنهاج في شرح صحيح مسلم، ج17/ص3.

الشطحات بعض الناس إلى الاغترار بالباطل لصدورها من أصحاب عمائم كالأبراج وأكمام كالأخراج، **فيجب إذ ذاك وجوباً مؤكداً لفت النظر إلى مبلغ خطورة نسبة الحركة والحد والنهاية والجلوس والاستقرار المكاني على العرش والثقل ونحو ذلك من سمات الحدوث إلى الله جل جلاله.** (١) اهـ.

12 - نفي الكيفية عن الله بالمطلق هو عقيدة سيدي الشيخ أبي عمر عبد الباقي المكاشفي رضي الله عنه، كما قال في قصيدته في التوحيد ونصه: "كَيْفَ لِلْكَيفِ... تَنْزَهُ عَنْ كَيْفِيَّاتٍ حَيْفٍ"، قوله "كَيْفَ لِلْكَيفِ" أي أنه سبحانه هو جاعل الكيف كيفاً، معناه: الله هو من جعل المخلوقات كلها على ما هي عليه من الشكل والصورة والهيئة والحجم والكمية.

وشرح قول سيدي أبي مهال "تَنْزَهُ عَنْ كَيْفِيَّاتٍ حَيْفٍ"، أن الحَيْف هو الظلم، ومراد سيدي المكاشفي أن من الظلم والتعدي نسبة الكيفية إلى الله تعالى لأنه سبحانه منزّه عن كلّ كيف كما قال رضي الله عنه.

وكلام سيدي أبي عمر رضي الله عنه هو ما عليه إجماع أهل السنة والجماعة بلا شك.

ثم لا يوجد رواية صحيحة مسندة عن الإمام مالك فيها لفظ "والكيف مجهول" في تفسير آية الاستواء. الثابت عن إمام الأئمة مالك رضي الله عنه أربع عبارات:

(١) قال الأستاذ محمد بن يوسف البنوري (وكان أستاذاً للحديث بدار العلوم بباكستان) ذاكراً طرفاً من فضل العلامة الكوثري رحمهما الله تعالى، قال :

فكنت قد قرأت كلمة في طبقات ابن سعد (ج2 ص 105) بإسناد صحيح إلى مسروق - ذلك التابعي الكبير من رجال الكوفة - في حق حبر الكوفة وحبر القادسية وأقربهم إلى الله زلفى عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: "لقد جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذاً (الغدير)، فالإخاذاً يروي الرجل، والإخاذاً يروي الرجلين، والإخاذاً يروي العشرة، والإخاذاً لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من ذلك الإخاذاً."

هذه كلمة كنت قد قرأتها، رأيتها صدقت في عهدنا هذا على محقق العصر، الجهيز الناقد البحاثة الخبير الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري المتوفى في ذي القعدة سنة 1371 هـ. سواءً بسواء. فكان رجلاً تتجلى فيه بعصره هذه المزية بأجلى منظرها، رجل جمع بين غاية سعة العلم والاستبحار المدهش ودقة النظر، والحافظة الخارقة للعادة، والاستحضار المحيّر، والجمع بين علوم الرواية على اختلاف فروعها وشعبها، وعلوم الدراية على تقنن مراميها ومقاصدها. وبين رقة الشمائل ومكارم الأخلاق، من التواضع والقناعة بالكفاف، والورع والتقوى، والصبر على المكاره، وكرم النفس، والسماحة بخزائن معارفه ودفائن علمه، مع علم واسع بنوادر المخطوطات في أقطار الأرض وخزانات العالم، ثم الغيرة على حفظ سياج الدين، أو إبداء وجه الحق إلى الأمة ناصع الجبين". اهـ.

الأولى رواها الترمذي عنه وعن الإمامين المجتهدين ابن المبارك وابن عيينة هي: **"ولا يقال كيف"**، وهو نص المجتهدين الثلاثة الأوزاعي والثوري والليث بن سعد كذلك كما ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري؛ **والثانية قوله "بلا كيف"** وهو ما نص الترمذي في سننه كذلك، على أنه قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، ولا شك في أن الإمام مالك بن أنس من رؤوسهم ورؤسائهم. أقول وهو واضح في أن نفي الكيف عن الله بالمطلق مجمع عليه منذ أيام السلف الصالح، وهو أي نفي الكيفية عن الله، معلوم من دين الإسلام ضرورة.

والروايتان الأخريان الثالثة والرابعة رواهما البيهقي ورواها غيره من حفاظ الحديث كذلك، وذكرهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، إحداهما **"وكيف عنه مرفوع"** أي غير جائز في حق الله سبحانه؛ والأخرى **"والكيف غير معقول"** معناه أن الكيفية لا تجوز على الله عقلاً فهي من المستحيلات العقلية في حقه تعالى، ومثلها الظلم والعبث والحركة والسكون والمكان والجهة. كل ذلك لا يجوز على الله. وكذلك الشريك والولد والزوجة مستحيل في حق الله. وكل تلك الروايات الصحيحة الثابتة عن مالك رضي الله عنه تنفي عن الله الكيفية بالمطلق وهو إجماع كما قال الترمذي.

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب التوحيد من شرح البخاري أن الحافظ اللالكائي أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها قالت **"والكيف غير معقول"**، ومثل أم المؤمنين قال ربيعة وهو أحد مجتهدي السلف، فتبين أن من قال بخلاف ذلك فهو مخالف للإسلام والسلف قاطبة.

أما من قال "والكيف مجهول"، فإن أراد أن الله له كيفية وشكل وصورة لا نعرفها، فهذا لا يعرف الله ولا هو عابد لله تعالى الذي وصف نفسه في القرآن فقال **"ولم يكن له كفوا أحد"**، أي لا شبيه له تعالى.

أما إن كان يفهم من عبارة "والكيف مجهول" أن الاستواء لا أعرف حقيقته ولا تفسيره مع التنزيه عن صفات المخلوق، فهذا نقول له إن هذه العبارة لا سند لها إلى مالك رضي الله عنه، والإسناد من الدين كما قال ابن المبارك، رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

ولا يكفي أن تلك العبارة في كتاب ما، فإن الكتب دخلها تحريف المشبهة وغشهم، والعبرة بالإسناد. الإسلام دين إسناد، وكلُّ يؤخذ منه ويُردّ إلا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الثابتة، وإجماع أهل العلم كذلك حجة من حجج

الدين بالاتفاق لا يخالف إلا مبتدع؛ علموها إخواني أهلکم وأولادکم ورفقاءکم، وانشروها رحم الله من نشرها وبارک فيه وفي ماله وأهله وذريته ومن قال آمين، الله يرزق ناشرها وأهله رؤية النبي صلى الله عليه وسلم عاجلاً وأجلاً وعافية الدين والدنيا، آمين آمين آمين⁽¹⁾.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: ولأن المكان محدود في الجهات الثمانية: (فوق وتحت، وأمام وخلف، ويمين ويسار - وداخل وخارج) والله تعالى خالقها جميعها، وعند خلقه للمكان تكونت هذه الجهات الثمانية للمخلوقين ولا تنسب الجهات الثمانية للخالق سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إلا على وجه التعظيم والتقدس والتنزيه.

وأما السماء فهي محل أمر الله تعالى، قال سبحانه: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ **وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا** وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (فصلت: 12).

وليست السماء محيطة بالله تعالى لأنه سبحانه محيط بكل شيء من المخلوقات: (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) (فصلت: 54).

فالأمر الإلهي يتنزل بين السماء والأرض كما أخبر الله تعالى: **(يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)** (السجدة: 5).

ثم سمي التنزل بالاتجاهين وذلك حتى لا ينحصر أمر الله باتجاه واحد فقال سبحانه:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) (الطلاق: 12).

فسمى الله تعالى أمره يتنزل بين السماء والأرض أي ينزل من السماء إلى

(1) <https://www.facebook.com/pages/%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%87%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9/165518953534942?ref=profile>

الأرض وينزل من الأرض إلى السماء أي انعدم الاتجاه والله أعلم.
وفي آية أخرى أعلمنا الله تعالى أن السموات والأرض مخلوقة وأن أمره استوى على العرش في لف ونشر حسب مقتضيات البلاغة، - على قول من قال ذلك - وفي ذلك رد على الفلاسفة الذين قالوا: إن الله تعالى خلق الكون ثم تركه، وأن العرش هو الذي يدبر ويتحكم بمن دونه، فبين سبحانه أنه محيط بالكون بأمره من خلال استواء أمره على العرش، يؤكد ذلك أن كل آيات الاستواء أتت معها خلق السموات والأرض ليدل على معنى الاستواء الانتهاء من خلقهن، أو استوى أمره على العرش:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (يونس:3).

(**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد:2)

قال الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، في كتابه (الإبانة):

"وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزهاً عن المماسية والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء" اهـ.

وقال السلفي سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه (200 هـ - 283 هـ):
(الرحمن على العرش استوى): العقل وحده لا يدل على قديم أزلى فوق عرش محدث! نصبه الحق دلالة وعلمنا لنا، لتهتدي القلوب به إليه ولا تتجاوزة، ولم يكلف القلوب علم ما هية هويته، فلا كيف لاستوائه عليه، ولا يجوز أن يقال: كيف الاستواء لمن أوجد الاستواء؟ وإنما على المؤمن الرضى والتسليم (نقله عنه الذهبي في (السير) 331/13)

قال أبو المظفر: ... وسأل بعض أتباع الكرامية (مذهب أهل التجسيم يتبعه

الآن كثير ممن يظنون أنهم يتبعون السلف)، في مجلس محمود بن سبكتكين سلطان زمانه رحمه الله، إمام زمانه أبا إسحاق الإسفراييني رحمه الله، عن هذه المسئلة، فقال: هل يجوز أن يقال الله سبحانه وتعالى على العرش، وأن العرش مكان له، فقال: لا، وأخرج يديه، ووضع إحدى كفيه على الأخرى، وقال: كون الشيء على الشيء يكون هكذا، ثم لا يخلو أن يكون مثله، أو يكون أكبر منه، أو أصغر منه، فلا بد من مخصص خصه، وكل مخصص يتناهى، والمتناهى لا يكون إلهاً، لأنه يقتضي مخصصاً ومنتهى، وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم أن يجيبوا عنه فأغروا به رعاهم حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1983 تح: كمال يوسف الحوت، ص:112)...

وفي ذلك يقول شيخ الاسلام الحافظ البيهقي رحمه الله⁽¹⁾: (وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف؛ بلا أين، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف، فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال تعالى: (ليس كمثله شيء)، وقال: (ولم يكن له كفواً أحد) وقال: (هل تعلم له سمياً) انتهى.

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ) رضي الله عنه وقيل تنسب للزمخشري أرسل بها للإمام الغزالي رحمهما الله:
 قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ *** قَصِّرِ الْقَوْلَ فَذَا شَرْحُ يَطُولُ
 ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ *** قَصُرْتُ وَاللَّهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَا تَدْرِي *** مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولُ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ *** فَيْكَ حَارَتْ فِي خَفَايَا الْعُقُولِ
 أَنْتَ أَكَلِ الْخَبْزِ لَا تَعْرِفُهُ *** كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولُ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا *** هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولُ

(¹) انظر كتابه (الاعتقاد والهداية).

أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ إِذَا **** غَلَبَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهْلُ
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي *** بَيْنَ جَنَبَيْكَ كَذَا فِيهَا ضَلُولُ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى *** لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النُّزُولُ
فَهُوَ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ لَهُ *** وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولُ
جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَسَمًا *** وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا تَقُولُ

ثم بين الله تعالى الحجة الدامغة على المشركين بتدبير أمره للحي وللميت:

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ) (يونس: 31) .

ولهذا أمر الله سبحانه بعبادته لأنه سبحانه بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر
كله بما فيه الزمان والمكان لأنه خالقهما:

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (هود: 123).

وقول الله تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ** وَمُطَهِّرُكَ مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (آل عمران: 55). فقوله (**وَرَأْفِعُكَ
إِلَيَّ**) فسرته حديث المعراج الصحيح بأن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم التقى
بسيدنا عيسى عليه السلام في السماء الثانية فدل أن الرفع لم يكن مطلقاً وإنما
محدوداً في السماء الثانية، والله أعلم.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم 19/3:

(إن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو منزّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في
جهة وعن سائر صفات المخلوق)

وقال الشيخ الألباني - رحمه الله - : (إلا أنه مع ذلك لا ينبغي إطلاق لفظ
الجهة والمكان ولا إثباتهما، لعدم ورودهما في الكتاب والسنة، فمن نسبهما إلى الله
فهو مخطئ لفظاً، إن أراد بهما الإشارة إلى إثبات صفة العلو له تعالى، وإلا فهو
مخطئ معنى أيضاً إن أراد حصره تعالى في مكان وجودي، أو تشبيهه تعالى
بخلقه)⁽¹⁾.

(¹) انظر: مختصر العلو ص 72.

وقال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله - : (الله ليس له مكان ما في المواقع...، الله منزّه عن المكان باتفاق جميع العلماء الإسلام، لماذا؟ لأن الله كان ولا شيء معه، وهذا معروف في الحديث الذي رواه البخاري: **(كان الله ولا شيء معه)**، معناه: كان ولا مكان له؛ لأنه هو الغني عن العالمين، هذه حقيقة متفق عليها⁽¹⁾. **قال العلامة الطاهر بن عاشور** في تفسيره للآية (الله نور السموات والأرض): (فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا يخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهرًا أو عرضًا).

^١ (انظر (منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، ص 132 - 133).

الركن الأساسي الأول للإيمان:

- والتَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ،

أركان الإيمان إثنان هما: الإقرار والتصديق بالشهادتين ينتج عنهما الخضوع والانقياد لأمر الله تعالى بالعمل والسلوك، ونبدأ بالتصديق لأنه أساس الإقرار وهو الاعتقاد الجازم بالقلب بالشهادتين.

قال الإمام البخاري في صحيحه - كتاب العلم - بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ. (1). اهـ.

(1) وتكملة عبارة البخاري: (وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ).
وَقَالَ جَلْ ذِكْرُهُ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)
وَقَالَ: (وَمَا يَغْفُلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)، (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ).
وَقَالَ: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، (وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ).
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: (لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمَامَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُحْيِزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا).
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ): خُلَمَاءُ فَقَهَاءَ، وَيُقَالُ: (الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قوله: (باب العلم قبل القول والعمل) قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للذنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: "إن العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه.

قوله: (فبدأ بالعلم) أي حيث قال: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" ثم قال "واستغفر لذنبك".
والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو متناول لأُمَّته.
واستدل سفيان بن عيينة بهذه الآية على فضل العلم كما أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق الربيع بن نافع عنه أنه تلاها فقال: ألم تسمع أنه بدأ به فقال: "اعلم" ثم أمره بالعمل؟
وينتزع منها دليل ما يقوله المتكلمون من وجوب المعرفة، لكن النزاع كما قدمناه إنما هو في إيجاب تعلم الأدلة على القوانين المذكورة في كتب الكلام، وقد تقدم شيء من هذا في كتاب الإيمان....
قوله: (وإنما العلم بالتعلم) هو حديث مرفوع أيضا، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضا بلفظ: "يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" إسناده حسن، إلا أن فيه مبهما اعتضد بمجيبه من وجه آخر، وروى البزار نحوه من حديث ابن مسعود موقوفا، ورواه أبو نعيم الأصبهاني مرفوعا.
وقد فسر ابن عباس: "الرباني" بأنه الحكيم الفقيه، ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربي في غريبه عنه بإسناد صحيح،

وأول العلم العلم بالله تعالى، وأول العلم بالله تعالى معرفة أركان الإيمان بالله تعالى، وأول أركان الإيمان ما كان أساساً لغيره، وهو التصديق (الإيمان القلبي). التصديق بالجنان (وهو القلب): هو الركن الذي لا بد من وجوده لدخول الجنة؛ وبانتفائه يخلد صاحبه في النار، لأنه من صفة المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

والتصديق: هو اليقين الكامل؛ والاعتقاد الجازم بأصل الإيمان، مع الخضوع والإذعان لأمر الله تعالى (1)، قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله (2). وأصل الإيمان هو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، وهذا الأصل يجب أن لا يزول بتشكيك المشكك؛ ومحله الجنان وهو القلب، فإذا زال بالتشكيك فلا يسمى إيماناً؛ ولا تصديقاً.

قال التفزازاني (3) - رحمه الله - : (ويعدى - أي الإيمان - :

- بالباء لا اعتبار معنى الإقرار والاعتراف، كقوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه (285) [سورة البقرة]. **- وباللام** لا اعتبار معنى الإذعان والقبول كقوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (17) [سورة يوسف]). انتهى الدليل القرآني:

(رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا

وقال الأصمعي والإسماعيلي: الرباني نسبة إلى الرب أي الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل.

وقال ثعلب: قيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومون به، وزيدت الألف والنون للمبالغة. والحاصل أنه اختلف في هذه النسبة هل هي نسبة إلى الرب أو إلى التربية، والتربية على هذا للعلم، وعلى ما حكاه البخاري لتعلمه.

والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها. وقيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده.

وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً، والله أعلم. انتهى.

(1) تم تقييد الخضوع والإذعان لله تعالى لأنه بدونهما يكون المعرفة الباردة غير الدافعة للعمل، وبهذا القيد يزول الالتباس عند الذين يدخلون العمل كركن من أركان الإيمان، وبالله التوفيق.

(2) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان.

(3) انظر (شرح المقاصد) للعلامة السعد التفزازاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، طبع عالم الكتب - بيروت 176/5

ذُنُوبَنَا وَكَفَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) سورة آل عمران (1).
 (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) سورة يوسف.
 وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا: أي وما أنت بمصدق لنا (2).
 (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12) سورة غافر، وتؤمنوا: أي تصدقوا. (3)

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (فتأويل الآية إذا: ربنا سمعنا داعيا يدعو إلى الإيمان يقول إلى التصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، واتباع رسولك وطاعته، فيما أمرنا به، ونهانا عنه، مما جاء به من عندك فأما ربنا.

يقول: **فصدقنا بذلك يا ربنا**، فاعفر لنا ذنوبنا، يقول: فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رءوس الأشهاد، يعقوبتك إيانا عليها، ولكن كفرها عنا، وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك إيانا، (وتوفنا مع الأبرار).

يعني بذلك: واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرنا محشرهم ومعهم. والأبرار جمع بر، وهم الذين يروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له، حتى أرضوه فرضي عنهم.) انتهى.

قال ابن كثير في تفسيره: ("ربنا إنما سمعنا مناديا ينادي للإيمان" أي داعيا يدعو إلى الإيمان وهو الرسول صلى الله عليه وسلم "أن آمنوا بربكم فآمنوا" أي يقول آمنوا بربكم فآمنوا أي فاستجبنا له واتبعناه. "ربنا فاعفر لنا ذنوبنا" أي بإيماننا واتباعنا نبيك أي استرها.
 "وكفر عنا سيئاتنا" فيما بيننا وبينك "وتوفنا مع الأبرار" أي ألقنا بالصالحين.) انتهى.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله "وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين" تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه يقولون ونحن نعلم أنك **لا تصدقنا** والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا.

وأورد الإمام السيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 512: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)، قال: نزلت على كلام العرب كقولك: لا تُصدق بالصدق؛ ولو كنت صادقاً).

وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ج 12 ص 200: (وما أنت بمؤمن لنا) أي ما أنت مصدق لنا في هذه المقالة (ولو كنا) عندك وفي اعتقادك صادقين: أي موصوفين بالصدق والثقة لفرط محبتك، فكيف وأنت سيء الظن بنا؛ غير واثق بقولنا، قيل: ولا بد من هذا التأويل إذ لو كان المعنى (ولو كنا صادقين) في نفس الأمر لكان تقديره: فكيف إذا كنا كاذبين فيه فيلزم إعترافهم بكذبهم فيه، وقد تقدم أن المراد في مثل ذلك: تحقيق الحكم السابق على كل حال، فكأنه قيل هنا: (وما أنت بمؤمن لنا) في حال من الأحوال، فتذكر وتأمل) انتهى.

(3) قال القرطبي في تفسيره: وذلك لأنكم "إذا دعي الله" أي وحد الله "وحده كفرتم" وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصة، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وأمنتكم بقوله.

قال الثعلبي: وسمعت بعض العلماء يقول: "وإن يشرك به" بعد الرد إلى الدنيا لو كان به "تؤمنوا" **تصدقوا المشرك؛ نظيره: "ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه"**. انتهى باختصار.

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) سورة النحل.⁽¹⁾)

(١) قال ابن كثير في تفسيره: أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر وإطمأن به، أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان، ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة.

وأما قوله "إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان" فهو استثناء ممن كفر بلسانه، ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله.

وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فوافقهم على ذلك مكرها، جاء معتذراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية...

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر: يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يأبى:
- كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أحد أحد ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها. رضي الله عنه وأرضاه.

- وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول نعم فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك.
وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنه فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعذبوا بعداب الله" وكنت أقاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من بدل دينه فاقتلوه" فبلغ ذلك علياً فقال: (ويح أم ابن عباس) رواه البخاري.

وقال الإمام أحمد أيضاً - وأسنده - عن أبي بردة قال: قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فإذا رجل عنده قال: ما هذا؟ قال: رجل كان يهودياً فأسلم، ثم تهود، ونحن نريده على الإسلام منذ؛ قال: أحسبه شهرين، فقال: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه، فضربت عنقه، فقال: قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه، أو قال "من بدل دينه فاقتلوه". وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر.

- والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت.
فقال: إذا أقتلك، فقال: أنت وذاك.

قال: فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل.

ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقي فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى، فطمع فيه ودعاه، فقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة، تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

فدلت الآية على ركنية التصديق بالقلب؛ وأنه لا يجوز في أي حال من الأحوال مهما بلغ الإكراه أن يزول التصديق من القلب، بينما أجازت الآية عدم الإقرار باللسان عند الإكراه الذي يؤدي للموت.

ومعلوم أن الإيمان عند كافة الرسل واحد والشريعة مختلفة، والأمر واحد وهو الله تعالى، وبالتالي فإن ركني الإيمان واحد عند كافة الرسل وهما الإقرار والتصديق: (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (137) سورة البقرة.

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (13) سورة الأعراف.

وعن اختلاف الشرائع بين الرسل، أعلمنا الله تعالى أن الشرائع مختلفة:
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) سورة المائدة.

وقد اعتبر القرآن حق التشريع هو حق الإله الخالق، فالإيمان بالوهمية الله تعالى تعني الإيمان بالوهميته في حق التشريع:

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) سورة الشورى.

ولذلك جاء الأمر بالتمسك بالشريعة لأنها من عند الله تعالى:
(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) سورة الجاثية.

والإيمان غير قابل للنسخ والتبديل، بينما الشريعة قابلة للنسخ والتبديل:

وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه.

ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك بي.

فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك؟، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده.

فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما. اهـ.

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) سورة البقرة.
(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) سورة النحل.

وعندما حصل نسخ اتجاه القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، تحرك الإعلام اليهودي ضد المسلمين، مدعياً أن تحويل اتجاه قبلة الصلاة إلى بيت المقدس دليل بطلان دعوة الرسول ﷺ، فنزلت الآية لتبين أن الإيمان لا يتغير لأن الأمر إلى بيت الله الحرام وإلى بيت المقدس هو الله تعالى، والمؤمن يتبع ما أمر الله تعالى، وبالتالي لا يضيع إيمان المؤمن الممتثل أمر الله تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143) سورة البقرة.

أخرج البخاري عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس سنة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، **وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت** وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، قال زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال، وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) ورواه مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده. (1).

(1) قال ابن حجر في فتح الباري: (...وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس... والتحقق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء. قوله: (قد أعجبهم) أي النبي صلى الله عليه وسلم. (وأهل الكتاب) هو بالرفع عطا على اليهود، من عطف العام على الخاص.

وتأكد أن الإيمان غير قابل للنسخ بقوله تعالى: (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (137) [سورة البقرة].

قال أبو منصور الماتريدي: (وإن كان - أي موضوع الآية - في أهل الكتاب ففيه الأمر بالإيمان، الذي هو إيمان، وهو التصديق، والإيمان عندنا هو التصديق بالقلب، دليله قول جميع أهل التأويل والأدب أنهم فسروا (آمنوا) صدقوا في جميع القرآن) انتهى (1).

وإذا أجرينا قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، يكون لدينا (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ) يبقى على عمومته في الدنيا (2) والآخرة.

قوله: (أنكروا ذلك) يعني اليهود، فنزلت (سيقول السفهاء من الناس) الآية. وقد صرح المصنف بذلك في روايته من طريق إسرائيل. قوله: (أنه مات على القبلة) أي قبلة بيت المقدس قبل أن تحول (رجال وقتلوا) ذكر القتل لم أره إلا في رواية زهير، وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط. وكذلك روى أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم صحيحا عن ابن عباس. والذين ماتوا بعد فرض الصلاة وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشرة أنفس:

(تنبيه): في هذا الحديث من الفوائد:
- الرد على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيمانا.
- وفيه أن تمنى تغيير بعض الأحكام جائز إذا ظهرت المصلحة في ذلك.
- وفيه بيان شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال.

- وفيه بيان ما كان في الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم، وقد وقع لهم نظير هذه المسألة لما نزل تحريم الخمر كما صح من حديث البراء أيضا فنزل: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة: 93) وقوله تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (الكهف: من الآية 30)، ولملاحظة هذا المعنى عقب المصنف هذا الباب بقوله:

"باب حسن إسلام المرء" فذكر الدليل على أن المسلم إذا فعل الحسنة أثيب عليها. انتهى.
قال محمد نور عفا عنه ربه الغفور: ليس مقصود اليهود التشكيك في صحة قبول الصلاة أو عدم قبولها فهذا لا يعينهم، وإنما قصدهم التشكيك في أصل الإيمان وهو تشكيكهم بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ، ولهذا نزلت الآية لتزيل هذا التشكيك والله أعلم.

(1) انظر كتاب (تأويلات أهل السنة) للإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله تحقيق محمد مستفيض الرحمن طبع مطبعة الإرشاد بغداد ص 46.

(2) مثاله في الدنيا قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه التي أخرجها البخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مَرْثَدَ الْغَنَوِيِّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلْنَا فَارِسًا، قَالَ: (انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخَ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ) فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرًا عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: الْكِتَابُ؟

يؤيده ما ذكر من الأحاديث النبوية أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، مع عدم العمل. (1) والله أعلم.

فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنْخَاها فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا.
فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهَوَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِرَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ.
فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلَاضْرِبْ عَنْقَهُ.
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟).
قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا)
فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلَاضْرِبْ عَنْقَهُ!
فَقَالَ ﷺ: (الَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟)، فَقَالَ: (لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ).

فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) ورواه مسلم: الترمذي: أبو داود: أحمد في مسنده.
(1) أخرج البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هَلَالٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بَنَاتُ الْيُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لثَابِتٍ: أَلَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؟
فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَقَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا جَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ أَدَمَ فَيَقُولُونَ: اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ!
فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ.
فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى.
فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى.
فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطِ وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ.
فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا.

فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطِ وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي.
فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلُ.
ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطِ وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي.

فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلُ).

ففي صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب: تفضل أهل الإيمان في الأعمال - حديث: 22

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار "، ثم يقول الله تعالى: " أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة - شك مالك - فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية".

صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار - حديث: 6202
صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - حديث: 297:

ودليل أن القلب محل الإيمان والتصديق:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93) سورة البقرة

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22) سورة المجادلة.

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنْسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَدِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرِ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ هِيَ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَأَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ هِيَ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا.

فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَذْرِي أَنْسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا فَضَحِكَ وَقَالَ: خَلَقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أَرِيدُ أَنْ أَحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخْرَجُ لَهُ سَاجِدًا.

فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يَسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ انْزِلْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَانِي وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (إِلَّا اللَّهُ) ورواه: مسلم: الترمذي: ابن ماجه: أحمد: في مسنده: مسلمي.

فالإيمان يكتب في القلب؛ واللسان يعبر عن القلب بالقول والنطق (1).
(وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) سورة الحجرات.

فالقلب مكان الإيمان وتزيينه فيه. (2).
(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) سورة الحجرات. (3).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ) أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته.

قال السدي: "كتب في قلوبهم الإيمان" جعل في قلوبهم الإيمان.. انتهى باختصار.
(2) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله عز وجل "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ" أي حبه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم.

قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "الإسلام علانية والإيمان في القلب - قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا التقوى ههنا" .. انتهى باختصار.

(3) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ".

وقد أستفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً؟ ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن؟
فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أو مسلم" حتى أعادها سعد رضي الله عنه ثلاثاً، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "أو مسلم".

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب إلي منهم، فلم أعطه شيئاً مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم" أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به.

فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام وقد قررنا ذلك بأدلتنا في أول شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري والله الحمد والمنة ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً؛ لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام.

فدلت الآيات أن محل الإيمان الأساسي هو القلب؛ واللسان أقيم ليعبر عما في القلب.

ومما يدل أيضاً على أن الإيمان محله القلب: أن القرآن وصف المنافقين بمرض القلب، وإن أظهر المنافق عملاً صحيحاً، وكلاماً معسلاً⁽¹⁾.

فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون، لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير. وإنما قلنا هذا لأن البخاري رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرن الإيمان وليسوا كذلك وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى "ولكن قولوا أسلمنا" أي استسلمنا خوف القتل والسبي.

قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة، وقال قتادة: نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، كما ذكر المنافقون في سورة براءة وإنما قيل لهؤلاء تأديباً "قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد.. انتهى باختصار.

(1) ومواضعها في القرآن هي:

- 1 - (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (10) البقرة.
- 2 - (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) (52) المائدة.
- 3 - (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (49) الأنفال.
- 4 - (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رَجَسًا إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (125) التوبة.
- 5 - (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (53) الحج.
- 6 - (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (50) النور.

- 7 - (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (12) الأحزاب.
- 8 - (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (60) الأحزاب.
- 9 - (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ سُورَةٌ مُحَمَّدٌ) (20) سورة محمد.
- 10 - (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَانَهُمْ) (29) سورة محمد.
- 11 - (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقُونَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

قال أبو منصور الماتريدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى (في قلوبهم مرض) قال: سمي عز وجل المنافقين "مرضى" لاضطرابهم في الدين؛ لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول، ويضمرون الخلاف لهم بالقلب، فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحياة، إذ المريض يشرف ربما على الموت، ويرجو الإقبال منه ثانياً، فهو مضطرب بين ذلك، فذلك هم لما كانوا مضطربين في دينهم سماهم (مرضى).

وأما سائر الكفرة فإنهم لم يضطربوا في الدين؛ بل أظهروا بالقول على ما أضمرُوا بالقلب؛ فسماهم (موتى) لما لم ينتفعوا بحياتهم، ولم يكتسبوا الحياة الدائمة.

وسمى المؤمنين (أحياء) لما انتفعوا بحياتهم، واكتسبوا الحياة الدائمة لموافقتهم باللسان والقلب جميعاً لدين الله عز وجل والله أعلم). انتهى (1).
قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سورة المائدة (2).

فدللت الآية على أن النفاق الاعتقادي قول باللسان؛ وعدم التصديق في القلب، وإن عمل الأعمال.

وقد عرف القرآن الإيمان بأنه نور:

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) سورة الشورى. وهذا النور هو التصديق.

مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (31) سورة المدثر.

(1) انظر كتاب (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي تحقيق د. محمد مستفيض الرحمن - مطبعة الإرشاد بغداد - 1404 هـ - 1983 م. ص 44.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله ﷺ، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل: "من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم" أي أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه؛ وهؤلاء هم المنافقون... انتهى باختصار.

والولاء والبراء من أعمال الإيمان الأساسية ومحطها القلب:
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) سورة التوبة.
 ولو كان العمل من أركان الإيمان لبقى له أثر في النفع بدون التصديق:
(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)
 سورة المائدة.

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
 (19) سورة الإسراء.
 (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) سورة الكهف.**

بينما يقبل العمل بعد وجود الإيمان وليس قبله:

قال البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب (وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا) فَسَمَّاهُمْ الْمُؤْمِنِينَ.
 وأخرج البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ) قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ) ورواه: مسلم: النسائي: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَكْفُلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ) ورواه: مسلم: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط: مسلمي.
 وأخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيْمَانٌ بِي وَتَصَدِيقُ بِرُسُلِي أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ) ورواه: مسلم: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط: مسلمي.
 وأخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْتَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط.

وروى أبو داود في كتاب الجهاد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيْمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُكْفِرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَا ضُ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيْمَانُ بِالْأَقْدَارِ). وانفرد به.

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام - رضي الله عنه (1): "وقد رجع الأشعري - رحمه الله - عند موته عن تكفير أهل القبلة؛ لأن الجهل بالصفات ليس جهلاً بالموصوفات، وقال: اختلفنا في عبارات، والمشار إليه واحد"

و نقل الشيخ أبو طاهر القزويني عن السرخسي وهو من أجل أصحاب أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، قال (2): لما حضرت الأشعري الوفاة في داري ببغداد قال لي: "اجمع أصحابي"، فجمعتهم فقال: "اشهدوا علي أنني لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة؛ لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعممهم. اهـ

ومما يؤكد أن العمل لا يدخل في أركان الإيمان أمور أخرى - كما قال التفتازاني - (3):

1 - النص والإجماع على أنه لا ينفع - أي الإيمان - عند معاينة العذاب، ويسمى إيمان اليأس، ولا خفاء في أن ذلك إنما هو التصديق والإقرار، إذ لا مجال للأعمال.

2 - النصوص الدالة على الأوامر والنواهي بعد إثبات الإيمان كقوله تعالى:

(1) انظر قواعد الأحكام: 306/1 (م نور).

(2) في كتابه "سراج العقول" (م نور).

(3) انظر شرح المقاصد للتفتازاني 195/5 طبع عالم الكتب، وانظر شرح المواقف للجرجاني 527/3 طبع دار الجيل بيروت، كلاهما تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام (183) [سورة البقرة].

3 - النصوص الدالة على أن الإيمان والأعمال أمران متفارقان، كقوله

تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (29) [سورة الرعد]، (..وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا.. (9) [سورة التغابن]، (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ.. (75) [سورة طه]، (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ.. (112) [سورة طه].

4 - الآيات الدالة على أن الإيمان والمعاصي قد يجتمعان، كقوله تعالى:

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ.. (82) [سورة الأنعام]، (..وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا.. (72) [سورة الأنفال]، (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) [سورة الأنفال]، (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا.. (9) [سورة الحجرات]

5 - أنه لو كان اسماً للطاعات فلما للجميع فيلزم انتفاؤه بانتفاء بعض

الأعمال، فلم يكن من صدق وأقر مؤمناً قبل الإتيان بالعبادات، والإجماع على خلافه، وعلى أن من صدق وأقر فأدركه الموت مات مؤمناً. انتهى.

ومن الأحاديث النبوية على أهمية الإيمان ونطق الشهادتين بإخلاص،

ودخوله الجنة ما يلي:

- روى البخاري - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ؛ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً). (1) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

- وروى البخاري - باب من خص بالعلم - عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ يَا مُعَاذُ: (هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ

(1) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (وأراد بإيراده الرد على المرجئة لما فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان، وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود). انتهى.

لا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: (لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا). (1) ورواه: مسلم: أحمد في مسنده.

- وروى البخاري حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ زَكَرِيَّاءَ بِنِ اسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: (ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَلَّكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَلَّكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

- وروى مسلم أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا؛ وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونُنَا؛ وَفَزَعْنَا فَقُمْنَا؛ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ؛ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدَرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبَا فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَنِي خَارِجَةَ، وَالرَّبِيعُ: الْجَدُولُ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّغْلُبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ﷺ: (أَبُو هُرَيْرَةَ؟) فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: (مَا شَأْنُكَ؟) قُلْتُ: كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتُ؛ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا؛ فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونُنَا؛

(1) قال الحافظ في الفتح: (لكن دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فعلم أن ظاهره غير مراد، فكأنه قال: إن ذلك مقيد بمن عمل الأعمال الصالحة. قال: ولأجل خفاء ذلك لم يؤذن لمعاذ في التبشير به.

وقد أجاب العلماء عن الإشكال أيضا بأجوبة أخرى:

منها أن مطلقه مقيد بمن قالها تائبا ثم مات على ذلك.

ومنها أن ذلك كان قبل نزول الفرائض، وفيه نظر لأن مثل هذا الحديث وقع لأبي هريرة كما رواه مسلم، وصحبته متأخرة عن نزول أكثر الفرائض، وكذا ورد نحوه من حديث أبي موسى رواه أحمد بإسناد حسن، وكان قدومه في السنة التي قدم فيها أبو هريرة.

ومنها أنه خرج مخرج الغالب، إذ الغالب أن الموحد يعمل الطاعة ويجتنب المعصية.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار تحريم خلوده فيها لا أصل دخولها.

ومنها أن المراد النار التي أعدت للكافرين لا الطبقة التي أفردت لعصاة الموحدين.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار حرمة جملته لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم كما ثبت في حديث الشفاعة أن ذلك محرم عليها، وكذا لسانه الناطق بالتوحيد. والعلم عند الله تعالى.) انتهى باختصار.

فَفَزَعْنَا؛ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ؛ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ؛ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِرُ النَّعْلُ؛ وَهُوَ لِأَيِّ النَّاسِ وَرَائِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَأَعْطَانِي نَعْلِيهِ قَالَ: (أَذْهَبْ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ؛ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ؛ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بِشَرُّهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ تَدْيِي فَخَرَرْتُ لَأَسْتِي.

فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؛ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ؛ فَضَرَبَ بَيْنَ تَدْيِي ضَرْبَةً خَرَرْتُ لَأَسْتِي؛ قَالَ: ارْجِعْ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: (يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ بِشَرِّهِ بِالْجَنَّةِ؟!

قَالَ: (نَعَمْ) قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا؛ فَخَلَّوْهُمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَخَلَّوْهُمْ). (1) وانفرد به. - وروى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ). ورواه: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

- وروى مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ

(1) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) معناه أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة. وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم.

وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق، ولا النطق دون الاعتقاد. بل لا بد من الجمع بينهما، وذكر القلب هنا للتأكيد ونفي توهم المجاز. وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب.. انتهى باختصار.

النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً).

- وروى مسلم عن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ!) قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: (مَا أَحَبُّ أَنْ أَحُدَّ ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ، أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ؛ إِلَّا دِينَاراً أَرَصُدُهُ لَدَيْنِ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ) هَكَذَا حَتَّى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ، وَهَكَذَا عَنْ شِمَالِهِ قَالَ ثُمَّ مَشِينَا فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ!) قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ ﷺ: (إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى) قَالَ: ثُمَّ مَشِينَا.

قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ كَمَا أَنْتَ حَتَّى آتِيكَ)، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، قَالَ: سَمِعْتُ لَغَطاً وَسَمِعْتُ صَوْتاً، قَالَ: فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِضَ لَهُ، قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَّبِعَهُ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: (لَا تَبْرَحَ حَتَّى آتِيكَ)، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ، فَلَمَّا جَاءَ؛ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَمِعْتُ، قَالَ:

فَقَالَ: (ذَاكَ جَبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(١) قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: وَإِنْ زَنَى؛ وَإِنْ سَرَقَ). ورواه:

خ: الترمذي في سننه: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

- وروى مسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) قَالَ: دَخَلَ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ؛ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبُهُمْ مِنْ شَيْءٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَمْنَا) قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، (وَاعْفُ رُحْمًا أَنْتَ مَوْلَانَا) قَالَ: (قَدْ فَعَلْتُ) ورواه: الترمذي في سننه: أحمد في مسنده.

(٢).

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (فيه: دلالة لمذهب أهل الحق: أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار خلافاً للخوارج والمعتزلة،..) انتهى باختصار.

(٢) يعتبر مبحث أركان الإيمان من المباحث الهامة، وقد تفرد أبو حنيفة وتلاميذه بجعل ركنيه: التصديق بالقلب والقول باللسان، وأما الأعمال فهي ليست من أركان الإيمان الأساسية، وإنما داخلية فيه كاعتقاد، فاعتقاد الفرائض ركن، والعمل بها فرض، يكفر جاحده، ويفسق تاركه، والذين جعلوا العمل من أركان

الإيمان الأساسية وقعوا في تكفير المسلمين، مما أدى للتطرف في الرأي والسلوك، والخروج على المجتمع المسلم في ديار المسلمين.

وانظر إلى هذه المحاور بين المتعلم والعالم أبي حنيفة - في رسالة العلم والمتعلم - تجد الدليل ناصعاً، والحجة بينة، والإقناع الظاهر البين واضحاً:

قال المتعلم: ولكن أخبرني بالرد على الصنف الثاني في قولهم: إن دين الله كثير، وهو العمل بجميع ما افترض الله؛ والكف عن جميع ما حرم الله؟!.

قال العالم (أبو حنيفة) رضي الله عنه: ألسنت تعلم أن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لم يكونوا على أديان مختلفة، ولم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي كان قبله؛ لأن دينهم كان واحداً. وكان كل رسول يدعو إلى شريعة نفسه؛ وينهى عن شريعة الرسول الذي قبله؛ لأن شرائعهم كثيرة مختلفة.

ولذلك قال الله تعالى: (لَكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (48) (سورة المائدة).

وأوصاهم جميعاً بإقامة الدين؛ وهو التوحيد، وأن لا يتفرقوا لأنه جعل دينهم واحداً، فقال: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (13) (سورة الشورى).

وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي) (25) (سورة الأنبياء).

وقال جل وعلا: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (30) (سورة الروم). أي: لا تبدل لدينه. فالدين لم يبدل؛ ولم يحول؛ ولم يغير؛ والشرائع قد بدلت وغيرت؛ لأنه رُبَّ شيء قد كان حلالاً لقوم؛ حرمه الله عز وجل على الآخرين. ورُبَّ أمرٍ أمر الله به أناساً؛ ونهى عنه آخرين. فالشرائع كثيرة مختلفة.

والشرائع: هي الفرائض؛ مع أنه لو كان العمل بجميع ما أمر الله به؛ والكف عن جميع ما نهى الله عنه دينه؛ لكان كل من ترك شيئاً؛ مما أمر الله تعالى به؛ أو ركب شيئاً مما نهى الله عنه؛ تاركاً لدينه وكان كافراً. وإذا صار كافراً؛ ذهب الذي بينه وبين المسلمين من: المناكحة؛ والموارثة؛ وأتباع الجنائز؛ وأكل الذبائح؛ وأشبه هذا، لأن الله تعالى؛ أوجب ذلك كله بين المؤمنين؛ من أجل الإيمان الذي به حرم الله تعالى؛ دماؤهم؛ وأموالهم؛ إلا بحدث. وإنما أمر الله تعالى المؤمنين بالفرائض؛ بعدما أقروا بالدين؛ فقال تعالى:

(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) (31) (سورة إبراهيم).

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) (178) (سورة البقرة).

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ) (41) (سورة الأحزاب)؛ وأشبه هذا. فلو كانت هذه الفرائض هي الإيمان؛ لم يسمهم مؤمنين؛ حتى يعملوا بها؛ وقد فصل الله تعالى الإيمان من العمل فقال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)؛

وقال: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (112) (سورة البقرة) أي مع إيمانه، وقال: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) (19) (سورة الإسراء).

فجعل الإيمان غير العمل.

فالمؤمنون من قبل إيمانهم بالله: يُصلون؛ ويُزكون؛ ويصومون؛ ويحجون؛ ويذكرون الله.

وليس من قبل صلاتهم؛ وزكاتهم؛ وصومهم؛ وحجهم: بالله يؤمنون.

وذلك لأنهم آمنوا ثم عملوا؛ فكان عملهم بالفرائض؛ من قبل إيمانهم بالله. ولم يكن إيمانهم من قبل علمهم بالفرائض.

ومثل ذلك: أن الرجل إذا كان عليه الدين؛ وهو يُقر بالدين؛ ثم يؤدي. وليس يؤدي ثم يقر بالدين، وليس إقراره من قبل أدائه؛ ولكن أدائه من قبل إقراره.

والعبيد من قبل إقرارهم لمواليهم بالعبودية يعملون لهم، وليس من قبل عملهم يقرون لهم بالعبودية. وذلك أنه كم من إنسان يعمل لآخر؛ ولا يكون بذلك مقراً له بالعبودية، ولا يقع عليه اسم الإقرار بالعبودية، وآخر قد يكون مقراً بالعبودية ولا يعمل، فلا يذهب عنه اسم إقراره بالعبودية.

قال المتعلم: لحسن ما فسرت، ولكن أخبرني ما الإيمان؟
قال العالم رضي الله عنه: الإيمان هو: التصديق؛ والمعرفة؛ واليقين؛ والإقرار والإسلام، والناس في التصديق على ثلاثة منازل:

- فمنهم من يصدق بالله؛ وبما جاء منه؛ بقلبه ولسانه.

- ومنهم من يصدق بلسانه؛ ويكذب بقلبه.

- ومنهم من يصدق بقلبه؛ ويكذب بلسانه.

قال المتعلم: لقد فتحت لي مسألة لم أهدئ إليها، فأخبرني عن أهل هذه المنازل الثلاثة: أهم عند الله مؤمنون؟

قال العالم رحمه الله: من صدق بالله؛ وبما جاء من عند الله: بقلبه؛ ولسانه؛ فهو عند الله وعند الناس مؤمن.

- ومن صدق بلسانه؛ وكذب بقلبه؛ كان عند الله كافراً؛ وعند الناس مؤمناً،

لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه، وعليهم أن يسمونه مؤمناً؛ بما ظهر لهم من الإقرار بهذه الشهادة، وليس لهم أن يتكفوا علم ما في القلوب.

- ومنهم من يكون عند الله مؤمناً؛ وعند الناس كافراً، وذلك بأن الرجل يكون مؤمناً بالله؛ ويظهر الكفر في حالة التقية بلسانه؛ فيسميه من لا يعرف إنه يتقي؛ كافراً؛ وهو عند الله مؤمن.

قال المتعلم: لقد وضحت عدلاً، ولكن أراك قد كثرت الإيمان في قولك: إن الإيمان هو: التصديق؛ والمعرفة؛ والإقرار؛ والإسلام؛ واليقين.

قال العالم رحمه الله: أصلك الله! لا تكونن منك العجلة، وتنبئت في الفتيا؛ إن أنكرت شيئاً مما أذكره لك؛ فسل عن تفسيره إن كنت مناصحاً. فرب كلمة يسمعا الإنسان فيكرها؛ فإذا أخبر بتفسيرها رضي بها. ولا تكونن كالذي يسمع الكلمة فيكرها؛ ثم يتفوه بها؛ إرادة الشين فيذيعها بين الناس.

ولا يقول عسى أن يكون لهذه الكلمة تفسير؛ ووجه هو عدل؛ ولا أعلمه؛ أفلا أسأل صاحبي عن تفسيرها؟ أو لعلها كلمة جرت على لسانه؛ ولم يتعمد بها فينبغي لي أن أتثبت؛ ولا أفصح صاحبي؛ ولا أشينه؛ حتى أعلم ما وجه كلامه.

قال المتعلم: تبتك الله ووفقك؛ وأدام لك صالح الذي أعطاك؛ قد عرفت الذي قلت، فلا تؤاخذني بالذي كان مني؛ إني متعلم. ولكن أخبرني عما وصفت من: التصديق؛ والمعرفة؛ والإقرار؛ والإسلام؛ واليقين؛ ما منزلتهن؛ وتفسيرهن عندك؟

قال العالم رحمه الله: إن هذه أسماء مختلفة؛ ومعناها واحد هو الإيمان وحده؛ وذلك بأن يُقر بأن الله ربه؛ ويُصدق بأن الله ربه؛ ويتيقن بأن الله ربه؛ ويعرف بأن الله ربه؛ فهذه أسماء مختلفة؛ ومعناها واحد. كالرجل يقال له: يا إنسان؛ يا رجل؛ يا فلان، وإنما يعني القائل بها واحداً، وقد دعاه بأسماء مختلفة. انتهى.

الإقرار باللسان الركن الثاني للإيمان المتمم للركن الأول الأساسي (تصديق القلب)

وذلك لإجراء أحكام الإسلام في الدنيا هو:

- الإقرار باللسان؛

الشرح: الإقرار باللسان للتعبير عن تصديق القلب، لإعلان الدخول في الإسلام، وبنطق الشهادتين يحقن الإنسان دمه وماله وعرضه في دار الإسلام، ويجب النطق به عند الطلب.

الدليل القرآني:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (136) سورة البقرة: أي فلا بد من القول (1).
(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) سورة الحجرات.

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (106) سورة النحل.
فدللت الآية على ركنية القول ونطق الإيمان؛ وأجازت للمضطر عدم النطق به، شريطة أداء النطق والقول عند الطلب، كركنية القيام في الصلاة، وجواز عدم القيام لغير القادر (2).

قال محمد نور عفا الله عنه ربه الغفور: ورد في القرآن الكريم: (آمِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ) خمسين آية. (١) قال ابن كثير في تفسيره: أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء.

وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: "ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً" الآية.

وقال البخاري - وأسنده - عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله". انتهى باختصار.

(٢) نورد فيما يلي مناظرة الإمام مع جهنم بن صفوان، وإقامة الإمام الحجة على جهنم، لنرى العمق في دقة الإمام في فهم القرآن واستنباطه منه، وكيف كان الإمام على ثغرة العقيدة، والتي أول من سماها بالفقه الأكبر:

أسند الموفق المكي في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة) ص 124 فقال:
إن صفوان بن جهم قصد أبا حنيفة للكلام، فلما لقيه قال له: يا أبا حنيفة! أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك.

فقال أبو حنيفة: الكلام معك عار؛ والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى.

قال: فكيف حكمت علي بما حكمت ولم تسمع كلامي ولم تلقني؟!.

قال: **أشتهر ذلك عنك؛ وظهر عند العامة والخاصة؛ فجاز لي أن أحقق ذلك عليك.**

فقال: يا أبا حنيفة! لا أسألك عن شيء إلا عن الإيمان؛ فلا تُجِبْنِي عن شيء إلا عن الإيمان.

فقال له: أو لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه؟!.

قال: بلى؛ ولكنني شككت في نوع منه.

قال: الشك في الإيمان كفر.

فقال: لا يحل لك أن لا تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر؟.

قال: سل.

فقال: أخبرني عن من عرف الله بقلبه؛ وعرف أنه واحد لا شريك له؛ ولا ند؛ وعرفه بصفاته؛ وأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11) [سورة الشورى] ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه، أمؤمناً مات أم كافراً؟!.

قال: مات كافراً. **قال:** كافر من أهل النار، حتى يتكلم بلسانه مع ما عرفه بقلبه.

قال: وكيف لا يكون مؤمناً وقد عرف الله بصفاته؟!.

قال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به؟، وإن كنت لا تؤمن به؛ ولا تجعله حجة كلمتك بما تكلم به من خالف ملة الإسلام؟!.

قال: أو من بالقرآن وأجعله حجة.

فقال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بجارحتين: بالقلب واللسان، فقال تبارك وتعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ **رَبَّنَا ءَامَنَّا** فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) (84) فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) (85) [سورة المائدة].

فأوصلهم الجنة بالمعرفة والقول، وجعلهم مؤمنين بالجارحتين: بالقلب واللسان، وقال تعالى:

(**قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ** وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (136) فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا (137) [سورة البقرة].

وقال تعالى: (**وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** (26) [سورة الفتح] وقال تعالى: (**وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** (42) [سورة الحج].

وقال تعالى: (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) (10) [سورة فاطر] وقال تعالى: (يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا **بِالْقَوْلِ** الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (27) [سورة إبراهيم].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "**قولوا** لا إله إلا الله تفلحوا "

فلم يجعل له الفلاح بالمعرفة دون القول، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " يخرج من النار من **قال:** لا إله إلا الله وكان في قلبه كذا".

ولم يقل: يخرج من النار من عرف الله؛ وكان في قلبه كذا.

ولو كان لا يحتاج إليه؛ ويكتفى بالمعرفة؛ لكان من رد الله باللسان وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمناً،

ومما يؤكد أهمية الإقرار باللسان وعدم الاستهانة به؛ وإجراء أحكام الإسلام على من نطق بالشهادتين في الدنيا، ودخوله الجنة إن قالها إيماناً وتصديقاً لله تعالى ورسوله ﷺ الأحاديث النبوية التالية:

ما رواه أحمد والبخاري والترمذي - وقال حديث حسن صحيح - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله يرعى غنماً له، فقالوا: لا يُسلم علينا إلا ليتعوذ منا؛ فعمدوا إليه فقتلوه؛ وأتوا بغنمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنزلت الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) سورة النساء (1)).

ولكان إبليس مؤمناً؛ لأنه عارف بربه؛ يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي (39) [سورة الحجر]، وقال: (أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) [سورة الأعراف]، وقال: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) [سورة الأعراف].
ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم؛ وإن أنكروا بلسانهم، قال الله تعالى: (وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ (14) [سورة النمل]، فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين؛ مع جدهم بلسانهم، وقال جل وعز: (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) [سورة النحل]، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ (32) [سورة يونس]. فلم ينفعهم معرفتهم مع إنكارهم.
وقال الله تعالى: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ (146) [سورة البقرة] يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم ينفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره؛ وجحودهم به.
فقال جهم: قد أوقعت في خلدي شيئاً فسأرجع إليك، فقام من عنده ولم يعد إليه
(١) ورد في أسباب نزول الآية عدة روايات:

روى الترمذي في كتاب (تفسير القرآن) باب (ومن سورة النساء)
عن ابن عباس قال مرَّ رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا).
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وأورد الواحدي عدة روايات:

عن سعيد بن جببر، قال: خرج المقداد بن الأسود في سرية، فمروا برجل في غنيمة له، فأرادوا قتله، فقال: لا إله إلا الله، فقتله للمقداد، فقيل له: أقتلته وقد قال لا إله إلا الله وهو آمن في أهله وماله؟ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكروا ذلك له، فنزلت:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا)

وروى البخاري - كتاب الصلاة - عن مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عَثْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَذْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَنْكَرْتُ

وقال الحسن: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يطوفون، فلقوا المشركين فهزموهم، فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال: إني مسلم إني مسلم، فكذبه ثم أوجره السنان فقتله، وأخذ متاعه وكان قليلا، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

"قتلته بعد ما زعم أنه مسلم" فقال: يا رسول الله إنما قالها متعوذا، قال:

"فهلا شققت عن قلبه لتتظر صادق هو أم كاذب؟" قال: قلت أعلم ذلك يا رسول الله، قال: "ويلك إنك لم تكن تعلم ذلك إنما بين لسانه"

قال: فما لبث القاتل أن مات، فدفن فأصبح وقد وضع إلي جنب قبره، قال: ثم عادوا فحفروا له، وأمكنوا ودفنوه، فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره مرتين أو ثلاثا، فلما رأوا أن الأرض لا تقبله؛ ألقوه في بعض تلك الشعاب، قال: وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال الحسن: إن الأرض تحبس من هو شر منه، ولكن وعظ القوم أن لا يعودوا.

وعن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدر، عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلى إضم قبل مخرجه إلى مكة، قال: فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي فحيانا تحية الإسلام، فنزعنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشركان بينه وبينه في الجاهلية، فقتله واستلب بغيراً له ووطاء ومتيعا كان له.

قال: فأنهينا شأننا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه بخبره؛ فأنزل الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

وقال السدي: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على سرية، فلقى مرداس بن نهيك الضمري فقتله، وكان من أهل فلك ولم يسلم من قومه غيره، وكان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويسلم عليهم، قال أسامة: فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته.

فقال: "قتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟" فقلت: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل،

فقال: "كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟"

قال: فما زال يرددها علي: "أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟" حتى تمنيت لو أن إسلامي كان يومئذ فنزلت:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) الْآيَةِ.

وعن هذا قال الكلبي وقتادة: يدل على صحته الحديث الذي أخبرناه أبو بكر محمد بن براهيم الفارسي، قال - وأسنده - عن أسامة بن زيد بن حارثة يحدث، قال: بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى حرقة بن جهينة، فصحبنا القوم فهزمناهم.

قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي، فقتلته؛ فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

"يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟" قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذا، قال:

"أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك (اليوم). انتهى.

بَصْرِي، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالِ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ؛ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأَصْلِيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَاتَّخِذْهُ مُصَلِّيً؟

قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).
 قَالَ عَتَبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: (أَيُّنَ تُحِبُّ أَنْ أَصْلِيَ مِنْ بَيْتِكَ؟) قَالَ: فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَقْنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ.
 قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَأَبَى فِي الْبَيْتِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، ذُوو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيُّنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِ أَوْ ابْنُ الدُّخَشْنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَأَنَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) ⁽¹⁾. ورواه: مسلم: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح يشرح الحديث: وفي هذا الحديث من الفوائد: إمامة الأعمى، وإخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة ولا يكون من الشكوى، وأنه كان في المدينة مساجد للجماعة سوى مسجده صلى الله عليه وسلم والتخلف عن الجماعة في المطر والظلمة ونحو ذلك، واتخاذ موضع معين للصلاة.

وأما النهي عن إبطان موضع معين من المسجد ففيه حديث رواه أبو داود، وهو محمول على ما إذا استلزم رياء ونحوه.

وفيه تسوية الصفوف وأن عموم النهي عن إمامة الزائر من زاره مخصوص بما إذا كان الزائر هو الإمام الأعظم فلا يكره، وكذا من أذن له صاحب المنزل.

وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو وطنها، ويستفاد منه أن من دعى من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة. ويحتمل أن يكون عتبان إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع.

وفيه إجابة الفاضل دعوة المفضل، والتبرك بالمشيئة والوفاء بالوعد، واستصحاب الزائر بعض أصحابه إذا علم أن المستدعي لا يكره ذلك، والاستئذان على الداعي في بيته وإن تقدم منه طلب الحضور، وأن اتخاذ مكان في البيت للصلاة لا يستلزم وقفه ولو أطلق عليه اسم المسجد.

وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم؛ ليستفيدوا منه ويتبركوا به، والتنبيه على من يظن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصيحة ولا يعد ذلك غيبة، وأن على الإمام أن يتثبت في ذلك ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل.

وأخرج أحمد - بإسناد كله ثقات - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيَّجَانٌ مَزْرُورَةٌ بِالْدِّيْبَاجِ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا، قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ، قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنَ رَاعٍ، قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ وَقَالَ: (أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ!).
ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِاشْتِنَائِي، وَأَنْهَاكَ عَنْ اشْتِنَائِي:
- أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ.
- وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ (١) وَالْكِبْرِ.
قَالَ قُلْتُ أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الشِّرْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْكِبْرُ؟
قَالَ: أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: (لا).
قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا حُلَةً يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: (لا).
قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا دَابَّةً يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: (لا).
قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا أَصْحَابُ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: (لا).
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: (سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمَصُ النَّاسِ).

وفيه افتقاد من غاب عن الجماعة بلا عذر، وأنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وأنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد.

وترجم عليه البخاري غير ترجمة الباب والذي قبله الرخصة في الصلاة في الرحال عند المطر وصلاة النوافل جماعة وسلام المأموم حين يسلم الإمام.

وأن رد السلام على الإمام لا يجب.

وأن الإمام إذا زار قوما أهم، وشهود عتبان بدرا وأكل الخزيرة.

وأن العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى ينجي صاحبه إذا قبله الله تعالى.

وأن من نسب من يظهر الإسلام إلى النفاق ونحوه بقريضة تقوم عنده لا يكفر بذلك ولا يفسق بل يعذر بالتأويل. انتهى باختصار.

(١) قال السنوسي في شرح المقدمات (32 - 40): (أنواع الشرك ستة: شرك الاستقلال، وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس، وشرك التبعية: وهو تركيب إله من آلهة كشرك النصارى، وشرك تقرب: وهو عبادة غير الله تعالى ليتقرب إلى الله تعالى زلفى، كشرك متقمي الجاهلية، وشرك تقليد: وهو عبادة غير الله تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية...).

المبحث الثاني - أصل الإيمان:

2 - و(أصل - ب -) الإيمان هو:

- الإيمان بالله تعالى؛

- وملائكته؛

- وكتبه؛

- ورسله؛

- واليوم الآخر؛

- والبعث بعد الموت - ب - غ)؛

- والقدر:

- خيره وشره؛

- وحلوه وممره؛ من الله تعالى.

3 - ونحن مؤمنون بذلك كله؛

الشرح:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه (1): (أصل التوحيد، وما يصح الاعتقاد عليه، يجب القول: آمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى، والحساب والميزان، والجنة والنار حق كله.)

الدليل القرآني:

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) سورة البقرة (2).)

(1) في رسالة الفقه الأكبر

(2) قال ابن كثير في تفسيره: فقله تعالى "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ" إخبار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك قال ابن جرير - وأسنده - عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لما نزلت عليه هذه الآية "ويحق له أن يؤمن" وقد روى الحاكم في مستدركه ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقوله "والمؤمنون" عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال: "كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله"

فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء؛ والرسول؛ والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد - صلى الله عليه وسلم -

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ (1) وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) سورة النساء.

وروى مسلم عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ؛ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ؛ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ؛ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنْ أَحَدٍ؛ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ؛ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ.
وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ؛ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ؛ وَتَصُومَ رَمَضَانَ؛ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ

وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين.) انتهى باختصار.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يعني بذلك جل ثناؤه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بمن قبل محمد من الأنبياء والرسل، وصدقوا بما جاءوهم به من عند الله.
{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } يقول: صدقوا بالله، وبمحمد رسوله، أنه لله رسول مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم.

{ والكتاب الذي نزل على رسوله } يقول: وصدقوا بما جاءكم به محمد من الكتاب الذي نزل الله عليه، وذلك القرآن.

{ والكتاب الذي أنزل من قبل } يقول: وآمنوا بالكتاب الذي أنزل الله من قبل الكتاب الذي نزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والإنجيل.

فإن قال قائل: وما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكتبه وقد سماهم مؤمنين؟ قيل: إنه جل ثناؤه لم يسمهم مؤمنين، وإنما وصفهم بأنهم آمنوا، وذلك وصف لهم بخصوص من التصديق، وذلك أنهم كانوا صنفين:

- أهل توراة مصدقين بها وبمن جاء بها، وهم مكذبون بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد صلوات الله عليهما.

- وصنف أهل إنجيل وهم مصدقون به وبالتوراة وسائر الكتب، مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان.

فقال جل ثناؤه لهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يعني: بما هم به مؤمنون من الكتب والرسل،

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم،

(والكتاب الذي نزل على رسوله) فإنكم قد علمتم أن محمدا رسول الله تجدون صفته في كتبكم.

(وبالكتاب الذي أنزل من قبل) الذي تزعمون أنكم به مؤمنون، فإنكم لن تكونوا به مؤمنين وأنتم بمحمد مكذبون، لأن كتابكم يأمركم بالتصديق به وبما جاءكم به، فأمنوا بكتابكم في اتباعكم محمدا، وإلا فأنتم به كافرون. فهذا وجه أمرهم بالإيمان بما أمرهم بالإيمان به، بعد أن وصفهم بما وصفهم بقوله:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا). انتهى باختصار.

سَبِيلًا) قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ،
 قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ؛ وَمَلَائِكَتِهِ؛ وَكُتُبِهِ؛ وَرُسُلِهِ؛
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) قَالَ: صَدَقْتَ،
 قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛
 فَإِنَّهُ يَرَاكَ)،

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ؟) قَالَ:
 فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ
 رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ).

قَالَ: ثُمَّ انْطَلِقْ؛ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: (يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟)، قُلْتُ:
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) ورواه: الترمذي في
 سننه: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إِذَا خُطِبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ
 يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، وَيَقُولُ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ) وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ
 السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى
 مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ
 مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَأْهْلَهُ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِيَ وَعَلَيَّ) (1)

(1) قال الإمام النووي في شرحه: (وقوله: (خير الهدي هدي محمد) هو بضم الهاء وفتح الدال فيهما
 وبفتح الهاء وإسكان الدال أيضا ضبطناه بالوجهين، وكذا ذكره جماعة بالوجهين).

وقال القاضي عياض: رويناه في مسلم بالضم، وفي غيره بالفتح، وبالفتح ذكره الهروي، وفسره
 الهروي على رواية الفتح بالطريق، أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال: فلان حسن الهدي أي
 الطريقة والمذهب اهتدوا بهدي عمار، وأما على رواية الضم فمعناه: الدلالة والإرشاد.

قال العلماء: لفظ الهدي له معنيان:

أحدهما: بمعنى الدلالة والإرشاد، وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد، وقال الله تعالى:
 (وإني لأهدي إلى صراط مستقيم).

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، يبشر المؤمنين).

ومنه قوله تعالى: (وأما ثمود فهديناهم) أي بينا لهم الطريق، ومنه قوله تعالى:

(إنا هديناه السبيل) و(هديناه النجدين).

والثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد، وهو الذي تفرد الله به، ومنه قوله تعالى:

(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء).

وقالت القرطبية: حيث جاء الهدى فهو للبيان بناء على أصلهم الفاسد في إنكار القدر، ورد عليهم
 أصحابنا وغيرهم من أهل الحق مثبتي القدر لله تعالى بقوله تعالى:

(والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ففرق بين الدعاء والهداية.

ورواه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

5 - والإيمان واحد؛

الشرح: أصل الإيمان لا يتعدد، ولا يتبعض ولا يقبل التقسيم: فلا يقبل الإيمان بالله تعالى وإنكار ما أخبر الله عنه نحو: إنكار وجود الرسل؛ أو إنكار أحد من الرسل، أو إنكار الملائكة،.. فأصل الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض وهكذا، وأما نور الإيمان فهو قابل للزيادة والنقصان بحسب الطاعات كما سيأتي إن شاء الله تعالى. الدليل القرآني:

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5) سورة المائدة (1)).

(أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا

قوله صلى الله عليه وسلم: (وكل بدعة ضلالة) عام مخصوص، والمراد غالب البدع. قال أهل اللغة: هي كل شيء عمل على غير مثال سابق.

قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة ومحرمة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك.

ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم، وبناء المدارس والربط وغير ذلك.

ومن المباح: التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك. والحرام والمكروه ظاهران.

وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في تهذيب الأسماء واللغات، فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العام المخصوص. وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: نعمت البدعة. ولا يمنع من كون الحديث عاماً مخصوصاً.

قوله: (كل بدعة) مؤكداً (بكل)، بل يدخله التخصيص مع ذلك، كقوله تعالى: (تدمر كل شيء {) انتهى باختصار.

(١) قال القرطبي في تفسيره: قيل: لما قال تعالى: "المحصنات من الذين أوتوا الكتاب" قال نساء أهل الكتاب: لولا أن الله تعالى رضي ديننا لم يبح لكم نكاحنا؛ فنزلت "ومن يكفر الإيمان" أي بما أنزل على محمد.

وقال أبو الهيثم: الباء صلة؛ أي ومن يكفر الإيمان أي يجده.

وقرأ ابن السميع "فقد حبط" بفتح الباء.

وقيل: لما ذكرت فرائض وأحكام يلزم القيام بها، ذكر الوعيد على مخالفتها؛ لما في ذلك من تأكيد الزجر عن تضييعها.

وروي عن ابن عباس ومجاهد أن المعنى: ومن يكفر بالله.

قال الحسن بن الفضل: إن صحت هذه الرواية فمعناها برب الإيمان.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: ولا يجوز أن يسمى الله إيماناً خلافاً للحشوية والسالمية؛ لأن

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً، واسم الفاعل منه مؤمن؛ والإيمان: التصديق، والتصديق لا يكون

إلا كلاماً، ولا يجوز أن يكون الباري تعالى كلاماً. انتهى.

خَزِيٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) سورة البقرة.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152) سورة النساء (1).

(١) قال ابن كثير في تفسيره: يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله، من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فأمنوا ببعض الأنبياء، وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود - عليهم لعائن الله - آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران. والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم.

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي؛ تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شريعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية، ولهذا قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) (النساء: من الآية 150) فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله. (وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ) (النساء: من الآية 150)، أي في الإيمان. (وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) (النساء: من الآية 150) أي طريقاً ومسلماً.

ثم أخبر تعالى عنهم فقال: (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) (النساء: 151). أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به، لأنه ليس شريعياً، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله، لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً، وأقوى برهاناً منه، لو نظروا حق النظر في نبوته. وقوله: (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء: من الآية 151) أي كما استهانوا بمن كفروا به: - إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه، وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه.

- وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي؛ الموصول بالذل الأخروي.

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ) (البقرة: من الآية 61) " في الدنيا والآخرة. وقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) (النساء: من الآية 152) " يعني بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) (البقرة: من الآية 285) " الآية.

(الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91) سورة الحجر (1)).

ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل، والثواب الجليل، والعطاء الجميل، فقال: (أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ) (النساء: من الآية 152) على ما آمنوا بالله ورسوله. (وكان الله غفورا رحيمًا) أي لذنوبهم أي إن كان لبعضهم ذنوب.

١) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر: 91) أي جَزَّءُوا كتبهم المنزلة عليهم، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال البخاري - وأسنده - عن ابن عباس "جعلوا القرآن عِضِينَ" قال: هم أهل الكتاب جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً، فأمنوا ببعضه؛ وكفروا ببعضه..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) (الحجر: 90) قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى. انتهى باختصار.

6 - وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ؛

الشرح: أي أهل الإيمان في إيمانهم بأصل الإيمان، إيمانهم سواء؛ متساوون به، فلا يقبل إيمان فيه أدنى شك، ومن شك في شيء من أصل الإيمان فليس بمؤمن، وبذلك يستوي إيمان الرسل والمؤمنون في وجود أصل الإيمان، وأما زيادة نور الإيمان فيحصل التفاوت فيه:

الدليل القرآني:

(أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) سورة البقرة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) سورة النساء (1).

7 - وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ:

(بِالْخَشْيَةِ - أ - ب) وَالتَّقَى؛

- وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى؛

(وَمُلَازِمَةُ الْأُولَى أ - ب)؛

الشرح: المفاضلة عند الله تعالى بين أهل الإيمان تكون بالتقوى وخشية الله تعالى في السر والعلن، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء، وعدم اتباع الأهواء في

(1) قال ابن كثير في تفسيره: يأمر تعالى عباده المؤمنين: بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيتته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) أي بصرنا فيه؛ وزدنا هدى؛ وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) (الحديد: من الآية 28)، وقوله: (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) (النساء: من الآية 136) يعني القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن نزل لأنه "نزل" متفرقا منجما على الوقائع، بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم. وأما الكتب المتقدمة، فكانت تنزل جملة واحدة لهذا قال تعالى: (وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) (النساء: من الآية 136) "ثم قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: من الآية 136)، أي فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد) انتهى باختصار.

السلوك، والتزام النفس بالنوافل فضلاً عن الفرائض:
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) سورة الحجرات (1)).

(١) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وهي أعم من القبائل وبعد القبائل مراتب أخرى: كالقصاص والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك.

وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل. وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الأشباه لأبي عمر بن عبد البر ومن كتاب "القصص والأُمم في معرفة أنساب العرب والعجم".

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً منيها على تساويهم في البشرية:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: 13)، أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته.

وقال مجاهد: في قوله عز وجل "لتعارفوا" كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من قبيلة كذا وكذا. وقال سفيان الثوري كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائله.

وقد قال أبو عيسى الترمذي - وأسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر" ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: من الآية 13)، أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب، وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال البخاري - وأسنده - عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال "أكرمهم عند الله أتقاهم" قالوا ليس عن هذا نسألك قال "فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله" قالوا ليس عن هذا نسألك، قال "فعن معادن العرب تسألوني؟" قالوا نعم قال: "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا".

وقال مسلم رحمه الله - وأسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" ورواه ابن ماجه.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له "انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضل به بتقوى الله" تفرد به أحمد رحمه الله.

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته:

فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال:

"يا أيها الناس! إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وتعظمها بآبائها، فالناس رجالان:

- رجل بر تقى كريم على الله تعالى.

- ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى.

(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) سورة الرحمن (1).
(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) سورة الأنفال (2).

إن الله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13)، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أقول قولي هذا وأستغفر الله لي لكم) هكذا رواه عبد بن حميد.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد، كلكم بنو آدم، طف الصاع لم يملئوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى، وكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً فاحشاً"، وقد رواه ابن جرير - بسنده - ولفظه: "الناس لآدم وحواء، طف الصاع لم يملئوه، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم، ولا عن أنسابكم يوم القيامة، إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: "خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم".

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا، ولا أعجبه أحد قط؛ إلا ذو تقى. تفرد به أحمد انتهى باختصار.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن شاذان وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية "ولمن خاف مقام ربه جنتان" في أبي بكر الصديق.

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن عطية بن قيس في قوله تعالى "ولمن خاف مقام ربه جنتان" نزلت في الذي قال أخرجوني بالنار لعلني أضل الله، قال: تاب يوماً وليلة بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة.

والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (الرحمن:46) بين يدي الله عز وجل يوم القيامة (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) (النازعات:40) ولم يطع ولا أثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان.

كما قال البخاري رحمه الله - وأسنده - عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبدالعزيز به.

وقال ابن جرير - وأسنده - عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوماً هذه الآية وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (الرحمن:46) فقلت وإن زنى وإن سرق؟ فقال: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) (الرحمن:46) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) (الرحمن:46)، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟! فقال ﷺ: "وإن رغم أنف أبي الدرداء" ورواه النسائي. انتهى باختصار.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: من الآية2) قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله؛ عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة

أخرج البخاري - باب التواضع - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (١).

أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف الله المؤمنين فقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: من الآية 2) فأدوا فرائضه. (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (الأنفال: من الآية 2) " يقول زادتهم تصديقا، (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: من الآية 2) " يقول لا يرجون غيره.

وقال مجاهد "وجلّت قلوبهم" فرقت أي فرغت وخافت، وكذا قال السدي وغير واحد. وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي خاف منه، ففعل أو امره وترك زواجه.

كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: 135) وكقوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) (40) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات: 39)

ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: من الآية 2) قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه.

وقال الثوري أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء في قوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: من الآية 2) قال: الوجل في القلب كاحتراق السعة أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فإن الدعاء يذهب ذلك.

وقوله: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (الأنفال: من الآية 2)، كقوله: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَكُنْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124) وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد كما بينا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة.

"وعلى ربهم يتوكلون" أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلونون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

ولهذا قال سعيد بن جبیر: (التوكل على الله جماع الإيمان) انتهى باختصار.

(١) قال ابن حجر في شرحه في الفتح الباري: (قوله (إن الله تعالى) قال الكرمانی: هذا من الأحاديث القدسية، وقد تقدم القول فيها قبل ستة أبواب.

قلت: وقد وقع في بعض طرقه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل وذلك في حديث أنس.

قوله (من عادى لي ولياً) المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته. وقد استشكل وجود أحد يعاديه لأن المعادة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عن من يجهل عليه؟

وأجيب: بأن المعادة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلاً بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعادة من الجانبين، أما من جانب الولي فله تعالى وفي الله، وأما من جانب الآخر فلما تقدم.

وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيته عن شهواته. وقد تطلق المعادة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة.

قال الكرمانى: قوله "لي" هو في الأصل صفة لقوله "ولياً" لكنه لما تقدم صار حالاً. وقال ابن هبيرة في "الإفصاح" قوله "عادى لي ولياً" أي اتخذ عدواً، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو إن تضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ليس على الإطلاق بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعاً بين وليين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض، فإنه جرى بين أبي بكر وعمر مشاجرة، وبين العباس وعلي، إلى غير ذلك من الوقائع انتهى ملخصاً موضحاً.

وتعقبه الفاكهاني بأن معادة الولي لكونه ولياً لا يفهم إلا إن كان على طريق الحسد الذي هو تمنى زوال ولايته وهو بعيد جداً في حق الولي فتأمله. قلت: والذي قدمته أولى أن يعتمد.

قال ابن هبيرة: ويستفاد من هذا الحديث تقديم الإعذار على الإنذار وهو واضح. قوله (فقد أدنته) بالمذمة وفتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته، والإيدان الإعلام، ومنه أخذ الأذان. قوله (بالحرب) له رواية الكشميهني "بحرب" ووقع في حديث عائشة "من عادى لي ولياً" وفي رواية لأحمد "من أذى لي ولياً" وفي أخرى له "من أذى" وفي حديث ميمونة مثله "فقد استحل محاربتى".

وفي رواية وهب بن منبه موقوفاً "قال الله من أهان وليي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة". وفي حديث معاذ "فقد بارز الله بالمحاربة" وفي حديث أبي أمامة وأنس "فقد بارزني". وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخلق؟. والجواب: أنه من المخاطبة بما يفهم، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكه إياه. فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمل العدو المحارب.

قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد، لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت في جانب الموالاتة، فمن وإلى أولياء الله أكرمه الله.

وقال الطوفي: لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة، وقد أجرى الله العادة بأن العدو صديق وصديق العدو عدو، فعادى ولي الله عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله.

قوله (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) يجوز في " أحب " الرفع والنصب، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت عليه، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله.

قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل، فهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقرباً، وأيضا فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفاً من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إثارة للخدمة فيجازي بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

قوله (وما زال) في رواية الكشميهني " وما يزال " بصيغة المضارعة.

قوله (يتقرب إلي) التقرب طلب القرب، قال أبو القاسم القشيري: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه، ثم بإحسانه. وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه، وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه. ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق.

قال: وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء. ووقع في حديث أبي أممة " يتحبب إلى " بدل " يتقرب " وكذا في حديث ميمونة.

قوله (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني " أحبه " ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل.

وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟

والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها، ويؤيده أن في رواية أبي أممة " ابن آدم. إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك "

وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى.

وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله " ما تقرب إلخ " أن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى.

وأيضاً فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وحب على المتقرب كالهديّة والتحفّة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين.

وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم " انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته " الحديث بمعناه.

فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر: **من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .**

قوله (فكنت سمعه الذي يسمع) زاد الكشميهني " به " .

قوله (وبصره الذي يبصر به) في حديث عائشة في رواية عبد الواحد: " عينه التي يبصر بها " .

وفي رواية يعقوب بن مجاهد: " عينيه التي يبصر بهما " بالثنائية وكذا قال في الأذن واليد والرجل.

وزاد عبد الواحد في روايته: " وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به " .

ونحوه في حديث أبي أممة وفي حديث ميمونة: " وقلبه الذي يعقل به " .

وفي حديث أنس: " ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً " .
وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ ؟
والجواب من أوجه: أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى كنت سمعه وبصره في إثارة أمري فهو يجب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يجب هذه الجوارح.
ثانيها: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

ثالثها: المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ.
رابعها: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.
خامسها قال الفاكهاني: وسبقه إلى معناه ابن هبيرة: هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف، والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ.
سادسها قال الفاكهاني: يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولى.
والمعنى: أنه لا يسمع إلا ذكرى، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاءي، ورجله كذلك، وبمعناه قال ابن هبيرة أيضاً.
وقال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانتة، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها.

ولهذا وقع في رواية: " فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " .
قال: والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا فאלله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
وقال الخطابي: هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقفه ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله.

وإلى هذا نحا الداودي، ومثله الكلاباذي، وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه.

سابعها قال الخطابي أيضاً: وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجاح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وقال بعضهم: وهو متنزع مما تقدم لا يتحرك له جراحة إلا في الله والله، فهي كلها تعمل بالحق للحق. وأسند البيهقي في " الزهد " عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي.
وحمله بعض متأخري الصوفية على ما ينكرونه من مقام الفناء والمحو، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها، وهو أن يكون قائماً بإقامة الله له محباً بمحبته له ناظراً بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف، ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى، قام ومحبته له حتى أحبه ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظراً إليه بقلبه.

وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يفني عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله

هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث " ولئن سألتني، ولئن استعاذني " فإنه كالصريح في الرد عليهم .
قوله (وإن سألتني) زاد في رواية عبد الواحد " عدي " . قوله (أعطيته) أي ما سأل .
قوله (ولئن استعاذني) ضبطناه بوجهين الأشهر بالنون بعد الذال المعجمة والثاني بالموحدة والمعنى أعذته مما يخاف، وفي حديث أبي أمامة " وإذا استنصر بي نصرته " وفي حديث أنس " نصحت له " .

ويستفاد منه أن المراد بالنوافل جميع ما يندب من الأقوال والأفعال . وقد وقع في حديث أبي أمامة المذكور " وأحب عبادة عدي إلى النصيحة " .

وقد استشكل بأن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا؟

والجواب: أن الإجابة تتنوع: فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها .

وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربّه، ولا شيء أقر لعين العبد منها .
ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع " **وجعلت قوة عيني في الصلاة** " أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح .

ومن كانت قوة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الأفات والفتور .
وفي حديث حذيفة من الزيادة " ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة " .

وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة فقالوا: القلب إذا كان محفوظاً مع الله كانت خواطره معصومة من الخطأ .

وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء ومن عداهم فقد يخطئ، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين ومع ذلك فكان رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه .
فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فقد ارتكب أعظم الخطأ .

وأما من بالغ منهم فقال: حدثني قلبي عن ربي فإنه أشد خطأ، فإنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان، والله المستعان .

قال الطوفي: هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان والظاهرة وهي الإسلام والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل .

والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها .

وفي الحديث أيضاً أن من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم، وقد تقدم الجواب عما يتخلف من ذلك .

وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوباً لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية، وقد تقدم تقرير هذا واضحاً في أوائل كتاب الدعوات.

قوله (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن).

وفي حديث عائشة " ترددي عن موته ".

ووقع في " الحلية " في ترجمة وهب بن منبه " إنني لأجد في كتب الأنبياء أن الله تعالى يقول: ما ترددت عن شيء قط ترددي عن قبض روح المؤمن إلخ ".

قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائز، والبداء عليه في الأمور غير سائغ. ولكن له تأويلان:

- أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه.

- والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن، كما روى في قصة موسى وما كان من لطفة عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى.

قال: وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه.

وقال الكلاباذي ما حاصله: أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات، أي عن التردد بالتردد، وجعل متعلق التردد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك.

قال: وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشترك معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه، فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه، ويكره الله مسأته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق.

قال: وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودير وتهدد وهدد والله أعلم.

وعن بعضهم: يحتمل أن يكون تركيب الولي يحتمل أن يعيش خمسين سنة وعمره الذي كتب له سبعون فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيحييه عشرين أخرى مثلاً، فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد.

وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره، قال: وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة.

فإن قيل: إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد؟ فالجواب:

أنه يتردد فيما يحد له فيه الوقت. كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي.

ثم ذكر جواباً ثالثاً وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بداً من امتثاله.

وجواباً رابعاً وهو أن يكون هذا خطاباً لنا بما نعقل والرب منزله عن حقيقته، بل هو من جنس.

قوله " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " فكما أن أحداً يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد.

وجوز الكرماني احتمالاً آخر وهو: أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعاً دفعة.

الفصل الثاني: الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ

1 - وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبَلَتِنَا (مُسْلِمِينَ - أ - غ) مُؤْمِنِينَ:
- مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ؛
- وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ؛

قوله (يكره الموت وأنا أكره مساءته) في حديث عائشة " أنه يكره الموت وأنا أكره مساءته " زاد ابن مخلد عن ابن كرامة في آخره " ولا بد له منه " ووقعت هذه الزيادة أيضا في حديث وهب. وأسند البيهقي في " الزهد " عن الجنيد سيد الطائفة قال: الكراهة هنا لما يلقي المؤمن من الموت وصعوبته وكربه، وليس المعنى أنني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى. وعبر بعضهم عن هذا: بأن الموت حتم مقضى، وهو مفارقة الروح للجسد، ولا تحصل غالبا إلا بآلم عظيم جداً.

- كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت فقال :
" كأي أنفوس من خرم إبرة، وكأن غصن شوك يجر به من قامتي إلى هامتي " .
- وعن كعب أن عمر سأل عن الموت؟ فوصفه بنحو هذا.

فلما كان الموت بهذا الوصف، والله يكره أذى المؤمن، أطلق على ذلك الكراهة. ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر، وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين.

وجوز الكرمانى أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد.

قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء: في هذا الحديث عظم قدر الولي، لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق توكله.

قال: ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسان أذى ولياً ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله، فقد تكون مصيبتة في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلاً.

قال: ويدخل في قوله " افترضت عليه ":

- الفرائض الظاهرة فعلاً كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، وتركها كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات.

- والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك. وهي تنقسم أيضاً إلى أفعال وتروك.

قال: وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله تعالى له، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول). فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية لصدق قولنا ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير، ومن المعلوم أنه دخل معه بعض خدمه.

قلت: الوصف المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولا فلا مشاركة لأحد من أتباعه فيه إلا منه، وإلا فيحتمل ما قال، والعلم عند الله تعالى...) انتهى باختصار.

- 2 - وَلَا تُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَحِلْهُ؛
3 - وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ؛
4 - وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:
- (أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ؛
- وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ؛
- وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ - أ - ب)؛
- وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ؛
- وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ؛
- وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ؛
- وَلَا نَقْنَطُهُمْ؛
5 - وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا؛
6 - وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ؛
- وَلَا بِشُرْكَ؛
- وَلَا بِنِفَاقٍ؛
- مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛
- وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛
7 - وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؛
وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ؛
8 - وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ؛

الفصل الثاني: الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ

- 1 - وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبَلَتِنَا (مُسْلِمِينَ - أ - غ) مُؤْمِنِينَ:
- مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ؛
- وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ؛ 426/2

الدليل القرآني:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) سورة النساء.

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) سورة آل عمران (1).
(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) سورة النساء (2).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله.

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

ولهذا قال "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول.

كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحب إنما الشأن أن تُحب.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله". انتهى باختصار.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه:

(ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

قال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني" وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش به.

2 - ولا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَحِلْهُ؛ (1)

الشرح: إن الذنوب من طبيعة الإنسان، ولكن الإصرار على الذنب كبيرة، فيطلب منه الاستغفار والتوبة كل يوم عن تقصيره (2)، وأما استحلال الذنب فهو تكذيب وافتراء، ومن يفترى على الله تعالى أو رسوله ﷺ فيكفر بالله ورسوله ﷺ: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37) سورة التوبة.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) سورة يونس (3).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) سورة

وقوله "ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا" أي ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ، فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء كما جاء في الحديث "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه".

(1) قال الإمام تاج الدين السبكي - رحمه الله - : (وإذا كان الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد والأشعري على أنا لا نكفر أحداً من أهل القبلة فلم هذا التعصب؟ وما لنا لا نسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم، ولم ندر على ماذا ماتوا؟ ومن يُبد لنا أحد بدعة قابلناه، وأما الأموات فلم تنبش عظامهم؟ هذا والله ما لا ينبغي) انظر معبد النعم ومبيد النقم، للسبكي ص70

(2) أخرج مسلم - باب سقوط الذنوب بالاستغفار - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) ورواه الترمذي: أحمد في مسنده.

(3) قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم: نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايا، كقوله تعالى "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً" الآيات.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي الأحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا رث الهيئة فقال "هل لك مال؟" قلت نعم.

قال "من أي المال؟" قال: قلت: من كل المال من الإبل والرقيق والخيل والغنم.

فقال "إذا أتاك الله مالا فلير عليك - وقال - هل تنتج إبلك صحاحا أذانها فتعتمد إلى موسى فتقطع أذانها فتقول هذه بحر، وتشق جلودها، وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك؟" قال: نعم.

قال "فإن ما أتاك الله لك حل ساعد الله أشد من ساعدك وموسي الله أحد من موساك" وهذا حديث جيد قوي الإسناد.

وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله، أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة. انتهى بتصرف.

قال محمد نور: هذا الإنكار على من حل وحرم حسب هواه، فكيف بمن يكفر ويضلل حسب هواه!!.

إبراهيم.

(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) سورة النحل (1)).
قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الفقه الأكبر: (ولا تكفر مسلماً بذنب من الذنوب؛ وإن كانت كبيرة؛ إذا لم يستحلّها؛ ولا نزيل عنه اسم الإيمان؛ ونسميه مؤمناً حقيقةً، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر..).

وقال رحمه الله في رسالته إلى عالم البصرة عثمان البتي: (واعلم أي أقول: أهل القبلة مؤمنون؛ لست أخرجهم من الإيمان بتضييع شيء من الفرائض. فمن أطاع الله تعالى في الفرائض كلها مع الإيمان كان من أهل الجنة عندنا. ومن ترك الإيمان والعمل كان كافراً من أهل النار، ومن أصاب الإيمان وضيع شيئاً من الفرائض كان مؤمناً مذنباً؛ وكان الله تعالى فيه المشيئة؛ فإن شاء عذبه؛ وإن شاء غفر له. فإن عذبه على تضييعه شيئاً؛ فعلى ذنب يعذبه، وإن غفر له؛ فذنباً يغفر.) وجاء في رسالة العالم والمتعلم لأبي حنيفة - وهو العالم - :

قال المتعلم: ولكن أخبرني هل يكون المؤمن إذا ارتكب الكبائر؛ لله عدواً؟
قال العالم رضي الله عنه: إن المؤمن لا يكون لله عدواً؛ وإن ركب جميع الذنوب؛ بعد أن لا يدع التوحيد، وذلك بأن العدو يبغض عدوه، ويتناول عدوه بالمنقصة، والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنب، والله مع ذلك أحب إليه مما سواه، وذلك أنه لو خيّر بين أن يحرق بالنار؛ أو يفتري على الله من قلبه؛ لكان الإحراق بالنار أحب إليه من ذلك.
قال المتعلم: إن كان الله أحب إليه مما سواه؛ فلم يعصيه؟! وهل يكون أحدٌ يحب أحداً فيعصيه فيما يأمره?!.

قال العالم رحمه الله: نعم قد يحب الولد والده وربما عصاه، وهذا المؤمن: الله أحب إليه مما سواه وإن عصاه، وإنما يعصيه لأن الشهوة ظاهرة غالبية، وإنما

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأراءهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال:

"ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب".
ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي أو حل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه.

(وما) في قوله "لما تصف" مصدرية أي ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم تواعد على ذلك فقال "إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون" أي في الدنيا ولا في الآخرة. انتهى.

تغلب عليه الشهوات؛ فإنه ربما كان الرجل عاملاً لسلطان؛ فينزع عن عمله؛ فيعذب بأنواع من العذاب؛ ثم إذا ترك رجع إلى عمله؛ إن قدر عليه، والمرأة تلقى ما تلقى في نفاسها؛ ثم إذا قامت؛ طلبت الولد.

قال المتعلم: قلت ما يعرف من غلبته الشهوة؛ لأنه كم من عابد صرخته الشهوة؛ وآدم وداود عليهما السلام منهم ⁽¹⁾، ولكن أخبرني عن هذا المؤمن أيركب المعصية؟! وهو يعلم أنه يُعذب عليها!؟.

قال العالم رحمه الله: ما يركبها وهو يعلم أنه يُعذب عليها؛ لكنه يركبها لخصلتين:

- أما إحداهما: فإنه يرجوا المغفرة.

- وأما الأخرى: فإنه يأمل التوبة قبل المرض والموت.

قال المتعلم: أو يقدم الرجل على ما يخاف أن يُعذب عليه؟!.

قال العالم رضي الله عنه: نعم؛ ربما يقدّم الرجل على ما يخاف أن يضره من طعام؛ أو شراب؛ أو قتال؛ أو ركوب بحر، ولولا ما يرجوه من النجاة من الغرق إذا ركب البحر، والظفر إذا قاتل؛ ما أقدم على القتال؛ ولا ركب البحر. ⁽²⁾ انتهى

(1) هكذا في الأصل؛ ولو كان المتعلم يترك هذا لكان أنسب في اعتقاد عصمة الأنبياء، كما قال الكوثري رحمه الله

(2) نورد فيما يلي مناظرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى مع الخوارج وتوبتهم على يده، لنرى دقة فهم الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى:

أسند أبو الموفق المكي في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة) ص 108 فقال:

لما بلغ الخوارج أن أبا حنيفة لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، وفد منهم سبعون رجلاً، فدخلوا عليه؛ أحفل ما كان المجلس؛ فقاموا جميعاً؛ فقالوا: يا أبا حنيفة! إن ملتنا واحدة، فمُر الناس أن يُفرجوا لنا، قال: أفرجوا لهم؛ فأفرجوا؛ فأتوا حتى وقفوا على رأسه؛ ثم سألوا سيوفهم جميعاً؛ فقالوا: يا أبا حنيفة! يا عدو هذه الأمة! وقال بعضهم: يا شيطان هذه الأمة! لقتلك أحب إلى كل رجل منا من جهاد سبعين سنة؛ ولا نريد أن نظلمك.

فقال لهم أبو حنيفة: أفتريدون أن تُنصفوني؟!.

قالوا: بلى!

قال: فأعمدوا سيوفكم فإنه يهولني بريقها.

قالوا: فكيف نغمدنا ونحن نرجوا أن نخضبها بدمك.

قال: فتكلموا على اسم الله..

قالوا: هاتان جنازتان على باب المسجد:

- أما أحدهما: رجل شرب الخمر؛ حتى كظته؛ وحشرج بها؛ فمات غرقاً في الخمر؟.

- والأخرى: امرأة زنت؛ حتى إذا أيقنت بالحبل قتلت نفسها؟.

فقال لهم أبو حنيفة: من أي الملل كانا؟ أمّن اليهود؟

من رسالة العالم والمتعلم.

وقال الإمام مالك رضي الله عنه: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئاً، ثم نجا من هذه الأهواء، لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس؛ لأن كل كبيرة بين العبد وبين ربه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم. (1).

فنظم العارف بالله تاج الدين السكندري هذا المعنى في حكمه فقال:

(رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً).

قالوا: لا،

قال: أفمن النصارى؟

قالوا: لا،

قال: أفمن المجوس؟

قالوا: لا،

قال: من أي الملل كانا؟

قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً عبده ورسوله،

قال: فأخبروني عن هذه الشهادة؟ كم هي من الإيمان؟ ثلث؟ أو ربع؟ أو خمس؟

قالوا: الإيمان: لا يكون ثلثاً؛ ولا رباعاً؛ ولا خمساً.

قال: فكم هي من الإيمان؟

قالوا: الإيمان كله.

قال: فما سؤلکم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟!

قالوا: دعنا عنك، أئمن أهل الجنة هما؟ أم من أهل النار؟

قال: أما إذا أبيتم، فإني أقول فيهما:

- ما قال نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهما: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ) (36) [سورة إبراهيم].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرماً منهما: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (118) [سورة المائدة].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح: (قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) (111) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) [سورة الشعراء].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعين وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) [سورة هود].

قال: فألقوا السلاح؛ وقالوا: تبرأنا من كل دين كنا عليه؛ وندين الله بدينك؛ فقد آتاك الله فضلاً وحكمة وعلماً.

قال: فخرجوا وتركوا رأي الخوارج، ورجعوا إلى الجماعة) انتهى.

(1) الترتيب، ج2/ص47.

3 - وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ؛ (١)

قال الإمام أبو حنيفة في رسالة الفقه الأكبر: (ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب؛ ولا نقول: إنه لا يدخل النار؛ ولا نقول: إنه يخلد فيها، وإن كان فاسقاً؛ بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً، ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة؛ وإن سيئاتنا مغفورة كقول المرجئة. ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائطها؛ خالية عن العيوب المفسدة؛ والمعاني المبطلّة؛ ولم يبطلها بالكفر والردة؛ حتى خرج من الدنيا مؤمناً؛ فإن الله تعالى لا يضيعها، بل يقبلها منه؛ ويثيبه عليها. وما كان من السيئات؛ دون الشرك والكفر؛ ولم يتب عنها صاحبها؛ حتى مات مؤمناً، فإنه في مشيئة الله تعالى: إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه؛ ولم يعذبه بالنار أصلاً، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال؛ فإنه يبطل أجره؛ وكذلك العجب.) انتهى.

الدليل القرآني:

(بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) سورة البقرة.

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبْتُ (286) سورة البقرة.

(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) سورة آل عمران.

(وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) سورة النساء.

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) سورة النساء.

(١) هذا رد على المرجئة الذين قالوا لا حاجة للعمل مادام الإيمان موجوداً، وهو رد على أهل هذا العصر الذين يقولون: الإيمان في القلب ولا حاجة للعمل، وكلا الفريقين يبطلون التكليف الذي جاء به القرآن والسنة، وهو رد على من اتهم أبا حنيفة - رحمه الله - بالإرجاء بهذا المفهوم، وأما رأي الإمام أبو حنيفة فهو إرجاء الثواب والعقاب إلى يوم القيامة؛ لأنه لا أحد يعلمه إلا الله تعالى وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (120) سورة الأنعام.

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) سورة الأنعام.

(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) يونس.

(لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51) سورة إبراهيم.

(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90) سورة النمل.

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (84) القصص.

(قَالِ يَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) سورة يس.

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) سورة الزمر.

(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) سورة غافر.

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) سورة غافر.

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) النجم.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) الطور.

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) سورة المطففين (1).

١) قال ابن كثير تفسيره: أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". والرين يعترى قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين.

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) سورة الزلزلة (1)).

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت" فذلك قول الله تعالى "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". وقال الترمذي حسن صحيح. ولفظ النسائي "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون".

وقال أحمد - وأسنده - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن: "كلا بل ران قلوبهم ما كانوا يكسبون". وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: قال البخاري - وأسنده - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "الخيول لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر". فأما الذي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنتت شرفاً أو شرفين كان آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقي به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر.

ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر".

فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر؟ فقال "ما أنزل الله شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" ورواه مسلم..

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها. وهكذا رواه النسائي في التفسير.

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً "اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة". وله أيضاً في الصحيح "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن سرغ من دلوك في إناء المستسقى ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط".

وفي الصحيح أيضاً "يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" يعني ظلفها. وفي الحديث الآخر "ردوا السائل ولو بظلف محرق".

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عائشة أن رسول الله قال "يا عائشة استنثري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان" تفرد به أحمد.

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - أن عائشة أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول "يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً".

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) سورة التكاثر.

4 - وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:

- (أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ؛
- وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ؛
- وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ - أ - ب)؛
- وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ؛
- وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ؛
- وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ؛
- وَلَا نَقْنُطُهُمْ؛

5 - وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا؛

الدليل القرآني:

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

ورواه النسائي وابن ماجه عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال " يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة " ورواه ابن أبي حاتم.

ولما نزلت هذه الآية " ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً " كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجئ المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر فنزلت:

" فمن يعمل مثقال ذرة " يعني وزن أصغر النمل " خيراً يره " يعني في كتابه ويسره ذلك.

قال: يكتب لكل بر وفاجر وبكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحد عشرًا ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة.

وقال الإمام أحمد - وأسند - عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله قال " إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ".

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل منطلق يجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها.

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) سورة الحشر (1).

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) سورة آل عمران. (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

١) قال ابن كثير في تفسيره: هؤلاء في القسم الثالث ممن يستحق فقرائهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة:

"وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ "أَيُّ قَائِلِينَ " رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا " أي بغضا وحسدا "لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ".

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ".

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبواهم ثم قرأت هذه الآية "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" الآية.

وقال إسماعيل ابن علي عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها" رواه البغوي.

وقال أبو داود - وأسنده - عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: "وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب".

قال الزهري: قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينه وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاؤوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق.

قال أيوب - أو قال: حظ إلا بعض من تملكون من أرقائكم. كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير - وأسنده - عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ" حتى بلغ "عليهم حليم".

ثم قال: هذه لهؤلاء ثم قرأ "واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى" الآية. ثم قال: هذه لهؤلاء.

ثم قرأ "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذي القربى" - حتى بلغ - "اللفقراء" - "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم" - والذين جاءوا من بعدهم" ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال: لئن عشت لياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه.

مُتَقَلِّبُكُمْ وَمُتَوَاكُم (19) سورة محمد (1).

وروى الإمام مسلم في صحيحه - في كتاب البر والصلة والآداب - عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: (وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ)، أَوْ كَمَا قَالَ. وانفرد به مسلم (2).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه أمراً بعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات". وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي". وفي الصحيح أنه كان يقول في آخر الصلاة: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت إلهي لا إله إلا أنت". وفي الصحيح أنه قال: "يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

وقال الإمام أحمد حدثنا بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الأحول قال سمعت عبد الله بن سرخس قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلت معه من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله! فقال صلى الله عليه وسلم: "ولك"، فقلت: أستغفر لك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم ولكم"، وقرأ: "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" ثم نظرت إلى بعض كتفه الأيمن - أو كتفه الأيسر شعبة الذي شك - فإذا هو كهيئة الجمع عليه التأليل ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به. وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى - وأسنده - عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: إنما أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون".

وفي الأثر المروي "قال إبليس وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني".

والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جداً وقوله تبارك وتعالى: "والله يعلم متقلبكم ومثواكم" أي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى: "وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار".

وقوله سبحانه وتعالى "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين" وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وعن ابن عباس رضي الله عنهما متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة.

وقال السدي: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم والأول أولى وأظهر والله أعلم.

(2) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قوله صلى الله عليه وسلم: (أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عملك) معنى (يتألى) يحلف، والألية اليمين.

وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها.

6 - وَلَا تَشْهَدْ عَلَيْهِمْ:

- بِكُفْرٍ؛

- وَلَا بِشُرْكَ؛

- وَلَا بِنِفَاقٍ؛

- مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛

- وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛

الدليل القرآني:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (48) سورة النساء (1)).

واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر. ومذهب أهل السنة أنها لا يحبط إلا بالكفر، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته، وسمي إحباطا مجازا، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا، وكان هذا حكمهم). انتهى.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: "الدواوين من عند الله ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله.

فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل "إن الله لا يغفر أن يشرك به" الآية وقال "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة".

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء.

وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة" تفرد به أحمد. "الحديث الثاني" قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده - وأسنده - عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"الظلم ثلاثة ظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئا:

- فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال "إن الشرك لظلم عظيم".

- وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم.

- وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض".

"الحديث الثالث" قال الإمام أحمد - وأسنده - عن معاوية يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا" ورواه النسائي. "الحديث الرابع" قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله يقول:

(يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك).

(فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26) سورة الغاشية (1)).

يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة" تفرد به أحمد من هذا الوجه.

"الحديث الخامس" قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"

قلت: وإن زنى وإن سرق!

قال: "وإن زنى وإن سرق"

قلت: وإن زنى وإن سرق!

قال "وإن زنى وإن سرق" ثلاثا.

ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر"

قال: فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.

وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر. أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به.

وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي ذر قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه إنسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرأني.

فقال: "من هذا" فقلت أبو ذر جعلني الله فداك.

قال: "يا أبا ذر تعال" قال فمشيت معه ساعة.

فقال لي: "إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فجعل يبيته عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا" قال: فمشيت معه ساعة.

فقال لي: "اجلس ههنا" فأجلسني في قاع حوله حجارة.

فقال لي: "اجلس ههنا حتى أرجع إليك".

قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني حتى إذا طال اللبث ثم إنى سمعته وهو مقبل وهو يقول:

"وإن زنى وإن سرق".

قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرة فإنى سمعت أحدا يرجع إليك؟

قال: "ذاك جبريل عرض لي من جانب الحرة فقال:

"بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى، قال: نعم

قلت: وإن سرق وإن زنى، قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى، قال: نعم وإن شرب الخمر". انتهى باختصار.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ) أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما لست عليهم بجبار أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم.

وقال ابن زيد لست بالذي تكرهمهم على الإيمان.

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) سورة الطارق (1)).

7 - وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؛

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل".

ثم قرأ "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر" وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب تفسيرهم من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية.

(إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) أي تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى "فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى".

(فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد أن أبا أمامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله" تفرد بإخراجه الإمام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما ههنا.

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) روى عن أبي أمامة وعنه سعيد بن أبي هلال وقوله تعالى "إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ" أي مرجعهم ومنقلبهم.

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان".

وقال القرطبي في تفسيره: قال مالك في رواية أشهب عنه، وسألته عن قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ": أبلغك أن الوضوء من السرائر؟ قال: قد بلغني ذلك فيما يقول الناس، فأما حديث أحدث به فلا. والصلاة من السرائر، والصيام من السرائر، إن شاء قال صليت ولم يصل. ومن السرائر ما في القلوب؛ يجزي الله به العباد.

قال ابن العربي: قال ابن مسعود يغفر للشهيد إلا الأمانة، والوضوء من الأمانة، والصلاة والزكاة من الأمانة، والوديعة من الأمانة؛ وأشد ذلك الوديعة؛ تمثل له على هيئتها يوم أخذها؛ فيرمي بها في قعر جهنم، فيقال له: أخرجها، فيتبعها فيجعلها في عنقه، فإذا رجا أن يخرج بها زلت منه، فيتبعها؛ فهو كذلك دهر الداهرين.

وقال أبي بن كعب: من الأمانة أن انتمنت المرأة على فرجها. قال أشهب: قال لي سفيان: في الحيضة والحمل، إن قالت لم أحض وأنا حامل صدقت، ما لم تأت بما يعرف فيه أنها كاذبة.

وفي الحديث: غسل الجنابة من الأمانة. وقال ابن عمر: يبدي الله يوم القيامة كل سر خفي، فيكون زينا في الوجوه، وشينا في الوجوه. والله عالم بكل شيء، ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين.

وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ؛

الشرح: الأمن من مكر الله تعالى أو عذابه، أو اليأس من رحمة الله ومغفرته، يخرج الإنسان من دين الإسلام لمخالفة ذلك الاعتقاد النصوص القرآنية، وسبيل الاعتقاد السليم التوسط بينهما **الخوف مع الرجاء، والحذر مع الأمل**:
(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) سورة الأعراف (1).

(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) سورة يوسف (2).
(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (9) سورة الزمر (3).

(1) قال القرطبي في تفسيره: أي عذابه وجزاءه على مكرهم. وقيل: مكره استدراجه بالنعمة والصحة. وقال ابن كثير في تفسيره: "أفأمنوا مكر الله" أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.
(2) قال القرطبي في تفسيره: (يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) هذا يدل على أنه تيقن حياته؛ إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله تعالى الذنب كما في أول القصة، وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه؛ وهو أظهر. والتحسس طلب الشيء بالحواس؛ فهو تفعل من الحس، أي اذهبوا إلى هذا الذهب طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه فاسألوا عنه وعن مذهبه. ويروى أن ملك الموت قال له: اطلبه من هاهنا! وأشار إلى ناحية مصر.
وقيل: إن يعقوب تنبه على يوسف برد البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة؛ فلذلك وجههم سلى جهة مصر دون غيرها.

(وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) أي لا تقنطوا من فرج الله؛ قال ابن زيد، يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة.
وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله. (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس في "الزمر" بيانه إن شاء الله تعالى.
وقال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام إنه ندب بنيهِ على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتجسس يكون في الشر ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لا ييأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.
(3) قال القرطبي في تفسيره: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره... وفي قانت أربعة أوجه: أحدها أنه المطيع؛ قاله ابن مسعود. الثاني أنه

الخاشع في صلاته؛ قاله ابن شهاب. **الثالث** أنه القائم في صلاته؛ قاله يحيى بن سلام. **الرابع** أنه الداعي لربه. وقول ابن مسعود يجمع ذلك.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(كل قنوت في القرآن فهو طاعة لله عز وجل)**. وروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الصلاة أفضل؟ فقال: **(طول القنوت)** وتأوله جماعة من أهل العلم على أنه طول القيام.

وروى عبد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت فقال: ما أعرف القنوت إلا طول القيام، وقراءة القرآن. وقال مجاهد: من القنوت طول الركوع وغض البصر.

وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غضوا أبصارهم، وخضعوا ولم يلتفتوا في صلاتهم، ولم يعبثوا، ولم يذكروا شيئاً من أمر الدنيا إلا ناسين. قال النحاس: أصل هذا أن القنوت الطاعة، فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل، فهذه الأشياء كلها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها.

كما قال نافع: قال لي ابن عمر قم فصل ففقت أصلي وكان علي ثوب خلق، فدعاني فقال لي: أرأيت لو وجهتك في حاجة أكنت تمضي هكذا؟ فقلت: كنت أتزين قال: قاله أحق أن تتزين له.

"آناء الليل" قال الحسن: ساعاته؛ أوله وأوسطه وآخره. وعن ابن عباس: "آناء الليل" جوف الليل. قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه. وقيل: ما بين المغرب والعشاء. وقول الحسن عام.

(يَحْذَرُ الآخِرَةَ) قال سعيد بن جبيرة: أي عذاب الآخرة. **(وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)** أي نعيم الجنة. وروي عن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال: هذا متمن. ولا يقف على قوله: "رحمة ربه" من خفف "أمن هو قانت" على معنى النداء؛ لأن قوله:

"قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" متصل إلا أن يقدر في الكلام حذف وهو أيسر، على ما تقدم بيانه. وسيأتي في الآية التالية.

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) قال الزجاج: أي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي.

وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم.

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أي أصحاب العقول من المؤمنين الذين انتفعوا بعقولهم.

وقال ابن كثير في تفسيره: يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يستوون عند الله كما قال تعالى "ليسوا سواء من أهل الكتاب أما قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون".

وقال تبارك وتعالى ههنا "أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً" أي في حال سجوده وفي حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون.

قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد: "آناء الليل" جوف الليل.

وقال الثوري عن منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره.

(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) سورة السجدة (1)).

وأخرج البخاري - بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبُطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيْمَانٍ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَيُذَكِّرُ عَنِ الْحَسَنِ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا

وقوله تعالى "يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه" أي في حال عبادته خائف راج ولا بد في العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى:

"يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه" فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

كما قال الإمام عبد بن حميد - وأسنده - عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الموت فقال له: "كيف تجدك؟" فقال له: أرجو وأخاف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه" .. ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به قال الترمذي غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا.

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ "أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه".

قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإنما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقرأته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه.) انتهى باختصار.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ثم قال تعالى "تتجافى جنوبهم عن المضاجع" يعني ذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة قال مجاهد والحسن في قوله تعالى:

"تتجافى جنوبهم عن المضاجع" معني بذلك قيام الليل.

وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكر وأبي حازم وقتادة: هو الصلاة بين العشاءين.

وعن أنس أيضاً: هو انتظار صلاة العتمة رواه ابن جرير بإسناد جيد.

وقال الضحاك: وهو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة.

"يدعون ربهم خوفاً وطمعاً" أي خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزييل ثوابه.

"ومما رزقناهم ينفقون" فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم لفخرهم الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

بييت يجافي جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

انتهى باختصار.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(١).

^(١) قال ابن حجر في فتح الباري: (قوله: (باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة وإن كان أكثر ما مضى من الأبواب قد تضمن الرد عليهم، لكن قد يشركهم غيرهم من أهل البدع في شيء منها، بخلاف هذا).

والمُرجئة بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير، لأنهم أخرجوا الأعمال عن الإيمان فقالوا:

الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً، ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول.

ومناسبة إيراد هذه الترجمة عقب التي قبلها من جهة أن اتباع الجنازة مظنة لأن يقصد بها مراعاة أهلها أو مجموع الأمرين، وسياق الحديث يقتضي أن الأجر الموعود به إنما يحصل لمن صنع ذلك احتساباً أي خالصاً، فعقبه بما يشير إلى أنه قد يعرض للمرء ما يعكر على قصده الخالص فيحرم به الثواب الموعود وهو لا يشعر.

فقوله " أن يحبط عمله " أي يحرم ثواب عمله لأنه لا يثاب إلا على ما أخلص فيه. وبهذا التقرير يندفع اعتراض من اعترض عليه بأنه يقوي مذهب الإحباطية الذين يقولون: إن السيئات يبطلن الحسنات.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في الرد عليهم:

القول الفصل في هذا أن الإحباط إحباطان:

- أحدهما: إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان، وذلك

في الجهتين إذهاب حقيقي.

- ثانيهما: إحباط الموازنة إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فمن رجحت

حسانته نجاء، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة:

- إما أن يغفر له وإما أن يعذب.

فالتوقيف إبطال ما، لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار، ففي كل منهما إبطال نسبي أطلق عليه اسم الإحباط مجازاً، وليس هو إحباط حقيقة لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله، وهذا بخلاف قول الإحباطية الذين سوا بين الإحباطيين وحكموا على العاصي بحكم الكافر، وهم معظم القدرية. والله الموفق.

قوله: (وقال إبراهيم التيمي) هو من فقهاء التابعين وعبادهم، وقوله " مكذبا " يروى بفتح الذال يعني خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول، وإنما قال ذلك لأنه كان يعظ الناس. ويروى بكسر الذال وهي رواية الأكثر.

ومعناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل.

وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل فقال:

(كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) فخشي أن يكون مكذباً أي مشابهاً للمكذب، وهذا التعليق

وصله المصنف في تاريخه عن أبي نعيم وأحمد بن حنبل في الزهد عن ابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن إبراهيم المذكور.

قوله: (وقال ابن أبي ملكية.. إلخ) هذا التعليق وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه، لكن أبهم العدد. وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولاً في كتاب الإيمان له، وعينه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه من وجه آخر مختصراً كما هنا، والصحابة الذين أدركهم ابن أبي ملكية من أجلهم عائشة وأختها أسماء

وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص. ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم.

وقال ابن بطال: إنما خافوا لأنهم طالت أعمارهم حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه ولم يقدروا على إنكاره، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت.

قوله: (ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل) أي لا يجزم أحد منهم بعدم عروض النفاق لهم كما يجزم بذلك في إيمان جبريل، وفي هذا إشارة إلى أن المذكورين كانوا قائلين بتفاوت درجات المؤمنين في الإيمان، خلافاً للمرجئة القائلين بأن إيمان الصديقين وغيرهم بمنزلة واحدة. وقد روي في معنى أثر ابن أبي مليكة حديث عن عائشة مرفوع رواه الطبراني في الأوسط لكن إسناده ضعيف.

قوله: (ويذكر عن الحسن) هذا التعليق وصله جعفر الفريابي في كتاب صفة المنافق له من طرق متعددة بألفاظ مختلفة.

وقد يستشكل ترك البخاري الجزم به مع صحته عنه، وذلك محمول على قاعدة ذكرها لي شيخنا أبو الفضل بن الحسين الحافظ رحمه الله، وهي: إن البخاري لا يخص صيغة التمريض بضعف الإسناد، بل إذا ذكر المتن بالمعنى أو اختصره أتى بها أيضاً، لما علم من الخلاف في ذلك، فهنا كذلك وقد أوقع اختصاره له لبعضهم الاضطراب في فهمه فقال النووي "ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق". يعني الله تعالى.

قال الله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان).

وقال: (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون). وكذا شرحه ابن التين وجماعة من المتأخرين، وقرره الكرمانى هكذا، فقال: ما خافه أي ما خاف من الله، فحذف الجار وأوصل الفعل إليه. قلت: وهذا الكلام وإن كان صحيحاً لكنه خلاف مراد المصنف ومن نقل عنه. والذي أوقعهم في هذا هو الاختصار. وإلا فسياق كلام الحسن البصري يبين أنه إنما أراد النفاق، فلنذكره.

قال جعفر الفريابي - وأسنده - عن الحسن: يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق.

وقال أحمد ابن حنبل في كتاب الإيمان: حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام سمعت الحسن يقول: والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق، وما آمنه إلا منافق. انتهى.

وهذا موافق لأثر ابن أبي مليكة الذي قبله وهو قوله "كلهم يخاف النفاق على نفسه". والخوف من الله وإن كان مطلوباً محموداً لكن سياق الباب في أمر آخر، والله أعلم.

قوله: (وما يحذر) هو بضم أوله وتشديد الذال المعجمة ويروى بتخفيفها، وما مصدرية، والجملة في محل جر لأنها معطوفة على خوف، أي باب ما يحذر.

وفصل بين الترجمتين بالآثار التي ذكرها لتعلقها بالأولى فقط، وأما الحديثان فالأول منهما تعلق بالثانية والثاني يتعلق بالأولى على ما سنوضحه، ففيه لف ونشر غير مرتب على حد قوله: (يوم تبيض وجوه) الآية.

8 - ولا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ؛

الشرح: من جحد شيئاً فكأنما أدخل شيئاً مكانه، ولما كان الإسلام كاملاً وتاماً ورضيه الله تعالى، فلا يقبل جحود شيء منه، ولكن ينظر إلى الأمر المجحود: هل كان عقدياً أم تشريعياً؟، ثم ينظر هل ذلك الأمر غير قابل للتأويل، أو هو قابل للتأويل تحتمله اللغة؟، وهل هو مختلف فيه أم مجمع عليه؟، ثم هل إجماعه منقول إلينا بالتواتر، أم بطريق الأحاد؟ ثم هل هو من معلومات الدين بالضرورة؟ أم أمر غير معلوم وغير مشهور؟ وهكذا فلكل حالة حكمها: الدليل القرآني:

(الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) سورة المائدة (1)).

ومراده أيضاً الرد على المرجئة حيث قالوا لا حذر من المعاصي مع حصول الإيمان، ومفهوم الآية التي ذكرها ورد عليهم، لأنه تعالى مدح من استغفر لذنبه ولم يصِرْ عليه، فمفهومه ذم من لم يفعل ذلك. ومما يدخل في معنى الترجمة قول الله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم).

وقوله: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم) وهذه الآية أدل على المراد مما قبلها، فمن أصر على نفاق المعصية خشي عليه أن يفضي به إلى نفاق الكفر.

وكان المصنف لمح بحديث عبد الله بن عمرو المخرج عند أحمد مرفوعاً قال " ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون " أي يعلمون أن من تاب تاب الله عليه ثم لا يستغفرون، قاله مجاهد وغيره.

وللترمذي عن أبي بكر الصديق مرفوعاً: " ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة " إسناد كل منهما حسن.

قول (على التقاتل) كذا في أكثر الروايات وهو المناسب لحديث الباب، وفي بعضها (على النفاق) ومعناه صحيح وإن لم تثبت به الرواية. انتهى.

(1) في هذه الآية رد على حملة التينيس من نصرة الإسلام، وأن الدول الكبرى تملك الآن الأسلحة النووية وغيرها، وقد شاعت رحمة الله أن الذين اخترعوا تلك الأسلحة هم بأيديهم يدمرونها، ويسعون لإلقاء النفايات النووية في بلاد العالم الثالث، فالمسلمون إذا صدقوا الله فإنه ناصرهم وخاذل أعدائهم، ويعيد لهم رهبتهم في أعين أعدائهم.

قال ابن كثير في تفسيره: قوله " اليوم يبس الذين كفروا من دينكم " قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس يعني يئسوا أن يراجعوا دينهم. وكذا روى عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) سورة سورة آل عمران.

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) سورة آل عمران.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) (1) سورة الصف.

وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الشيطان قد ينس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم".

ويحتمل أن يكون المراد أنهم يئسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ولهذا قال تعالى أمرا لعباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا أحدا إلا الله فقال " فلا تخشوهم واخشون " أي لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم واخشوني أنصركم عليهم وأبيدهم وأظفركم بهم وأشف صدوركم منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة.

وقوله " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى:

" وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا " أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى:

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " أي فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله " اليوم أكملت لكم دينكم " وهو الإسلام أخبر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا وقد رضى الله فلا يسخطه أبدا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمات... انتهى باختصار.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (المعنى أي ظلم أشنع من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بآياته. وهذا استفهام بمعنى الجحد؛ أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبذل كلامه وأضاف شيئا إليه مما لم ينزله. وكذلك لا أحد أظلم منكم إذا أنكرتم القرآن وافتريتم على الله الكذب، وهذا مما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم.

وقيل: هو من قول الله ابتداء. وقيل: المفترى المشرك، والمكذب بالآيات أهل الكتاب. انتهى.

(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108) سورة البقرة (1)).

أما جزاء الجحود فهو:

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) سورة الأنعام (2)).

(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51) سورة الأعراف (3)).

وقال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام أي لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين.) انتهى.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم" أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه، فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة. ولهذا جاء في الصحيح "إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله"

قال الله تعالى "ومن يتبدل الكفر بالإيمان" أي من يشتر الكفر بالإيمان "فقد ضل سواء السبيل" أي فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال.

وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار" وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالرخاء.) انتهى باختصار.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مسلما لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه "قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون" أي قد أحطنا علما بتكذيبهم ولك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" كما قال تعالى في الآية الأخرى:

"لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين".

"فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا".

وقوله "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" أي لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر. "ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" أي ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصورهم كما قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله:

"فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" رواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه... انتهى باختصار.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهوا ولعبا، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها؛ عما أمروا به من العمل للآخرة.

(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)
(59) سورة هود (1).

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71) سورة النحل (2).

وقوله "فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا" أي يعاملهم معاملة من نسأهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينسأ كما قال تعالى "في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى".
وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله "نسأ الله فنسأهم".
وقال "كذلك أتتكم آياتنا فنسأيتها وكذلك اليوم تنسى" وقال تعالى "وقيل اليوم ننسأكم كما نسأتم لقاء يومكم هذا".

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله "فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا" قال: نسأهم الله من الخير ولم ينسأهم من الشر.
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا، وقال مجاهد: نتركهم في النار.

وقال السدي: نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.
وفي الصحيح: أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: (ألم أزوجهك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ وأدرك ترأس وتربع؟) فيقول: بلى، فيقول: (أظننت أنك ملاقي؟) فيقول: لا، فيقول الله تعالى: (فاليوم أنسأكم كما نسأتمني). انتهى باختصار.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: "وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم" كفروا بها وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به؛ فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل:

"واتبعوا أمر كل جبار عنيد" تركوا اتباع رسولهم الرشيد واتبعوا أمر كل جبار عنيد.
(2) قال ابن كثير في تفسيره: يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه الله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبادة له كما كانوا يقولون في تلبيتهم في حجهم: لبك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. فقال تعالى منكرأ عليهم أنتم لا ترضون أن تسأوا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيد له في الإلهية والتعظيم كما قال في الآية الأخرى:

"ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم" الآية.

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول: لم يكونوا ليشركوا عبيدكم في أموالهم ونسأهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله:

"أفبنعمة الله يجحدون" وقال في الرواية الأخرى عنه فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم.
وقال مجاهد: في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لأنفسك هذا فالله أحق أن ينزهه منك.

وقوله "أفبنعمة الله يجحدون" أي أنهم جعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره.

(وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) سورة النمل (1)).

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) (2) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) سورة العنكبوت (3)).

وعن الحسن البصري قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري: واقنع برزقك من الدنيا فإن الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلا فيبتلي من بسط له كيف شكره الله، وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله. رواه ابن أبي حاتم.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: "وجدوا بها" أي في ظاهر أمرهم "واستيقنتها أنفسهم" أي علموا في أنفسهم أنها حق عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها "ظلمًا وعلوًّا" أي ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلوا أي استكبارا عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى: "فانظر كيف كان عاقبة المفسدين" أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون لمحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى، بما آتاه الله من الدلائل المقتربة بوجوده: في نفسه وشماله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جرير يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب وهذا الذي قاله حسن ومناسبته وارتباطه جيد وقوله تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به" أي الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأنكباء كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما.

وقوله تعالى "ومن هؤلاء من يؤمن به" يعني العرب من قريش وغيرهم. "وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون" أي ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستتر الحق بالباطل. ويغطي ضوء الشمس بالوصائل وهيهات.

(3) قال ابن كثير في تفسيره: قال الله تعالى "قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض" الآية وقال ههنا:

"بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم"

أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرا ونهيا وخبرا يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسير كما قال تعالى:

"ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر".

وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى:

"إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا".

أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل لأنه قد جاء في الحديث الآخر:

"لو كان القرآن في إهاب ما أحرقتة النار" ولأنه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيم على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء في الكتب المقدسة صفة هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم.

(وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32) سورة لقمان (1).
(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) سورة فصلت (2).

واختار ابن جرير أن المعنى في قوله تعالى "بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" بأن العلم: بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

ونقله عن قتادة وابن جريج وحكى الأول عن الحسن البصري فقط.
قلت: وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الأظهر والله أعلم.

وقوله تعالى: "وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"

أي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه كما قال تعالى:

"إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم".

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ثم قال تعالى "وإذا غشيهم موج كالظلل" أي كالجبال والغمام.

"ادعوا الله مخلصين له الدين" كما قال تعالى:

"وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه".

وقال تعالى "فإذا ركبوا في الفلك" الآية.

قال تعالى: "فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد"

قال مجاهد: أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد، كما قال تعالى:

"فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون".

وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل، وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد" الآية.

فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل، ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال، والأمور العظام، والآيات الباهرات في البحر، ثم بعد ما أنعم عليه بالخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدعوى في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقتصراً والحالة هذه والله أعلم.

وقوله تعالى "وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور"

فالختار: هو الغدار قاله مجاهد والحسن وقاتدة ومالك عن زيد بن أسلم، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والختار أتم الغدر وأبلغه.

وقوله "كفور" أي جحد للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها. انتهى باختصار.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: قال الله تعالى "فأما عاد فاستكبروا في الأرض" أي بغوا وعتوا وعصوا.

"وقالوا من أشد منا قوة" أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله.

"أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة" أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة، فإنه العظيم الذي خلق الأشياء، وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد.

كما قال عز وجل: "والسمااء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون"

(ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28) سورة فصلت.

(وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26) سورة الأحقاف (1).

فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته، وعصوا رسله.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطيكم مثله ولا قريبا منه.

"وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون".

أي وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به، ويستبعدون وقوعه، أي فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم، فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث

الإيمان بالله تعالى (1)

أولاً - الإيمان بتوحيد الله تعالى

1 - الدليل القرآني على وجود الله تعالى:

2 - الدليل القرآني على وحدانية الله تعالى:

ثانياً - الإيمان بصفات الله تعالى

المبحث الأول - الإيمان بالصفات السلبية لله تعالى؛ وهي تستلزم ثبوت الكمال لله تعالى.

المبحث الثاني الإيمان بما يستحيل على الله تعالى من الصفات الحادثة.

المبحث الثالث - قواعد الإيمان بصفات الله تعالى.

المبحث الرابع - الإيمان بصفات الذات.

المبحث الخامس - الإيمان بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء؛ واستحالة أن يحيط به شيء.

المبحث السادس - الإيمان بأن العرش والكرسي حق.

المبحث السابع - الإيمان بصفات الأفعال.

المبحث الثامن - الإيمان بالقرآن كلام الله تعالى.

المبحث التاسع - الإيمان برؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة بلا كيفية.

(1) بعد أن تعرفنا على أركان الإيمان، وأصل الإيمان الإجمالي، والحد الفاصل بين الكفر والإيمان، ندخل في شرح أصل الإيمان التفصيلي.

الفصل الثالث

الإيمان بالله تعالى

أولاً - الإيمان بتوحيد الله تعالى

نقول في توحيد الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ:

1 - إن الله واحد؛

1 - الدليل القرآني على وجود الله تعالى:

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) سورة النحل (1)).
(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) سورة الأنعام (2)).

(١) قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: "أفمن يخلق" هو الله تعالى. "كمن لا يخلق" يريد الأصنام. "أفلا تذكرون" أخبر عن الأوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع. كما يخبر عن يعقل على ما تستعمله العرب في ذلك؛ فإنهم كانوا يعبدونها فذكرت بلفظ "من" كقوله: "ألهم أرجل" الأعراف: 195].

وقيل: لاقتران الضمير في الذكر بالخالق. قال الفراء: هو كقول العرب: اشتبه علي الراكب وجمله فلا أدري من ذا ومن ذا؛ وإن كان أحدهما غير إنسان.

قال المهدوي: ويسأل بـ"من" عن البارئ تعالى ولا يسأل عنه بـ"ما"؛ لأن "ما" إنما يسأل بها عن الأجناس، والله تعالى ليس بذي جنس، ولذلك أجاب موسى عليه السلام حين قال له: "فمن ربكما يا موسى" [طه: 49].

ولم يجب حين قال له: "وما رب العالمين" [الشعراء: 23] إلا بجواب "من" وأضرب عن جواب "ما" حين كان السؤال فاسداً.

ومعنى الآية: من كان قادراً على خلق الأشياء المتقدمة الذكر؛ كان بالعبادة أحق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع:

"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه" [لقمان: 11].

"أروني ماذا خلقوا من الأرض" [فاطر: 40].

(٢) قال القرطبي في تفسيره: (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) علم أنه ليس بربه. "فلما رأى القمر بازغاً" [الأنعام: 77] ونظر إلى ضوئه "قال هذا ربي فلما أفل قال لنن لم يهديني ربي أكونن من القوم الضالين" [الأنعام: 77].

"فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي" [الأنعام: 78] وليس هذا شركاً. إنما نسب ذلك الضوء إلى ربه، فلما رآه زائلاً، دله العلم على أنه غير مستحق لذلك؛ فنفاه بقلبه وعلم أنه مربوب وليس برب.

وقيل: إنما قال "هذا ربي" لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم؛ فلما أفل النجم قرر الحجة وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون رباً. وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها.

وقال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل:

(لو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) سورة الأنبياء (1).
(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91) سورة المؤمنون (2).

"نور على نور" [النور: 35]
قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل، ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نوراً على نور؛ وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه، واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له رباً وخالقاً.
فلما عرفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: "أتحاجوني في الله وقد هدان" [الأنعام: 80]. وقيل: هو على معنى الاستفهام والتوبيخ، منكرًا لفعلهم.
والمعنى: أهذا ربي، أو مثل هذا يكون ربا؟ فحذف الهمزة. وفي التنزيل "أفإن مت فهم الخالدون" [الأنبياء: 34] أي أفهم الخالدون.
وقيل: المعنى هذا ربي على زعمكم؛ كما قال تعالى: "أين شركائي الذين كنتم تزعمون" [القصص: 74]. وقال: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" [الدخان: 49] أي عند نفسك.
وقيل: المعنى أي وأنتم تقولون هذا ربي؛ فأضمر القول، وإضماره في القرآن كثير.
وقيل: المعنى في هذا ربي؛ أي هذا دليل على ربي. انتهى.
وقال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى "فلما جن عليه الليل" أي تغشاه وستره "رأى كوكبا" أي نجما "قال هذا ربي فلما أفل" أي غاب.
قال محمد بن إسحاق بن يسار: الأفل الذهاب، وقال ابن جرير: يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً وأفلاً: إذا غاب، ويقال: أين أفلت عنا؟ بمعنى أين غبت عنا.
قال "لا أحب الأفلين" قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول. انتهى باختصار.
(أ) قال القرطبي في تفسيره: أي لو كان في السموات والأرضين آلهة غير الله معبودون لفسدنا.
قال الفراء: "إلا" هنا في موضع سوى، والمعنى: لو كان فيهما آلهة سوى الله لفسد أهلها.
وقال غيره: أي لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير؛ لأن أحدهما إن أراد شيئاً والآخر ضده كان أحدهما عاجزاً.
وقيل: معنى "الفسدنا" أي خربنا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء. انتهى.
(ب) قال ابن كثير في تفسيره: ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى:
" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متنسق، كل من العالم العلوي والسفلي، مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال.
" ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت " ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض.

(سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) سورة فصلت (1)).

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10) سورة إبراهيم).

2 - الدليل القرآني على وحدانية الله تعالى:

(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) سورة الزمر (2))

والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التماثل وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً، فأراد واحد تحريك جسم، والآخر أراد سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزاً، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد، فيكون محالاً، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكناً، لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً، ولهذا قال تعالى:

" ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون " أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً. انتهى.

(أ) قال ابن كثير في تفسيره: قوله تعالى: "سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم" أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدلائل خارجية "في الأفاق" من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم، وسائر الأديان.

قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل "في أنفسهم" قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها، ولا يتعدها.

وقوله تعالى "حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" أي كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال "لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه" الآية. انتهى.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: "لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء" أي لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال عز وجل:

"لو أردنا أن نتخذ لهم واتخذنا من لدنا إن كنا فاعلين"، "قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين".

كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. وقوله تعالى "سبحانه هو الله الواحد القهار" أي تعالى وتنزهه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء، فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. انتهى.

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) سورة ص (1)
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) سورة الإخلاص (2)

(1) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله، المشركين به، المكذبين لرسوله، إنما أنا منذر لست كما تزعمون "وما من إله إلا الله الواحد القهار" أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: سورة الإخلاص: "ذكر سبب نزولها وفضلها" قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد انسب لنا ربك؟ فأنزل الله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع.

زاد ابن جرير والترمذي قال "الصمد" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث.

"ولم يكن له كفوا أحد" ولم يكن له شبيه ولا عدل (ليس كمثله شيء) (11) [سورة الشورى]. حديث آخر في فضلها" قال البخاري - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال "سلوه لأي شيء يصنع ذلك".

فسألوه فقال: "لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها".

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله تعالى يحبه" هكذا رواه في كتاب التوحيد وقد رواه مسلم والنسائي..

قال البخاري - وأسنده - عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد" يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة " قال الإمام مالك بن أنس - وأسنده عن أبي هريرة يقول: أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وجببت - قلت: وما وجبت - قال: "الجنة" ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك.

وقال عكرمة: لما قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله،

وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله،

وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر،

وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان،

أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم "قل هو الله أحد" يعني هو: الواحد؛ الأحد؛ الذي لا نظير له؛ ولا وزير؛ ولا نديد؛ ولا شبيه؛ ولا عدل؛ ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

ثانياً - الإيمان بصفات الله تعالى
المبحث الأول - الإيمان بالصفات السلبية لله تعالى
وهي تستلزم ثبوت الكمال لله تعالى (1)

1 - لا شريك له؛

- آ - مناقشة المشركين وإبطال شريك الباري سبحانه وتعالى:
ب - تنزيه الله تعالى عن الشريك:
ج - أمر الله تعالى بعدم اتخاذ الشريك:
د - خلود المشرك في نار جهنم:
هـ - لا طاعة لأحد يأمر بالشرك بالله تعالى:

- 2 - ولا شيء مثله؛
3 - ولا شيء يعجزه (مُعْجَزُهُ ب)؛
4 - لا إله غيره؛
5 - ليس في معناه أحد من البرية؛
6 - لا يفنى ولا يبيد؛
7 - لا تبلُّغُه الأوهام؛
8 - ولا تُدرِّكه الأفهام؛
9 - ولا يُشَبِّهه (ولا يشبهه - ب) الأنام؛
10 - لا يحتاج إلى شيء؛
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (11) [سورة الشورى]؛

(1) قال أستاذنا الشيخ عناية الله إبلاغ حفظه الله في صحة وعافية: وهي الصفات المنفية عن الله تعالى، لكن يستلزم من ثبوتها إثبات الكمال لله تعالى، وإلا فقد يتفق النفي عن الله تعالى وغيره؛ إلا أنه بالنسبة لله تعالى يستلزم الكمال، وبالنسبة لغير الله تعالى يستلزم النقص. القاعدة فيها أن كل سلب إذا كان راجعاً إلى الثبوت يستلزم صفة الكمال.
والمثال في ذلك - كما ذكره علماء العقائد - في قضية الرؤية والرد على المعتزلة، المستدلين على عدم الرؤية بقوله تعالى: " لا تُدرِّكه الأبصار " وطريق استدلال أهل السنة والجماعة: أن هذه الآية فيها صفة السلب (أي تسلب من العقل معنى وتثبت آخر).
والصفات السلبية لا تعتبر صفات الكمال إلا إذا كانت مستلزماً للصفات الثبوتية الكمال، لأن السلب من حيث السلب ليس كمالاً.
ويقولون في قوله تعالى: " لا تُدرِّكه الأبصار " تستلزم الثبوت؛ وهو: أنه يرى ولا يُدرِّك، فكونه مرئياً يرجع إليه صفة السلب في قوله تعالى: " لا تُدرِّكه الأبصار ". انظر شرح أبي العز.

ثانياً - الإيمان بصفات الله تعالى
المبحث الأول - الإيمان بالصفات السلبية لله تعالى؛
وهي تستلزم ثبوت الكمال لله تعالى

1 - لا شريك له؛

أ - مناقشة المشركين وإبطال شريك الباري سبحانه وتعالى:
الدليل القرآني:

(أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) سورة الأعراف (1)
(يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ أُزْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) سورة
يوسف (2)).

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا
يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ

١) قال ابن كثير في تفسيره: هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد
والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله، مربية مصنوعة لا تملك شيئاً من الأمر، ولا تضر ولا تبصر
ولا تنتصر لعبادها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم
وبصرهم وبطشهم، ولهذا قال "أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون" أي أتشركون به من
المعبودات ما لا يخلق شيئاً، ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى:

"يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له
وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله
لقوي عزيز" أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً
من حقير المطاعم وطار، لما استطاعوا إنفاذه منها، فمن هذه صفته وحاله، كيف يعبد ليرزق
ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى:

"لا يخلق شيئاً وهم يخلقون" أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل "أتعبدون ما تنحتون"
(الآية). انتهى.

٢) قال ابن كثير في تفسيره: ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتبين بالمخاطبة والدعاء لهما، إلى
عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدونها قومه، فقال: "أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار" أي الذي دل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه.
وقال القرطبي في تفسيره: وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من
دون الله تعالى، فقال ذلك إلزاماً للحجة؛ أي آلهة شتى لا تضر ولا تنفع.
"خير أم الله الواحد القهار" الذي قهر كل شيء. نظيره: "الله خير أما يشركون" [النمل: 59].
وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله، لتفرقوا في الإرادة، ولعلا بعضهم على بعض، وبين أنها إذا
تفرقت لم تكن آلهة.

كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) سورة الرعد (1).
 (قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) سورة الكهف (2).
 (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) سورة الكهف (3).

(أ) قال ابن كثير في تفسيره: (يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو، لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومديرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعاً ولا ضرراً، أي لا تحصل لهم منفعة، ولا تدفع عنهم مضرة، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله؛ ومن عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه؟. ولهذا قال " قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم "

أي أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب، وتمثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره، أي ليس الأمر كذلك، فإنه لا يتشابه شيء، ولا يماثله؛ ولا ند له؛ ولا عدل له؛ ولا وزير له؛ ولا ولد؛ ولا صاحبة " تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ". وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة، هم معترفون أنها مخلوقة له، عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه: " ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " " وكم من ملك في السموات " الآية

وقال " إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فرداً "

فإذا كان الجميع عبيداً، فلم يعبد بعضهم بعضاً؟ بلا دليل ولا برهان، بل مجرد الرأي والاختراع والابتداع، ثم قد أرسل رسوله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة: " ولا يظلم ربك أحداً ".

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله " أبصر به وأسمع " أي أنه لبصير بهم سميع لهم. قال ابن جرير: وذلك في معنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

ثم روى عن قتادة في قوله: " أبصر به وأسمع " فلا أحد أبصر من الله، ولا أسمع.

وقال ابن زيد: " أبصر به وأسمع " يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعاً بصيراً.

وقوله: " ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً " أي أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر، الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير، ولا نصير؛ ولا شريك؛ ولا مشير تعالى وتقدس. انتهى.

(ج) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز " أكفرت بالذي خلقك من تراب " الآية.

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ
ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) (1)

وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه، وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى:

"كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم" الآية

أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً، ثم وجد، وليس وجوده من نفسه، ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات، لأنه بمثابة، فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء، ولهذا قال المؤمن:

"لكننا هو الله ربي" أي لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية "ولا أشرك بربي أحداً" أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له. انتهى.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: "أمن خلق السموات" أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، والنجوم الزاهرة، والأفلاك الدائرة، وخلق الأرض في استفالها وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار والفيافي والقفار والزروع والأشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك.

وقوله تعالى: "وأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" أي جعله رزقاً للعباد "فأنبتنا به حدائق" أي بساتين "ذات بهجة" أي منظر حسن وشكل حسن وشكل بهي.

"ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" أي لم تكونوا تقدر على إنبات أشجارها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك، المتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما اعترف به هؤلاء المشركون.

كما قال تعالى في الآية الأخرى "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" "ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله".

أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق.

ولهذا قال تعالى: "أإله مع الله؟" أي أإله مع الله يعبد؟، وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضاً، أنه الخالق الرازق.

ومن المفسرين من يقول معنى قوله: "أإله مع الله" فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول، لأن تقدير الجواب: أنهم يقولون: ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به، فيقال: فكيف يعبدون معه غيره؟ وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى "أفمن يخلق كمن لا يخلق" الآية.

وقوله تعالى ههنا "أمن خلق السموات والأرض" "أمن" في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر، لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك.

وقد قال الله تعالى "الله خير أم ما يشركون؟" ثم قال في الآية الأخرى "بل هم قوم يعدلون" أي يجعلون لله عدلاً ونظيراً.

وهكذا قال تعالى "أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه" أي أمن هو هكذا كمن ليس كذلك؟

ولهذا قال تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب"،

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) (1) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

"أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين".

وقال تعالى "أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت" أي أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيقته، كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله؟ ولهذا قال "وجعلوا لله شركاء قل سموهم" وهكذا هذه الآيات الكريكات كلها. انتهى.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: ("أمن جعل الأرض قراراً" أي قارة ساكنة ثابتة؛ لا تميد ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالى في الآية الأخرى:

"الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً" "وجعل خلالها أنهاراً"

أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقها في خلالها وصرفها فيها، ما بين أنهار كبار وصغار، وبين ذلك وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، بحسب مصالح عباده، في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض، وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه.

"وجعل لها رواسي" أي جبالاتاً شامخة ترسي الأرض وتثبتها، لئلا تميد بكم:

"وجعل بين البحرين حاجزاً" أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً؛ أي مانعاً يمنعها من الإختلاط؛ لئلا يفسد هذا بهذا؛ وهذا بهذا؛ فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالاً يسقي الحيوان والنبات والثمار منها، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاجاً لئلا يفسد الهواء بريحتها.

كما قال تعالى: "وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً" ولهذا قال تعالى: "إله مع الله؟" أي فعل هذا أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح "بل أكثرهم لا يعلمون" أي في عبادتهم غيره.

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل:

كما قال تعالى: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه" وقال تعالى: "ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون" وهكذا قال ههنا "أمن يجيب المضطر إذا دعاه" أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه:

قال الإمام أحمد - وأسند - عن رجل من بلهجوم قال: قلت: يا رسول الله إلام تدعو؟ قال: "أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن أضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك" قال: قلت: أوصني.

قال "لا تسبب أحداً ولا ترهق في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعيبين، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة".

أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) (1) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) (2) سورة النمل.

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فنذكر اسم الصحابي - وأسنده - عن جابر بن سليم الهجيمي وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقاً، وعندهما طرف صالح منه. انتهى باختصار.

وقوله تعالى: "وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ" أي يخلف قرناً لقرن قبلهم وخلفاً لسلف: كما قال تعالى: "إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" وقال تعالى "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ" وقال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية "وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ".

أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل، وقوماً بعد قوم ولو شاء لأوجدتهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض، ولكن لا يميّز أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض، وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذراهم في الأرض ويجعلهم قرون بعد قرون وأما بعد أمم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عداً ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله.

ولهذا قال تعالى: "أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ". أي يقدر على ذلك أو أله مع الله يعبد؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له؟ "قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ" أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدكم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم. انتهى. (أ) قال ابن كثير في تفسيره: ("أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" أي بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال تعالى: "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ".

وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" الآية. "وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجذبين الأزلين القنطين "أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ".

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: (أي هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية الأخرى "إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لِشَدِيدٍ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ".

وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ".

"وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض، كما قال تعالى: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ".

وقال تعالى: "يَعْلَمُ مَا يُلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا".

فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مبارك فيسلكه ينابيع في الأرض، ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزهار وغير ذلك من ألوان شتى "كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى".

ولهذا قال تعالى "أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ؟؟" أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ" على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى "إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" في ذلك وقد علم أنه لاجبة لهم ولا برهان كما قال تعالى:

(الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمينكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (40) سورة الروم (1).
 قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (27) سورة سبأ (2).

(قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً (40) سورة فاطر (3).
 (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل

"ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون".
 (١) قال ابن كثير في تفسيره: قوله عز وجل "الله الذي خلقكم ثم رزقكم" أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأموال والمكاسب.
 كما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن حبة وسواء ابني خالد قالوا: دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئاً، فأعناه، فقال: "لا تياساً من الرزق، ما تهزئت رؤسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عز وجل".
 وقوله تعالى "ثم يمينكم" أي بعد هذه الحياة "ثم يحييكم" أي يوم القيامة.
 وقوله تعالى "هل من شركائكم" أي الذين تعبدونهم من دون الله.
 "من يفعل من ذلكم من شيء" أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله :
 "سبحانه وتعالى عما يشركون" أي تعالى وتقدس وتنزه وتعظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.
 (٢) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تبارك وتعالى: "قل أروني الذين ألحقتم به شركاء" أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً.
 "كلا" أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عدل ولهذا قال تعالى:
 "بل هو الله". أي الواحد الأحد الذي لا شريك له.
 "العزيز الحكيم" أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً والله أعلم.
 (٣) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين "أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله" أي من الأصنام والأنداد.
 "أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات" أي ليس لهم شيء من ذلك ما يملكون من قاطع
 وقوله "أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه" أي أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك.
 "بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً" أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29) سورة الزمر (1).
 (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ
 لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) سورة الشورى (2).
 (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
 فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْنِسُوا بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4)
 سورة الأحقاف (3).

١) قال ابن كثير في تفسيره: ثم قال تعالى "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" أي
 يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم.

"ورجلا سلما" أي سالما "الرجل" أي خالصا لا يملكه أحد غيره "هل يستويان مثلاً؟" أي لا يستوي
 هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا
 شريك له فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص.
 ولما كان هذا المثل ظاهراً بيناً جلياً قال "الحمد لله" أي على إقامة الحجة عليهم "بل أكثرهم لا
 يعلمون" أي فلماذا يشركون بالله.

٢) قال ابن كثير في تفسيره: قوله جل وعلا "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ"
 أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس؛
 من تحريم ما حرموا عليهم؛ من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار
 إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل
 والتحریم، والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر
 قصبه في النار" لأنه أول من سيب السوائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل
 هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه.

ولهذا قال تعالى "ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم" أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنظار إلى
 يوم المعاد "وإن الظالمين لهم عذاب أليم" أي شديد موجه في جهنم وبئس المصير.

٣) قال ابن كثير في تفسيره: ثم قال تعالى "قل" أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره: "أَرَأَيْتُمْ مَا
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْنِسُوا
 بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4) سورة الأحقاف (3).

"أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ" أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير،
 إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل، فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به؟ من أرشدكم إلى هذا؟
 من دعاكم إليه؟ أم هو أمركم به؟ أم هو شيء اقترحاتموه من عند أنفسكم؟

ولهذا قال: "انتوني بكتاب من قبل هذا" أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة
 والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام.

"أو أثارة من علم" أي دليل بين علي هذا المسلك الذي سلكتموه "إن كنتم صادقين" أي لا دليل لكم لا
 نقليا ولا عقليا على ذلك.

ولهذا قرأ آخرون أو أثرة من علم أي أو علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم كما.

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41) القلم () .
 وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
 مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا (111) سورة الإسراء (1).
 (الذي له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
 وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
 يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا
 (3) سورة الفرقان.

ب - تنزيه الله تعالى عن الشريك:

الدليل القرآني:

(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (100) (2) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ

قال مجاهد في قوله تعالى "أو أثارة من علم" أو أحد يأثر علماً، وقال العوفي عن ابن عباس أو بينة من الأمر.) انتهى باختصار.

(أ) قال ابن كثير تفسيره: وقوله "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن" أي ليس بدليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له.

قال مجاهد في قوله "ولم يكن له ولي من الدن" لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد.

"وكبره تكبيرا" أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا قال ابن جرير - وأسند - عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا" الآية.

قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابنون والمجوس: لولا أولياء الله لذل فأنزل الله هذه الآية "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا"

وقال أيضا - وأسند - عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية "الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا" الآية الصغير من أهله والكبير.

قلت: وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصبيه سرق أو آفة والله أعلم.) انتهى باختصار.

(م) قال ابن كثير في تفسيره: هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا به في عبادته، أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء له في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل: فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب: أنهم ما عبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك كقوله:

"إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدمهم ويمنيهم وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا".

تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) سورة الأنعام.

(قال لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَاصَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَاصَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يوسف.

(أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

وكقوله تعالى "أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني" الآية. وقال إبراهيم لأبيه "يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً".

وكقوله: "ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم".

وتقول الملائكة يوم القيامة "سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون".

ولهذا قال تعالى "وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم" أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده لا شريك له فكيف يعبد معه غيره؟، كقول إبراهيم: "أتعبدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون".

ومعنى الآية أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له.

وقوله تعالى "وخرقوا له بنين وبنات بغير علم" ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا، كما زعم من قاله من اليهود في عزيز، ومن قال من النصارى في عيسى، ومن قال من مشركي العرب في الملائكة أنها بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومعنى خرقوا: أي اختلقوا وانتفكوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف..

قال ابن جرير: وتأويله إذا جعلوا لله الجن شركاء في عبادته إياهم، وهو المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير.

"وخرقوا له بنين وبنات بغير علم" بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبِعَظَمَتِهِ، فإنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات، ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال:

"سبحانه وتعالى عما يصفون" أي تقدر وتنزه وتعظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء. انتهى باختصار.

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) سورة النحل.

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) سورة الحج.

(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) سورة المؤمنون.

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70) سورة القصص.

ج - أمر الله تعالى بعدم اتخاذ الشريك:

الدليل القرآني:

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) سورة النساء.

(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبُ (36) سورة الرعد.

(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) سورة الأنعام.

(قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) سورة الأنعام.
 (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) سورة الكهف.
 (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) سورة الحج.
 (وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) سورة لقمان.
 (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) سورة الزمر.
 (أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43) سورة الطور.
 (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) سورة الحشر.

د - خلود المشرك في نار جهنم:

الدليل القرآني:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) سورة النساء.
 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) سورة النساء.
 (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) سورة المائدة.

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) سورة الكهف.
 (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) سورة الزمر.

هـ - لا طاعة لأحد يأمر بالشرك بالله تعالى:

الدليل القرآني:

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (8) سورة العنكبوت.
(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15) سورة لقمان.

2 - ولا شيء مثله؛

الدليل القرآني:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) سورة الشورى.
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (1) (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

(1) (والصمد الذي لم يلد ولم يولد، قال الحافظ ابن كثير: قال الربيع بن أنس: (الصمد) هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له وهو قوله لم يلد ولم يولد، وهو تفسير جيد... وقال البخاري في صحيحه باب قوله: (الله الصمد) والعرب تسمى أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: السيد الذي انتهى سؤده انتهى.

قال العيني أشار بهذا إلى أن معنى: (الصمد) عند العرب الشرف ولهذا يسمون رؤساءهم الأشراف بالصمد، وعن ابن عباس هو: السيد الذي قد كمل فيه أنواع الشرف والسؤدد. وقيل هو السيد المقصود في الحوائج تقول العرب صمدت فلاناً أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته، والمصمود صمد، ويقال: بيت مصمود ومصمد: إذا قصده الناس في حوائجهم انتهى.

وقال الخازن قال ابن عباس: (الصمد) الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين، ووجه ذلك من حيث اللغة أن (الصمد) الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة، ومنه يقال: لسداد القارورة الصمد فإن فسر (الصمد) بهذا كان من صفات الأجسام، ويتعالى الله عز وجل عن صفات الجسمية.

وقيل وجه هذا القول أن (الصمد): الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله:

(الله الصمد) التنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الإلهية وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام).

وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: (الصمد) هو السيد الذي انتهى سؤده، وهي رواية عن ابن عباس أيضاً قال: هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السؤدد.

أَحَدُ (4) سورة الإخلاص.

أمثلة من اعتماد السلف الصالح على التأويل والسلف الطالح على التجسيم:

المثال الأول

أورد الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عند قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) قال: يقول تعالى ذكره (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**) قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد.

ثم قال: ذُكِرَ من قال ذلك وأسنده ابن جرير:

- عن ابن عباس (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**) قال: هو يوم حرب وشدة، وقال أيضاً: عن أمر عظيم كقول الشاعر: وقامت الحربُ بنا على ساقٍ، وقال أيضاً: حين يكشف الأمر، وتبدو الأعمال، وكشفه: دخول الآخرة وكشف الأمر عنه، وقال أيضاً: هو الأمر الشديد المفضع من الهول يوم القيامة.

وعن سعيد بن جبير، قال: عن شدة الأمر، وعن عكرمة، قال: هو يوم كرب وشدة. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: (**يوم يكشف عن ساقٍ**) بمعنى: يوم تكشف القيامة عن شدة شديدة، والعرب تقول: كشف هذا الأمر عن ساقٍ: إذا صار إلى شدة؛ ومنه قول الشاعر: كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح.

وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه صفي الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب.

وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السؤدد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والإحسان.

وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي.

وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال.

والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصفات العليا (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [سورة الشورى]. انتهى ما في الخازن مختصراً.

لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت الخ هذا دليل لقوله (لم يولد) ولا عدل بكسر العين وسكون الدال أي (مثل) انظر تحفة الأحوذى 211/9.

وذكر الإمام ابن الجوزي عن عاصم بن كليب قال: رأيت سعيد بن جبير غضب، وقال: يقولون يكشف عن ساقه، وإنما ذلك من أمر شديد. دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

وجاء في تفسير الإمام أبو حيان التوحيدي (322/10) وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية (401/6) **عن الإمام مجاهد قال:** هي أول ساعة من يوم القيامة، وهي أفضعها .

وجاء في تفسير مقاتل (122/4) قال مقاتل: وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)، يعنى عند شدة الآخرة، كقوله: قامت الحرب على ساق، قال: يكشف عن غطا الآخرة وأهوالها

وجاء في الدرر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (255/8) وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مندة عن مجاهد في قوله: يوم يكشف عن ساق قال: عن شدة الأمر وجده قال: وكان ابن عباس يقول: هي أشد ساعة تكون يوم القيامة.

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن **ابن عباس أنه قرأ يوم يكشف عن ساق قال: يريد القيامة والساعة لشدها .**

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله: (يوم يكشف عن ساق) قال: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مندة من طريق عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ " يوم يكشف عن ساق " بفتح التاء قال أبو حاتم السجستاني: أي تكشف الآخرة عن ساقها يستبين منها ما كان غائبا.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مندة من طريق عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ " يوم يكشف عن ساق " بفتح التاء قال أبو حاتم السجستاني: أي تكشف الآخرة عن ساقها يستبين منها ما كان غائبا

وجاء في تفسير الإمام القرطبي الجامع لآيات الأحكام (248/18) وقرئ "يوم يكشف"

"وقرأ " ابن عباس " يوم تكشف عن ساق " بتاء مسمى الفاعل، أي تكشف

الشدة

أو

القيامة.

عن ساقها، كقولهم: شمّرت الحرب عن ساقها.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج 8 ص 846: (وله باب يوم يكشف عن ساق).

أخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعا في قوله يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يوم يكشف عن ساق قال عن شدة أمر وعند الحاكم من طريق عكرمة عن بن عباس قال هو يوم كرب وشدة قال الخطابي فيكون المعنى يكشف عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والكرب وذكر غير ذلك من التأويلات كما سيأتي بيانه عند حديث الشفاعة مستوفى في كتاب الرقاق أن شاء الله تعالى ووقع في هذا الموضع يكشف ربنا عن ساقه وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال في قوله عن ساقه نكرة ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ يكشف عن ساق قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء. اهـ

وقال ابن جرير في قوله: (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) سورة القلم، يقول: ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك.

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي (ت 371 هـ): **(لا يُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ ذُو أَعْضَاءٍ وَجَوَارِحٍ لِّمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُّشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))** (1).

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: العرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها، كقولهم: رغم أنفه، وسقط في يده. (2).

أو قولهم: ما لي بهذا الأمر يدان، أو شمّر عن ساعد الجدّ وشمّرت الحرب عن ساقها

(١) فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني ، جزء 8 / ص 858 عند شرح الحديث رقم 4919.

(٢) فتح الباري، ج8/471.

قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: **" يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ "** (الآية 42 من سورة القلم):

(والكشف عن ساق: مثل لشدة الحال وصعوبة الخطب والهول، وأصله أن المرء إذا هلع أن يسرع في المشي ويشمر ثيابه فيكشف عن ساقه كما يقال: شمر عن ساعد الجد، وأيضاً كانوا في الروع والهزيمة تشمر الحرائر عن سوقهن في الهرب أو في العمل فتتكشف سوقهن بحيث يشغلهن هول الأمر عن الاحتراز من إبداء ما لا تبيدنه عادة، فيقال: كشفت عن ساقها أو شمرت عن ساقها، أو أبدت عن ساقها، قال عبد الله بن قيس الرقيات:

كيف نومي على الفراش ولما *** تشمل الشام غارة شغواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي *** عن خدام العقيلة العذراء
وفي حديث غزوة أحد **قال أنس بن مالك: «انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولقد رأيت عائشة وأم سليم وأنها لمشمرتان أرى خدام سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملانها»** الخ،

إذا قالوا: كشف المرء عن ساقه فهو كناية عن هول أصابه وإن لم يكن كشف ساقه.

وإذا قالوا: كشف الأمر عن ساق، فقد مثله بالمرأة المروعة، وكذلك كشفت الحرب عن ساقها، **كل ذلك تمثيل إذ ليس ثمة ساق** قال حاتم: فتى الحرب عضت به لحرب الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال جد طرفة من الحماسة:

كشفت لهم عن ساقها *** وبدا من الشر البواح
وقرأ ابن عباس (يوم تكشف) بمثناة فوقية وبصيغة البناء للفاعل على تقدير تكشف الشدة عن ساقها أو تكشف القيامة، وقريب من هذا قولهم: قامت الحرب على

والمعنى: يوم تبلغ أحوال الناس منتهى الشدة والروع، **قال ابن عباس رضي الله عنهما: يكشف عن ساق: عن كرب وشدة، وهي أشد ساعة في يوم القيامة.**

وروى عبد بن حميد وغيره عن عكرمة **عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هذا، فقال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب»**، أما سمعتم قول الشاعر:
 صبراً عَنَّا إِنَّهُ لَشَرِّبَاقٍ *** فقد سنَّ لي قومُكُ ضربَ الأعناقِ
 وقامت الحرب بنا على ساق ... وقال مجاهد: (يكشف عن ساق): شدة الأمر اهـ.

المثال الثاني

أورد الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عند قوله تعالى **(والسَّماءُ بَنِينَاهَا بِأَيِّدٍ)** (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) سورة الذاريات، يقول تعالى ذكره: **والسَّماءُ رفعناها سقفاً بقوة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، عن ابن عباس، ومجاهد وقتادة ومنصور وسفيان** كلهم في قوله تعالى **(وَالسَّمَاءُ بَنِينَاهَا بِأَيِّدٍ)** يقول: بقوة.

وجاء في تفسير مقاتل (409/3) (و) في (والسَّماءُ): آية (بنيناها بأيدي): يعنى بقوة.

وجاء في الدرر المنثور (263/7) وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله **والسَّماءُ بَنِينَاهَا بِأَيِّدٍ** **قال: بقوة.** وأخرج آدم بن أبي إياس والبيهقي عن مجاهد رضي الله عنه في قوله **والسَّماءُ بَنِينَاهَا بِأَيِّدٍ** قال: يعنى بقوة .

وجاء في تفسير ابن كثير (424/7) (والسَّماءُ بَنِينَاهَا) أي: جعلناها سقفا [محمولاً] ربيعاً **(بأيدي) أي: بقوة.** قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد.

وقال الإمام ابن الجوزي في تفسيره (40/8) (والسَّماءُ بَنِينَاهَا) المعنى وبنينا (السَّماءُ بَنِينَاهَا **بأيدي**) أي **بقوة**، وكذلك قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسائر المفسرين واللغويين **بأيدي أي بقوة.** أهـ.

وقال الإمام الشوكاني في فيض القدير (52/7) وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في قوله: (والسماء بنيناها **بأيدي**) **قال: بقوة**) قلت - أي الشوكاني - : وقد أجمع المفسرون على تفسير هذه الآية بالقوة

وجاء في تفسير النكت والعيون للإمام الماوردي في قوله تعالى (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت **أيدينا** أنعاما فهم لها مالكون وذلّلناها لهم فمناها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون " قوله عز جل: (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت **أيدينا** أنعاماً)، فيه وجهان:

أحدهما يعني بقوتنا: قاله الحسن كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدي) [الذاريات:47] أي: **الثاني يعني من فعلنا وعملنا من غير أن نكله إلى غيرنا:** قاله السدي .

المثال الثالث

ذكر الإمام الطبري عند قوله تعالى (فاليوم **ننساهم** كما نسوا لقاء يومهم هذا) (سورة الأعراف 51): أي ففي هذا اليوم، وذلك يوم القيامة **ننساهم**، يقول: نتركهم في العذاب المبين جياعاً عطاشاً بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ورفضوا الاستعداد له بإتباع أبدانهم في طاعة الله، وقد بينا معنى قوله: ننساهم، بشواهد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

عن مجاهد: (فاليوم **ننساهم**)، قال: **نتركهم** كما تركوا لقاء يومهم هذا. عن مجاهد في قول الله: (ننساهم)، قال: نتركهم في النار. عن ابن عباس: "فاليوم **ننساهم** كما نسوا لقاء يومهم هذا"، قال: **نتركهم** من الرحمة، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا).

المثال الرابع

أورد الإمام الطبري في قوله (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**) يقول جلّ ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحاً فيها، بمرأى منا ومنظر. عن سفيان، في قوله (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**) يقول: بأمرنا (**جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا**) (سورة القمر 13).

وجاء في تفسير البغوي (429/7) (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) أي: بمرأى منا. وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودّع: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا
 وجاء في تفسير الإمام الماوردي النكت والعيون (412/5) (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)
 فيه أربعة أوجه
 أحدها: بمرأى منا . الثاني: بأمرنا، قاله الضحاك.

المثال الخامس

ذكر الإمام القرطبي عند قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون (هل ينظرون) معناه أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون.(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) أي عند الموت لقبض أرواحهم،
(أو يأتي ربك) قال ابن عباس والضحاك: أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره، وقد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف، كقول تعالى: " واسأل القرية " يعني أهل القرية.

وقوله: " وأشربوا في قلوبهم العجل " أي حب العجل.

كذلك هنا: يأتي أمر ربك، أي عقوبة ربك وعذاب ربك. (تفسير الإمام القرطبي 133/7).

المثال السادس

جاء في تفسير الإمام القرطبي عند قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) قوله تعالى:

(وجاء ربك والملك صفا، صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)

قوله تعالى: **(وجاء ربك) أي أمره وقضاؤه،** قاله الحسن).

وجاء في تفسير الإمام النسفي عند قوله تعالى: **(وجاء ربك) عن ابن عباس قال: وجاء أمره.**

المثال السابع

قال: الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: (وجاء ربك) [الفجر: 22] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه.

وقال الإمام الغزالي في كتاب " التفرقة بين الإسلام والزندقة " : **سمعت الثقات من أئمة الحنابلة يقولون: أحمد بن حنبل صرح بتأويل ثلاثة أحاديث:**

أحدها: قوله: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض).

والثاني: قوله عليه السلام: (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن).

والثالث: قوله: (إني لأجد ريح نفس الرحمن من قبل اليمن).

ونقل الرازي عن الغزالي في كتاب: " تأسيس التقديس " بدل الحديث الثاني: (أنا جليس من ذكرني)، والذي رأيته في كتاب الغزالي ما ذكرناه. (البحر المحيط للإمام عبد الله الزركشي الشافعي 326/4)

المثال الثامن

قال الإمام البيهقي أن الإمام نصر بن شميل – الإمام الحافظ اللغوي من رجال الستة ولد سنة 122 - قد أول حديث النبي (حتى يضع فيها قدمه) قال: قال الشيخ أحمد: وفيما كتب إلي أبو نصر بن قتادة من كتاب أبي الحسن بن مهدي الطبري حكاية عن النصر بن شميل أن معنى قوله: **(حتى يضع الجبار فيها قدمه) أي من سبق في علمه أنه من أهل النار،** وروي عن الحسن البصري **أنه قال: (مَنْ قَدَّمَهُمُ اللَّهُ لِلنَّارِ مِنْ أَهْلِهَا) (الأسماء والصفات للبيهقي 299/2)**

وقال الإمام ابن حبان صاحب صحيح ابن حبان: قال أبو حاتم: هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقي في النار من الأمم والأمكنة التي عصي الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعا من الكفار والأمكنة في النار، فتمتلئ فتقول: قط، قط، تريد: حسبي، حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع، قال الله جل وعلا: **(لهم قدم صدق عند ربهم)، يريد: موضع صدق،** لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه (صحيح ابن حبان 22/2).

قال الإمام ابن الجوزي دفع التشبيه بأكف التنزيه: (فمن يثبت القدم لله، ثم يزعم تنزيه الله عن الجوارح فهو متناقض، لأنه أثبت جارحة ثم نفاها).

وهذا يرد على مجسمة زماننا أنهم يزعمون نفي التجسيم وهم يقولون نؤمن أن الله تعالى قدم، والعياذ بالله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

المثال التاسع

جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري في تفسير حديث **(فيضع عليه كنفه)** وقد جاء مفسراً بذلك في رواية عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة فقال في آخر الحديث: قال عبد الله بن المبارك: **(كنفه: ستره)**، أخرجه المصنف في كتاب خلق أفعال العباد، والمعنى **أنه تحيط به عنايته التامة** (فتح الباري حديث رقم 6960).

المثال العاشر

جاء في تفسير الشوكاني عند قوله تعالى **(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)**، وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس: **(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)**، قال: إلا ما أريد به وجهه، وأوّل الإمام البخاري الآية (إلا وجهه) قال: إلا ملكه ويقال إلا ما أريد به وجه الله).

المثال الحادي عشر

نقل الإمام الزرقاني شارح موطأ مالك عن الإمام مالك أنه أول حديث (ينزل ربنا) قال: ينزل أمره ورحمته (شرح موطأ مالك للزرقاني 208/3 - شرح مسلم للنووي 36/6 - 37) وقال ابن عبد البر في التمهيد: روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سودة بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا **(فقال مالك: يتنزل أمره)**.

على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت (التمهيد لابن عبد البر 48/5).

المثال الثاني عشر

جاء في تفسير القرطبي عند قوله تعالى: (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قال: قال مجاهد: اليد هنا بمعنى التأكيد والصلة، مجازه لما خلقت أنا كقوله: (ويبقى وجه ربك) [الرحمن: 27] أي يبقى ربك (تفسير القرطبي 228/15).

المثال الثالث عشر

جاء في تفسير الإمام الطبري عند قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)، وإنما وصف تعالى ذكره (اليد) بذلك، **والمعنى العطاء، لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم**. فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضاً، إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشح وضيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه، كما قال الأعشى في مدح رجل:

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ، فَكَفْتُ مُفِيدَةً... وَكَفْتُ إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى (اليد). ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يُحصى. فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم فقال: "وقالت اليهود يد الله مغلولة"، يعني بذلك: أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا، ويمنعنا فضله فلا يُفْضِلُ، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف، تعالى الله عما قالوا، أعداء الله! (تفسير الطبري – سورة المائدة 64).

المثال الرابع عشر

وجاء في تفسير الطبري القول في تأويل قوله: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (18)، قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "وهو"، نفسه، يقول: والله الظاهر فوق عباده، ويعني بقوله (القاهر)، المذل المستعبد خلقه، العالي عليهم. وإنما قال: (فوق عباده)، لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم. ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه.

فمعنى الكلام إذاً: والله الغالب عباده، المذلّ لهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إياهم، فهو **فوقهم بقهره إياهم**، وهم دونه (وهو الحكيم)، يقول: والله الحكيم في

علّوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره . (تفسير الطبري الأنعام - آية رقم 18).

المثال الخامس عشر

وجاء أيضا في تفسير الإمام ابن جرير الطبري عند قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) (الأنعام آية رقم 61) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: (وهو القاهر)، والله الغالب خلقه، **العالي عليهم بقدرته**، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم.

المثال السادس عشر

ذكر الإمام الترمذي في سننه في تفسير حديث: (وإن اقترب إليّ شبرا اقتربتُ منه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا، اقتربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا **يعني بالمغفرة والرحمة** وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا إنما معناه يقول: **إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وما أمرت أسرع إليه بمغفرتي** (سنن الترمذي حديث رقم 3527).

المثال السابع عشر

ذكر الإمام البيهقي عن الإمام البخاري رحمه الله أنه أول (الضحك) في الحديث بالرحمة قال: **قال البخاري: معنى الضحك الرحمة**.

قال أبو سليمان: (قول أبي عبد الله قريب، وتأويله على معنى الرضى لفعلهما أقرب وأشبه، ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضى والبشر، والاستهلال منهم دليل قبول الوسيلة، ومقدمة إنجاز الطلبة، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء، فيكون المعنى في قوله **(يضحك الله إلى رجلين) أي: يجزل العطاء لهما، لأنه موجب الضحك**. (الأسماء والصفات للبيهقي 13/3).

المثال الثامن عشر

جاء في تفسير الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى (وسع كرسيه السموات) قال: حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة، قالوا حدثنا ابن إدريس، عن مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن **ابن عباس: (وسع كرسيه)** قال: **كرسيه علمه.**

المثال التاسع عشر

قال ابن حبان صاحب السنن في تفسير الحديث: (ينزل ربنا جل وعلا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني أغفر له)

قال أبو حاتم رضي الله عنه: صفات الله جل وعلا لا تكيف ولا تقاس إلى صفات المخلوقين فكما أن الله جل وعلا متكلم من غير آلة بأسنان، ولهوات ولسان وشفة كالمخلوقين جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه ولم يجز أن يقاس كلامه إلى كلامنا لأن كلام المخلوقين لا يوجد إلا بآلات، والله جل وعلا يتكلم كما شاء بلا آلة كذلك ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان وكذلك السمع والبصر فكما لم يجز أن يقال: الله يبصر كبصرنا بالأشعار والحدق والبياض بل يبصر كيف يشاء بلا آلة ويسمع من غير أذنين وسماخين والتواء وغضاريف فيها بل يسمع كيف يشاء بلا آلة وكذلك ينزل كيف يشاء بلا آلة من غير أن يقاس نزوله إلى نزول المخلوقين كما يكيف نزولهم جل ربنا وتقدس من أن تشبه صفاته بشيء من صفات المخلوقين.(صحيح ابن حبان 330/4).

المثال العشرون

وأول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى قوله تعالى **(ولتصنع على عيني)** قال: **ولتغذى على محبتي وإرادتي** (تفسير الطبري – سورة طه 39)

المثال الواحد والعشرون

وأول ابن حبان حديث الوارد عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد إلى السماء إلا طيب - إلا كأنما يضعها في يد الرحمن فيربيها له كما يربي

أحدكم فلوه وفصيله حتى إن اللقمة أو التمرة لتأتي يوم القيامة مثل الجبل العظيم).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قوله صلى الله عليه وسلم: (إلا كأنما يضعها في يد الرحمن) **يبين لك أن هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل دون وجود حقائقها أو الوقوف على كيفيتها إذ لم يتهياً معرفة المخاطب بهذه الأشياء إلا بالألفاظ التي أطلقت بها** (صحيح ابن حبان 26/2)

المثال الثاني والعشرون

جاء في مسند الفردوس للديلمي (484/1) (لا تقبحوا الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته).
قال الإمام أحمد بن حنبل: معناه (صور الله) صورة آدم قبل خلقه ثم خلقه على تلك الصورة .

المثال الثالث والعشرون

قوله (بل يداه مبسوطتان): قال السدي معنى قوله **(يداه): قوتاه بالثواب** . (تفسير القرطبي 239/6).

المثال الرابع والعشرون

(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو فيباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء) رواه الامام مسلم في صحيحه.
يقول النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: قال المازري: معنى "يدنو" في هذا الحديث: أي تدنو رحمته وكرامته، لا دنو مسافة ومماسة.
قال القاضي: يتأول فيه ما سبق في حديث النزول إلى السماء الدنيا، كما جاء في الحديث الآخر: من غيظ الشيطان يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة، قال القاضي: وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء بما ينزل معهم من الرحمة ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى. اهـ.

3 - ولا شيء يُعجزه (مُعْجَزُهُ ب)؛

الدليل القرآني:

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) سورة فاطر (1).
(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) سورة يونس (2).
(وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) سورة الأنفال (3).
(يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

(١) قال ابن كثير في تفسيره: بين السنة التي ذكرها؛ أي أو لم يروا ما أنزلنا بعد وثمود، ومدين وأمثالهم لما كذبوا الرسل، فتدبروا ذلك بنظرهم إلى مساكنهم ودورهم، وبما سمعوا على التواتر بما حل بهم، أفليس فيه عبرة وبيان لهم؛ ليسوا خيرا من أولئك ولا أقوى، بل كان أولئك أقوى؛ دليله قوله: "وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض" أي إذا أراد إنزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك. "إنه كان عليما قديرا". انتهى.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين. انتهى.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "ولا تحسبن" يا محمد "الذين كفروا سبقوا" أي فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزونا كقوله تعالى:

"أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" أي يظنون.

وقوله "ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وماؤاهم النار ولبئس المصير".

وقوله تعالى "لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماؤاهم جهنم وبئس المهاد" ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة. انتهى.

(33) سورة غافر (1).
الله الصمد (2) [سورة الإخلاص] (2).

4 - لا إله غيرُه؛

الدليل القرآني:

(وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) سورة البقرة.
(لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (22) سورة الإسراء.
(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28)
سورة الأنبياء.

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسْتَطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (39)
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (41) أَمْ
يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ (43) سورة الطور.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى "يوم تولون مدبرين" أي ذاهبين هاربين "كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر" ولهذا قال عز وجل: "مالك من الله من عاصم" أي لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه.

"ومن يضل الله فما له من هاد" أي من أضله الله فلا هادي له غيره.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تبارك وتعالى "الله الصمد" قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى]، سبحانه الله الواحد القهار.

5 - لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ؛

الدليل القرآني:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) سورة الإخلاص.

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) سورة الأنعام.

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَا تَوَفُّوْنَ (34) (1) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) سورة يونس (2).

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) سورة الروم.

(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) سورة مريم (3).

(أ) قال ابن كثير في تفسيره: (وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره وعبدوا من الأصنام والأنداد:

"قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده" أي من بدأ خلق هذه السموات والأرض؟ ثم ينشيء ما فيهما من الخلائق؟ ويفرق أجرام السموات والأرض؟ ويبدلها بفناء ما فيهما؟ ثم يعيد الخلق خلقا جديدا؟ "قل الله" هو الذي يفعل هذا ويستقل به، وحده لا شريك له "فأني توفكون" أي فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل). انتهى.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: "قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق" أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال، وإنما يهدي الحيارى والضلال، ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد؛ الله الذي لا إله إلا هو:

"أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدى" أي أفيتبع العبد الذي يهدي إلى الحق ويبصر بعد العمى؟ أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يهدى لعماه وبكمه؟ كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم أنه قال:

"يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا".

وقال لقومه: "أتعبدون ما تحتون والله خلقتكم وما تعملون" إلى غير ذلك من الآيات. وقوله "فما لكم كيف تحكمون"؟ أي ما بالكم أن يذهب بعقولكم؟ كيف سويتم بين الله وبين خلقه؟! وعدلتم هذا بهذا؟! وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة؟.

(ج) قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس يريد هل تعلم له ولدا أي نظيرا أو مثلا أو شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن؟!.

6 - لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ؛

أي لا يفنى بنفسه؛ ولا يبيد بغيره (1)
الدليل القرآني:

(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (88) سورة القصص (2).

وقال مجاهد: مأخوذ من المساماة وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (هل تعلم له ولدا أي نظيراً أو مثلاً أو شبيهاً يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن). وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (هل تعلم له أحداً سمي الرحمن). قال النحاس: وهذا أجل إسناد علمته روي في هذا الحرف وهو قول صحيح، ولا يقال الرحمن إلا لله. روى ابن أبي نجيب عن مجاهد: (هل تعلم له سمياً) قال: مثلاً. ابن المسيب: عدلاً.

قتادة والكلبي: هل تعلم أحداً يسمى الله تعالى غير الله؛ أو يقال له الله إلا الله. و(هل لا) أي لا تعلم، والله تعالى أعلم. انتهى.

(1) أفادني هذا المعنى شيخنا الدكتور عناية الله إبلاغ حفظه الله في صحة وعافية. (2) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله: "ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو" أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته).

وقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: "كل شيء هالك إلا وجهه" أي إلا إياه.

وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد:

"ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقال مجاهد والثوري في قوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" أي إلا ما أريد به وجهه، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له، قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة، إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشرعية.

والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء. قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار - وأسند - كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول "كل شيء هالك إلا وجهه".

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) سورة الرحمن (1).

7 - لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ؛
8 - وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ؛

الدليل القرآني:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

وقوله: "له الحكم" أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه "وإليه ترجعون" أي يوم معادكم فيجزيكُم
بأعمالكم إن كان خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك
أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت بل
هو الحي الذي لا يموت أبداً قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان.
وفي الدعاء المأثور:

يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح
لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك.
وقال الشعبي إذا قرأت "كل من عليها فان" فلا تسكت حتى تقرأ "ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام".

وهذه الآية كقوله تعالى: "كل شيء هالك إلا وجهه" وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة
بأنه ذو الجلال والإكرام: أي هو أهل أن يجلس فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى:
"واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه" وكقوله إخباراً عن
المتصدقين:

"إنما نطعمكم لوجه الله".

قال ابن عباس: "ذو الجلال والإكرام": ذو العظمة والكبرياء.
ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم
فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: "فبأي آلاء ربكما تكذبان".
وقال القرطبي في تفسيره: الضمير في "عليها" للأرض، وقد جرى ذكرها في أول السورة في قوله
تعالى: "والأرض وضعها للأنام" [الرحمن: 10].

وقد يقال: هو أكرم من عليها يعنون الأرض وإن لم يجر لها ذكر.
وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فنزلت: "كل شيء هالك إلا
وجهه" [القصص: 88] فأيقنت الملائكة بالهلاك، وقاله مقاتل.

ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة أن
الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب.

حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة. (1).

(1) قال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد فضله: هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم قد صح الحديث عن رسول - صلى الله عليه وسلم - بأنها أفضل آية في كتاب الله.

"وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة:

1 - "ف قوله "الله لا إله إلا هو" إخبار بأنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق.
2 - "الحي القيوم" أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره".

3 - وقوله "لا تأخذه سنة ولا نوم" أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم فقوله "لا تأخذه" أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال "ولا نوم" لأنه أقوى من السنة.

وفي الصحيح عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع كلمات فقال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجاببه النور أو النار؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).

4 - وقوله "له ما في السموات وما في الأرض" إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله "إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا".

5 - وقوله "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" كقوله "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" وكقوله "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى". وهذا من عظمتهم وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع" قال" فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة.

6 - وقوله "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم" دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارا عن الملائكة "وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا".

7 - وقوله "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلععه عليه ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون أحدا على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله "ولا يحيطون به علما".

8 - وقوله "وسع كرسیه السموات والأرض" قال ابن أبي حاتم - وأسند - عن ابن عباس في قوله "وسع كرسیه السموات والأرض" قال: علمه وكذا رواه ابن جرير،..

وقال القرطبي في تفسيره عن قوله تعالى: (وسع كرسیه السموات والأرض) قال:

وقال ابن عباس: كرسیه علمه. ورجحه الطبري، قال: ومنه الكراسة التي تضم العلم؛ ومنه قيل للعلماء: الكراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم؛ كما يقال: أوتاد الأرض قال الشاعر:

كراسي بالأحداث حين تنوب

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة

أي علماء بحوادث الأمور.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) سورة طه.
(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) سورة
الأنعام.

9 - وَلَا يُشَبِّهُ (وَلَا يَشْبَهُهُ - ب) الْأَنَامُ؛

وقيل: كرسية قدرته التي يمسك بها السموات والأرض، كما تقول: اجعل لهذا الحائط كرسيًا، أي ما يعمده. وهذا قريب من قول ابن عباس في قول "وسع كرسية". قاله البيهقي: وروينا عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عباس في قول "وسع كرسية" قال: علمه.
* وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور مع العرش.. وأرباب الإلحاد يحملونها على عظم الملك وجلالة السلطان، وينكرون وجود العرش والكرسي وليس بشيء. وأهل الحق يجيزونهما؛ إذ في قدرة الله متسع فيجب الإيمان بذلك.
قال أبو موسى الأشعري: الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل.
قال البيهقي: قد روينا أيضاً في هذا عن ابن عباس وذكرنا أن معناه فيما يرى أنه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير، وليس فيه إثبات المكان لله تعالى...
قال ابن عطية: في قول أبي موسى "الكرسي موضع القدمين" يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين من أسرة الملوك، فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته إليه كنسبة الكرسي إلى سرير الملك.
وقال الحسن بن أبي الحسن: الكرسي هو العرش نفسه.
وهذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه.

وروى أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي)، ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كخلفة ملقة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة). أخرجه الأجرى وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده والبيهقي وذكر أنه صحيح.

وقال مجاهد: ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقة في أرض فلاة.
وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى، ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله عز وجل إذ لا يؤده حفظ هذا الأمر العظيم. انتهى من القرطبي ونعود لابن كثير رحمهما الله تعالى.

9 - وقوله "وَلَا يَنُودُهُ حَفْظُهُمَا" أي لا يثقله ولا يكثره حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه.

10 - فقله "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" كقله "وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ" وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه. انتهى باختصار.

الشرح: أي الاعتقاد بأن الله تعالى لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته؛ ولا في صفاته؛ ولا في أفعاله.

الدليل القرآني:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) (1) سورة الشورى.
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) سورة الإخلاص.

(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) سورة مريم (2).

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

١) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد..

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام. انتهى باختصار.
٢) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله "رب السموات والأرض وما بينهما" أي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه "فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا" قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هل تعلم للرب مثلا أو شبيها؟ وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن جريج وغيرهم وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه.

وقال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: يريد هل تعلم له ولدا، أي نظيرا أو مثلا أو شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن، وقال مجاهد: مأخوذ من المسامة.
وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (هل تعلم له ولدا أي نظيرا أو مثلا أو شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن) وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (هل تعلم له أحدا سمي الرحمن).

قال النحاس: وهذا أجل إسناد علمته روي في هذا الحرف وهو قول صحيح ولا يقال الرحمن إلا لله، قلت: وقد مضى هذا مبينا في البسملة والحمد لله.
روى ابن أبي نجيب عن مجاهد (هل تعلم له سميا) قال: مثلا، ابن المسيب (قال): عدلا، قتادة والكلبي (قالا): هل تعلم أحدا يسمى الله تعالى غير الله، أو يقال له الله إلا الله، وهل لا: أي لا تعلم، والله تعالى أعلم.

حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة (1).

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم قد صح الحديث عن رسول - صلى الله عليه وسلم - بأنها أفضل آية في كتاب الله: قال الإمام أحمد: - وأسنده - عن أبي هو ابن كعب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله أي آية في كتاب الله أعظم قال: الله ورسوله أعلم فرددتها مرارا ثم قال: آية الكرسي قال "ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش" وقد رواه مسلم - وأسنده - وليس عنده زيادة والذي نفسي بيده إلخ.

"حديث آخر" عن أبي أيضا في فضل آية الكرسي: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي - وأسنده - عن عبد الله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره: أنه كان له جرن فيه تمر قال: فكان أبي يتعاهده فوجده ينقص، قال: فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة شبيهة الغلام المحتلم.

قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: فقلت: ما أنت؟ جني أم إنسي؟ قال: جني.

قال: قلت له: ناولني يدك، قال: فناولني يده فإذا يد كلب، وشعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني. قلت: فما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة؛ فأحبنا أن نصيب من طعامك، قال: فقال له أبي: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية آية الكرسي.

ثم غدا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال النبي ﷺ: (صدق الخبيث)، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه - وأسنده - وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل رجلا من صحابته فقال: (أي فلان هل تزوجت؟) قال: لا، وليس عندي ما أتزوج به، قال ﷺ: (أو ليس معك: قل هو الله أحد؟) قال: بلى، قال ﷺ: (ربع القرآن)، قال ﷺ: (أليس معك قل يا أيها الكافرون؟) قال: بلى، قال ﷺ: (ربع القرآن)، قال ﷺ: (أليس معك إذا جاء نصر الله؟) قال: بلى. قال ﷺ: (ربع القرآن)، قال ﷺ: (أليس معك آية الكرسي الله لا إله إلا هو؟) قال: بلى قال ﷺ: (ربع القرآن).

"حديث آخر" عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - وأرضاه قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلي عن أخيه عبدالرحمن بن أبي ليلي عن أبي أيوب أنه كان في سهوة له وكانت الغول تجيء فتأخذ فشكاها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (فإذا رأيتها فقل باسم الله أجيبني رسول الله).

قال: فجاءت فقال لها فأخذها فقالت: إني لا أعود فأرسلها، فجاء فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - ما فعل أسيرك؟ قال أخذتها فقالت: إني لا أعود فأرسلتها.

فقال: (إنها عائدة) فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك تقول لا أعود وأجىء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول ما فعل أسيرك فأقول أخذتها فتقول لا أعود فيقول إنها عائدة فأخذتها فقالت أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يقربك شيء: آية الكرسي.

فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال صدقت وهي كذوب ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بندار عن أبي أحمد الزبيري به وقال حسن غريب.

والغول في لغة العرب: الجان إذا تبدى في الليل.

وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة فقال في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة إبليس من صحيحه - وأسنده - عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

10 - لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ؛ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [سورة الشورى]؛

الشرح: الاعتقاد الجازم بأن الخالق سبحانه لا يحتاج إلى أي شيء من مخلوقاته، بدءاً من العرش وما حوى، فالكل مفتقر؛ محتاج إليه.
الدليل القرآني:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

بحفظ زكاة رمضان، فأتاني أت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: دعني، فإني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت. فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قال: قلت يا رسول الله! شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته وخليت سبيله قال ﷺ: (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود.

فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله (قال: دعني فإني محتاج، وعلي عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود).

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله بها، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" حتى تختتم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله. قال: (ما هي؟) قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم الآية "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي ﷺ: (أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قلت: لا قال: (ذاك شيطان كذا) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم وقد رواه النسائي في اليوم والليلة.
"حديث آخر" في اشتماله على اسم الله الأعظم قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في هاتين الآيتين "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" و"الم الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ": (إن فيهما اسم الله الأعظم) وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد به وقال الترمذي: حسن صحيح.) انتهى باختصار.

حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة (1).

(1) قال القرطبي في تفسيره: (قال بعض العلماء - عن سبب فضلها - : لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمّر وظاهر ثمانى عشرة مرة).

"الحي القيوم" نعت لله عز وجل، وإن شئت كان بدلا من "هو"، وإن شئت كان خبرا بعد خبر، وإن شئت على إضمار مبتدأ. ويجوز في غير القرآن النصب على المدح. و"الحي" اسم من أسمائه الحسنی يسمى به، ويقال: إنه اسم الله تعالى الأعظم. ويقال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام كان إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء: يا حي يا قيوم.

ويقال: إن أصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان دعا بقوله يا حي يا قيوم. ويقال: إن بني إسرائيل سألوا موسى عن اسم الله الأعظم فقال لهم: أيا هيا شرا هيا، يعني يا حي يا قيوم.

ويقال: هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به.

قال الطبري عن قوم: إنه يقال حي قيوم كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه.

وقيل: سمى نفسه حيا لصفه الأمور مصاريها وتقديره الأشياء مقاديرها.

وقال قتادة: الحي الذي لا يموت. وقال السدي: المراد بالحي الباقي...

وقد قيل: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم. "القيوم" من قام؛ أي القائم بتدبير ما خلق؛ عن قتادة.

وقال الحسن: معناه القاسم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها.

وقال ابن عباس: معناه الذي لا يحول ولا يزول؛ قال أمية بن أبي الصلت:

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم

قدره مهيمن قيوم والحشر والجنة والنعيم

إلا لأمر شأنه عظيم

قال البيهقي: ورأيت في "عيون التفسير" لإسماعيل الضرير تفسير القيوم قال: ويقال هو الذي لا ينام؛

وكأنه أخذ من قوله عز وجل عقيب في آية الكرسي: "لا تأخذه سنة ولا نوم".

وقال الكلبي: القيوم الذي لا بدئ له؛ ذكره أبو بكر الأنباري. وأصل قيوم قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء؛ ولا يكون قيوم فعولا؛ لأنه من الواو فكان يكون قيومًا.

وقرأ ابن مسعود وعلقمة والأعمش والنخعي "الحي القيام" بالألف، وروي ذلك عن عمر.

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة.

والقيام منقول عن القوام إلى القيام، صرف عن الفعال إلى الفيعال، كما قيل للصواغ الصياغ؛ قال الشاعر:

إن ذا العرش للذي يرزق النا

س وحي عليهم قيوم

ثم نفى عز وجل أن تأخذه سنة ولا نوم. والسنة: النعاس في قول الجميع. والنعاس ما كان من العين فإذا صار في القلب صار نومًا؛ قال عدي بن الرقاع يصف امرأة بفتور النظر:

وسنان أقصده النعاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم

وفرق المفضل بينهما فقال: السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب. وقال ابن زيد:

الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل، حتى ربما جرد السيف على أهله. قاله ابن عطية، وهذا الذي

قاله ابن زيد فيه نظر، وليس ذلك بمفهوم من كلام العرب.

وقال السدي: السنة: ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الإنسان. قلت: وبالجمله فهو فتور يعتري الإنسان ولا يفقد معه عقله. والمراد بهذه الآية أن الله تعالى لا يدركه خلل ولا يلحقه ملل بحال من الأحوال. والأصل في سنة وسنة حذفت الواو، كما حذفت من يسن. والنوم هو المستقل الذي يزول معه الذهن في حق البشر. والواو للعطف و"لا" تأكيد. قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي بالملك فهو مالك الجميع وربّه وجاءت العبارة بـ "ما" وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود. قال الطبري: نزلت هذه الآية لما قال الكفار: ما نعبد أوثاناً إلا ليقربونا إلى الله زلفى. قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) "من" رفع بالابتداء و"ذا" خبره؛ و"الذي" نعت لـ "ذا"، وإن شئت بدل، ولا يجوز أن تكون "ذا" زائدة كما زيدت مع "ما" لأن "ما" مبهمه فزيدت "ذا" معها لشبهها بها. وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى؛ كما قال: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" [الأنبياء: 28]. قال ابن عطية: والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين، أو وصل ولكن له أعماله صالحة. وفي البخاري في "باب بقية من أبواب الرؤية": إن المؤمنين يقولون: ربنا إن إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا. وهذه شفاعة فيمن يقرب أمره، وكما يشفع الطفل المحبطني على باب الجنة. وهذا إنما هو في قراباتهم ومعارفهم. وإن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أمهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إلا بنفس الإيمان، ثم تبقى شفاعة أرحم الراحمين في المستغفرين في الخطايا والذنوب الذين لم تعمل فيهم شفاعة الأنبياء. وأما شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم في تعجيل الحساب فخاصة له. قلت: قد بين مسلم في صحيحه كيفية الشفاعة بيانا شافيا، وكأنه رحمه الله لم يقرأه وأن الشافعين يدخلون النار ويخرجون منها أناسا استوجبوا العذاب؛ فعلى هذا لا يبعد أن يكون للمؤمنين شفاعتان: - **شفاعة فيمن لم يصل إلى النار، وشفاعة فيمن وصل إليها ودخلها؛ أجازنا الله منها.** فذكر من حديث أبي سعيد الخدري: (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم - قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: (دحض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين والبرق والريح والطير وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه. ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول عز وجل: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا. ثم يقولون ربنا ما نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به، فيقول أرجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به.

ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا.

وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقربوا إن شئتم:

"إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما" النساء: 40

(فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) وذكر الحديث.

وذكر من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فأقول يا رب انذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك - أو قال ليس ذلك إليك - وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله). وذكر من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم:

(حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود) الحديث بطوله.

قلت: فدللت هذه الأحاديث على أن شفاعة المؤمنين وغيرهم إنما هي لمن دخله النار وحصل فيها، أجازنا الله منها.

وقول ابن عطية: "ممن لم يعمل أو وصل" يحتمل أن يكون أخذه من أحاديث أخر، والله أعلم.

وقد خرج ابن ماجة في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يصف الناس يوم القيامة صفوفا - وقال ابن نمير أهل الجنة - فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ قال: فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهورا؟ فيشفع له - قال ابن نمير - ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له).

وأما شفاعات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها؛ ف قيل ثلاث، وقيل اثنتان، وقيل: خمس، يأتي بيانها في "سبحان" إن شاء الله تعالى. وقد أتينا عليها في كتاب "التذكرة" والحمد لله.

قوله: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) الضميران عائدان على كل من يعقل ممن تضمنه قوله: "له ما في السموات وما في الأرض".

وقال مجاهد: "ما بين أيديهم" الدنيا "وما خلفهم" الآخرة.

قال ابن عطية: وكل هذا صحيح في نفسه لا بأس به؛ لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان، وما خلفه هو كل ما يأتي بعده؛ وبنحو قول مجاهد قال السدي وغيره.

قوله: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) العلم هنا بمعنى المعلوم، أي ولا يحيطون بشيء من معلوماته؛ وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في البحر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات؛ لأن علم الله سبحانه وتعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض. ومعنى الآية لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه.

قوله: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) قال ابن عباس: كرسية علمه. ورجحه الطبري، قال: ومنه الكراسية التي تضم العلم؛ ومنه قيل للعلماء: الكراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم؛ كما يقال: أوتاد الأرض قال الشاعر:

كراسي بالأحداث حين تنوب

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (2) (1) سورة آل عمران

أي علماء بحوادث الأمور.
وقيل: كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض، كما تقول: اجعل لهذا الحائط كرسيًا، أي ما يعمده. وهذا قريب من قول ابن عباس في قول "وسع كرسيه". قاله البيهقي.
وروي عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عباس في قول "وسع كرسيه" قال: علمه.
وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور مع العرش..... والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه.
وروي أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي - ثم قال - يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة). أخرجه الأجرى وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده والبيهقي وذكر أنه صحيح.
وقال مجاهد: ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة. وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى، ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله عز وجل إذ لا يؤده حفظ هذا الأمر العظيم.
قوله: (وَلَا يَأُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) "يؤده" معناه يثقله؛ يقال: أدني الشيء بمعنى أثقلني وتحملت منه المشقة، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم. قال الزجاج: فجاز أن تكون الهاء لله عز وجل، وجزاء أن تكون للكرسي؛ وإذا كانت للكرسي؛ فهو من أمر الله تعالى. و"العلي" يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان؛ لأن الله منزله عن التحيز.
وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه.
قال ابن عطية: وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه ألا يحكى.
وعن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به سمع تسبيحاً في السموات العلى: سبحان الله العلي الأعلى سبحانه وتعالى.
والعلي والعالى: القاهر الغالب للأشياء؛ تقول العرب: علا فلان فلانا أي غلبه وقهره؛ قال الشاعر:
فلما علونا واستوينا عليهم
تركناهم صرعى لنسر وكاسر
ومنه قوله تعالى: "إن فرعون علا في الأرض" القصص: 4. و"العظيم" صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف، لا على معنى عظم الأجرام. وحكى الطبري عن قوم أن العظيم معناه المعظم، كما يقال: العتيق بمعنى المعتق، وأنشد بيت الأعشى:
فكأن الخمر العتيق من الإس
فنظم مزوجة بماء زلال
وحكى عن قوم أنهم أنكروا ذلك وقالوا: لو كان بمعنى معظم لوجب ألا يكون عظيماً قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم؛ إذ لا معظم له حينئذ. انتهى باختصار.
(1) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى: (الحي القيوم)؛
وأولى التأويلين بالصواب، ما قاله مجاهد والربيع، وأن ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه، وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يعنى بذلك: المتولي تدبير أمرها.
فالقِيوم إذ كان ذلك معناه "الفيعل" من قول القائل: الله يقوم بأمر خلقه، وأصله القِيوم، غير أن الواو الأولى من القِيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهي متحركة قلبت ياء، فجعلت هي والياء التي قبلها ياء مشددة، لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة.

(وَعَنْتَ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) (111) سورة طه.
 (قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ
 إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (14) سورة الأنعام.
 (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 (88) سورة المؤمنون. (1).

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي) (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ
 أَنْ يُطْعِمُونِي (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) سورة الذاريات.

وأما القيام، فإن أصله القيام، وهو الفيعل، من قام يقوم، سبقت الواو المتحركة من قيام يا ساكنة، فجعلتا جميعاً ياء مشددة. ولو أن القيوم فعول، كان القووم، ولكنه الفيعول، وكذلك القيام لو كان الفاعل لكان القوام، كما قيل: الصوام والقوام، وكما قال جل ثناؤه: (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) [المائدة: 8] ولكنه الفاعل فقال: القيام.

وأما القيم فهو الفيعل من قام يقوم، سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة، كما قيل: فلان سيد قومه، من ساد يسود، وهذا طعام جيد من جاد يوجد، وما أشبه ذلك. وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ لأنه قصد به قصد المبالغة في المدح، فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ في المدح من القائم.

وإنما كان عمر رضي الله عنه يختار قراءته إن شاء الله "القيام"، لأن ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز في ذوات الثلاثة من الياء والواو، فيقولون للرجل الصواغ: الصياغ، ويقولون للرجل الكثير الدوران الديار.

وقد قيل أن قول الله جل ثناؤه: (لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) [نوح: 26] إنما هو "دواراً" "فعلاً" من دار يدور، ولكنها نزلت بلبغة أهل الحجاز، وأقرت كذلك في المصحف.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ("قل من بيده ملكوت كل شيء" أي بيده الملك "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" أي متصرف فيها).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا، والذي نفسي بيده" وكان إذا اجتهد في اليمين قال: "لا، ومقلب القلوب".

فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف "وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون".

كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يخفر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال الله "وهو يجير ولا يجار عليه" أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقال الله: "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون" أي لا يسأل عما يفعل لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسألون عن أعمالهم كما قال تعالى "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون". انتهى.

المبحث الثاني الإيمان بما يستحيل على الله تعالى من الصفات الحادثة

1 - تَعَالَى (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) عَنْ:

- الحُدُودِ؛

- والغَايَاتِ؛

- والأَرْكَانِ؛

- (والأَعْضَاءِ - أ - ب)؛

- والأَدَوَاتِ؛

2 - لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُ؛ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ؛

1 - الدليل الأول: أن الغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات

الست: فوق وتحت؛ وأمام وخلف؛ ويمين ويسار، كل ذلك مخلوق لله تعالى:

- متى خلق الله الجهات؟:

1 - ثم خلق الله تعالى السماء:

2 - ثم خلق الله العرش والماء:

3 - ثم خلق الله السموات والأرض، فخلقت الجهات الست، وبدأ الزمان،

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة وحجة الوداع:

2 - الدليل الثاني: على استحالة وصف الله تعالى بالمحدثات المخلوقة:

3 - وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ: آ - الأَضْدَادِ؛

ب - والأنْدَادِ - أ - غ)،

المبحث الثاني الإيمان بما يستحيل على الله تعالى من الصفات الحادثة

1 - تَعَالَى (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) عَنْ:

- الحُدُود؛
- والغَايَات؛
- والأَرْكَان؛
- (والأَعْضَاء - أ - ب)؛
- والأَدَوَات؛

2 - لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُ؛ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ؛

الشرح: الإيمان بأن الله تعالى لا يُحَدِّدُ لأن الحد في المكان هو الطرف، وفي المعاني: التصور أي التعريف، والتعريف يكون إما بالذات والماهية: ويكون بالجنس والفصل، وإما بالصفات: ويكون بالرسم والعرض الخاص أو العام، لأنه يستحيل معرفة ذاته سبحانه لقوله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (28) سورة آل عمران (1).

(١) قال القرطبي في تفسيره: (قال الزجاج: أي ويحذركم الله إياه. ثم استغنوا عن ذلك بذا وصار المستعمل؛ قال تعالى:

"تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ" المائدة: 116]

فمعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك.

وقال غيره: المعنى ويحذركم الله عقابه؛ مثل "واسأل القرية".

وقال: "تعلم ما في نفسي" أي مغيب، فجعلت النفس في موضع الإضمار لأنه فيها يكون. انتهى.

وقال ابن حجر في الفتح - باب ويحذركم الله نفسه - : (قوله) (باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه،

وقول الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك).

قال الراغب: نفسه: ذاته، وهذا وإن كان يقتضي المغايرة من حيث أنه مضاف ومضاف إليه فلا شيء

من حيث المعنى سوى واحد سبحانه وتعالى عن الأثنينية من كل وجه.

وقيل: إن إضاعة النفس هنا إضافة ملك، والمراد بالنفس نفوس عباده) انتهى ملخصاً.

وتابع ابن حجر قوله: (ولا يخفى بعد الأخير وتكلفه).

وترجم البيهقي في الأسماء والصفات النفس وذكر هاتين الآيتين:

وقوله تعالى: (كتب ربكم على نفسه الرحمة).

وقوله تعالى: (واصطنعتك لنفسي).

ومن الأحاديث الحديث الذي فيه: "أنت كما أثبتت على نفسك"

والحديث الذي فيه: "إني حرمت الظلم على نفسي" وهما في صحيح مسلم.

قلت: وفيه أيضاً الحديث الذي فيه: "سبحان الله رضا نفسه".

ولقوله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (103) سورة الأنعام. فالآية نفت الإدراك لأن فيه معنى الإحاطة، والله منزّه عن الحدود والجوانب.

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: (والله يتعالى عن وصف الحد، إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه، على أنه واحدي الذات، والحد وصف المتصل الأجزاء حتى ينقضي، مع إحالة القول بالحد، أو كان ولا ما يحد؛ أو به يحدّ، فهو على ذلك لا يتغير، على أن لكل شيء حداً يدرك بسبيله نحو: الطعم واللون والذوق والرائحة وغير ذلك من حدود خاصية الأشياء، جعل الله لكل شيء من ذلك وجهاً يدرك به ويحاط به؛ حتى العقول والأعراض، فأخبر الله أنه ليس بذي حدود وجهات هي طرف إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات، وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعاً ولا قوة إلا بالله) انتهى (1).

و أبو المظفر الإسفراييني رحمه الله تعالى (2) قال: "أن تعلم أن الحركة والسكون؛ والذهاب والمجيء؛ والكون في مكان؛ والاجتماع والافتراق؛ والقرب والبعد؛ من طريق المسافة والاتصال والانفصال والحجم والجزم والجئة والصورة، والحيز والمقدار، والنواحي والأقطار والجوانب والجهات **كلها لا تجوز على الله لأن جميعها يُوجب الحدّ والمشابهاة** وقد دللنا على استحالة ذلك

ثم قال: والنفس في كلام العرب على أوجه:

- منها الحقيقة: كما يقولون في نفس الأمر وليس للأمر نفس منفوسة.

- ومنها الذات.

قال: وقد قيل: في قوله تعالى:

(تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)

أن معناه تعلم ما أكنه وما أسره ولا أعلم ما تسره عني.

وقيل: ذكر النفس هنا للمقابلة والمشاكلة، وتعقب بالآية التي في أول الباب فليس فيها مقابلة.

وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) أس إياه.

وحكى صاحب المطالع في قوله تعالى (ولا أعلم ما في نفسك) ثلاثة أقوال:

- أحدها: لا أعلم ذاتك.

- ثانيها: لا أعلم ما في غيبك.

- ثالثها: لا أعلم ما عندك.

وهو بمعنى قول غيره لا أعلم معلومك أو إرادتك أو سرك أو ما يكون منك، ثم ذكر البخاري في الباب ثلاثة أحاديث. انتهى

(1) انظر (كتاب التوحيد) لأبي منصور الماتريدي تحقيق د. فتح الله خليف طبع دار الجامعات المصرية ص 81.

(2) التبصير في الدين ص / 160.

على الباري سبحانه وتعالى، وأصل هذا في كتاب الله تعالى وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر **قال: "لا أحب الآفلين"** فبين أن من جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقاً).

فثبت أنه لا يمكن حده سبحانه في كلا المعنيين للحد، فبقي معرفته سبحانه بالصفات، وهذا سر قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) الشورى). فعرف سبحانه بصفاته السميع البصير. وهذا نحو قوله تعالى: (ولا يحيطون به علماً) في إيجاب العلم بصفاته ونفي الإحاطة بذاته سبحانه. (1).

وقال الإمام أبو حنيفة **في الفقه الأكبر: «الله واحد لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».**

قال أبو الوليد الباجي: (وأجمع أهل السنة على أن يديه صفة، وليست بجوارح كجوارح المخلوقين؛ لأنه سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [سورة الشورى]). (2).

وقال ابن تيمية رحمه الله: [فإن الله سبحانه أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فيمتنع عليه أن يتفرق؛ أو يتجزأ؛ أو يكون قد ركب من أجزاء] [3].

وقال شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى:
[فأما وصفه بأنه واحد فإنه يرجع إلى نفي الشريك وأنه لا ثاني له، وإلى نفي التجزؤ والانقسام عن ذاته] (4).

وفي عقيدة الإمام أحمد المطبوعة في آخر المجلد الثاني من طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: قال الإمام أحمد بن حنبل **عليه السلام:** (إن الله عز وجل واحد لا من عدد) (5)، ولا يجوز عليه التجزؤ ولا القسمة (6)، وهو واحد من كل وجه (1)،

(1) انظر (كتاب التوحيد) لأبي منصور الماتريدي تحقيق د. فتح الله خليف طبع دار الجامعات المصرية ص 81.

(2) انظر المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي - باب النهي عن القول بالقدر - .
(3) الرسالة التدمرية لابن تيمية: ص 119، وقلت م نور عفا عنه ربه الغفور: الآية فسرت معنى (الصمد) فهو (الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، وجميع من وُلد فهو جسم محسوس محدود بالزمان والمكان، والله تعالى هو الصمد أي ليس بمولود وليس بمحدود بالزمان وليس جسماً لأنه هو الصمد الذي لم يكن ولا يكون بعد أن خلق الخلق له كُفواً أحد منهم. فافهم. والله أعلم.
(4) المعتمد في أصول الدين: ص 62 .

(5) (الواحد يُعد ولا يتعدد، والأحد: لا يعد ولا يتعدد.

(6) (لأن الله تعالى هو الصمد.

وما سواه واحد من وجه دون وجه)(²).

(وكان يقول في معنى الاستواء: هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله عالياً رفيعاً قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء)⁽³⁾، وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله تعالى نفسه)⁽⁴⁾ بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. ولا يجوز أن يقال: استوى بمماساة ولا بملاقاة ⁽⁵⁾، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل⁽⁶⁾، ولا يلحقه الحدود⁽⁷⁾ قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش⁽⁸⁾.

وقال الامام أبو سعيد المتولي الشافعي الأشعري (478هـ) في كتابه الغنية في أصول الدين (ص 73 - 74 - 75) ما نصه: والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافاً للكرامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا إن لله جهة فوق. وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقر عليه، تعالى الله عن قولهم. والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديماً لأنه قديم، أو يكون حادثاً كما أن المحل حادث، وكلاهما كفر. والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا، لكان لا يخلو إما أن يكون مثل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير والحد والنهاية وهو كفر. والدليل عليه أنه لو كان في جهة وقدرنا شخصاً أعطاه الله تعالى قوة عظيمة واشتغل بقطع المسافة والصعود إلى فوق لا يخلو إما أن يصل إليه وقتاً ما أو لا يصل إليه.

١ (واحد أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو الله الملك القدوس السلام... فلا يجوز وضع حرف الواو بينها أي الله والملك والقدوس والسلام.. لأنه عندها يتعدد، ولا يجوز قراءتها بالعكس أي: السلام القدوس الملك الله لأنه عندها يعد والله اعلم.

٢ (ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 2/293.

٣ (علواً مطلقاً لا يحده زمان ولا مكان، معنى المطلق: أي لا يحده زمان ولا مكان.

٤ (استوى بصفة الرحمن كما أخبر سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)

٥ (يرد الإمام أحمد عليه السلام على من اعتقد بأن الله يجلس على العرش أو يقعد عليه.

٦ (يرد الإمام أحمد عليه السلام على من اعتقد بأن الله تعالى ينزل ويجيء بتغيير وتبديل، لأنه يخالف التنزيه، ويؤدي لوصف الله تعالى بصفات البشر المجمع على مخالفته لها سبحانه وتعالى.

٧ (يرد الإمام أحمد عليه السلام على من يحد الله تعالى من جهة السفلى، وعلى من يفسر بائن من خلقه بأنه منفصل عن خلقه من جهة السفلى، وبائن معناها مغاير لخلقها، لأن الجهات الثمانية كلها مخلوقة لله تعالى.

٨ (طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: 2/196.

فإن قالوا لا يصل إليه فهو قول بنفي الصانع لأن كل موجودين بينهما مسافة معلومة، وأحدهما لا يزال يقطع تلك المسافة ولا يصل إليه يدل على أنه ليس بموجود. فإن قالوا يجوز أن يصل إليه ويحاذيه فيجوز أن يماسه أيضاً، ويلزم من ذلك كفران: أحدهما: قدم العالم، لأننا نستدل على حدوث العالم بالافتراق والاجتماع. والثاني: اثبات الولد والزوجة).

وقال قاضي القضاة في زمانه بدر الدين بن جماعة (727 هجرية) في كتابه (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل): (ومن انتحل قول السلف وقال بتشبيه أو تكييف أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين فهو كاذب في انتحاله بريء من قول السلف واعتداله). انتهى

أولاً في اللغة:

ففي لسان العرب ما نصه (ابن الأعرابي: اليدُ النِّعْمَةُ، واليدُ القُوَّةُ، واليدُ القُدْرَةُ، واليدُ المَلِكُ، واليدُ السُّلْطَانُ، واليدُ الطَّاعَةُ، واليدُ الجَمَاعَةُ، واليدُ الأَكْلُ) انتهى

قال الامام أبو العباس أحمد الأنصاري القرطبي (وهو غير المفسر) المتوفى (656 هجرية) في كتاب (المفهم لما اشكل من تخليص كتاب صحيح مسلم) ج 1 ص 427: وقوله (خلقك الله بيده) اعلم أن الله تعالى منزّه عن يد الجارحة كما قدمناه. واليد في كلام العرب تُطلق على القدرة والنعمة والملك. واللائق هنا حملها على القدرة، وتكون فائدة الاختصاص لآدم أنه تعالى خلقه بقدرته ابتداءً من غير سبب ولا واسطة خلق ولا أطوار قلَّبه فيها، وذلك بخلاف غيره من ولده، ويحتمل أن يكون شرفه بالإضافة إليه، كما قال: (بَيْتِي). وقد قدّمنا أن التسليم في المشكلات أسلم. انتهى.

قال الحافظ محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي الأشعري المتوفى (676 هجرية) في شرح مسلم ج 7 ص 26: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده) قال القاضي عياض: واليد هنا بمعنى القدرة والملك. انتهى.

وقال رئيس القضاة في زمانه القاضي محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشهير ببدر الدين بن جماعة المتوفى سنة 727 هجرية في كتابه: (إيضاح الدليل بقطع حجج أهل التعطيل) ص 159: قوله تعالى: (لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي) (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) (بِيَدِكَ الْخَيْرُ).

اعلم ان اليد لغة حقيقة في الجارحة المعروفة، وتُسَمَّلُ مجازاً في معانٍ متعددة كما سنذكره ان شاء الله.

واذا ثبت بالدليل العقلي تنزيه الله تعالى عن الجوارح لما فيه من التجزئ والمؤدي إلى التركيب وجب حمل اللفظ على ما يليق بجلاله تعالى من المعاني المستعملة بين أهل اللسان وهي النعمة والقدرة والإحسان.

أما النعمة فكقولهم: لفلان عندي يد لا أطيق شكرها ولفلان علي أيادٍ يُعجز عن شكرها. والمراد نعم وإحسان يُريدون التجوز، واستعماله أن اليد آلة الإطاء غالباً فأطلقت على النعمة بإطلاق السبب على المسبب. وأما القدرة فكقولهم: هذه البلدة في يد السلطان، ويقال: أمري بيدك، وفلان بيده الأمر والنهي. ومنه قوله تعالى (أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النَّكَاحِ) والمراد في ذلك كله القدرة والتمكن من التصرف، إذ ليس البلد والأمر والنهي وعقد النكاح في الحقيقة يد السلطان، والولي التي هي عفو، فتعين أن المراد قدرته وتصرفه.

وقد تُستعمل اليد في مثله للتأكيد في التقدّم كقوله تعالى (بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ) و (فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) ولا يد للرحمة والنجوى.

إذا ثبت هذا فنقول: قوله تعالى (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) فله ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد مزيد العناية بنعمه عليه في خلقه وإيجاده وتكريمه. كما يقال: خذ هذا الأمر بكلتا يديك. واخذت وصيتك بكلتا يدي.

ولا شك أن الاعتناء بخلق آدم حاصل بإيجاده؛ وجعله خليفة في الأرض؛ وتعليمه الأسماء؛ وإسكانه الجنة؛ وسجود الملائكة له؛ فلذلك خصه بما يدل لغة على مزيد الاعتناء.

الجواب الثاني: أن المراد بيدي: القدرة لأن غالب قدرة الإنسان في تصرفاته بيده وثبتت اليد مبالغة في عظم القدرة فإنها باليدين أكثر منها بالواحدة.

الثالث: أن يكون ذكر اليدين صلة لقصد التخصيص به تعالى ومعناه: لما خلقت انا دون غيري ومنه قوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ) أي بما قدمت أنت). انتهى

وقال الإمام أبو منصور عبد القاهر التميمي البغدادي المتوفى (429 هجرية) في كتابه الشهير (أصول الدين): وقد تأول بعض أصحابنا هذا التأويل وذلك صحيح على المذهب إذ أثبتنا لله القدرة وبها خلق كل شيء ولذلك قال في آدم عليه السلام: (خلقت بيدي)، ووجه تخصيصه آدم بذلك أن خلقه بقدرته لا على مثال

له سبق ولا من نطفة ولا نقل من الأصلاب إلى الأرحام كما نقل ذريته من الأصلاب إلى الأرحام. انتهى

وفي (الأسماء والصفات) للإمام البيهقي - باب ما جاء في قول الله عز وجل الرحمن على العرش - حديث: 838

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البزاز، يقول: سمعت العباس بن حمزة، يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: **كل ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته، والسكوت عليه.**

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: هذه نسخة الكتاب الذي أملاه الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب في مذهب أهل السنة فيما جرى بين محمد بن إسحاق بن خزيمة وبين أصحابه، فذكرها وذكر فيها: **(الرحمن على العرش استوى)** بلا كيف، والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة.

وعلى هذه الطريق يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه، وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي. وذهب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إلى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلا سماه استواء، كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا أو نعمة أو غيرهما من أفعاله. ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله: **(الرحمن على العرش استوى)**، وثم للتراخي، والتراخي إنما يكون في الأفعال، وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة.

وذهب أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري في آخرين من أهل النظر إلى أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستو على عرشه **بمعنى أنه عال عليه، ومعنى الاستواء: الاعتلاء**، كما يقول: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح. بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوى الطير على قمة رأسي، بمعنى علا في الجو، فوجد فوق رأسي.

والقديم سبحانه عال على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به: مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسمة والمباينة التي هي ضدها، والقيام والقعود من أوصاف الأجسام، والله عز وجل

أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى.

وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: **استوى بمعنى: علا**، ثم قال: ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكنا فيه، ولكن يريد معنى قول الله عز وجل: (أأمنتم من في السماء)، أي: من فوقها على معنى نفي الحد عنه، وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر، ووصف الله سبحانه وتعالى بذلك بطريقة الخبر، فلا نتعدى ما ورد به الخبر. قلت: وهو على هذه الطريقة من صفات الذات، وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه، لا بالاستواء، وهو كقوله: ثم الله شهيد على ما يفعلون يعني: ثم يكون عملهم فيشهدده، وقد أشار أبو الحسن علي بن إسماعيل إلى هذه الطريقة حكاية، فقال: وقال بعض أصحابنا: إنه صفة ذات، ولا يقال: لم يزل مستويا على عرشه، كما أن العلم بأن الأشياء قد حدثت من صفات الذات، ولا يقال: لم يزل عالما بأن قد حدثت، ولما حدثت بعد.

قال: وجوابي هو الأول وهو أن الله مستو على عرشه وأنه فوق الأشياء بائن منها، بمعنى أنها لا تحله ولا يحلها، ولا يمسها ولا يشبهها، وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا.

قال: وقد قال بعض أصحابنا: إن الاستواء صفة الله تعالى تنفي الاعوجاج عنه، وفيما كتب إلي الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن **الاستواء هو القهر والغلبة⁽¹⁾**، ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته، وأنها لم تقهره، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات، فنبه بالأعلى على الأدنى، قال: والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة، كما يقال: استوى فلان على الناحية إذا غلب أهلها، وقال الشاعر في بشر بن مروان :

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ودم مہراق⁽²⁾

(1) قلت م نور عفا عنه ربه الغفور: هذا المعنى رد على الفلاسفة الذين زعموا أن الله تعالى خلق الخلق ثم تركه، والكون يسير بذاته، فمعنى الغلبة واستولى عليه أي أنه باق تحت قدرته وقهره وسلطانه، فتعدد المعاني للكلمة القرآنية رد على جميع المذاهب الفكرية الضالة، والله أعلم.

(2) يستاء بعض الناس بالاستشهاد بهذا البيت بحجة أن قائله نصراني، والجواب: الشعر الجاهلي الذي هو حجة في اللغة هو أغلبه من المشركين عباد الأصنام، فالخلط في تسييس اللغة بهذه الطريقة مرفوض، وإنما يحتج باللغة لمكانته ولتمكنه ولا عتراف اللغويين بلغوية قائله، ولا ينظر لدينه ولمعتقده، والله أعلم.

يريد: أنه غلب أهله من غير محاربة.
قال: وليس ذلك في الآية بمعنى الاستيلاء، لأن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف،

قال: ومما يؤيد ما قلناه قوله عز وجل: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ..) (فصلت: 11)، والاستواء إلى السماء هو القصد إلى خلق السماء، فلما جاز أن يكون القصد إلى السماء استواء جاز أن تكون القدرة على العرش استواء.
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى، قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن الجهم، ثنا يحيى بن زياد الفراء في قوله عز وجل: ثم استوى إلى السماء فسواهن قال: الاستواء في كلام العرب على جهتين:
- إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته،

- أو يستوي من اعوجاج، فهذان وجهان،
- ووجه ثالث أن تقول: كان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشاتمني وإلي سواء، على معنى أقبل إلي وعلي، فهذا معنى قوله: استوى إلى السماء والله أعلم.
قال: وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ثم استوى: صعد " وهذا كقولك للرجل: كان قاعدا فاستوى قائما، أو كان قائما فاستوى قاعدا، وكل في كلام العرب جائز.

قلت - أي البيهقي - : قوله: استوى بمعنى أقبل صحيح، لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء، والقصد هو الإرادة وذلك هو الجائز في صفات الله تعالى. ولفظ (ثم) تعلق بالخلق لا بالإرادة. وأما ما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنما أخذه عن تفسيره الكلبي، والكلبي ضعيف، والرواية عنه عندنا في أحد الموضعين كما ذكره الفراء). انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف:

قال رحمه الله تعالى: (وأما قوله تعالى "ثم استوى على العرش" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا **وهو إمرارها**

كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر⁽¹⁾ المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و(ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير (11) [سورة الشورى].

(١) يرد ابن كثير رحمه الله على من يزعم التفسير الحسي لطواهر الآيات، وأن هذا إجماع الأمة والسلف الصالح على نفي المعنى الحسي فانتبه وعض عليه بالنواجذ. ففي سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب: ومن سورة المائدة - حديث: 3054: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يمين الرحمن ملأى سحاء لا يغيضها الليل والنهار"، قال: "أرأيت ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغيض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض" هذا حديث حسن صحيح. وهذا الحديث في تفسير هذه الآية: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهذا حديث قد روته الأئمة، **نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم**، هكذا قال غير واحد من الأئمة: الثوري، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا يقال كيف " انتهى كلام الإمام الترمذي رحمه الله.

إجماع الأئمة المعتبرين المشهورين على نفي الكيفية عن الله تعالى:

1 - قال الإمام أبو الحسن الأشعري في "أصول أهل السنة والجماعة المستمارة برسالة أهل الثغر" ص72 بعد أن ذكر صفة اليد والقبضة وصفة المجيء وصفة الاستواء قال: (صفات بلا كيف: **وأجمعوا** على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكيف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكيف له لازم). اهـ.

2 - قال الإمام الحافظ أبو الحسن ابن القطان في "الإقناع في مسائل الإجماع" (ج1/44): (وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكيف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكيف له لازم). اهـ.

3 - قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي (ت463هـ) في "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" (7/143): (وقال نعيم: ينزل بذاته وهو على كرسيه. قال أبو عمر: **ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة، لأن هذا كيفية**، وهم فزعون منها، لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً، وقد جل الله وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، **فلا نتعدى ذلك إلى تشبيهه أو قياس أو تمثيل أو تنظير**، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). اهـ.

4 - قال القاضي عياض في "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" (ج2/517):

(كتب التوراة بيده، وخلق آدم بيده، ويقبض السموات بيده، ومثل هذا مما جاء في الحديث والقرآن من إضافة اليد إلى الله تعالى، **اتفق المسلمون أهل السنة والجماعة، أن اليد هنا ليست بجارحة، ولا جسم، ولا صورة، ونزهوا الله تعالى عن ذلك، إذ هي صفات المحدثين**، وأثبتوا ما جاء من ذلك إلى الله تعالى وآمنوا به، ولم ينفوه، **وذهب كثير من السلف إلى الوقوف هنا، ولا يزيدون ويسلمون ويكلون علم ذلك إلى الله ورسوله عليه الصلاة وسلم**، وكذلك قالوا في كل ما جاء من مثله من المتشابه، **وذهب كثير من أئمة المحققين من المتكلمين منهم إلى أنها صفات علمت من جهة الشرع، فأثبتوها صفات زائدة على الصفات التي يقتضيها العقل، من العلم والقدرة والإرادة والحياة ولم يتأولوها ووقفوا هنا، وذهب**

بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري قال: **من شبه الله بخلقه كفر⁽¹⁾، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهه.**

آخرون منهم إلى تأويلها على مقتضى اللغة التي أرسل بالبيان بها صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم [إبراهيم:4] فتأولوا اليد على القدرة، وعلى المنة، وعلى النعمة والقوة، والملك والسلطان والحفظ والوقاية والطاعة والجماعة، بحسب ما يليق تأويلها بالموضع الذي أتت به، وكذلك تأولوا غيرها من الألفاظ المشككة، **ولكل قول من ذلك سلف وقوة ووجه وحجة**، ولا تخالف بينهم في ذلك إلا من جهة الوقوف أو البيان، وهم متفقون على الأصل الذي قدمناه من التنزيه والتسبيح لمن (ليس كمثله شيء) [شورى:11] خلافاً للمجسمة المتبدعة (الملحة). اهـ.

5 - قال الحافظ بن حجر في "فتح الباري" (ج4/13):

(وقال ابن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، **ولم يكفوا شيئاً منها؛** وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة). اهـ.

(١) كمن أثبت من معاني البشر كالجلوس والمكان والتحتية والفوقية، فالفوق والتحت مخلوق لله تعالى، ففي الفوق بالنسبة لله هو فوقية قهر مطلقة لا فوقية الحس والمسافة: **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** (الأنعام:18) لأن الفوقية الحسية بمعنى أنه كلما ارتفع الانسان اقترب من الله، فهذا اقترب مخلوق لمخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لأن القرب من الله تعالى تكون بزيادة طاعة العبد لله تعالى، وفي التحتية، بيان للقدرة الإلهية المطلقة: **(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)** (النحل:26)، وفي الحديث صحيح مسلم: **(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء..)** فليس دون أي تحت الله شيء، لأن فوق وتحت بمعنى الحس للبشر، وبالمعنى المعنوي فيكون لله سبحانه، والله أعلم.

وفي صرف عن ظاهر النص حسب السياق أحاديث منها:

صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب قول الله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط ..) - حديث:1828: عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: لما نزلت: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك فقال: **" إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار "**.

وفي صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل - حديث:3494: عن عبد الله بن عمرو، قال ابن نمير: وأبو بكر: يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديث زهير: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا "**.

ويدي الله تعالى عند أهل الله تعالى هما صفات الله تعالى الجلال والجمال، والتي بهما خلق الخلق، والصفة تأمر الملائكة المخصصة لها من الله تعالى بتنفيذ أوامر الصفة الإلهية، فالمحيي تأمر ملك الحياة فينفخ في الكائن الروح، والمميت تأمر ملك الموت بموت فلان فينفذ، وهكذا لكل صفة ملائكة منفذة للأوامر، يطلع الله تعالى أوامره في ليلة القدر من كل عام ملائكته للتنفيذ والله أعلم.

فمن أثبت الله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة **على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى انتهى من ابن كثير.**

ونذكر الإمام ابن عبد البر في كتابه "التمهيد" (145/7) ما يلي:
(روى حرمله بن يحيى قال سمعت عبد الله بن وهب يقول سمعت **مالك بن أنس يقول: من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً)** (المائدة: من الآية 64) **وأشار بيده إلى عنقه ومثل قوله: (وهو السميع البصير فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيئاً من بدنه، قُطع ذلك منه، لأنه شبه الله بنفسه،** ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يضحى بأربع من الضحايا)، وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بيده قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره البراء أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء)، اهـ كلام ابن عبد البر نقلاً رواية عن مالك⁽¹⁾.

وليس كما يظن المجسمة صفاته جسمية محدودة بزمان ومكان، لذلك كثرت آيات القرآن الكريم بإيراد التنزيه المطلق نحو: (سبحان - سبحانه - تعالى - تبارك)، وذلك لإزالة أي توهم لعقل الإنسان عن الله تعالى، والتعطيل الحقيقي هو: تعطيل تفعيل أسماء الله وصفاته في الكون، فصفة الخالق يخلق، والبارئ يبرئ، والرازق يرزق، وكل صفاته تعالى تصف اسم الألوهية، فالله هو الملك القدوس السلام، ولا يجوز العكس أي أن يقال: هو الخالق الله، كما لا يجوز وضع حرف الواو بينهما لأنها تفيد التعدد والله واحد، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل عيادة المريض - حديث: 4767
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمتك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

(1) ونقله الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في "عارضة الأحوذني" عند الكلام على حديث اليهودي المذكور في سنن الترمذي في أبواب التفسير من سورة الزمر، (120/12) طبعة دار الكتب العلمية، ونقله الإمام القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى - (2 / 272) فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به، ونقله الإمام القرطبي في تفسيره (25/11)، والإمام أبو حيان الأندلسي في

2- وقال إمام أهل السنة في وقته والصابر على المحنة في زمانه الإمام المعظم المبجل أحمد بن محمد بن حنبل، فقد روى عنه اللالكائي في "أصول السنة" - ومن طريقه الأصبهاني في "الحجة" (208/1) - قال اللالكائي (3 / 432): (سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن جابر يقول سمعت أبا نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: 67)، قال: ثم أوماً بيده، فقال له أحمد: قطعها الله، قطعها الله، قطعها الله، ثم حرد وقام اهـ.

وفي تفسير ابن كثير أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) سورة المجادلة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه، وإطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم؛ حيث كانوا؛ وأين كانوا... أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله وسمعه له كما قال تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (التوبة: 78)، وقال تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف: 80).

ويتابع ابن كثير قوله: (ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء).

ثم قال تعالى " ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "

تفسيره "البحر المحيط" (208/6)، ومرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه "أقوال الثقات" (ص 140)، ونقله الكوثري في "السيف الصقيل" و"الأسماء والصفات.."

وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم. انتهى.

وانظر إلى تأويل الشيخ ابن تيمية للمعنى العامة والمعنى الخاصة، ولتأويله لـ (في) ⁽¹⁾ فقال: (وقوله تعالى: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) **ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة:**

(فالعامة في هذه الآية؛ وفي آية المجادلة: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو **معهم** أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم).

(فافتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم . ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل هو **معهم بعلمه.**

(وأما المعنى الخاصة ففي قوله تعالى : (**إن الله مع** الذين اتقوا والذين هم محسنون). وقوله تعالى لموسى (**إنني معكما** أسمع وأرى). وقال تعالى (إذ قال لصاحبه لا تحزن **إن الله معنا).**

يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه فهو مع موسى وهارون دون فرعون ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه. ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين والمعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام.

بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

وقوله تعالى : (وهو الذي **في** السماء إله **وفي** الأرض إله) **أي هو إله من في السموات وإله من في الأرض.**

كما قال تعالى : (وله المثل الأعلى **في** السموات والأرض وهو العزيز الحكيم).. وكذلك قوله تعالى : (وهو الله في السموات والأرض). كما **فسره أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض..** (انتهى كلام ابن تيمية.

فانظر إلى تأويل ابن تيمية بأنها معية علم وليست معية ذات حسب ظاهر النص، ولو كانت معية ذات لتناقض القرآن الكريم، ولهذا اضطر إلى التأويل فافهم.

ولكي نفهم ذلك نحتاج إلى مقدمة نستعرض فيها موقف القرآن الكريم ممن

(١) (كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 107)

سأل عن ذات الله تعالى؟ وممن سأل عن صفاته؟
أولاً - بطش الله تعالى بالمشركين لسؤالهم عن ذاته سبحانه وتعالى:

1 - بطش الله تعالى بفرعون:

(فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لئنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) سورة الشعراء.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: وقول (قال فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول: وأي شيء رب العالمين؟.

وقال القرطبي في تفسيره: (لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على التبرية وغير ذلك حجة، رجع إلى معارضة موسى في قوله: رسول رب العالمين؛ فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأشياء.

قال مكي وغيره: كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم بـ "ما". قال مكي: وقد ورد له استفهام بـ "من" في موضع آخر ويشبه أنها مواطن؛ فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى؛ لأن الأجناس محدثة، فعلم موسى جهله، فأضرب عن سؤاله، وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها).

وقال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله "وما رب العالمين" وذلك أنه كان يقول لقومه "ما علمت لكم من إله غيري"، "فاستخف قومه فأطاعوه" وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى إني رسول رب العالمين، قال له فرعون: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا

فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى "قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية! بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين). انتهى (1).

2 - بطش الله تعالى ببعض مشركي العرب لسؤالهم عن ذاته سبحانه:

ورد في سبب نزول الآية: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) [سورة الرعد]، قال ابن كثير في تفسيره:

(قال " ويسبح الرعد بحمده" كقوله " وإن من شيء إلا يسبح بحمده "... قال الإمام أحمد - وأسنده - عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال " اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك".

ورواه الترمذي والبخاري في كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسم به. وقال الإمام أبو جعفر بن جرير - وأسنده - عن أبي هريرة رفعه أنه كان إذا سمع الرعد قال " سبحان من يسبح الرعد بحمده".

وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول: سبحان من سبحت له.

وكذا روى عن ابن عباس وطاووس والأسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون كذلك. وقال الأوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة.

وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال:

(سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته).

ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض) رواه مالك في موطئه والبخاري في كتاب الأدب.

(1) السؤال كان عن الماهية كما تقدم عن القرطبي، وليس شرطاً أن يؤمن الشخص حتى يسأل عن ماهية خالقه، وإنما سؤال فرعون سؤال معاند، يريد أن يخرج موسى أمام قومه، لذلك أخذ الله تعالى والله أعلم.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" قال ربكم عز وجل: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتم صوت الرعد " وقال الطبراني - وأسنده - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً " وقوله تعالى " ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء " أي يرسلها نقمة ينقم بها ممن يشاء، ولهذا تكثر في آخر الزمان.

كما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول: من صعق قبلكم الغداة؟ فيقولون: صعق فلان؛ وفلان؛ وفلان، ثم قال ابن كثير وقد روى في سبب نزولها:

1 - ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي - وأسنده - عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال " اذهب فادعه لي " قال فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله ﷺ، فقال له: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو؟ أم من فضة هو؟ أم من نحاس هو؟ قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: يا رسول الله قد خبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي: كذا وكذا، فقال لي: " ارجع إليه الثانية " فذهب، فقال له مثلها، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك فقال: " ارجع إليه فادعه " فرجع إليه الثالثة، قال: فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأت فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله عز وجل: **(وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ)** (الرعد: 13) " الآية^(١).

2 - وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: جاء يهودي فقال يا محمد أخبرني عن ربك؟ من أي شيء هو؟ من نحاس هو؟ أم من لؤلؤ؟ أو ياقوت؟، قال: فجاءت صاعقة فأخذته، وأنزل الله **" ويرسل الصواعق "** الآية

(١) ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فنكر نحوه.. اهـ.

3 - وقال قتادة ذكر لنا أن رجل أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله صاعقة فأهلكته وأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) الآية.

4 - وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول الله ﷺ المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله ﷺ، فقال له عامر بن الطفيل - لعنه الله - : أما والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مردأً، فقال له رسول الله ﷺ: (يأبى الله عليك ذلك وأبناء قبيلة) يعني الأنصار ثم إنهما هما بالفتك برسول الله ﷺ فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه الله تعالى منهما وعصمه، فخرجا من المدينة، فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام، فأرسل الله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقتة، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة، فجعل يقول: يا آل عامر غدة كغدة البكر! وموت في بيت سلولية! حتى ماتا لعنهما الله وأنزل الله في مثل ذلك " **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله .**

وفى ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه:

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماء والأسد
فجعني الرعد والصواعق بالـ فارس يوم الكريهة النجد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني - وأسنده - عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن حزم بن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ فانتھيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: " لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم " قال عامر بن الطفيل أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: " ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل "، قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر، ولك المدر، قال رسول الله ﷺ: " لا "، فلما قفلا من عنده قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً فقال له رسول الله ﷺ: " يمنعك الله "، فلما خرج أربد وعامر، قال عامر: يا أربد أنا أشغل عنك محمدا بالحديث فاضربه بالسيف فإن الناس إذا قتلت محمدا لم يزيديا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهما الدية قال أربد: أفعل فأقبلا راجعين إليه.

فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه، وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف ببست يده على قائم السيف، فلم يستطع سل السيف، فأبطأ أربد على عامر

بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالحرّة - حرّة راقم - نزلاً فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: أشخصا يا عدوا الله لعنكما الله، فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: هذا أسيد بن حضير العاتب.

فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالخرم أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية، يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرت فأحضره حتى مات عليه راجعاً فأنزل الله فيهما:

" الله يعلم ما تحمل كل أنثى - إلى قوله - وما لهم من دونه من وال "

قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أربد وما قتله به فقال " ويرسل الصواعق " الآية.

وقوله " وهم يجادلون في الله " أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو.

" وهو شديد المحال " قال ابن جرير: شديدة مما حلت في عقوبته من طغي عليه وعتا، وتمادى في كفره، وهذه الأمة شبيهة بقوله: (وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (النمل:50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) (النمل:51)

وعن علي رضي الله عنه " وهو شديد المحال " أي شديد الأخذ، وقال مجاهد: شديد القوة) انتهى باختصار.

ثانياً - إجابة القرآن من سأل عن صفات الله تعالى:

1 - إخبار القرآن عن إجابة سيدنا موسى - عليه السلام - سؤال فرعون

عن صفات الله تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) سورة طه.

قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبراً عن فرعون، أنه قال لموسى - منكراً وجود الصانع؛ الخالق؛ إله كل شيء؛ وربّه؛ ومليكه - : (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا

مُوسَى) أي الذي بعثك وأرسلك من هو؟ فإني لا أعرفه؟ وما علمت لكم من إله غيري).

قال القرطبي في تفسيره: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) أي أنه يعرف بصفاته، وليس له اسم علم حتى يقال: فلان، بل هو خالق العالم، والذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة، ولو كان الخطاب معهما لقالا: قالاً ربنا.

و"خلقه" أول مفعولي أعطى، أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به؛ على قول الضحاك على ما يأتي).

2 - إجابة القرآن لسؤال مشركي العرب عن صفات الله تعالى:

قال ابن جرير الطبري في سبب نزول سورة الإخلاص:

(القول في تأويل قوله تعالى: {قل هو الله أحد}

ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب رب العزة، فأنزل الله هذا السورة جواباً لهم.

وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأنزلت جواباً لهم.

1 - ذكر من قال: أنزلت جواباً للمشركين الذين سألوه أن ينسب لهم

الرب تبارك وتعالى.

عن أبي بن كعب، قال: قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله: {قل هو الله أحد الله الصمد}

عن عكرمة، قال: إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله: {قل هو الله أحد} إلى آخر السورة

عن أبي العلية {قل هو الله أحد الله الصمد} قال: قال ذلك قتادة الأحزاب: أنسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه

عن جابر قال: قال المشركون: انسب لنا ربك، فأنزل الله {قل هو الله أحد}

2 - ذكر من قال: نزل ذلك من أجل مسألة اليهود:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد،

قال: أتى رهط من اليهود النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟

فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه؛ ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل عليه

السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاء من الله جواب ما سأله

عنه. قال: يقول الله: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} فلما تلا عليهم النبي ﷺ قالوا: **صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه(1)، فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول،** وساورهم غضبا، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سأله عنه: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**) (الزمر: 67).

وعن قتادة، قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: أنسب لنا ربك، فنزلت: {قل هو الله أحد} حتى ختم السورة فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا: قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ربك وصفته، ومن خلقه: الرب الذي سألتهموني عنه، هو الله الذي له عبادة كل شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، ولا تصلح لشيء سواه) انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره عن سبب نزول سورة الإخلاص:

1 - قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد أنسب لنا ربك؟ فأنزل الله تعالى: "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خدّاش عن أبي سعيد محمد بن ميسرة به زاد ابن جرير والترمذي **قال: "الصمد" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث**."

ولم يكن له كفوا أحد" ولم يكن له شبيه؛ ولا عدل؛ و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11) [سورة الشورى].

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ثم رواه الترمذي فذكره مرسلًا 00 ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبي سعيد.

2 - "حديث آخر في معناه" قال الحافظ أبو يعلى الموصلي - وأسنده - عن جابر رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **أنسب لنا ربك؟ فأنزل الله عز وجل: "قل هو الله أحد" إلى آخرها.**

إسناد متقارب وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن شريح فذكره وقد

(1) أرأيت كيف نزلت سورة الإخلاص ترد على المشركين واليهود المجسمين، ثم أرأيت إلى عقيدة اليهود المجسمة يجعلون لله تعالى أعضاء كأعضاء البشر، وأرأيت إلى غضب رسول الله ﷺ منهم ومن كلامهم، وأنهم لم يقدرُوا الله حق قدرهن فنتبه وافهم واحذر من تجسيم اليهود.

أرسله غير واحد من السلف.

وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك؟ فنزلت هذه السورة: "قل هو الله أحد"، قال الطبراني: ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا.

ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: **قال رسول الله ﷺ: "لكل شيء نسبة، ونسبة الله: "قل هو الله أحد الله الصمد"، والصمد: ليس بأجوف".** انتهى.

بعد تلك المقدمة نأتي إلى أدلة استحالة وصف الله تعالى بالحدوث والمخلوقية من الصفات (كالأعضاء والحدوث والجهات الست):

1 - الدليل الأول على أن الغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الثمانية: (فوق وتحت؛ وأمام وخلف؛ ويمين ويسار، وداخل وخارج)، كل ذلك مخلوق لله تعالى⁽¹⁾:

قال الله تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) سورة الأنعام، (2) والمخلوق لا يكون موجوداً إلا من العدم، فيستحيل أن تحيط المخلوقات بالخالق.

وكما قال الله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) سورة الحديد. وفسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء)، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ) وهي مقدمة على رواية: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ) رواهما البخاري صحيحه.

(1) هذا هو الفارق بين التنزيه والمجسمة من السلف الطالح والحاضر، حتى بدأ شيوخ المجسمة الحاضر يُخطئ الإمام الهمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله لنفيه الأعضاء والأركان عن الله تعالى.

(2) قال ابن كثير تفسيره: يقول تعالى "ذلکم الله ربکم" أي الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة. "لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه" أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل.

"وهو على كل شيء وكيل" أي حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكأفهم بالليل والنهار. وقال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار" بين سبحانه أنه منزّه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد، كما تدرك سائر المخلوقات.

- متى خلق الله الجهات الثمانية؟:

بين ابن حجر في فتح الباري في جمعه للروايات الحديثية تسلسل خلق الله تعالى للمخلوقات فكانت على النحو التالي: خلق الله الماء ثم العرش ثم القلم ثم السموات والأرض:

1 - خلق الله تعالى الماء ثم العرش:

أخرج البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: (اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ)؟ قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: (اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ)؟ قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ)، فَنَادَى مُنَادٌ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ! فَانْطَلَقَتْ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا⁽¹⁾.

وَرَوَى عِيسَى عَنْ رَقَبَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ) ورواه: الترمذي في سننه: أحمد في مسنده.

البخاري - باب وكان عرشه على الماء - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: (اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ!) قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا.

فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: (اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ! إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ)، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَنْفَقَهُ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ، وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ).

(1) في كتاب (الاعتقاد للبيهقي) - باب في ذكر صفة الفعل - حديث: 33: أورد الحديث ثم علق بقوله: يدل على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، وكل ذلك أغيار، وقوله: "وكان عرشه على الماء" يعني به: ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء. وبيان ذلك في حديث أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "ثم خلق العرش على الماء".

ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ! أَدْرِكْ نَاقَتَكَ، فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَائِمُّ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ. ورواه: الترمذي في سننه: أحمد في مسنده.

دراسة حديثة لترجيح إحدى الروايتين:

وقال البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - بَاب وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ارْتَفَعَ، فَسَوَّاهُنَّ خَلَقَهُنَّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **اسْتَوَى عَلَا عَلَى الْعَرْشِ**، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (الْمَجِيدُ) الْكَرِيمُ، وَ(الْوُدُودُ): الْحَبِيبُ، يُقَالُ: (حَمِيدٌ مَجِيدٌ)، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمْدٍ ⁽¹⁾

⁽¹⁾ قال الحافظ في الفتح: (قوله (باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم): كذا ذكر قطعتين من آيتين، وتلطف في ذكر الثانية عقب الأولى، لرد من توهم من قوله في الحديث: " كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ".

أن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل، وكذا من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، وربما تمسك بعضهم وهو أبو إسحاق الهروي بما أخرجه من طريق سفيان الثوري: " حدثنا أبو هشام " هو الرمانى بالراء والتشديد عن مجاهد عن ابن عباس قال: " **إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فأول ما خلق الله القلم** ".

وهذه الأولية محمولة على خلق السموات والأرض وما فيهما. فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) قال: هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء وعرشه من ياقوتة حمراء فأردف المصنف بقوله (رب العرش العظيم) إشارة إلى أن العرش مربوب وكل مربوب مخلوق.

وختم الباب بالحديث الذي فيه " فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش " **فإن في إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاد وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق.**

وقال البيهقي في " الأسماء والصفات ": (اتفقت أقاويل هذا التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم خلقه الله، وأمر ملائكته بحمله، وتعبدتهم بتعظيمه؛ والطواف به، كما خلق في الأرض بيتاً، وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة)، وفي الآيات - أي التي ذكرها - والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه. قوله (قال أبو العالِيَةِ: استوى إلى السماء ارتفع فسوى خلق) في رواية الكشميهني " فسواهن: خلقهن "، وهو الموافق للمنقول عن أبي العالِيَةِ لكن بلفظ " فقضاهن ". كما أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه في قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء) قال: ارتفع.

وفي قوله " **فقضاهن** " وهذا هو المعتمد والذي وقع " فسواهن " تغيير. ووقع لفظ سوى أيضاً في سورة النازعات في قوله تعالى: (رفع سمكها فسواها).

وليس المراد هنا وقد تقدم في تفسير سورة فصلت في حديث ابن عباس الذي أجاب به عن الأسئلة التي قال السائل إنها اختلفت عليه في القرآن فإن فيها: **" أنه خلق الأرض قبل خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض "**.

ثم إن في تفسير: (سوى: بخلق) نظراً لأن في التسوية قدراً زائداً على الخلق كما في قوله تعالى: (الذي خلق فسوى).

قوله (وقال مجاهد استوى: علا على العرش) وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

قال ابن بطال: اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا:

- **فقال المعنزي:** معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

من غير ودم مهراق

- **وقالت الجسمية:** معناه الاستقرار.

- وقال بعض أهل السنة: معناه ارتفع، وبعضهم معناه: علا، وبعضهم معناه: الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك، يقال لمن أطاعه أهل البلاد.

- **وقيل معنى الاستواء:** التمام والفراغ من فعل الشيء، ومنه قوله تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) (القصص: من الآية 14) فعلى هذا فمعنى استوى على العرش: أتم الخلق، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء.

- **وقيل إن: " على " في قوله (على العرش) بمعنى: إلى،** فالمراد على هذا انتهى إلى العرش أي فيما يتعلق بالعرش لأنه خلق الخلق شيئاً بعد شيء.

ثم قال ابن بطال: فأما قول المعنزي فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهراً غالباً مستولياً، وقوله " ثم استوى " يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، ولازم تأويلهم أنه كان مغالباً فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه، وهذا منتف عن الله سبحانه،

وأما قول المجسمة ففساد أيضاً، لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي، وهو محال في حق الله تعالى، ولائق بالمخلوقات لقوله تعالى: **(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ) (المؤمنون: من الآية 28)، وقوله: (لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) (الزخرف: من الآية 13).**

قال وأما تفسير (استوى: علا) فهو صحيح وهو المذهب الحق، وقول أهل السنة، لأن الله سبحانه وصف نفسه بـ (العلي)، وقال: **(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس: من الآية 18)** وهي صفة من صفات الذات.

وأما من فسر: ارتفع ففيه نظر، لأنه لم يصف به نفسه.

قال واختلف أهل السنة: هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل؟

- فمن قال معناه: علا، قال: هي صفة ذات.

- ومن قال غير ذلك قال: هي صفة فعل، وإن الله فعل فعلاً سماه استوى على عرشه، لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به انتهى ملخصاً.

وقد ألزمه من فسر بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهراً بعد أن لم يكن، فيلزم أنه صار غالباً بعد أن لم يكن؛ والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى **(وكان الله عليمًا حكيمًا)** فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه: لم يزل كذلك، كما تقدم بيانه عن ابن عباس في تفسير فصلت.

وبقي من معاني استوى ما نقل عن ثعلب:

- استوى الوجه اتصل، واستوى القمر امتلاً واستوى فلان وفلان تماثلاً، واستوى إلى المكان أقبل، واستوى القاعد قائماً، والنائم قاعداً.

ويمكن رد بعض هذه المعاني إلى بعض، وكذا ما تقدم عن ابن بطال.

وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق:

- بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال: كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** (طه:5) ؟

فقال: هو على العرش كما أخبر.

قال: يا أبا عبد الله إنما معناه استولى.

فقال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد.

ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي سمعت ابن الأعرابي يقول: أرادني أحمد بن أبي داود أن أجد له في لغة العرب **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** (طه:5) بمعنى استولى فقلت: والله ما أصبت هذا.

وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش، لأنه غالب على جميع المخلوقات.

ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره: عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع.

وقال أبو عبيدة والفراء وغيرهما بنحوه.

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت:

"الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر"

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟ فقال: **"الاستواء غير**

مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلىنا التسليم".

وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قوله تعالى: **(ثم استوى على العرش)؟**، فقال: هو كما وصف نفسه.

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه

فقال: الرحمن على العرش استوى وصف به نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا

صاحب بدعة أخرجه."

ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه " والإقرار به واجب،

والسؤال عنه بدعة."

وأخرج البيهقي

من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك

وأبو عوانة: لا يحددون لا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف، قال أبو داود وهو قولنا،

قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا.

وأسند اللالكائي (كما ذكره ابن حجر في الفتح 407/13) عن محمد بن الحسن الشيباني قال:

اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئاً منها، وقال

بقول جهنم فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفارق الجماعة، لأنه وصف الرب بصفة لا شيء.

ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكا والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: **أمروها كما جاءت بلا كيف**."

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: **(له أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11) [سورة الشورى].** وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال: **" كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه "**.

ومن طريق أبي بكر الصبيعي قال: مذهب أهل السنة في قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، قال: بلا كيف، والآثار فيه عن السلف كثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل. وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات. وقال في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم **أمروها بلا كيف، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة**. وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه.

وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل: يد كيد وسمع كسمع. وقال في تفسير المائدة قال الأئمة: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم: الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك.

وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكتفوا شيئا منها؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه، فسامهم من أقر بها معطلة.

وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في أي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الله تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى.

وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة.

وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال:

أ - قولان لمن يجريها على ظاهرها:

- أحدهما: من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء.
- والثاني: من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته.

ب - وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها:

- أحدهما يقول: لا نؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده.
- والآخر: يؤول فيقول مثلاً معنى الاستواء الاستيلاء، واليد القدرة ونحو ذلك.

ج - وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة:

- أحدهما: يقول يجوز أن تكون صفة، وظاهرها غير مراد، ويجوز أن لا تكون صفة.
- والآخر: يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه.

قوله (وقال ابن عباس: المجيد الكريم، والودود الحبيب) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ذو العرش المجيد) قال: المجيد الكريم. وبه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهو الغفور الودود) قال: الودود: الحبيب وإنما وقع تقديم المجيد قبل الودود هنا لأن المراد تفسير لفظ المجيد الواقع في قوله (ذو العرش المجيد) فلما فسره استطرده لتفسير الاسم الذي قبله إشارة إلى أنه قرئ مرفوعاً بالاتفاق. وذو العرش بالرفع صفة له واختلفت القراء في المجيد بالرفع، فيكون من صفات الله، وبالكسر فيكون صفة العرش.

قال ابن المنير: جميع ما ذكره البخاري في هذا الباب يشتمل على ذكر العرش إلا أثر ابن عباس، لكنه نبه به على لطيفة وهي أن المجيد في الآية على قراءة الكسر ليس صفة للعرش، حتى لا يتخيل أنه قديم بل هي صفة الله:

- بدليل قراءة الرفع.
- وبدليل اقترانه بالودود فيكون الكسر على المجاورة لتجتمع القراءتان على معنى واحد انتهى.

- ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى ما أرفده به، وهو يقال حميد مجيد إلخ.

- ويؤيده حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدارقطني بلفظ " إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدي عبدي " ذكره ابن التين قال: ويقال المجد في كلام العرب: الشرف الواسع، فالماجد من له آباء متقدمون في الشرف.

وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء.

فالمجيد صيغة مبالغة من المجد وهو الشرف القديم.

وقال الراغب: المجد السعة في الكرم والجلالة، وأصله قولهم مجدت الإبل أي وقعت في مرعى كثير واسع وأمجدها الراعي.

ووصف القرآن بالمجيد لما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية انتهى.

ومع ذلك كله فلا يمتنع وصف العرش بذلك لجلالته وعظيم قدره كما أشار إليه الراغب، ولذلك وصف بالكريم في سورة قد أفلح، وأما تفسير الودود بالحبيب فإنه يأتي بمعنى المحب والمحبوب لأن أصل الود محبة الشيء.

قال الراغب: الودود يتضمن ما دخل في قوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقد تقدم معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له.

قوله (يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد) كذا لهم بغير ياء فعلاً ماضياً ولغير أبي ذر عن الكشميهني محمود من حميد.

وكون العرش مخلوقاً فهو يهتز:

صحيح البخاري كتاب المناقب - باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه - حديث: 3615: عن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"اهتز العرش لموت سعد بن معاذ"**، وعن الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله، فقال رجل: لجابر، فإن البراء يقول: اهتز السرير، فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: **" اهتز عرش**

وأصل هذا قول أبي عبيدة في " كتاب المجاز " في قوله (عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) أي محمود ماجد.

وقال الكرمانى غرضه منه أن مجيداً بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر وحميدا بمعنى مفعول، فلذلك قال مجيد من ماجد وحميد من محمود.

قال: وفي بعض النسخ محمود من حميد، وفي أخرى من حمد مبني للفاعل والمفعول أيضاً، وذلك لاحتمال أن يكون حميد بمعنى حامد ومجيد بمعنى ممجد.

ثم قال: وفي عبارة البخاري تعقيد.

قلت: وهو في قوله محمود من حمد، وقد اختلف الرواة فيه، والأولى فيه ما وجد في أصله وهو كلام أبي عبيدة، ثم ذكر في الباب تسعة أحاديث لبعضها طريق، أخرى انتهى.

وأما أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي الحنبلي المتوفى سنة (410هـ) فينقل عن الإمام أحمد خلاف ذلك، إذ يقول عنه: **[وأنكر على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة بالشرعية**

واللغة . وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله] . [الملحق الذي بأخر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: 2 / 298] .

وممن نفى لفظ الجسم عن الله تبارك وتعالى شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى فإنه قال: [لا يجوز أن يسمى الله جسماً، فمن اعتقد أن الله سبحانه جسم من الأجسام وأعطاه حقيقة الجسم من التأليف

والانتقال فهو كافر] . [طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: 2 / 212] (انظر عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع شبهات المناوئين) للدكتور صلاح الدين الإدلبي ص 18 حاشية، طبع دار السلام في القاهرة

ط 2 عام 1431 هـ - 2010م.

وقد نبه ابن تيمية رحمه الله إلى أول من ابتدع الجسمية لله تعالى فقال: (وكان مُتَكَلِّمُوا الشَّيْخَةِ كَهْشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَهْشَامُ بْنُ الْجَوَالِيقِيِّ وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَمِّيِّ وَأَمْثَالُهُمْ يَزِيدُونَ فِي

إثبات الصفات على مذهب أهل السنة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، وغير ذلك من مقالات أهل السنة والحديث،

حتى يبتدعون في الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعض والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس ... وأول من عُرف عنه في الإسلام أنه قال: «إن الله جسم

هو هشام بن الحكم»] . "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 71 - 73 بتحقيق د.

محمد رشاد سالم، ط 1، 1986.

قال أحدهم معلقاً: هذا الكلام من ابن تيمية هو نص صريح على أن التجسيم والتبعض والتمثيل هو ابتداء، وأول من أحدث بدعة التجسيم هو هشام بن الحكم الشيعي، وهذا يعني أن عقيدة أهل السنة والجماعة قبل إحداث هذه البدعة الضلالة هي تنزيه الله عن الجسمية ولوزامها.

الرحمن لموت سعد بن معاذ " .

وفي رواية لمسلم أوضح أن تلك المقولة قالها النبي ﷺ أثناء الجنازة:
صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه - حديث: 4616
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: - وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم - : (اهتز لها عرش الرحمن).
وكما أن العرش مخلوق كذلك سيفنى: قال الله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (88) سورة القصص.
وقال سبحانه: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) سورة الرحمن.

2 - وهل القلم قبل العماء (أو العمى) أم بعده؟⁽¹⁾:

روى الترمذي - باب ومن سورة هود - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكَيْعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّنَ كَانَ رَبُّنَا (2) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ:

(1) قال أحد الصالحين: في أوليات الخلق أنها كلها تمت في لحظة واحدة، كمثل حبات زرع مختلفة تم رميها في التربة في لحظة واحدة فنتج عنها كل منها أول وهو توجيه جميل والله أعلم.
(2) قال المباركفوري في تحفته على الترمذي: قوله: (قبل أن يخلق خلقه) وفي رواية لأحمد: (قبل أن يخلق السماوات والأرض)
(كان في عماء إلخ): قال الخازن في تفسيره: قال أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم: كان الله ولم يكن شيء قبله، يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما.
وقوله " وكان عرشه على الماء ": يعني خلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء.

وقوله: (في عماء): وجدته في كتاب عماء مقيدا بالمد، فإن كان في الأصل ممدودا فمعناه سحب رقيق. ويريد بقوله: في عماء أي فوق سحب مدبراً له وعالياً عليه كما قال سبحانه وتعالى: (أأمنتم من في السماء): يعني من فوق السماء.
وقوله تعالى: (لأصلبنكم في جذوع النخل): يعني على جذوعها،
وقوله: (ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء)، وكذلك قوله (ما تحته هواء) أي ما تحت السحاب هواء.

وقد قيل: إن ذلك العمى مقصور، والعمى إذا كان مقصوراً **فمعناه: لا شيء ثابت**: لأنه مما عمى عن الخلق لكونه غير شيء. فكأنه قال في جوابه: كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره.
ثم قال: (ما فوقه هواء وما تحته هواء): أي ليس فوق العمى الذي هو لا شيء موجود هواء ولا تحته هواء، لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه.

وقال الهروي صاحب الغريبين: قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصاراً، كقوله " واسأل القرية "

ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: (وكان عرشه على الماء) هذا آخر كلام البيهقي.

وقال ابن الأثير: **العماء في اللغة:** السحاب الرقيق، وقيل: الكثيف، وقيل: هو الضباب.

ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره: أين كان عرش ربنا فحذف.

ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) وحكى عن بعضهم في العمى المقصور. أنه هو كل أمر لا يدركه الفطن.

وقال الأزهري قال أبو عبيد: إنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، وإلا فلا ندري كيف كان ذلك العماء.

قال الأزهري: فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته، انتهى كلام الخازن.

وقال السيوطي في مصباح الزجاجة: قال القاضي ناصر الدين بن المنير: **وجه الإشكال في الحديث الظرفية والفوقية والتحتية.**

قال: والجواب أن في معنى على، وعلى بمعنى الاستيلاء، أي كان مستولياً على هذا السحاب الذي خلق منه المخلوقات كلها، والضمير في فوقه يعود إلى السحاب، وكذلك تحته، أي كان مستولياً على هذا السحاب الذي فوقه الهواء، وتحته الهواء، وروى بلفظ القصر في العمى.

والمعنى عدم ما سواه كأنه قال: كان ولم يكن معه شيء، بل كل شيء كان عدماً عمى لا موجوداً ولا مدركاً، والهواء الفراغ أيضاً لعدم كأنه قال: كان ولا شيء معه ولا فوق ولا تحت) انتهى.

قلت: إن صحت الرواية عمى بالقصر فلا إشكال في هذا الحديث، وهو حينئذ في معنى حديث:

" كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء " رواه البخاري وغيره عن عمران بن حصين.

وإن صحت الرواية عماء بالمد، فلا حاجة إلى تأويل بل يقال: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة.

أي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل كما قال الأزهري،

(وخلق عرشه على الماء) وفي رواية أحمد: ثم خلق عرشه على الماء.

قال الحافظ: قد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقلي مرفوعاً: (إن الماء خلق قبل العرش).

وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة: إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء.

وأما ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً:

(أول ما خلق الله القلم، ثم قال: أكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة).

فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش، أو بالنسبة إلى ما صدر منه من الكتابة، أي أنه قيل له أكتب أول ما خلق) انتهى.

قوله: (قال أحمد) أي ابن منيع (قال يزيد) أي ابن هارون في تفسير العماء المذكور في الحديث (العماء أي ليس معه شيء) كذا فسر يزيد العماء بأنه ليس معه شيء، وقد عرفت أن العماء بالمد هو

السحاب الرقيق، والعمى بالقصر بمعنى ليس معه شيء.

قوله: (هذا حديث حسن) وأخرجه أحمد وابن ماجه. انتهى.

وفي صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ - ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض - حديث: 6232: عن أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: " هل

(كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ) قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: **قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ - أَحَدُ رِجَالِ سَنَدِ هَذَا الْحَدِيثِ - : الْعَمَاءُ أَيُّ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ،** قَالَ أَبُو عِيْسَى هَكَذَا رَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَكَيْعُ بْنُ حُدْسٍ وَيَقُولُ شُعْبَةُ وَأَبُو عَوَانَةَ وَهَشِيمٌ وَكَيْعُ بْنُ حُدْسٍ وَهُوَ أَصَحُّ وَأَبُو رَزِينٍ اسْمُهُ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وفي رواية أحمد: (قَالَ: كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ).

- خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ:

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَنَاسًا عِنْدَنَا يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ؟!، فَقَالَ عَطَاءٌ: لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ ^(١) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ

ترون ليلة البدر القمر أو الشمس بغير سحاب؟ "، قالوا: نعم. قال: " فإله أعظم " . قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: " في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء " . قال أبو حاتم رضي الله عنه: " وهم في هذه اللفظة حماد بن سلمة من حيث في (غمام) إنما هو في (عماء)، يريد به أن الخلق لا يعرفون خالقهم من حيث هم، **إذ كان ولا زمان ولا مكان، ومن لم يعرف له زمان، ولا مكان ولا شيء معه، لأنه خالقها، كان معرفة الخلق إياه كأنه كان في عماء عن علم الخلق، لا أن الله كان في عماء إذ هذا الوصف شبيه بأوصاف المخلوقين " .**

(١) القصة ما أخرجه الترمذي فقال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ؟، قَالَ: يَا بُنَيَّ أَنْقَرُوا الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْرَأُوا (الزُّخْرَفَ).

قَالَ: فَقَرَأْتُ: (حَمْدَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ)**، فَقَالَ: **أُنْذِرِي مَا أُمُّ الْكِتَابِ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.**

قَالَ: فَإِنَّهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ: فِيهِ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَفِيهِ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)، قَالَ عَطَاءٌ: فَلَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ مَا كَانَ وَصِيَّةَ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟، قَالَ: دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَنْقِيَ اللَّهَ حَتَّى: تُؤْمِنَ بِاللَّهِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا اكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) قَالَ أَبُو عِيْسَى وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ)، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي).

3 - ثم خلق الله السموات والأرض، فخلقت الجهات الست النسبية (1):

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (104) سورة الأنبياء، والله هو الوحيد يبدئ ويعيد، والإنسان لا يستطيع أن يعيد ما ابتدأه، فطولة الخشب لا يستطيع الإنسان أن يعيدها إلى شجرة، وهكذا في كل ما ينتجه الإنسان ويصنعه، وهذا من إعجاز الله تعالى الخالق على خلقه فانتبه.

(أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (64) سورة النمل.

وبدأ الزمان بحركة الشمس والقمر: لقوله تعالى: (فَالْقُلُوبُ الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ

الليل سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (96) سورة الأنعام. (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (5) سورة يونس. (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) (12) سورة الإسراء.

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (36) سورة التوبة.

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة وحجة الوداع:

أخرج البخاري - كتاب بدء الخلق - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا: مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةُ مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ

(١) الجهات الست: (فوق وتحت، وأمام وخلف، ويمين وشمال) نسبية بالنسبة للمكان المنسوب إليها، فالذي يكون على الأرض في الشمال جهاته الست تختلف عن الجنوب وكذلك من يكون الوسط، وكذلك من يكون على القمر وهكذا.

مُضَرَّ الذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ⁽¹⁾ ورواه:مسلم:ابن ماجه:أحمد في مسنده:مسلمي.

وما ورد في القرآن والسنة من ظرفي الزمان والمكان - وشبههما⁽²⁾ - فمنزه عنه سبحانه وتعالى، لأنها كلها مخلوقة لله تعالى، وتفسير ورودهما في

(1) قال النووي في شرح صحيح مسلم - باب تغليظ حرمة الدماء - :
(قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان) أما ذو القعدة: فبفتح القاف، وذو الحجة بكسر الحاء هذه اللغة المشهورة، ويجوز في لغة قليلة كسر القاف وفتح الحاء.
وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدّها:
- فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب: يقال: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ليكون الأربعة من سنة واحدة.

- وقال علماء المدينة والبصرة وجماهير العلماء: هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، منها هذا الحديث الذي نحن فيه، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناس من الطوائف كلها.
وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (ورجب مضر الذي بين جمادى، وشعبان) وإنما قيده هذا التقييد بمبالغة في إيضاحه وإزالة للبس عنه.
قالوا: وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن، وهو الذي بين جمادى وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مضر.

وقيل: لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم.
وقيل: إن العرب كانت تسمي رجباً وشعبان الرجبين.
وقيل: كانت تسمي جمادى ورجباً جمادين، وتسمي شعبان رجباً.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض):
فقال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخرجوا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حتى اختلط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي صلى الله عليه وسلم تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض.
وقال أبو عبيدة: كانوا ينسئون، أي: يؤخرون وهو الذي قال الله تعالى فيه:

(إنما النسيء زيادة في الكفر).

فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم، فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.) انتهى باختصار.

(2) نحو الجار والمجرور.

سياق آيات وأحاديث الصفات، إنما لإثبات صفات الله تعالى، وليس لإثبات الزمان والمكان لله سبحانه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وحيث أن العقل البشري متعلق بالزمان والمكان اشتبه على البعض ورود ظرفي الزمان والمكان في آيات الصفات، ونسي أن الزمان والمكان مخلوقان. (1).

(1) ومثاله:

أخرج البخاري في صحيحه - باب بدء الخلق - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي).

قال ابن حجر في الفتح: (قوله: (لما قضى الله الخلق) أي خلق الخلق كقوله تعالى: (ففضاهن سبع سماوات) أو المراد أوجد جنسه، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى. قوله: (كتب في كتابه) أي **أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ**، وقد تقدم في حديث عبادة بن الصامت قريباً: **" فقال للقلم اكتب: " فجرى بما هو كائن " .**

ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه، وهو كقوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي). قوله: (فهو عنده فوق العرش) قيل معناه دون العرش، وهو كقوله تعالى: (بعوضة فما فوقها)، والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأن العرش خلق من خلق الله.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله **" فهو عنده "** أي ذكره أو علمه فلا تكون العندية مكانية بل هي إشارة إلى كمال كونه مخفياً عن الخلق مرفوعاً عن حيز إدراكهم.

وحكى الكرمانى أن بعضهم زعم أن لفظ **" فوق "** زائد كقوله: (فإن كن نساء فوق اثنتين) والمراد اثنتان فصاعداً، ولم يتعقبه وهو متعقب، لأن محل دعوى الزيادة ما إذا بقي الكلام مستقيماً مع حذفها كما في الآية، وأما في الحديث فإنه يبقى مع الحذف، فهو عنده العرش وذلك غير مستقيم.

قوله: (إن رحمتي): بفتح أن على أنها بدل من كتب، وبكسر ها على حكاية مضمون الكتاب. قوله: (غلبت): في رواية شعيب عن أبي الزناد في التوحيد **" سبقت "** بدل غلبت، والمراد من الغضب لازمه، وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب، لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث.

وبهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها.

وقيل: معنى الغلبة الكثرة والشمول، تقول غلب على فلان الكرم أي أكثر أفعاله، وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات.

وقال بعض العلماء: الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات، ولا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً، ومقابلها ما وقع من إخراجها منها، وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم.

وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضاً، ولولا وجودها لخلدوا أبداً. **وقال الطيبي:** في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها

تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنيئاً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك) انتهى

آ - قوله تعالى: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) سورة الزخرف/84 وقوله تعالى: (وهو الله في السموات وفي الأرض) سورة الأنعام/3 ففيهما إثبات ألوهية الله في الأرض والسماء، لا إثبات المكان لله تعالى، لأنه خالق المكان، فلا يجوز أن يتعلق أحد بـ (في) وإنما يتعلق بـ (إله) و(الله).
وبعض الناس قام بتأويل (وهو الذي في السماء إله معبود، وفي الأرض إله معبود، ليثبت أن الله في السماء، لقوله تعالى: (أَمُنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) (الملك:16)، والجواب بسيط جداً: فكما أولتم الآية الأولى بوضع كلمة معبود في السموات وفي الأرض، فكذلك هنا: أَمُنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ معبود .. والله أعلم.

ب - قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) (3) هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) (4) سورة الحديد.
فالآية تخبرنا عن صفات الله تعالى: الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وأنه خلق السموات والأرض والعرش، ويعلم الشيء حيثما كان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس السياق لإثبات المكان لله تعالى على العرش، وليس لإثبات أنه في كل مكان، **فمن جعل الله تعالى، وليس عن مكان الله تعالى، لأنه خالق المكان والزمان.**

ج - (الرحمن على العرش استوى) الرحمن هي صفة من صفات الله تعالى، ومعناها المبالغة في الرحمة، فمن رحمة الله تعالى أن جعلها على العرش وما حوى: يؤيده قوله تعالى: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً) سورة غافر/7، وقوله تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) سورة الأعراف/156، فـ (على) و(العرش) مخلوقان، و(استوى) فعل يؤيده قوله تعالى (ثم استوى على العرش) لأن (ثم) للتراخي، وعندها يكون معنى (الرحمن على العرش استوى) أي إن رحمة الله تعالى استقرت على العرش ووسعت ما فيه، يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى لما قضى الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: ورحمتي سبقت غضبي)، رواه البخاري، وعنده أي في اللوح المحفوظ، أو في أم الكتاب كما أخبر سبحانه: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد:39)، (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ) (الزخرف:4)، وليس عنده لإثبات المكان لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهل (على) في قوله تعالى: بمعنى فوق الحسية: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنعام:30) معاذ الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، والله أعلم.

فالحذر الحذر التعلق بظرفي الزمان والمكان (على، عند، فوق، في..) ونسبتهما لله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والله تعالى أعلم.

ونلاحظ أن آيات الاستواء جاء معها خلق السموات والأرض، فإذا تم الوقف على ما قبلها أي (الرحمن على العرش) (استوى له ما في السموات وما في الأرض) فيكون استوى تمام خلق السموات والأرض وهكذا في باقي الآيات، والله أعلم.
وكما قال أحدهم:

2 - الدليل الثاني: على استحالة وصف الله تعالى بالمحدثات المخلوقة:

أخبرنا الله تعالى على لسان رسوله سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أثناء محاجته لقومه فقال لهم: (قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) سورة الأنعام، والأفول: هو التغير وكل متغير حادث، أي إن الله تعالى ليس مُحَدَّثًا ولا متغيراً، وإنما الحدوث والتغير من صفات المخلوقين الخاضعين للزمان والمكان.⁽¹⁾

وقد سمى الله تعالى قول سيدنا إبراهيم ذلك بأنها الحجة: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) سورة الأنعام.

وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) سورة الطلاق.

فالله تعالى هو الذي يُحْدِثُ الحوادث والأمر، وهو منزّه عن الحدوث، وهذا ضابط مهم جداً في فهم آيات الصفات: إن الله تعالى هو خالق كل شيء، وغيره مخلوق له، وإن صفات الله تعالى - القائمة به - لا توصف بالحدوث، لأن الله تعالى هو الفاعل؛ وغيره المفعول به، ويستحيل العكس.

ومن هنا وضع البعض قاعدة في فهم الصفات الإلهية: **مخالفة الله تعالى**

وصانع العالم لا يحويه قطر .. تعالى الله عن تشبيهه
قد كان موجودا ولا مكان .. وحكمه الآن على ما كان
سبحانه جل عن المكان .. وعز عن تغير الزمان
فقد غلى وزاد في الغلو .. من خصه بجهة العلو
وحصر الصانع في السماء .. مبدعها والعرش فوق الماء
وأثبتوا لذاته التحيز .. قد ضل في التشبيه فيما جوز

(١) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى "فلما جن عليه الليل" أي تغشاه وستره "رأى كوكبا" أي نجما "قال هذا ربي فلما أفل" أي غاب.

قال محمد بن إسحاق بن يسار: الأفول الذهاب، وقال ابن جرير: يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولا وأفلا إذا غاب ومنه قول ذي الرمة:

مصابيح ليست باللواتي تقودها دياج ولا بالآفلات الزوائل
ويقال: أين أفلت عنا؟ بمعنى أين غبت عنا.

قال "لا أحب الآفلين" قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول.

للحوادث.

لأن الحدوث يعني محدوديته في الزمان والمكان والله تعالى هو خالق الزمان والمكان، فكل شيء دل على الحدوث فهو منفي عن الله تعالى، ولا يقال هو حادث بلا تكييف وبلا تمثيل ولا تشبيه لأنه أثبت الحدوث لله بتفسيره وهو كفر صريح ولا ينفع الجملة بعدها لأنه كلام من تخريفات العقل، واستهانة بالنقل والعقل، والعياذ بالله تعالى.

3 - دليل ثالث:

قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [سورة الشورى]. فجاء النفي بـ (ليس) وبتأكيد نفي التشبيه بـ (ليس كـ) لأن الكاف للتشبيه، ثم بنفي المثلية بأي وجه بـ (ليس كـ مثله) لأن: (معنى) (المِثْل): هو أعم الألفاظ الموضوعات للماشبهة، وذلك أن:

- النَّدَى: يقال فيما يُشارِكُ في الجَوْهَرِ فقط،
- والشَّبْهَةُ: يُقال فيما يُشارِكُ في الكيفية فقط،
- والمُساوِي: يقال فيما يشارِكُ في الكمية فقط،
- والشَّكْل: فيما يُشارِكُهُ في القَدَرِ والمِساخَةِ فقط،
- والمِثْلُ عامٌّ في جميع ذلك،

ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى]. وأما الجمع بين الكاف والمِثْل فقد قيل: ذلك لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المِثْل ولا الكاف، فنفي بـ (ليس) الأمرين جميعاً، انظر المفردات للراغب الأصفهاني.

وتأكد النفي بالكاف حتى لا يبقى في ذهن الإنسان أي تعلق بأي نوع من أنواع المثلية لذات الله تعالى؛ أو تشبيهها بأي شيء، والحدود والغايات والأركان والأعضاء والجهات الست كلها متعلقة بالذات، ولما كانت ذاته لا تشبه الذوات من أي حيثية كانت، فانتفت عنه سبحانه الحدود والغايات والأركان والأعضاء والجهات الست.

وحتى لا يظن الإنسان أنه يعبد عدماً، لأنه لا يستطيع معرفة ذات الله، جاءت المعرفة بصفاته بـ (وهو السميع العليم)، وحرف (الواو) في (وهو) يقتضي

العطف والمغايرة أي أن البحث في الذات يغير البحث في الصفات، وبيانه أن الصفات (السميع البصير) يشترك في وصفهما الخالق والمخلوق، ويختلفان في حقيقة الوصف، لأن الوصف يتبع الموصوف في كل شيء، ولما كانت ذاته: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11)** [سورة الشورى]. تكون حقيقة صفاته كذلك، وبذلك ظهر الفرق بين كون الله تعالى سميعاً بصيراً وليس كمثل شيء، وبين كون العبد سميعاً بصيراً بواسطة وله مثل، وأنه مخلوق محدود بالزمان والمكان.

وبذلك يتضح أن القول في ذات الله تعالى هو نفي المثلية بأي وجه من الوجوه، وبأي حيثية كانت، أما القول في الصفات فهو الإثبات، وهي توقيفية، لا تُتلقى إلا عن الله تعالى في كتابه، أو عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما صح عنه. يؤيد ذلك أيضاً سورة الإخلاص، حيث قال المشركون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: صف لنا ربك؟ فنزلت سورة الإخلاص:

(قل هو الله أحد) أي: أحد في ذاته؛ وأحد في صفاته، فعرف الله نفسه بالأحدية والصدية، **(الله الصمد)** الذي يُقصد لقضاء الحوائج كلها، لذا قيل تفسير قوله تعالى: **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)**: إن الله تعالى يستجيب دعوة المضطر سواء كان مؤمناً أو كافراً؛ ليعلم العبد أن هناك رب يستجيب الدعاء، فيكون المضطر دعاءه حجة عليه يوم القيامة.

(لم يلد ولم يولد) حيث كل مولود جسم محدود بالأركان والأعضاء والغايات والجهات الست، والله تعالى منزّه عن ذلك كله.

(ولم يكن له كفواً أحد) الكُفء: في المنزلة والمقدار، يقال فلان كُفء فلان في المناكحة والمحاربة، ومنه المكافأة المساواة والمُقابلة في الفعل، انظر مفردات الراغب.

فليس أحد يكافئه سبحانه في المنزلة والفعل، فله الأحدية في كل ما وصف به نفسه، لذا قال بعض العلماء:

(ذات لا تُشبهها الذوات وهي غير معطلة عن الصفات)،
(كل ما خُطرَ ببالك فإله بخلاف ذلك)،

1- قال الإمام أحمد بن حنبل:

"من قال الله جسم لا كالأجسام كفر" رواه الحافظ بدر الدين الزركشي في كتابه تشنيف المسامع.

2- قال الإمام الشافعي :

"من قال أو اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر"، رواه ابن المعلم القرشي في كتابه "نجم المهتدي ورجم المعتدي" صحيفة 551.

3- قال الإمام محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي في كتابه مختصر الإفادات صحيفة 489 ما نصه: "فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فهو كافر".

4- وفي كتابه (تشنيف المسامع)، الحافظ تقي الدين السبكي ينقل عن الإمام أحمد قوله: "من قال الله جسم لا كالأجسام كفر"

5- عن الإمام عليّ أنه قال: "سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارا"، ثم قال: "ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء." ذكره ابن المعلم القرشي في كتاب نجم المهتدي ورجم المعتدي ص. 588

6- يقول الإمام أحمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي السلفي: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر."

7- ويقول المفسر فخر الدين الرازي يكشف حقيقة المجسمة فيقول أنهم ما عبدوا الله إنما عبدوا جسما كبيرا تخيلوه مستقرا على العرش.

8- يقول الإمام النسفي في تفسيره:
"ومن الإلحاد تسميته -عن الله- بالجسم والجوهر والعقل والعلة."

9- قَالَ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلَاءُ الدِّينِ الْبُخَارِيُّ الْحَنْفِيُّ (779- 841 هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ "مُلْحِمَةُ الْمُجَسِّمَةِ" مَا نَصُّهُ: "وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ فَهُوَ كَافِرٌ إجماعاً" اهـ.

10- وَنَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثَمِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَنْهَاجِ الْقَوِيمِ عَنِ الْأَيْمَةِ تَكْفِيرَهُمْ لِلْمُجَسِّمِ فَقَالَ فِيهِ [144] مَا نَصُّهُ:

"واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك" اهـ.

تعريف: الجسم ما تتركب من جوهرين فأكثر، ويقال ما له طول وعرض وعمق وسمك وتركيب
والجوهر هو كل ما اتخذ حيزاً من الفراغ، ويسمى جُرمًا.
والجوهر الفرد هو الجزء الصَّغير الذي لا يتجزأ لنهايته في القلة وهو أصل الأجسام.
والمكان هو الفراغ الذي يشغله الحجم.
والقطر معناه الجهة.
والحجم هو الكمية صغرت أو كبرت.
والله منزّه عن ذلك كله

4 - دليل رابع:

قوله تعالى: (الله ما في السَّمَوَاتِ وما في الأَرْضِ) سورة البقرة / 284
قوله تعالى: (الله ملك السموات والأرض وما فيهن) سورة المائدة / 120
قوله تعالى: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدّهم عدداً) (سورة مريم / 93)
فكل ما في السموات والأرض مخلوق لله تعالى وعبداً له سبحانه، فلا يمكن للمخلوق أن يحيط بالخالق **(والله بكل شيء محيط)**، وبالتالي يستحيل أن توصف ذاته بأي معنى من معاني الإحاطة بها بأي شيء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،

5 - دليل خامس:

قوله تعالى: (سبحانه وتعالى عما يصفون) سورة الأنعام / 100
قوله تعالى: (سبحان الله عما يصفون) سورة الصافات / 159
قوله تعالى: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) سورة الصافات / 180
قوله تعالى: (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) سورة الزخرف / 82
ومعنى سبحان جامع لمعاني إثبات التنزيه، وهو: له سبحانه كل صفات الكمال والجلال، وجامع لمعاني سلب الحدوث: وهو أنه منزّه عن كل نقص وعيب.

والأعضاء والأركان والجهات الثمانية (يمين يسار، وفوق وتحت، وأمام وخلف، وداخل وخارج) كلها نقص وعيب في حق الله تعالى.

6 - دليل سادس: الصفة: إما حسية أو معنوية.

والحسية نحو: طولٌ وعَرْضٌ، وحُمْرَةٌ وصُفْرَةٌ، وخَفَّةٌ وثَقُلٌ، وذو قياس ومقدار وحجم ومساحة وطول وعرض أي ما تدركه الحواس وتحيط به، ويحصرها العقل، لذا فالصفات الحسية منفية عن الله تعالى لأنها تتعلق بالحدوث، ويحيط بها العقل، والله تعالى يحيط بكل شيء وليس محاطاً بشيء.

أما الصفات المعنوية كنحو: ذكي غبي، حلیم غضوب، فهذه لا يحصرها العقل وإن كان يدرك معناها، وهذه تتبع الموصوف فإن كانت الصفة المعنوية تصف الخالق فهي صفات مطلقة (مطلقة: أي غير محددة بزمان أو مكان)، وإن كانت الصفة معنوية تصف مخلوقاً فهي صفات محدودة بزمان ومكان، وهذه الصفات المعنوية توقيفية بالنسبة لله تعالى، أي لا يوصف الله بشيء إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ضرب الله تعالى بعض الأمثلة عن صفاته، ثم نفى عن صفاته الحدود والكمية، فقال سبحانه:

- ضرب المثال عن كلام الله تعالى أنه غير محدود:

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (109) سورة الكهف.

(وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (27) سورة لقمان.

- ضرب المثال عن قدرة الله تعالى أنها غير محدودة:

(يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (16) سورة لقمان.

- ضرب المثال عن نور الله تعالى غير محدود:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (35) سورة النور.

- ضرب المثال للتفكر في القرآن:

(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (21) سورة الحشر.

ومنه نعلم أن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الست كلها أشياء محسوسة لا يوصف بها الخالق جلّ وعلا.
لذا نبه المصنف رحمه الله بأن الله تعالى يستحيل عليه صفات الحدوث أو مايدل على الحدوث، والله أعلم؛ وهو الهادي للصواب.

قول السلف الصالح بنفي الأعضاء عن الله تعالى:

قال ابن حجر في الفتح كتاب التفسير عند تفسير قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق):

(قوله: (باب يوم يكشف عن ساق) أخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعاً في قوله: (يوم يكشف عن ساق) قال: " عن نور عظيم، فيخرون له سجداً ".

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (يوم يكشف عن ساق) قال: عن شدة أمر، وعند الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هو يوم كرب وشدة.

قال الخطابي: فيكون المعنى يكشف عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والكرب وذكر غير ذلك من التأويلات..

ووقع في هذا الموضع " يكشف ربنا عن ساقه " وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله: " عن ساقه " نكرة، ثم أخرج من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ " يكشف عن ساق " (1).

قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يظن عن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى]. انتهى.

7 - (القاعدة السابعة: التفرقة بين الإسناد التام (الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر) وإسناد الإضافة (مضاف إليه):

(١) ولماذا لا يحمل على لحظة حضور الوفاة للمتوفى فيكشف عن ساقه ولا يستطيع السجود، لقوله تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالتَّفْتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (31) سورة القيامة، والقرآن يفسر بعضه بعضاً. والله اعلم.

وجه الإسناد التام الذي هو بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره ونحوها، حيث وصف الله تعالى نفسه بالغفور الرحيم والرحمن الرحيم⁽¹⁾، وقال: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الدخان: 42)

وقال تعالى: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (المائدة: من الآية 119)، وقال: (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (الفتح: من الآية 6).

وأما ما هو موضوع للأعضاء والجوارح ونحوها فلم يرد في كلام الله تعالى ولا في كلام رسوله ﷺ إسنادها إلى الله تعالى على هذا الوجه، وإنما ورد نسبتها إلى الله تعالى **على وجه الإضافة فقط** كقوله تعالى: (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) وقوله: (فِي جَنبِ اللَّهِ)⁽²⁾.

وإن الرضى والرحمة والغضب ونحوها قد سيقّت في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على وجه إثباتها لله تعالى، ولم تسق في كلامهما على طريق إثبات أمر آخر لله تعالى، وأما اليد والجنب والرجل والأصبع ونحوها فلم تسق في كلام الله

(١) فمثال المبتدأ والخبر في إثبات صفات الله تعالى قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (الحشر: 22) (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر: 23) (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر: 24)، (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الاحلاص: 1)، وأما الفعل والفاعل فما ذكر أعلاه.

(٢) قال الإمام ابن دقيق العيد في تقريره لعقائد أهل السنة والجماعة:

"نقول في الصفات المشكّلة: إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله تعالى. ومن تأولها نظرنا فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيداً توقّفنا عنه، ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه.

وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب حملناه عليه كقوله تعالى: (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) فإن المراد به في استعمالهم الشائع حق الله، فلا يتوقف في حمله عليه، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن) فإن المراد به إرادة قلب ابن آدم مصرفة بقدرة الله وما يوقعه فيه، وكذلك قوله تعالى: (فأتى الله بنيانهم من القواعد) معناه خرب الله بنيانه، وقوله: (إنما نطعمكم لوجه الله) معناه لأجل الله، وقس على ذلك. وهو تفصيل بالغ قل من تيقظه. انتهى.

ويقول شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله:

"وهذه الأشياء التي ذكرناها «من الوجه، واليد، والساق، والقدم، والجنب، والعين» هي عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهي صريحة في التركيب للأجسام، فذكر لفظ الأوصاف تلبيس، وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه، والعين، والقدم إلا الأجزاء، ولا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة المتمكن، ولا من المجيء والإتيان والنزول إلا الحركة الخاصة بالجسم.

وأما المشيئة والعلم والقدرة ونحوها فهي صفات ذات، وهي فينا ذات أمرين: أحدهما عرض قائم بالجسم، والله تعالى منزّه عنه والثاني: المعاني المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقدور، وهي الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى، وليست مختصة بالأجسام. فظهر الفرق. انتهى والله الموفق.

تعالى وكلام رسوله ﷺ على طريق إثباتها لله تعالى، **بل سيقّت على طريق إثبات أمر آخر لله تعالى:**

فمثلاً قوله تعالى: **(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (المالك: 1) سيقّ لإثبات الملوكية والسلطنة المطلقة لله تعالى، لا لإثبات اليد لله تعالى. وقوله تعالى: **(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ)** (الزمر: 56) سيقّ لإثبات الحسرة على التفريط في حقوق الله، لا لإثبات الجنب لله تعالى.

وقول النبي ﷺ: **(إِنْ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلِّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)**، ثم قال رسول الله ﷺ: **(اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)** ⁽¹⁾ سيقّ لبيان أن قلب الإنسان طوع إرادته تعالى؛ وقدرته، يقلبه كيف يشاء، ولم يرد لإثبات الأصابع لله تعالى، ولا لبيان أن في جوف كل إنسان أصبعين من أصابع الرحمن، مكتنفتين بقلبه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إلى غير ذلك من الأمثلة، والله تعالى أعلم بالصواب ⁽²⁾.

3 - وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ:

أ - الْأَضْدَادِ؛

ب - وَالْأَنْدَادِ - أ - غ،

الشرح: لا ضد له: أي لا نظير له؛ ولا كفاء له، ولا ند له: أي لا مثل له، ولا نظير له.

قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن:

ضد: قال قوم: الضدان الشيئان اللذان تحْتَ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَيَنَافِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ فِي أَوْصَافِهِ الْخَاصَةِ، وَبَيْنَهُمَا أَبْعَدُ الْبَعْدِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، وَالشَّرُّ وَالْخَيْرُ، وَمَا لَمْ يَكُونَا تَحْتَ جِنْسٍ وَاحِدٍ لَا يُقَالُ لَهُمَا ضِدَانٌ، كَالْحَلَاوَةِ وَالْحَرَكَةِ.

⁽¹⁾ صحيح مسلم - كتاب القدر - باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء - حديث: 4905، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ورواه أحمد في مسنده، والنسائي في سننه الكبرى، وابن حبان في صحيحه، وعبد بن حميد وغيرهم.

⁽²⁾ انظر كتاب (منهج الأشاعرة بين الحقائق والأوهام). لمحمد صالح الغرسي (التركي).

قالوا: والضدّ هو أحد المتقابلات، فإنّ المتقابلين هما الشيئان المختلفان، اللذان كلّ واحدٍ قُبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيء واحدٍ في وقتٍ واحدٍ، وذلك أربعة أشياء:

الضدان كالبياضِ والانسود، والمتناقضان: كالضعفِ والنصفِ، والوجودِ والعدم: كالبصرِ والعمى، والموجبة والسالبة في الأخبار، نحو: كلُّ إنسان ههنا، وليس كلّ إنسان ههنا. وكثير من المتكلمين وأهل اللغة يجعلون كل ذلك من المتضادات، ويقولون: الضدان ما لا يصح اجتماعهما في محل واحد.

وقيل: الله تعالى لا ند له ولا ضد: لأنّ الندّ هو الاشتراك في الجوهر؛ وال ضد هو أن يعتقب الشيئان المتنافيان على جنسٍ واحدٍ، والله تعالى مُنزهٌ عن أن يكون جوهرًا، فإذا لا ضد له ولا ند، وقوله: (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) [مريم / 82]، أي: منافين لهم.

- دليل أنه تعالى متعال عن الأضداد:

كل مخلوق له ضد وند ومثل وشبيه، وأما الخالق فلا مثل له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا شبيه له، لأن الله: أحد؛ فرد، صمد؛ لم يلد؛ ولم يولد؛ ولم يكن له كفواً أحد،

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) الشورى.
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) سورة الإخلاص.

والمخلوقات كلها زوجية (ذكر وأنثى، وموجب وسالب)، ومحتاجة لغيرها، ومولودة ومتولدة، ولها مثل وشبيه:

- دليل أنه تعالى متعال عن الأنداد:

قال الراغب في مفردات القرآن: ندد

نَدِيدُ الشَّيْءِ: مُشَارِكُهُ فِي جَوْهَرِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْمُمَاتِلَةِ؛ فَإِنَّ الْمِثْلَ يُقَالُ فِي أَيِّ مُشَارَكَةٍ كَانَتْ، **فَكُلُّ نِدٍّ مِثْلٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مِثْلٍ نِدًّا**، ويقال: نَدُّهُ وَنَدِيدُهُ وَنَدِيدَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) ⁽¹⁾ [البقرة/ 22]، (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

⁽¹⁾ قال القرطبي في تفسيره: أنداداً: أي أكفاء وأمثالا ونظراء؛ واحداً ند، وكذلك قرأ محمد بن السميع "ندا"؛ قال الشاعر:

عنده الخير وما شاء فعل

نحمد الله ولا ند له

وقال حسان:

يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً [البقرة/ هـ 16]، (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً) [فصلت / 9] وُقُرِئَ: (يَوْمَ التَّنَادِّ) [غافر/32] أي: يَنْدُبُ بعضهم من بعض. نحو: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) [عبس / 34].

وقد ذم الله تعالى من جعل له نداً، فقال سبحانه:

(أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارُ (29) **وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)** سورة إبراهيم.

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً (1)** لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) سورة الزمر.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) سورة البقرة.

وقال البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) يَعْنِي أَضْدَاداً وَاحِدَهَا نَدٌّ.

(وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30) سورة إبراهيم.

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي

أَتْهَجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بَنْدٌ
ويقال: ند ونديدة على المبالغة، قال لبيد:

ليكلاً يكون السندري نديدي
وأجعل أقواماً عموماً عماماً

وقال أبو عبيدة "أندادا" أضدادا. النحاس: "أندادا" مفعول أول، و"الله" في موضع الثاني.

الجوهري: والند (بفتح النون): التل المرتفع في السماء. والند من الطيب ليس بعربي. وند البعير يند ندا وندادا وندودا: نفر وذهب على وجهه؛ ومنه قرأ بعضهم "يوم التناد". وندد به أي شهره وسمع به. انتهى.

وفي تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 198/1 تحقيق إبراهيم عطوه محمد، نشر مصطفى البابي الحلبي ط1 عام 1381 هـ 1962 م:

(والند: المثل، ولا يقال إلا للمثل المخالف المناد، من ناددت الرجل: خافته ونافرته، وندَّ ندوداً: إذا نفر، ومعنى قول الموحّد: ليس لله ند ولا ضد: نفي ما يسد مسده؛ ونفي ما ينافيه).

(١) قال القرطبي في تفسيره: (أي أوثانا وأصناما. وقال السدي: يعني أندادا من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم. انتهى.

أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33) سورة سبأ.
(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ
يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ (8) سورة الزمر.

(قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ **وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا** ذَلِكَ
رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) سورة فصلت.

وروى البخاري - في كتاب تفسير القرآن - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)
قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)
قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ). ورواه: مسلم، أحمد،
الترمذي، النسائي، أبو داود: أحمد.

وفي رواية للبخاري زيادة: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ) الآية [سورة الفرقان].

وروى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً، وَقُلْتُ
أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا**
دَخَلَ النَّارَ)،

وَقُلْتُ أَنَا - أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ - : مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ. ورواه
مسلم وأحمد.

المبحث الثالث قواعد الإيمان بصفات الله تعالى

1 - ونقول: الله أعلم فيما اشتباه علينا علمه؛

القاعدة الأولى: قول (الله أعلم) فيما اشتباه على الإنسان علمه ومعرفته.
وقد علم الله سبحانه نبيه ﷺ بالدعاء بطلب زيادة العلم فقال سبحانه:
(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: 114)

وعلمه تفويض ما لم يعلم لله تعالى، فقال سبحانه:
(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)
(غافر: 44)

وقد بين الله تعالى أن العلم بالشيء بمشيئته سبحانه:
(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) سورة البقرة.
وأخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بما أخبر لا كما
يتوهمه البشر:

(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ (7) سورة آل عمران.

والمؤمن يرجع كل أموره الحياتية والعلمية إلى الله تعالى:
(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (البقرة: 210)
(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (آل
عمران: 109)

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (أنفال: 44)
(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (الحج: 76)
(وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (فاطر: 4)
(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (الحديد: 5)

ومن زعم أنه يستغني بعلمه عن الرسل والأنبياء فقد ضل وجهل:
(وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة: 49)
(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص: 50)
(فَاعْلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُم) (محمد: 19)
وقد مدح الله تعالى الذين أوتوا العلم الذين استسلموا لله تعالى ولرسوله ﷺ، ورفع درجاتهم ومقدارهم، بقوله:
(ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) (النحل: 27)
(قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) (الاسراء: 107)
(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الحج: 54)
(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنُ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) (القصص: 80)
(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت: 49)
(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الروم: 56)
(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبا: 6)
(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة: 11)

2 - وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ: النَّفْيُ؛ وَالتَّشْبِيهِ، زَلْ، وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهِ؛

القاعدة الثانية: الابتعاد عن نفي ما أثبتته الله تعالى، والابتعاد عن تشبيه الله

تعالى بخلقه، وهذا يعني إثبات بلا تشبيه ولا تكييف لقوله تعالى:
(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية 11)
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (1) (اللَّهُ الصَّمَدُ) (2) (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) (3) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ) (4) سورة الاخلاص.

القاعدة الأساسية لإثبات آيات الصفات مع التنزيه المطلق لله تعالى:

1 - تنزيه الله تعالى نفسه؛ تعظيماً لشأنه سبحانه؛ وتعليماً لنا:
ف (تبارك)؛ و (سبحان)؛ و (تعالى)؛ و (القدوس)، و (اللطيف) كلها تنزيه الله
تعالى.

- من كلمات التنزيه (تعالى):

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل:3)
(أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل:63)
(وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) (الجن:3)

- من كلمات التنزيه (تبارك):

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف:54)
(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان:1)
(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا) (الفرقان:10)
(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)
(الفرقان:61)

(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن:78)
(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الملك:1)
(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر:23)
(يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)
(الجمعة:1)

2 - تنزيه الملائكة لله تعالى:

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة:32)

3 - تنزيه الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - الله تعالى:
(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)
(الأعراف:143)

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء:87)
(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)
(المائدة:116)

4 - تنزيه المؤمنين لله تعالى:
(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا **سُبْحَانَكَ** فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:191)
(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا **سُبْحَانَكَ** هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور:16)

5 - آيات التنزيه تعلم المؤمن طريق التنزيه، أثناء المحاجة؛ وخلال إقامة الحجة على الكافرين المجسمين من اليهود والنصارى ومن تبعهم:
(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر:67)
6 - سبحانك دعاء المؤمنين في الجنة:

(دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس:10)

7 - ورد الأمر الإلهي بتسبيحه صباحاً ومساءً، وفي الركوع والسجود؛ وفي كل آن، ليصبح ويمسي العبد معتقداً التنزيه لله تعالى:
(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى:1)

(فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)
(النور: 36)

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الحجر: 98)
(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) (طه: 130)
(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (الواقعة: 74 - 96) (الحاقة: 52).
(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (النصر: 3)

8 - إخبار الله تعالى أن كل ما في السموات والأرض تسبحه وتنزهه:
(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (الاسراء: 44)
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) (النور: 41)
(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر: 24)
(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)
(الجمعة: 1)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التغابن: 1)

10 - وردت أحاديث نبوية كثيرة في الدعاء بـ (سبحان) تعليمًا للأمة على
تنزيه الله تعالى.

3 - فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا:
- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ؛
- مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ؛

القاعدة الثالثة: إن الله تعالى واحد أحد؛ تفرد بصفات الأحدية والفردانية، فهو
أحد فرد صمد لقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية 11)
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (1) (اللَّهُ الصَّمَدُ) (2) (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) (3) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ) (4) سورة الاخلاص.

إن الأحد هو الواحد الذي لا يعد ولا يتعدد.. أي المنفرد بصفاته فلا يشابهه غيره ولا يشترك مع غيره في أي منها كانفراد أحدنا بخصوصية بصمات الأصابع، وبصمة الصوت إن كل شيء ينفرد به مخلوق لا يتشابه مع غيره يسمى أحاديته.. فإذا طلبنا من إنسان أن يعد البصمات المتشابهة بينه وبين غيره فإنه لن يستطيع أن يتعدى الواحد الأول هذا هو الواحد الذي لا يعد هو الأحد.

أما الواحد فهو الذي يعد ولا يتعدد.. بخلاف الأحد الذي لا يعد ولا يتعدد.

والعدد يقتضي التجانس فلو طلبنا إحصاء عدد الطلبة في مدرج فإننا لا نعد معهم الأساتذة. ولو طلبنا إحصاء عدد الأساتذة فإننا لا نعد معهم الطلبة.. ولو طلبنا إحصاء عدد السيارات فإننا لا نحصي معها عدد من يركبونها ويقودونها.. هذا هو المقصود بأن **العدد يقتضي التجانس**، فكيف نعد الله مع غيره.. مع أنه لا توجد آلهة أخرى حتى يعد معها بصفته واحداً؟ ولو كان الكلام عن الذات لقلنا لا أحداً متمتعاً بمقتضيات الألوهية إلا هو... لا إله غيره.

أما إذا كان الأمر يتعلق بالأسماء الحسنى فإن قولنا: الله واحد لا يتعارض مع قولنا: واحد.. أحد.. كريم.. صمد.. رحيم.. عليم.. فهي كلها راجعة إلى الله. فالواحد هو الله.. والأحد هو الله والصمد هو الله.. فإنه يعد ولا يتعدد.. فكل الأسماء له سبحانه وتعالى، لذلك يجوز لنا أن نعد العدد وليس التعدد فنقول مع الله: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام. ولكن لا ينبغي أن نقول: الله والرحمن والرحيم والملك والقدوس.

فمن جعل الأحد واحداً فقد عدد الذوات الإلهية،

ومن جعل الواحد أحداً فقد عطل الأسماء الإلهية،

ولو أطلقت الأحد لعددت الذوات الإلهية حاشا لله،

ولو قيدت الواحد تكون قد عطلت الأسماء الإلهية..

وهذا هو الإلحاد يقول سبحانه وتعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: 180)
" وهكذا يكون التعريف السهل والمحكم للتوحيد هو: تنزيه الأحد عن العدد وتنزيه الواحد عن التعدد.

القاعدة الثامنة: تجنب الوقوع في أحوال التوحيد:

هل للتوحيد أحوال؟.. ما هي؟.. من الذي يقع فيها؟.. وكيف يمكن النجاة منها والابتعاد عنها؟..

ببساطة من يعرض شيئاً إيمانياً بغير علم يمكن أن يلحد.. أو يمكن أن يقع فيما يمكن أن نسميه "الشرك الخفى" .. يقول سبحانه وتعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف:106)(¹).

فالتطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الطيبة أحياناً.. يقول سبحانه وتعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ..) (الأعراف:180).. كيف ذلك؟.. ربما يختلط على البعض منطوق العبارة فيعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد حل في مخلوق أو اتحد معه أو يشبه الخالق بشيء في خلقه أو يعطل فعل أسمائه.. بعبارة أخرى أبسط فإن:

أحوال التوحيد أربعة: (1) الحلول.. (2) الاتحاد.. (3) التشبيه.. (4) التعطيل.. وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقتضيات الألوهية وهي: (1) السبق.. (2) الإطلاق.. (3) السرمدية.. (4) الذاتية.

فمن ادعى أن الله ﷻ حل في رسوله ﷺ أو اتحد معه أو يشبهه أو يقوم مقامه بغير إذن فقد انزلق إلى هذه الأحوال..

ومن قال: إن الله ﷻ اتحد مع السيدة الطاهرة البتول مريم ثم حل في المسيح عليه السلام.. ثم بناءً على ذلك ينسب إلى المسيح الألوهية وهو لا يدري أنه وقع في المحذور.. فقد كفر.. والسيد المسيح بريء من ذلك.. ويظهر ذلك في قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (المائدة:116) هذا مثال للحلول والاتحاد.

أما التشبيه فهو أن يجعل المرء لله صورة كصورة رجل على كرسي وله عين وقدم حتى لو أن أحدهم جمع ما ورد من صفات تشبه صفات المخلوقين ووضعها في شكل واحد سوف يتصور شكلاً خرافياً لمخلوق لا وجود له في الطبيعة.. والإنسان عاقل.. ولكن لم يخطر على باله أن يتخيل شكلاً لعقله..

(¹) في المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الرقائق - باب التحذير من الرياء والدعاء بما يذهبه - حديث: 3273: عن معقل بن يسار: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر، وحدثنني أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الشرك أخفى فيكم من ديب النمل"، ثم قال: "ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟" قال: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر ك لما لا أعلم"

إن الأذن عاقلة تميز الأصوات .. والعين عاقلة تميز الألوان.. لكن لم يخطر ببال أحد أن يتخيل شكل العقل.. لا نقصد شكل المخ.. المخ موجود في المخلوق العاقل والمخلوق غير العاقل.. ولم يخطر ببال أحد أن يتخيل شكل الروح مع أنه يحيا بها.. ثم بعد ذلك يتجرأ الإنسان ويتناول وهو يتخيل شكل خالقه.. قال ﷺ: **(إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون)** ⁽¹⁾.. أي الذين يتخيلون ويرسمون ويصورون شكلاً لله.. لن نمل من تكرار أن الذي يجعل صورة لله ويعتقد فيها ويعبده عليها في النار.

ويبقى التعطيل وهو: تعطيل فعل الأسماء الإلهية أو الاعتقاد بأن الأسماء الإلهية ليست فاعلة قياساً على أسماء البشر وهذا من باب التشبيه أيضاً..

فلو كانت ذات الله كذواتنا لأصبح اسمه كأسمائنا ليست فاعلة.. **هنا لابد أن نفهم الفرق أو العلاقة: بين الذات والاسم والصفة.** والله المثل الأعلى.. ولكننا نستخدم أسماء أحياناً دلالة على بشر مثل الملك.. والملك تعني السلطان أو الرئيس أو الحاكم الذي يفعل في دولته كل شيء فهو المسئول عن الرعاية وطعامهم وكسوتهم ومواصلاتهم وتعليمهم وصحتهم..... إلى آخره.. لكن هل يفعل الحاكم ذلك بذاته.. بيده.. بجسمه.. هل هو الذي يفعل ذلك كله بنفسه؟.. نقول حاشا لله ما ينبغي أن ينزل الحاكم إلى مستوى الأعمال المسئول عنها بنفسه.. فهو لا يرصف الطرق بنفسه.. ولا يكشف على المرضى بنفسه.. ولا يعلم التلاميذ بنفسه..... إلى آخره.. لكنه يفعل ذلك بصفته.. وليس بذاته.. فهو لو تنحى عن الحكم فإن ذاته تظل قائمة ولكن صفته هي التي زالت.. وبالتالي لا يستطيع أن يفعل شيئاً بدونها.. **أما الاسم** فهو يميز صاحبه من بين ذوي الأسماء فللذات البشرية تسمية.. نقول فلان.. وللصفة نقول: رئيس أو ملك أو سلطان أو حاكم.. نقول فلان دلالة على اسم الذات.. ونقول ملك أو سلطان دلالة على اسم الصفة..

والرعية تتعامل مع الصفة.. لا مع الذات.. فلا علاقة للرعية بمكان الحاكم الآن هل هو خارج البلاد أم داخلها؟.. فهم يتعاملون مع الصفة وليس مع الذات التي لا يهم أين هي ولا يبحث عنها.. المهم الصفة التي توقع القرارات والقوانين بموجبها.. فإذا كنا قد نزعنا الحاكم عن القيام بكل شيء بذاته ألا ننزه خالقنا عن القيام بكل شيء بذاته؟..

⁽¹⁾ صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب عذاب المصورين يوم القيامة - حديث: 5613.

بالنسبة للمخلوقين فإن بقاء الصفة كمسئولة غير مرتبط ببقاء الذات (بخلاف الصفات الشخصية).. إن ذات الرئيس الأمريكي بيل كلينتون لم تتغير بعد أن ترك البيت الأبيض.. لكن صفته كرئيس زالت وفاعلية الاسم مرتبطة ببقاء الذات..

أما بالنسبة للخالق فذاته لا تزول وبالتالي فصفته دائمة وفاعلية اسمه قائمة.. وقد عرفت صفات الله سبحانه وتعالى بعد أن تجلت.. فلو لم يخلق لما عرف بأنه خالق.. ولو لم يبعث ما عرف بأنه باعث.. وهكذا. **من هنا تكون الأسماء الإلهية فعالة..** فالمريض يسأل الله الشفاء باسمه الشافي.. ويقول: يا شافي.. والفقير يسأله باسمه: المغني.. ويقول: يا مغني.. والمظلوم يسأله باسمه: العدل.. ويقول: يا حَكَمُ يا عدل.. والضعيف يسأله باسمه: القوي.. ويقول: يا قوي.

ومن اعتقد بأن الأسماء الإلهية لا فعل لها فهذا هو التعطيل وهي المنزلق الرابع من أحوال التوحيد..

علما بأن كل رحلة تحتوي على الأحوال الأربعة.. فمن وقع في واحدة فقد وقع في مجملها.. ومن ثم فلا تجاوز.. ومن تفضل الله عليه بالخير وقاه شر الوقوع في إحدى أحوال التوحيد وهي مرة أخرى: الحلول والاتحاد والتشبيه والتعطيل فإنه يكون قد سلك طريقاً آمناً إلى التوحيد.. والتوحيد يحتاج إلى وقفة نؤجلها قليلاً.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

4 - وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنْ:

الحديث الصحيح عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- فَهُوَ كَمَا قَالَ؛

- وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛

- وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ:

- مُتَأَوِّلِينَ بَأْرَائِنَا؛

- وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛

- فَإِنَّهُ مَا سَلَّمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ:

- سَلَّمَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا؛

- وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَرَدَّ عِلْمَ مَا اسْتَنْبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالَمِهِ؛

- وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ:
- التَّسْلِيمِ؛
- وَالْإِسْتِسْلَامِ؛

القاعدة الرابعة لفهم آيات الصفات: التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ من أركان الإيمان، وعدم اتباع الهوى في الفهم:
وإذا كانت الملائكة قد سلّمت علمها لله أفلا يجدر بالإنسان المؤمن أن يسلم لله؟!:

وإذا كانت الروح لا نعلم عن حقيقتها شيئاً، وإذا كان علم الإنسان محدوداً، أفلا يجدر بالإنسان أن يسلم لله تعالى؟!:
وعندما فوض العبد المؤمن أمره إلى الله تعالى نصره الله تعالى:
- دليل عدم اتباع الهوى في الفهم:
- النهي عن الجدال في الله تعالى بغير علم:
- النهي عن تلبيس الحق بالباطل بالرأي الفاسد:

5 - (وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مَنْ مَعَانِي الْبَشَرِ أ - غ) فَقَدْ كَفَرَ؛
- فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا: اُعْتَبَرَ؛
- وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ أَنْزَجَرَ؛
- وَعَلِمَ أَنَّهُ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - ب) بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ؛

القاعدة الخامسة لفهم آيات الصفات: عدم وصف الله تعالى بأي معنى معاني البشر:

6 - فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ؛
- وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛
- وَحَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ:
- خَالصِ التَّوْحِيدِ؛
- وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ؛
- وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ؛
- فَيَتَذَنَّبُ (بَيْنَ):
- الْكُفْرِ؛ وَالْإِيمَانِ؛
- وَالتَّصْدِيقِ؛ وَالتَّكْذِيبِ؛

- والإقرار؛ والإنكار أ - ب؛

- مؤسوساً؛

- تأئها؛

- شاكاً (زائغاً - ب)؛

- لا مؤمناً مُصدّقاً؛

- ولا جاحداً مُكذّباً؛

القاعدة السادسة لفهم آيات الصفات: عدم الاشتغال فيما لا علم لنا به من
الكيفية:

المبحث الثالث قواعد الإيمان بصفات الله تعالى

1 - ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه؛

القاعدة الأولى: قول (الله أعلم) فيما اشتبه على الإنسان علمه ومعرفته، وكذلك فيما اجتهد به، وقد جرى علماء السلف الصالح عند الانتهاء من قولهم أو كتابتهم أو استنباطهم أن يختموا ذلك بقولهم: (والله أعلم) وذلك تأديباً وتأديباً لطلاب العلم، وفي قصة سيدنا موسى مع الخضر عبرة واستفادة: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (37) سورة ق.

وقد علم الله نبيه بالدعاء بطلب زيادة العلم فقال سبحانه:
(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (114) [سورة طه].

- وعلم الله تعالى رسوله التفويض لله تعالى فيما لا علم له به، فقال سبحانه:

(وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) (22) [سورة الكهف].

(قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (26) [سورة الكهف].

(وَأِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) سورة الحج.
(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85) سورة القصص.

(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26) (1) [سورة الملوك].
وبين سبحانه هو المتفضل في التعليم:

(١) قال ابن جرير في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ}: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب وقيام الساعة: إنما علم الساعة، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره.) انتهى.

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (113) سورة النساء.
(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى
ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(6) سورة يوسف.

وفي صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة -
حديث: 624: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى
صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج " ثلاثا غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا
نكون وراء الإمام؟ فقال: " اقرأ بها في نفسك "، فإني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين،
ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)، قال الله تعالى: حمدني
عبدني، وإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال الله تعالى: أثني علي عبدني، وإذا قال:
(مالك يوم الدين)، قال: مجدني عبدني - **وقال مرة: فوض إليّ عبدني** - فإذا قال:
(إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدني، ولعبدني ما سأل، فإذا قال:
(اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) قال: هذا لعبدني ولعبدني ما سأل).

وكذلك تفويض الأمر لله تعالى في الدعاء:

ففي صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب فضل من بات على الوضوء -
حديث: 243: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه
وسلم: (إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك
الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، **وفوضت أمري إليك**، وألجأت ظهري
إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي
أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن
آخر ما تتكلم به)، قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: اللهم
آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: (لا، ونبيك الذي أرسلت).
شرح أصول الاعتقاد - اعتقاد علي بن المديني ومن نقل عنه ممن أدركه من
جماعة - حديث: 282

عن سهل بن محمد قرأها على علي بن عبد الله بن جعفر المديني، فقال
له: قلت أعزك الله: " السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو
يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، ثم تصديق بالأحاديث
والإيمان بها، **لا يقال لم ولا كيف**، إنما هو التصديق بها والإيمان بها وإن لم

يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك، وأحكم عليه الإيمان به والتسليم

"

وروي أن عمر بن عبد العزيز قال: يا غيلان بلغني أنك تتكلم في القدر، فقال:

يكذبون علي يا أمير المؤمنين، قال: اقرأ علي سورة يس قال: فقرأ عليهم: (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتتذرع قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون **لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون** إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا **فأغشيناهم فهم لا يبصرون**). قال غيلان: لا والله لكأني يا أمير المؤمنين لم أقرأها قط إلا اليوم، اشهد يا أمير المؤمنين أنني تائب من قلبي بالقدر، فقال عمر: اللهم إن كان صادقا فتنب، وإن كان كاذبا فاجعله آية للمؤمنين⁽¹⁾.

قال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (ت 283 هـ) - رحمه الله تعالى - : (لا يستقيم قلب عبد لله حتى يقطع كل حيلة وكل سبب غير الله).

وهناك رواية فيها تفصيل:

عن عمرو بن مهاجر قال: أقبل غيلان وهو مولى لآل عثمان، وصالح بن سويد إلى عمر بن عبد العزيز فبلغه أنهما ينطقان في القدر، فدعاهما فقال: " إن علم الله تعالى نافذ في عبادته أم منتقض ؟ " قالوا: بل نافذ يا أمير المؤمنين قال: ففيم الكلام ؟ فخرجا، فلما كان عند مرضه بلغه أنهما قد أسرفا، فأرسل إليهما وهو مغضب فقال: ألم يك في سابق علمه حين أمر إبليس بالسجود أنه لا يسجد ؟

قال عمرو: فأومأت إليهما برأسي: قولاً: نعم، فقالا: نعم، فأمر بإخراجهما، وبالكتاب إلى الأجناد بخلاف ما قالاً فمات عمر رضي الله عنه قبل أن ينفذ تلك الكتب قال محمد بن الحسين رحمه الله:

(١) انظر القصة في: شرح أصول الاعتقاد - سياق ما روي من المأثور عن الصحابة وما نقل عن أئمة - حديث: 1071، والشرعية للأجري - باب سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله في أهل القدر - حديث: 522 - والإبانة الكبرى لابن بطة - الباب الثاني - مذهب عمر بن عبد العزيز رحمه الله في القدر وسيرته في - حديث: 1822، وكتاب القدر للفريابي - باب: ما روي في أولاد المشركين - حديث: 246

كان غيلان مصرا على الكفر بقوله في القدر، فإذا حضر عند عمر رحمه الله نافع، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالى آية للمؤمنين، إن كان كذابا، فأجاب الله عز وجل فيه دعوة عمر، فتكلم غيلان في وقت هشام هو وصالح مولى ثقيف، فقتلها وصلبها، وقبل ذلك قطع يد غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما، فهكذا ينبغي لأئمة المسلمين وأمرائهم إذا صح عندهم أن إنسانا يتكلم في القدر بخلاف ما عليه من تقدم أن يعاقبه بمثل هذه العقوبة، ولا تأخذهم في الله لومة لائم⁽¹⁾.

وفي الاعتقاد للبيهقي - باب القول في الاستواء - حديث: 60
عن يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: **لا يقال للأصل لم، ولا كيف** قال الشيخ: وقال في رواية الربيع بن سليمان عنه: **الأصل كتاب، أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إجماع الناس** أخبرناه أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي، فذكره

- وقد بين الله تعالى أن العلم بالشيء بمشيئته سبحانه:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) [سورة البقرة].

ذكر الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في (زاد المسير في علم التفسير) في تفسير **قول الله تعالى (العلي العظيم)** [سورة البقرة: 255].

"والعلي: العالي القاهر، «فعل» بمعنى «فاعل» قال الخطابي:

وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال كقوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5]، ويكون ذلك من علاء المجد والشرف، يقال منه: على يعلي علاء.

ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى منصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام. " اهـ.

(1) انظر الشريعة للأجري - باب سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله في أهل القدر - حديث: 534، كتاب القدر للرباعي - باب: ما روي في أولاد المشركين - حديث: 283.

وأخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم تسليم الإيمان بما أخبر، ودعاء الله تعالى بطلب الثبات على الإيمان، تأكيد على التسليم لله تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) (1) رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا

(١) قال ابن جرير في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) يعني بالراسخين في العلم: العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظاً لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس، وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء، وهو ثبوته وولوجه فيه، يقال منه: رسخ الإيمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا.

وقد روي في نعتهم خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملي - وأسنده - عن أبي الدرداء وأبي أمية، قالوا: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ في العلم؟ قال: "من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام له قلباً، وعف بطنه، فذلك الراسخ في العلم".

وحدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي، قالوا - وأسنده - عن أنس بن مالك وأبي أمية وأبي الدرداء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن الراسخين في العلم، فقال:

"من برت يمينه مر، وصدق لسانه، واستقام به قلبه، وعف بطنه وفرجه؛ فذلك الراسخ في العلم".

وقد قال جماعة من أهل التأويل: إنما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم الراسخين في العلم بقولهم: (آمنا به كل من عند ربنا).

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع - وأسنده - عن ابن عباس، قال: (الراسخون في العلم يقولون آمنا به) قال: الراسخون الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا.

وحدثني موسى - وأسنده - عن السدي: (والراسخون في العلم) هم المؤمنون، فإنهم (يقولون آمنا به) بناسخه ومنسوخه (كل من عند ربنا).

وحدثنا القاسم - وأسنده - قال ابن عباس: قال عبد الله بن سلام: (الراسخون في العلم) علمهم قولهم.

قال ابن جريج: (الراسخون في العلم يقولون آمنا به) وهم الذين يقولون: (ربنا لا تزغ قلوبنا) ويقولون: (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) ... الآية.

وأما تأويل قوله: (يقولون آمنا به) فإنه يعني: أن الراسخين في العلم يقولون صدقنا بما تشابه من أي الكتاب، وأنه حق، وإن لم نعلم تأويله.

وقد حدثني أحمد بن خازم - وأسنده - عن الضحاك: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) قال: المحكم والمتشابه. انتهى باختصار.

وقال القرطبي في تفسيره: (خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب".

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم).

وعن أبي غالب قال: كنت أمشي مع أبي أمامة وهو على حمار له، حتى إذا انتهى إلى درج مسجد دمشق فإذا رءوس منصوبة؛ فقال: ما هذه الرءوس؟ قيل: هذه رءوس خوارج يجاء بهم من العراق فقال أبو أمامة: (كلاب النار؛ كلاب النار؛ شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم وقتلوه - يقولها ثلاثا - ثم بكى) فقلت: ما يبكيك يا أبا أمامة؟ قال: رحمة لهم، (إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه؛ ثم قرأ "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات..." إلى آخر الآيات).

ثم قرأ "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات..." [آل عمران: 105]. فقلت: يا أبا أمامة، هم هؤلاء؟ قال نعم. قلت: أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إني إذا لجريء؛ إني إذا لجريء؛ بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة؛ ولا مرتين؛ ولا ثلاث؛ ولا أربع؛ ولا خمس؛ ولا ست؛ ولا سبع، ووضع أصبعيه في أذنيه، قال: وإلا فصمتا - قالها ثلاثا - ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النار ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة واحدة في الجنة وسائرهم في النار).

اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة:

- فقال جابر بن عبد الله، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما: (المحكمات من أي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه).

قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور).

قلت: هذا أحسن ما قيل في المتشابه. وقد قدمنا في أوائل سورة البقرة عن الربيع بن خثيم (أن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء...) الحديث.

- وقال أبو عثمان: المحكم فاتحة الكتاب التي لا تجزئ الصلاة إلا بها.

- وقال محمد بن الفضل: سورة الإخلاص، لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط.

- وقد قيل: القرآن كله محكم. لقول تعالى: "كتاب أحكمت آياته" [هود: 1].

- وقيل: كله متشابه؛ لقوله: "كتابا متشابها" [الزمر: 23].

قلت: وليس هذا من معنى الآية في شيء؛ فإن قوله تعالى: "كتاب أحكمت آياته" أي في النظم والرصف وأنه حق من عند الله. ومعنى "كتابا متشابها"، أي يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا. وليس المراد بقوله: "آيات محكمات وآخر متشابها" هذا المعنى؛ وإنما المتشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه، من قوله: "إن البقر تشابه علينا" [البقرة: 70] أي التباس علينا، أي يحتمل أنواعا كثيرة من البقر.

والمراد بالمحكم ما في مقابلة هذا، وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهها واحدا.

- وقيل: إن المتشابه ما يحتمل وجوها، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما. فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع؛ والمتشابه هو الفرع.

- وقال ابن عباس: (المحكمات هو قوله في سورة الأنعام:

"قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم" [الأنعام: 151] إلى ثلاث آيات.

وقوله في بني إسرائيل: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" [الإسراء: 23].

قال ابن عطية: وهذا عندي مثال أعطاه في المحكمات.

وقال ابن عباس أيضا: (المحكمات ناسخه وحرامه وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات المنسوخات ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به)

- وقال ابن مسعود وغيره: (المحكمات الناسخات، والمتشابهات المنسوخات).

- وقال قتادة والربيع والضحاك. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكمات هي التي فيها حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريح ولا تحريف عما وضعن عليه. والمتشابهات لهن تصريح وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد؛ وقاله مجاهد وابن إسحاق.

قال ابن عطية: وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية.

- قال النحاس: أحسن ما قيل في المحكمات، والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره؛ نحو:

- "لم يكن له كفوا أحد" [الإخلاص: 4].

- "وإني لغفار لمن تاب" [طه: 82].

والمتشابهات نحو: "إن الله يغفر الذنوب جميعا" [الزمر: 53]، يرجع فيه إلى قوله جل وعلا: "وإني لغفار لمن تاب" [طه: 82] وإلى قول عز وجل: "إن الله لا يغفر أن يشرك به" [النساء: 48، 116].

قلت - أي القرطبي - : ما قاله النحاس يبين ما اختاره ابن عطية، وهو الجاري على وضع اللسان؛ وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الإتقان؛ ولا شك في أن ما كان واضح المعنى، لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها؛ ومتى اختلف أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال. والله أعلم.

- وقال ابن خويز مناد: للمتشابه وجوه، والذي يتعلق به الحكم ما اختلف فيه العلماء أي الآيتين نسخت الأخرى؛ كقول علي وابن عباس في الحامل المتوفي عنها زوجها (تعتد أقصى الأجلين) فكان عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود وغيرهم يقولون (وضع الحمل) ويقولون: (سورة النساء القصرى نسخت أربعة أشهر وعشرا) وكان علي وابن عباس يقولان لم تنسخ.

وكاختلافهم في الوصية للوارث هل نسخت أم لم تنسخ. وكتعارض الآيتين أيهما أولى أن تقدم إذا لم يعرف النسخ ولم توجد شرائطه؛ كقوله تعالى:

"وأحل لكم ما وراء ذلكم" [النساء: 24] يقتضي الجمع بين الأقارب من ملك اليمين.

وقوله تعالى: "وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف" [النساء: 23] يمنع ذلك.

ومنه أيضا تعارض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وتعارض الأقبسة، فذلك المتشابه.

وليس من المتشابه أن تقرأ الآية بقراءتين ويكون الاسم محتلا أو مجملا يحتاج إلى تفسير لأن الواجب منه قدر ما يتناول الاسم أو جميعه.

والقراءتان كالآيتين يجب العمل بموجبهما جميعا؛ كما قرئ: "وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم" [المائدة: 6] بالفتح والكسر..

روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي.

قال: ما هو؟ قال:

"فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" [المؤمنون: 101].

وقال: "وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون" [الصافات: 27].

وقال: "ولا يكتُمون الله حديثا" [النساء: 42].

وقال: "والله ربنا ما كنا مشركين" [الأنعام: 23] فقد كتموا في هذه الآية.

وفي النزاعات "أم السماء بناها" إلى قوله "دحاها" [النزاعات: 26 27 - 28 - 29 - 30] فنذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: "أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين... إلى: طائعين" [فصلت: 9، 10، 11].

فذكر في هذا خلق الأرض قبل خلق السماء.

وقال: "وكان الله غفورا رحيمًا" [النساء: 100] "وكان الله عزيزا حكيما" [النساء: 158].

"وكان الله سميعا بصيرا" [النساء: 134] فكأنه كان ثم مضى؟.

فقال ابن عباس: ("فلا أنساب بينهم" في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون؛ ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون).

وأما قول: "ما كنا مشركين" ولا يكتمون الله حديثا فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين؛ فخنم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم بأعمالهم؛ فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وخلق الله الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في يومين، ثم دحا الأرض أي بسطها فأخرج منها الماء والمرعى، وخلق فيها الجبال والأشجار والأكام وما بينها في يومين آخرين؛ فذلك قوله: "والأرض بعد ذلك دحاها".

فخلقت الأرض وما فيها في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين.

وقوله: "وكان الله غفورا رحيمًا" يعني نفسه ذلك، أي لم يزل ولا يزال كذلك؛ فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد. ويحك فلا يختلف عليك القرآن؛ فإن كلا من عند الله).

"وأخر متشابهات" لم تصرف "آخر" لأنها عدلت عن الألف واللام؛ لأن أصلها أن تكون صفة بالألف واللام كالكبر والصغر؛ فلما عدلت عن مجرى الألف واللام منعت الصرف...

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) الذين رفع بالابتداء، والخبر "فيتبعون ما تشابه منه".

والزيف الميل؛ ومنه زاغت الشمس، وزاغت الأبصار. ويقال: زاغ يزيف زيفا إذا ترك القصد؛ ومنه قوله تعالى: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" [الصف: 5].

وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران.

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: "فأما الذين في قلوبهم زيغ": إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدري من هم.

قلت: قد مر هذا التفسير عن أبي أمية مرفوعا، وحسبك.

(فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه: متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن؛ أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع، تعالى الله عن ذلك؛ أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها، أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه السؤال. فهذه أربعة أقسام:

[الأول] لا شك في كفرهم، وإن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

[الثاني] الصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد.

[الثالث] اختلفوا في جواز ذلك: بناء على الخلاف في جواز تأويلها. وقد عرف، أن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها، فيقولون أمروها كما جاءت. وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل منها.

[الرابع] الحكم فيه الأدب البليغ: كما فعله عمر بصبيغ. وقال أبو بكر الأنباري: وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرآن، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للمنافقين الملحدون في ذلك الوقت سبيلا إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل.

فمن ذلك ما حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي أنبأنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء؛ فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل. فلما حضر قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ.

فقال عمر رضي الله عنه: وأنا عبد الله عمر؛ ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه.

فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي. وقد اختلفت الروايات في أدبه، وسيأتي ذكرها في "الذاريات". ثم إن الله تعالى ألهمه التوبة وقذفها في قلبه فتأب وحسنت توبته.

(**ابْتِغَاءُ الْفِتْنَةِ**) طلب الشبهات واللبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردوا الناس إلى زيغهم. (**الْفِتْنَةُ وَابْتِغَاءُ تَأْوِيلِهِ**) قال أبو إسحاق الزجاج: معنى "ابتغاء تأويله" أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم الله جل وعز أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله.

قال: والدليل على ذلك قوله تعالى: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ**" أي يوم يرون ما يوعدون من البعث والنشور والعذاب "**يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ**" أي تركوه - "**قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**" [الأعراف: 43] أي قد رأينا تأويل ما أنبأتنا به الرسل.

قال: فالوقف على قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" أي لا يعلم أحد متى البعث إلا الله. (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) يقال: إن جماعة من اليهود منهم حيي بن أخطب دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: بلغنا أنه نزل عليك "الم" فإن كنت صادقا في مقالتك فإن ملك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة؛ لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فنزل "**وما يعلم تأويله إلا الله**".

- والتأويل يكون بمعنى التفسير، كقولك: تأويل هذه الكلمة على كذا.
- ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه. واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أي صار. وأولته تأويلا أي صيرته.

- وقد حده بعض الفقهاء فقالوا: هو إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه.
فالتفسير بيان اللفظ: كقوله "**لا ريب فيه**" [البقرة: 2] أي لا شك. وأصله من الفسر وهو البيان؛ يقال: فسرت الشيء (مخففا) أفسره (بالكسر) فسر.

والتأويل بيان المعنى: كقوله لا شك فيه عند المؤمنين أو لأنه حق في نفسه فلا يقبل ذاته الشك وإنما الشك وصف الشاك. وكقول ابن عباس في الجد أبا لأنه تأول قول الله عز وجل: "**يا بني آدم**".

(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) اختلف العلماء في "والراسخون في العلم" هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع. فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله "إلا الله" هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم. قال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة. وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم "أما به كل من عند ربنا"، وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس.

و"يقولون" على هذا خبر "الراسخون". قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكما ومتشابهها؛ فقال عز من قائل: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات... إلى قوله: "كل من عند ربنا".

فأعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به. ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه. ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله "والراسخون في العلم يقولون آمنا به". وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة. وإنما روي عن مجاهد أنه نسق "الراسخون" على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه.

واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا؛ وزعم أن موضع "يقولون" نصب على الحال. وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه؛ لأن العرب لا تضمّر الفعل والمفعول معاً، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل؛ فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال؛ ولو جاز ذلك لجاز أن يقال: عبد الله راكبا، بمعنى أقبل عبد الله راكبا؛ وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله: عبد الله يتكلم يصلح بين الناس؛ فكان "يصلح" حالا؛ كقول الشاعر - أنشدني أبو عمر قال أنشدنا أبو العباس ثعلب -:

أرسلت فيها قطما لكالكا
يقصر يمشي ويطول باركا
أي يقصر ماشيا؛ فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده.

وأیضا فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئا عن الخلق ويثبت له نفسه، ثم يكون له في ذلك شريك: ألا ترى قوله عز وجل: "قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله" [النمل: 65]. وقوله: "لا يجليها لوقتها إلا هو" [الأعراف: 187]. وقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" [القصص: 88]، فكان هذا كله مما استأثر الله سبحانه بعلمه لا يشركه فيه غيره.

وكذلك قوله تبارك وتعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله". ولو كانت الواو في قوله: "والراسخون" للانساق لم يكن لقوله: "كل من عند ربنا" فائدة. والله أعلم. قلت - أي القرطبي - : ما حكاه الخطابي من أنه لم يقل بقول مجاهد غيره فقد روي عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل، وأنهم داخلون في علم المتشابه، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به؛ وقال الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم.

و "يقولون" على هذا التأويل نصب على الحال من الراسخين؛ كما قال:
الريح تبيكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة
وهذا البيت يحتمل المعنيين؛ فيجوز أن يكون "والبرق" مبتدأ، والخبر "يلمع" على التأويل الأول،
فيكون مقطوعاً مما قبله. ويجوز أن يكون معطوفاً على الريح، و"يلمع" في موضع الحال على التأويل
الثاني أي لامعاً.

واحتج قائلو هذه المقالة أيضاً بأن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم؛ فكيف يمدحهم وهم جهال وقد
قال ابن عباس: (أنا ممن يعلم تأويله) وقرأ مجاهد هذه الآية وقال: أنا ممن يعلم تأويله؛ حكاه عنه إمام
الحرمين أبو المعالي.

قلت - أي القرطبي - : وقد رد بعض العلماء هذا القول إلى القول الأول فقال: وتقدير تمام الكلام "عند
الله" أن معناه وما يعلم تأويله إلا الله يعني تأويل المتشابهات، والراسخون في العلم يعلمون بعضه
قائلين أننا به كل من عند ربنا بما نصب من الدلائل في المحكم ومكن من رده إليه. فإذا علموا تأويل
بعضه ولم يعلموا البعض قالوا أننا بالجميع كل من عند ربنا، وما لم يحط به علمنا من الخفايا مما في
شرعه الصالح فعلمه عند ربنا.

فإن قال قائل: قد أشكل على الراسخين بعض تفسيره حتى قال ابن عباس: (لا أدري ما الأواه ولا ما
غسلين)؟

قيل له: هذا لا يلزم؛ لأن ابن عباس قد علم بعد ذلك ففسر ما وقف عليه.
وجواب أقطع من هذا وهو: أنه سبحانه لم يقل وكل راسخ، فيجب هذا، فإذا لم يعلمه أحد علمه الآخر.
ورجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون التأويل وأطنب في ذلك؛ وفي قوله عليه السلام لابن عباس:
(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ما يبين لك ذلك، أي علمه معاني كتابك.
والوقف على هذا يكون عند قوله "والراسخون في العلم". قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر: وهو
الصحيح؛ فإن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من
يفهم كلام العرب. وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع.
لكن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يعلم البتة كأمr الروح، والساعة، مما استأثر الله بغيبه، وهذا لا يتعاطى
علمه أحد لا ابن عباس ولا غيره. فمن قال من العلماء الحذاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه
فإنما أراد هذا النوع.

وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما
فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم؛ كقوله في عيسى: "وروح منه" [النساء: 171] إلى غير
ذلك فلا يسمى أحد راسخاً إلا أن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قدر له.

وأما من يقول: إن المتشابه هو المنسوخ فيستقيم على قوله إدخال الراسخين في علم التأويل؛ لكن
تخصيصه المتشابهات بهذا النوع غير صحيح.

والرسوخ: الثبوت في الشيء، وكل ثابت راسخ. وأصله في الأجرام أن يرسخ الجبل والشجر في
الأرض؛ قال الشاعر:

لقد رسخت في الصدر مني مودة لليلي أبت آياتها أن تغيرا

ورسخ الإيمان في قلب فلان يرسخ رسوخاً. وحكى بعضهم: رسخ الغدير: نصب مأوه؛ حكاه ابن فارس
فهو من الأضداد. ورسخ ورضخ ورسن ورسب كله ثبت فيه.

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال: (هو من برت يمينه وصدق لسانه
واستقام قلبه).

مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9) [سورة آل عمران].

أخرج البخاري - باب من آيات محكمات - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).

فإن قيل: كيف كان في القرآن متشابه والله يقول: "وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" [النحل: 44] فكيف لم يجعله كله واضحا؟

قيل له: الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن يظهر فضل العلماء؛ لأنه لو كان كله واضحا لم يظهر فضل بعضهم على بعض. وهكذا يفعل من يصنف تصنيفا يجعل بعضه واضحا وبعضه مشكلا، ويترك للجنوة موضعا؛ لأن ما هان وجوده قل بهأوه. والله أعلم.

(يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) فيه ضمير عائد على كتاب الله تعالى محكمه ومتشابهه؛ والتقدير: كله من عند ربنا. وحذف الضمير لدلالة "كل" عليه؛ إذ هي لفظة تقتضي الإضافة. (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أي ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب، وهو العقل. وللب كل شيء خالصه؛ فلذلك قيل للعقل لب. و"أولو" جمع ذو. انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور:

- 1- إن الله تعالى امتحن العقل البشري بالتسليم له والتقويض إليه وإثبات عجزه عن إدراك المخلوق فكيف سيدرك الخالق؟ فهذا محال.
- 2- إن الله تعالى وضع العقل البشري في عبادة هي التفكير في المخلوقات لمعرفة سنن الله في الكون المخلوق، وأعطى لعبادة التفكير الأجر الوافر.
- 3- وإن الله تعالى وصف عقولا بأنها كالأنعام بل هم أضل لأنهم لم يؤمنوا بتوحيده وخالقيته رغم اختراعاتهم واكتشافهم لكثير من الأدوية والعلاجات، والوسائل الترفيهية للإنسان لأنهم لم تهدم عقولهم إلى الله تعالى وهم يرون قدرته وعجزهم أمام قدرته سبحانه فاستحقوا وصف (أولئك كالأنعام بل هم أضل).
- 4- إن تأخر المسلمين اليوم ناتج عن عدم جديتهم في تحمل الرسالة الإسلامية وأخذها بقوة، فهم يتعلمون للثقافة والربح المادي، وليس ابتغاء وجه الله وإعلاء كلمة الله تعالى.
- 5- إن كل مسلم مطالب في التفكير في إعادة دولة الإسلام إلى الحكم حتى وهو يصلي النفل ويتصدق فإن عليه أن يلحظ في قلبه وعقله ومشاعره أنه يساهم في إقامة دولة الإسلام في الواقع العملي والسلوكي في نفسه وأهله ومجتمعه، وأن ذلك فريضة إسلامية.
- 6- إن ما يصدر من كتابات تشكك من أعداء الإسلام ومنافقيه في هذا العصر يريدون الفتنة وتأويل القرآن الكريم بما يتفق مع أهوائهم في إبقاء المسلمين أذلاء بلا شريعة ولا قوانين إسلامية، حتى تبقى القوانين الغربية الكافرة هي السائدة في بلاد المسلمين، فهل من مدكر؟!.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذَرُوهُمْ) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي. (1)

(1) قال ابن حجر في فتح الباري: .قال أبو البقاء: أصل المتشابه أن يكون بين اثنين، فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فصح وصفها بأنها متشابهة، وليس المراد أن الآية وحدها متشابهة في نفسها. وحاصله أنه ليس من شرط صحة الوصف في الجمع صحة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات، وإن كان الأصل ذلك. قوله: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه) قال الطبري: قيل إن هذه الآية نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى. وقيل في أمر مدة هذه الأمة، والثاني أولى لأن أمر عيسى قد بينه الله لنبيه فهو معلوم لأمته، بخلاف أمر هذه الأمة فإن علمه خفي عن العباد. وقال غيره: المحكم من القرآن ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه. وسمى المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبه، بخلاف المتشابه. وقيل: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور. وقيل: في تفسير المحكم والمتشابه أقوال أخرى غير هذه نحو العشرة ليس هذا موضع بسطها، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب. وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادي أن الأخير هو الصحيح عندنا، وابن السمعاني أنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة، وعلى القول الأول جرى المتأخرون والله أعلم. وقال الطيبي: المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه، لأن اللفظ الذي يقبل معنى إما أن يقبل غيره أو لا؟

- الثاني النص.

- والأول إما أن تكون دلالته على ذلك المعنى راجحة أو لا،

- والأول هو الظاهر.

- والثاني إما أن يكون مساويه أو لا.

- والأول هو المجمل، والثاني المؤول.

فالمشترك هو النص، والظاهر هو المحكم، والمشارك بين المجمل والمؤول هو المتشابه. ويؤيد هذا التقسيم أنه سبحانه وتعالى أوقع المحكم مقابلاً للمتشابه، فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله، ويؤيد ذلك أسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم لأنه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال: (منه آيات محكمات وأخر متشابهات) أراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء منهما من الحكم فقال أولاً: (فأما الذين في قلوبهم زيغ - إلى أن قال - والراسخون في العلم يقولون آمنا به).

وكان يمكن أن يقال: وأما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم، لكنه وضع موضع ذلك الراسخون في العلم لإتيان لفظ الرسخ لأنه لا يحصل إلا بعد التتبع التام والاجتهاد البليغ، فإذا استقام القلب على طريق الرشاد ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق، وكفى بدعاء الراسخين في العلم (ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا) إلخ شاهداً على أن (والراسخون في العلم) مقابل لقوله: (وأما الذين

في قلوبهم زيغ) وفيه إشارة على أن الوقف على قوله: (إلا الله) تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى، وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث بقوله " فاحذروهم ". وقال بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة، كالحكيم إذا صنف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالمالك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سر.

وقيل: لو لم يقبل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرّد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لباريها استسلاما واعترافا بقصورها. وفي ختم الآية بقوله تعالى (وما يذكر إلا أولو الألباب) تعريض بالزائغين ومدح للراسخين، يعني من لم يتنكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولى العقول. ومن ثم قال الراسخون (ربنا لا تزغ قلوبنا) إلى آخر الآية، فخضعوا لباريهم لاشتراك العلم اللدني بعد أن استعاضوا به من الزيغ النفساني وبالله التوفيق.

وقال غيره: دلت الآية على أن بعض القرآن محكم وبعضه متشابه، ولا يعارض ذلك قوله: (أحكمت آياته) ولا قوله: (كتابا متشابها مثاني) حتى زعم بعضهم أن كله محكم، وعكس آخرون، لأن المراد بالإحكام في قوله: (أحكمت) الإتقان في النظم وأن كلها حق من عند الله، والمراد بالمتشابه كونه يشبه بعضه بعضا في حسن السياق والنظم أيضا، وليس المراد اشتباه معناه على سامعه.

وحاصل الجواب أن المحكم ورد بإزاء معنيين، والمتشابه ورد بإزاء معنيين، والله أعلم. قوله: (فهم الذين سمى الله فاحذروهم) في رواية الكشميهني فاحذروهم " بالإفراد والأولى أولى، والمراد التحذير من الإصغار إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمال مقدار مدة هذه الأمة.

ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء ابن عباس أنه فسر بهم الآية، وقصة عمر في إنكاره على ضبيب لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه، أخرجها الدارمي وغيره. وقال الخطابي: المتشابه على ضربين:

- أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه.
- والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتنون، والله أعلم.) انتهى.

والقول بأن آيات وأحاديث الصفات لا معنى لها، ولا مفهوم منها باطل، والمجسمة أغلبهم أعاجم ممن لا يعرف اللغة العربية ومجازاتها من المحدثين ولا يوجد عربي أصيل عارف بلغة البيان يقول بالتجسيم، فالله تعالى بين أن كتابه أنزله بلسان عربي مبين وليس بمفهوم أعجمي غير مبين. فمن أشكل عليه آيات الصفات وجب في حقه التأويل اللغوي والمجازي حتى لا يقع في التجسيم ولهذا قال الامام اللقاني في جوهرة التوحيد التي تدرس في الأزهر الشريف رحمه الله:

وكل نص أو هم التشبيها * * أوله أو فَوْضَ وَرُمَ تنزيها
فالحنبلة يُقْرُونُ بأن للآيات والأحاديث معاني، ولكنهم يَكِلُونُ معنى الصفة منها إلى الله، مع قطعهم أن لها معنى لا نفا به سبحانه. فقله عز وجل: "بل يدها مبسوطتان" قال عنها ابن الجوزي رحمه الله في: "زاد المسير" (234/2).

"والمراد بقوله: "بل يدها مبسوطتان" أنه جواد ينفق كيف يشاء، وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري. قال ابن عباس: إن شاء وسَّعَ في الرزق، وإن شاء قَتَّرَ " اهـ.

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) (1) [سورة آل عمران].

وقطع السادة الحنابلة بأنه ليس في كتاب الله ما لا معنى له، وفي ذلك يقول العلاء المرداوي رحمه الله في: "شرح التحرير" (1399/3).
(وليس فيه - أي: الكتاب... ما لا معنى له) وهذا مما يقطع به كل عاقل، ممن شم رائحة العلم، ولا يخالف في ذلك إلا جاهل أو معاند؛ لأن ما لا معنى له هذيان، ولا يليق النطق به من عاقل، فكيف بالباري سبحانه وتعالى "أ.هـ."
وقال ابن النجار رحمه الله في: "شرح الكوكب المنير" (144/2).
"لأنه لا يخالف فيه إلا جاهل أو معاند؛ لأن ما لا معنى له هذيان لا يليق أن يتكلم به عاقل، فكيف بالباري سبحانه وتعالى "أ.هـ."
- والثانية:

القول بأن التفويض يشمل جميع أسماء الله وصفاته! والحنابلة يُقَرُّون بأن معاني الأسماء والصفات معروفة لنا، سوى ما أُوهم التشبيه والتمثيل كـ (الوجه)، و(اليَد)، و(الأصبع)، و(الرجل)، و(القدم)، و(الساق)، و(النزول)، و(العين)، و(المجيء)، و(الإتيان). وفي ذلك يقول العلامة السفاريني رحمه الله في: "لوامع الأنوار" (97/1).

"فكل ما جاء عن الله تعالى في القرآن العظيم من الآيات القرآنية أو صحَّ مجيئه في الأخبار بالأسانيد الثابتة المرضية عن رواة ثقات في النقل، وهم العدول الضابطون المرضيون عن أهل الفن العارفين بالجرح والتعديل، من الأحاديث الصحيحة، والآثار الصريحة: مما يؤهم تشبيهاً أو تمثيلاً فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. نؤمن به، وبأنه من عند الله تعالى، ونُمرُّه كما قد جاء عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" أ.هـ المراد.

(أ) قال ابن كثير في تفسيره: (شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين "أنه لا إله إلا هو" أي المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه وهو الغني عما سواه كما قال تعالى: "لكن الله يشهد بما أنزل إليك" الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم" وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.

"قَانِمًا بِالْقِسْطِ" منصوب على الحال وهو في جميع الأحوال كذلك "لا إله إلا هو" تأكيد لما سبق "العزیز الحکیم" العزیز الذي لا يرام جنبه عظمة وكبرياء الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.
وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن الزبير بن العوام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قَانِمًا بِالْقِسْطِ لا إله إلا هو العزیز الحکیم" (وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب). وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر..

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير - وأسنده - عن غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر، قام فتهد من الليل فمر بهذه الآية:
"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قَانِمًا بِالْقِسْطِ لا إله إلا هو العزیز الحکیم إن الدين عند الله الإسلام".

ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة "إن الدين عند الله الإسلام" قالها مرارا.

(لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ^(١)) وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) [سورة النساء].
(أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) [سورة الزمر].

والمؤمن يرجع كل أموره الحياتية والعلمية إلى الله، ويطلب منه العون على حل تلك الأمور، ولو كانت تلك الأمور العلمية مكشوفة وواضحة، لأصبح كل الناس علماء، فمن زعم أنه علم كل شيء في القرآن فهو جاهل: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) [سورة الإسراء].

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ^(٢)) (210) سورة البقرة.

قلت: لقد سمع فيها شيئاً فغدوت إليه فودعته، ثم قلت: يا أبا محمد إني سمعتك تردد هذه الآية؟ قال: أو ما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني، قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكننت على بابي، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة؟، قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل: عبيدي عهد إلي وأنا أحق من وفي بالعهد، أدخلوا عبيدي الجنة." انتهى باختصار.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (ثم قال تعالى " لكن الراسخون في العلم منهم " أي الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران " والمؤمنون " عطف على الراسخين وخبره " يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك " .

قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه وأسد بن سعيه وأسد بن عبيد الذين دخلوا في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم.) انتهى باختصار.

(٢) قال ابن جرير في تفسيره: (وأما قوله: (وإلى الله ترجع الأمور) فإنه يعني: وإلى الله ينزل القضاء بين خلقه يوم القيامة والحكم بينهم في أمورهم التي جرت في الدنيا من ظلم بعضهم بعضاً، واعتداء المعتدي منهم حدود الله، وخلاف أمره، وإحسان المحسن منهم، وطاعته إياه فيما أمره به، فيفصل بين المتظالمين، ويجازي أهل الإحسان بالإحسان، وأهل الإساءة بما رأى، ويتفضل على من لم يكن منهم كافراً فيعفو؛ ولذلك قال جل ثناؤه:

(وإلى الله ترجع الأمور).

وإن كانت أمور الدنيا كلها والآخرة من عنده مبدؤها وإليه مصيرها، إذ كان خلقه في الدنيا يتظالمون، ويولي النظر بينهم أحياناً في الدنيا بعض خلقه، فيحكم بينهم بعض عبيده، فيجوز بعض، ويعدل بعض، ويصيب واحد، ويخطئ واحد، ويمكن من تنفيذ الحكم على بعض، ويتعذر ذلك على بعض لمنعة جانبه وغلبته بالقوة.

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123) سورة هود.

(فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ (1) إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ (44) سورة غافر.

(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) سورة الكهف.

ومن زعم أنه يستغني بعلمه عن الرسل والأنبياء، فقد ضل وجهل وكفر:
(فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) [سورة غافر].
(ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (30) (2) [سورة النجم].

فأعلم عباده تعالى ذكره أن مرجع جميع ذلك إليه في موقف القيامة، فينصف كلا من كل، ويجازي حق الجزاء كلا، حيث لا ظلم ولا ممتنع من نفوذ حكمه عليه، وحيث يستوي الضعيف والقوي، والفقير والغني، ويضمحل الظلم وينزل سلطان العدل.

وإنما أدخل جل وعز الألف واللام في الأمور لأنه جل ثناؤه عني بها جميع الأمور، ولم يعن بها بعضا دون بعض، فكان ذلك بمعنى قول القائل: يعجبني العسل، والبغل أقوى من الحمار، فيدخل فيه الألف واللام، لأنه لم يقصد به قصد بعض دون بعض، إنما يراد به العموم والجمع. انتهى.

(1) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (وأفوض أمري إلى الله) يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

..وعن السدي (وأفوض أمري إلى الله) قال: أجعل أمري إلى الله. انتهى.

(2) قال الفرطبي في تفسيره: (أي إنما يبصرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم.

قال الفراء: صغرهم وازدري بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن أثروا الدنيا على الآخرة.

وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله. انتهى.

قال ابن كثير في تفسيره: (أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وقد روى الإمام أحمد

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له".

وفي الدعاء المأثور: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا".

وقوله تعالى: "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى" أي هو الخالق لجميع

المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته

وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجور أبدا لا في شرعه ولا في قدره. انتهى.

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) سورة محمد.

وشتان بين علوم المادة وعلوم الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر:
(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) سورة الروم.

فمن استغنى بعلم المادة عن الإيمان بالله تعالى فالأنعام خير منه، لأنه أصبحت الأدلة بين يديه علي وجود الله تعالى واليوم الآخر ولم يؤمن:
(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) سورة الأعراف.
(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44) سورة الفرقان.

وقد مدح الله تعالى الذين أوتوا العلم، ورفع درجاتهم ومقدارهم، بالتوجه لسؤالهم:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) (1) [سورة النحل].

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (قال الضحاك عن ابن عباس: لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا؛ فأنزل الله: "أَكُنْ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَوْحِينَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ" الآية.

وقال: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل إليهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

قال تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم من أهل القرى" ليسوا من أهل السماء كما قلتم.

وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب، وقاله مجاهد والأعمش. وقول عبدالرحمن بن زيد: الذكر: القرآن، واستشهد بقوله "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" صحيح، لكن ليس هو المراد ههنا؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه.

وكذا قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر، ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة.

وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة: كعلي وابن عباس وابني علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس، وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين، وجعفر ابنه

(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) [سورة الأنبياء].

والعلم بالله تعالى هو الذي يورث خشية الله تعالى:
(ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) [سورة النحل].
(قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) [سورة الإسراء - انتبه يوجد سجدة -].
(وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54) [سورة الحج].
(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) [سورة القصص].
(بَلْ هُوَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) [سورة العنكبوت].
(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56) [سورة الروم].
(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) [سورة سبأ].
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين.
والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا بشرًا كما هو بشر كما قال تعالى:
(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (الاسراء: من الآية 93).
(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) (الاسراء: 94)
وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) (الفرقان: من الآية 20).

وقال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) (الانبياء: 8)
وقال: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) (الاحقاف: من الآية 9).
وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) (الكهف: من الآية 110).
ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرًا إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياءهم بشرًا أو ملائكة. انتهى.

مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) (1) [سورة محمد].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) (2) [سورة المجادلة].

١) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبرا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فإذا خرجوا من عنده " قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ " من الصحابة رضي الله عنهم " مَاذَا قَالَ ءَانِفًا " أي الساعة لا يعقلون ما قال ولا يكثرثون له، قال الله تعالى " أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ " أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح.) انتهى.

٢) قال القرطبي في تفسيره: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم.

وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم "درجات" أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به.

وقيل: كان أهل الغنى يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم.

ورأى عليه الصلاة والسلام رجلا من الأغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء أراد أن يجلس إليه فقال: (يا فلان خشيت أن يتعدى غناك إليه أو فقره إليك) [قلت م نور: لم أجد الحديث].

وبين في هذه الآية أن الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس. وقيل: أراد بالذين أوتوا العلم الذين قرءوا القرآن.

وقال يحيى بن يحيى عن مالك: "يرفع الله الذين آمنوا منكم" الصحابة "والذين أوتوا العلم درجات" يرفع الله بها العالم والطالب للحق.

قلت - أي القرطبي - : والعموم أوقع في المسألة وأولى بمعنى الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولا ثم بعلمه ثانيا.

وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة، فكلّمه في ذلك فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" [النصر: 1] فسكتوا، فقال ابن

عباس: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال: قدم عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. الحديث، وقد مضى في آخر "الأعراف".

وفي صحيح مسلم أن نافع بن الحرث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملته على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبيزى. فقال: ومن ابن أبيزى؟ قال: مولى من موالينا. قال:

فاستخلفت عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)...

وقد سلم الملائكة لله تعالى فيما اشتبه عليهم علمه:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) سورة البقرة.

وقد حض الله تعالى على التسليم له فهو العالم بكل شيء:

(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) سورة البقرة.

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) سورة البقرة.

- وحتى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم لا يعرفون ولا يعلمون إلا بما شاء الله لهم من العلم والمعرفة:

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50) سورة الأنعام.

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) سورة الأعراف.

(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضممر سبعين سنة).

وعنه صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب).
وعنه عليه الصلاة والسلام: (يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن عباس: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختر العلم فأعطي المال والملك معه). انتهى.

الظَّالِمِينَ (31) سورة هود.
 (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
 مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) سورة يوسف.
 (قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) سورة الشعراء.
 (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) سورة القصص.
 (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
 تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) سورة الأحقاف.
 (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ
 (23) [سورة الأحقاف].

2 - وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ: النَّفْيُ؛ وَالتَّشْبِيهِ، زَلْ، وَلَمْ يُصَبِّ التَّنْزِيهِ؛

القاعدة الثانية: قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: (من شبه الله بخلقه فقد كفر،
 ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا
 رسوله (تشبيه).⁽¹⁾
 قال ابن كثير⁽²⁾: فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار
 الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد
 سلك سبيل الهدى).
 قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) سورة الشورى.
 فنفت الآية المثلية والتشبيه بالكاف، وأثبتت صفتا السميع والبصير.
 وقد وجدنا اليهود هم أول من ابتدع تشبيه الخالق بالمخلوق قال الإمام العلامة أبو
 المظفر الإسفراييني في كتابه (كتاب التبصير في الدين)⁽³⁾. "أهـ بخصوص
 المشبهة منهم:

(1) أوردها ابن كثير في تفسيره سورة الأعراف آية 54.

(2) أوردها ابن كثير في تفسيره سورة الأعراف آية 54.

(3) انظر التبصير في الدين، للإمام أبي المظفر الإسفراييني، ص90، بتحقيق وتعليق العلامة محمد زاهد الكوثري، طبعة 1940 م - 1359 هـ.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل (118/1 - 119):

"وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا من حرّك يده عند قراءته "خلقت بيدي" أو أشار بإصبعه عند روايته "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن"، وجب قطع يده وقلع أصبعه. وقالوا: إنما توقفنا في تفسير الآية وتأويلها لأمرين:

أحدهما: المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"، فنحن نحترز عن التأويل.

والثاني: إن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري تعالى بالظن غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ، بل نقول كما قال الراسخون في العلم "كل من عند ربنا" آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكنا علمه إلى الله تعالى. ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك، إذ ليس من شرائط الإيمان وأركانه.

ثم قال الشهرستاني: (واحتماء بعضهم أكثر احتياط حتى لم يقرأ اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك، بل إن احتاج في ذكرها إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ. فهذا هو طريق السلامة، وليس هو من التشبيه بشيء). اهـ.

وقال الإمام الحافظ الترمذي في سننه (692/4): "والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفیان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رَوَوْا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر، ولا تُتَوَهَّم، ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه". اهـ.

وقد وضع العلماء عدة قواعد منها ما قاله الإمام أبو المعالي الجويني في (العقيدة النظامية للإمام الجويني، ص23): (من انتهض لطلب مُدْبِرِهِ فإن اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مُشَبَّهٌ، وإن اطمأن إلى النفي المحض فهو مُعْطَلٌ، وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن دَرْكِ حقيقته فهو مَوْحَدٌ". اهـ.

قال محمد نور عفا عنه ربه الغفور: الأفضل استعمال صفة اسم الله (الواجد) بدلا من كلمة موجود، لأن (موجود) ترد بمعنى اسم فاعل واسم مفعول، فخشية الوقوع في معنى اسم المفعول نقول (الواجد) وهو اسم من أسماء الله الحسنى كما ورد في حديث أسماء الله الحسنى، وسميت بالحسنى لأنها تحسن للعبد حتى القهار يقهرك لترجع إليه وتتوب.

وقد حذر الإمام ابن الجوزي في كتاب صيد الخاطر (ص419): فصلٌ. حدثوا الناس بما يطيقون (من المخاطر العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله قلوبهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده. مثاله أن قوما قد رسخ في قلوبهم التشبيه وأن ذات الخالق سبحانه مُلاصِقةٌ للعرش، وهي بقدر العرش، ويفضل من العرش قدر أربع أصابع. وسمعوا مثل هذا من أشياخهم، وثبت عندهم أنه إذا نزل وانتقل إلى السماء الدنيا خلت منه ست سموات فإذا دُعِيَ أحدهم إلى التنزيه وقيل له ليس كما خطر لك، إنما ينبغي أن تُمرَّ الأحاديث كما جاءت من غير مساكنة ما توهمته، صَعِبَ هذا عليه لوجهين: أحدهما: لغلبة الحس عليه، والحس على العوام أغلب. والثاني: لما قد سمعه من ذلك من الأشياخ الذين كانوا أجهل منه.

فالمخاطبُ لهذا مخاطر بنفسه، ولقد بلغني عن بعض من كان يتدين ممن رسخ في قلبه التشبيه أنه سمع من بعض العلماء شيئا من التنزيه، فقال: والله لو قدرت عليه لقتلته.

(هم الأصل في التشبيه، وكل من قال قولا في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم).
وكما قال الشاعر:

قل للمشبهة الذين تجاوزوا *** حجج العقول بكل قول منكر
يا ويلكم قستم صفات إلهكم *** بصفاتكم هذا قياس الأخر
أيقاس صانع صنعة بصنيعة *** أيقاس كاتب أسطر بالأسطر
من قال: إن الله يشبه خلقه *** كانت مقالته مقالة مفتري
أو قال: إني في التكلم مثله *** فهو الكفور بلا محالة فاحذر
لله سمع لا كأسماع الورى *** ويد وعين لا كعين المحجر
وكذا كلام الله ليس كلفظنا *** فافهم مقالي في الصفات وذكر

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عندما سئل عن أحاديث الصفات: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى).

ويوم سألوه عن الاستواء فقال: "استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف". على ما ذكره الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد.

وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف، وربما أول في بعض المواضع كما حكى حنبل أيضا عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول: احتجوا عليّ يوم المناظرة فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك، قال فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله جل ذكره: (وجاء ربك والملك صفا صفاً)، وإنما تأتي قدرته.

وقال ابن حزم الظاهري في فصله: وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: "وجاء ربك" إنما معناه: وجاء أمر ربك. اهـ
وقال العلامة الكوثري - رحمه الله - في أحد مقالاته متحدثا عن الحشوية المشبهة المتشبهون بالظاهر والموغلون في الإثبات:

فإن الله أن تحدّث مخلوقا من العوام بما لا يحتمله دون احتيال وتلف، فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدث له بنفسه. فكذا كل ما يتعلق بالأصول. اهـ

(ولو كانوا ما تعدّوا الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة المشهورة الصحيحة الصريحة من غير أن يقولوا إنه [أي الله] يتكلم بحرف وصوت، ويهبط بحركة، ويمشي ويثقل ويخف، ويقوم ويجلس ويستلقي، وأنه عال علواً حسياً أو فوقية حسية، أو بائن بينونة مسافة، وأنه في جهة، وأن له حدّاً، وأنه يمس، وأن له أبعاضاً وفماً ولهوات وأضراساً .. إلى آخر تلك المخازي، بل قالوا كلم الله موسى - عليه السلام - تكليماً، واستوى على العرش استواء يليق بجلاله لا كاستواء خلقه من التمكن والركوب والاستقرار والحلول والعود والجلوس، لما حكم أحد عليهم بمفارقة جماعة المسلمين، لكن الواقع بكل أسف هو ما سبق بيانه (هـ).

وقال العلامة الكوثري - رحمه الله - مبيناً بطلان عقيدة المشبهة والمجسمة:
 "ومن تصور رباً يجلس على الكرسي ويترك في جنبه موضعاً يقعد عليه رسوله!، فقد تابع النصاري الذين يعتقدون أن عيسى - عليه السلام - رفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه!، تعالى الله عما يشركون" (هـ).

وقد أمرنا الله تعالى بدعائه بأسمائه الحسنى وتعظيمها:
 (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180) (1) سورة الأعراف.

(1) قال القرطبي في تفسيره: (أمر بإخلاص العبادة لله، ومجانبة المشركين والملحدين. قال مقاتل وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من المسلمين، كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم، فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟

فأنزل الله سبحانه وتعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها". جاء في كتاب الترمذي وسنن ابن ماجة وغيرهما حديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نص فيه أن لله تسعة وتسعين اسماً؛ في أحدهما ما ليس في الآخر، وقد بينا - أي القرطبي - ذلك في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى).

قال ابن عطية - وذكر حديث الترمذي - وذلك الحديث ليس بالمتواتر، وإن كان قد قال فيه أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث.

وإنما المتواتر منه قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة".

ومعنى "أحصاها" عدها وحفظها. وقيل غير هذا مما بيناه في كتابنا - القول للقرطبي - وذكرنا هناك تصحيح حديث الترمذي، وذكرنا من الأسماء ما اجتمع عليه وما اختلف فيه مما وقفنا عليه في كتب أئمتنا ما ينيف على مائتي اسم. وذكرنا قبل تعيينها في مقدمة الكتاب اثنين وثلاثين فصلاً فيما يتعلق

بأحكامها، فمن أَرادَه وقف عليه هناك وفي غيره من الكتب الموضوعَة في هذا الباب. والله الموفق للصواب، لا رب سواه.

واختلف العلماء من هذا الباب في الاسم والمسمى، وقد ذكرنا - أي القرطبي - ما للعلماء من ذلك في "الكتاب الأسنى".

قال ابن الحصار: وفي هذه الآية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه على التسمية. فقوله: "ولله" وقع على المسمى، وقوله: "الأسماء" وهو جمع اسم واقع على التسميات. يدل على صحة ما قلناه.

قوله: "فادعوه بها"، والهاء في قوله: "فادعوه" تعود على المسمى سبحانه وتعالى، فهو المدعو. والهاء في قوله "بها" تعود على الأسماء، وهي التسميات التي يدعى بها لا بغيرها. هذا الذي يقتضيه لسان العرب.

ومثل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد" الحديث. وقد تقدم في "البقرة" شيء من هذا، والذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى، أو صفة له تتعلق به، وأنه غير التسمية.

قال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى": فيه ثلاثة أقوال:

- قال بعض علمائنا: في ذلك دليل على أن الاسم المسمى؛ لأنه لو كان غيره لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى.

- **الثاني:** قال آخرون: المراد به التسميات؛ لأنه سبحانه واحد والأسماء جمع. قلت: ذكر ابن عطية في تفسيره أن الأسماء في الآية بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يجوز غيره.

وقال القاضي أبو بكر في كتاب التمهيد: وتأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة" أي أن له تسعة وتسعين تسمية بلا خلاف، وهي عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتى، منها ما يستحقه لنفسه ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، وأسماءه العائدة إلى نفسه هي هو، وما تعلق بصفة له فهي أسماء له. ومنها صفات لذاته. ومنها صفات أفعال. وهذا هو تأويل قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" أي التسميات الحسنى.

- **الثالث:** قال آخرون منهم: والله الصفات، سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى لأنها حسنة في الأسماع والقلوب؛ فإنها تدل على توحده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله.

والحسنى مصدر وصف به. ويجوز أن يقدر "الحسنى" فعلى، مؤنث الأحسن؛ كالكبرى تأنيث الأكبر، والجمع الكبير والحسن.

وعلى الأول أفرد كما أفرد وصف ما لا يعقل؛ كما قال تعالى: "مأرب أخرى" [طه: 18] و"يا جبال أوبي معه" [سبأ: 10].

قوله تعالى: "فادعوه بها" أي اطلبوا منه بأسمائه؛ فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي؛ هكذا. فإن دعوت باسم عام قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني.

وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا الله؛ فهو متضمن لكل اسم. ولا تقول: يا رازق اهدني؛ إلا أن تريد يا رازق ارزقني الخير.

قال ابن العربي: وهكذا، رتب دعائك تكن من المخلصين. وقد تقدم في "البقرة" شرائط الدعاء، وفي هذه السورة أيضاً. والحمد لله

أدخل القاضي أبو بكر بن العربي عدة من الأسماء في أسمائه سبحانه، مثل متم نوره، وخير الوارثين، وخير الماكرين، ورابع ثلاثة، وسادس خمسة، والطيب، والمعلم؛ وأمثال ذلك.

(قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) (1) سورة الإسراء.

قال ابن الحصار: واقتدى في ذلك بابن برجان، إذ ذكر في الأسماء "النظيف" وغير ذلك مما لم يرد في كتاب ولا سنة.

قلت - أي القرطبي - : أما ما ذكر من قوله: "مما لم يرد في كتاب ولا سنة" فقد جاء في صحيح مسلم "الطيب". وخرج الترمذي "النظيف". وخرج عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه (رب أعني ولا تُعن علي وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي) الحديث. وقال فيه: حديث حسن صحيح. فعلى هذا جائز أن يقال: يا خير الماكرين امكر لي ولا تمكر علي. والله أعلم.

وقد ذكرنا "الطيب، والنظيف" في كتابنا وغيره مما جاء ذكره في الأخبار، وعن السلف الأخيار، وما يجوز أن يسمى به ويدعى، وما يجوز أن يسمى به ولا يدعى، وما لا يجوز أن يسمى به ولا يدعى. حسب ما ذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري. وهناك يتبين لك ذلك إن شاء الله تعالى.

"يلحدون" الإلحاد: الميل وترك القصد؛ يقال: ألحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته. وقرئ "يلحدون" لغتان **والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:**

- **أحدها:** بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها أو ثانهم؛ فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان قاله ابن عباس وقتادة.

- **الثاني:** بالزيادة فيها.

- **الثالث:** بالنقصان منها؛ كما يفعله الجاهل الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرون بغير ما يذكر من أفعاله؛ إلى غير ذلك مما لا يليق به.

قال ابن العربي: "فحذار منها، ولا يدعون أحدكم إلا بما في كتاب الله والكتب الخمسة؛ وهي البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي. فهذه الكتب التي يدور الإسلام عليها، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذرؤا ما سواها، ولا يقولن أحدكم أختار دعاء كذا وكذا؛ فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: معنى الزيادة في الأسماء التشبيهية، والنقصان التعطيل. فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوه ما اتصف به، **ولذلك قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل.**

وسئل الشيخ أبو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات، ولا معطلة من الصفات.

وقد قيل في قوله تعالى: "وذرؤا الذين يلحدون" معناه اتركوهم ولا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم. فالآية على هذا منسوخة بالقتال؛ قاله ابن زيد، وقيل: معناه الوعيد؛ كقوله تعالى: "ذرني ومن خلقت وحيداً" [المدرثر: 11] وقوله: "ذرهم يأكلوا ويتمتعوا" [الحجر: 3]. وهو الظاهر من الآية؛ لقوله تعالى: "سيجزون ما كانوا يعملون". والله أعلم.) انتهى.

(أ) قال القرطبي في تفسيره: (سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (يا الله يا رحمن) فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين؛ قاله ابن عباس. **وقال مكحول:** تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه: (يا رحمن يا رحيم) فسمعه رجل من المشركين، وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن، فقال ذلك السامع: ما بال محمد يدعو رحمان

(الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى (8) (1) سورة طه.
(هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (24) (2) سورة الحشر.

اليمامة. فنزلت الآية مبينة أنهما اسمان لمسمى واحد؛ فإن دعوتهم بالله فهو ذاك، وإن دعوتهم بالرحمن فهو ذاك.

وقيل: كانوا يكتبون في صدر الكتب: باسمك اللهم؛ فنزلت: "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" [النمل: 30].

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال المشركون: هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن؛ فنزلت الآية.

وقيل: إن اليهود قالت: ما لنا لا نسمع في القرآن اسما هو في التوراة كثير؛ يعنون الرحمن؛ فنزلت الآية.

وقرأ طلحة بن مصرف "أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى" أي التي تقتضي أفضل الأوصاف وأشرف المعاني. وحسن الأسماء إنما يتوجه بتحسين الشرع؛ لإطلاقها والنص عليها. وانضاف إلى ذلك أنها تقتضي معاني حسنا شريفة.

وهي بتوقيف لا يصح وضع اسم لله ينظر إلا بتوقيف من القرآن أو الحديث أو الإجماع. حسبما بيناه في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى). انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: وقد سمعت من أحد شيوخه حفظه الله بأن أسماء الله الحسنى سميت بالحسنى لأنه تحسن للعباد في كل شيء، حتى القهار يقهرك لتقيء إليه ولتتأجبه والله أعلم.

(أ) قال ابن جرير في تفسيره: (وأما قوله تعالى ذكره: (الله لا إله إلا هو) فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له.

يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان (له الأسماء الحسنى) يقول جل ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوجد، وهو نعت للأسماء، ولم يقل الأحاسن، لأن الأسماء تقع عليها هذه، فيقال: هذه أسماء، وهذه في لفظة واحدة؛ ومنه قول الأعشى:

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به رب غفور وبيض ذات أطهار

فوجد ذات، وهو نعت للبيض لأنه يقع عليها هذه، كما قال: (حدائق ذات بهجة) [النمل: 60] ومنه قوله جل ثناؤه: (مأرب أخرى) [طه: 18] فوجد أخرى، وهي نعت لمأرب، والمأرب: جمع، وأحدثها: مأربة، ولم يقل آخر، لما وصفنا، ولو قيل: آخر، لكان صوابا). انتهى.

(ع) قال ابن كثير في تفسيره: (التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفري التنفيذ ومنه يقال قدر الجلال ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالى "الخالق البارئ المصور" أي الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد الصورة التي يختار كقوله تعالى "في أي صورة ما شاء ركبك" ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

فأسماء الله تعالى حسنى ومعانيها حسنى، فلا يجوز إنقاصها أو انتقاص معانيها، فلا بد من شرح معانيها بغاية التمام والكمال والجلال مع كامل التعظيم لله تعالى، ولا يجوز شرحها بمعاني الحدوث ثم القول بلا كيف، فهذا مسلك جهنم بن صفوان الذي رده الإمام أحمد في رسالته.

قال ابن كثير - في تفسير سورة الأعراف/54 آية: (فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى) انتهى.

والتشبيه يحصل في الجنس الواحد، ولا يحصل في الجنسين المختلفين:

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) سورة البقرة.

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) سورة البقرة.

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

وقوله تعالى "له الأسماء الحسنى" نذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر"

وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضا وزاد بعد قوله: وهو وتر يحب الوتر واللفظ للترمذي:

"هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور".

وقوله تعالى "يسبح له ما في السموات والأرض" كقوله تعالى "تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا".

وقوله تعالى "وهو العزيز" أي فلا يرام جنباه "الحكيم" في شرعه وقدره.

وقد قال الإمام أحمد - وأسنده - عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة" ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انتهى.

وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) سورة النساء.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) سورة الرعد.

والقرآن يشبه بعضه بعضاً، ولا يشبه كلام المخلوقين:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) سورة آل عمران.

(اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) سورة الزمر.

وفي الجنة تشابه ثمرات الدنيا بالاسم فقط:

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25) سورة البقرة.

فإذا كان لا يحصل التشابه بين المخلوقات من جنسين مختلفين سوى صفة المخلوقية، فيستحيل أن يحصل التشابه بين الخالق والمخلوق من أي حيثية كانت.

وقد ذم الله تعالى اليهود الذين شبهوا الله تعالى بخلقه، فلعنهم إلى يوم القيامة:

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) (1) سورة آل عمران.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة".

قالت اليهود: يا محمد: افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله:

"لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء" الآية رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) (سورة المائدة).

وقال محمد بن إسحق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدارس فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له: فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل.

فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإننا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطاك الربا.

فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجهه فنحاص ضربا شديدا وقال: والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبوك ما استطعتم إن كنتم صادقين.

فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟" فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه.

فجدد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء" الآية. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله "سنكتب ما قالوا" تهديد ووعد ولهذا قرنه تعالى بقوله "وقتلهم الأنبياء بغير حق" أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء. انتهى.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ):

قال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء، لعنه الله، وأصحابه، وكان لهم أموال فلما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قل مالهم؛ فقالوا: إن الله بخيل، ويد الله مقبوضة عنا في العطاء؛ فالآية خاصة في بعضهم. وقيل: لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صاروا كأنهم بأجمعهم قالوا هذا.

وقال الحسن: المعنى يد الله مقبوضة عن عذابنا.

وقيل: إنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في فقر وقلة مال وسمعوا: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يستعين بهم في الديات قالوا: إن إله محمد فقير، وربما قالوا: بخيل؛ وهذا معنى قولهم: (يد الله مغلولة) فهذا على التمثيل كقوله:

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) [الإسراء: 29].

ويقال للبخيل: جعد الأنامل، ومقبوض الكف، وكز الأصابع، ومغلول اليد؛ قال الشاعر:

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها

وكل باب من الخيرات مفتوح

فاستبدلت بعده جعدا أنامله

كأنما وجهه بالخل منضوح

واليد في كلام العرب تكون للجارحة كقوله تعالى: "وخذ بيدك ضغثاً" [ص: 44] هذا محال على الله تعالى.

وتكون للنعمة؛ تقول العرب: كم يد لي عند فلان، أي كم من نعمة لي قد أسديتها له، وتكون للقوة؛ قال الله عز وجل: "واذكر عبدنا داود ذا الأيد" [ص: 17].

أي ذا القوة وتكون يد الملك والقدرة؛ قال الله تعالى:

"قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء" [آل عمران: 73].

وتكون بمعنى الصلة، قال الله تعالى: "مما عملت أيدينا أنعاماً" [يس: 71].

أي مما عملنا نحن.

وقال: "أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح" [البقرة: 237] أي الذي له عقدة النكاح. وتكون بمعنى التأييد والنصرة، ومن قوله عليه السلام:

(يد الله مع القاضي حتى يقضي والقاسم حتى يقسم).

وتدون لإضافة الفعل إلى المخبر عند تشريفاً له وتكريماً؛ قال الله تعالى:

"يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" [ص: 75].

فلا يجوز أن يحمل على الجارحة؛ لأن الباري جل وتعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض، ولا على القوة والملك والنعمة والصلة، لأن الاشتراك يقع حينئذ. بين وليه آدم وعدوه إبليس، ويبطل ما ذكر من تفضيله عليه؛ لبطلان معنى التخصيص، فلم يبق إلا أن تحمل على صفتين تعلقنا بخلق آدم تشريفاً له دون خلق إبليس تعلق القدرة بالمقدور، لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسية.

ومثله ما روي أنه عز اسمه وتعالى علاه وجد أنه كتب التوراة بيده، وغرس دار الكرامة بيده لأهل الجنة، وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها.

وقوله تعالى: (غُلْتُ أَيَدِيَهُمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا) حذفت الضمة من الياء لثقلها؛ أي غلت في الآخرة، ويجوز أن يكون دعاء عليهم، وكذا "ولعنوا بما قالوا" والمقصود تعليمنا كما قال:

"لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله" [الفتح: 27]؛ علمنا الاستثناء.

كما علمنا الدعاء على أبي لهب بقوله: "تبت يدا أبي لهب" [المسد: 1].

وقيل: المراد أنهم أبخل الخلق؛ فلا ترى يهودياً غير لنيم. وفي الكلام علي هذا القول إضمار الواو؛ أي قالوا: يد الله مغولة وغلت أيديهم. واللحن بالإبعاد، وقد تقدم.

وقوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ) ابتداء وخبر؛ أي بل نعمته مبسوطه؛ فاليد بمعنى النعمة. قال بعضهم: هذا غلط؛ لقوله: "بل يده مَبْسُوطَتَانِ" فنعم الله تعالى أكثر من أن تحصى فكيف تكون بل نعمته مبسوطتان؟

وأجيب بأنه يجوز أن يكون هذا تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد؛ فيكون مثل قوله عليه السلام: (مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين). فأحد الجنسين نعمة الدنيا، والثاني نعمة الآخرة.

وقيل: نعمتا الدنيا النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة؛ كما قال: "وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" [لقمان: 20]. وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال فيه: (النعمة الظاهرة ما حسن من خلقك، والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك).

وقيل: نعمته المطر والنبات اللتان النعمة بهما ومنهما.

وقيل: إن النعمة للمبالغة؛ كقول العرب: (لبيك وسعديك) وليس يريد الاختصار على مرتين، وقد يقول القائل: ما لي بهذا الأمر يد أي قوة.

القاعدة الأساسية لفهم آيات الصفات هي: التنزيه المطلق لله تعالى:

من معاني التنزيه المطلق لله تعالى قول: (سبحان الله؛ وسبحانه؛ وسبحانك) - (تعالى) - (تبارك) اللواتي وردت في القرآن كثيراً، لكي تعلم المؤمن طريق التنزيه، فوردت آيات التنزيه من الله تعالى، والملائكة؛ والأنبياء والرسل، والمؤمنين، وهذا يعني أن التنزيه والإثبات معاً لأن مصدرهما القرآن والله أعلم:

أولاً - كلمات سبحان، سبحانه، سبحانك:

1 - تنزيه الله تعالى نفسه؛ تعظيماً لشأنه سبحانه؛ وتعليماً لنا:

حيثما وردت الآيات المبتدئة بسبحان، أو سبحانه؛ فهي لتعظيم الله تعالى وتنزيهه:

(سُبْحَانَ (1) الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

قال السدي؛ معنى قوله (يداه) قوته بالثواب والعقاب، بخلاف ما قالت اليهود: إن يده مقبوضة عن عذابهم.

وفي صحيح مسلم عن أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى قال لي أنفق أنفق عليك).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يمين الله ملأى لا يغيضها سحاء الليل والنهار رأيت ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه - قال - وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض).

السخاء الصب الكثير. ويغيض ينقص؛ ونظير هذا الحديث قوله جل ذكره:

"والله يقبض ويبسط" [البقرة: 245].

وأما هذه الآية ففي قراءة ابن مسعود "بل يدها مبسوطتان" [المائدة: 64] حكاه الأخفش، وقال يقال: يد بسيطة، أي منطلقة منبسطة. انتهى

(1) قال ابن جرير في تفسير: (يعني تعالى ذكره بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) تنزيهاً للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكاً، وأن له صاحبة وولداً، وعلواً له وتعظيماً عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

وقد بينت فيما مضى قبل، أن قوله (سبحان) اسم وضع موضع المصدر، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب لأنه غير موصوف، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها:

فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله: (فلولا أنه كان من المسبحين): [الصفات: 143] فلولا أنه كان من المصلين.

ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى: (ألم أقل لكم لولا تسبحون): [القلم: 28] لولا تستثنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله: (إذ أقسموا

الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) سورة الإسراء.
(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) ⁽¹⁾ (43) سورة الإسراء.
(فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) ⁽²⁾ (17) الروم.

ليصر منها مصبحين ولا يستثنون) [القلم: 17 - 18] قال: (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون [القلم: 28] فنكرهم تركهم الاستثناء.

ومنها النور، وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء" أنه عنى بقوله: سبحات وجهه: نور وجهه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: (سبحان الذي أسرى بعبده) قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، - وأسنده - عن موسى بن طلحة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سبحان الله، قال: "إنزاه الله عن السوء". حدثنا - وأسنده - عن مجاهد قوله: سبحان الله: قال: إنكاف الله. وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل.) انتهى باختصار.

قال القرطبي في تفسيره: ("سبحان" اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجرى بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين، تقول: سبحت تسبيحاً وسبحاناً، مثل كفرت اليمين تكفيراً وكفراناً. ومعناه التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص. فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره؛ فأما قول الشاعر:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

فإنما ذكره على طريق النادر.

وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض أحد العشرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما معنى سبحان الله؟ فقال: (تنزيه الله من كل سوء).

والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا من لفظه، إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل قعد القرفصاء، واشتمل الصماء؛ فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً؛ فوقع (سبحان الله) مكان قولك تنزيهاً.) انتهى.

(1) قال ابن جرير الطبري: (القول في تأويل قوله تعالى: (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيهاً لله وعلواً له عما يقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة. كما حدثنا - وأسنده - عن قتادة (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقال تعالى: (عما يقولون علواً) ولم يقل: تعالياً، كما قال: (وتبتل إليه تبتيلاً) [المزمل: 8] كما قال الشاعر:

أنت الفداء لكعبة هدمتها ونقرتها بيداك كل منقر

منع الحمام مقيله من سقفا ومن الحطيم فطار كل مطير) انتهى.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: (هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل

(سُبْحَانَ (١) الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) سورة يس.
(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (2) (83) سورة يس.
(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (3) (180) سورة الصافات.

بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه. ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد. انتهى.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار؛ إذ عبدوا غيره مع ما رأوه من نعمه وآثار قدرته. وفيه تقدير الأمر؛ أي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به. وقيل: فيه معنى التعجب؛ أي عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات؛ ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله!

والأزواج الأنواع والأصناف؛ فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها. وقال قتادة: يعني الذكر والأنثى. انتهى.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى: "فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون" أي تنزيهه وتقديسه وتبرئته من سوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه رجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه يرجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل. ومعنى قوله سبحانه وتعالى "فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء" كقوله عز وجل: "قل من بيده ملكوت كل شيء"

وكقوله تعالى: "تبارك الذي بيده الملك"

فالمالك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهوت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام والملكوت هو عالم الأرواح. والصحيح الأول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

وقال أبو داود - وأسنده - عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه:

"سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة" ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به.. انتهى باختصار.

(٣) قال ابن جرير في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: تنزيهاً لربك يا محمد وتبرئة له. (رب العزة) يقول: رب القوة والبطش (عما يصفون) يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم، كما حدثنا بشر - وأسنده - عن قتادة: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أي عما يكذبون يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان. انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره: (ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة، ويقدها ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون، تعالى وتنزهه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً، ولهذا قال تبارك وتعالى: (سبحان ربك رب العزة): أي ذي العزة التي لا ترام. (عما يصفون) أي عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين.

(سُبْحَانَ (1) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) سورة الزخرف.

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (2) (23) سورة الحشر.

(وسلام على المرسلين) أي سلام الله عليكم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيقته.

(والحمد لله رب العالمين) أي الحمد في الأولى والآخرة في كل حال ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص، قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن. ولهذا قال تبارك وتعالى: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) انتهى.

(أ) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (سبحان رب السموات والأرض) يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيهاً لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه..) انتهى باختصار.

وقال القرطبي في تفسيره: (أي تنزيهاً له وتقديساً، نزه نفسه عن كل ما يقتضي الحدث، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنزيه.) انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره: (أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فإنه فرد أحد لا نظير له ولا كفاء له فلا ولد له.) انتهى.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: (قال تعالى "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك" أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة

وقوله تعالى "القدوس" قال وهب بن منبه أي الطاهر، وقال مجاهد وقتادة: أي المبارك وقال ابن جريج: تقدسة الملائكة الكرام

"السلام" أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله تعالى "المؤمن" قال الضحاك عن ابن عباس: أي أمن خلقه من أن يظلمهم.

وقال قتادة: أمن بقوله أنه حق، وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به.

وقوله تعالى "المهيمن" قال ابن عباس وغير واحد: أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم كقوله "والله على كل شيء شهيد" وقوله "ثم الله شهيد على ما يفعلون".

وقوله "أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت" الآية.

وقوله تعالى "العزیز" أي الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه.

ولهذا قال تعالى: "الجبار المتكبر" أي الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح "العظمة إزارى والكبرياء رداى فمن نازعنى واحدا منهما عذبتة"

وقال قتادة: الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء.

وقال ابن جرير: الجبار المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم.

وقال قتادة: المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى "سبحان الله عما يشركون". انتهى.

2 - وأما تنزيه الملائكة لله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) سورة البقرة.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (1) (32) سورة البقرة.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ (2) مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18) الفرقان.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ (3) أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41) سورة سبأ.

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206) سورة الأعراف.

(يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) سورة الأنبياء.

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) سورة الزمر.

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى، أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئا إلا ما علمهم الله تعالى، ولهذا قالوا:

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم".

أي العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك ما تشاء، ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام.

قال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن ابن عباس: سبحان الله. قال تنزيه الله نفسه عن السوء.

ثم قال: قال عمر لعلي وأصحابه عنده: لا إله إلا الله قد عرفناها، فما سبحان الله؟

فقال له علي: كلمة أحبها الله لنفسه، ورضيها، وأحب أن يقال.

قال: وحدثنا أبي حدثنا فضيل بن النضر بن عدي قال سأل رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله؟

قال: اسم يعظم الله به، ويحاشا به من السوء. انتهى.

(2) قال ابن جرير الطبري: (يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا وتبرئة، مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان.) انتهى باختصار.

(3) قال ابن كثير في تفسيره: ("سبحانك" أي تعاليت وتقدسست عن أن يكون معك إله) انتهى.

وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) سورة غافر.
(فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ
(38) سورة فصلت.

(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5) سورة الشورى.

3 - وأما تنزيه الأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - الله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ (1) مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)
سورة المائدة.

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي
وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ (2) تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ
(143) سورة الأعراف.

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (3) (108) يوسف.

(1) قال القرطبي في تفسيره: (خرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله:
"وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ".
قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فلقاه الله):
"سبحانك ما يكون لي أن أقوم ما ليس لي بحق" الآية كلها. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين:
أحدهما: تنزيهاً له عما أضيف إليه.

الثاني: خضوعاً لعزته، وخوفاً من سطوته.) انتهى باختصار.
(2) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من
غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خر لها موسى صلى الله عليه وسلم.
قال: (سبحانك) تنزيهاً لك يا رب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش.
(تبت إليك) من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية.

(وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك.) انتهى باختصار.
(3) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس أمراً له
أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي.

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (1) (87) الأنبياء.

(أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيِّنٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ (2) هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) سورة الإسراء.

وأخرج النسائي أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَنْبَأَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ) ورواه: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

4 - وأما تنزيه المؤمنين لله تعالى:

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وقوله " وسبحان الله " أي وأنزه الله؛ وأجله؛ وأعظمه؛ وأقدسّه عن أن يكون له شريك؛ أو نظير؛ أو عدل؛ أو نديد؛ أو ولد؛ أو والد؛ أو صاحبة؛ أو وزير؛ أو مشير؛ تبارك وتقدس وتنزه؛ وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً:

" تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً " (انتهى.

(1) قال القرطبي في تفسيره: (روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دعاء ذي النون في بطن الحوت) " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له).

وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم. ورواه سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي الخبر: في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن يجيبه كما أجابه، وينجيه كما أنجاه، وهو قوله: "وكنك نجي المؤمنين".

وليس هاهنا صريح دعاء وهو وإنما هو مضمون قوله: "إني كنت من الظالمين" فاعترف بالظلم فكان تلويحاً. انتهى باختصار.

(2) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (قل سبحان ربي) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيهاً لله عما يصفونه به، وتعظيماً له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه:

(هل كنت إلا بشراً رسولا) يقول: هل أنا إلا عبد من عبده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتهموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتهموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبده، لا يقدر على ذلك غيره.) انتهى باختصار.

وقال القرطبي في تفسيره: (وقرأ أهل مكة والشام "قال سبحان ربي" يعني النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي قال ذلك تنزيهاً لله عز وجل عن أن يعجز عن شيء وعن أن يعترض عليه في فعل. وقيل: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم. الباقون "قل" على الأمر؛ أي قل لهم يا محمد) انتهى.

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (1) (191) سورة آل عمران.

(وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ (2) (108) سورة الإسراء. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يعني بذلك تعالى ذكره: ويتفكرون في خلق السموات والأرض، قائلين: (ربنا ما خلقت هذا باطلا) فترك ذكر قائلين، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه؛ وقوله: (ما خلقت هذا باطلا) يقول: لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا، لم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة، وإنما قال: ما خلقت هذا باطلا، ولم يقل: ما خلقت هذه، ولا هؤلاء، لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السموات والأرض، يدل على ذلك.

قوله: (سبحانك فقنا عذاب النار) ورغبتهم إلى ربهم في أن يقيهم عذاب الجحيم، ولو كان المعنى بقوله: (ما خلقت هذا باطلا) السموات والأرض، لما كان لقوله عقيب ذلك: (فقنا عذاب النار) معنى مفهوم، لأن السموات والأرض أدلة على بارئها، لا على الثواب والعقاب، وإنما الدليل على الثواب والعقاب: الأمر والنهي؛ وإنما وصف جل ثناؤه أولى الألباب الذين ذكرهم في هذه الآية، أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيين، قالوا: يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك، يعني: تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر، لجنة أو نار.

ثم فزعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره، فيكونوا من أهل جهنم. انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (أي يقولون: ما خلقتة عبثا وهزلا، بل خلقتة دليلا على قدرتك وحكمتك. والباطل: الزائل الذاهب. ومنه قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
أي زائل.

و"باطلا" نصب لأنه نعت مصدر محذوف؛ أي خلقا باطلا وقيل: انتصب على نزع الخافض، أي ما خلقتها للباطل.

وقيل: على المفعول الثاني، ويكون خلق بمعنى جعل. "سبحانك" أسند النحاس عن موسى بن طلحة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى "سبحان الله"؟ فقال: (تنزيه الله عن السوء) وقد تقدم في "البقرة" معناه مستوفى. "وقنا عذاب النار" أجرنا من عذابها، وقد تقدم. انتهى.

(2) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) يقول جل ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم: تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولا حقا يقينا، إيمان بالقرآن وتصديق به. انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (دليل على جواز التسبيح في السجود. وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في سجوده وركوعه (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي). انتهى.

(¹) (16) سورة النور.
(لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) (²) (13) الزخرف.

(¹) قال القرطبي في تفسيره: (عتاب لجميع المؤمنين أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام. وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان.
وحقيقة البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه. وهذا المعنى قد جاء في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم). انتهى.
(²) قال القرطبي في تفسيره: ("وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا" أي ذلل لنا هذا المركب. وفي قراءة علي بن أبي طالب "سبحان من سخر لنا هذا".
وما كنا له مقرنين" أي مطيقين؛ في قول ابن عباس والكلبي.
وقال الأخفش وأبو عبيدة: "مقرنين" ضابطين.
وقيل: مماثلين في الأيد والقوة؛ من قولهم: هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة.
ويقال: فلان مقرن لفلان أي ضابط له. وأقرنت كذا أي أطقته. وأقرن له أي أطاقه وقوي عليه؛ كأنه صار له قرنا.
قال الله تعالى: "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين. وأنشد قطرب قول عمرو بن معد يكرب:
لقد علم القبايل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنيننا
وقال آخر:

ركبتم صعبتي أشرا وحيفا ولستم للصعاب بمقرنيننا
والمقرن أيضا: الذي غلبته ضيعته؛ يكون له إبل أو غنم ولا معين له عليها، أو يكون يسقي إبله ولا
ذائد له يذودها.

قال ابن السكيت: وفي أصله قولان:
أحدهما: أنه مأخوذ من الإقران؛ يقال: أقرن يقرن إقرانا إذا أطاق. وأقرنت كذا إذا أطقته وحكمته؛ كأنه جعله في قرن - وهو الحبل - فأوثقه به وشد.
والثاني: أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير؛ يقال: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه.
علمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن؛ وهي قوله تعالى: "وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم" [هود: 41].

فكم من راكب دابة عثرت به أو شمس أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك.
وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا.
فلما كان الركوب مباشرة أمر محظور، واتصالا بأسباب من أسباب التلف، أمر ألا ينسى عند اتصاله به يومه، وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله عز وجل غير منفلت من قضائه. ولا يدع ذكر ذلك بقلبه
ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه.
والحذر من أن يكون وركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه:
حكى سليمان بن يسار أن قوما في سفر فكانوا إذا ركبوا قالوا: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" وكان فيهم رجل على ناقة له رازم - وهي التي لا تتحرك هزالا،

الرازم من الإبل: الثابت على الأرض لا يقوم من الهزال. أو قد رزمت الناقة ترزم وترزم رزوما ورزاما: قامت من الإعياء والهزال فلم تتحرك؛ فهي رازم. قاله الجوهري في الصحاح.
فقال: أما أنا فإني لهذه لمقرن، قال: فقمصت به فدقت عنقه.
وروي أن أعرابياً ركب قعوداً له، وقال: إني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعه فاندقت عنقه.
ذكر الأول الماوردي والثاني ابن العربي.

قال: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان؛ فيقول متى ركب وخاصة في السفر إذا تذكر:

"سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والجور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال؛ يعني بـ"الجور بعد الكور" تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه.
وقال عمرو بن دينار: ركبت مع أبي جعفر إلى أرض له نحو حائط يقال لها مدركة، فركب على جمل صعب فقلت له: أبا جعفر! أما تخاف أن يصرك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (على سنام كل بغير شيطان إذا ركبتوها فذكروا اسم الله كما أمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله).

وقال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب ركب دابة يوماً فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله، فلما استوى على الدابة قال الحمد لله، ثم قال:

"سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون"
ثم قال: الحمد لله والله أكبر - ثلاثا - اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ثم ضحك فقلت له: ما أضحكك؟

قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت، وقال كما قلت؛ ثم ضحك فقلت له: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال:

(العبد - أو قال - عجباً لعبد أن يقول: اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيره). خرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، وأبو عبد الله محمد بن خويزمنداد في أحكامه.

وذكر الثعلبي نحوه مختصراً عن علي رضي الله عنه، ولفظه عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا وضع رجله في الركاب قال:

(باسم الله - فإذا استوى قال - الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وإذا نزلتم من الفلك والأنعام فقولوا: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين).

وروي ابن أبي نجيب عن مجاهد قال: من ركب ولم يقل "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" قال له الشيطان تغنه؛ فإن لم يحسن قال له تمنه؛ ذكره النحاس.

ويستعيز بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يستقون حتى تمل طلائهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم؛ لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

الزمخشري: ولقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب الخمر من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر، فلم يصح إلا بعد ما أطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به؛ فكيف بين فعل أولئك الركابين وبين ما أمر به في هذه الآية!؟ انتهى.

(قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) (1) (29) القلم.

يقول القطب الرباني أحمد الرفاعي في كتابه النفيس (البرهان المؤيد):
(والله يا هذا ما ثمّ اتصال؛ ولا انفصال؛ ولا حلول؛ ولا انتقال؛ ولا حركة؛ ولا زوال؛ ولا مماسة؛ ولا مجاورة؛ ولا محاذاة؛ ولا مقابلة؛ ولا مساواة؛ ولا مماثلة؛ ولا مجانسة؛ ولا مشاكلة؛ ولا تجسد؛ ولا تصور؛ ولا انفعال؛ ولا تكون، ولا تغير؛ كل هذه نعوت حَدَثِكَ، والحق سبحانه من وراء نعوتك؛ وصفاتك؛ إذ هي مبتدعاته ومخترعاته، فكيف يظهر بها؟! أو فيها؟! أو عنها؟! أو منها؟! وبه ظهرت؛ لا بها ظهر، وهو وراء الأشكال والمعاني والصور، وما بطن فيها، ولا ظهر، ولا أدرك بالفكر، ولا حصر في النظر، ونطاق النطق يضيق عن الإفصاح؛ بحقيقة الخبر، وإنما سومح في اللفظ؛ لضرورة تفهيم البشر، فكل صفة لا تعقلها إلا بالمقايضة إلى صفاتك، فإنما سيقّت لضرورة تفهيمك؛ بمعنى ثبت عندك، موجوداً متحققاً من حيث طاقتك؛ لا من حيث حقيقة ما نعت لك نعت من نعوتك، تقدس عما دلت عليه ظواهر النعوت، وهو المنزه عن دلالة النعت الظاهر؛ من حيث دلت بنفسها على مقايضة، وصف المحدث، ولا تنفك في دلالتها عن ذلك، فله من النعوت والتعريف لأثبات ما يستحق، والذي يستحقه وراء إحاطة العلم، وحصر الفهم، وإحصاء العقل: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (طه: من الآية 110)، (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) (2)

يا هذا إنما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك ومسالمة لدخولك تحت قهر الدعوة وبالمسالمة والتسليم دون المنازعة قنع منك بالطاعة والدعوة لنلا ترجع على عقبك وترتد بعد إسلامك ولهذا سميت مسلماً ولم يطلب منك حقيقة هذا إذ لا طاقة لك به والله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يحملها فوق طاقتها فما أفردت به

قال محمد نور عفا الله عنه: وفي عصرنا الحاضر ركوب السيارة والطائرة والباخرة والقطار وحوادثهم عبر لأولي الألباب، فالدعاء الدعاء، والامتنال في الإخلاص بالدعاء عند الركوب، (فإن الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)، وغير المسلمين عندما ينزلون من الطائرة سالمين يصفقون لسلامتهم، وأما المسلم فيحمد الله ويشكره.

(1) قال القرطبي في تفسيره: (اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل. قال ابن عباس في قولهم: "سبحان ربنا" أي نستغفر الله من ذنبنا.) انتهى.

(2) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - حديث: 780: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض فالتصمت فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: (اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

من شهادة التوحيد هو حظك من الإسلام الذي خرجت به عن جملة الجاحدين وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين فضلاً أن تصل به رتبة العارفين أو ترقى إلى ذروة المكاشفين قالت الأعراب أما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا الذي عندك من العلم بالإضافة إلى معرفة الأنبياء والصديقين كالذي عند الأنبياء من العلم بالإضافة إلى علم مبدية عليهم بل ربما كان علمك جزءاً من علمهم وعلمهم ليس جزءاً من علمه

ولا تظن أن أحداً حصل من التوحيد على حقيقة مدركة إنما ذلك توحيد ذلك الشخص أعني حظه من الكشف متناه لا يحصر ما لا يتناهى محدث لا يدرك قديماً إنما هي مواهب الكشف لو ثبتوا من ذلك على حقيقة لبلغوا إلى غاية الترقى من المطالب ولم يكن بعد الغاية ترق ولا بعد كمال المعرفة زيادة ولو صح ذلك لما قيل لأكملهم علماً وأعظمهم كشفاً وأرقاهم منزلاً وأعلاهم حالاً وقل رب زدني علماً

روي عنه أنه قال: (كل يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى خالقي فلا بارك الله في صحبة ذلك اليوم) (1).

إذا كان مثل ذلك المحتشم يطلب الزيادة وهو في درج الترقى لا في منزل الوصول الغائي ولو كان ثم غاية لكانت نهاية ولو تناهى لانهصر ولو انحصر لتجزأ ولو تجزأ لفني ولو حصره سواه لكان أعم منه والحدث لا يكون أعم من القدم وكل هذه التقديرات مسامحة لفظية وتقديرات كلامية وسوء عادات جدلية

5 - لهذا جاءت آيات التنزيه تعلم المؤمن طريق التنزيه، أثناء المحاجة

وخلال إقامة الحجة على الكافرين المجسمين من اليهود والنصارى ومن تبعهم:
(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ (2) بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ

(1) سند إسحاق بن راهويه - ما يروى عن عبد الله بن عامر ويحيى بن عبد الرحمن - حديث: 999: أخبرنا بقية بن الوليد، حدثني الحكم بن عبد الله (تركوه)، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم

(2) قال القرطبي في تفسيره: (خرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً).

"سبحان" منصوب على المصدر، ومعناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة، من قولهم: اتخذ الله ولداً؛ بل هو الله تعالى واحد في ذاته، أحد في صفاته، لم يلد فيحتاج إلى صاحبة: "أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء" [الأنعام: 101].

قَانِثُونَ (116) سورة البقرة.
 (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (1) عَمَّا يَصِفُونَ (100) سورة الأنعام.
 (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (2) (31) سورة التوبة.
 (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) (18) يونس.

ولم يولد فيكون مسبقاً؛ جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً). انتهى.
 وقال أبو السعود في تفسيره: (سبحانه: تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا، وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل، وانتصابه على المصدرية، ولا يكاد يذكر ناصبه: أي أسبح سبحانة أي أنزهه تنزيهاً لأنقا به، وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض.
 ومن جهة النقل إلى التفعيل.

ومن جهة العدول إلى المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن.
 ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى.

وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه أي تنزه بذاته تنزهاً حقيقياً به ففيه مبالغة من حيث إسناد البراءة إلى الذات المقدسة وإن كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا إثباتها له تعالى). انتهى.

(أ) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: تنزه الله وعلا فارفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجاهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن واختراقهم له بنين وبنات ! وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته؛ لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطروهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ صاحبة لقضاء اللذات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعو حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة.
 وقوله: (تعالى) تفاعل من العلو والارتفاع.

وروي عن قتادة في تأويل قوله: (عما يصفون) أنه يكذبون.
 حدثنا بشر - وأسند - عن قتادة: (سبحانه وتعالى عما يصفون) عما يكذبون.
 وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك، أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادعائهم له بنين وبنات، لا أنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب). انتهى.

(ب) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: ({سبحانه عما يشركون}) يقول: تنزيهاً وتطهيراً لله عما يشرك في طاعته وربوبيته، القائلون عزير ابن الله، والقائلون المسيح ابن الله، المتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله). انتهى.

(ج) قال ابن كثير في تفسيره: (ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئاً ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً ولهذا قال تعالى:
 "قل أأنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض".

(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⁽¹⁾ (68) يونس.
(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ⁽²⁾ (1) سورة النحل.

(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ⁽³⁾ (57) سورة النحل.
(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

وقال ابن جرير: معناه أخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال "سبحانه وتعالى عما يشركون". انتهى.

(¹) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى منكرا على من ادعى أن له "ولدا سبحانه هو الغني" أي تقدس عن ذلك هو الغني عن كل ما سواه وكل شيء فقير إليه:

"له ما في السموات وما في الأرض" أي فكيف يكون له ولد مما خلق؟ وكل شيء مملوك له، عبد له:

"إن عندكم من سلطان بهذا" أي ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان.

"أتقولون على الله ما لا تعلمون" إنكار ووعد أكيد وتهديد شديد كقوله تعالى:

"وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا". انتهى.

(²) قال القرطبي في تفسيره: (أي تنزيها له عما يصفونه به من أنه لا يقدر على قيام الساعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدر أحد على بعث الأموات، فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق، وذلك شرك. وقيل: "عما يشركون" أي عن إشراكهم. وقيل: "ما" بمعنى الذي أي ارتفع عن الذين أشركوا به.) انتهى.

(³) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: ومن جهل هؤلاء المشركين وخبت فعلهم وقبح فريتهم على ربهم، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر، واستحق عليهم الحمد.

(البنات): ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه، نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه. ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم.

وفي "ما" التي في قوله: (ولهم ما يشتهون) وجهان من العربية:

النصب: عطا لها على "البنات"، فيكون معنى الكلام إذا أريد ذلك: ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون، فتكون "ما" للبنين،

والرفع: على أن الكلام مبتدأ من قوله: (ولهم ما يشتهون) فيكون معنى الكلام: ويجعلون لله البنات ولهم البنون.) انتهى.

(¹) (35) سورة مريم.
 (لو كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (²)
 (22) سورة الأنبياء.
 (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (³) (26) سورة
 الأنبياء.
 (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

(¹) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: لقد كفرت الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه خلقه، وذلك نظير قول عمرو بن أحمر:

لا يبتغي دونها سهل ولا جبل

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة

وأن من قوله (أن يتخذ) في موضع رفع بكان.

وقوله: (سبحانه) يقول: تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله.

وقوله: (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) يقول جل ثناؤه:

إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء من غير فعل افتحل أمه، ولكنه قال له:

{كن فيكون} لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول، إذا قضى خلق شيء أو إنشاء:

كن فيكون موجودا حادثا، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة.) انتهى.

(²) قال ابن كثير في تفسيره: (فقال "لو كان فيهما آلهة" أي في السموات والأرض "لفسدتا" كقوله تعالى "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون".

وقال ههنا "فسبحان الله رب العرش عما يصفون" أي عما يقولون إن له ولدا أو شريك سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوا كبيرا.) انتهى.

(³) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربههم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبريا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك: ما ذلك من صفته (بل عباد مكرمون) يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون؛ يقول: أكرمهم الله. كما:

حدثنا - وأسنده - عن قتادة، قوله: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة. قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردا عليهم: (بل عباد مكرمون) وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته.

عن قتادة: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجن والملائكة من الجن!

قال الله تبارك وتعالى: (سبحانه بل عباد مكرمون). انتهى.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ⁽¹⁾ (91) سورة المؤمنون.
 (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ⁽²⁾ (8) سورة النمل.
 (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ⁽³⁾ (68) سورة القصص.
 (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ
 ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ⁽⁴⁾ (40) سورة الروم.

١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وقوله: (سبحان الله عما يصفون) يقول تعالى ذكره: تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القدم إلها يعبد، تبارك وتعالى!) انتهى.

٢) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى: "وسبحان الله رب العالمين" أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات لا يكتنفه الأرض والسموات بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات.) انتهى باختصار.

٣) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالى:

"وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" أي ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه.

وقوله: "ما كان لهم الخيرة" نفي على أصح القولين كقوله تعالى:

"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" وقد اختار ابن جرير أن "ما" ههنا بمعنى الذي تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح.

والصحيح أنها نافيه كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره، أيضاً فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك ولهذا قال:

"سبحان الله وتعالى عما يشركون" أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً.) انتهى.

٤) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله عز وجل "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ" أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملأ والمكاسب

كما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن حبة وسواء ابني خالد قالوا: دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئاً فأعناه فقال:

"لا تياأسا من الرزق ما تهزرت رؤسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل"

وقوله تعالى "ثم يميتكم" أي بعد هذه الحياة

"ثم يحييكم" أي يوم القيامة وقوله تعالى "هل من شركائكم" أي الذين تعبدونهم من دون الله

(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (1) (4) سورة الزمر.

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (2) (67) سورة الزمر.

"من يفعل من ذلكم من شيء" أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة.

ولهذا قال بعد هذا كله "سبحانه وتعالى عما يشركون" أي تعالى وتقدس وتنزه وتعظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد). انتهى.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وقوله: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول: لا اختار من خلقه ما يشاء.

وقوله: (سبحانه هو الله الواحد القهار) يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم (هو الله) يقول: هو الذي يعبد كل شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبد، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأني يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلق بقدرته، فكل شيء له منذل، ومن سطوته خاشع). انتهى.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تبارك وتعالى "وما قدرُوا الله حق قدره" أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال مجاهد: نزلت في قريش، وقال السدي: ما عظموه حق تعظيمه، وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "وما قدرُوا الله حق قدره" هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف.

قال البخاري قوله تعالى "وما قدرُوا الله حق قدره" حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة" الآية ورواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

قال الإمام أحمد - وأسنده - عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع؟

(أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽¹⁾) (43) سورة الطور.

قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل: "وما قدرُوا الله حق قدره" إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه؟ - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه؟ والجبال على ذه؟ وسائر الخلق على ذه؟ - كل ذلك يشير بأصابعه - قال: فأنزل الله عز وجل:

"وما قدرُوا الله حق قدره" الآية وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم قال البخاري - وأسنده - أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض" تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر.

وقال البخاري - وأسنده - عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على أصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك" تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال - وأسنده - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: "وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون".

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر:

"يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم".

فرجع برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به. وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه.

ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم قال: يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول: أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني لأقول أساقط هو برسول الله؟ صلى الله عليه وسلم.

وقال البزار - وأسنده - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر "وما قدرُوا الله حق قدره" - حتى بلغ - "سبحانه وتعالى عما يشركون" فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح... انتهى باختصار.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وقوله: (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه:

أَمْ لَهُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةُ غَيْرُ اللَّهِ، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العباداة من جميع خلقه.

(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) سورة القلم.

6 - سبحانك دعاء المؤمنين في الجنة:

(دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⁽¹⁾ (10) سورة يونس.

7 - وقد ورد الأمر الإلهي بتسبيحه صباح مساء، وما بينهما؛ وفي الركوع والسجود؛ وفي كل آن، ليصبح العبد معتقد التنزيه لله تعالى ويمسي كذلك، فقال سبحانه:

(قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) سورة آل عمران. (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) سورة الحجر. (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) سورة مريم.

{سبحان الله عما يشركون} يقول: تنزيها لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره. انتهى.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (أي هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج: أخبر أن قوله "دعواهم فيها سبحانك اللهم" قال إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا: سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه، فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله: "وتحييتهم فيها سلام". قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين". وقال مقاتل بن حيان: إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم "سبحانك اللهم". قال: فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحيفة من ذهب، فيها طعام ليس في الأخرى، قال: فيأكل منهم كلهن.

وقال سفيان الثوري: إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال "سبحانك اللهم". وهذه الآية فيها شبه من قوله: "تحييتهم يوم يلقونه سلام" الآية. وقوله "لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قила سلاما سلاما" وقوله "سلام قولاً من رب رحيم" وقوله "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم" الآية وقوله "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبدا المعبود على طول المدى، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه، واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالى: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب"

"الحمد لله الذي خلق السموات والأرض" إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها. وأنه المحمود في الأولى والآخرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة في جميع الأحوال. ولهذا جاء في الحديث "إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس" وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وترداد فليس لها انقضاء ولا أمد فلا إله إلا هو ولا رب سواه. انتهى.

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) سورة طه.
(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا
(58) سورة الفرقان.

(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) سورة الفرقان.
(وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) سورة الأحزاب.
(لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9) سورة
الفتح.

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ
(39) سورة ق.
(وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40) سورة ق.
(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) سورة
الطور.

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49) سورة والطور.
(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74) سورة الواقعة.
(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) سورة الأعلى.
(وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) سورة المزمل.
(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) سورة النصر.

8 - وقد أخبرنا الله تعالى أن كل ما في السموات والأرض تسبحه وتنزهه:

(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) سورة الرعد.
(سَبِّحْ (2) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) سورة

(أ) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك، ونزهه.) انتهى باختصار.

(ب) قال الثعالبي في تفسيره: (قال أكثر المفسرين التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله وهذا عندهم إخبار بصيغة الماضي مضمناه الدوام والاستمرار ثم اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة أو مجاز على معنى أن أثر الصنعة فيها تنبه الراعي على التسبيح قال الزجاج وغيره والقول بالحقيقة أحسن وهذا كله في الجمادات وأما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد أن تسبيحهم حقيقة) انتهى.

الحديد.

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) سورة الحشر، وسورة الصف.

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44) سورة الإسراء.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ (1) لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) سورة النور.

(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) سورة الحشر.

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) سورة الجمعة.

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) سورة التغابن.

ثانياً - من كلمات التنزيه (تعالى):

(فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (2) (190) سورة الأعراف.

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) (3) سورة النحل.

(أ) قال أبو بكر الجصاص: (وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فَإِنَّ التَّسْبِيحَ هُوَ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، فَجَمِيعُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْزَهُ لَهُ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَالْعُقْلَاءُ الْمُطِيعُونَ يَنْزَهُونَهُ مِنْ جِهَةِ الْإِعْتِقَادِ، وَالْوَصَفُ لَهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ) انتهى (أحكام القرآن) 189/5.

(ب) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وأما قوله: (فتعالى الله عما يشركون) فتتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان. كما حدثنا القاسم - وأسند - عن ابن جريج: (فتعالى الله عما يشركون) قال: هو الإنكاف، أنكف نفسه جل وعز، يقول: عظم نفسه، وأنكفته الملائكة وما سبج له.

وحدثنا الحسن بن يحيى - وأسند - عن السدي، قال: هذا من الموصول والمفصول قوله: (جعل لا شركاء فيما آتاهما) في شأن آدم وحواء، ثم قال الله تبارك وتعالى:

{فتعالى الله عما يشركون} قال: عما يشرك المشركون، ولم يعنهما. انتهى.

(ج) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: ({تعالى عما يشركون} يقول جل ثناؤه:

علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إليها دونه، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير، لأنه لا يكون إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السماوات والأرض ويبتدع الأجسام فيحدثها من غير شيء، وليس ذلك في قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا تصلح الألوهة لشيء سواه.) انتهى.

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا⁽¹⁾) (114) سورة طه.
(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽²⁾) (92) سورة المؤمنون.
(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ⁽³⁾) (116) سورة المؤمنون.

(أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽⁴⁾) (63) سورة النمل.
(وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا⁽⁵⁾) (3) سورة الجن.
وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة في الدعاء ب (سبحان) تعليمًا للأمة على تنزيه الله تعالى⁽⁶⁾.

(1) قال ابن جرير في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحق عما يصفه به المشركون من خلقه.) انتهى.
(2) قال ابن جرير: (وقوله: (فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون.) انتهى.
(3) قال القرطبي في تفسيره: (أي تنزهه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد، وعن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً؛ لأنه الحكيم.) انتهى.
(4) قال ابن جرير في تفسيره: (يقول: لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون.) انتهى.
(5) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله تعالى "وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا".)
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى "جَدُّ رَبِّنَا": أي فعله وأمره وقدرته.
وقال الضحاك عن ابن عباس: جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه.
وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا.
وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره.
وقال السدي: تعالى أمر ربنا.
وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره.
وقال سعيد بن جبیر: "تعالى جد ربنا": أي تعالى ربنا.
فأما ما رواه ابن أبي حاتم - وأسنده - عن ابن عباس قال: الجد أب، ولو علمت الجن أن في الإنس جداً، ما قالوا تعالى جد ربنا، فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم.
وقوله تعالى "ما اتخذ صاحبة ولا ولداً" أي تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا، وآمنوا بالقرآن، عن اتخاذ صاحبة والولد.) انتهى.
(6) منها - وهي كثيرة جداً تتجاوز الألف حديث في الكتب التسعة فقط - :
1 - أخرج مسلم - باب من لا يجهر بالبسملة - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)

وأخرج النسائي - كتاب افتتاح الصلاة - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ) ورواه: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

قال السيوطي في شرحه على النسائي: (سبحانك اللهم وبحمدك) قال الخطابي أخبرني ابن خلد قال: سألت الزجاج عن دخول الواو في وبحمدك فقال معناه وبحمدك سبحانك (وتعالى جدك) أي علا جلالك وعظمتك) انتهى.

وروى الترمذي - باب افتتاح الصلاة - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الصُّبُعِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرَّفَاعِيِّ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ثُمَّ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَابْنِ عُمَرَ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَشْهُرُ حَدِيثٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَقَدْ أَخَذَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَالُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ وَهَكَذَا رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي إِسْنَادِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يَتَكَلَّمُ فِي عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ الرَّفَاعِيِّ وَقَالَ أَحْمَدُ لَا يَصِحُّ هَذَا الْحَدِيثُ

قال المباركفوري في تحفته على الترمذي: (.. قوله: (ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك):

قال ابن الملك: سبحان اسم أقيم مقام المصدر وهو التسبيح منصوب بفعل مضمر تقديره أسبحك تسبيحا أي أنزهك تنزيها من كل السوء والنقصان وقيل تقديره أسبحك تسبيحا ملتبسا ومقترنا بحمدك فالباء للملابسة والواو زائدة، وقيل الواو بمعنى مع أي أسبحك مع التلبس بحمدك وحاصله نفي الصفات السلبية وإثبات النعوت الثبوتية.

(وتبارك اسمك) أي كثرت بركة اسمك إذ وجد كل خير من ذكر اسمك وقيل تعاضم ذاتك، أو هو على حقيقته، لأن التعاضم إذا ثبت لأسمائه تعالى فأولى لذاته. ونظيره قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى. (وتعالى جدك) قال ميرك: تعالى تفاعل من العلو أي علا ورفع عظمتك على عظمة غيرك غاية العلو والرفع.

وقال ابن حجر: أي تعالى غناؤك عن أن ينقصه إنفاق أو يحتاج إلى معين ونصير.

(ثم يقول الله أكبر) بالسكون ويضم قاله القاري (كبيراً) المؤكدة، وقيل منصوب على القطع من اسم الله، وقيل بإضممار أكبر وقيل صفة لمحذوف أي تكبيرا كبيرا (من همزه) بدل اشتمال أي وسوسته (ونفخه) أي كبره المؤدي إلى كفره (ونفثه) أي سحره.

قال الطيبي: النفخ كناية عن الكبر كأن الشيطان ينفخ فيه بالوسوسة فيعظمه في عينه ويحقر الناس عنده. والنفث عبارة عن الشعر لأنه ينفثه الإنسان من فيه كالرقية انتهى.

وقيل: من نفخه أي تكبره يعني مما يأمر الناس به من التكبر، ونفثه مما يأمر الناس بإنشاد الشعر المذموم مما فيه هجو مسلم أو كفر أو فسق، وهمزه أي من جعله أحداً مجنوناً بنخسه وغمره كذا في المرقاة.

قال السيوطي في قوت المغتذي: من همزه فسر في الحديث بالموتة وهي شبه الجنون ونفخه فسر بالكبر ونفثه فسر بالشعر.

قال ابن سيد الناس: وتفسير الثلاثة بذلك من باب المجاز انتهى.. انتهى باختصار.

2 - أخرج البخاري - باب الدعاء في الركوع - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) ورواه مسلم: أبو داود: أحمد في مسنده.

3 - أخرج البخاري - باب الذكر بعد الصلاة - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: (أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يَدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تَسْبِيحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ تَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ) ورواه مسلم: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط: مسلمي.

4 - أخرج البخاري - باب من تعار من الليل فصلى - عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ تَعَارَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ) ورواه: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

5 - وأخرج البخاري - باب وقالوا اتخذ الله ولداً - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا) وانفرد به البخاري.

6 - وأخرج البخاري - باب فضل التسبيح - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) ورواه: مسلم: الترمذي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط.

7 - وأخرج البخاري - باب فضل التسبيح - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) ورواه: مسلم: الترمذي: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

8 - وأخرج مسلم - باب فضل الوضوء - عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعَ نَفْسَهُ فَمَعَتِفُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا) ورواه: الترمذي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

9 - وأخرج مسلم - باب ما يقول في الركوع والسجود - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أُحَدِّثُهَا تَقُولُهَا؟! قَالَ: (جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أَمْتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ) ورواه: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده. هكذا ودع النبي (حياته بتنزيهه الله تعالى وحمده واستغفاره: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، امْتِثَالاً لأمر الله تعالى:

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) (3) سورة النصر. اللهم اجعلنا كذلك يا أرحم الراحمين.

لهذا عند ورود اسم الجلالة (الله) نتبعه بكلمات التنزيه نحو: الله سبحانه وتعالى، أو الله جل جلاله.

ثالثاً - من كلمات التنزيه (تبارك):

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف. تَبَارَكَ (2) الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) سورة الفرقان.

(تَبَارَكَ (3) الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (10) سورة الفرقان. تَبَارَكَ (4) الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا

(1) قال القرطبي في تفسيره: ("تبارك" تفاعل، من البركة وهي الكثرة والاتساع. يقال: بورك الشيء وبورك فيه؛ قاله ابن عرفة.

وقال الأزهرى: "تبارك" تعالى وتعظيم وارتفع. وقيل: إن باسمه يتبرك ويتيمين).

(2) قال القرطبي في تفسيره: ("تبارك" اختلف في معناه؛ فقال الفراء: هو في العربية و"تقدس" واحد، وهما للعظمة.

وقال الزجاج: "تبارك" تفاعل من البركة. قال: ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير.

وقيل: "تبارك" تعالى.

وقيل: تعالى عطاؤه، أي زاد وكثر.

وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه.

قال النحاس: وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق؛ من برك الشيء إذا ثبت؛ ومنه برك الجمل والطير على الماء، أي دام وثبت.

فأما القول الأول فمخلط؛ لأن التقديس إنما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء.

قال الثعلبي: ويقال تبارك الله، ولا يقال متبارك ولا مبارك؛ لأنه ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التوقيف. وقال الطرماح:

تباركت لا معط لشيء منعتة وليس لما أعطيت يا رب مانع

وقال آخر: تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر.

قلت: قد ذكر بعض العلماء في أسمائه الحسنى "المبارك" وذكرناه أيضا في كتابنا. فإن كان وقع اتفاق على أنه لا يقال فيسلم للإجماع. وإن كان وقع فيه اختلاف فكثير من الأسماء اختلف في عده؛ كالدهر وغيره. وقد نبهنا على ذلك هنالك، والحمد لله انتهى.

(3) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وقوله: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار) يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) انتهى.

(4) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مجدداً نفسه ومعظماً على جميل ما خلق في السموات من البروج) انتهى.

(61) سورة الفرقان.

(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78) سورة الرحمن (1).

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) سورة الملِك.

نستدل مما سبق من ورود كلمات (سبحان - سبحانه - سبحانه - تعالى - تبارك) على أن المنهج القرآني هو: التنزيه والإثبات معاً حيثما ورد النص بذلك، والذي خلاصته قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) سورة الشورى. وبالله التوفيق، والله أعلم.

3 - فَإِنَّ رَبَّنَا جَل وَعَلَا:

- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ؛

- مَنْعُوتٌ بِمَنْعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ؛

القاعدة الثالثة: إن الله تعالى واحد أحد؛ تفرد بصفات الأحدية والفردانية، فهو أحد فرد صمد لقوله تعالى:

(يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ءَارْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) سورة

يوسف.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) سورة الرعد.

(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)

سورة إبراهيم.

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65) سورة ص.

(١) قال أبو السعود في تفسيره: قوله تعالى: (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى، فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من أنه الفائضة على الأنام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن إفاضته الآلاء المفصلة، وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمانه وتكذيبها، وإذا كان حال اسمه بملامسة دلالاته عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى.

وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال: إلى الحول ثم اسم السلام عليكم. (ذو الجلال والإكرام) وصف به الرب تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقدير، وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم انتهى.

(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) سورة الزمر.
 (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) سورة غافر.
 (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) سورة الإخلاص.

4 - وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنْ:
 الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- فَهُوَ كَمَا قَالَ؛
 - وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛
 - وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ:
 - مُتَأَوِّلِينَ بَارِئِينَ؛
 - وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛
 - فَإِنَّهُ مَا سَلَّمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ:
 - سَلَّمَ لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ؛
 - وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 - وَرَدَّ عِلْمَ مَا اسْتَبْتَبَهُ عَلَيْهِ إِلَى عَالَمِهِ؛

- وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ:
 - التَّسْلِيمِ؛
 - وَالِاسْتِسْلَامِ؛

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (قال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عزير ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان، أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم:
 "قل هو الله أحد" يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.) انتهى.

القاعدة الرابعة لفهم آيات الصفات: وعدم اتباع الهوى في الفهم، والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ:

- دليل عدم اتباع الهوى في الفهم:

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) سورة البقرة.

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) سورة البقرة.

(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ لِقَا إِيَّتِهِ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) سورة البقرة.

(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) [سورة آل عمران].

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لَكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلَفُونَ (48) سورة المائدة.

(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) سورة المائدة.

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) سورة المائدة.

(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) سورة الأنعام.

(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سورة الأعراف.

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ يُتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) سورة الرعد.

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) سورة الكهف.

(فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) [سورة طه].
(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) سورة المؤمنون.

(أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) سورة الفرقان.
(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) [سورة القصص].

(بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29) سورة الروم.

(فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15) سورة الشورى.

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) سورة الجاثية.

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) سورة الجاثية.

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14) سورة محمد.

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (21) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) سورة النجم.
(وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (3) سورة القمر.
(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41) سورة النازعات.

- دليل التسليم والاستسلام لله تعالى فيما أخبر وأمر:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (7) (1) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكم مُحْكَمُهُ على متشابهه عنده؛ فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى:

"هن أم الكتاب" أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه.

"وأخر متشابهات" أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب؛ لا من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروي عن السلف عبارات كثيرة:

- فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات ناسخة، وحلاله وحرامه وأحكامه ما يؤمر به ويعمل به.

- وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: المحكمات:

- قوله تعالى "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً" والآيات بعدها.

- وقوله تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" إلى ثلاث آيات بعدها،

ورواه ابن أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبيرة - وأسنده - أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية "هن أم الكتاب وأخر متشابهات":

- فقال أبو فاختة: فواتح السور.

- وقال يحيى بن يعمر: الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام.

- وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبيرة: "هن أم الكتاب" لأنهن مكتوبات في جميع الكتب.

- وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن.

- وقيل في المتشابهات: المنسوخة، والمقدم والمؤخر، والأمثال فيه، والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

- وقيل: هي الحروف المقطعة في أوائل السور، قاله مقاتل بن حيان.

- وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضاً، وهذا إنما هو في تفسير قوله " كتابا متشابها مثنائي" هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد، والمثنائي هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار، وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك.

وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم.

- وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله حيث قال:

- "منه آيات محكمات" فهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم الباطل، ليس لهن تصريح، ولا تحريف عما وضعن عليه.

- قال: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريح وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرفن عن الحق. ولهذا قال الله تعالى "فأما الذين في قلوبهم زيغ" أي ضلال، وخروج عن الحق إلى الباطل.

"فيتبعون ما تشابه منه" أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى:

"ابتغاء الفتنة" أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا له، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وتركوا الاحتجاج بقوله:

- "إن هو إلا عبد أنعمنا عليه"

- وبقوله "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" وغير ذلك من الآيات المحكمة، المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله.

وقوله تعالى "وابتغاء تأويله" أي تحريفه على ما يريدون:

- وقال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن:

- وقد قال الإمام أحمد - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابها" إلى قوله "أولوا الألباب" فقال:

"إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم" .. وهكذا رواه ابن ماجه .. وكذا رواه عبد الرزاق .. وقد رواه ابن حبان في صحيحه .. ورواه سعيد بن منصور في سننه .. ورواه ابن جرير .. وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه .. عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية:

"هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات" إلى قوله "وما يذكر إلا أولوا الألباب".

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم" لفظ البخاري وكذا رواه الترمذي .. وقال حسن صحيح .. وقد رواه ابن أبي حاتم ..

قال ابن جرير: - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية "فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم" ورواه ابن مردويه .. وقال الإمام أحمد - وأسنده - أن أبا أمية يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:

"فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه" قال "هم الخوارج".

وفي قوله تعالى "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه" قال: "هم الخوارج". وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة فذكره.

وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح.

فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج: وكان مبدؤهم بسبب الدنيا، حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين، فكانهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجأوه بهذه المقالة فقال قائلهم: وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته: عدل فإنك لم تعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني"**.

فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب، وفي رواية خالد بن الوليد في قتله فقال **"دعه فإنه يخرج من ضنضي هذا أي من جنسه، قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم"**.

ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتلهم بالنهرين، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل، وآراء وأهواء، ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله: **"وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"**. قالوا: وما هم يا رسول الله؟ قال **"من كان على ما أنا عليه وأصحابي"** أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة.

وقال الحافظ أبو يعلى - وأسنده - عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر: **"إن في أمتي قوما يقرؤون القرآن، ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويله"** لم يخرجوه.

وقوله تعالى **"وما يعلم تأويله إلا الله"** اختلف القراء في الوقف وهنا:

- **ف قيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء:** فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله، ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم. وقال ابن مردويه - وأسنده - عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فأمّنوا به".

وقال عبدالرزاق - وأسنده - كان ابن عباس يقرأ: (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون أمنا به). وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله.

وحكى ابن جرير أن قراءة عبد الله بن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به وكذا عن أبي بن كعب واختار ابن جرير هذا القول.

- **ومنهم من يقف على قوله والراسخون في العلم:** وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد،

- وقد روى ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله.

- وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون أمنا به وكذا قال الربيع بن أنس.

- وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير: وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به، ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فانسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً، فنفتت الحجة؛ وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودفع به الكفر.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

- ومن العلماء من فصل وهذا المقام قال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان:
- أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى: "وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل".

وقوله "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله" أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله "والراسخون في العلم" مبتدأ و"يقولون آمنا به" خبره.

- وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله "نبينا بتأويله" أي بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على "والراسخون في العلم" لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله: "يقولون آمنا به" حال منهم وساغ هذا وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - إلى قوله - "يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا" الآية.

وقوله تعالى "وجاء ربك والملك صفا صفا" أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا.
وقوله إخبارا عنهم إنهم يقولون آمنا به أي المتشابه، كل من عند ربنا أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله:

"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".
ولهذا قال تعالى "وما يذكر إلا أولوا الألباب" أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة.

وقد قال ابن أبي حاتم - وأسند - عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال: "من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم".
وقال الإمام أحمد حدثنا معمر بن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارئون فقال:

"إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به. وما جهلتم فكلوه إلى عالمه".

وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به، وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده - وأسند - عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، والمرء في القرآن كفر - قالها ثلاثا - ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله" وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة.

وقال ابن المنذر في تفسيره - وأسند - أن نافع بن يزيد قال: يقال الراسخون في العلم المتواضعون للامتثالون لله في مرضاته، لا يتعاضمون على من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم.
ثم قال تعالى عنهم مخبرا أنهم دعوا ربهم قائلين "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا". انتهى باختصار.

مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) (1) سورة آل عمران.
(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (65) سورة النساء.
(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (125) سورة النساء.

وإذا كانت الملائكة قد سلمت علمها لله أفلا يجدر بالإنسان المؤمن أن يسلم لله؟!:

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (32) سورة البقرة.

وإذا كانت الروح لا نعلم عن حقيقتها شيئاً، وإذا كان علم الإنسان محدوداً، أفلا يجدر بالإنسان أن يسلم لله تعالى؟!:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (85) سورة الإسراء.

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (255) سورة البقرة.

وعندما فوض العبد المؤمن أمره إلى الله تعالى نصره الله تعالى:

(فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ (2) إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب))، يعني بذلك جل ثناؤه: أن الراسخين في العلم يقولون: أمانا بما تشابه من أي كتاب الله، وأنه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا ووحيه، ويقولون أيضاً: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) يعني أنهم يقولون رغبة منهم إلى ربهم، في أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه أي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك، (لا تزغ قلوبنا) لا تملها فتصرفها عن هدايتك (بعد إذ هديتنا) له، فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه، (وهب لنا) يا ربنا (من لدنك رحمة) يعني من عندك رحمة، يعني بذلك: هب لنا من عندك توفيقاً وثباتاً للذي نحن عليه، من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه، (إنك أنت الوهاب) يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد، للثبات على دينك، وتصديق كتابك ورسلك... انتهى باختصار.

(2) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (وأفوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يقول: وأسلم أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: عن السدي: (وأفوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) قال: أجعل أَمْرِي إِلَى اللَّهِ. انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (أي أتوكل عليه، وأسلم أَمْرِي إِلَيْهِ. وقيل: هذا يدل على أنهم أرادوا قتله. وقال مقاتل: هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدروا عليه، وقد قيل: القائل موسى. والأظهر أنه مؤمن آل فرعون؛ وهو قول ابن عباس.) انتهى.

(44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) سورة غافر.

- النهي عن الجدل في الله تعالى بغير علم:

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) سورة الأنعام.
(قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) سورة الأعراف.

(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) سورة الرعد.
(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56) سورة الكهف.
(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) سورة الحج.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) سورة الحج.

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20) سورة لقمان.

(مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) سورة غافر.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) سورة غافر.

(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35) سورة غافر.

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) سورة غافر.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ (69) سورة غافر.

(وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (35) سورة الشورى.

(وَقَالُوا أَلَّهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58)

سورة الزخرف.
(وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) سورة التوبة.

- **النهي عن تلبيس الحق بالباطل بالرأي الفاسد:**
(وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) سورة البقرة.
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) سورة آل عمران.

5 - (وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ أ - غ) فَقَدْ كَفَرَ؛
- فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا: اَعْتَبَرَ؛
- وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ؛
- وَعَلِمَ أَنَّهُ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - ب) بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ؛

القاعدة الخامسة لفهم آيات الصفات: عدم وصف الله تعالى بأي معنى من معاني الحدوث والحدود والتجسيم لأنها أخص خصائص البشر والمخلوقات، فلا يوصف الله تعالى بها.

قال الإمام أبو زيد الثعالبي في (حقائق التوحيد):
"حَقِيقَةُ اسْمِ الْجَلَالَةِ: اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ .
وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: اسْمٌ لِمَوْجُودٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ، مَوْصُوفٍ بِالصِّفَاتِ، مُنْزَعٌ عَنِ الْآفَاتِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ .
فَقَوْلُنَا: "اسْمٌ لِمَوْجُودٍ": رَدُّ عَلَى الدَّهْرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْأَرْحَامَ تَدْفَعُ وَالْأَرْضُ تَبْلَعُ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .
وَقَوْلُنَا: "وَاجِبِ الْوُجُودِ": رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى! - جِسْمٌ؛
لأنَّه إِذَا كَانَ جِسْمًا يَكُونُ جَائِزَ الْوُجُودِ .
وَقَوْلُنَا: "مَوْصُوفٍ بِالصِّفَاتِ": رَدُّ عَلَى الْمُعْطَلَّةِ النَّافِينَ لِصِفَاتِ الْمَعَانِي .
وَقَوْلُنَا: "لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ": رَدُّ عَلَى الْقَدْرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ الْإِخْتِيَارِيَّةَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. " اهـ.

الدليل القرآني:
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) [سورة البقرة].

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) (1) سورة النساء.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه.

بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى:

"اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" الآية.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عينة عن الزهري كذلك ولفظه:

"إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" وقال علي بن المديني هذا حديث صحيح مسند وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عينة عن الزهري به ولفظه:

"فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله".

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل" تفرد به من هذا الوجه.

وقوله تعالى "ولا تقولوا على الله إلا الحق" أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدة وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب

سواه ولهذا قال:

"إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه".

أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان رسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذنه عز وجل، وكانت تلك النقطة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها؛ بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله عز وجل.

ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل.

قال الله تعالى "ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام"

وقال تعالى "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون".
وقال تعالى "والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين"
وقال تعالى "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها" إلى آخر السورة.
وقال تعالى إخبارا عن المسيح: "إن هو إلا عبد أنعمنا عليه" الآية.
وقال عبد الرزاق عن معمر بن قنادة: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" هو كقوله "كن فيكون".
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذان بن يحيى يقول في قول الله:
"وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه".
قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى.
وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله:
"ألقاها إلى مريم" أي أعلمها بها كما زعمه في قوله:
"إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه".
أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى:
"وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك".
بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام.
وقال البخاري - وأسند - عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من
العمل".
وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هاني عن جنادة زاد:
"من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن
جابر به ومن وج آخر عن الأوزاعي به.
فقوله في الآية والحديث "وروح منه" كقوله:
"وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه".
أي من خلقه ومن عنده وليست "من" للتبويض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة بل هي
لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى.
وقد قال مجاهد في قوله "وروح منه" أي ورسول منه.
وقال غيره: ومحبة منه.
والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما
أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: "هذه ناقة الله" وفي قوله: "وطهر بيتي للطائفين".
وكما روي في الحديث الصحيح "فأدخل على ربي في داره" أضافها إليه إضافة تشريف وهذا كله من
قبيل واحد ونمط واحد.
وقوله "فأمنوا بالله ورسوله" أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة واعلموا وتيقنوا بأن
عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى:
"ولا تقولوا ثلاثة" أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.
وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى:
"القد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد".
وكما قال في آخر السورة المذكورة "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني الآية".

وقد كَفَرَ اليهود والنصارى والمشركون لأنهم وصفوا الله تعالى بإحدى معاني البشر على الحقيقة الجسمية الحدودية الحادثة:
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) (1)

وقال في أولها "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" الآية.
والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر: فمنهم من يعتقد إلهاً، ومنهم من يعتقد شريكاً، ومنهم من يعتقد ولداً.
وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة.
ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولاً.
ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الأسكندرية في حدود سنة أربع مائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفاً فكانوا أحزاباً كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص.
فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرًا وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً داهية ومحق ما عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقتونها الولدان من الصغار ليعتقوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية.
ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانياً فحدث فيهم اليعوقوبية.
ثم مجمعا ثالثاً فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدوا أو ما اتحدوا أو امتزجوا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة.
ولهذا قال تعالى "انتهاوا خيراً لكم" أي يكن خيراً لكم "إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد".
أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً.
"له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً" أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد.
كما قال في الآية الأخرى "بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد" الآية.
وقال تعالى "وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إذا - إلى قوله - فرداً" (انتهى).
(1) قال القرطبي في تفسيره: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) قرأ عاصم والكسائي "عزير ابن الله" بتنوين عزير.
والمعنى أن "ابن" على هذا خبر ابتداء عن عزير، و"عزير" ينصرف عجمياً كان أو عربياً. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر "عزير ابن" بترك التنوين لاجتماع الساكنين، ومنه قراءة من قرأ "قل هو الله أحد الله الصمد" [الإخلاص: 1 - 2].
قال أبو علي: وهو كثير في الشعر. وأنشد الطبري في ذلك:
لتجدني بالأمر برا
وبالقناة مدعسا مكرأ
إذا غطيف السلمي فرا

"وقالت اليهود" هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص، لأن ليس كل اليهود قالوا ذلك. وهذا مثل قوله تعالى: "الذين قال لهم الناس" [آل عمران: 173] ولم يقل ذلك كل الناس. وقيل: إن قائل ما حكى عن اليهود سلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال النقاش: لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم. وأقوال النبهاء أبدا مشهورة في الناس يحتج بها. فمن هاهنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها. والله أعلم.

وقد روي أن سبب ذلك القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزيز يسيح في الأرض، فأتاه جبريل فقال: (أين تذهب؟) قال: أطلب العلم، فعلمه التوراة كلها.

فجاء عزيز بالتوراة إلى بني إسرائيل فعلمهم.

وقيل: بل حفظها الله عزيزا كرامة منه له، فقال لبني إسرائيل: إن الله قد حفظني التوراة، فجعلوا يدرسونها من عنده. وكانت التوراة مدفونة، كان دفنها علماؤهم حين أصابهم من الفتن والجلاء والمرض ما أصاب وقتل بختنصر إياهم.

ثم إن التوراة المدفونة وجدت فإذا هي متساوية لما كان عزيز يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا: إن هذا لم يتهيا لعزير إلا وهو ابن الله حكاه الطبري.

وظاهر قول النصارى أن المسيح ابن الله، إنما أرادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة. وكذلك يقتضي قول الضحاك والطبري وغيرهما. وهذا أشنع الكفر.

قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وإنه ابن إله.

قال ابن عطية: ويقال إن بعضهم يعتقدونها بنوة حنو ورحمة. وهذا المعنى أيضا لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهو كفر.

قال ابن العربي: في هذا دليل من قول ربنا تبارك وتعالى على أن من أخبر عن كفر غيره الذي لا يجوز لأحد أن يبتدئ به لا حرج عليه، لأنه إنما ينطق به على معنى الاستعظام له والرد عليه ولو شاء ربنا ما تكلم به أحد، فإذا مكن من إطلاق الألسن به فقد أذن بالإخبار عنه على معنى إنكاره بالقلب واللسان والرد عليه بالحجة والبرهان.

(ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) قيل: معناه التأكيد، كما قال تعالى: "يكتبون الكتاب بأيديهم" [البقرة: 79] وقوله: "ولا طائر يطير بجناحيه" [الأنعام: 38]

وقوله: "فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة" [الحاقة: 13] ومثله كثير.

وقيل: المعنى أنه لما كان قول ساذج ليس فيه بيان ولا برهان، وإنما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح لأنهم معترفون بأن الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولدا، فهو كذب وقول لسانی فقط بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الأدلة ويقوم عليها البرهان.

قال أهل المعاني: إن الله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً، كقوله: "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم" [آل عمران: 167].

و "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا" [الكهف: 5].

و "يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم" [الفتح: 11].

(يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) "يضاهون" يشابهون، ومنه قول العرب: امرأة ضهيأ للتي لا تحيض أو التي لا تدي لها، كأنها أشبهت الرجال.

[سورة التوبة]

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) سورة المائدة.

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) سورة المائدة.

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) سورة المائدة.

ومن وصف الله تعالى بإحدى المعاني البشرية المخلوقة الحادثة الجسمية المحدودة، فإنما يعبد وثناً ولا يعبد الله تعالى:

(قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71)

وللعلماء في "قول الذين كفروا" ثلاثة أقوال:

[الأول] قول عبدة الأوثان: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

[الثاني] قول الكفرة: الملائكة بنات الله.

[الثالث] قول أسلافهم، فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر، كما أخبر عنهم بقوله تعالى: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ" [الزخرف: 23].

(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) أي لعنهم الله، يعني اليهود والنصارى، لأن الملعون كالمقتول. قال ابن جريج: "قاتلهم الله" هو بمعنى التعجب.

وقال ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن، ومنه قول أبان بن تغلب:

قاتلها الله تلحاني وقد علمت أني لنفسي إفسادي وإصلاحي

وحكى النقاش أن أصل "قاتل الله" الدعاء، ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر، وهم لا يريدون الدعاء. وأنشد الأصمعي:

يا قاتل الله ليلي كيف تعجبني وأخبر الناس أنني لا أباليتها) انتهى باختصار.

وقال ابن كثير في تفسيره: (وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقاتلتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى فأما اليهود فقالوا في العزيز أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً...)

وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر. ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال:

"ذلك قولهم بأفواههم" أي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلافهم.

"يضاهنون" أي يشابهون "قول الذين كفروا من قبل" أي من قبلهم من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء

"قاتلهم الله" وقال ابن عباس: لعنهم الله.

"أنى يؤفكون" أي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل؟) انتهى باختصار.

(1) سورة الأعراف

(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) (2) سورة يوسف.

(إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) (3) سورة

(أ) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وأما قوله: {أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم} فإنه يقول: أتخاصمونني في أسماء سميتوها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم: {ما نزل الله بها من سلطان} يقول: ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها.

لأن العبادة إنما هي لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع، فلما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فإنه لا نفع فيه ولا ضرر، إلا أن تتخذ منه آلة، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه؛ لأن الله يأذن بذلك، فيعذر من عبده بأنه يعبد اتباعا منه أمر الله في عبادته إياه، ولا هو إذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضرره في عاجل أو آجل، فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضرره. انتهى.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هي جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس له ذلك مسند من عند الله ولهذا قال:

" ما أنزل الله بها من سلطان " أي حجة ولا برهان ثم أخرجهم أن الحكم والتصرف والمشية والملك كله لله وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه.

ثم قال تعالى: " ذلك الدين القيم " أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " أي فلماذا كان أكثرهم مشركين " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ".

وقد قال ابن جريج: إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلها بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة.

وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أو بتعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسببا إلى دمائهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال. انتهى.

(ج) قال ابن كثير في تفسيره: ("إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم" أي من تلقاء أنفسكم "ما أنزل الله بها من سلطان" أي من حجة "إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس" أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بأبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين:

"ولقد جاءهم من ربهم الهدى" أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به ولا انقادوا له. انتهى.

النجم.

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد: (أنكر على من يقول بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة بالشرعية واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك، وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجز في الشريعة ذلك فبطل) (1).

وقال القرطبي في تفسيره للآية (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية 11): في الكلام على هذه الآية: قال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات. وزاد الواسطي رحمه الله تعالى فقال: ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثثة صفة قديمة، وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم (2).

وقال الرازي في تفسيره لقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية 11): احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء، وحاصلاً في المكان والجهة، وقالوا: لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (3).

وقال الحافظ بدر الدين الزركشي في (تشنيف المسامع) ما نصه:

ص: ليس بجسم

ش: لقوله تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) فدل على أن الجسم قد يزيد على جسم آخر وذلك لاجل التأليف والاجتماع وكثرة الأجزاء وذلك مستحيلة في حق الباري فكذلك لازمه ولا عبرة بخلاف المبتدعة من الكرامية ويلزم المجسمة القول بقدم العالم لأن الجهة والتحيز والمكان من حملة العالم قال الأئمة لا تستطيع المجسمة أبدا اثبات حدوث العالم لأن الأجسام متماثلة فلا يتصور أن يكون فيها قديم ومحدث ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قال: من قال جسم لا كالأجسام كفر ونقل عن الأشعرية أنه يفسق وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح . انتهى

(1) عقيدة الإمام أحمد المطبوعة في آخر المجلد الثاني من طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ص 298.

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن 10/16.

(3) تفسير مفاتيح الغيب 392/7.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى: من الآية 11): (وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات، **ونفي مماثلة المخلوقات**، وفيها رد على المشبهة في قوله: (ليس كمثله شيء) وعلى المعطلة في قوله: (وهو السميع البصير)).

وقال ابن عاشور في تفسيره - الذي أفنى عمره كله في تفسيره - رحمه الله: الآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مماثلاً لله تعالى في صفات ذاته، لأن ذاته تعالى لا يماثلها ذوات المخلوقين، ويلزم ذلك أن كل ما ثبت للمخلوقين في محسوس ذواتهم؛ فهو منتف عن الله تعالى، وبذلك كانت الآية أصلاً في تنزيه الله تعالى عن الجوارح والحواس والأعضاء عند أهل التأويل، والذين أثبتوا لله تعالى ما ورد في القرآن مما نسميه بالمتشابه فإنما أثبتوه مع التنزيه عن ظاهره، إذ لا خلاف في أعمال قوله: (ليس كمثله شيء) وأنه لا شبيه له ولا نظير له...⁽¹⁾.

ومن المؤسف حقاً أنه ظهرت نابتة في هذا العصر - الرابع عشر والخامس عشر الهجري - تردد ما أورده مجسمة طبرستان وبعض أصفهان كما ذكره السكسكي في (البرهان في معرفة عقائد أهل الديان) حيث يقول فيه بعد أن ذكر معتقدهم في الصورة والشعر القطط والشاب الأمرد وغير ذلك من الفضائح - لعنهم الله - فيقولون: إذا لم يكن له عين ولا أذن ولا يد ولا رجل فما نعبد بطينة، ويحتجون بأن الله ذم في القرآن ما ليس له جوارح، فقال تعالى: (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) اهـ.

وهذا غاية في سوء الفهم وسوء المعتقد لظهور أن الله سبحانه إنما عير عبدة الأصنام، لا أن المعبود يجب أن يكون ذا جوارح، وهذا ظاهر جداً.

⁽¹⁾ (تفسير لتحرير والتنوير 47/25).

- دليل الكمال المطلق من الصفات هي الله تعالى:

(60) سورة النحل. (1).
(لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) سورة الروم. (2).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: وقوله ههنا "الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء" أي النقص إنما ينسب إليهم "ولله المثل الأعلى" أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه "وهو العزيز الحكيم". وقال القرطبي في تفسيره: أي الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد؛ قاله قتادة. وقيل: أي الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر. وقال ابن عباس: "مثل السوء" النار، و"المثل الأعلى" شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى].
وقيل: "ولله المثل الأعلى" كقوله:

"الله نور السموات والأرض مثل نوره" [النور: 35].

فإن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال: "فلا تضربوا لله الأمثال" [النحل: 74].
فالجواب: أن قوله: "فلا تضربوا لله الأمثال" أي الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص؛ أي لا تضربوا لله مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق.

والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.
(2) قال القرطبي في تفسيره: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) أما بدء خلقه فيعلوقه في الرحم قبل ولادته، وأما إعادته فأحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث؛ فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته؛ استدلالاً بالشاهد على الغائب، ثم أكد ذلك بقوله:

"وهو أهون عليه" وقرأ ابن مسعود وابن عمر: "يبدئ الخلق" من أبدأ يبدئ.

دليله قوله تعالى: "إنه هو يبدئ ويعيد" [البروج: 13].

ودليل قراءة العامة قوله سبحانه: "كما بدأكم تعودون" [الأعراف: 29].

(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) "أهون" بمعنى هين؛ أي الإعادة هين عليه؛ قاله الربيع بن خثيم والحسن. فأهون بمعنى هين؛ لأنه ليس شيء أهون على الله من شيء.

قال أبو عبيدة: ومن جعل أهون يعبر عن تفضيل شيء على شيء فقله مردود بقوله تعالى: "وكان ذلك على الله يسيراً" [النساء: 30] وبقوله: "ولا ينوده حفظهما" [البقرة: 255].

والعرب تحمل أفعل على فاعل، ومنه قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
أي دعائمه عريضة طويلة. وقال آخر:

لعمرك ما أدري وإنني لأوجل
على أننا تعدو المنية أول

أراد: إنني لوجل. وأنشد أبو عبيدة أيضاً:

إني لأمنحك الصدود وإنني
قسماً إليك مع الصدود لأميل

أراد لمائل. وأنشد أحمد بن يحيى:

- لهذا جاء النهي عن ضرب الأمثال الناقصة لله تعالى:
(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ (1) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74))

منى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
أراد بواحد. وقال آخر:
لعمرك إن الزبرقان لباذل لمعرفه عند السنين وأفضل
أي وفاضل. ومنه قولهم: الله أكبر؛ إنما معناه الله الكبير.
وروى معمر عن قتادة قال: في قراءة عبد الله بن مسعود "وهو عليه هين".
وقال مجاهد وعكرمة والضحاك: إن المعنى أن الإعادة أهون عليه - أي على الله - من البداية؛ أي
أيسر، وإن كان جميعه على الله تعالى هينا؛ وقاله ابن عباس.
ووجهه أن هذا مثل ضربه الله تعالى لعباده؛ يقول: إعادة الشيء على الخلق أهون من ابتدائه؛
فينبغي أن يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم أهون عليه من الإنشاء.
وقيل: الضمير في "عليه" للمخلوقين؛ أي وهو أهون عليه، أي على الخلق، يصاح بهم صيحة واحدة
فيقومون ويقال لهم: كونوا فيكونون؛ فذلك أهون عليهم من أن يكونوا نطفة ثم علقا ثم مضغا ثم أجنة ثم
أطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا أو نساء. وقاله ابن عباس وقطرب.
وقيل: أهون: أسهل؛ قال:
وهان على أسماء أن شطت النوى يحن إليها واله ويتوق
أي سهل عليها.
وقال الربيع بن خثيم في قوله تعالى: "وهو أهون عليه" قال: ما شيء على الله بعزير.
عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى فنزلت هذه الآية.
(وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ".
(وله المثل الأعلى): أي ما أراده جل وعز كان.
وقال الخليل: المثل الصفة؛ أي وله الوصف الأعلى:
"في السموات والأرض" كما قال: "مثل الجنة التي وعد المتقون" [الرعد: 35] أي صفتها.
..وعن مجاهد: "المثل الأعلى" قول لا إله إلا الله؛ ومعناه: أي الذي له الوصف الأعلى، أي الأرفع
الذي هو الوصف بالوحدانية.
وكذا قال قتادة: إن المثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ ويعضده قوله تعالى:
"ضرب لكم مثلا من أنفسكم" على ما نبينه أنفا إن شاء الله تعالى.
وقال الزجاج: "وله المثل الأعلى في السموات والأرض" أي قوله: "وهو أهون عليه" قد ضربه لكم
مثلا فيما يصعب ويسهل؛ يريد تفسيرها لأول.
وقال ابن عباس: أي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى]). (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)
(1) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (فلا تضربوا لله الأمثال) يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا
له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك - وأسنده - :
عن مجاهد: الأمثال الأشباه.
وعن ابن عباس، قوله: (فلا تضربوا لله الأمثال) يعني اتخاذهم الأصنام، يقول: لا تجعلوا معي إلها
غيري، فإنه لا إله غيري.

سورة النحل.

- وقد سمي الله تعالى نفسه أنه المصور، وليس هو مُصَوَّرًا:

(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ (1) لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) سورة الحشر. (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) سورة آل عمران.

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) سورة الأعراف. (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) سورة غافر. (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) سورة التغابن. (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) سورة الطارق.

وعن قتادة، قوله: (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون).

قال: هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشورا.

وقوله: (فلا تضربوا الله الأمثال) فإنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد). انتهى باختصار. (١) قال القرطبي في تفسيره: ("الخالق" هنا المقدر. و"البارئ" المنشئ المخترع. و"المصور" مصور الصور ومركبها على هياكل مختلفة).

فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما. ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل. وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقه، ثم مضغة، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها. فتبارك الله أحسن الخالقين. وقال النابغة:

الخالق البارئ المصور في الأرحام ماء حتى يصير دما

وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير، وليس كذلك، وإنما التصوير آخره والتقدير أولا والبراية بينهما.

ومنه قوله الحق: "وإذ تخلق من الطين كهينة الطير" [المائدة: 110]. وقال زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

يقول: تقدم ما تقدر ثم تفريه، أي تمضيه على وفق تقديرك، وغيرك يقدر ما لا يتم له ولا يقع فيه مراده، إما لقصوره في تصور تقديره أو لعجزه عن تمام مراده.

وقد أتينا على هذا كله في "الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" والحمد لله. وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ "البارئ المصور" بفتح الواو ونصب الراء، أي الذي يبرأ المصور، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات. ذكره الزمخشري. انتهى.

وأعلمنا رسوله ﷺ أن المصورين ينالون أشد العذاب يوم القيامة، لأنهم صوروا بعض مخلوقات الله، فكيف سيكون عذاب الله تعالى لمن يصور الله تعالى في العقول والأذهان؟!:

أخرج البخاري - كتاب اللباس - عَنْ مُسْلِمٍ قَالَ كُنَّا مَعَ مَسْرُوقٍ فِي دَارِ يَسَارِ بْنِ نُمَيْرٍ فَرَأَى فِي صَفْتِهِ تَمَائِيلَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ) (1)

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (... قوله: (إن أشد الناس عذابا عند الله المصورون) وقع في رواية الحميدي في مسنده عن سفيان " يوم القيامة " بدل قوله: " عند الله ". وكذا هو في مسند ابن أبي عمر عن سفيان، وأخرجه عن الإسماعيلي من طريقه، فلعل الحميدي حدث به على الوجهين بدليل ما وقع في الترجمة، أو لما حدث به البخاري حدث به بلفظ " عند الله " والترجمة مطابقة للفظ الذي في حديث ابن عمر ثاني حديثي الباب. والمراد بقوله " عند الله " حكم الله.

ووقع عند مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش أن " من أشد الناس " واختلف نسخه ففي بعضها " المصورين " وهي للأكثر وفي بعضها " المصورون " وهي لأحمد عن أبي معاوية أيضا. ووجهت بأن " من " زائدة واسم إن أشد، ووجهها ابن مالك على حذف ضمير الشأن والتقدير أنه من أشد الناس إلخ.

وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى: (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون؟!:

وأجاب الطبري: بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله، وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون.

وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط.

وأجاب غيره: بأن الرواية بإثبات " من " ثابتة وبحذفها محمولة عليها، وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذاباً كان مشتركاً مع غيره، وليس في الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب بل هم في العذاب الأشد، فكذاك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد.

وقوى الطحاوي ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه:

" إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين " وكذا أخرجه أحمد.

وقد وقع بعض هذه الزيادة في رواية ابن أبي عمر التي أشرت إليها فاقصر على المصور وعلى من قتله نبي.

وأخرج الطحاوي أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً:

" أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل هجا رجلاً فهجا القبيلة بأسرها ".

قال الطحاوي: فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر في شدة العذاب.

وقال أبو الوليد بن رشد في " مختصر مشكل الطحاوي " ما حاصله:

إن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركاً في ذلك مع آل فرعون ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور، وإن ورد في حق عاص فيكون أشد عذاباً من غيره من العصاة ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية المذكورة.

وأجاب القرطبي في " المفهم ": بأن الناس الذين أضيف إليهم " أشد " لا يراد بهم كل الناس بل بعضهم وهم من يشارك في المعنى المتوعد عليه بالعذاب، ففرعون أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذاباً، ومن يقتدي به في ضلالة كفره أشد عذاباً ممن يقتدي به في ضلالة فسقه، ومن صور صورة ذات روح للعبادة أشد عذاباً ممن يصورها لا للعبادة.

واستشكل ظاهر الحديث أيضاً بإبليس وبابن آدم الذي سن القتل!!؟.

وأجيب: بأنه في إبليس واضح، ويجاب بأن المراد بالناس من ينسب إلى آدم، وأما في ابن آدم فأجيب بأن الثابت في حقه أن عليه مثل أوزار من يقتل ظلماً، ولا يمتنع أن يشاركه في مثل تعذيبه من ابتداء الزنا مثلاً فإن عليه مثل أوزار من يزني بعده لأنه أول من سن ذلك، ولعل عدد الزناة أكثر من القاتلين. قال النووي: قال العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتن أم لغيره، فصنعه حرام بكل حال، وسواء كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، فأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام.

قلت: ويؤيد التعميم فيما له ظل، وفيما لا ظل له:

ما أخرجه أحمد من حديث علي " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا صورة إلا لطمها أي طمسها " الحديث.

وفيه " من عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ".

وقال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن، وبعض النفوس إليها تميل.

قال: والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح.

وقيل: يفرق بين العذاب والعقاب، فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والإنكار، والعقاب يختص بالفعل فلا يلزم من كون المصور أشد الناس عذاباً أن يكون أشد الناس عقوبة.

هكذا ذكره الشريف المرتضى في " الغرر ".

وتعقب بالآية المشار إليها وعليها انبنى الإشكال، ولم يكن هو عرج عليها، فهذا ارتضى التفرقة، والله أعلم.

واستدل به أبو علي الفارسي في " التذكرة " على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله المصورون أي الذين يعتقدون أن لله صورة.

وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ: " إن الذين يصنعون هذه الصورة يعذبون ".

وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ: " إن أصحاب هذه الصور يعذبون " وغير ذلك.

ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الإشكال المقدم ذكره.

وخص بعضهم الوعيد الشديد بمن صور قاصداً أن يضاهي، فإنه يصير بذلك القصد كافراً، وسيأتي في " باب ما وطئ من التصاوير " بلفظ:

" أشد الناس عذاباً الذين يضاهون بخلق الله تعالى ".

وأما من عداه فيحرم عليه ويأثم. لكن إثمه دون إثم المضاهي.

قلت: وأشد منه من يصور ما يعبد من دون الله كما تقدم.

وذكر القرطبي: أن أهل الجاهلية كانوا يعملون الأصنام من كل شيء حتى أن بعضهم عمل صنمه من عجوة ثم جاع فأكله. انتهى باختصار.

ورواه:مسلم:النسائي:أحمد في مسنده.
وفي رواية لأحمد: (المُصَوِّرُونَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ).
لهذا قال بعض العلماء: كل ما خطر ببالك، فالله تعالى بخلاف ذلك.
وقد سبق قول الإمام الطحاوي رحمه الله أن الله تعالى منزّه عن الحدود والغايات والأعضاء وهذه كلها من معاني البشر والمخلوقات، فلا يوصف الله تعالى بشيء منها. والله أعلم.

6 - فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا خُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ؛

- وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهَمُهُ؛

- وَحَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ:

- خَالصِ التَّوْحِيدِ؛

- وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ؛

- وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ؛

- فَيَتَذَبَّدُ (بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؛

- وَالتَّضَدُّيقِ؛ وَالتَّكْذِيبِ؛

- (وَالْإِقْرَارِ؛ وَالْإِنْكَارِ أ - ب)؛

- مُوسُوساً؛

- تَائِهاً؛

- شَاكَاً (زَائِغاً - ب)؛

- لَا مُؤْمِناً مُصَدِّقاً؛

- وَلَا جَاحِداً مُكْذِّباً؛

**القاعدة السادسة لفهم آيات الصفات: عدم الاشتغال فيما لا علم لنا به من
الكيفية، حتى لا يعيش الإنسان متذبذباً؛ موسوساً؛ تائهاً؛ شاكاً:**

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قوله: (أشد الناس عذاباً) فقليل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام، ونحوها، فهذا كافر، وهو أشد عذاباً.
وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى، واعتقد ذلك، فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره.
فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة، فهو فاسق صاحب ذنب كبير، ولا يكفر كسائر المعاصي). انتهى.

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) سورة الإسراء.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4) سورة الحج.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) سورة الحج.

إذ نحن لا نعلم الروح كيف تسري في الكائنات الحية، ونجهل كثير حقيقة كثير مما خلقه الله تعالى فكيف سنحيط بالله علماً وهذا مخالف لقوله تعالى:

- وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ (البقرة (255).

- (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) {طه:110}

المبحث الرابع
الإيمان بصفات ذات الله تعالى

- 1 - قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ؛
- 2 - دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ،
- 3 - وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ؛
- 4 - (وهو - ب) حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛
- 5 - قَيُّومٌ لَا يَنَامُ؛
- 6 - وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى؛ لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى؛
- 7 - ذَلِكَ بَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛
- 8 - وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ؛
- 9 - وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؛
- 10 - وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ؛
وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ؛
- 11 - وَلَا غَنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ؛
وَمَنْ اسْتَعْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛
وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ؛
- 12 - وَاللَّهُ تَعَالَى:
- يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ؛
- وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ؛
- 13 - وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ؛ وَصَدَقَتْهُمْ مَنَفَعَةُ لِلْأَمْوَاتِ؛

المبحث الرابع الإيمان بصفات ذات الله تعالى

1 - قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ؛

2 - دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ،

إثبات صفة القديم: أنكر بعض الناس على الإمام الطحاوي قوله قديم بلا ابتداء وزعم عدم ورود اسم القديم لله تعالى، مدعياً عدم ثبوت ذلك لا في الكتاب ولا في السنة كعادتهم في التسرع، وإليك الدليل، والحديثان ليسا من الضعيف:

1 - في سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد - حديث: 399:

عن حيوة بن شريح، قال: لقيت عقبة بن مسلم، فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال⁽¹⁾: " أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، **وسلطانه القديم**، من الشيطان الرجيم "، قال: أقط؟ قلت: نعم، قال: فإذا قال: ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم⁽²⁾.

⁽¹⁾ هذا الحديث من أفراد الإمام أبي داود لم أر غيره رحمه الله رواه وخرجه.. فهو حديث (فرد). أخرجه من طريقه الإمام البيهقي في (الدعوات الكبير رقم 68)، وابن حجر من طريق الخطيب عنه في (نتائج الأفكار 277/1). أما سنده = سندٌ جيد رجاله موثقون.. متصلوا السماع - قال عنه الإمام النووي في (الأنكار): (حديثٌ حسن رواه أبو داود بإسناد جيد). انتهى - وقال عنه الإمام ابن حجر في (نتائج الأفكار): (هذا حديث حسن غريب، رجاله موثقون، وهم من رجال الصحيح إلا إسماعيل وعقبة). انتهى - وقال عنه السيوطي في (جمع الجوامع): (حسن) رامزاً له بذلك. - وقال عنه الشيخ الألباني في آخر كتاباته رحمه الله - ولا أعلم له تراجعاً عنه - في (صحيح أبي داود وضعيفه / قسم الصحيح 364/2): (قلت: إسناده صحيح، وقال النووي: حديث حسن، إسناده جيد.. ثم ذكر إسناده؛ وقال:

قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وقواه النووي كما ذكرنا آنفاً، وهو في الأنكار له. والحديث من أفراد المؤلف رحمه الله وهم الحافظ ابن كثير رحمه الله؛ حيث عزاه في تفسيره 293/3 لصحيح البخاري). انتهى منقول.

⁽²⁾ جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي 128/5 (كان إذا دخل المسجد قال) حال شروعه في دخوله (أعوذ بالله العظيم) أي ألوذ بملأه وألجأ إليه مستجيراً به (وبوجهه الكريم) أي ذاته إذ الوجه يعبر به عن الذات بشهادة (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص: 88)، أي ذاته وعن

2 - سنن ابن ماجه - كتاب الدعاء - باب أسماء الله عز وجل -

حديث: 3859

حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني قال: حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، إنه وتر، يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة وهي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط،

الجهة كما في (فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) (البقرة: 115)، أي جهته **(وسلطانه القديم)** على جميع الخلائق قهراً وغلبة، (من الشيطان الرجيم) أي المرجوم (وقال) يعني الشيطان (إذا قال ذلك حفظ مني سائر اليوم) أي جميع ذلك اليوم الذي يقول هذا الذكر فيه، وحسنه المصنف (أي السيوطي)، وفي الأذكار: إسناده جيد) اهـ.

وفي عون المعبود: (بالله العظيم) أي ذاتا وصفة (وبوجهه) أي ذاته (وسلطانه) أي غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه (القديم) أي الأزلي الأبدى (من الشيطان) مأخوذ من شطن أي بعد يعني المعبود من رحمة الله (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي المطرود من باب الله أو المشتوم بلعنة الله والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة وإلا ففي الحقيقة أن الله هو الهادي المضل (قال أقط) الهمزة للاستفهام وقط بمعنى حسب قال عقبة لحياة أبلغك عني هذا القدر من الحديث فحسب (قلت نعم) قائل هذا حياة (قال) أي عقبة (فإذا قال) الرجل الداخل (ذلك) الكلام (حفظ مني سائر اليوم) وهذه الجملة من بقية الحديث التي بلغك عني ومعنى حفظ مني سائر اليوم أي بقيته أو جميعه ويقاس عليه الليل أو يراد باليوم مطلق الوقت فيشمله، قال بن حجر المكي: (إن أريد حفظه من جنس الشياطين تعين حمله على حفظه من كل شيء مخصوص كأكبر الكبائر أو من إبليس اللعين فقط بقي الحفظ على عمومه وما يقع منه من إغواء جنوده وإنما ذكرت ذلك لأننا نرى ونعلم من يقول ذلك ويقع في كثير من الذنوب فتعين حمل الحديث على ما ذكرته وإن لم أره) انتهى وفيه أن الظاهر أن لام الشيطان للعهد والمراد منه قرينة الموكل على إغوائه وإن القائل ببركة ما ذكر من الذكر يحفظ منه في الجملة ذلك الوقت عن بعض المعاصي وتعيينه عند الله تعالى وبه يرتفع أصل الإشكال والله أعلم بالحال كذا في المرقاة) انتهى من عون المعبود.

المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المحيي، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، **القديم**، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد " قال زهير: فبلغنا من غير واحد من أهل العلم، أن أولها يفتح بقول: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، له الأسماء الحسنى).

- الإيمان بصفتي الأولية والآخوية:

1 - قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ؛

2 - دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ،

(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⁽¹⁾) (3) الحديد.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: (هو الأول) قبل كل شيء بغير حد، (والآخر) يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية.

وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص: 88]

وقوله: (والظاهر) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه.

(والباطن) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق: 16] انتهى باختصار.

قال ابن كثير في تفسيره: (وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

وقال أبو داود - وأسنده - عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى:

"فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك" الآية، قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل:

"هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم".

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً:

- وقال البخاري قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علماً.

- وقال شيخنا الحافظ المزي يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن - : وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك:

أخرج مسلم - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع - عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ).

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ (1). ورواه: أحمد والترمذي وأحمد وأبود ادود وابن ماجه.

ما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم: "اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر" ورواه مسلم في صحيحه.. وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا.. انتهى باختصار.

وقال القرطبي في تفسيره: (اختلف في معاني هذه الأسماء وقد بينها في الكتاب الأسنى. وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحاً يغني عن قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر) عنى بالظاهر الغالب، وبالباطن العالم، والله أعلم.) انتهى.

وقال الإمام البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات): (استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عن الله بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)، انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: وإذا لم يكن فوقه شيئاً ولا دونه شيئاً، إذاً لم يكن له مكاناً، لأن المكان محاط بالجهات الثمانية: فوق وتحت، ويمين ويسار، وأمام وخلف، وداخل وخارج، والله تعالى محيط بكل شيء وليس محاطاً بشيء:

- **محيط بالأعمال:** (إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) آل عمران، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (108) سورة النساء.

- **محيط بكل شيء:** (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً (126) النساء، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54) فصلت، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20) البروج.

(1) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قوله: (أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته) أي: من شر كل شيء من المخلوقات؛ لأنها كلها في سلطانه، وهو آخذ بنواصيها.

قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين) يحتمل أن المراد بالدين هنا حقوق الله تعالى وحقوق العباد كلها من جميع الأنواع، وأما معنى الظاهر من أسماء الله فقليل: هو

3 - ولا يكون إلا ما يُريدُ؛

- الإيمان بصفة الإرادة:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (1) (253) سورة البقرة.

من الظهور بمعنى القهر والغلبة، وكمال القدرة، ومنه ظهر فلان على فلان، وقيل: الظاهر بالدلائل القطعية،

والباطن: المحتجب عن خلقه، وقيل: العالم بالخفيات.

وأما تسميته سبحانه بالآخر، فقال الإمام أبو بكر ابن الباقلاني: معناه الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل، ويكون كذلك بعد موت الخلائق، وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم، وتفرق أجسامهم.

قال: وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم، فاحتجوا به لمذهبهم في فناء الأجسام وذهابهم بالكلية، قالوا: ومعناه الباقي بعد فناء خلقه، ومذهب أهل الحق خلاف ذلك، وأن المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم، ولهذا يقال: آخر من بقي من بني فلان فلان، يراد حياته، ولا يراد فناء أجسام موتاهم وعدمها، هذا كلام ابن الباقلاني.) انتهى باختصار.

وقال المباركفوري في تحفته على الترمذي: (قوله: "أنت الأول" أي القديم بلا ابتداء "فليس قبلك شيء" قيل هذا تقرير للمعنى السابق وذلك أن قوله: "أنت الأول مفيد للخصر بقرينة الخبر باللام فكأنه قيل أنت مختص بالأولية فليس قبلك شيء).

"وأنت الآخر فليس بعدك شيء" أي الباقي بعد فناء خلقك لا انتهاء لك ولا انقضاء لوجودك. "والظاهر فليس فوقك" أي فوق ظهورك "شيء" يعني ليس شيء أظهر منك لدلالة الآيات الباهرة عليك.

"والباطن" أي الذي حجب أبصار الخلائق عن إدراكك "فليس دونك شيء" أي لا يحجبك شيء عن إدراك مخلوقاتك.

"أقض عني الدين" (قوله: (هذا حديث حسن صحيح) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة.) انتهى.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد).

يعني تعالى ذكره بذلك: ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل، لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره، أن لا يقتتلوا، فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم، بتحريم الاقتتال والاختلاف، وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحانية الله ورسالة رسله ووحى كتابه، فكفر بالله وبآياته بعضهم، وآمن بذلك بعضهم.

(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ⁽¹⁾ (107) سورة هود.
(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14) سورة الحج.
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (16) البروج.

4 - (وهو - ب) حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛

- الإيمان بصفة الحياة:
(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا
(58) سورة الفرقان.
(هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(65) سورة غافر⁽²⁾).

فأخبر تعالى ذكره: أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم، بأنهم على خطأ، تعمداً منهم للكفر بالله وآياته.
ثم قال تعالى ذكره لعباده: (ولو شاء الله ما اقتتلوا) يقول: ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقيه إياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا.
{ولكن الله يفعل ما يريد} بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به فيؤمن به ويطيعه، ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه. انتهى.

⁽¹⁾ قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وقوله: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد)

يعنى تعالى يعني ذكره بقوله: (خالدين فيها) لاثنين فيها، ويعني بقوله: (ما دامت السموات والأرض) أبداً؛ وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً، قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض؛ بمعنى أنه دائم أبداً، وكذلك يقولون: هو باق ما اختلف الليل والنهار، وما سمر لنا سمر، وما لألت العفر بأذناها يعنون بذلك كله أبداً. فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم، فقال:

{خالدين فيها ما دامت السموات والأرض} والمعنى في ذلك: خالدين فيها أبداً...
وقوله: (إن ربك فعال لما يريد) يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد لا يمنعك مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره من انتقام منه، ولكنه يفعل ما يشاء، فيمضي فعله فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاه. انتهى باختصار.

⁽²⁾ طريقة القرآن لإثبات صفة الحياة لله تعالى، هي ما يراه الإنسان من الحياة والموت المتعاقبان على المخلوقات، فلا بد من خالق حي وهب الحياة، وأنه لا يموت لأنه الخالق، وإليك الآيات الدالة على ذلك:
(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (68) غافر.

(وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا) (44) النجم.
(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (2) سورة الملوك.

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) (22) فاطر.
 (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (28) البقرة.
 (قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَاكَ أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) (11) غافر.
 (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ) (66) سورة الحج.
 (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (26) الجاثية.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) البقرة.
 (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَالِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (259) البقرة.
 (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (27) آل عمران.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَّنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (156) آل عمران.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَّنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (156) الأنعام.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَّنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (156) الأنعام.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (158) الأعراف.
 (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (116) التوبة.
 (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (31) يونس.
 (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (56) يونس.

(وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَيُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) (23) سورة الحجر.
 (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (65) النحل.
 (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (6) الحج.
 (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (80) المؤمنون.
 (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (63) العنكبوت.

5 - قِيَوْمٌ لَا يَنَامُ؛

- الإيمان بصفة القيومية:

الشرح: القيوم: هو القائم بنفسه، غير محتاج لغيره في شيء، وقال بعضهم: إنه اسم الله الأعظم، وقد وردت صفة القيوم ثلاث مرات في القرآن: الدليل القرآني:

(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ(19) الروم.
(وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(24) الروم.
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(40) الروم.
(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(50) الروم.
(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ(9) فاطر.
(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12) يس.
(وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(33) يس.
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(39) فصلت.
(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(78) قل يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(79) يس.
(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ فَالَهُ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(9) الشورى.
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ(8) الدخان.
(وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(5) الجاثية.
(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(33) الأحقاف.
(رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(11) سورة ق.
(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ(43) سورة ق.
(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(2) الحديد.
(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(17) الحديد.
(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36) ألم يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(40) القيامة.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ (١) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

(١) قال القرطبي في تفسيره: ("الحي القيوم" نعت لله عز وجل، وإن شئت كان بدلا من "هو"، وإن شئت كان خبرا بعد خبر، وإن شئت على إضمار مبتدأ. ويجوز في غير القرآن النصب على المدح. و"الحي" اسم من أسمائه الحسنی يسمى به، ويقال: إنه اسم الله تعالى الأعظم... قال الطبري عن قوم: إنه يقال حي قيوم كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه. وقيل: سمي نفسه حيا لصرفه الأمور مصاريها وتقديره الأشياء مقاديرها. وقال قتادة: الحي الذي لا يموت. وقال السدي: المراد بالحي الباقي.

وقد قيل: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم. "القيوم" من قام؛ أي القائم بتدبير ما خلق؛ عن قتادة. وقال الحسن: معناه القاسم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها. وقال ابن عباس: معناه الذي لا يحول ولا يزول.

وقال الكلبي: القيوم الذي لا بدء له؛ ذكره أبو بكر الأنباري. وأصل قيوم قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء؛ ولا يكون قيوم فعولا؛ لأنه من الواو فكان يكون قيوما. وقرأ ابن مسعود وعلقمة والأعمش والنخعي "الحي القيام" بالألف، وروي ذلك عن عمر. ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة. والقيام من القوام إلى القيام، صرف عن الفعل إلى الفيعل، كما قيل للصواغ الصياغ. ثم نفى عز وجل أن تأخذه سنة ولا نوم.

والسنة: النعاس في قول الجميع. والنعاس ما كان من العين فإذا صار في القلب صار نومًا.. وفرق المفضل بينهما فقال: السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب. وقال ابن زيد: الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل، حتى ربما جرد السيف على أهله. قال ابن عطية: وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر، وليس ذلك بمفهوم من كلام العرب. وقال السدي: السنة: ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الإنسان. قلت - أي القرطبي - : وبالجمله فهو فتور يعتري الإنسان ولا يفقد معه عقله. والمراد بهذه الآية أن الله تعالى لا يدركه خلل، ولا يلحقه ملل؛ بحال من الأحوال. والأصل في سنة وسنة حذفت الواو كما حذفت من يسين. والنوم هو المستقل الذي يزول معه الذهن في حق البشر. والواو للعطف و"لا" توكيد... انتهى باختصار.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره: (فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ دُونَهُ بِالرِّزْقِ وَالْكَلاَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَا يَغْيِرُهُ مَا يَغْيِرُ غَيْرَهُ، وَلَا يَزِيلُهُ عَمَّا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ تَقَلُّ الْأَحْوَالِ وَتَصْرِيفُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، بَلْ هُوَ الدَّائِمُ عَلَى حَالٍ، وَالْقَيُّومُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ، لَوْ نَامَ كَانَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا، لِأَنَّ النَّوْمَ غَالِبُ النَّائِمِ قَاهِرُهُ، وَلَوْ وَسَنَ لَكَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا دَكَا، لِأَنَّ قِيَامَ جَمِيعِ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَالنَّوْمُ شَاغِلُ الْمُدَبِّرِ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَالنَّعَاسُ مَانِعُ الْمُقَدَّرِ عَنِ التَّقْدِيرِ بَوَسْنِهِ.) انتهى باختصار.

حَفِظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة.
 (الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) (1) سورة آل عمران.
 (وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ (2) وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) سورة طه.

6 - والله يَغْضَبُ وَيَرْضَى؛ لا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى؛

- الإيمان بصفتي الغضب والرضى المطلقتان لله تعالى:

- الآيات الدالة على غضب الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) سورة الأعراف (3).
 (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) سورة النحل

(أ) قال ابن جرير في تفسيره: (ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه، من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله: هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو.

القول في تأويل قوله تعالى: (القيوم)

قد ذكرنا اختلاف القراءة في ذلك والذي نختار منه، وما العلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك. فأما تأويل جميع الوجوه التي ذكرنا أن القراء قرأت بها فمتقارب، ومعنى ذلك كله: القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص.) انتهى باختصار.

(م) قال ابن كثر في تفسيره: (وقوله "وعنت الوجوه للحي القيوم" قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلاق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به.) انتهى.

(ن) قال ابن كثير في تفسيره: (أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما تقدم في سورة البقرة:

"فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم".

وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة وصغارا في الحياة الدنيا وقوله: "وكذلك نجزي المفتريين" نائلة لكل من افترى بدعة، فإن ذل البدعة ومخالفة الرشد متصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصري:

إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين.

وهكذا روى أبواب السخنياني عن أبي قلابة الجرهمي أنه قرأ هذه الآية "وكذلك نجزي المفتريين" انتهى. فقال هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة.

وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة دليل ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق ولهذا عقب هذه القصة.

(1).

(١) قال ابن كثير تفسيره: (أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة. وأما قوله "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك.

وقال ابن جرير - وأسند - عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف تجد قلبك؟" قال: مطمئنا بالإيمان.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عادوا فعد". ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير قال "كيف تجد قلبك؟" قال: مطمئنا بالإيمان فقال "إن عادوا فعد" وفي ذلك أنزل الله "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان".

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته. ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أحد أحد ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيط لكم منها لقلتها. رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك. وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الإسلام.

فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعذبوا بعذاب الله".

وكنيت أقاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه". فبلغ ذلك عليا فقال ويح أم ابن عباس. رواه البخاري. وقال الإمام أحمد - وأسند - عن أبي بردة قال: قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فإذا رجل عنده قال ما هذا؟

قال: رجل كان يهوديا فأسلم ثم تهود ونحن نريده على الإسلام منذ قال أحسبه شهرين. فقال: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه، فضربت عنقه، فقال: قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال "من بدل دينه فاقتلوه". وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر.

(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) سورة طه.

(وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) سورة النور.
(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16) الشورى.
(أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) المجادلة.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13) سورة الممتحنة.

- الآيات الدالة على رضى الله تعالى:

والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم.
فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي.
فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت.
فقال: إذا أقتلك.
فقال: أنت وذاك.

قال: فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر.
وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقي فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه.
فقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.
وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه.

ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟
فقال: أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك بي.
فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك.
فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟
قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده.
فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضى الله عنهما.

(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) سورة المائدة.

(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) سورة التوبة.

(قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) سورة طه.
(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) سورة طه.

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) سورة النور.

(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) سورة النمل.

(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ (1) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) سورة الزمر.
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ

١) قال ابن كثير في التفسير: (وقوله تعالى "ولا يرضى لعباده الكفر" أي لا يحبه ولا يأمر به "وإن تشكروا يرضه لكم" أي يحبه لكم ويزدكم من فضله.

وقال القرطبي في تفسيره: ("إن تكفروا فإن الله غني عنكم" شرط وجوابه. "ولا يرضى لعباده الكفر" أي أن يكفروا أي لا يحب ذلك منهم.

وقال ابن عباس والسدي: معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله فيهم: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" (الإسراء: 65).

وكقوله: "عينا يشرب بها عباد الله" (الإنسان: 6) أي المؤمنون.

وهذا على قول من لا يفرق بين الرضا والإرادة.

وقيل: لا يرضى الكفر وإن أَرَادَهُ؛ فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبارادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا. وهذا مذهب أهل السنة.

وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) سورة الأحقاف.

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) سورة الفتح.

(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26) سورة النجم.

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22) سورة المجادلة.

(إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) سورة الجن.

(جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8) سورة البينة (1).

(1) زيادة في معرفة الأعمال التي تزيد في مرضات الله تعالى ورضوانه نورد الآيات التالية:
- الآيات الدالة على مرضات الله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207) البقرة.
(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) البقرة.
(لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) النساء.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُومٍ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ فَعَدْلٌ سِوَاءِ السَّبِيلِ (1) الممتحنة.

- الآيات الدالة على رضوان الله تعالى:

(قُلْ أُوذِيْتُ بِخَيْرٍ مَنْ ذَلِكَُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) آل عمران.
(أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) آل عمران.
(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) آل عمران.

7 - ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛

- الإيمان بصفة القدرة:

- دليل أن الله على كل شيء قدير:

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) سورة البقرة.

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاُنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2) المائدة.

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) المائدة.

(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) التوبة.

(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) التوبة.

(أَقَمْنَ أُسُسَ بُنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) التوبة.

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28) محمد.

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَازْرَوْهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) الفتح.

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) الحديد.

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتَّبَنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رُفْقَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27) الحديد.

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) الحشر.

سورة البقرة:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) سورة آل عمران. (1)

(1) تختلف طريقة القرآن في إثبات صفات الله تعالى عن طريقة البشر، فالقرآن يعرض ما في الكون من عجيب قدرة الله تعالى، ثم يعقب على ذلك بالصفة التي يريد إثباتها، ولهذا تبقى الطريقة القرآنية في الإثبات تهز العالم والجاهل، لأنها تتعامل مع النفس البشرية والعقل البشري والوجود البديع في لحظة واحدة، فمن الآيات التي أخبرت عن قدرة الله تعالى الآيات التالية:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) البقرة.

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) البقرة.

(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) البقرة.

(وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148) البقرة.

(قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) آل عمران.

(أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) آل عمران.

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) آل عمران.

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) المائدة.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19) المائدة.

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40) المائدة.

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120) المائدة.

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) الأنعام.

(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) الأنعام.

(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) الأنفال.

(إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) التوبة.

(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4) هود.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) النحل.

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) النحل.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) الحج.

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الحج.

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) النور.

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) العنكبوت.

(فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) الروم.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) الروم.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) فاطر.

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) يس.

(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فصلت.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّا تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) فصلت.

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) الشورى.

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29) الشورى.

(أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) الشورى.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ غَبَابٌ شَدِيدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْدَاءُ (33) الأحقاف.

(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) الحديد.

(وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) الحشر.

(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) الممتحنة.

(يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) التغابن.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) الطلاق.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8) التحريم.

- دليل أن كل شيء فقير إلى الله ومحتاج إليه:

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) [سورة آل عمران].
(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْغُوبُ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68) [سورة يوسف].

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) سورة الرعد.
(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) [سورة النحل]

(وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) [سورة النور].
(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3) سورة الفرقان.
(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) سورة القصص.

(إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) سورة العنكبوت.

(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) سورة سبأ.
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) سورة فاطر.
(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الملك.

يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38) سورة محمد.

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) [سورة الإسراء].
(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) سورة الأنعام.

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) سورة يونس.

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) سورة يونس.
(ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) سورة النحل.
(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) سورة الإسراء.

(أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ⁽¹⁾ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ

(1) قال القرطبي في تفسيره: (المضطر: قال ابن عباس: هو ذو الضرورة المجهود. وقال السدي: الذي لا حول له ولا قوة.

وقال ذو النون: هو الذي قطع العلائق عما دون الله. وقال أبو جعفر وأبو عثمان النيسابوري: هو المفلس.

وقال سهل بن عبد الله: هو الذي إذا رفع يديه إلى الله داعيا لم يكن له وسيلة من طاعة قدمها.

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر!

قال: إذا فاسأله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. قال الشاعر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق علي فما ينفك أن يتفرجا

ورب أخ سدت عليه وجوهه أصاب لها لما دعا الله مخرجا

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء المضطر: (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت).

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه؛ والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجوء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه؛ وللإخلاص عنده سبحانه موقع وزمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر؛ كما قال تعالى:

"حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" [يونس: 22].

أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) سورة النمل.
(وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) سورة الزمر.

وقوله: "فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون" [العنكبوت: 65] فأجابهم عند ضرورتهم ووقع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم.
وقال تعالى: "فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين" فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه.
وفي الحديث: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده) ذكره صاحب الشهاب؛ وهو حديث صحيح.
وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن: (واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب).
وفي كتاب الشهاب: (اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام فيقول الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) وهو صحيح أيضا.
وخرج الأجرى من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر).
فيجيب المظلوم لموضع إخلاصه بضرورته بمقتضى كرمه، وإجابة لإخلاصه وإن كان كافرا، وكذلك إن كان فاجرا في دينه؛ فجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على مملكة سيده، فلا يمنعه ما قضى للمضطر من إجابته.
وفسر إجابة دعوة المظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه من قهر له، أو اقتصاص منه، أو تسليط ظالم آخر عليه يقهره كما قال عز وجل:
"وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا" [الأنعام: 129].
وأكد سرعة إجابته بقوله: (تحمل على الغمام).
ومعناه والله أعلم: أن الله عز وجل يوكل ملائكته بتلقي دعوة المظلوم وبحملها على الغمام، فيخرجوا بها إلى السماء، والسماء قبلة الدعاء ليرأها الملائكة كلهم، فيظهر منه معاونته المظلوم، وشفاعة منهم له في إجابة دعوته، رحمة له.
وفي هذا تحذير من الظلم جملة، لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة أمره؛ حيث قال على لسان نبيه في صحيح مسلم وغيره:
(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...) الحديث.
فالمظلوم مضطر، ويقرب منه المسافر؛ لأنه منقطع عن أهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم، لا يسكن قلبه إلى مسعد ولا معين لغربته. فتصدق ضرورته إلى المولى، فيخلص إليه في اللجوء، وهو المجيب للمضطر إذا دعاه، وكذلك دعوة الوالد على ولده، لا تصدر منه مع ما يعلم من حننه عليه وشفقته، إلا عند تكامل عجزه عنه، وصدق ضرورته؛ وإيأسه عن بر ولده، مع وجود أذيته، فيسرع الحق إلى إجابته. انتهى.

9 - وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؛

الدليل القرآني:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) سورة النساء.

(إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) سورة النساء.

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70) سورة الحج.

(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) سورة العنكبوت.

(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19) سورة الأحزاب.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) سورة الأحزاب.

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) سورة فاطر.

(يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44) سورة ق.

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) سورة الحديد.

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) سورة التغابن.

10 - وَيَمْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ؛

وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ؛

- الإيمان بصفة الملك والمالك:

- دليل تفرد الله تعالى بالملك (1) والملكوت:

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) سورة الفاتحة.

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) سورة آل عمران. (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا (111) سورة الإسراء.

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) سورة طه.

(قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سورة المؤمنون.

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) سورة المؤمنون.

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3) سورة الفرقان.

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) سورة فاطر.

(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83) سورة يس. (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْهَى تُصْرَفُونَ (6) سورة الزمر.

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) سورة غافر.

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) سورة الحشر.

(1) الملك بضم الميم تقال لله تعالى، والملك بكسر الميم تقال للعبد. شيخنا د. محمد فوزي جعله الله من الفائزين في الدارين.

(يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) سورة الجمعة.

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) سورة الملك
(مَلِكِ النَّاسِ (2) سورة الناس (1).

(١) ومن الآيات القرآنية الدالة على قدرة الله تعالى:

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) الفاتحة.
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107) البقرة.
(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) آل عمران.
(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) آل عمران.
(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) المائدة.
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) المائدة.
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40) المائدة.
(يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تُوْمنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) المائدة.
(قُلِ اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرراً وَلَا نفعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) المائدة.
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120) المائدة.
(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) الأنعام.
(قُلِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) الأعراف.
(إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116) التوبة.
(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) يونس.
(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) الحج.
(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلْحَقِّ لِلرَّحْمَانِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26) الفرقان.
(إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) العنكبوت.
(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) سبأ.

**11 - وَلَا غَنَىٰ عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ طَرْفَةً عَيْنٍ؛
وَمَنْ اسْتَعْنَىٰ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛
وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ (1)؛**

الدليل القرآني:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) سورة آل

عمران

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2) سورة الفرقان.

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) سورة الأنعام.

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ (102) سورة الأنعام.

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ (57) سورة هود.

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
بِمِقْدَارٍ (8) الرعد.

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) الزمر.
(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) الزمر.
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) الشورى.
(وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85) الزخرف.
(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْذِرُ الْمُبْطِلُونَ (27) الجاثية.
(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا (11) الفتح.

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (14) الفتح.
(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55) القمر.

(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) الحديد.

(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) الحديد.

(يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) التغابن.

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) البروج.

(١) والحين بالفتح: الهلاك، قاله أبو العز الحنفي.

(رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) سورة إبراهيم.
(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) سورة الحجر.

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلًا (12) سورة الإسراء.

(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) سورة النمل.
(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88) سورة القصص.

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) سورة فاطر.

- دليل كفر من استغنى عن الله تعالى، وذلك بإنكار التوكل عليه، وإنكار

دعائه والطلب منه:

1 - التوكل:

- دليل كفر من لا يتوكل على الله استغناء عن الله تعالى:

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) سورة المائدة.
(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) سورة يونس.

(وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا ءَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) سورة إبراهيم.

- الأمر القرآني بالتوكل على الله تعالى:

(وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81) سورة النساء.

(وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132) سورة النساء.
(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(51) سورة التوبة.
(وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) سورة يوسف.

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123) سورة هود.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) سورة الشعراء.

(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) سورة النمل.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3) سورة الأحزاب.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا

(58) سورة الفرقان.

(وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

(48) سورة الأحزاب.

(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) سورة المزمل.

- التوكل على الله تعالى جماع الإيمان بالله تعالى، وهي صفة أساسية

بالمؤمنين:

(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(122) سورة آل عمران.

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160) سورة آل عمران.

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(129) سورة التوبة.

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (30)

سورة الرعد.

(أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

وَكِيلًا (68) سورة الإسراء.

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) سورة الزمر.

- حب الله تعالى للمتوكلين عليه، وتيسيره لهم:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) سورة آل عمران. (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) سورة الطلاق.

2 - الدعاء:

- دليل دعاء الله تعالى:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) سورة الأنعام.

- الأمر القرآني بدعاء الله تعالى بتضرع في كل الأحوال:

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) سورة الأعراف. (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) سورة الإسراء. وأخرج الترمذي - باب - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: (يَا غُلَامُ! إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- دليل كفر الكافرين في دعاء غير الله تعالى استغناء عن الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) سورة الأعراف.

(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) سورة الأعراف.

(وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) سورة يونس.

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) سورة هود. (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ

كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (14)
سورة الرعد.

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) سورة النحل.
(يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ وَمَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12)
يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبُئْسَ الْمَوْلَى وَلِبُئْسَ الْعَشِيرُ (13) سورة الحج.
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ (62) سورة الحج.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ (73) سورة الحج.
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ (30) سورة لقمان.

(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) سورة سبأ.
(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ
قِطْمِيرٍ (13) سورة فاطر.

(إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) سورة فاطر.
(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ
عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) سورة الأحقاف.

12 - والله تعالى:
- يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ؛
- وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ؛

- دليل استجابة الله تعالى للداعي بإخلاص، وقضاء حاجات عباده:
 (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) (1) سورة البقرة.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (قال ابن أبي حاتم - وأسنده - أن أعرابيا قال: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه؟ فسکت النبی صلی الله علیه وسلم فأنزل الله: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي". إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت ورواه ابن جرير. وقال ابن جریج عن عطاء أنه بلغه لما نزلت: "وقال ربکم ادعونی أستجب لکم". قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ". وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفا، ولا نعلو شرفا؛ ولا نهبط واديا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال:

"يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعا بصيرا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله" أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني". وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "قال الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه".

"قلت - أي ابن كثير - : وهذا كقوله تعالى "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون". وقوله لموسى وهارون عليهما السلام "إنني معكما أسمع وأرى" والمراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه.

كما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى ليستحيي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين" وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه. وقال الإمام أحمد أيضا - وأسنده - عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا

"ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها".

قالوا: إذا نكثر. قال: "الله أكثر".

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد - وأسنده - أن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الإمام مالك - وأسنده - عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي" أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وهذا لفظ البخاري رحمه الله وأثابه الجنة.

وقال مسلم في صحيحه - وأسنده - عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل"

قيل: يا رسول الله وما الاستعجال؟

قال: "يقول قد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء".

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل"

قالوا: وكيف يستعجل؟

قال: "يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي".

وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره - وأسنده - عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تعجل له في الدنيا أو تؤخر له في الآخرة إذا لم يعجل أو يقنط)

قال عروة: قلت: يا أمه كيف عجلته وقنوطه؟

قالت: يقول سألت فلم أعط، ودعوت فلم أجب.

قال ابن قسيط: وسمعت سعيد بن المسيب يقول كقول عائشة سواء.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألت الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل"...

وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". انتهى باختصار.

مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبِّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ^(١) أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195) سورة آل عمران. (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) سورة الأنفال. ⁽²⁾

(١) قال القرطبي في تفسيره: (أي أجابهم. قال الحسن: ما زالوا يقولون: ربنا ربنا؛ حتى استجاب لهم. وقال جعفر الصادق: من حَزَبَهُ أمر فقال خمس مرات: ربنا، أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرءوا إن شئتم: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (192) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (آل عمران: 194) "أني" أي بآني. وقرأ عيسى بن عمر "إني" بكسر الهمزة، أي فقال: إني. وروى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، ألا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأُنزل الله تعالى: " (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) (آل عمران: من الآية 195) " الآية. وأخرجه الترمذي. ودخلت "من" للتأكيد؛ لأن قبلها حرف نفي. وقال الكوفيون: هي للتفسير ولا يجوز حذفها؛ لأنها دخلت لمعنى لا يصلح الكلام إلا به، وإنما تحذف إذا كان تأكيداً للجد. انتهى. (٢) قال ابن كثير في التفسير: (قال الإمام أحمد - وأسنده - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً". قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فرداه ثم التزمه من ورائه. ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال: 9) فلما كان يومئذ، التقوا، فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً... وقوله تعالى "بآلف من الملائكة مردفين" أي يردف بعضهم بعضاً، كما قال هارون بن هبيرة عن ابن عباس "مردفين" متتابعين. ويحتمل أن المراد "مردفين" لكم أي نجدة لكم كما قال العوفي عن ابن عباس "مردفين" يقول: المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا. وهكذا قال مجاهد وابن كثير القارئ وابن زيد "مردفين" ممددين.

(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) سورة يونس.

(وَالِى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)

وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس "يمددكم ربكم بألف من الملائكة مردفين" قال: وراء كل ملك ملك.

وفي رواية بهذا الإسناد "مردفين" قال: بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة. وقال ابن جرير - وأسند - عن علي رضي الله عنه قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة.

وهذا يقتضي إن صح إسناده أن الألف مردفة بمتلها ولهذا قرأ بعضهم "مردفين" بفتح الدال والله أعلم. والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مُجَنَّبَةً، وميكائيل في خمسمائة مجنبة.

وروى الإمام أبو جعفر ابن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن وليد الحنفي عن ابن عباس عن عمر الحديث المتقدم.

ثم قال أبو زميل: حدثني ابن عباس قال: بينا رجل من المسلمين يشد في أثر رجل من المشركين أمامه؛ إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، قال: فنظر إليه، فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(صدقت؛ ذلك من مدد السماء الثالثة)، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وقال البخاري: "باب شهود الملائكة بدرًا". - وأسند - عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقى عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟

قال: "من أفضل المسلمين" أو كلمة نحوها.

قال: "وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة" انفرد بإخراجه البخاري...

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة: "إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". انتهى باختصار.

سورة هود.

(قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) سورة يوسف.

(وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)

سورة الأنبياء.

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) سورة الأنبياء.

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) سورة الأنبياء.

(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) سورة الأنبياء.

(أَمَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ (62) سورة النمل (1).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال تعالى: "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ".

وقال تعالى: "ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ".

وهكذا قال ههنا "أَمَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ" أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه.

قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي تميم الهجيمي عن رجل من بلهجوم قال: قلت يا رسول الله! إلام تدعو؟

قال: "أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك والذي إن أضللت بأرض فقر فدعوته رد عليك والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك"

قال: قلت: أوصني؟

قال: "لا تسب أحدا ولا تزهدي في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي واتر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعيبين وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة".

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فنذكر اسم الصحابي ... وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقاً وعندهما طرف صالح منه.

(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) سورة الصافات.
(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) (1) سورة غافر..

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن عبيد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طائوس يعودني فقلت له ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه، (انتهى باختصار.

1) من الأوقات المستجاب فيها الدعاء وحالاته ما يلي:

1 - جوف الليل:

1077 البخاري - كتاب الجمعة - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). ورواه مسلم: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط: مسلمي.

1259 مسلم - كتاب صلاة المسافرين - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ). ورواه: أحمد في مسنده.

3421 الترمذي - كتاب الدعوات - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الثَّقَفِيُّ الْمُرُوزِيُّ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟

قَالَ: (جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَأَبْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

(جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ الدُّعَاءُ فِيهِ أَفْضَلُ أَوْ أَرْجَى) أَوْ نَحْوَ هَذَا انفرد به الترمذي.

3503 الترمذي - كتاب الدعوات - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ عِيسَى قَالَ حَدَّثَنِي مَعْنٌ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عُمَرُو بْنُ عَبْسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. ورواه: ابن ماجه.

2 - بين الأذان والإقامة:

196 الترمذي - كتاب الصلاة - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيْلَانَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَبُو أَحْمَدَ وَأَبُو نُعَيْمٍ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زَيْدِ الْعَمِيِّ عَنْ أَبِي إِيسَى مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

(الدُّعَاءُ لَا يَرُدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ) قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثٌ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه: أبو داود: أحمد في مسنده.

3 - ساعة الجمعة:

883 البخاري - كتاب الجمعة - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ:

(فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَقُلُّهَا. ورواه الثمانية.

4 - دعاء الوالدين والمسافر والمظلوم:

1313 أبو داود - كتاب الصلاة - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلَاثٌ دَعَوَاتٌ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ). ورواه الترمذي: أحمد في مسنده.

5 - الدعاء بصالح الأعمال:

2063 البخاري - كتاب البيوع - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَاَنْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمَلْتُمُوهُ.

فَقَالَ أَحَدُهُم: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَتْ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَخْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَأَتِي بِهِ أَبُوِّي فَيَسْرِبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَأَمْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ: فَكُرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا وَالصَّبِيَّةَ يَتَضَاعُونَ عِنْدَ رَجُلِي فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَ: لَا تَنَالَ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرَقُ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَوَزَعْتُهُ حَتَّى اسْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: أَنْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقَالَ اسْتَهْزِئْ بِي قَالَ: فَقُلْتُ: مَا اسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا، فَكُتِفَ عَنْهُمْ. ورواه مسلم: أبو داود: أحمد في مسنده.

6 - طلب الدعاء من الصالحين:

4613 مسلم - كتاب فضائل الصحابة - حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا وَاللَّفْظُ لَابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ:

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ. فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لِلَّهِ وَالِدَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهِمٍ لَهُ، وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْنَةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ). فَاسْتَغْفَرَ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةُ.

قَالَ: أَلَا أَكْتَبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهِمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْنَةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ) فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي قَالَ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي قَالَ لَقِيتَ عُمَرَ قَالَ نَعَمْ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَقَطَّنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ قَالَ أُسِيرٌ وَكَسَوْتُهُ بَرْدَةً فَكَانَ كُلَّمَا رَأَاهُ إِنْسَانٌ قَالَ مِنْ أَيْنَ لَاوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ. ورواه: مسلمي: أحمد في مسنده.

7 - دعاء الصائم والإمام العادل:

3522 الترمذي - كتاب الدعوات - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ سَعْدَانَ الْقُمِّيِّ عَنْ أَبِي مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مُدَّةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالدَّعْوَةُ الْمَطْلُومُ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَا نَصْرَتِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورواه: ابن ماجه.

8 - الدعاء بظهر الغيب للإخوان:

4912 مسلم - كتاب الذكر والدعاء - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ الْوَكَيْعِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيظٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ). ورواه: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

9 - دعاء المريض لعوده:

1431 ابن ماجه - كتاب الجنائز - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ فَإِنْ دُعَاةُ الْمَلَائِكَةِ). انفراد به.

10 - الكسب الحلال:

1686 مسلم - كتاب الزكاة - حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ). ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغِذْيَ الْحَرَامِ، فَأَتَى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ). ورواه: الترمذي: أحمد في مسنده: مسلمي.

11 - الدعاء يوم الإثنين والخميس وتجنب الخصومة مع أحد:

13 - وفي دُعاء الأحياء؛ وصدقَتُهُمْ مَنفَعَةٌ لِلأَمْواتِ؛

- دليل منفعة دعاء الأحياء للأَمْوات:

دعاء سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:
(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (41) سورة إبراهيم.

- ودعاء المؤمن لوالديه:

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)
(24) سورة الإسراء.

- ودعاء المؤمن للمؤمنين:

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (10) سورة
الحشر.

أخرج مسلم - كتاب الجنائز - عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ:
(السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ) وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْحَاقِقِينَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ)
ورواه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

- دليل منفعة صدقة الأحياء ووهب أجرها للأَمْوات:

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَا أَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (195) سورة آل عمران.
(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمٍ

4652 مسلم - كتاب البر والصلة - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُهَيْلٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
(تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلَحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلَحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ
حَتَّى يَصْطَلَحَا). ورواه: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط: مسلمي.

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) (1) سورة التوبة.
 (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطِئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121) سورة التوبة.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (قال مجاهد: هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لا محالة يوم القيامة كما قال:

"يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية".

وقال تعالى: "يوم تبلى السرائر".

وقال: "وحصل ما في الصدور".

وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا:

- كما قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أبي سعيد مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

"لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان".

وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ:

- كما قال أبو داود الطيالسي - وأسنده - عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك".

وقال الإمام أحمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عن سمع أنساً يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وأن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا".

وقال البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها "إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل:

"اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

وقد ورد في الحديث شبيهة بهذا قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا به فإن العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً.

وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته".

قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله؟

قال "يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه" تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) سورة الزلزلة.

فمن وهب أجر عمله لغيره فإن الله تعالى لا يضيعه له، بدأ من الذرة فما فوقها.

أخرج البخاري - كتاب الصوم - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن أمي ماتت، وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟ قال: (نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى). ورواه مسلم: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

أخرج البخاري - كتاب الوصايا - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر؟ فقال: (أقضه عنها) ورواه مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط.

أخرج مسلم - كتاب الصيام - عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: (وجب أجرك وردها عليك الميراث) قالت: يا رسول الله! إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: (صومي عنها) قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: (حجي عنها). ورواه: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

المبحث الخامس
الإيمانُ بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء؛
واستحالة أن يحيط شيء بالله تعالى:

- | |
|--|
| 1 - مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَفَوْقَهُ؛
2 - وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقُهُ؛ |
|--|

- دليل إحاطة الله تعالى بكل شيء:
- دليل فوقية القهر والرفعة والمكانة والعلو غير الحسي لله تعالى:
- دليل الكمال المطلق لله تعالى:
- لهذا جاء النهي عن ضرب الأمثال الناقصة لله تعالى:

المبحث الخامس
الإيمان بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء؛
واستحالة أن يحيط شيء بالله تعالى:

- 1 - مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَفَوْقَهُ؛
2 - وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقُهُ؛

- دليل إحاطة الله تعالى بكل شيء:

(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) سورة البقرة.
(إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) سورة آل عمران.
(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (108) سورة النساء.
(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً (126) سورة النساء.
(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) سورة الأنفال.
(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) سورة هود.
(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيراً (60) سورة الإسراء.
(أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54) سورة فصلت.
(وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21) سورة الفتح.
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12) الطلاق.

(لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)
(28) سورة الجن.

- دليل عدم الإحاطة بالله تعالى:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) سورة طه.

- دليل فوقية القهر والرفعة والمكانة والعلو المطلق (1) الله تعالى:

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18) سورة الأنعام. (2).

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ (3) وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (61) سورة الأنعام.

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) سورة النحل (4).

(1) تعني كلمة المطلق حيث لا زمان ولا مكان.

(2) قال القرطبي في تفسيره: القهر الغلبة، والقاهر الغالب، وأقهر الرجل إذا صير بحال المقهور الذليل؛ قال الشاعر:

تمنى حصين أن يسود جذاعه
فأمسى حصين قد أذل وأقهره
وقهر: غلب.

ومعنى (فوق عباده) فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم؛ أي هم تحت تسخيرهم لا فوقية مكان؛ كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة.

وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد. وقال ابن كثير في تفسيره: ولهذا قال تعالى "وهو القاهر فوق عباده" أي هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وعنت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه. "وهو الحكيم" أي في جميع أفعاله "الخبير" بمواضع الأشياء ومحالها فلا يعطي إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق.

(3) قال القرطبي في تفسيره: يعني فوقية المكانة والرتبة لا فوقية المكان والجهة.

(4) قال القرطبي في تفسيره: (قال ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما: إنه النمرود بن كنعان وقومه، أرادوا صعود السماء وقتل أهله؛ فبنوا الصرح ليصعدوا منه بعد أن صنع بالنسور ما صنع، فخر. كما تقدم بيانه في آخر سورة إبراهيم).

ومعنى "فاتى الله بنيانهم" أي أتى أمره البنيان، إما زلزلة أو ريحاً فخرته. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف.

(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50) سورة النحل.
(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (1) فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) سورة
الفتح. (2).

وقال كعب ومقاتل: كان طول فرسخين، فهبت ريح فألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي. ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفرع يومئذ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سمي بابل، وما كان لسان قبل ذلك إلا السريانية.

وقرأ ابن هرمز وابن محيصن "السقف" بضم السين والقاف جميعاً. وضم مجاهد السين وأسكن القاف تخفيفاً؛ كما تقدم في "وبالنجم" في الوجهين، والأشبه أن يكون جمع سقف. والقواعد: أصول البناء، وإذا اختلت القواعد سقط البناء.

وقوله: "من فوقهم" قال ابن الأعرابي: وكذا ليحكم أنهم كانوا حالين تحته. والعرب تقول: خر علينا سقف ووقع علينا حائط إذا كان يملكه وإن لم يكن وقع عليه. فجاء بقوله: "من فوقهم" ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب فقال: "من فوقهم" أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما أفلتوا.

وقيل: إن المراد بالسقف السماء؛ أي إن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم؛ قال ابن عباس. وقيل: إن قوله: "فأتى الله بنيانهم من القواعد" تمثيل، والمعنى: أهلكهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه.

وقيل: المعنى أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه. وقيل: المعنى أبطل مكرهم وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه. وعلى هذا اختلف في الذين خر عليهم السقف؛ فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم.

وقيل: إنه بختنصر وأصحابه؛ قال بعض المفسرين. وقيل: المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر؛ قال الكلبي: وعلى هذا التأويل يخرج وجه التمثيل، والله أعلم.

(1) قال القرطبي في تفسيره: قيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة.

وقال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة. وقال ابن كيسان: قوه الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" كقوله جل وعلا "من يطع الرسول فقد أطاع الله" "يد الله فوق أيديهم".

أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِعَعْمِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

وقد قال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله".

- دليل العلو المطلق المتجرد عن الزمان والمكان:

علو المخلوقين يكون بالزمان أو المكان أو بهما، والله تعالى خالق الزمان والمكان، فعلوه مطلق ليس فيه أي معنى من معاني المحدودية بالزمان أو المكان أو بهما:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ⁽¹⁾) (255) سورة البقرة.

و - أسند أيضاً - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر "والله لبيعته الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى".

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" ولهذا قال تعالى ههنا: "فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ".

أي إنما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه "ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما" أي ثوابا جزيلا.

وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قيل: ألفاً وثلاثمائة، وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة والأوسط أصح.

(1) قال ابن جرير في تفسيره: (وأما تأويل قوله: (وهو العلي) فإنه يعني: والله العلي. والفعل: الفعيل من قولك علا يعلو علواً: إذا ارتفع، فهو عال وعلي، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته.

وكذلك قوله: (العظيم) ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه.

كما حدثني المثني - وأسنده - عن ابن عباس: (العظيم: الذي قد كمل في عظمته).

واختلف أهل البحث في معنى قوله: (وهو العلي):

- فقال بعضهم: يعني بذلك؛ وهو العلي عن النظر والأشباه، وأنكروا أن يكون معنى ذلك: وهو العلي المكان، وقالوا: غير جائز أن يخلو منه مكان، ولا معنى لوصفه بعلو المكان؛ لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان.

- وقال آخرون: معنى ذلك: وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلق دونه، كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عال بذلك عليهم.

وكذلك اختلفوا في معنى قوله: (العظيم):

- فقال بعضهم: معنى العظيم في هذا الموضع: المعظم صرف المفعول إلى فعيل، كما قيل للخمر المعتقة: خمر عتيق، كما قال الشاعر:

ممزوجة بماء زلال

وكان الخمر العتيق من الإسفنت

وإنما هي معتقة. قالوا: فقوله "العظيم" معناه: المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه. قالوا: وإنما يحتمل قول القائل: هو عظيم أحد معنيين:

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ⁽¹⁾) (62) سورة الحج، وسورة لقمان آية 30 .

- أحدهما: ما وصفنا من أنه معظم؛
- والآخر: أنه عظيم في المساحة والوزن.
قالوا: وفي بطول القول بأن يكون معنى ذلك: أنه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا.
- وقال آخرون: بل تأويل قوله: (العظيم) هو أن له عظمة هي له صفة. وقالوا: لا نصف عظمته بكيفية، ولكننا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات، وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد، لأن ذلك تشبيه له بخلقه، وليس كذلك.
وأكرر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها، وقالوا: لو كان معنى ذلك أنه معظم، لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق، وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق، لأنه لا معظم له في هذه الأحوال.
- وقال آخرون: بل قوله: إنه العظيم وصف منه نفسه بالعظم. وقالوا: كل ما دونه من خلقه فيمعنى الصغر لصغرهم عن عظمت) انتهى.
وتتبع القرطبي ابن جرير في تفسيره: (و"العلي" يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان؛ لأن الله منزّه عن التحيز.
وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه.
قال ابن عطية: وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه ألا يحكى.
وعن عبد الرحمن بن فرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به سمع تسبيحاً في السموات العلى: (سبحان الله العلي الأعلى) سبحانه وتعالى.
والعلي والعالي: القاهر الغالب للأشياء؛ تقول العرب: علا فلان فلاناً أي غلبه وقهره؛ قال الشاعر:
فلما علونا واستويناهم عليهم
تركناهم صرعى لنسر وكاسر
ومنه قوله تعالى: "إن فرعون علا في الأرض" [القصص: 4].
و "العظيم" صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف، لا على معنى عظم الأجرام.
وحكى الطبري عن قوم أن العظيم معناه المعظم، كما يقال: العتيق بمعنى المعتق، وأنشد بيت الأعشى:
فكأن الخمر العتيق من الإسـ
فقط ممزوجة بماء زلال
وحكى عن قوم أنهم أنكروا ذلك وقالوا: لو كان بمعنى مُعَظَم لوجب ألا يكون عظيماً قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم؛ إذ لا معظم له حينئذ. انتهى.
ونذكر الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في (زاد المسير في علم التفسير) في تفسير **قول الله تعالى (العلي العظيم)** [سورة البقرة: 255].
"والعلي: العالي القاهر، «فعل» بمعنى «فاعل» قال الخطابي:
وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال كقوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5] ، ويكون ذلك من علاء المجد والشرف، يقال منه: على يعلي علاءً.
ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى منصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام. " اهـ.
(1) قال ابن جرير في تفسيره: (وقوله: (وأن الله هو العلي الكبير) يعني بقوله: (العلي) ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه.
{الكبير} يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.) انتهى.

(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23) سورة سبأ.
(ذَلِكُمْ بَيِّنَةٌ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12) سورة غافر.
(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4) سورة الشورى.
(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) (1) سورة الأعلى.

وقال القرطبي في تفسيره: (أي العالي على كل شيء بقدرته، والعالي عن الأشباه والأنداد، المقدس عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله.) انتهى.

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك، ونزهه.) انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (يستحب للقارئ إذا قرأ "سبح اسم ربك الأعلى" أن يقول عقبه: سبحان ربي الأعلى؛ قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وقاله جماعة من الصحابة والتابعين؛ على ما يأتي....
وقال ابن عباس والسدي: معنى "سبح اسم ربك الأعلى" أي عظم ربك الأعلى. والاسم صلة، قصد بها تعظيم المسمى؛ كما قال لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقيل: نزه ربك عن السوء، وعما يقول فيه الملحدون.

وذكر الطبري أن المعنى نزه اسم ربك عن أن تسمي به أحدا سواه.

وقيل: نزه تسمية ربك وذكرك إياه، أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم، ولذكره محترم. وجعلوا الاسم بمعنى التسمية، والأولى أن يكون الاسم هو المسمى.

روى نافع عن ابن عمر قال: لا تقل على اسم الله؛ فإن اسم الله هو الأعلى.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: صلّ بأمر ربك الأعلى. قال: وهو أن تقول سبحان ربك الأعلى.

وروي عن علي رضي الله عنه، وابن عباس وابن عمرو وابن الزبير وأبي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: سبحان ربي الأعلى؛ امتثالاً لأمره في ابتدائها.

فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم؛ لا أن سبحان ربي الأعلى من القرآن؛ كما قاله بعض أهل الزيغ.

وقيل: إنها في قراءة أبي: "سبحان ربي الأعلى". وكان ابن عمر يقرأها كذلك.

وفي الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال: [سبحان ربي الأعلى]....

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت "سبح اسم ربك الأعلى" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم). وهذا كله يدل على أن الاسم هو المسمى؛ لأنهم لم يقولوا: سبحان اسم ربك الأعلى....

وقال الحسن: "سبح اسم ربك الأعلى" أي صلّ لربك الأعلى. وقل: أي صلّ بأسماء الله، لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية.

وقيل: ارفع صوتك بذكر ربك. قال جرير:

سبح الحجيح وكبروا تكبيرا).

قبح الإله وجوه تغلب كلما

(إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) (20) سورة الليل.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم لحديث الجارية :

(قوله صلى الله عليه وسلم: (أَيْنَ اللَّهُ؟)، قالت: في السماء قال: (من أنا؟)، قالت: أنت رسول الله، قال: (أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) (1) هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان:

أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أن الله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (11) [سورة الشورى]. وتنزيهه عن سمات المخلوقات.

والثاني: تأويله بما يليق به، فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها:

- هل هي موحدة؟ تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما إذا صلى المصلي استقبل الكعبة؟ وليس ذلك؛ لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصرًا في جهة الكعبة، بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلين.

- أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم؟، فلما قالت: في السماء، علم أنها موحدة وليست عابدة للأوثان.

قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: (أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) (الملك: 16)، ونحوه ليست على ظاهرها، بل متأولة عند جميعهم.

- فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكيف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول: في السماء، أي: على السماء.

- ومن قال من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد واستحالة الجهة في حقه سبحانه وتعالى تأولوها تأويلات بحسب مقتضاها، وذكر نحو ما سبق.

قال: ويا ليت شعري ما الذي جمع أهل السنة وألحق كلهم على وجوب الإمساك عن الفكر في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل، **واتفقوا على تحريم التكيف والتشكيل**، وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شاك في الوجود والموجودة، وغير قادح في التوحيد، بل هو حقيقته، ثم تسامح بعضهم بإثبات

انتهى باختصار.

(أخرج مسلم والنسائي وأبوداود وأحمد ومالك، وفي رواية أبي داود (فأشارت إلى السماء).

الجهة خاشياً من مثل هذا التسامح.

وهل بين التكيف وإثبات الجهات فرق؟:

لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده، وأنه استوى على العرش، مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في المعقول غيره، وهو قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (11) [سورة الشورى]. عصمة لمن وفقه الله تعالى، وهذا كلام القاضي رحمه الله تعالى...) انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد - وأسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده⁽¹⁾ قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً؛ ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، حتى احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: "مهلاً يا قوم!، بهذا أهلك الأُمم من قبلكم؛ باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، إنما نزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه".

فلا بد من اتباع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)، وأما ادعاء بعضهم بأنه لا بد من معرفة ذلك، لأن الله تعالى لم يخاطبنا بكلام لا نفهمه، بل خاطبنا بكلام نفهمه.

والإجابة من ناحية النقل كما ورد آنفاً (فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)، وأما من ناحية العقل: فهل مدعي ذلك أحاط بكلام العرب حتى يقول مقالته؟!، وهل لا يكتفي سكوت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في مثل تلك المسائل؟، وهل لا يكتفي وقف السلف الصالح على الوقف عند قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) سورة آل عمران، فإذا لم يفكه ذلك فلا حاجة لنا في نصحه بعد كل ذلك.

(1) هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أسلم قبل والده قاله الذهبي في الكاشف.

المبحث السادس

الإيمان بأن العرش والكرسي حق:

- 1 - (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ) كَمَا بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ؛
- 2 - (وَهُوَ) جَلَّ وَعَلَا (مُسْتَعْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)؛

- سنذكر الآيات التي ورد فيها ذكر العرش:
- وأما الكرسي فدليله آية الكرسي:
- والعرش والكرسي - إن كان معناه حسي - فمخلوقان سيفنيان:

المبحث السادس الإيمان بأن العرش والكرسي حق:

- 1 - (والعرش والكرسي حق) كما بين في كتابه؛
- 2 - (وهو) جل وعلا (مستغن عن العرش وما دونه)؛

- الآيات التي ورد فيها ذكر العرش وهو مخلوق لله تعالى:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (1) يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف.
(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) سورة التوبة.

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) سورة يونس.

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) سورة هود.

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) سورة الرعد.

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42)

(١) قال ابن كثير في تفسيره: وأما قوله تعالى "ثم استوى على العرش" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه (وليس كمثله شيء وهو السميع البصير (11) [سورة الشورى].

بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى انتهى.

سورة الإسراء.

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) سورة طه.
(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)
الأنبياء.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) المؤمنون.
(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) سورة
المؤمنون.

(الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) سورة الفرقان.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) سورة النمل.
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) سورة السجدة.
(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) سورة الزمر.

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) سورة غافر.

(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) سورة غافر.

(سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) سورة
الزخرف.

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ
مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) سورة الحديد.

(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) سورة
الحاقة.

(ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) سورة التكويد.

(ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) سورة البروج.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: وكان يقول في معنى الاستواء: (هو
العلو والارتفاع، ولم يزل الله عالياً رفيعاً قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء

والعالي على كل شيء، وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله تعالى نفسه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا، ولا يجوز أن يقال: استوى بمماساة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والله تعالى لم يلحقه تغيير ولا تبديل، ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش، ولا بعد خلق العرش⁽¹⁾.

- وأما الكرسي فدليله آية الكرسي:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) سورة البقرة.

- والعرش والكرسي - إن كان معناه الحسي - مخلوقان سيفنيان كما قال

الله تعالى:

(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (88) (2) سورة القصص.

(1) عقيدة الإمام أحمد المطبوعة في آخر المجلد الثاني من طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ص 297.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله: "ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو" أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته).

وقوله "كل شيء هالك إلا وجهه" إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى:

"كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ههنا: "كل شيء هالك إلا وجهه" أي إلا إياه.

وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقال مجاهد والثوري في قوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" أي إلا ما أريد به وجهه، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه *** رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشرعية.

والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) (1) سورة الرحمن.

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار - وأسنده - عن أبي الوليد قال: كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول "كل شيء هالك إلا وجهه".

وقوله: "له الحكم" أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه. "واليه ترجعون" أي يوم معادكم فيجزيك بأعمالكم إن كان خيرا فخير وإن شرا فشر. انتهى باختصار.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون؛ وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا. قال قتادة: أنبأ بما خلق، ثم أنبأ أن ذلك كله فان.

وفي الدعاء المأثور: يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك. وقال الشعبي: إذا قرأت "كل من عليها فان" فلا تسكت حتى تقرأ "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام".

وهذه الآية كقوله تعالى "كل شيء هالك إلا وجهه". وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام: أي هو أهل أن يجلس فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه" وكقوله إخبارا عن المتصدقين: "إنما نطعمكم لوجه الله".

قال ابن عباس: ذو الجلال والإكرام ذو العظمة والكبرياء، ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: "فبأي آلاء ربكما تكذبان".

وقال القرطبي في تفسيره: (الضمير في "عليها" للأرض، وقد جرى ذكرها في أول السورة في قوله تعالى: "والأرض وضعها للأنام" [الرحمن: 10].

وقد يقال: هو أكرم من عليها يعنون الأرض وإن لم يجر لها ذكر.

وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فنزلت: "كل شيء هالك إلا وجهه" [القصص: 88] فأيقنت الملائكة بالهلاك، وقاله مقاتل.

ووجه النعمة في فناء الخلق، التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب.

(وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، قال الشاعر:

قضى على خلقه المنايا فكل شيء سواه فاني

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم.

وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه كما قال: "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"

المبحث السابع الإيمان بصفات أفعال الله سبحانه

وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى، وهو الذي ارتضاه شيخنا.

ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: **"ويبقى وجه ربك"** والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى. وقد مضى في **"البقرة"** القول في هذا عند قوله تعالى: **"فأينما تولوا فثم وجه الله"** [البقرة: 115] وقد ذكرناه في الكتاب الأسنى مستوفى. قال القشيري: قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تكيف، يحصل بها الإقبال على من أراد الرب تخصيصه بالإكرام. **والصحيح أن يقال: وجهه وجوده وذاته، يقال: هذا وجه الأم ووجه الصواب وعين الصواب.**

وقيل: أي يبقى الظاهر بأدلتها كظهور الإنسان بوجهه.

وقيل: وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله. انتهى.

قال القرطبي في تفسيره عند ذكر آية الكرسي (الآية 255) من سورة البقرة:

والعلي (أي من أسماء الله تعالى) يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزّه عن التحيز. والعلو والعالى القاهر الغالب للأشياء، تقول العرب علا فلان فلاناً أي غلبه وقهره، قال الشاعر:

فلما علونا واستويناهم * تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ومنه قوله تعالى: **"إن فرعون علا في الأرض."**

والعظيم (من أسمائه عز وجل) صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف لا على معنى عظم الأجرام. اهـ.

يريد القرطبي رحمه الله أن الله منزّه عن المكان وعن الجسمية وسائر صفات الأجسام لاستحالة ذلك عليه عقلاً وشرعاً سبحانه، وفي كلامه كذلك دليل على أن الاستواء يجوز أن يطلق بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة بلا مغالبة لقوله إن العلي معناه القاهر الغالب للأشياء. والأصل قول الله تعالى: **"وهو القاهر فوق عباده"**، وقول الله تعالى: **"والله غالب على أمره"**.. وهذا كلام الله تعالى من أنكر لفظه أو معناه كان ضالاً من الضالين....

فلو أنهم تفسر الاستواء في آية سورة طه بالغلبة والقهر والاستيلاء وهو هنا جائز لا واجب، مغالبة بين الله وخلقه، لكن قوله تعالى **"والله غالب على أمره"** أولى بالإيهام، ولكن هذا غير جائز ولا سديد بل هو ضلال مبين، وقد قال الله تعالى: **"كتب الله لأغلبن أنا ورسلي"**، ثم العرب قالت **وليغلبن مغالب الغلاب** (انظر لسان العرب لابن منظور)، قوله ليغلبن هو بفتح اللام في أوله وضم الياء وتسكين الغين وفتح اللام والباء والنون المشددة.

فوصف الله تعالى بالغلبة والقهر والاستيلاء وأنها من معاني الاستواء الجائزة في حق الله تعالى، معروف عند العرب وهو في كتاب الله تعالى، ومن رده فلجهله، والأصل في ذلك نفاذ مشيئة الله تعالى في العرش الممسوك بقدرة الله تعالى، فغيره مما هو أصغر منه الله أقدر عليه نافذة مشيئته تعالى في الكلّ بلا مضاد ولا ممانعة سبحانه، وخصّ الله تعالى العرش بالذكر وإن كان قاهرّاً له ولكلّ ما سواه، كما خصّ تعالى العرش بالذكر في قوله تعالى **"وهو ربّ العرش العظيم"** مع أنه عز وجلّ ربّ لكلّ شيء، فالعرش ليس استثناء في كونه مربوباً لله تعالى سبحانه ليس كمثله شيء.

- 1 - خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ؛
- 2 - رَازِقٌ بِلَا مَوْوَنَةٍ (مؤنة - ب)؛
- 3 - مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ؛
- 4 - بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ؛
- 5 - مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ؛
لَمْ يَزِدْ (يزد - ب) بِكُونِهِمْ شَيْئًا؛ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ؛
- 6 - وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا؛
كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا؛
- 7 - لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتِفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ؛
وَلَا بِإِحْدَاثِهِ (بِإِحْدَاثٍ - ب) الْبَرِيَّةِ اسْتِفَادَ اسْمَ الْبَارِي؛
- 8 - (لَهُ مَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ،
وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ - أ - غ)؛
- 9 - (وَكَمَا أَنَّهُ مُخَيِّي الْمَوْتِ بَعْدَ مَا أَحْيَا؛
- اسْتَحَقَّ هَذَا الْاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ؛
كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ (سقطت من ب)؛

المبحث السابع الإيمان بصفات الأفعال (1)

- 1 - خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ؛
- 2 - رَازِقٌ بِلَا مَوْئِنَةٍ (مؤنة - ب)؛
- 3 - مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ؛
- 4 - بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ؛

- دليل خالق بلا حاجة:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) سورة الذاريات.

- دليل رازق بلا مؤونة:

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) سورة الأنعام. (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ **وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ** إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ (89) سورة المؤمنون.

- دليل مميت بلا مخافة:

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) سورة البقرة.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) سورة البقرة.

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) سورة آل عمران. (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) سورة آل عمران.

(1) صفات أفعال الله تعالى: هي كل صفة يوصف بها الله تعالى وضدها، نحو: المحي المميت، الخافض الرافع، القابض الباسط... وأما صفات الذات: فهي كل صفة ثبتت لله تعالى، ولا يجوز أن يوصف بضدها. قاله القاري في شرح الفقه الأكبر والله أعلم.

(الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168) سورة آل عمران.

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) سورة آل عمران.

(أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) سورة النساء.

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) سورة الأنعام.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) سورة الأنعام.

(قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) سورة الأعراف.

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) سورة الملك.

- دليل باعث بلا مشقة:

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَا تُوقَفُونَ (95) سورة الأنعام.

(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) سورة الأعراف.

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) سورة الروم.

5 - مازال بصفاته قديماً قبل خلقه؛

لم يزد (يزد - ب) بكونهم شيئاً؛ لم يكن قبلهم من صفته؛

6 - وكما كان بصفاته أزلياً؛

كذلك لا يزال عليها أبدياً؛

7 - ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق؛

ولا بإحداثه (بإحداث - ب) البرية ِ استَفَادَ اسْمَ الْبَارِي؛
8 - (لَهُ مَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ،
وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ - أ - غ)؛ 116/1

الشرح: هذا رد على الفلاسفة الذين قالوا بقدّم المخلوقات أو بالقدم النوعي، وحجتهم بأنه حتى يوصف الله تعالى بالخالقية فلا بد من وجود المخلوق، فخلق العرش ثم مات ثم خلق عرشاً ثانياً فمات ثم ثالثاً، وهكذا فما زال المخلوق موجوداً مع الخالق وسموه بالقدم الخلق النوعي، وليس بقدّم مخلوق معين، وهذا باطل للأدلة التالية:

إن القائل بالقدم النوعي قد قاس أفعال المخلوق على فعل الله تعالى، وشتان بين فعل الخالق وفعل المخلوق، فالمخلوق حتى يتصف بصفة لا بد أن تظهر في أفعاله، فالنجار لا بد له من فعل النجارة حتى يكتسب اسم وصفة النجارة، والذكي لا بد أن يظهر عليه أمارات الذكاء حتى يوصف بها، وهكذا، وأما الخالق فيوصف بصفة الفعل قبل أن يفعل، كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله:

5 - مازال بصفاته قديماً قبل خلقه؛ لم يزد (يزد - ب) بكونهم شيئاً؛ لم يكن قبلهم من صفته؛ وكما كان بصفاته أزلياً؛ كذلك لا يزال عليها أبدياً؛ ليس منذ خلق الخلق استَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ؛ ولا بإحداثه (بإحداث - ب) البرية ِ استَفَادَ اسْمَ الْبَارِي؛ (لَهُ مَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ - أ - غ)؛ 116/1

هذا رد على من قال بالقدم النوعي من القدماء والمعاصرين:
إن هناك فارق كبير بين أسماء الله تعالى وأفعاله عن أسماء المخلوق وفعله، فأفعال الله تعالى مشتقة من أسمائه، وأما المخلوق فاسمه مشتق بعد فعله.
ففي كتاب التوحيد لابن منده قال:

(ومن أسماء الله عز وجل **الرحمن الرحيم** قال أهل التأويل: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فقوله **الرحمن** يجمع كل معاني الرحمة من الرأفة والشفقة والحنان واللطف والعطف قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قوله عز وجل: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) (مريم: من الآية 65) قال: ليس أحد يسمى الرحمن غيره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **قال الله عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرحم،**

وشققت لها اسماً من اسمي" (1) وهذا الخبر يدل على أن جميع أفعال الله عز وجل مشتقة من أسمائه بخلاف المخلوق، مثل الرازق والخالق والباعث والوهاب ونحوها تقدم أسماؤه على أفعاله، بمعنى أنه يخلق ويرزق ويبعث ويهب ويحيي ويميت، وأسماء المخلوق مشتقة من أفعالهم) انتهى.

وإن الله تعالى (هو الأول) فهو الأزلي القديم، وغيره الثاني مخلوق محدث، وهو (الآخر) فهو الأبدي السرمدي.

وإليك مزيد إيضاح: إن الله تعالى له صفات الذات: وهي الصفات التي لا يجوز أن يوصف بضدها، نحو: الحي - السميع - القادر، العالم..، وله صفات الأفعال: وهي الصفات التي يوصف بها وبضدها - كما قاله ملا علي القاري في شرحه على الفقه الأكبر - نحو: المحي المميت، المعطي المانع، الخافض الرافع، القابض الباسط، المعز المذل، فصفات الأفعال (المذكورة في القرآن والسنة الصحيحة) موصوف بها قبل وبعد أن فعل الفعل، قال تعالى: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) سورة الروم.

لقد من الله تعالى على الإنسان أنه لم يك شيئاً، ومر حين من الدهر لم يكن مخلوقاً: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) (الانسان:1)، فالعدم سابق لجميع المخلوقات، بدليل قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك:2)، فالعدم سابق للحياة، وكلاهما مخلوقان لله تعالى، وقد وضع الله تعالى أنه لم يشهد أحد خلقه للمخلوقات فقال: (مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا) (الكهف:51)

وقوله تعالى: (وَالْفَجْرِ) (الفجر:1)، وقوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق:1)، فالفجر الأول مخلوق، والفلق الأول مخلوق.

- أدلة بدء الخلق من القرآن، وبطلان القدم النوعي مع الله تعالى:

1 - (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) (يونس:4) .

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في قطيعة الرحم - حديث: 1879، وسنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم - حديث: 1457، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وغيرهم.

- 2 - (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤَفَّكُونَ) (يونس:34)
- 3 - (أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (النمل:64)
- 4 - (اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (الروم:11)
- 5 - (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (العنكبوت:19)
- 6 - (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت:20).
- 7 - (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم:27)
- 8 - (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) (البروج:13)
- فإن الله هو الوحيد الذي يبدئ ويعيده كما هو، أما البشر فلا يستطيعون أن يعيدوه كما بدؤوه، وقد من الله على البشر من خلال الآيات السابقة أن يتفكروا في بدئ ما خلقه الله، ليقروا بربوبيته تعالى ومن ثم بألوهيته سبحانه على الخلق فلا يعبدوا إلا إياه.

- أدلة بدء الخلق من السنة النبوية:

الرواية الأولى - استدلال الإمام البخاري على بدء الخلق:

- 1 - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) ⁽¹⁾ - حديث: 3034

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا بني تميم أبشروا" قالوا: بشرتنا فأعطنا،

(¹) (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم:27)

فتغير وجهه، فجاءه أهل اليمن، فقال: " يا أهل اليمن، اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم "، قالوا: قبلنا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم **يحدث بدء الخلق والعرش**، فجاء رجل فقال: يا عمران راحلتك تفلتت، ليتني لم أقم.

2 - صحيح البخاري - **كتاب بدء الخلق** - باب ما جاء في قول الله تعالى: وهو الذي يبدأ - حديث: 3035

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: " اقبلوا البشرى يا بني تميم "، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم "، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: **" كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض "** فنادى مناد: ذهب ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لو ددت أني كنت تركتها، وروى عيسى، عن رقية، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: سمعت عمر رضي الله عنه، يقول: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. ⁽¹⁾.

(1) قال الحافظ في الفتح: (قالوا جئنا نسألك) كذا الكشميهني، ولغيره " جئناك لنسألك " وزاد في التوحيد " ونتفقه في الدين " وكذا هي في قصة نافع بن زيد التي أشرت إليها أنفاً.

قوله: (عن هذا الأمر) أي الحاضر الموجود، والأمر يطلق ويراد به المأمور ويراد به الشأن والحكم والحث على الفعل غير ذلك.

قوله: (كان الله ولم يكن شيء غيره).
في الرواية الآتية في التوحيد " ولم يكن شيء قبله " .
وفي رواية غير البخاري " ولم يكن شيء معه " .
والقصة متحدة فاقترض ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى، ولعل راويها أخذها من قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة الليل - كما تقدم من حديث ابن عباس - : **" أنت الأول فليس قبلك شيء "** .
لكن رواية الباب أصرح في العدم.
وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى " ويكون قبله " **وكان عرشه على الماء " معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء** .
وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ: **" كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن "** . فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش.

قوله: (وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو، ووقع في الرواية التي في التوحيد: " ثم خلق السموات والأرض " ولم يقع بلفظ " ثم " إلا في ذكر خلق السموات والأرض. وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: (أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء). وهذا الحديث يؤيد رواية من روى " ثم خلق السموات والأرض " باللفظ الدال على الترتيب. (تنبيه): وقع في بعض الكتب في هذا الحديث " كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان " وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية، وهو مسلم في قوله، " وهو الآن " إلى آخره، وأما لفظ " ولا شيء معه " فرواية الباب بلفظ " ولا شيء غيره " بمعناها.

ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور " كان الله لا شيء غيره " بغير واو. قوله: (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي: هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء، ولم يعارضه في الأولية، لكن أشار بقوله: " وكان عرشه على الماء " إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقاً قبل خلق السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء. ومحصل الحديث أن مطلق قوله " وكان عرشه على الماء " مقيد بقوله " ولم يكن شيء غيره ".

والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدث بعد العدم. وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً: (أن الماء خلق قبل العرش).

وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة: " أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء ". وأما ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: " أول ما خلق الله القلم، ثم قال اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ". فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي أنه قيل له: اكتب أول ما خلق. وأما حديث: " أول ما خلق الله العقل " فليس له طريق ثبت، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله والله أعلم.

وحكى أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً العرش أو القلم؟ قال: والأكثر على سبق خلق العرش، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني.

وروى ابن أبي حازم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش: اكتب، فقال وما أكتب؟ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة ".

ذكره في تفسير سورة سبحان، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش، بل فيه سبق العرش. وأخرج البيهقي في " الأسماء والصفات " من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: " أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: يارب وما أكتب؟ قال أكتب القدر، فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ".

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال: " بدء الخلق العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء ". والجمع بين هذه الآثار واضح.

ورواه بهذا اللفظ (كان الله ولم يكن غيره) كل من المحدثين:

1 - صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ - ذكر الإخبار عما كان عليه العرش قبل خلق الله جل و علا - حديث: 6233 بسنده: أخبرنا النضر بن محمد بن محمد بن المبارك، قال: حدثنا محمد بن عثمان العجلي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، عن شيبان، عن الأعمش...

2 - مشكل الآثار للطحاوي - باب بيان مشكل قول الله عز وجل: ولقد كتبنا في حديث: 4926 بسنده: ووجدنا جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي قد حدثنا قال: حدثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش...

3 - السنن الكبرى للبيهقي - كتاب السير - باب مبتدأ الخلق - حديث: 16451 بسنده: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأ عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عمر بن حفص، ثنا أبي، ثنا الأعمش...

4 - المعجم الكبير للطبراني - من اسمه عبد الله - من اسمه عفيف - صفوان بن محرز المازني عن عمران بن حصين - حديث: 15316 بسنده: حدثنا عبيد بن غنام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش..

5 - شعب الإيمان للبيهقي - الخامس من شعب الإيمان - حديث: 177 وروينا، عن عمران بن حصين..

6 - الاعتقاد للبيهقي - باب في ذكر صفة الفعل - حديث: 33 بسنده: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عمر بن حفص بن غياث، ثنا أبي، ثنا الأعمش، ثنا جامع بن شداد،

قوله: (وكتب) أي قدر (في الذكر) أي في محل الذكر أي في اللوح المحفوظ (كل شيء) أي من الكائنات.

وفي الحديث: - جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك. - وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك، وعليه الكف إن خشي على السائل ما يدخل على معتقده.

- وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن، لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة.

- واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة أن الكلام في أصول الدين وحدث العلم مستمران في ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم في أبي الحسن الأشعري، أشار إلى ذلك ابن عساكر.. والله أعلم.. انتهى.

وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، أنا بشر بن موسى، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش..

7 - الرد على الجهمية للدارمي - باب الإيمان بالعرش - حديث: 13 بسنده:

وحدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي، أنبأ أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش...

8 - حلية الأولياء - أبو إسحاق الفزاري - حديث: 12429 بسنده:

حدثنا محمد بن أحمد، ثنا بشر بن موسى، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن صالح، عن عمران بن حصين، قال: " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعقلت ناقتي بالباب، فدخلت فأتاه نفر من أهل اليمن، فقال: " اقبلوها يا أهل اليمن إذا لم يقبلها إخوانكم بنو تميم، فقالوا: قبلنا يا رسول الله أتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: **كان الله ولم يكن شيء غيره** وكان عرشه على الماء ثم كتب جل ثناؤه في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض ثم أتاني، فقال: أدرك ناقتك فقد ذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب، وأيم الله لو ددت أني تركتها " صحيح متفق عليه⁽¹⁾ حدث به الإمام أحمد بن حنبل عن أبي معاوية، عن أبي إسحاق الفزاري ورواه أبو عوانة وغيره أيضا عن الأعمش، مثله

ورواه المسعودي من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفرد به *
9 - الأوائل لابن أبي عاصم - حديث: 154 بسنده: حدثنا أبو بكر، ثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش...

الرواية الثانية: في صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب وكان عرشه على الماء - حديث: 7004: حدثنا عبدان، قال: أخبرنا أبو حمزة، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين، قال: إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: " اقبلوا البشرى يا بني تميم "، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم "، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: **" كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء "**، ثم أتاني

(¹) لم أجده في صحيح مسلم (م نور).

رجل، فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم⁽¹⁾.

قام الباحث د صلاح الدين بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد سعيد الإدلبي بدراسة حديثية وأسانيد كل رواية تحت عنوان (حديث (كان الله ولم يكن شيء غيره) رواية ودراية وعقيدة⁽¹⁾)، فقال:

(١) قال الحافظ في الفتح: (قوله (جنئك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان) هذه الرواية أتم الروايات الواقعة عند المصنف، وحذف ذلك كله في بعضها أو بعضه، ووقع في رواية أبي معاوية عن الأعمش عند الإسماعيلي: "قالوا قد بشرتنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان" ولم أعرف اسم قائل ذلك من أهل اليمن، والمراد بالأمر في قولهم "هذا الأمر" تقدم بيانه في بدء الخلق. قوله (كان الله ولم يكن شيء قبله) تقدم في بدء الخلق بلفظ "ولم يكن شيء غيره" وفي رواية أبي معاوية: "كان الله قبل كل شيء" وهو بمعنى "كان الله ولا شيء معه".

وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب، وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها، مع أن قضية الجمع بين الروایتين تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق لا العكس، والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق.

قال الطيبي: قوله: (ولم يكن شيء قبله) حال، وفي المذهب الكوفي خبر، والمعنى يساعده إذ التقدير كان الله منفرداً.

وقد جوز الأخفش دخول الواو في خبر كان وأخواتها نحو: كان زيد وأبوه قائم، على جعل الجملة خبراً مع الواو تشبيهاً للخبر بالحال، ومال التوربشتي إلى أنهما جملتان مستقلتان، وقد تقدم تقريره في بدء الخلق.

وقال الطيبي لفظة "كان" في الموضوعين بحسب حال مدخولها: فالمراد بالأول الأزلية والقدم، وبالثاني الحدوث بعد العدم.

ثم قال فالحاصل أن عطف قوله (وكان عرشه على الماء) على قوله "كان الله" من باب الإخبار عن حصول الجملتين في الوجود وتقويض الترتيب إلى الذهن قالوا: و(فيه) بمنزلة (ثم).

وقال الكرمانى قوله: (وكان عرشه على الماء) معطوف على قوله: (كان الله) ولا يلزم منه المعية إذ اللازم من الواو العاطفة الاجتماع في أصل الثبوت وإن كان هناك تقديم وتأخير.

قال غيره: ومن ثم جاء شيء غيره ومن ثم جاء قوله "ولم يكن شيء غيره" لنفي توهم المعية.

قال الراغب: (كان) عبارة عما مضى من الزمان، لكنها في كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية كقوله تعالى: (وكان الله بكل شيء عليمًا).

قال: وما استعمل منه في وصف شيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فللتنبية على أن ذلك الوصف لازم له أو قليل الانفكاك عنه، كقوله تعالى: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الاسراء: من الآية 27)، وقوله: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) (الاسراء: من الآية 67)، وإذا استعمل في الزمن الماضي جاز أن يكون المستعمل على حاله، وجاز أن يكون قد تغير، نحو: كان فلان كذا ثم صار كذا.

واستدل به على أن العالم حادث لأن قوله "ولم يكن شيء غيره" ظاهر في ذلك فإن كل شيء سوى الله وجد بعد أن لم يكن موجوداً.. انتهى باختصار.

نبذة تعريفية بالبحث

من المعلوم في العقيدة الإسلامية أن علماء المسلمين أجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، وأن ما سواه مخلوق وأن الله هو خالقه، سواء في ذلك العرش فما دونه.

وهذا يعني أن الله سبحانه كان قبل أن يخلق العرش وما سواه، وكان جلّ جلاله ولم يكن شيء غيره، أي لم يكن شيء معه، كما لم يكن شيء قبله . لكن شذ بعض العلماء وخالف في أن الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء غيره، فهو يثبت أنه كان ولم يكن شيء قبله، ويردّ أنه كان ولم يكن شيء معه . ومن المعلوم أن الإمام البخاري رحمه الله روى في صحيحه حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما من طريقين بلفظين، أحدهما «كان الله ولم يكن شيء غيره»، والآخر «كان الله ولم يكن شيء قبله» .

واللفظان عند الجمهور صحيحان في المعنى، وهم قائلون بهما كليهما، وتمسك المخالف بالثاني، وزعم أن اللفظ الأول ليس من قول النبي ﷺ، وأنه من باب الرواية بالمعنى، فإن كان اللفظ الثابت عن النبي ﷺ هو الثاني فهذا لا يضيرهم، لأنهم قائلون بمقتضى اللفظين جميعاً، وإذا كان الثابت عنه ﷺ هو الأول فإنه يكون برهاناً ساطعاً لصحة مذهبهم وحجة قاطعة على فساد مذهب خصمهم .

فماذا تقول الدراسة الحديثية في ترجيح أحد اللفظين؟ حتى نلزم ما ثبت عن نبينا ﷺ، ففي قوله الحكمة، وفي هديه الشفاء.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه ومجتباؤه، من يطع الله ورسوله فقد هُدي ورشّد، ومن يعصهما فقد ضل وغوى، ولا يضر إلا نفسه .
أما بعد :

١ (الشابكة <http://www.pdfactory.com>، ثم طلبته من الباحث شخصياً على شكل وورد، فأرسله مشكوراً، وأورده هنا مع هوامشه كاملاً زيادة في الفائدة، والمنهجية في الترجيح، والعدالة في المنطق والحوار، والله ولي التوفيق.

فمن المعلوم الواضح أن علماء المسلمين كانوا يحتجون في محاوراتهم في مسائل المعتقدات بالأدلة العقلية والنقلية، وقد يستدلون بالمعقول تارة، وبالمقول تارة أخرى، ويرون أن دلالة العقل القطعية لا تتعارض مع دلالة النصوص القطعية، لأن الحقائق يعضد بعضها بعضاً، ويستحيل أن يناقض بعضها بعضاً . ومن المعلوم أن المسائل الأساسية الكبرى في العقيدة ليست محل خلاف بين علماء المسلمين، وإنما وقع الاختلاف عند الخوض في تكييف تلك المسائل، أو عند مجاوزتها إلى المسائل الفرعية في العقيدة، وليتهم لم يخوضوا في تكييفها، تجنيباً للأمة من شرور الانقسام والتفرق.

ومن المسائل التي اختلف فيها⁽¹⁾: هل كان الله تعالى وحده في الأزل ولا شيء معه مطلقاً فلا عرش ولا أي مخلوق؟ أو أن الله تعالى الذي خلق العرش كان قد خلق قبله عرشاً آخر، وخلق قبل ذلك العرش عرشاً آخر إلى ما لا نهاية، بحيث إن العرش حادث بأفراده قديم بنوعه ؟!!!.

كلام العلماء مصرح بالأول، بل ينقل ابن حزم رحمه الله تعالى اتفاق العلماء على ذلك⁽²⁾، وخالف في هذه المسألة ابن تيمية رحمه الله⁽³⁾ ومن تابعه عليها، كابن أبي العز⁽⁴⁾، ولم ينقل أحد عن أي عالم من علماء المسلمين قبل ابن تيمية أنه قال بمثل قوله، حتى هو نفسه لم ينقل ذلك - فيما علمت - عن أحد سبقه، لا من السلف ولا من الخلف.

والمسألة بأدلتها العقلية هي في كتب العقائد، ويهملها - هنا - ما الذي نُقل وروي من أدلة هذه المسألة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام . فمن الأدلة النقلية المؤيدة بالحجج العقلية قول رسول الله ﷺ «كان الله ولم يكن شيء غيره» .

ولكن حيث إن هذا الحديث روي بلفظ آخر وهو «كان الله ولم يكن شيء قبله»، فإن المخالف للجمهور قد تمسك بهذا اللفظ الثاني وبرد ما سواه، فالثاني لا يتعارض مع مذهبه، بخلاف الأول، ولذلك فقد بذل قصارى جهده لإثبات أن اللفظ

(١) قلت م نور عفا عنه ربه الغفور: أول من أحدث الخلاف من علماء المسلمين ابن تيمية كما افاده الباحث د صلاح الدين قبلاً.

(٢) - انظر مراتب الإجماع لابن حزم ص 167 .

(٣) - انظر نقد مراتب الإجماع لابن تيمية ص 168 .

(٤) - انظر شرح العقيدة الطحاوية 1: 115 .

الأول ليس من كلام النبي ﷺ، وأنه من تصرف الرواة من باب الرواية بالمعنى حسب ظن الراوي .

لذا كان لا بد من عرض كلامه، ثم تتبع طرق هذا الحديث لمعرفة اللفظ الراجح من حيث الدراسة الحديثية .
وقبل هذا العرض والتتبع لابد من معرفة منهج أئمة الحديث في الترجيح إذا اختلفت الروايات .

منهج المحدثين في الترجيح بين الروايات المختلفة :

إذا اختلفت روايات الحديث فإن المحدثين يرجحون ثبوت ما تؤيده القرائن، كالرواية التي رواها الأكثر من الثقات عدداً، أو الأشد ضبطاً وإتقاناً .
سأل عباس الدوري يحيى بن معين فقال له: «إذا اختلف وكيع وأبو معاوية في الأعمش؟!». فقال: «يكون موقوفاً حتى يجيء من يتابع أحدهما» (1) .
روى الإمام البخاري في «صحيحه» حديث جابر ﷺ الذي كان قد أعبى وبيعه إياه من رسول الله ﷺ، وفي بعض طرقه أن جابراً قال «فاستثنيت حُمْلانه إلى أهلي»، وفي بعض طرقه أنه قال «أفقرني رسول الله ﷺ ظهره إلى المدينة»، ثم علق البخاري رحمه الله بقوله: «الاشتراط أكثر وأصح عندي» (2) .
وعلق ابن حجر في شرح هذا الحديث قائلاً: «وما جَنَحَ إليه المصنف من ترجيح رواية الاشتراط هو الجاري على طريقة المحققين من أهل الحديث». ثم نقل عن ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى أنه قال: «إذا اختلفت الروايات وكانت الحجة ببعضها دون بعض توقف الاحتجاج بشرط تعادل الروايات، أما إذا وقع الترجيح لبعضها بأن تكون روايتها أكثر عدداً أو أتقن حفظاً فيتعين العمل بالراجح، إذ الأضعف لا يكون مانعاً من العمل بالأقوى، والمرجوح لا يمنع التمسك بالراجح» (3)

وسئل الإمام الدار قطني عن الحديث إذا اختلف فيه الثقات؟! فقال: «يُنظر ما اجتمع عليه ثقتان فيحكم بصحته، ويُحكم لأكثرهم حفظاً وثبتاً على من دونه»

(1) - انظر تهذيب التهذيب لابن حجر 11: 126 .

(2) - صحيح البخاري 5: 370 كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة، فالرواية الأولى تفيد اشتراط جابر ظهر الراحلة حتى يصل إلى المدينة، أما الرواية الثانية فتفيد أن رسول الله ﷺ قد أفقره ظهرها، أي وهبه منفعة الظهر تبرعاً، دون اشتراط .

(3) - فتح الباري 5: 376 .

(1). ونقل الحافظ ابن حجر عن الحافظ العلائي رحمهما الله تعالى أنه قال في بحث اختلاف الروايات: «تقدم القول أن المختلفين إما أن يكونوا متماثلين في الحفظ والإتقان أولاً، فالمتماثلون إما أن يكون عددهم من الجانبين سواء أو لا، فإن استوى عددهم مع استواء أوصافهم وجب التوقف حتى يترجح أحد الطريقتين بقريته من القرائن، ... وإن كان أحد المتماثلين أكثر عدداً فالحكم لهم على قول الأكثر» (2).

فقد تبين من كلام يحيى بن معين والبخاري والدارقطني وابن دقيق العيد والعلائي وابن حجر أنه إذا اختلفت روايات الحديث فالرواية التي لها الرجحان هي الرواية التي رواها الأكثر عدداً من الثقات والأكثر حفظاً .
وغير خاف أن من أعظم قرائن الترجيح أن تجيء الرواية - من غير طريق الرواة الذين اختلفوا في اللفظ ومن غير طريق شيخهم الذي اختلفوا عليه - باللفظ الموافق لما رواه بعض أولئك الرواة، فهذا التوافق في روايات العدول دليل على صحة ذلك اللفظ .

وكل من وقف على كلام أئمة المحدثين في الترجيح بين روايات الحديث الواحد يعلم أنهم يرجعون إلى جمع طرق الحديث، ثم يرجحون الرواية التي اتفق عليها معظم الرواة عن شيخهم، وخاصة إذا وافقت رواية من روى الحديث عن شيخ شيخهم من أقران شيخهم، أما الرواية التي انفرد بها بعض من روى الحديث عن ذلك الشيخ ولم يتابع عليها فهي عندهم - مع المخالفة - معلولة، ومع عدم المخالفة من باب الرواية بالمعنى.

كلام ابن تيمية في ترجيح رواية «ولم يكن شيء قبله»:

قال ابن تيمية يرد على ابن حزم في نقله اتفاق العلماء على أن الله تعالى كان ولم يكن شيء معه: [وأعجب من ذلك حكايته الإجماع على كفر من نازع أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ثم خلق الأشياء كما شاء، ومعلوم أن هذه العبارة ليست في كتاب الله، ولا تُنسب إلى رسول الله ﷺ، بل الذي في الصحيح عنه حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ «كان الله ولا شيء قبله»

(1) - سؤالات السلمى للدارقطنى ص 154 . وانظر النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر 2: 689 . وقد أخطأ محقق النكت إذ عزا النص لسؤالات السهمي ؛ رغم اتفاق النسخ المخطوطة على كلمة السلمى .

(2) - النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ص 778 .

وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء»، وروي هذا الحديث في البخاري بثلاثة ألفاظ، روي «كان الله ولا شيء قبله»، وروي «ولا شيء غيره»، وروي «ولا شيء معه»، والقصة واحدة، ومعلوم أن النبي ﷺ إنما قال واحداً من هذه الألفاظ والآخرا روي بالمعنى، وحينئذ فالذي يناسب لفظاً ما ثبت عنه في الحديث الآخر الصحيح أنه كان يقول في دعائه: «أنت الأول فليس قبلك شيء»، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، فقوله في هذا «أنت الأول فليس قبلك شيء» يناسب قوله «كان الله ولا شيء قبله»، وهذا الحديث لو كان نصاً فيما ذكر فليس هو متواتراً، فكم من حديث صحيح ومعناه فيه نزاع كثير، فكيف ومقصود الحديث غير ما ذكر؟! ولا نعرف هذه العبارة عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فكيف يُدعى فيها إجماع؟! (1). انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله .

لا بد قبل الخوض في معنى الحديث ودلالته من مراجعة حديثية للألفاظ التي وردت بها رواياته:

- لقد أحسن ابن تيمية رحمه الله في قوله «والقصة واحدة، ومعلوم أن النبي ﷺ إنما قال واحداً من هذه الألفاظ والآخرا روي بالمعنى».

- لقد وهم ابن تيمية رحمه الله في قوله «وروي هذا الحديث في البخاري بثلاثة ألفاظ، روي (كان الله ولا شيء قبله)، وروي (ولا شيء غيره)، وروي (ولا شيء معه)». وذلك لأن المروي في صحيح البخاري هو اللفظان الأولان من هذه الثلاثة، كما سيتضح من تخريج طرق الحديث، أما رواية «كان الله ولا شيء معه» فلم أقف عليها في شيء من طرق الحديث، لا في صحيح البخاري ولا في غيره، مع أنني خرجته من أكثر من عشرين مصدراً من مصادر السنة النبوية (2).

- اختلفت ألفاظ روايات هذا الحديث، فلا بد من بذل الجهد لمعرفة الراوية الراجحة، فما السبيل إلى ذلك؟

(1) - نقد مراتب الإجماع لابن تيمية ص 168 - 170 . وفي نشرة دار الآفاق الجديدة ص 221 - 222

(2) - قلد الحافظ ابن كثير شيخه ابن تيمية رحمه الله في عزو الألفاظ الثلاثة لصحيح البخاري فوقع فيما وقع فيه شيخه من الوهم، وزاد عليه في ذلك حين عزا الحديث لصحيح البخاري ومسلم، والحديث غير مخرج في صحيح مسلم . انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2: 418، تفسير سورة هود، الآية 7 . كما قلد ابن أبي العز ابن تيمية رحمه الله فيما ذكره من الكلام على هذا الحديث، فوقع فيما وقع فيه من الوهم . انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 1: 112 - 114 .

هل نطق النبي ﷺ بلفظ واحد أو بأكثر من لفظ ؟ :
قبل البدء بمناقشة مسالك الترجيح بين اختلاف ألفاظ الحديث لا بد من
الإجابة عن تساؤل قد يدور في ذهن بعض الأفاضل اليوم، وهو: لم لا يمكن أن
تكون كل الألفاظ التي رواها الثقات هي من لفظ النبي ﷺ ؟.

أقول: إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر بحيث إن عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ قد رواوا عنه ذلك الحديث سماعاً، فيحتمل أنهم سمعوه منه في مجلس واحد، ويحتمل أنهم سمعوه منه في مجالس متعددة، فإذا اختلفت ألفاظ رواياتهم له: فإن كانوا قد سمعوه منه ﷺ في مجلس واحد فالظاهر أن اللفظ الذي نطق به هو أحد تلك الألفاظ، وأن اختلاف رواياتهم قد جاء منهم أو ممن روى عنهم، وذلك بسبب الرواية بالمعنى، وإن كانوا قد سمعوه منه ﷺ في مجالس متعددة: فيحتمل أن لفظه واحد وأن اختلاف ألفاظ الروايات هو من الرواة، ويحتمل أنه حدثهم بذلك الحديث بتلك الألفاظ المختلفة كلها، ويحتمل أنه حدثهم به ببعض تلك الألفاظ وأن بعضها الآخر قد جاء من قبل الرواة. هذا إذا روى الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة .

أما إذا روى الحديث صحابي واحد ورواه عنه أكثر من واحد من التابعين بألفاظ مختلفة فالظاهر أن اللفظ النبوي واحد، وأن اختلاف ألفاظ الروايات هو من الصحابي أو من الذين سمعوه منه، ويحتمل أن يكون الصحابي قد سمع من النبي ﷺ أكثر من لفظ وبلغ كل واحد من تلك الألفاظ لبعض التابعين، إلا أن هذا الاحتمال بعيد.

وإذا روى الحديث صحابي واحد ورواه عنه تابعي واحد، ثم روى عدد من الرواة ذلك الحديث عن التابعي عن الصحابي بألفاظ مختلفة: فالظاهر ظهوراً بيّناً أن اللفظ النبوي واحد، وأن الصحابي بلغ لفظاً واحداً، وأن اختلاف ألفاظ الرواة هو من التابعي أو من الذين سمعوه منه، ولا يكاد يجيء هنا احتمال أن يكون الصحابي قد سمع من النبي ﷺ أكثر من لفظ وبلغ كل واحد من تلك الألفاظ لذلك التابعي ثم خص ذلك التابعي كل راو من الرواة عنه ببعض تلك الألفاظ، فهذا الاحتمال في غاية البعد.

والمحدثون لا يبنون أحكامهم على مجرد احتمال يتخيله العقل بعيداً عن العادة والواقع، وإنما يبنون على غلبة الظن، وفي نحو هذا يقول المحدثون: «قد اتحد مخرج الحديث» .

أما إذا روى الحديث صحابي واحد ورواه عنه تابعي واحد ورواه عن التابعي راو واحد فقد حصل التفرد في ثلاث طبقات من طبقات السند، فإذا روى عدد من الرواة ذلك الحديث عن ذلك الراوي واختلفت ألفاظ رواياتهم: فإن العادة تقطع باستحالة أن تكون ألفاظ رواياتهم مما نطق به رسول الله ﷺ، وترجع اختلاف الألفاظ إلى الرواية بالمعنى، إما من الراوي عن التابعي، وإما من الرواة عنه.

فإذا اتحد مخرج الحديث في الصحابي والتابعي والراوي عن التابعي والراوي عن روى عن التابعي فقد حصل التفرد في أربع طبقات من طبقات السند، فإذا تشعبت طرق الروايات بعده واختلفت ألفاظها فلا جرم أننا نزداد يقيناً باستحالة صدور كل تلك الألفاظ عن رسول الله ﷺ.

- ومن أقرب الأمثلة على ما إذا اتحد مخرج الحديث في أربع طبقات من طبقات السند واختلفت ألفاظ رواته عن شيخهم الذي يمثل الطبقة الرابعة في السند: حديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، فقد رواه البخاري من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، وإليك طرفاً من اختلاف ألفاظ رواياته:

رواه البخاري من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد بالسند المتقدم باللفظ المذكور .

ورواه عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد به، بلفظ «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى».

ورواه من طريق سفيان الثوري، عن يحيى بن سعيد به، بلفظ «الأعمال بالنية، ولامرئ ما نوى».

ورواه من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ومن طريق حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد به، بلفظ «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى».

وفي رواية سفيان بن عيينة ومالك في أحد الطريقتين عنه «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وفي رواية سفيان الثوري، وعبد الوهاب الثقفي، وحماد بن زيد، ومالك في أحد الطريقتين عنه: «أو إلى امرأة يتزوجها» .

[ورواه مسلم عن عبد الله بن مسلمة عن مالك به، بلفظ «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى»].

أفيعقل أن يكون النبي ﷺ قد نطق بكل هذه الألفاظ وأنها انتقلت عبر طبقات السند حتى وصلت إلى يحيى بن سعيد الأنصاري فخصَّ كل مجلس من مجالس حديثه ببعضها ؟!!! هذا ما تقطع العادة ببطلانه .
[ومن نظر في روايات الثقات واختلاف ألفاظهم في هذا الحديث تبين له رجحان من رواه بلفظ «إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى»، وسائر الألفاظ هي من باب الرواية بالمعنى] .

- واختلاف ألفاظ الرواة الذين رواوا حديث «كان الله ولم يكن شيء غيره» من طريق الأعمش هي من هذا الباب، لأنهم رووه عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين، وتشعبت الطرق واختلفت الألفاظ بعد أن اتحد مخرج الحديث في أربع طبقات من طبقات السند، فاللفظ النبوي واحد، واختلاف ألفاظ الروايات من باب الرواية بالمعنى، وهو إما من الأعمش نفسه، وإما من الرواة عنه.

مسلك ابن تيمية في ترجيح إحدى روايات الحديث :

لجأ ابن تيمية رحمه الله إلى ترجيح أحد اللفظين لمجرد أنه يناسبه لفظ حديث آخر، ولذا فإنه يقول: [فقوله في هذا «أنت الأول فليس قبلك شيء» يناسب قوله «كان الله ولا شيء قبله»] .

لكن لا علاقة للمناسبة بين لفظ إحدى الروايات ولفظ حديث آخر بترجيح هذه الرواية على غيرها البتة، ولا دلالة في ذلك إذا لم يكن ذلك الحديث الآخر مؤيداً لهذه الرواية التي يُراد ترجيحها ومعارضاً لسواها، وحيث كان هذا مفقوداً هنا فلا يمكن اعتباره مرجحاً لرواية «ولم يكن شيء قبله» .

مسلك ابن حجر في ترجيح إحدى روايات الحديث:

أما ابن حجر العسقلاني رحمه الله فقد لجأ إلى طريق آخر في ترجيح رواية على أخرى، وذلك بترجيح اللفظ الذي يجمع المعنيين دون الذي ينفرد بأحدهما، فرواية «ولم يكن شيء غيره» تفيد أنه لم يكن شيء لا معه ولا قبله، ورواية «ولم يكن شيء قبله» تنفي وجود شيء قبله ولا تتعرض لوجود شيء معه بنفي ولا إثبات، فالأولى أكثر شمولاً، وهي رواية البخاري في كتاب بدء الخلق من «صحيحه»، والثانية هي روايته في كتاب التوحيد منه. وفي هذا المعنى يقول ابن حجر في أثناء شرحه للرواية الثانية مرجحاً الرواية الأولى: [قوله «كان الله ولم يكن شيء قبله»: تقدم في بدء الخلق بلفظ «ولم يكن شيء غيره»، وفي رواية أبي معاوية «كان الله قبل كل شيء»، وهو بمعنى «كان الله

ولا شيء معه»، وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب، وهي من مستثنى المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها، مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق، لا العكس، والجمع يُقدم على الترجيح بالاتفاق⁽¹⁾.

هذا ولم يوضح ابن حجر رحمه الله وجه الجمع بين الروايتين، فمهَّدت بالتبيين السابق بين يدي قوله، ليكون الإيضاح بين يدي القول المنقول عوناً على بيانه وفهمه .

ولكن تقديم الجمع على الترجيح يكون في نصين ثبتا عن رسول الله ﷺ، أي في حديثين منفصلين متعارضين، والذي بين أيدينا هنا هو روايتان لحديث واحد، والتردد واقع بين لفظيهما، والثابت منهما هو واحد لا بعينه حتى الآن، وليس بينهما تعارض لنفصل عنه بالجمع قبل الترجيح .

لذا فطريقة الجمع بين الروايتين هنا لا يصح اعتبارها وجهاً من أوجه ترجيح إحداها على الأخرى .

وهذا لا يعني عند أهل العلم الفاهمين أنني أخالف ابن حجر في مآل ترجيحه، بل في طريقة الترجيح، ورحم الله أئمتنا إذ يقولون «الطعن في الدليل لا يستلزم الطعن في المدلول» .

طرق حديث عمران بن حصين

طريق الأعمش عن جامع بن شداد :

روي هذا الحديث من خمسة طرق عن الأعمش بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره»، هكذا روي عنه من طريق حفص بن غياث⁽²⁾، وأبي عبيدة عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود⁽³⁾، وأبي بكر بن عياش⁽¹⁾،

(1) - فتح الباري 13: 410، وفي طبعة دار الريان 13: 421.

(2) - حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي: 117 - 195، وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي وغيرهم، ونسبه أحمد وابن سعد للتدليس، وقال أبو زرعة: ساء حفظه بعدما استقضى . وقال ابن حجر: ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر . انظر تهذيب التهذيب 2: 415 - 418، تقريب التهذيب ص 173، وروايته رواها البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق 6: 286، وفي طبعة دار الريان 6: 331، والبسوي في المعرفة والتاريخ 3: 195، والبيهقي في الاعتقاد ص 55، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص 66 .

(3) - عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفي: روى عن الأعمش وغيره، وثقه ابن معين والعجلي، وقال ابن حجر: ثقة . انظر: تهذيب التهذيب 6: 425، تقريب التهذيب ص

ومحمد بن عبيد⁽²⁾، وأبي إسحاق الفزاري⁽³⁾، كلهم عن الأعمش⁽⁴⁾، عن جامع بن شداد⁽⁵⁾، عن صفوان بن محرز⁽⁶⁾، عن عمران بن حصين⁽⁷⁾ رضي الله عنهما .

ورواه أبو حمزة السكري⁽¹⁾، وشيبان بن عبد الرحمن النحوي⁽²⁾ عن الأعمش بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله».

365، وروايته رواها ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان 14: 7 .

(1) – أبو بكر بن عياش الكوفي المقرئ: 100 - 193، قال أحمد: ثقة وربما غلط . وقال العجلي: ثقة وكان يخطئ . وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالحافظ عندهم . وضعفه ابن نمير . وقال ابن حجر: ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح . انظر: تهذيب التهذيب 12: 34 - 37، تقريب التهذيب ص 624، وروايته رواها الطبراني في المعجم الكبير 18: 203، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش برقم 1 .

(2) – محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي: 124 - 204، وثقه ابن معين والنسائي والدارقطني وغيرهم، وقال أحمد: كان يخطئ ولا يرجع عن خطئه . وقال ابن حجر: ثقة . انظر: تهذيب التهذيب 9: 327 - 329، تقريب التهذيب ص 495، وروايته رواها الطبراني في المعجم الكبير 18: 204 .

(3) – هو إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الكوفي: 000 - 186، وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، وقال ابن سعد: ثقة كثير الخطأ في حديثه . وقال ابن حجر: ثقة حافظ . انظر: تهذيب التهذيب 1: 151 - 153، تقريب التهذيب ص 92، وروايته رواها الطحاوي في شرح مشكل الآثار 14: 301 والطبراني في المعجم الكبير 18: 204 - 205، وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية ص 10 - 11، وكذا في الرد على بشر المريسي ص 87، والأجري في الشريعة ص 177، والبيهقي في الأسماء والصفات ص 478، وابن منده في التوحيد 1: 83 و3: 185، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة 2: 85 - 86، وابن عساكر في تبیین كذب المفتری ص 66، والفريابي في القدر رقم 82 .

(4) – هو سليمان بن مهران الأعمش الكوفي: 61 - 147، قال العجلي والنسائي: ثقة ثبت . واتفق الأئمة على ثقته وإمامته، ووصفه ابن حبان بالتدليس، وقال ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع، لكنه يدلّس . انظر: تهذيب التهذيب 4: 222 - 226، تقريب التهذيب ص 254 .

(5) – جامع بن شداد المحاربي الكوفي 000 - 118، وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، وقال يعقوب بن سفيان: ثقة متقن . وقال ابن حجر: ثقة . انظر: تهذيب التهذيب 2: 56 - 57، تقريب التهذيب ص 137 .

(6) – صفوان بن محرز المازني أو الباهلي 000 - 74، وثقه ابن سعد والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من العباد . وقال ابن حجر: ثقة عابد . انظر: تهذيب التهذيب 4: 430 - 431، تقريب التهذيب ص 277 .

(7) – عمران بن حصين رضي الله عنهما، أسلم عام خيبر، وكان صاحب راية خزاعة يوم فتح مكة، وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين، وكان الحسن البصري يحلف بالله ما قدمها راكب خير من عمران بن حصين، وكذا قال ابن سيرين نحوه . انظر: تهذيب التهذيب 8: 125 - 126 .

ورواه أبو معاوية (3) عن الأعمش بلفظ: «كان الله قبل كل شيء». ورواه أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن الأعمش بلفظ «كان الله عز وجل لا شريك له» (4). واللفظان في الروايتين يوافقان لفظ الرواية الأولى في المعنى.

- أقول: لقد اختلفت روايات الحديث عند أصحاب الأعمش على ثلاثة ألفاظ، فرواه عنه خمسة بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره»، ورواه اثنان بلفظ «ولم يكن شيء قبله»، وانفرد واحد بلفظ «كان الله قبل كل شيء».

فالنفس أميل إلى تثبيت ما رواه الخمسة دون ما انفرد به الاثنان أو الواحد، ولكن من الممكن أن يقال: لعل الرواية بالمعنى كانت من الأعمش نفسه، وبالتالي فلا رجحان لروايتهم على رواية الآخرين.

[والذي أراه هو أن الأعمش كان يروي بالمعنى، وأن اختلاف الألفاظ هنا منه، لا من الرواية عنه، ولكن يبدو أن من يروي بالمعنى فإنه يروي باللفظ الذي سمعه في الغالب ويروي بالمعنى في بعض الأحيان].

(1) - أبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروزي (000 - 167) قال عنه ابن المبارك: صحيح الكتاب . وقال أحمد: ما بحديثه عندي بأس . ووثقه ابن معين والترمذي والنسائي، وقال ابن عبد البر: ليس بقوي . قال ابن حجر: ثقة فاضل . انظر تهذيب الكمال للمزي، وحاشية الدكتور بشار عواد معروف 26: 544 - 549، تهذيب التهذيب 9: 486 - 487، تقريب التهذيب ص 510، وروايته رواها البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد 13: 403، وفي طبعة دار الريان 13: 414 - 415، وابن منده في التوحيد 1: 84 .

(2) - شيبان بن عبد الرحمن النحوي البصري الكوفي (000 - 164) وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي والنسائي، وقال أبو حاتم: حسن الحديث، صالح، يكتب حديثه . قال ابن حجر: ثقة صاحب كتاب . انظر: تهذيب التهذيب 4: 373 - 374، تقريب التهذيب ص 269، وروايته رواها ابن حبان كما في الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان 14: 11، والبيهقي في السنن 9: 2، وابن عساكر في تبیین كذب المفتری ص 65 .

(3) - هو محمد بن خازم الكوفي: 113 - 194، وثقه العجلي ويعقوب بن شيبان، وقال النسائي: ثقة في الأعمش . وقال الإمام أحمد: أبو معاوية من أحفظ أصحاب الأعمش، مع أن أبا معاوية يخطئ في أحاديث من أحاديث الأعمش . قال ابن حجر: ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره . انظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد 1: 541 رقم النص 1281، تهذيب التهذيب 9: 137 - 139، تقريب التهذيب ص 475، وروايته رواها الإمام أحمد في مسنده 4: 431، والطبري في تاريخه 1: 38، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 14: 300، وأبو الشيخ في العظمة 2: 5س71، والفريابي في القدر رقم 83 .

(4) - القدر للفريابي رقم 84 .

- وهنا لا بد من البحث لمعرفة هل للحديث طريق آخر غير طريق الأعمش؟؟؟ [فإذا وجدنا فإننا نتجاوز طريق الرواة الذين اختلفوا على شيخهم والشيخ الذي اختلفوا عليه، وهو هنا الأعمش].

طريق المسعودي عن جامع بن شداد :
[وبعد البحث الطويل في كتب السنة النبوية فقد وجدت هذا الحديث من رواية أحد أقران الأعمش، وهو عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن شيخه جامع بن شداد، ورواه جماعة عن المسعودي، فكيف كان لفظ الحديث في هذه الرواية؟؟] :

روي هذا الحديث من سبعة طرق عن المسعودي، فرواه خالد بن الحارث⁽¹⁾، والنضر بن شميل⁽²⁾، وعثمان بن عمر بن فارس⁽³⁾، وهؤلاء الثلاثة هم من الرواة عنه قبل اختلاطه، ورواه روح بن عبادة⁽⁴⁾، وأبو داود الطيالسي⁽⁵⁾،

(1) - خالد بن الحارث الهجيمي البصري: 120 - 186، قال أحمد: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة ووثقه ابن سعد وأبو حاتم والنسائي . قال ابن حجر: ثقة ثبت . انظر: تهذيب التهذيب 3: 82 - 83، تقريب التهذيب ص 187 . وروايته رواها النسائي في السنن الكبرى في تفسير سورة هود 6: 363، وهي في تفسيره 1: 584 . وهو من الرواة عن المسعودي قبل اختلاطه . انظر: الكواكب النيرات لابن الكيال ص 293 .

(2) - النضر بن شميل المازني البصري: 123 - 203، وثقه ابن المديني وابن معين والنسائي . قال ابن حجر: ثقة ثبت . انظر: تهذيب التهذيب 10: 437 - 438، تقريب التهذيب ص 562 . وروايته رواها الطبري في تفسيره 12: 4، وفي تاريخه 1: 38 . وهو من الرواة عن المسعودي قبل اختلاطه . انظر: الكواكب النيرات ص 295 .

(3) - عثمان بن عمر بن فارس البصري: 000 - 209، وثقه الإمام أحمد وابن معين وابن سعد والعجلي، وقال أبو حاتم: صدوق، وكان يحيى بن سعيد لا يرضاه . وقال ابن حجر: ثقة، قيل كان يحيى بن سعيد لا يرضاه . انظر: تهذيب التهذيب 7: 142 - 143، تقريب التهذيب ص 285 . وروايته رواها الطحاوي معطوفة على رواية أبي داود الطيالسي في شرح مشكل الآثار 14: 301 - 302 . وهو من الرواة عن المسعودي قبل اختلاطه كما في الكواكب النيرات ص 294 .

(4) - روح بن عبادة: 000 - 207، وثقه ابن معين والبخاري، وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله . وقال ابن حجر: ثقة فاضل . انظر: تهذيب التهذيب 3: 293 - 296، تقريب التهذيب ص 211 . وروايته رواها ابن خزيمة في التوحيد ص 376 من طريقين عنه . ورواه الحاكم في المستدرک 2: 341 من طريق آخر عنه، وفيه عن صفوان بن محرز، عن بريدة، لكن لا تدفع رواية الحاكم رواية ابن خزيمة، لأن هذه من طريقين فهي أثبت .

(5) - هو سليمان بن داود بن الجارود البصري: 132 - 204، وثقه الإمام أحمد وعمر بن علي الفلاس والعجلي والنسائي، وقال ابن سعد: كان ثقة، وربما غلط . وقال أبو حاتم: صدوق كثير الخطأ . واتهمه يزيد بن زريع والذهبي بالتدليس . وقال ابن حجر: ثقة حافظ غلط في أحاديث . انظر: تهذيب

خمسهم عن المسعودي ⁽¹⁾، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين، أي بمثل سند الأعمش .
ورواه عنه يزيد بن هارون ⁽²⁾، وهو من الرواة عنه بعد الاختلاط، عن جامع بن شداد، عن ابن بريدة، عن بريدة، عن النبي ﷺ .
ورواه عنه عبد الله بن يزيد المقرئ ⁽³⁾، عن جامع بن شداد، عن رجل، عن بريدة، عن النبي ﷺ .
كلهم روه عنه بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره»، سواء من سمع منه قبل الاختلاط أو بعده.

فالمسعودي رحمه الله روى الحديث بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره»، ولم يختلف عليه في لفظه، سواء قبل الاختلاط أو بعده، مما يدل على أنه كان ضابطاً للفظ الحديث، وقد كان ثلاثة رواة من الرواة السبعة الذين روى عنه هذا الحديث هم ممن نص الأئمة على أنهم من الأخذين عنه قبل الاختلاط، وقد جاءت روايتهم موافقة للرواية المشهورة عن الأعمش سنداً وامتناً، كما جاءت رواية راويين آخرين عنه موافقة لرواية أولئك الرواة، فُعلم أنها مما تلقوها عنه قبل الاختلاط. أما رواية الراوي السادس الذي نص الأئمة على أنه روى عنه بعد الاختلاط فجاءت موافقة في المتن مخالفة في السند، سوى اسم شيخ المسعودي

التهذيب 4: 182 - 186، تقريب التهذيب ص 250 . وروايته رواها الطحاوي في شرح مشكل الآثار 14: 301 - 302 . وهو من الرواة عن المسعودي بعد اختلاطه، كما في الكواكب النيرات ص 288، 289 . ولعله قد سمع منه قبل الاختلاط وبعده، لأن روايته ههنا موافقة لرواية من روى عنه قبل الاختلاط .

(1) - هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود: 000 - 160، وثقه أحمد وابن معين وعلي بن المديني وابن نمير وابن سعد والعجلي قبل اختلاطه، وقال ابن عمار: كان ثبناً قبل أن يختلط . قال ابن حجر: صدوق، اختلط قبل موته . انظر: تهذيب التهذيب 6: 210 - 212، تقريب التهذيب ص 344 .

(2) - يزيد بن هارون الواسطي: 118 - 206، وثقه ابن المديني وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقال ابن حجر: ثقة متقن عابد . انظر: تهذيب التهذيب 11: 366 - 369، تقريب التهذيب ص 606 . وروايته رواها أبو الشيخ في كتاب العظمة 2: 575 . وهو من الرواة عن المسعودي بعد اختلاطه، كما في الكواكب النيرات ص 288، 297 .

(3) - عبد الله بن يزيد العدوي المقرئ البصري المكي: 000 - 213 وقد قارب المئة من العمر، وثقه ابن سعد والنسائي وابن قانع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الخليلي: ثقة ويتفرد بأحاديث . وقال أبو حاتم: صدوق . وقال ابن حجر: ثقة فاضل . انظر تهذيب التهذيب 6: 83 - 84، تقريب التهذيب ص 330 . وروايته رواها أبو الشيخ في كتاب العظمة 2: 577 .

وهو جامع بن شداد، وكذلك جاءت رواية الراوي السابع موافقة في المتن مخالفة في السند، فعُلم أنها مما تلقاه عنه بعد الاختلاط .

وحاصل الأمر أن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي الذي كان

ثقة ثبتاً قبل اختلاطه قد روى الحديث قبل الاختلاط كما رواه الأعمش - في الرواية المشهورة عنه - سنداً وممتناً، أي بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره»، وبسند نفسه، وقد كان - رحمه الله تعالى - جازماً بهذا اللفظ حتى بعد أن اختلط والتبس عليه جزء من السند، أما المتن فرواه كل الرواة عنه بلفظ واحد دون لبس أو اشتباه، فروايته مؤيدة للفظ الذي رواه أكثر الرواة عن الأعمش ومؤكدة له، وتبين بها أن هذا هو أصل اللفظ في رواية الحديث، وأن من رواه بغير هذا اللفظ فإنما وقع له هذا التغيير من باب الرواية بالمعنى.

ورود شاهد عن صحابي آخر يؤيد الرواية المشهورة:

ومما يزيد هذا اللفظ «ولم يكن شيء غيره» تأكيداً على تأكيد وروده عن صحابي آخر هو نافع بن زيد الحميري أحد رجال وفد اليمن الذين خاطبهم النبي ﷺ بهذا الحديث، أخرجه عنه ابن شاهين في الصحابة، من طريق زكريا بن يحيى بن سعيد الحميري، عن إياس بن عمرو الحميري، عنه، لكن في السند إليه عدة مجاهيل كما قال ابن حجر ⁽¹⁾، وهذا لا ينفي أن تكون هذه الرواية مؤكدة لثبوت اللفظ الذي أطبقت عليه معظم الروايات.

الترجيح بين طرق حديث «كان الله ولم يكن شيء غيره» :

لو لم يكن بين أيدينا إلا طريق الأعمش عن جامع بن شداد فإن كلام أئمة المحدثين يقتضي أن يكون اللفظ الذي رواه خمسة عن الأعمش هو الراجح، وهو «كان الله ولم يكن شيء غيره»، وأن يكون اللفظ الذي رواه اثنان عن الأعمش مرجوحاً، وهو «كان الله ولم يكن شيء قبله»، ويحمل على أنه من باب الرواية بالمعنى، وكذا اللفظ الذي انفرد به واحد عن الأعمش، وهو «كان الله قبل كل شيء»، ولا بد من حمله على أنه من باب الرواية بالمعنى ⁽²⁾.

(1) - انظر: أسد الغابة لابن الأثير 5: 9، الإصابة لابن حجر 6: 225 .

(2) - وهذا الراوي هو أبو معاوية، وقول ابن حجر عنه إنه أحفظ الناس لحديث الأعمش لا يصح اعتماده مرجحاً لروايته على رواية غيره لأمرين: أحدهما أن ابن حجر لم ينقله عن أحد من قدماء نقاد الحديث، ثم هو مخالف لقول الإمام أحمد رحمه الله عن أبي معاوية إنه من أحفظ أصحاب الأعمش، وإنه يخطئ في أحاديث من أحاديث الأعمش، وقد تقدم هذا في ترجمته، والأمر الآخر أن أبا معاوية انفرد هنا بلفظ لم يتابعه عليه أحد السبعة الآخرين الذين شاركوه في رواية أصل الحديث . ثم إننا لو أخذنا بهذا اللفظ فإنه حجة لمذهب الجمهور لأنه يثبت أن الله تعالى كان قبل كل شيء، ويتضمن نفي أن

وقد قدمت أقوال بعض أئمة المحدثين في منهج الترجيح، وهم يحيى بن معين والبخاري والدارقطني وابن دقيق العيد والعلائي وابن حجر العسقلاني .

فإذا قلنا - تنزلاً - بتعادل الطرق عن الأعمش وتساقطها لأنه قد اختلف عليه فيها فلا يبقى أمامنا سوى طريق المسعودي عن جامع بن شداد، وهو من طريق الذين روه عن المسعودي قبل اختلاطه في غاية الصحة، ولفظه «كان الله ولم يكن شيء غيره»، فهذا هو الثابت إسناداً عن رسول الله ﷺ، وليس فيه اختلاف على راويه أصلاً.

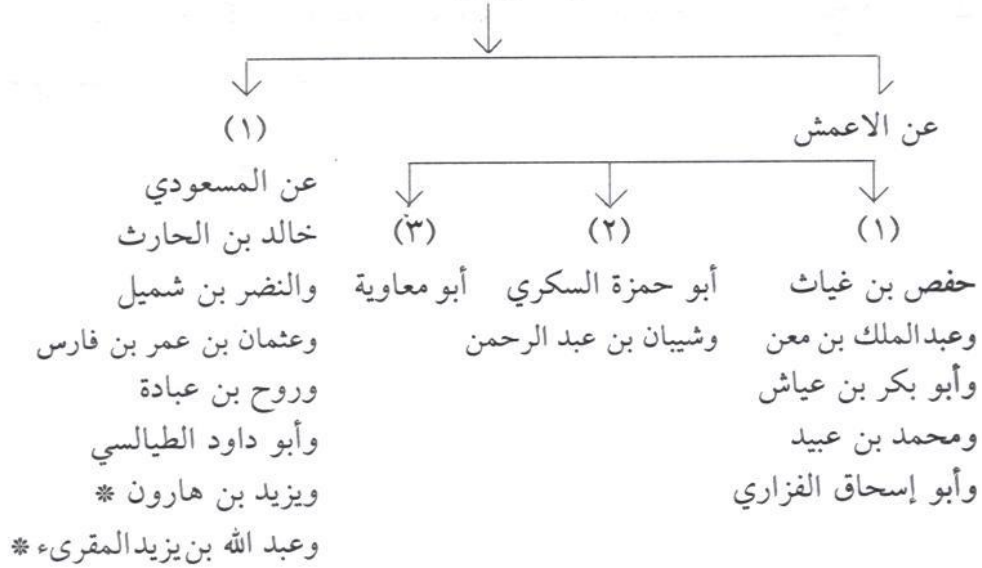
ولا يخفى أننا لو طلبنا قرينة من قرائن الترجيح بين الألفاظ المروية عن الأعمش فرواية المسعودي من أعظم قرائن الترجيح، إذ هي من غير طريق الرواة الذين اختلفوا على الأعمش في لفظ الحديث، أي من غير طريق الأعمش أصلاً، وقد جاءت رواية المسعودي موافقة لأحد الألفاظ المروية عن الأعمش، فهي قرينة مرجحة، وكون ذلك اللفظ هو ما اتفق عليه معظم الرواة عن الأعمش يعد كذلك قرينة مرجحة، وهكذا تكون قرائن الترجيح قد اتفقت على لفظ واحد، والحمد لله.

يكون مع الله شيء، بخلاف رواية «كان الله ولم يكن شيء قبله» التي تنفي أن يكون قبل الله شيء، ولا تنفي أن يكون مع الله شيء .

حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما :

- ١ - كان الله ولم يكن شيء غيره
- ٢ - كان الله ولم يكن شيء قبله
- ٣ - كان الله قبل كل شيء
- * خلل في أسماء بعض رجال الإسناد

عن عمران بن حصين
عن صفوان بن محرز
عن جامع بن شداد



خلاصة البحث : الرواية الراجعة هي التي تحمل الرقم (١) ، والرواية
المرجوحة هي التي تحمل الرقم (٢) أو (٣) .

أقوال العلماء في نفي وجود شيء من الأشياء مع الله تعالى في الأزل :

المعروف عن العلماء أنهم رووا هذا الحديث وعملوا برواياته كلها، ومنها الرواية باللفظ الذي تتابع عليه معظم الرواة، وهو «كان الله ولا شيء غيره»، وهذه بعض النصوص عنهم:

- قال يزيد بن هارون - وهو أحد الأعلام الحفاظ المشاهير المتوفى سنة 206 هـ - عن الله تعالى وأزليته: «أي ليس معه شيء»⁽¹⁾.

- جاء عن الإمام أحمد ابن حنبل المتوفى سنة 241 رحمه الله أنه قال: «نحن نقول قد كان الله ولا شيء». [مجموعة فتاوى ابن تيمية المطبوعة بمطبعة كردستان العلمية 5: 77].

ويُروى عنه في كتاب منسوب إليه أنه قال: «إذا أردت أن تعلم ... فقل: أليس الله كان ولا شيء؟! فيقول: نعم. فقل ...»⁽²⁾.

- قال الإمام ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ: «كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شيء غيره ...»⁽³⁾. وقال: «لأنه كان ولا شيء موجود سواه». [تفسير الطبري: سورة الحديد، الآية 3].

- قال الإمام الطحاوي المتوفى سنة 321: «له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق». [العقيدة الطحاوية المطبوعة مع شرح ابن أبي العز 1: 116]. وهذا يعني أن الله تعالى كان بأسمائه الحسنَى وصفاته العُلَى في الأزل إذ لم يكن حينئذ مربوب ولا مخلوق، أي أنه كان ولم يكن شيء غيره.

- قال الإمام الحافظ ابن حبان في صحيحه: «ذكر الأخبار بأن الله جل وعلا كان ولا شيء غيره». ثم قال: «كان ولا زمان ولا مكان»⁽⁴⁾.

- جاء في «الاعتقاد القادري» الذي كُتب للخليفة العباسي القادر بالله المتوفى سنة 421 هـ: «كان ربنا وحده لا شيء معه»⁽¹⁾.

(1) - انظر: سنن الترمذي 5: 269، تفسير سورة هود.

(2) - الرد على الجهمية والزندقة المنسوب للإمام أحمد ص 139. وفي الطبعة الأخرى ص 84. ومحل الشاهد منه أن الإمام أحمد يقول - حسب هذا النص - بأن الله كان ولا شيء ويريد أن يحتج بذلك على الخصم. هذا والأصل في النفي إذا كان مسبوقاً باستفهام أن يكون تصديق النفي بـ «نعم»، وأن يكون نفي النفي بـ «بلى»، ويجوز عند جماعة من النحويين إذا كان النفي المسبوق بالاستفهام للتقرير وأمن اللبس - كما جاء في كلام الإمام أحمد هنا - استخدام «نعم» لنفي النفي، وقد جاء مثل هذا الاستعمال في كلام سيبويه. انظر: مغني اللبيب لابن هشام ص 453.

(3) - تاريخ الطبري 1: 31.

(4) - انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان 14: 7، 10.

- قال أبو محمد الجويني عبد الله بن يوسف المتوفى سنة 438: «الحمد لله الذي كان ولا مكان». [مجموعة الرسائل المنيرية 1: 174].

- أقر جماعة من أهل العلم ما جاء في «الاعتقاد القادري»، منهم الشيخ الزاهد أبو الحسن علي بن عمر القزويني المتوفى سنة 442 هـ، فقد كتب معلقاً عليه: «هذا قول أهل السنة وهو اعتقادي، وعليه اعتماد». ومنهم شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى ابن الفراء المتوفى سنة 458 هـ، وغيرهما (2).

- ذكر بعض أهل العلم أن القاضي أبا يعلى قال في «المعتمد»: «والحوادث لها أول ابتدأت منه، خلافاً للملاحدة».

- قال الإمام الحافظ البيهقي: [وقوله «كان الله ولم يكن شيء غيره» يدل على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما] (3).

وقال البيهقي كذلك: «لأن الله تعالى لم يخلق في الأزل ثم خلق» (4).

- قال الإمام الحافظ ابن عبد البر: «وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أن الله تعالى كان في الأزل لا في مكان» (5).

- قال الإمام البغوي: «كان الله خالقاً ولا مخلوق، ورباً ولا مربوب، ومالكاً ولا مملوك» (6).

- نقل ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة 456 هـ رحمه الله اتفاق العلماء على هذا فقال: «اتفقوا أن الله - عز وجل وحده لا شريك له - خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء» (7).

- قال القاضي أبو بكر بن العربي: «والذي يجب أن يُعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه». [عارضة الأحوزي 2: 198].

- قال الفقيه الحنبلي الكبير أحمد بن حمدان: «... لأنه كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو كما كان قبل خلق المكان».

(1) - انظر: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم لابن الجوزي 9: 4526، وفي الطبعة الأخرى 8: 109 في أحداث سنة 433.

(2) - انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 2: 198.

(3) - الأسماء والصفات للبيهقي ص 478، ومثله في كتاب الاعتقاد، وأضاف فيه قوله «وكل ذلك أغيار». انظر: الاعتقاد للبيهقي ص 56.

(4) - شعب الإيمان للبيهقي 1: 143.

(5) - التمهيد لابن عبد البر 7: 136.

(6) - شرح السنة للبغوي 1: 179.

(7) - مراتب الإجماع لابن حزم ص 193. وفي طبعة أخرى ص 167.

- قال الإمام ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة 597 هـ: «ولو سئل رسول الله ﷺ عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شيء معه»⁽¹⁾ .
- قال ابن شيخ الحزامين أحمد بن إبراهيم الواسطي المتوفى سنة 711 هـ وكان قد صحب ابن تيمية وأخذ عنه: «الحمد لله الذي كان ولا مكان». ثم قال: «الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء»⁽²⁾ .
● ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء :

- الإمام البخاري حيث اختار في كتاب بدء الخلق من صحيحه رواية «كان الله ولم يكن شيء غيره» دون الرواية الأخرى، مشيراً بذلك إلى أن الله تعالى ابتداء الخلق بعد أن لم يكن، لأنه قد كان سبحانه ولم يكن شيء غيره .
- الإمام الترمذي حيث ذكر في سننه قول يزيد بن هارون الذي تقدم قريباً ولم يذكر له مخالفاً ولا تعقبه بشيء .
- الإمام ابن خزيمة حيث روى الحديث بلفظ «كان الله ولا شيء غيره»، ولو لم يكن قائلاً بذلك لما رواه في كتاب التوحيد .

● أما قول ابن تيمية رحمه الله المخالف لأقوال هؤلاء فلم أجد من قال به قبله من علماء المسلمين، وهو نفسه نقل عن الإمام أحمد أنه قال «قد كان الله ولا شيء» .

غمز الحديث بعدم التواتر :

تقدم في المبحث المتعلق بكلام ابن تيمية في ترجيح رواية «ولم يكن شيء قبله» أنه رحمه الله قال عن حديث عمران بن حصين: «وهذا الحديث لو كان نصاً فيما ذكر فليس هو متواتراً» .
أقول: هذا غمز للحديث بسبب عدم التواتر، فهل يصح أن ترد الأحاديث النبوية وتُهمل دلالتها بمثل هذا؟! .

قائل هذا الكلام رجح اللفظ المرجوح دون أن يشعر، وكأنه خشي أن يثبت عند المحدثين خلاف ما رجحه، فأراد أن يدفع دلالة هذا الحديث أصلاً كي لا تكون حجة عليه !.

(1) - دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص 191، حديث 18 .

(2) - النصيحة لابن شيخ الحزامين ص 13، 32 .

لقد تبين من تخريج هذا الحديث ودراسة سنده أنه لا مطعن في اتصال سنده ولا مغمز فيمن تفرد به من رواته، وأن الصحيح الثابت من ألفاظه هو **«كان الله ولم يكن شيء غيره»**.

وإذا كان الحديث بهذه الدرجة من الصحة فإنه لا يجوز لأحد رده ولو كان أحادياً، إلا إذا خالف دلالة آية من كتاب الله تعالى أو حديث أثبت منه أو ما يرجع إلى هذين الأصلين.

وحيث إن الذي مهد القول لرده لم يأت بآية قرآنية مخالفة له في الدلالة، ولا بحديث أثبت منه، حتى ولا أقل منه ثبوتاً، ولا بدليل يرجع إلى هذين الأصلين: فقوله هو المردود.

بل إن آيات القرآن الكريم مؤكدة لمعنى الرواية الراجحة التي ثبتت صحتها حسب منهج المحدثين، والتي قد يمهد بعضهم القول لرد الحديث أصلاً خشية ثبوتها.

فمن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ... (3)} [سورة الحديد]. ووجه الاستدلال أن الله تعالى هو الأول، ووصفه بالأول يعني أنه لم يكن قبله شيء، ولم يكن معه شيء، لأنه لو كان معه شيء فإن الأولية غير متحققة له وحده، وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى كان وحده ولم يكن شيء غيره.

ومنها قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ... (4)} [سورة الحديد]. أخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه استوى على العرش بعد أن لم يكن مستوياً عليه⁽¹⁾، أي إن الاستواء على العرش كان بعد أن لم يكن، وهذا بخلاف قول القائل: بقدّم الاستواء، وإذا كان الله تعالى ولا عرش، فغير العرش من باب أولى، فنثبت أن الله تعالى كان ولم يكن شيء غيره.

إشكال وجواب :

قد يقول قائل: أليس أكثر أهل الحديث إنما يروون هذا الحديث بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله» فكيف تزعم أن الراجح غير ذلك؟

⁽¹⁾ قلت م نور عفا عنه ربه الغفور: الأفضل المحافظة على الكلمة القرآنية (استوى) فيكون تصحيح العبارة: بعد أن لم يكن استوى عليه، والله أعلم.

أقول: قال ابن تيمية رحمه الله: «وكان أكثر أهل الحديث إنما يروونه بلفظ القَبْلَ كان الله ولا شيء قبله، مثل الحميدي، والبغوي، وابن الأثير، وغيرهم»⁽¹⁾.
هكذا قال رحمه الله وغفر له، وفي هذا نظر، فمن عرف طرقَ هذا الحديث علم أن هذا القول مجانب للصواب .

لقد ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين⁽²⁾، والبغوي في مصابيح السنة [4: 16 - 17]، وابن الأثير في جامع الأصول [4: 15]، وكذا الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح [3: 1588] هذا الحديث بهذا اللفظ مجرد ذكر، بلا إسناد، ولم يرووه رواية بالسند !!.

لقد وقع هؤلاء على الرواية في «صحيح البخاري» في كتاب التوحيد، وتناقلوها في كتبهم، ولم يرووها بأسانيدهم، والذي يقوّي الرواية تعدد الطرق والأسانيد في كتب «مصادر الرواية»، لا تواردُ بعض المؤلفين على ذكر أحد الألفاظ في كتب «المراجع».

إن الواقف على طرق الحديث التي تقدم بيانها ليعلم يقيناً أن أكثر الرواة من المحدثين إنما رَوَوْه بغير هذا اللفظ، وهم خمسة عن الأعمش، وسبعة عن المسعودي، أما هذا اللفظ الذي تقول الدعوى إنه رواه أكثر أهل الحديث فقد انفرد به اثنان عن الأعمش، دون أن يرويه ولا راو واحد عن المسعودي الذي هو قرين الأعمش، فتأمل !!! وبهذا يُعلم أن هذه الدعوى هي مجرد وهم لا أساس له في الواقع.

أهم نتائج البحث

في آخر هذا البحث أخص أهم ما وصلت إليه من نتائج :

- حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال « **كان الله ولم يكن شيء غيره** » حديث صحيح، رواه البخاري وغيره .
- هذا الحديث مروي في «صحيح البخاري» من طريقين بلفظين، هما «كان الله ولم يكن شيء غيره» و«كان الله ولم يكن شيء قبله»، وكلاهما صحيحان في المعنى عند الجمهور .

(1) - بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية 1: 589، مجموع فتاوى ابن تيمية 18: 216، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية 5: 353، وفي طبعة أخرى 3: 175 - 176 .

(2) - الجمع بين الصحيحين للحميدي 1: 353 . والحميدي المقصود في كلام ابن تيمية هو الحافظ محمد بن فُتُوح الأندلسي المتوفى سنة 488 هـ صاحب الجمع بين الصحيحين، وليس عبد الله بن الزبير الحميدي المتوفى سنة 219 هـ صاحب المسند كما توهم المعلق على شرح العقيدة الطحاوية .

- من نسب رواية «كان الله ولا شيء معه» لصحيح البخاري فقد وهم .
- إذا اختلفت روايات الحديث فإن المحدثين يرجحون بكثرة الطرق وقوة ضبط الرواة، ولا مدخل لتوارد كتب المراجع على ذكر إحدى الروايات في عملية الترجيح .
- الراجح في هذا الحديث أنه بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره» .
- من رجع رواية هذا الحديث بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله» فقد وهم، وهذا اللفظ هو من باب الرواية بالمعنى .
- الآيات القرآنية الكريمة تؤكد المعنى الذي دل عليه لفظ الرواية التي ثبت رجحانها من خلال الدراسة الحديثية الإسنادية، أي «كان الله ولم يكن شيء غيره».
- المنقول من أقوال العلماء المتقدمين كله على وفق حديث «كان الله ولم يكن شيء غيره» حتى شدّ ابن تيمية وأتباعه بخروجهم على إجماع أهل العلم .
- ردُّ دلالة الحديث الصحيح الأحادي بحجة عدم التواتر أمر وارد عند ابن تيمية رحمه الله عندما يريد ذلك .
- و الحمد لله رب العالمين .

ونستعرض الآن بعض ردود العلماء على النحو التالي:

أ - شعب الإيمان للبيهقي - أسامي صفات الذات - حديث: 98

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل وسئل عن قوله تعالى: (تبارك)، فقال: "ارتفع وعلا".

فصل في الإشارة إلى أطراف الأدلة في معرفة الله عز وجل وفي حدث العالم

العالم عبارة عن كل شيء غير الله هو جملة الأجسام والأعراض وجميع ذلك موجود عن عدم بإيجاد الله عز وجل واختراعه إياه قال الله عز وجل وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وسئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن بدء هذا الأمر فقال: "كان الله ولم يكن شيء غيره" ثم ذكر الخلق.

فإن قال قائل: فهل في العقل دليل على حدث الأجسام؟

قيل: نعم وقد وجدنا الأجسام لا تنفك عن الحوادث المتعاقبة عليها كالا اجتماع والافتراق والسكون والحركة والألوان والطعوم والأرايح وما لم ينفك من

الحوادث ولم يسبقها محدث مثلها.

وإن قال: وهل فيه دليل على حدث الأعراض؟

قيل: نعم قد وجدناها تتضاد في الوجود ولا يصح وجود جميعها معا في محل فثبت أن بعضها يبطل ببعض وما يجوز عليه البطلان لا يكون إلا حادثا، لأن القديم لم يزل ولا يصح عليه العدم.

فإن قال: فهل فيه دليل على أن الحوادث لا بد لها من محدث؟

قيل: نعم حقيقة المحدث ما وجد عن عدم ولولا أن موجودا أوجده لم يكن وجوده أولى من عدمه ويتقدم بعضها على بعض فلولا أن مقدما قدم ما تقدم منه لم يكن حدوثه متقدما أولى من حدوثه متأخرا وكذلك وجود بعضه على بعض الهيئات المخصوصة يدل على جاعل خصه بتلك لولاه لم يكن بعض الهيئات أولى من بعض ولأنا نشاهد الأجسام ينتقل أسبابها، وتتبدل أحوالها فلولا أن منقلا نقلها، لم يكن انتقالها أولى من بقائها عليها وفي ذلك دليل على تعلقها بمن نقلها، وحاجتها إلى من غيرها، وأنها مصنوعة، وأن لها صانعا غيرها، ونحن نصوره في الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام، بأنه كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما ولحما ودما وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر على أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، فدل ذلك على أنه قبل تكامله واجتماع قوته عن ذلك أعجز.

وقد رأينا طفلا ثم شابا، ثم كهلا ثم شيخا. وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال فدل على أن ناقلا نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه.

ومما يبين ذلك أن القطن لا يجوز أن يتحول غزلا مفتولا ثم ثوبا منسوجا من غير صانع ولا مدبر، والطين والماء لا يجوز أن يصيرا بناء مشيدا من غير بان، وكما لا يجوز صانع لا صنع له. لا يجوز صنع إلا من صانع. وقد نبهنا الله تعالى في غير موضع من كتابه العزيز على ما ذكرنا من العبر، فقال عز وجل: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) (الروم: 20) (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: 21) (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم: 22) (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (الروم: 23) (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الروم: 24) (وَمِنْ آيَاتِهِ

أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (الروم: 25)

وإن قال قائل: ومن لكم بأن أثر الصنع موجود في السماوات والأرض ؟

قال الحلبي - رحمه الله تعالى - قيل له إن السماء جسم محدود متناه، فالمحدود المتناهي لا يجوز أن يكون قديماً، لأن القديم هو الموجود الذي لا سبب لوجوده، وما لا سبب لوجوده، فلا جائز أن يكون له نهاية لأنه لا يكون وجوده إلى تلك النهاية أولى من وجوده دونها، أو ورائها، ولأن المتناهي لا يكون خالص الوجود لأنه إلى نهايته يكون موجوداً، ثم يكون وراء نهايته معدوماً، والقديم لا يعدم. فصح أن المتناهي لا يجوز أن يكون قديماً، والسماء متناهية، فثبت أنها ليست بقديم.

فإن قيل: وما الدليل على أنها متناهية ؟ قيل: الدليل على ذلك أنها متناهية

عياناً من الجهة التي تلينا، فدل ذلك على أنها متناهية من الجهات التي لا نراها ولا نشاهدها، لأن تناهيتها من هذه الجهة قد أوجب أن لا يكون ما يلينا منها قديماً موجوداً إلا بسبب، فصح، أن ما لا تلينا منها فهي كذلك أيضاً، لأنه لا يجوز أن يكون شيء، واحد بعضه قديم وبعضه غير قديم، وأيضاً فإن السماء جسم ذو أجزاء، كل جزء منه محدود متناه، فدل ذلك على أن جميعها محدود متناه - ثم ساق الكلام إلى أن قال - " وما قلته في السماء فهو في الأرض مثله وأبين، لأن أجزاء الأرض تقبل في العيان أنواعاً من الاستحالة، وكذلك الماء والهواء لأن أجزاء كل واحد من هذه الأشياء يجتمع مرة، ويفترق أخرى، وينتقل من حال إلى حال، فصار حكمها حكم غيرها من الأجسام التي ذكرنا في الحاجة إلى مغير غيرها، وناقل نقلها، وهو الله الواحد القهار "

قال: البيهقي - رحمه الله تعالى - :

فإن قال قائل: وهل في العقل دليل على أن محدثها واحد ؟

قيل: نعم وهو استغناء الجميع في حدثه بمحدث واحد، والزيادة عليه لا ينفصل منها عدد من عدد، ولأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظم، ولا يتسق على أحكام، كما قال الله عز وجل: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الانبياء: 22)

ولكان العجز يلحقهما، أو أحدهما وذلك أنه لو أراد أحدهما إحياء جسم، أراد الآخر إماتته، كان لا يخلو من أن يتم مرادهما، وهذا مستحيل، أو لا يتم مرادهما، أو مراد أحدهما دون صاحبه، ومن لم يتم مراده كان عاجزاً، والعاجز لا يكون

إلها ولا قديما، وبعبارة أخرى وهي أن حال الاثنين لا يخلو من صحة المخالفة، أو تعذر المنازعة، فإن صحت المخالفة، كان الممنوع من المراد موصوفا بالقهر، وإن تعذرت المنازعة كان كل واحد منهما موصوفا بالنقص والعجز، وذلك يمنع من التشبيه، وقد دعانا الله عز وجل إلى توحيده في غير موضع من كتابه بما أرانا من الآيات، وأوضح لنا من الدلالات، فقال عز وجل: (وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة: 163) (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: 164)، إلى سائر ما ورد في الكتاب من الدلالات على صنعه وتوحيده" انتهى من كلام البيهقي رحمه الله.

ب - الاعتقاد للبيهقي - باب في ذكر صفة الفعل - حديث: 33:

قال الأستاذ الإمام رحمه الله: قوله: " كان الله ولم يكن شيء غيره " يدل على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، وكل ذلك أغيار⁽¹⁾، وقوله: " وكان عرشه على الماء " يعني به: ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء. وبيان ذلك في حديث أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: " ثم خلق العرش على الماء ".

ج - جواب القاضي أبو زيد الدبوسي الحنفي⁽²⁾ على السؤال:

(قد ذكرت أن الله تبارك وتعالى أزلي بأسمائه، فكيف تعرفه خالقاً ولا

مخلوق؟)

فأجاب: إنا لا نصف الله تعالى بأحوال تحدث - تعالى الله عن ذلك - ولكن سميناه خالقاً على معنى القدرة على إيجاد المعدوم، فالخلق هو الاسم الخاص الدال على هذا المعنى، حتى قيل للكذب: خَلَقٌ، لأنه ليس له مخبر عنه سابق، وإنما هو إيجاد للحال، أو عبارة عن ابتداء التقدير لأمر يريد أن يفعله الصانع على الصواب، والله تلك القدرة به.

فأما إخبار عن الفعل وهو أنه خَلَقَ الخلق، ولا نجعله أزلياً، وإنما نريد به ما

(1) الأغيار: هي كل شيء غير الله تعالى (م نور).

(2) في كتابه الأمد الأقصى تحقيق محمد عبد القادر عطا ص 318، طبع دار الكتب العلمية - بيروت ط 1405 هـ - 1985 م.

انخلق هذا العالم به حين الخلق، كما يقال في الشاهد: فلان مناظر إذا ظهرت قدرته عليها، ولا يقال: ناظر فلان؛ إلا إذا وجد منه فعل المناظرة معه حقيقة، إلا أنه في الشاهد ما تثبت الصفة إلا بظهور الفعل منه بحق، **وتثبت الصفة للصانع بالحجة قبل الخلق**). انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: أي إن الله تعالى له صفة الربوبية والخالقية قبل أن يخلق المخلوقات، لأنه سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [سورة الشورى]. أما البشر فتحصل لهم صفات فعلية بعد فعلها، أما الخالق سبحانه فصفاته قائمة بذاته، ليست هي ذاته، وليست غيره، أزلية أبدية، لا يطرأ عليها الزمان، لأنه خالق الزمان بخلق الشمس والقمر وبدء جريانهما بأمر الله تعالى (1)، ولأنه سواء فعل الله تعالى أم لم يفعل، فهو موصوف بذلك الفعل؛ ما دام وصف نفسه به، وهي صفات الكمال والجلال التي لا يوصف بها غيره سبحانه:

د - ودليله أيضاً ما ورد في القرآن (كان الله) فهي في حق الله تعالى كان التامة الأزلية (2) المحققة الوجود، وليست الناقصة التي هي من شأن المخلوق الناقص، كما مر معنا آنفاً من النقل في شرح الحديث عن ابن حجر: (قال الراغب: (كان) عبارة عما مضى من الزمان، لكنها في كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية كقوله تعالى: (وكان الله بكل شيء عليمًا).

(1) قال الله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (36) سورة التوبة.

فالشهور السنوية اثنا عشر شهراً في علم الله تعالى هي كذلك عند خلقه لها، ويوم خلق أسبابها من الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار.

(2) قال سيبويه: قد يكون لـ (كان) موضع آخر - أي غير كان الناقصة - يُقتصر على الفاعل فيه، تقول: قد كان عبدُ الله، أي قد خُلِقَ ووجد، وقد كان الأمر أي وقع) انظر معجم القواعد العربية تأليف عبد الغني الدقر، طبع دار القلم بدمشق. ونلاحظ من الأمثلة دخول قد التحقيقية على كان حتى تعطي معنى التحقق والوقع التام، أما بالنسبة لله تعالى فلا تحتاج كان لـ قد التحقيقية.

وكذلك بالنسبة لـ (هو) فهو ضمير الغائب بالنسبة للبشر، وهو بالنسبة لله تعالى حاضر: أخرج البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: (أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَانِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا) ثُمَّ أَتَى عَلِيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي: (يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسٍ! قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، أَوْ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ بِهِ)

ورواه مسلم: الترمذي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده. فسبحان من: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السميع البصير) (11) [سورة الشورى]. حتى في التحقيق اللغوي عن صفاته جل وعلا. والله أعلم.

وإليك بيانها في القرآن:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا (99) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) سورة النساء.
(وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) سورة الأحزاب.

ج - وأخرج البخاري في صحيحه - باب قوله وما يهلكنا إلا الدهر - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)** ورواه مسلم: أبو داود: أحمد في مسنده: ط: مسلمي. (1).

(1) قال الحافظ في الفتح: (قوله: (يؤذيني ابن آدم) كذا أورده مختصرا، وقد أخرجه الطبري عن أبي كريب عن ابن عيينة بهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، هُوَ الَّذِي يَمِينُنَا وَيَحِينُنَا، فَقَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثية: 24) الْآيَةَ، قَالَ فَيَسْبُونَ الدَّهْرَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ" فَذَكَرَهُ.**

قال القرطبي: معناه يخاطبني من القول بما يتأذى من يجوز في حقه التأذي، والله منزّه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا من التوسع في الكلام. والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله. **قوله: (وأنا الدهر) قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدير الأمور التي ينسبونها إلى الدهر،** فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور. وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر.

وقال النووي: قوله "أنا الدهر" بالرفع في ضبط الأكثرين والمحققين، ويقال بالنصب على الظرف أي أنا باق أبدا، والموافق لقوله "إن الله هو الدهر" الرفع وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث فقال: لا تسبوه فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل فإنكم إذا سببتموه سببتموني.

أو الدهر هنا بمعنى الداهر، فقد حكى الراغب أن الدهر في قوله "إن الله هو الدهر" غير الدهر في قوله: "يسب الدهر" قال: والدهر الأول: الزمان، والثاني: المدير المصرف لما يحدث، ثم استضعف هذا القول لعدم الدليل عليه. ثم قال: لو كان كذلك لعد الدهر من أسماء الله تعالى انتهى.

وكذا قال محمد بن داود محتجا لما ذهب إليه من أنه بفتح الراء فكان يقول: لو كان بضمها لكان الدهر من أسماء الله تعالى.

وتعقب بأن ذلك ليس بلازم، ولا سيما مع روايته " فإن الله هو الدهر " .

قال ابن الجوزي: يصوب ضم الراء من أوجه:

- أحدها: أن المضبوط عند المحدثين بالضم.

- ثانيها: لو كان بالنصب يصير التقدير فأنا الدهر أقلبه، فلا تكون علة النهي عن سبه المذكورة لأنه تعالى يقلب الخير والشر فلا يستلزم ذلك منع الذم.

- ثالثها: الرواية التي فيها " فإن الله هو الدهر " انتهى.

وهذه الأخيرة لا تعين الرفع لأن للمخالف أن يقول: التقدير فإن الله هو الدهر يقلب، فترجع للرواية الأخرى، وكذا ترك ذكر علة النبي لا يعين الرفع لأنها تعرف من السياق، أي لا ذنب له فلا تسبوه . انتهى.

وقال النووي في شرح الحديث: (قوله سبحانه وتعالى: (يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر بيدي الليل والنهار).

وفي رواية قال الله تعالى عز وجل: (يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار).

وفي رواية: (يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما).

وفي رواية: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر).

وأما قوله عز وجل: (وأنا الدهر) فإنه برفع الراء، هذا هو الصواب المعروف الذي قاله الشافعي وأبو عبيد وجماهير المتقدمين والمتأخرين.

وقال أبو بكر ومحمد بن داود الأصبهاني الظاهري: إنما هو الدهر بالنصب على الظرف، أي أنا مدة الدهر أقلب ليله ونهاره.

وحكى ابن عبد البر هذه الرواية عن بعض أهل العلم.

وقال النحاس: يجوز النصب أي فإن الله باق مقيم أبدا لا يزول.

قال القاضي: قال بعضهم: هو منصوب على التخصيص. قال: والظرف أصح وأصوب.

أما رواية الرفع: وهي الصواب، فموافقة لقوله " فإن الله هو الدهر "، قال العلماء: وهو مجاز، وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فيقولون: يا خيبة الدهر، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر "

أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو فاعلها ومنزلها.

وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

ومعنى " فإن الله هو الدهر " أي فاعل النوازل والحوادث، وخالق الكائنات. والله أعلم . انتهى.

وقال الله تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (سورة الجاثية 24)

قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا!

أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية

الدرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا العقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا إلا الدهر.

قال الله تعالى: (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثية: من الآية 24) أي يتوهمون ويتخيلون.

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبها الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يقول تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره"**. وفي رواية: **"لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر"**.

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال: حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يمينتنا وحينما فقال الله تعالى في كتابه: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثية: 24) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار"** وأخرجه صاحبها الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به.

وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يقول الله تعالى أستقرضت عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي يقول: وادهره وأنا الدهر"**.

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسر قوله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"**.

كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكانهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذوا من هذا الحديث هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم. وقال القرطبي في تفسيره: (قال مجاهد: يعني السنين والأيام، وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد. وقرئ "إلا دهر يمر".

وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا؛ فنزلت هذه الآية. وقال قطرب: وما يهلكنا إلا الموت؛ وأنشد قول أبي ذؤيب: أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال عكرمة: أي وما يهلكنا إلا الله.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا

قال البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - بَاب مَا جَاءَ فِي تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمْرُهُ، فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلُهُ وَأَمْرُهُ وَكَلَامِهِ، وَهُوَ الْخَالِقُ الْمَكُونُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ وَأَمْرُهُ وَتَخْلِيْقُهُ وَتَكْوِينُهُ فَهُوَ: مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكُونٌ (1)

الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار". قلت: قوله "قال الله" إلى آخره نص البخاري ولفظه. وخرجه مسلم أيضا وأبو داود.

وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر)**. وقد استدلل بهذا الحديث من قال: إن الدهر من أسماء الله.

وقال من لم يجعله من العلماء اسماً: إنما خرج رداً على العرب في جاهليتها؛ فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل كما أخبر الله عنهم في هذه الآية؛ فكانوا إذا أصابهم ضرر أو ضيم أو مكروه نسبوا ذلك إلى الدهر فقليل لهم على ذلك: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر؛ أي إن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر فيرجع السبب إليه سبحانه؛ فنهوا عن ذلك.

ودل على صحة هذا ما ذكره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى يؤذيني، ابن آدم...) الحديث. ولقد أحسن من قال، وهو أبو علي الثقفي:

يا عاتب الدهر إذا نابَه

لا تلم الدهر على غدره

الدهر مأمور، له أمر

وينتهي الدهر إلى أمره

كم كافر أمواله جمّة

تزداد أضعافاً على كفره

ومؤمن ليس له درهم

يزداد إيماناً على فقره

وروي أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر فزجره أبوه وقال: إياك يا بني وذكر الدهر! وأنشد:

فما الدهر بالجاني لشيء لحينة

ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا

ولكن متى ما يبعث الله باعثاً

على معشر يجعل مياسيرهم عسراً

وقال أبو عبيد: ناظرت بعض الملحدة فقال: ألا تراه يقول: "فإن الله هو الدهر"؟

فقلت: وهل كان أحد يسب الله في آباء الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

إن محلاً وإن مرتحلاً

وإن في السفر إذ مضوا مهلاً

استأثر الله بالوفاء وبالعد

ل وولى الملامة الرجال

قال أبو عبيد: ومن شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب؛ حتى ذكروه في أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه. قال عمرو بن قميئة:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنها نبل إذا لانقيتها

ولكنني أرمى بغير سهام

على راحتين مرة وعلى العصا

أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

ومثله كثير في الشعر، ينسبون ذلك إلى الدهر ويضيفونه إليه، والله سبحانه الفاعل لا رب سواه. (والله أعلم.)

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قوله) (باب ما جاء في تخلق السموات والأرض وغيرها من الخلائق) كذا للأكثر "تخليق" وفي رواية الكشميهني "خلق السموات" وعليها شرح ابن بطلال وهو المطابق للآية.

وأما التخليق فإنه من خلق بالتشديد، وقد استعمل في مثل قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة)...
قوله (وهو فعل الرب وأمره) المراد بالأمر هنا قوله كن، والأمر يطلق بإزاء معان منها صيغة أفعَل ومنها الصفة والشأن، والأول المراد هنا.

قوله (فالرب بصفاته وفعله وأمره) كذا ثبت للجميع وزاد أبو ذر " في روايته وكلامه " .
قوله (وهو الخالق المكون غير مخلوق) المكون بتشديد الواو المكسورة لم يرد في الأسماء الحسنى، ولكن ورد معناه " وهو المصور " وقوله وكلامه بعد قوله: وأمره من عطف الخاص على العام لأن المراد بالأمر هنا قوله كن وهو من جملة كلامه وسقط قوله من هذا الموضع وفعله في بعض النسخ.
قال الكرمانى: وهو أولى ليصح لفظ غير مخلوق كذا قال وسياق المصنف، يقتضي التفرقة بين الفعل وما ينشأ عن الفعل فالأول من صفة الفاعل، والباري غير مخلوق فصفاته غير مخلوقة وأما مفعوله وهو ما ينشأ عن فعله فهو مخلوق ومن ثم عقبه بقوله: وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون بفتح الواو والمراد بالأمر هنا المأمور به وهو المراد بقوله تعالى:

(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)(النساء: من الآية 47) (الأحزاب 37)، وبقوله تعالى (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ)(يوسف: من الآية 21) إن قلنا الضمير لله، وبقوله تعالى (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)(الطلاق: من الآية 1)، بقوله تعالى (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (الإسراء: من الآية 85)، وفي الحديث الصحيح " أن الله يحدث من أمره ما يشاء " وفيه "سبوح قدوس رب الملائكة والروح " وأما قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)(الأعراف: من الآية 54) فسيأتي في آخر " كتاب التوحيد.

" احتجاج ابن عيينة وغيره به على أن القرآن غير مخلوق لأن المراد بالأمر قوله تعالى (كن) وقد عطف على الخلق، والعطف يقتضي المغايرة و(كن) من كلامه، فصح الاستدلال، ووهم من ظن أن المراد بالأمر هنا هو المراد بقوله تعالى (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) لأن المراد به في هذه الآية المأمور فهو الذي يوجد بـ (كن)، وكن صيغة الأمر وهي من كلام الله وهو غير مخلوق، والذي يوجد بها هو المخلوق، وأطلق عليه الأمر لأنه نشأ عنه.

ثم وجدت بيان مراده في كتابه الذي أفرد فيه (خلق أفعال العباد) (أي تأليف الإمام البخاري م نور فقال: (اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول:

- فقالت القدرية: الأفاعيل كلها من البشر.
- وقالت الجبرية: الأفاعيل كلها من الله.
- وقالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد ولذلك قالوا: (كن) مخلوق.
- وقال السلف: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة، ففعل الله صفة الله، والمفعول من سواه من المخلوقات) انتهى.

ومسألة التكوين مشهورة بين المتكلمين:

- وأصلها: أنهم اختلفوا هل صفة الفعل قديمة أو حادثة؟
 - فقال جمع من السلف منهم أبو حنيفة: هي قديمة.
 - وقال آخرون منهم ابن كلاب والأشعري: هي حادثة لئلا يلزم أن يكون المخلوق قديماً.
- وأجاب الأول بأنه يوجد في الأزل صفة الخلق ولا مخلوق.
- وأجاب الأشعري بأنه لا يكون خلق ولا مخلوق كما لا يكون ضارب ولا مضروب فالزموه بحدوث صفات، فيلزم حلول الحوادث بالله،
- فأجاب:** بأن هذه الصفات لا تحدث في الذات شيئاً جديداً، فتعقبوه بأنه يلزم أن لا يسمى في الأزل خالقاً ولا رازقاً، وكلام الله قديم، وقد ثبت أنه فيه الخالق الرزاق.

فانفصل بعض الأشعرية بأن إطلاق ذلك إنما هو بطريق المجاز وليس المراد بعدم التسمية عدمها بطريق الحقيقة، ولم يرتض هذا بعضهم بل قال: - وهو المنقول عن الأشعري نفسه: إن الأسامي جارية مجرى الأعلام، والعلم ليس بحقيقة ولا مجاز في اللغة، وأما في الشرع فلفظ الخالق الرازق صادق عليه تعالى بالحقيقة الشرعية، والبحث إنما هو فيها لا في الحقيقة اللغوية، فألزموه بتجوير إطلاق اسم الفاعل على من لم يقم به الفعل، فأجاب: أن الإطلاق هنا شرعي لا لغوي) انتهى.

وتابع ابن حجر قوله: (وتصرف البخاري في هذا الموضع يقتضي موافقة القول الأول، والصائر إليه يسلم من الوقوع في مسألة حوادث لا أول لها وبالله التوفيق).

وأما ابن بطل فقال: غرضه بيان أن جميع السموات والأرض وما بينهما مخلوق، لقيام دلائل الحدوث عليها، ولقيام البرهان على أنه لا خالق غير الله وبطلان قول من يقول: إن الطبائع خالقة أو الأفلاك أو النور أو الظلمة أو العرش، فلما فسدت جميع هذه المقالات لقيام الدليل على حدوث ذلك كله وافتقاره إلى محدث لاستحالة وجود محدث لا محدث له وكتاب الله شاهد بذلك كآية الباب، استدلت بآيات السموات والأرض على وحدانيته وقدرته وأنه الخالق العظيم وأنه خالق سائر المخلوقات، لانتهاء الحوادث عنه الدالة على حدوث من يقوم به وأن ذاته وصفاته غير مخلوقة، والقرآن صفة له فهو غير مخلوق ولزم من ذلك أن كل ما سواه كان عن أمره وفعله وتكوينه وكل ذلك مخلوق له انتهى، ولم يعرج على ما أشار إليه البخاري فله الحمد على ما أنعم .) انتهى.

و قال العلامة الكوثري - رحمه الله ورضي عنه - في مقدمة كتاب (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر:

(وأول مَنْ عُرِفَ بالقول بخلق القرآن الجعد بن درهم بدمشق، وكان جهم أخذ ذلك القول من الجعد وضمه إلى بدعه التي قام بإذاعتها ومن جعلتها نفي الخلود، ولما قام الحارث بن سريج بخراسان ضد الأموية داعياً إلى الكتاب والسنة اعتضد بجهم، وكان مقاتل بن سليمان ينشر هناك نحلته في التجسيم فأخذ جهم يرد عليه وينفي ما يثبته مقاتل، فأفرط في النفي حتى قال: (إن الله لا يوصف بما يوصف به العباد) ولم يفرق بين الاشتراك في الاسم والاشتراك في المعنى، والممنوع هو الثاني دون الأول بشرط كونه وارداً في الشرع، لأن العلم مثلاً مما ورد وصف الخالق به، والمخلوق مع أنه ليس بمشترك بينهما في المعنى؛ **لأن علم الله حضوري وعلم المخلوق حصولي**، وكذلك بقية الصفات، وتنسب لجهم آراء وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبة غالب من نسب إليه من قبيل النبذ بالألقاب تهويلاً لسوء سمعه الرجل بين الفرق وآراؤه توزعت بينهم بعد تمحيصها على حسب أنظارهم لا على ما ارتآه جهم شأن كل رأي يشيع في الناس.) اهـ

وقال أيضاً الحافظ الثقة الإمام ابن عساكر رحمه الله تعالى (تبيين كذب المفتري ص 359): "وهم - يعني الأشاعرة - المتمسكون بالكتاب والسنة، التاركون للأسباب الجالبة للفتنة، الصابرون على دينهم عند الابتلاء والمحنة، الظاهرون على عدوهم مع اطراح الانتصار والإحنة، لا يتركون التمسك بالقرآن والحجج الأثرية، ولا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية، لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول، ويتجنبون إفراط المعتزلة ويتنبهون طرق المعطلة، ويظهرون تفريط المجسمة المشبهة، ويفضحون بالبراهين عقائد الفرق المموهة، وينكرون مذاهب الجهمية وينفرون عن الكرامية والسالمية، ويبطلون مقالات القدرية ويرذلون شبة الجبرية... فمذهبيهم أوسط المذاهب، ومشربيهم أعذب المشارب، ومنصبهم أكرم المناصب، ورتبتهم أعظم المراتب فلا يؤثر فيهم قدح قادح، ولا يظهر فيهم جرح جارح" اهـ

و يقول الإمام الثقة حافظ الشام ابن عساكر في كتابه (تبیین كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري)، متكلما عن كتاب الإبانة المنسوب للإمام الأشعري:-
(بل هم يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد ويعتمدون عليها أشد اعتماد فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبتته لنفسه من الصفات ويصفونه بما تصف به في محكم الآيات وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات **وينزهونه عن سمات النقص والآفات فإذا وجدوا من يقول بالتجسيم أو التكيف من المجسمة والمشبهة ولقوا من يصفه بصفات المحدثات من القائلين بالحدود والجهة فحينئذ يسلكون طريق التأويل ويثبتون تنزيهه بأوضح الدليل ويبالغون في إثبات التقديس له والتنزيه خوفا من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه فإذا أمنوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم وترك الخوض في التأويل إلا عند الحاجة أحزم وما مثالهم في ذلك إلا مثل الطبيب الحاذق الذي يداوي كل داء من الأدواء بالدواء الموافق).**
وأخرج اللالكائي عن المزني قال: " قال الشافعي : تدري من القدري؟ الذي يقول: إن الله لم يخلق الشيء حتى عمل به، وقال المزني والشافعي بكفره.
وأورد البيهقي عن الشافعي حيث قال: " القدرية الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوا لَهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوا لَهُمْ**).
الذين يقولون: "إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون ")
أخرجه أبو داود (كتاب السنة) باب في القدر 5 / 66 ح 4601، والحاكم في المستدرک 1 / 85، وكلاهما من طريق أبي حازم عن ابن عمر، قال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع ابن أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه " وأقره الذهبي.
قال البيهقي رحمه الله:
" وإنما سموا قدرية ؛ لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم ، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى ، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم ، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة " انتهى من " الاعتقاد " (ص245)
وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " إِنَّمَا جَعَلَهُمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجُوسًا لِمُضَاهَاةِ مَذْهَبِهِمْ مَذْهَبَ الْمَجُوسِ فِي قَوْلِهِمُ بِالْأَصْلَيْنِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْ فِعْلِ النُّورِ ، وَالشَّرَّ مِنْ فِعْلِ الظُّلْمَةِ ، فَصَارُوا تَنْوِيَةً . وَكَذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ يُضَيِّفُونَ الْخَيْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالشَّرَّ إِلَى غَيْرِهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيعًا ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ ، فَهُمَا مُضَافَانِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقًا وَإِيجَادًا ، وَإِلَى الْفَاعِلَيْنِ لَهُمَا مِنْ عِبَادِهِ فِعْلًا وَكَتْسَابًا " انتهى." (شرح مسلم) "1/154).
حكم الصلاة خلف القدري : وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه يكره الصلاة خلف القدري.
وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال: " سألت الشافعي أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجئ ، قلت: صفهم لنا ، قال: **من قال: الإيمان قول فهو مرجئ ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي ، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري .**
وفي مركز الفتوى لموقع إسلام ويب:
(القدرية هم نفاة القدر، الذين يقولون: لا قدر والأمر أنف، أي مستأنف، وهذا نفي لعلم الله تعالى السابق، واعتقاد أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها.

وهذا قول بين الضلال، وهو كفر بالله تعالى، وتكذيب للمعلوم من الدين بالضرورة. والمعتقد الصحيح الذي تضافرت عليه أدلة الكتاب والسنة إثبات علم الله تعالى السابق، وأنه كتب مقادير الخلائق جميعاً قبل أن يخلقهم، وأنه لا يقع في كونه إلا ما شاء وأراد.

قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]
وقال: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحديد: 22]

وقال: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: 125) إلى غير ذلك من الآيات البينات.

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء". وفي الصحيحين - وهذا لفظ مسلم - عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار" قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: " لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له" ثم قرأ (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إلى قوله (فسنيسره للعسرى).

وروى أبو داود في سننه أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة" يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من مات على غير هذا فليس مني". وقد ورد في السنة أحاديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم في ذم القدرية ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة، وهي وإن كانت لا تخلو من مقال، إلا أن بعضها يصل إلى درجة الحسن، منها: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم" رواه أبو داود، ورمز له السيوطي بعلامة الصحة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وأول من قال بالقدر: معبد الجهني البصري في أواخر عهد الصحابة، وأخذ عنه غيلان الدمشقي، وقد تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أوفى وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم.

وفي صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فسألنا عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب... فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريئ منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر".

ومع إثبات أهل السنة والجماعة للقدر، فإنهم يرون للإنسان اختياراً وإرادة هي مناط التكليف، والعبد وإرادته مخلوقات لله تعالى، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم وصرحت به السنة النبوية، كقوله تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم) وقوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقوله: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله).

د - والله تعالى يخلق بقوله (كن فيكون):

(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (117)

سورة البقرة.

(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (47) سورة آل عمران.

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (59)

سورة آل عمران.

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ **كُنْ** فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) سورة الأنعام.

(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (40) سورة النحل.

(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ

(35) سورة مريم.

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (82) سورة يس.

(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (68) سورة

ومن هذا يعلم بطلان قول من يقول إن إرادة الإنسان وقوة روحه أو قوة تركيزه أو عزيمته هي وحدها المؤثرة، فإنه لا يقع في كون الله تعالى إلا ما يشاؤه، ولا يستطيع العبد أن يفعل شيئاً إلا إذا أراد الله تعالى ذلك، كما في الآية السابقة (لمن شاء منكم أن يستقيم* وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) [التكوير: 28، 29] فأثبت للعبد مشيئة، وأخبر أنها لا تؤثر ولا تنفذ إلا بعد مشيئة الله تعالى، لكن العبد فاعل لفعله حقيقة، ولهذا يحاسب عليه ويجازى.

وأما اشتراط اليقين لإجابة الدعاء فهو كاشتراط طيب المطعم والملبس، وكاشتراط خلو الدعاء من الإثم وقطيعة الرحم، فحضور القلب ويقين الداعي بأن الله سيجيبه سبب لقبول الدعاء، وهو من إحسان الظن بالله تعالى، والله عند ظن عبده به.

وقولهم: الدعاء لا يفيد والمفيد إنما هو اليقين أو الإرادة، خطأ واضح، فإن اليقين هنا يراد به أن تتيقن أن الله سيجيب دعاءك، وهذا لا يكون إلا حيث وجد الدعاء.

ولا وجه لتشبيه المسلم الموحّد الذي يفرد الله تعالى بالعبادة ويعتقد أنه الخالق المالك الذي لا يقع في ملكه إلا ما أراد، لا وجه لتشبيه هذا المسلم بعباد الصنم.

وعباد الأصنام كانوا يثبتون القدر، ولكنهم كانوا يحتجون به على جواز الشرك والانحراف، كما قال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا) [الأنعام: 148] والاحتجاج بالقدر على الذنوب والآثام باطل، فإن المشرك يفعل هذا الباطل باختياره، لا يشعر أن أحداً يجبره عليه، فكان واجباً عليه أن يمتثل أمر ربه بتوحيده وترك الإشراك به، وكل هذا في مقدوره وتحت وسعه، وتجد تفصيلاً لهذا الأمر فيما سبق من الفتاوى.

والله أعلم. انتهى.

غافر.

- دليل له معنى الربوبية ولا مربوب:

(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ⁽¹⁾) لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) سورة الحشر.

إن الله تعالى هو رب ومالك قبل أن يخلق الأشياء، وهو رب كل شيء بعد أن خلقها، وقد وردت الآيات بذلك:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) (2) سورة الفاتحة.

(1) قال القرطبي في تفسيره: ("الخالق" هنا المقدر. و"البارئ" المنشئ المخترع. و"المصور" مصور الصور ومركبها على هياكل مختلفة. فالتصوير مرتب على الخلق والبرائة وتابع لهما. ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل. وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها. فتبارك الله أحسن الخالقين. وقال النابغة:

الخالق البارئ المصور في الأرحام ماء حتى يصير دما
وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير، وليس كذلك، وإنما التصوير آخره والتقدير أولا والبرائة بينهما. ومنه قوله الحق: "وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير" [المائدة: 110]. وقال زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
يقول: تقدم ما تقدر ثم تفريه، أي تمضيه على وفق تقديرك، وغيرك يقدر ما لا يتم له ولا يقع فيه مراده، إما لقصوره في تصور تقديره أو لعجزه عن تمام مراده.

وقد أتينا على هذا كله في "الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" والحمد لله. وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ "البارئ المصور" بفتح الواو ونصب الراء، أي الذي يبرأ المصور، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات. ذكره الزمخشري. انتهى.

(2) قال القرطبي في تفسيره: (رَبِّ: أي مالكهم، وكل من ملك شيئا فهو ربه؛ فالرب: المالك. وفي الصحاح: والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة؛ وقد قالوه في الجاهلية للملك، قال الحارث بن حلزة:

وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء
والرب: السيد: ومن قوله تعالى: "اذكرني عند ربك" [يوسف: 42]. وفي الحديث: (أن تلد الأمة ربته) أي سيدتها؛ وقد بيناه في كتاب (التذكرة).

والرب: المصلح والمدير والجابر والقائم. قال الهروي وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربه يربه فهو رب له وراب؛ ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب. وفي الحديث: (هل لك من نعمة تربها عليه) أي تقوم بها وتصلحها.

والرب: المعبود؛ ومنه قول الشاعر:
أرب يبول الثعلبان برأسه

ويقال على التكثير: رباه وربيه وربته؛ حكاه النحاس. وفي الصحاح: ورب فلان ولده يربه ربا وربيه وتربيه بمعنى؛ أي رباه. والمربوب: المربى.

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) سورة الأنعام.

(قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) سورة الأنعام.

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف.

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) سورة التوبة.

(دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) سورة يونس.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) سورة الرعد.

(وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) سورة الكهف.

(رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) سورة مريم.

قال بعض العلماء: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم؛ لكثرة دعوة الداعين به، وتأمل ذلك في القرآن، كما في آخر "آل عمران" وسورة "إبراهيم" وغيرهما، ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب، مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال.

واختلف في اشتقاقه؛ فقيل: إنه مشتق من التربية؛ فالله سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم، ومنه قوله تعالى: "وربانيكم اللاتي في حجوركم" [النساء: 23]. فسمى بنت الزوجة ربببة لتربية الزوج لها. فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل؛ وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات. متى أدخلت الألف واللام على "رب" اختص الله تعالى به؛ لأنها للعهد، وإن حذفنا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده، فيقال: الله رب العباد، وزيد رب الدار؛ فالله سبحانه رب الأرباب؛ يملك المالك والمملوك، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مملوك فمملك بعد أن لم يكن، ومنزوع ذلك من يده، وإنما يملك شيئا دون شيء؛ وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعاني، فهذا الفرق بين صفة الخالق والمخلوقين. انتهى.

(قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) سورة الأنبياء.

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) سورة غافر.
(هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65) سورة غافر.

(قُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) سورة الجاثية.
- دليل (لَهُ مَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٍ):

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ (86) سورة الحجر.
(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) سورة الحشر.
(مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا (51) سورة الكهف.

(أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا (67) سورة مريم.
(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) سورة الأنبياء.

(أَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) سورة النمل.
(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) سورة القصص.

(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) سورة العنكبوت.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) سورة الروم.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) سورة الروم.

(مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28) سورة لقمان.
(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) سورة السجدة.
(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ

الْخَلْقُ الْعَلِيمُ (81) سورة يس.
(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ
أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) سورة الزمر.
(الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(57) سورة غافر.
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ
أُتُوبِ (38) سورة ق. (1).

9 - (وَكَمَا أَنَّهُ مُخَيِّ الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا؛
 - اسْتَحَقَّ هَذَا الْاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ؛
 كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ (أ - غ)؛

الشرح: هذا رد مفحم من الإمام الطحاوي على الفلاسفة والكرامية، ومن تبعهم، الذين قالوا: بحوادث لا أول لها، والمسمى بالقدم النوعي، يعني أن الله تعالى كان يخلق ويميت ثم يخلق ويميت ثم يخلق ويميت، وهكذا، بمعنى: أن الله

(1) الآيات القرآنية الدالة على أن الله خالق، كثيرة منها أيضاً:
 (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) آل عمران.
 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) النساء.
 (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) الأنعام.
 (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) الأعراف.

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) الأعراف.

(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) يونس.

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَا تَوَفَّكُونَ (34) يونس.
 (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) الحجر.

اكتسب صفة الخالقية لقيامه بفعل الخلق، مشبهين صفات الله تعالى بخلقه، فرد الإمام الطحاوي عليهم: **فكما أن الله له صفة الخالقية ولا مخلوق، كذلك له صفة المحيي قبل إحيائهم، وبذلك يبطل القدم النوعي، لأنهم يثبتون أن صفة الخالقية لا بد أن تفعل،** فرد عليهم الطحاوي، بأن الله تعالى له صفة المحيي، وهم مقرون بها، فهل أحيأ حتى يكتسب صفة المحيي، فكما اتصف بصفة المحيي بدون أن يحيي، فكذلك اتصف بصفة الخالقية ولم يخلق، لأن صفات الله تعالى تختلف عن صفات البشر، وكما مر سابقاً بأن صفات الله تعالى اشتقت من اسمه، بينما البشر يكتسب اسم صفته من فعله، وذلك لما ورد في الحديث:

في سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم - حديث: 1457
عن عبد الرحمن بن عوف، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم، **شقت لها اسماً من اسمي**، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته).

نقول من رأي العلماء:

- **قال الإمام المفسر ابن جرير الطبري رحمه الله في تاريخه 25/1:**
(إن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء وهو الكائن بعد كل شيء والأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء **وأنه كان ولا وقت ولا زمان ولا ليل ولا نهار ولا ظلمة .. إلى أن قال: وأن كل شيء سواه محدث مدبر** مصنوع انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير سبحانه من قادر قاهر).

وقال أيضاً: فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها **كان ولا شيء غيره** وأنه أحدث الأشياء فدبرها) انتهى كلام ابن جرير.

- **قال القاضي أبو يعلى الحنبلي في "المعتمد":** والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاً للملاحدة. أ - هـ .

- **وقال الإمام ابن حمدان الحنبلي رحمه الله: كل شيء سوى الله (1) وصفاته حادث.** نهاية المبتدئين ص 40

(1) غير الله .. وسوى الله .. ودون الله .. هناك فرق

ما معنى غير الله ؟ وهل هناك فرق بين (غير الله ودون الله وسوى الله) ؟ .. وهل يفوض الله غيره في بعض الأمور ؟ يقول سبحانه وتعالى: [**عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**] (285 البقرة) ..

نقرأ هذه الآية .. نتأملها .. ثم نتساءل: هل نؤمن بالله وحده أم نؤمن به هو وملائكته وكتبه ورسوله ؟ .. إن الملائكة والرسول والكتب غير الله فكيف نؤمن بغير الله؟ قبل أن نقترّب من البعيد علينا أن نستوعب القريب .. أنفسنا .. إن أى شخص ليس أنه يكون غيرى .. هذه هى الغيرية .. لكنها غيرية ليست مطلقة .. بمعنى هو ليس أنا فيما يتعلق بذاتى .. هو غيرى فيما يتعلق بالذات .. لكن .. يمكن أن يكون أنا في بعض أمورى بالتوكيل أو التفويض .. محام يدافع عن متهم .. صراف يودع أموال صاحب شركة .. أب يزوج ابنته .. مثلاً ..

إذا أنت غيرى فيما يتعلق بذاتى .. غيرى إذا لم أذن لك .. فإذا أذنت لك فأنت أنا في حدود ما أذنت .. دفاع في قضيه .. بيع سيارة .. شراء عمارة .. أنت هنا تتصرف كما لو كنت أنا المتصرف .. ولك كل الصلاحيات في ذلك ..

لكن .. التوكيل الذى أذنت لك به في التصرف لا يلغى صفتى .. فأنا من حقى البيع والشراء والدفاع عن نفسى لو شئت ..

على المستوى الأرقى والأعلى يمكن أن يفوض الله من يشاء من خلقه .. يقول سبحانه وتعالى: [**مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**] (80 النساء) .. فهل يعنى أن الرسول هو الله ؟ .. بالطبع لا .. فالتفويض من الله هنا للرسول في الرسالة .. في الوكالة المخصصة لنشر الدعوة ..

ولو عدنا للبشر وقلنا إنك ووكيلك تحملان نفس الصفة في التصرف فإن **واو العطف** هنا لا تختلف عن واو العطف في [**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**] (285 البقرة) .. هؤلاء مفوضون من الله ووكلاء له لكنهم لا يلغون ذاته .. خاصة في العبادة .. فلا تفويض ولا توكيل في العبادة .. وهى ما تسمى بالغيرة المطلقة .. فكل ما عدا الله يعتبر غير الله فيما يتعلق بالعبادة والذات الإلهية ..

لا وكلاء عن الله في العبادة لا مفوضين عنه فيها .. هذه هى **الغيرة المطلقة** .. وهى تختلف عن **الغيرة الحكمية** .. هى غيرية تزيل الغيرية المطلقة في حدود يسمح بها الله .. مثلما يفوض عيسى عليه السلام في شفاء الأعمى والأبرص .. مثلاً ..

الغيرة الحكمية لا تعتبر غيرية مطلقة بل هى كل ما أُضيف إلى الله على سبيل الاستحسان .. فرسول الله غير عدو الله .. إذاً ليس غيرى كل من عطفته عليّ أو أضفته إليّ .. ليس غيرى وفي الوقت نفسه ليس عيني .. لو كان غيرى فهو ليس عيني .. فالوكيل لا يلغى الموكل .. من هنا نجد كلمة غير الله ..

ونعود من جديد للبشر .. الرجل الذى توكله ابنته لتزويجها بعقد قران .. الوكيل ليس غير الموكل .. لو كان غيره لفسد العقد .. لكنه غيره في ذاته .. **الوكيل ليس غير ولكن ليس عين.**

يقول سبحانه وتعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**] (10 الفتح) .. الرسول هنا ليس غير الله ولكنه ليس عينه .. مازال عبده ورسوله ..

الرسول هنا وكيل الله لكن التوكيل يخلو من بند العبادة .. فلا يصح عبادة غير الله .. لأن كل ما عداه غيره .. على أننا نتساءل: لماذا لا نستعين بغير الله ؟ .. إن ظل غير الله على غيريته دون أن يعطف على الله أو يضاف إليه استحساناً فنحن لا نغيره اهتماماً .. أما إذا أُضيف إليه استحساناً أو عطف عليه [**وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**] لا يعتبر غير الله فيما فُوض فيه وكُلف به وإن يظل غير الله في باقى الأمور هو ليس غير الله فيما أذن به فالمأذون فعال في حدود ذلك .. مثلاً .. سيدنا عيسى إذنه أن يخلق من الطين كهيئة الطير .. نفخ فيه فكان طيراً .. **فهو فعال فيما أذن به .. وبسلطان من أذن .. وفي حدود ما أذن به.**

- وقال الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع ص/ 267 ط دار بن حزم: اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له، خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء معه، ثم خلق الأشياء. انتهى.

- قال المؤلف السفاريني رحمه الله تعالى: (سائر الأشياء غير الذات، وغير الأسماء والصفات مخلوقة لربنا من العدم، وضل من أثنى عليه بالقدم - يعني المخلوقات -).

نكرر ونقول إن الغيرية المطلقة تتعلق بالذات الإلهية والعبادة .. والغيرية الحكمية يرخصها الله: بالإذن أو بالعطف أو بالإضافة على سبيل الاستحسان .

على أن هناك نوعاً خلقه الله لم يأذن له بشيء .. إبليس .. هو يعمل ضد الأوامر الإلهية .. يأمرنا الله بالصلاة وهو ينهانا عنها .. يأمرنا الله بالصوم وهو ينهانا عنه .. هو يعمل ضد التعليمات السماوية على طول الخط .. **وغيرته هنا تسمى غيرية من دون الله .**

غير الله موجب .. ودون الله سالب .. وكل من هم دون الله لا يقتربون من الغيرية .. يخرجون من التوكيل الإلهي والتفويض الإلهي .. هؤلاء يقول سبحانه وتعالى عنهم: **[وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ]** (6 الشورى) .. ويقول: **[وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ]** [(55) الفرقان].

إن كلمة من دون الله كما جاءت في القرآن يقصد بها إبليس وذريته .. فقد خالف الأوامر الإلهية .. ومن ثم فلا يمكن توكيله في شيء .. الذين أطاعوا الأوامر الإلهية هم الذين يمكن أن تتغير غيريتهم بالإضافة أو العطف .. والذين عصوا الأوامر الإلهية مثل إبليس وذريته وهم دون الله لا يعطفون ولا يضافون وغير وارد رفع الغيرية عنهم .

وبعد غير الله .. ودون الله .. **نجد عبارة سوى الله ..** سوى الله هم من يعملون بالأوامر الإلهية ولكن غير مؤهلين للتوكيل أو للتفويض مثل الأطفال والنساء أحياناً .. فلم يأت الله بامرأة رسولاً أو نبياً . لتوضيح عبارة سوى الله نعود للرجل الذي يزوج ابنته بالتوكيل .. إن أمها غيرها ولكن أمها لا تصلح للوكالة فلو كان الأب غير فإن الأم سوى .. وسوى مثل غير في الإيمان بالله ولكن غير مؤهل للتوكيل والتفويض أما دون الله فهو عدو الله ولا يحبه الله تماماً .

مثلاً لو صوّت عضو في الحزب الوطني لحزبه فهو ليس غير الحزب الوطني .. وفي الوقت نفسه نجد أن حزب الوفد موجود وشرعي ولكن لا يجوز لأعضاء الحزب الوطني التصويت له فهو بالنسبة لهم سوى الحزب الوطني أما عدو مثل حزب الليكود الإسرائيلي فهو دون الحزب الوطني.

يقول سبحانه وتعالى: **[إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ]** (57 الأنعام) ..

ويقول: **[أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَبْنَعِي حَكَمًا]** (114 الأنعام) ..

ويقول: **[فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِيهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا]** (35 النساء) ..

ويقول: **[وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ]** (58 النساء) .. فمن يحكم بإذن الله لا يعتبر غير الله .. ومن يفوض من الله لا يعتبر غير الله .. ومن يؤذن من الله لا يعتبر غير الله .. لكنهم في جميع الحالات لا يعتبرون الله .. **هم ليس غير الله ولكنهم ليسوا عينه أو ذاته،** ولا حول ولا قوة إلا بالله

موقع: لحظة نور في أغسطس 2010، th11 - 165 - الفجر المصرية العدد 2008/8/11

ومن المؤسف أن كلاً من المشايخ المعاصرين ابن عثيمين⁽¹⁾ والبراك⁽²⁾ وسفر الحوالي⁽³⁾ تابعوا ابن تيمية في مقولته تلك، وقد رد عليهم كلاً من الألباني وشعيب أرنؤوط رحمهم الله تعالى جميعاً وتجاوز عنهم، وبصر الأحياء منهم خطأهم:

- قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة حديث رقم 133 حيث قال:

(وفيه رد أيضاً على من يقول بحوادث لا أول لها، وأنه ما من مخلوق، إلا ومسبوق بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال: هذا أول مخلوق، فالحديث يبطل هذا القول **ويعين أن القلم هو أول مخلوق**)⁽⁴⁾، فليس قبله قطعاً أي مخلوق. ولقد أطال ابن تيمية رحمه الله⁽⁵⁾ الكلام في رده على الفلاسفة محاولاً إثبات حوادث لا أول لها، وجاء في أثناء ذلك بما تحار فيه العقول، ولا تقبله أكثر القلوب، حتى اتهمه خصومه بأنه يقول بأن المخلوقات قديمة لا أول لها، مع أنه يقول ويصرح بأن ما من مخلوق إلا وهو مسبوق بالعدم، ولكنه مع ذلك يقول بتسلسل الحوادث إلى ما لا بداية له. كما يقول هو وغيره بتسلسل الحوادث إلى ما لا نهاية، **فذلك القول منه غير مقبول، بل هو مرفوض بهذا الحديث، وكم كنا نود أن لا يلج ابن تيمية رحمه الله هذا المولج، لأن الكلام فيه**

١ (في شرحه على العقيدة السفارينية المذكورة آنفاً.

٢ (في معرض رده حول المسألة بتاريخ 1425/11/21 هـ.

٣ (في شرحه على العقيدة الطحاوية.

٤ (سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في القدر - حديث: 4099 عن أبي حفصة، قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"**.

وقد جمع العلماء أحاديث: أول ما خلق ... وسموها بأحاديث الأوليات.

٥ (وقد صرح ابن تيمية بهذه العقيدة في بعض مؤلفاته كشرح حديث عمران بن حصين المطبوع في مجموعة الرسائل المسائل ص 371. وفي نقضه لأساس التقديس: 599 وفي كتاب درء التعارض 1/240 وفي نقض مراتب الإجماع، وسبب رأيه أنه رجح رواية (كان الله ولم يكن شيء قبله) على رواية (كان الله ولا شيء غيره) وكلاهما في صحيح البخاري، رغم كون رواية الرواية الثانية (ولم يكن غيره) أقوى من الأولى (ولم يكن قبله)، ليثبت من لم يكن قبله شيء أنه معه شيء نوعي يعني نوع العرش وليس بذات العرش نفسه، وإنما عرش بعد عرش وهكذا، وهذا واضح البطلان **(كما بينه الدكتور صلاح الدين الإدلبي في دراسة حديثية للروايتين)**، ورغم أن العمل بالدليلين أولى كما قال ابن حجر فيما سبق بيانه، ولم يسبق عالم مسلم من السلف الصالح أحد قبل ابن تيمية في قوله بالقدم النوعي، فكيف دخلت عليه الفكرة؟!.

شبيهه بالفلسفة وعلم الكلام الذي تعلمنا منه التحذير والتنفير منه، ولكن صدق الإمام مالك رحمه الله حين قال: " ما منا من أحد إلا ردَّ ورُدَّ عليه؛ إلا صاحب هذا القبر عليه السلام " انتهى كلام الألباني.

- وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه وتحقيقه لشرح الطحاوية لابن أبي العز ما نصه:

"جمهور المتكلمين من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وفلاسفة، اتفقوا على منع قيام الحوادث بذاته تعالى، وجوز قيامها بذاته تعالى الكرامية، ففرقوا بين الحادث والمحدث .

فالأول عندهم: هو ما يقوم بذاته تعالى من الأمور المتعلقة بمشيئته واختياره .

وأما الثاني: فهو ما يخلقه عزَّ وجلَّ منفصلاً عنه، وقد تبعهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تجويز قيام الحوادث بالذات، وقد غلا رحمه الله في مناصرة هذا المذهب والدفاع عنه ضد مخالفيه من المتكلمين والفلاسفة، وادعى أنه هو مذهب السلف مستنداً بقول الإمام أحمد رحمه الله وغيره: [لم يزل الله متكلماً إذا شاء]، لأنه إذا كان كلامه تعالى - وهو صفة قائمة به - متعلقاً بمشيئته واختياره، دل ذلك على جواز قيام الحوادث بذاته؛ لأن ما يتعلق بالمشيئة والاختيار لا يكون إلا حادثاً.

ثم يقول: وقد انتهى به القول إلى أن كلام الله تعالى قديم الجنس حادث الأفراد، وكذلك فعله وإرادته ونحو ذلك من الصفات غير اللازمة للذات، وبما أن القول بذلك يستلزم التسلسل، فقد جوزه في الماضي والمستقبل جميعاً، وادعى أن مثل هذا التسلسل ليس ممتنعاً .

إلى أن قال: **وغير واحد من العلماء يعدون هذا الذي انتهى إليه شيخ الإسلام من جملة ما ندَّ فيه عن الصواب، وينكرون عليه، ويقولون: كيف يقول بقديم جنس الصفات والأفعال (1) مع حدوث أحادها؟ وهل الجنس شيء آخر غير الأفراد المجتمعة؟ وهل يتركب الكلي إلا من جزئياته؟ فإذا كان كل جزئي من جزئياته حادثاً، فكيف يكون الكلي قديماً؟**

(١) صفات الذات ما اتصف الله بها ولا يجوز أن يتصف بضدها نحو (السميع العليم المتكلم القدير ..) وهي صفات قديمة أزلية لله تعالى، وأما صفات الفعل: ما اتصف الله بها وبضدها، نحو: المحيي المييت، الخافض الرافع..) وهي صفات أزلية، إلا أنها عند حدوث الفعل فهي حادثه، فعدم التمييز بينهما أدى لوقوع الخطأ والله أعلم.

وكان على المصنف رحمه الله - ابن أبي العز الحنفي - أن يتجنب الخوض في هذه المسألة، ويكف عنها ويكتفي بما قاله الإمام أحمد وغيره من السلف - رحمهم الله - في ذلك". انتهى كلام الشيخ شعيب.

الدليل القرآني:

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) سورة البقرة.

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة الإنسان. (تُولَجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولَجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) سورة آل عمران. (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَا تُوقَكُونَ (95) سورة الأنعام.

(أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122) سورة الأنعام.

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) سورة يونس.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) سورة الحج.

(وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66) سورة الحج.

(وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80) سورة المؤمنون.

(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19) سورة الروم.

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي

الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) سورة الروم.

(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) سورة فاطر.

(وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)

سورة يس.
(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68) سورة
غافر.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ
الَّذِي أَحْيَاهَا لِلْمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) سورة فصلت.
(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) سورة الشورى.
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8) سورة الدخان.

وببدء حركة الشمس والقمر بعد خلقهما ابتداء الزمان المخلوق:
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (يونس: 5)
(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا
فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)
(الاسراء: 12)

المبحث الثامن
الإيمان بالقرآن كلام الله تعالى

- 1 - وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛
مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا؛
- 2 - وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ (نَبِيِّهِ - ب) وَحْيًا؛
- 3 - وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا؛
- 4 - وَأَيَّقُنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ؛
- 5 - لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ؛
- 6 - فَمَنْ سَمِعَهُ؛ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛
- 7 - وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ؛ وَعَابَهُ؛ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرٍ؛
- حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) [سورة المدثر]،
- فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ (إِخْبَارًا):
(إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) سورة المدثر
- عَلَّمْنَا (وَأَيَّقْنَا - أ) أَنَّهُ: قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ؛
- 8 - وَلَا يُشَبَّهُ (شَبَّهَهُ - ب) قَوْلُ الْبَشَرِ؛
- 9 - وَلَا تُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ؛
- 10 - وَنَشْهَدُ (وَنَعْلَمُ - ب) أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛
- 11 - نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ؛
- 12 - فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- 13 - وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى؛
لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ؛
- 14 - وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ؛
وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ؛

المبحث الثامن الإيمان بالقرآن كلام الله تعالى

- 1 - وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛
مِنْهُ بَدَأَ (١) بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا؛
 - 2 - وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ (نَبِيِّهِ - ب) وَحْيًا؛
 - 3 - وَصَدَقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا؛
 - 4 - وَأَيَقْنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ؛
 - 5 - لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ؛
 - 6 - فَمَنْ سَمِعَهُ؛ فَرَّغَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛
 - 7 - وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ؛ وَعَابَهُ؛ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرٍ؛
- حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) [سورة المدثر]،

(١) بدأ بمعنى ظهر، أولى ممن ضبطها بدأ، لأن بدأ يعني له نهاية والله تعالى قال: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (109) سورة الكهف. وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (27) سورة لقمان. والكلام صفة ذات، وليس صفة فعل، وبدأ تجعلها صفة ذات، وبدأ تجعلها صفة فعل لأن عكسها له نهاية:

قال الحافظ في الفتح:

قوله - أي البخاري - (باب قول الله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - إلى قوله - جئنا بمثله مددا). وقوله: (وقوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) جاء في سبب نزولها ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قصة سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى (قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا كيف وقد أوتينا التوراة؟ فنزلت (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) الآية. فأخرج عبد الرزاق في تفسيره من طريق أبي الجوزاء قال: لو كان كل شجرة في الأرض أقلاما والبحر مدادا لنفد الماء وتكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات الله. وعن معمر عن قتادة أن المشركين قالوا في هذا القرآن يوشك أن ينفذ فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه وفيه فأنزل الله: لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر مدادا لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحار قبل أن تنفذ. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي سمعت أهل العلم يقول قول الله عز وجل (إننا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر) الآية يدل على أن القرآن غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقا لكان له قدر، وكانت له عناية، ولنفيذ كنفاد المخلوقين، وتلا قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) إلى آخر الآية انتهى والله أعلم.

- فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ (إِخْبَاراً):

(إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) [سورة المدثر]

- عَلَّمْنَا (وَأَيَّقْنَا - أ) أَنَّهُ: قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ؛

8 - وَلَا يُشَبِّهُ (شَبَّهَهُ - ب) قَوْلُ الْبَشَرِ؛

9 - وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ؛

10 - وَنَشْهَدُ (وَنَعْلَمُ - ب) أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛

11 - نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ؛

12 - فَعَلَّمَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

13 - وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى؛

لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ؛

14 - وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ؛

وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ؛

- **دليل ظهور القرآن بلا كيفية:**

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22) (1) سورة البروج.

- **دليل نزول سيدنا جبريل بالقرآن على قلب سيدنا محمد:**

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل. قال ابن جرير - وأسنده - عن أنس بن مالك في قوله تعالى "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ" قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ" في جبهة إسرأفيل. وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - أن أبا الأعيس هو عبدالرحمن بن سلمان قال: ما من شيء قضى الله: القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرأفيل لا يؤذن له بالنظر فيه.

وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه.

وقد روى البغوي - وأسنده - عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة. قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته من الدر والياقوت، ودفاته ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك.

وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقال الطبراني - وأسنده - عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء". انتهى باختصار.

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) سورة الشعراء.

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) سورة البقرة.
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) سورة الحجر.
(وَمَا كَانَ لَبَشِّرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ (51) سورة الشورى. (1).

(1) نستعرض فيما يلي الآيات التي وصفت القرآن؛ لتتعرف إلى خصائص وصفات القرآن:
(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19) الأنعام.

(وَإِذَا تَنَلَّاهُمْ عَلَىٰ أَيْتَانَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِفِرُوا بغيرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) يونس.
(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) يونس.

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) يونس.

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) يوسف.
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) يوسف.

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1) الحجر.
(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) الحجر.
(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) النحل.
(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) الإسراء.

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) الإسراء.
(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) الإسراء.
(أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) الإسراء.

وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) الإسراء.
(قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) الإسراء.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) الإسراء.
(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106) الإسراء.
(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) الكهف.
(مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) طه.
(وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) طه.
(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) طه.

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) الفرقان.
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) الفرقان.

(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) النمل.
(وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) النمل.
(إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُفَصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) النمل.
(وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (92) النمل.
(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأٰدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85) القصص.
(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) الروم.

(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) يس.
(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) ص.
(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) الزمر.
(قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) الزمر.
(كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) فصلت.
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (26) فصلت.
(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44) فصلت.
(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) الشورى.

(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) الزخرف.
(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّنَ عَظِيمٍ (31) الزخرف.
(وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) الأحقاف.
(قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) الجن.
(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) محمد.

- دليل أن القرآن كلام الله تعالى:

(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) (1) سورة التوبة.

ولا بد أن نفرق بين سماع سيدنا موسى لكلام الله تعالى، وبين سماع الناس لكلام الله تعالى من قارئ القرآن، وإلا لما كانت ميزة وفضل وتمدح لسيدنا موسى عليه السلام:

(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) سورة النساء.

وأما كيف كلم الله موسى؟ وكيف سمع موسى من الله تعالى؟، فهذا لا يمكن

(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) ق. (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45) ق. (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17) القمر. (عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) الرحمن. (إِنَّهُ لَفَرَّقَ كَرِيمٌ (77) الواقعة. (لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) الحشر. (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) المزمل. (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَّمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَأْتِ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَّمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20) المزمل. (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) القيامة. (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) الإنسان. (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21) الإنشقاق. (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) البروج.

١) قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: "حتى يسمع كلام الله" دليل على أن كلام الله عز وجل مسموع عند قراءة القارئ، قاله الشيخ أبو الحسن والقاضي أبو بكر وأبو العباس القلانسي وابن مجاهد وأبو إسحاق الإسفرايني وغيرهم، لقوله تعالى: "حتى يسمع كلام الله" فنص على أن كلامه مسموع عند قراءة القارئ لكلامه. ويدل عليه إجماع المسلمين على أن القارئ إذا قرأ فاتحة الكتاب أو سورة قالوا: سمعنا كلام الله. وفرقوا بين أن يقرأ كلام الله تعالى وبين أن يقرأ شعر امرئ القيس. وقد مضى في سورة [البقرة] معنى كلام الله تعالى، وأنه ليس بحرف ولا صوت، والحمد لله). انتهى.

ويقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله في كتابه (فيه ما فيه) ص 36، ترجمة عيسى العاكوب نشر دار الفكر - دمشق -: (لأن كل شيء يعبر عنه بحرف وصوت ويكون له أول وآخر يكون صورة وقالبا، أما روحه فغير محدد ولا متناه، وليس له أول ولا آخر).

إدراكه إلا بالنقل، ولا يوجد نقل يبين الكيفية، فلا داعي للدخول في كيفية الصفات الإلهية، لأن ذلك خارج عن نطاق تكليف العقل والله أعلم.

- دليل أن كلام الله تعالى القائم في نفسه لا يشبه كلام المخلوقين:

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ (١) إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) سورة المائدة.

قال العالم الإمام الجليل الجامع الحاوي لأقاويل السلف الصالح هبة الله اللالكائي، الذي قال في بيان أحكام الكلام القائم بذات الله تعالى ليس بحرف ولا صوت:

(هو قرآن واحد، غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل متكلماً، ومن قال غير هذا فهو كافر ضالّ مضلّ مبتدع مخالف لمذاهب أهل السنة والجماعة). (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج2/ص364).

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله - وهو يرد على من شبه كلام الله بكلام المخلوق:

(إن الله تعالى أنطق بعض مخلوقاته بغير مخارج فإنه قال تعالى: (وَتَكَلَّمْنَا أَيُّدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ (65) [سورة يس]. وقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) [سورة فصلت]. وأخبر عن السماء والأرض أنهما: (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) [سورة فصلت]. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حجراً كان يسلم عليه وسبح الحصى في يديه.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك. وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم. وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه. وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد. وقيل: تعلم سري ولا أعلم سرّك؛ لأن السر موضعه النفس. وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا، ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة.

قلت: والمعنى في هذه الأقوال متقارب؛ أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقتة، ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك.) انتهى.

وقال ابن مسعود: كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل.
ولا خلاف في أن الله تعالى قادر على إنطاق الحجر الأصم من غير مخرج،
فلم لا يقدر سبحانه على التكلم إلا من المخرج؟! (1).

اقتباس ابن تيمية من عقائد اليهود بشأن كلام الله تعالى:

نقل ابن تيمية رحمه الله أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: "وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم، يا موسى، هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما تطيق، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا: صف لنا كلام ربك. قال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟! قالوا: فشبهه لنا. قال: أسمعتم الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله".

وعلق ابن تيمية فقال: "هو صريح في أنه كلمه بصوت، وكان يمكنه أن يتكلم بأقوى من ذلك الصوت وبدون ذلك الصوت".

قال الدكتور الباحث صلاح الدين الإدلبي في كتابه المسمى (عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع شبهات المناوئين):

"لم يبحث ابن تيمية عن إسناد مرسل الزهري قبل اعتماده مصدراً من مصادر العقيدة، وقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن جرير بن جابر الخثعمي عن كعب. فانظر كيف صارت أقوال كعب الأحبار معتمدة في العقيدة!!!".

"وقد روى البيهقي نحوه من طريقين عن علي بن عاصم أنه قال: أخبرنا الفضل بن عيسى قال: حدثنا محمد بن المنكدر قال: حدثنا جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"لكن لا بد من النظر في السند أولاً، فأما علي بن عاصم فهو الواسطي وهو ضعيف، وكان يخطئ ويصرُّ على الخطأ فاتهمه لذلك عدد من الأئمة بالكذب، وأما الفضل بن عيسى فهو الرقاشي، وقد اتفقوا على تضعيفه، وقيل فيه منكر الحديث، وقيل فيه ليس بثقة.

(1) انظر (حكاية المناظرة في القرآن مع أهل البدع) للموفق المقدسي م: 541هـ، ت: عبد الله يوسف الجديع نشر مكتبة الرشد في الرياض سنة 1409هـ.

"ولعل أصل هذه الرواية هو قول كعب الأحبار، فوصل إلى أحد الضعفاء الهلكي، فألصقه - من باب الخطأ والغفلة - بأحد ثقات التابعين عن الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم!!! فتأمل واعجب.

"أما المتن الإسرائيلي المصدر فكله إحياء بأن كلام الله تعالى وإسماعه لموسى عليه الصلاة والسلام هو بصوت مادي قوي، تبلغ قوته قوة عشرة آلاف لسان، وأن الله تعالى قادر على أن يتكلم بأقوى من ذلك الصوت، وأنه يمكن تشبيهه!!!، وذلك أنه يشبه صوت الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة!!!، وقد صار عند من يستدل به - دون التفات إلى معرفة مصدره ونقد سنده - حجة في العقيدة، إذ هو صريح في أنه كلمه بصوت!!!. قال الله تعالى [سبحان الله عما يصفون].

"إن الثابت عند أهل الإسلام هو أن الله تعالى كلم موسى عليه الصلاة والسلام، وأسمعه كلامه، قال الله تعالى: [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ...]. فقد ذكر ربنا تعالى أن النداء كان من جهة الشجرة، ولم يقل إنه كان بصوت مادي، ولم يذكر أنه كان يخرج منها نار محسوسة!!!.

"والثابت المؤكد هو أن الله تعالى كلمه وناداه وأسمعه كلامه، على ما يليق بعظمة الله تعالى، لا على ما تصوره روايات أهل الكتاب من أنه كلام بصوت حسي تبلغ قوته قوة عشرة آلاف لسان، إذ لو كان كذلك لسمعته زوجته، ولو كانت قد شاركت موسى في سماع كلام الله تعالى لما بقيت لموسى هذه الميزة التي تفرد بها، والتي ذكرها ربنا تعالى فقال: [يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي].

"فلا بد من إثبات ما أثبتته الله تعالى، مع تفويض العلم بالكيفية له سبحانه، ومع نفي مشابهة صفات الخالق لصفات المخلوق". انتهى.

فيا إخواننا: إلى متى تمشون خلف عقائد اليهود المشبهين المجسمين؟!.

ألم يأن لكم أن ترجعوا إلى عقيدة الكتاب والسنة الصحيحة؟!.

ألم يأن لكم أن تعلموا أن ما كنتم تظنون أنه عقيدة السلف الصالح هو - في

الواقع - مقتبسات من عقائد اليهود المشبهين المجسمين!!!.

نصيحتي لكم هي أن لا تقبلوا أقوال من يقول لكم هذه عقيدة السلف حتى يأتي بالمصدر ونتأكد من صحة الإسناد!!!.

يا إخواننا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.
وأخيراً: أسأل الله الكريم، أن يهدينا الصراط المستقيم، وأقول كما قال سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".

- دليل أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق:

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) ⁽¹⁾ سَأَصْلِيهِ سَقَرُ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله.

وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن؟ فلما أخبره، خرج على قريش فقال:

يا عجا لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش انتمروا وقالوا: والله لنن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد:

ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟

فقال: ألسنت أكثرهم مالا وولدا؟

فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه!.

فقال الوليد: أقدر تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر.

فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: "ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لا تبقي ولا تذر". وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله:

"فقتل كيف قدر" الآية "ثم عبس وبسر" قبض ما بين عينيه وكلج.

وقال ابن جرير - وأسند - عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه القرآن فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال:

أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا؟ قال: لم؟

قال: يعطونك فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله.

قال: قد علمت قريش أنني أكثرها مالا.

(27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحَةً لِّلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) سورة المدثر. (1).

قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما، قال: وأنتك كاره له.
قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلو.

وقال: والله لا يرضي قومك حتى تقول فيه.
قال فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت:
"نرني ومن خلقت وحيداً - حتى بلغ - تسعة عشر".

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا.
وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون: شاعر، وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون كما قال تعالى:

"انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً"،

كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر. انتهى.

(أ) قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: (والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق).

وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس؛ فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم، لا كلامهم.

وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (164) [سورة النساء]. وقد كان الله تعالى متكلماً؛ ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل، ولم يخلق الخلق، و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (11) [سورة الشورى].

فلما كلم الله موسى؛ كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفة المخلوقين، يعلم لا كعلمنا؛ ويقدر لا كقدرتنا؛ ويرى لا كرويتنا؛ ويسمع لا كسمعنا؛ ويتكلم لا ككلامنا. ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة؛ وكلام الله تعالى غير مخلوق. انتهى.

وقال أبو حنيفة في رسالة الوصية: (نُقِرُّ بِأَنَّ الْقُرْآنَ: كلام الله تعالى؛ ووحيه؛ وتنزيله؛ وصفته لا هو ولا غيره؛ بل هو صفته على التحقيق؛ مكتوب في المصاحف؛ مقروء بالألسن؛ محفوظ في الصدور؛ من غير حال فيها؛ والحروف والحبر والكاغز (أ) والكتابة كلها مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد، وكلام الله غير مخلوق؛ لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليه، وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه بهذه الأشياء، فمن قال: بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله معبود لا يزال عما كان؛ وكلامه مقروء ومحفوظ من غير مزيلة عنه) انتهى.

وقال الإمام أحمد في رسالته المنسوبة إليه (الرد على الجهمية):

(فلما قال الله تعالى: (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) (2) [سورة الأنبياء].
فجمع بين ذكرين: ذكر الله؛ وذكر نبيه.
فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه الحدث، ألم تسمع إلى قوله: (00) وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ (45) [سورة العنكبوت]، (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ (50)00 [سورة الأنبياء].
 وإذا انفرد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (96) [سورة الصافات]. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم له عمل، والله خالق له محدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكر لقوله: (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ) فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلّغ ومُذَكِّر، وقال الله: (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) [سورة الذاريات]، (فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى) [سورة الأعلى]، (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) [سورة الغاشية]، فلما اجتمعوا في اسم، جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد، وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد، لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ) إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعله الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم). انتهى.
 وعلى ذلك يفهم قول الله تعالى:

(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) (5) سورة الشعراء.
 (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (23) سورة الزمر.
 (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) (6) سورة الجاثية.
 (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (34) سورة الطور.
 (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ) (59) سورة النجم.
 (أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ) (81) سورة الواقعة.
 (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) (3) سورة التحريم.
 (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (44) سورة القلم.
 (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (50) سورة المرسلات.

وما هو الفرق بين القرآن والفرقان . . والمصحف والكتاب؟

الفجر المصرية - العدد 172 - 2008/9/29

ما الفرق بين القرآن والفرقان . . والمصحف والكتاب ؟ .

القرآن من القراءة . . كلمات نقرأها . . أو نسمع من يقرأها [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا] (204 الأعراف) . . والكتاب . . صفحات مكتوبة . . مهما كان . . ويجب أن نقول "كتاب الله" لنفرض كتاباً نزل من السماء عن كتاب صاغه بشر . . يقول سبحانه وتعالى: [مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] (38 الأنعام) . . ومثل الكتاب . . المصحف . . أي المكتوب في صحيفة . . أو صحائف . . ومن ثم يسمى مصحفاً . . أما الفرقان فهو المرجع الذي نحتكم إليه . . يقول سبحانه وتعالى: [وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا] (106 الإسراء).
 ويقول سبحانه وتعالى: [إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ] (77 - 79 الواقعة) . . لم يقل " لا يلمسه " . . فهناك فرق يصعب الانتباه إليه بين المس واللمس . . توضحه قصة مريم . . فعندما جاءها الملك وقال لها [قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا] (19 مريم)

قالت: **[أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا]** (20 مريم) . . هي أيضاً لم تقل ” لم يلمسني ” بشر . . **فَهِنَاكَ فَرَقَ بَيْنَ فَعَلٍ يَمْسُ . . وَيَلْمَسُ . . وَيَبَاشِرُ . . وَيَلَامَسُ . . وَيَعَاشِرُ . .** المس من بعيد مثل رشة العطر . . **[الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ]** (275 البقرة) . . وفي قصة موسى والسماري والعجل الذي أضل به بني إسرائيل يقول نبيهم: **[فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ]** (97 طه) . . فكلمة مس لا تعنى الملامسة . . فاللمس يحدث بين طرفين غير متجانسين . . يقول سبحانه وتعالى على لسان الجن:

[وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُحَلَّيَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا] (8 الجن) . . وتطلق المباشرة على التقاء بشرة إنسان ببشرة إنسان آخر . . يد رجل بوجه امرأة مثلاً وورد في صحيح مسلم الجزء (2) ص (776) :
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإربه

[ش (ويباشر وهو صائم) معنى المباشرة هنا اللمس باليد وهو من التقاء البشريتين]
 . . أو أصابع طفل بشعر أمه مثلاً . . يقول سبحانه وتعالى: **[نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتَى شَيْئًا]** (223 البقرة) **[وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ]** (187 البقرة) . . ولو كانت المباشرة في منطقة العورتين . . أو الختانين فإنها تسمى الملامسة . . يقول سبحانه وتعالى: **[أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا]** (43 النساء) . . فإذا ما أدى لقاء العورتين إلى ما هو أكثر من ذلك تكون المعاشرة .

ولو عدنا إلى السيدة مريم نجدها لم تقل لم يعاشرنى . . أو لم يلامسني . . أو لم يلمسني . . ولو بالنية ولو بالتفكير فيها . . لقد حفظها الله وضمن أن لا يقربها أحد ولو بالتمني . . نوع من الإعجاز الإلهي أن يحفظها الله فلا تلفت نظر أحد رغم جمالها الباهر . . هذا من جانب الآخرين . . أما من جانبها هي فقد قالت إنها لم تكن بغياً . . أى لم تبغ شيئاً . . أو تطلب شيئاً .

بل أكثر من ذلك قالت مريم: **[لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ]** . . ولم تقل لم يمسسني رجل . . فكأن تطهر العقول والنيات تجاهها كان شاملاً كل البشر . . وهو تكريم لم يحصل عليه غيرها من النساء . . فلو قلنا على كتاب الله لا يمسه إلا المطهرون فإنما نقصد أن لا يتطيب به إلا المطهرون . . مثل المسك . . والعطر . . والطيب . . أي لا يصل إليه إلا المطهرون من الشرك والدنس . . وهناك فرق بين المطهرون وهو اسم مفعول والمتطهرون وهو أسم فاعل .

عندما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان خلقه القرآن . . وفي رواية أخرى وصف النبي عليه الصلاة والسلام بأنه كان قرأناً يمشى على الأرض .
وكما ورد في مسند أحمد ابن حنبل الجزء (42) ص (183) :

25302 – حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زُرارة عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله ^ فقالت: كان خلقه القرآن

إنه إمام المطهرين الذين اختارهم الله وهبهم للوصول إلى مقام القرآن الكريم في اللوح المحفوظ . . فتطبعوا به . . وتخلقوا به . . وكانوا ورثة رسول الله لأنه المطهر بالأصالة وهم المطهرون بالوكالة

. . أو بالإنابة **ولا حول ولا قوة إلا بالله** المرجع **نقطة توري** في أغسطس 2010، th11

وقال العلامة الكوثري - رحمه الله ورضي عنه - في مقدمة كتاب (تبیین كذب المفتري) لابن عساكر:

(وأول مَنْ عُرِفَ بالقول بخلق القرآن الجعد بن درهم بدمشق، وكان جهم أخذ ذلك القول من الجعد

وضمه إلى بدعه التي قام بإذاعتها **ومن جملة نفى الخلود**، ولما قام الحارث بن سريج بخراسان ضد الأموية داعياً إلى الكتاب والسنة اعتضد بهم، **وكان مقاتل بن سليمان (والذي يستند إليه ابن تيمية ويقصده بقوله قال السلف فهذا يلفه) ينشر هناك نحلته في التجسيم** فأخذ جهم يرد عليه وينفي ما يثبتته مقاتل، فأفرط في النفي حتى قال (أن الله لا يوصف بما يوصف به العباد) ولم يفرق بين الاشتراك في الاسم **والاشتراك في المعنى، والممنوع هو الثاني** دون الأول بشرط كونه وارداً في الشرع، لأن العلم مثلاً مما ورد وصف الخالق به، والمخلوق مع أنه ليس بمشترك بينهما في المعنى؛ لأن علم الله حضوري وعلم المخلوق حصولي، وكذلك بقية الصفات، وتنسب لجهم آراء وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبة غالب من نسب إليه من قبيل النذب بالألقاب تهويلاً لسوء سمعة الرجل بين الفرق وأراؤه توزعت بينهم بعد تمحيصها على حسب أنظارهم لا على ما ارتآه جهم شأن كل رأي يشيع في الناس.) اهـ

وأخرج ابن عبد البر عن الجارودي قال: ذكر عند الإمام الشافعي رضي الله عنه، إبراهيم بن إسماعيل بن عليّة (أحد علماء المعتزلة)، فقال: أنا مخالف له في كل شيء ، وفي قول لا إله إلا الله لست أقول كما يقول:
أنا أقول: لا إله إلا الله الذي **كلم موسى** عليه السلام تكليماً من وراء حجاب،
وذلك يقول: لا إله إلا الله الذي **خلق كلاماً أسمعه موسى** من وراء حجاب..

- مناظرة بين الشيخ عبد العزيز السني وبين بشر المريسي الذي يقول بخلق القرآن في حضرة الخليفة المأمون:

قال بشر - مستدلاً على خلق القرآن - قال الله تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عربياً).
قال عبد العزيز: أي شيء في هذا من الحجة والدليل على خلقه؟
فقال بشر: هل في الخلق أحد يشك في هذا؟ أو يخالف عليه؟ أن معنى (جعلناه): خلقناه.
قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أعلم أهل الأرض بلغة قومك؛ ولغة العرب كلها، ومعاني كلامها، وبشر رجل من أبناء العجم، يتأمل كتاب الله تعالى على غير ما أنزل الله، وغير ما عناه الله عز وجل، ويحرفه عن مواضعه، ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب وكلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بذلك، وإنما يكفر بشر الناس، ويستبيح دماءهم بتأويل لا بتنزيل.

قال بشر: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) يروغ عبد العزيز إلى الكلام الخطب والاستعانة بأمر المؤمنين ليقطع المجلس، قد أتيناك بما لا تقدر على رده، ولا دليل فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإن كان عندك شيء فتكلم به، وإلا فقد قطع الله مقالتك، وأدحض حجتك.

قال عبد العزيز: يا بشر أخبرني عن (جعل) هذا الحرف بحكم لا يحتمل غير الخلق؟
قال بشر: لا، وما بين (جعل) و(خلق) عندي فرق، ولا عند غيري من سائر الناس من العرب والعجم، ولا يعرف الناس إلا بهذا.

قال عبد العزيز: أخبرني عن نفسك، ودع عنك ذكر سائر العرب وسائر الناس، فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب، وأنا أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب يخالفونك.
قال بشر: هذه دعوى منك على العرب، وكل العرب والعجم يقولون ما قلت أنا، ولم يخالف في هذا غيرك.

وأخرج البخاري عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ): ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا

قال عبد العزيز: أخبرني يا بشر إجماع العرب والعجم بزعمك أن (جعل) و(خلق) واحد، لا فرق بينهما، هذا الحرف وحده، أو في سائر ما في القرآن من (جعل)؟.

قال بشر: بل ما في سائر القرآن من (جعل) وسائر ما في الكلام والأخبار والأشعار.

قال عبد العزيز: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت، وشهد به عليك.

قال بشر: أنا أعيد عليك هذا القول متى شئت، ولا أرجع عنه ولا أخالفه.

قال عبد العزيز لبشر: زعمت أن معنى (جعلناه قرآناً عربياً) خلقناه قرآناً عربياً قال: نعم، هكذا.

قال عبد العزيز: قال الله عز وجل: (وأفوا بعهده الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) فيكون المعنى: خلقتكم كفيلاً لا معنى له عند بشر غير هذا، ومن قال هذا فقد أعظم الله الفرية على الله عز وجل، وكفر به، وحل دمه بإجماع الأمة.

وقال الله عز وجل: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) فزعم بشر: ولا تجعلوا الله: ولا تخلقوا الله، لا معنى له عنده غير ذلك، وكل من قال هذا من الخلق فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، لأنه حكى أن الله أخبر بمثل هذا.

وقال الله عز وجل: (ويجعلون لله البنات سبحانه) فزعم بشر أن معنى (ويجعلون لله للبنات) يخلقون الله البنات، لا معنى لذلك غير هذا.

فقال المأمون: ما أقبح هذه المقالة وأعظمها وأشنعها، فحسبك يا عبد العزيز فقد صح قولك وأقر بشر بما حكيت عنه، وكفر نفسه من حيث لا يدري انتهى انظر هامش شرح المقاصد للفتناني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة 61/1 طبع عالم الكتب بيروت.

قال محمد نور غفر الله له ربه الغفور: انظر كيف أن الأعاجم أضلوا عقائد المسلمين، لعدم فهمهم للغة العرب، واليوم أصبح المستشرقون والمستغربون كلهم يشنون الهجمة على اللغة العربية، لإبعاد الأجيال عن فهم القرآن، فهلم نحو جيل لغوي عربي قوي متين، لاسترداد الفهم الصحيح.

قال أبو زيد الدبوسي رحمه الله: (والشأن في علم التأويل والتفسير فما ناله إلا المفسر الكبير، فإنه لا ينال إلا بعلوم أربعة: لغة العرب؛ وعلم النحو؛ وطرق الاستعمال، وعلم طرق القياس الشرعي والاستدلال: ليعرف ظاهر تفسيره باللغة؛ واستقامة نظمه بالنحو؛ ومعاني البلاغة والإعجاز بالوقوف على طرق الاستعمال؛ وغير المنصوص على حكم من الحوادث بطرق القياس والاستدلال) انتهى. انظر كتاب الأمد الأقصى للدبوسي تحقيق محمد عبد القادر عطا ص330.

انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ⁽¹⁾ ورواه: مسلم: الترمذي

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (..قوله: (كان مما يعالج) المعالجة محاولة الشيء بمشقة، أي كان العلاج ناشئاً من تحريك الشفتين، أي مبدأ العلاج منه، أو " ما " موصولة وأطلقت على من يعقل مجازاً، هكذا قرره الكرمانى، وفيه نظر لأن الشدة حاصلة له قبل التحرك، والصواب ما قاله ثابت السرقسطي أن المراد كان كثيراً ما يفعل ذلك، وورودهما في هذا كثير ومنه حديث الرؤيا " كان مما يقول لأصحابه: من رأى منكم رؤيا "؟ ومنه قول الشاعر:

وإنما للمما نضرب الكبش ضربة على وجهه يلقي اللسان من الفم

قلت: ويؤيده أن رواية المصنف في التفسير من طريق جرير عن موسى بن أبي عائشة ولفظها " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي فكان مما يحرك به لسانه وشفثيه ". فأتى بهذا اللفظ مجرداً عن تقدم العلاج الذي قدره الكرمانى، فظهر ما قال ثابت، ووجه ما قال غيره إن " من " إذا وقع بعدها " ما " كانت بمعنى ربما، وهي تطلق على القليل والكثير وفي كلام سيبويه مواضع من هذا منها قوله: اعلم أنهم مما يحذفون كذا. والله اعلم.

ومن حديث البراء " كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم مما نحب أن نكون عن يمينه " الحديث، ومن حديث سمرة " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح مما يقول لأصحابه: من رأى منكم رؤيا ".

قوله: (فقال ابن عباس فأنا أحركهما) جملة معترضة بالفاء، وفائدة هذا زيادة البيان في الوصف على القول، وعبر في الأول بقوله " كان يحركهما " وفي الثاني برأيت، لأن ابن عباس لم ير النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة، لأن سورة القيامة مكية باتفاق، بل الظاهر أن نزول هذه الآيات كان في أول الأمر، وإلى هذا جنح البخاري في إيراد هذا الحديث في بدء الوحي، ولم يكن ابن عباس إذ ذاك ولد، لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، لكن يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك بعد، أو بعض الصحابة أخبره أنه شاهد النبي صلى الله عليه وسلم، والأول هو الصواب، فقد ثبت ذلك صريحاً في مسند أبي داود الطيالسي قال: حدثنا أبو عوانة بسنده. وأما سعيد بن جبير فرأى ذلك من ابن عباس بلا نزاع.

قوله: (فحرك شفثيه) وقوله فأنزل الله: (لا تحرك به لسانك) لا تنافي بينهما، لأن تحريك الشفتين، بالكلام المشتمل على الحروف التي لا ينطق بها إلا اللسان يلزم منه تحريك اللسان، أو اكتفى بالشفثين وحذف اللسان لوضوحه لأنه الأصل في النطق إذ الأصل حركة الفم، وكل من الحركتين ناشئ عن ذلك، وقد مضى أن في رواية جرير في التفسير " يحرك به لسانه وشفثيه " فجمع بينهما، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل القراءة ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء، قاله الحسن وغيره. ووقع في رواية للترمذي " يحرك به لسانه يريد أن يحفظه " وللنسائي " يعجل بقراءته ليحفظه " ولابن أبي حاتم " يتلقى أوله، ويحرك به شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره " وفي رواية الطبري عن الشعبي " عجل يتكلم به من حبه إياه " وكلا الأمرين مراد، ولا تنافي بين محبته إياه والشدة التي تلحقه في ذلك، فأمر بأن ينصت حتى يقضي إليه وحيه، ووعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره، ونحوه قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي بالقراءة.

قوله: (جمعه لك صدرك) كذا في أكثر الروايات وفيه إسناد الجمع إلى الصدر بالمجاز، كقوله أنبت الربيع البقل، أي أنبت الله في الربيع البقل، واللام في " لك " للتبيين أو للتعليل، وفي رواية كريمة والحموي " جمعه لك في صدرك " وهو توضيح للأول، وهذا من تفسير ابن عباس. وقال في تفسير

في سننه: النسائي: أحمد في مسنده.

- دليل (ولا تُجادِل في القرآن):

آ - ذم الله تعالى للمجادلين بغير علم من الله تعالى ورسوله ﷺ:

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) سورة الأنعام.

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ⁽¹⁾ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) سورة الأنعام.

(وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) سورة الرعد.

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) سورة الكهف.

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (56) سورة الكهف.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) سورة الحج.

(فاتبع) أي فاستمع وأنصت، وفي تفسير (بيانه) أي علينا أن نقرأه. ويحتمل أن يراد بالبيان بيان مجملاته وتوضيح مشكلاته، فيستدل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب كما هو الصحيح في الأصول، والكلام في تفسير الآيات المذكورة أخرته إلى كتاب التفسير فهو موضعه. والله أعلم. انتهى باختصار.

(١) قال الإمام أبو زيد الثعالبي في (حقائق التوحيد):

"حَقِيقَةُ اسْمِ الْجَلَالَةِ: اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ .

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: اسْمٌ لِمَوْجُودٍ وَاجِبِ الوجودِ، مَوْصُوفٍ بِالصِّفَاتِ، مُنْزَعٌ عَنِ الْآفَاتِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ .

فَقَوْلُنَا: "اسْمٌ لِمَوْجُودٍ": رَدُّ عَلَى الدَّهْرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْأَرْحَامَ تَدْفَعُ وَالْأَرْضُ تَبْلَعُ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .

وَقَوْلُنَا: "وَاجِبِ الوجودِ": رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى! - جِسْمٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ جِسْمًا يَكُونُ جَائِزًا الوجودِ .

وَقَوْلُنَا: "مَوْصُوفٍ بِالصِّفَاتِ": رَدُّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ النَّافِينَ لِصِفَاتِ الْمَعَانِي.

وَقَوْلُنَا: "لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ": رَدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ الْإِخْتِيَارِيَّةَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. " اهـ

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) سورة الحج.

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20) سورة لقمان.

(مَّا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) سورة غافر.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) سورة غافر.

(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35) سورة غافر.

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) سورة غافر.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ (69) سورة غافر.

(وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (35) سورة الشورى.

(وَقَالُوا أَلَّهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) سورة الزخرف.

المبحث التاسع
الإيمان برواية المؤمنين لله تعالى
في الآخرة بلا كيفية

- 1 - والرؤية حقٌّ لأهل الجنة:
 - بغير إحاطة؛
 - ولا كيفية؛
 - كما نطق كتاب ربنا: (وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23)) [سورة القيامة].
- 2 - وتفسيره على: ما أرادَه اللهُ تعالى؛ وعلمه؛
 - ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤية لأهل دار السلام لمن:
 - اعتبرَها منهم بوجهٍ؛
 - أو تأولَها بفهمٍ؛
 - (إذ كان تأويلُ الرؤية؛
 - وتأويلُ كلِّ معنى يُضافُ إلى الربوبية أ - غ)
 - ترك (إلا بترك - ب) التأويل؛
 - - ولزومِ التسليم؛
 - وعليه دين: (المسلمين - أ - الرسل - ب)
 - المرسلين (وشرائع النبيين - غ)؛

المبحث التاسع
الإيمان برواية المؤمنين لله تعالى
في الآخرة بلا كيفية

1 - وَالرُّؤْيَا حَقٌّ لِّأَهْلِ الْجَنَّةِ:

- بغير إحاطة؛

- ولا كيفية؛

- كَمَا نَطَقَ كِتَابُ رَبَّنَا :

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)

[سورة القيامة].

- وَتَفْسِيرُهُ عَلَى: مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَعَلَمُهُ؛

- دليل رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، بلا كيفية:

(لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) سورة

الأنعام. (1).

(1) قال ابن كثير في التفسير: وقوله "لا تدركه الأبصار" فيه أقوال للأئمة من السلف:

1 - "أحدها" لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن.

كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب.

وفي رواية - على الله - فإن الله تعالى قال: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار". رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه.

وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسألة تذكر في أول سورة النجم إن شاء الله.

وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال:

سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول الله: "لا تدركه الأبصار"

قال: هذا في الدنيا وذكر أبي عن هشام بن عبد الله أنه قال نحو ذلك.

2 - وقال آخرون "لا تدركه الأبصار" أي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة.

3 - وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة.

4 - فخالفوا (أي المعتزلة) أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله:

- أما الكتاب فقوله تعالى "ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة".

- وقال تعالى عن الكافرين: "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون".

قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى.

- وأما السنة فقد تواترت الأخبار:

عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن جريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه أمين.

5 - وقيل المراد بقوله "لا تدرکه الأبصار" أي العقول رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدي عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارئ أهل مكة أنه قال ذلك وهذا غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية والله أعلم.

6 - وقال آخرون لا منافاة إثبات الرؤية ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم. ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو:

- فقليل معرفة الحقيقة فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى.

قال ابن عليه في الآية: هذا في الدنيا رواه ابن أبي حاتم.

- وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية

كما لا يلزم من إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى: "ولا يحيطون به علما"، وفي صحيح مسلم: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)، ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا.

قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار"، قال: لا يحيط بصر أحد بالملك.

وقال ابن أبي حاتم - وأسند - عن عكرمة: أنه قيل له لا تدرکه الأبصار؟، قال: ألسنت ترى السماء؟ قال: بلى، قال فكلها ترى؟.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية: "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار": وهو أعظم من أن تدرکه الأبصار.

وقال ابن جرير - وأسند - عن عطية العوفي في قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة".

قال: هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم وبصره محيط بهم فذلك قوله: "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار".

وورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم ههنا فقال - وأسند - عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار" قال:

"لو أن الجن والإنس والشیاطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً" غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم.

- وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضاً والحاكم في مستدرکه من حديث الحكم بن أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه تبارك وتعالى، فقلت: أليس الله يقول "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار" الآية؟، فقال لي: لا أم لك، ذلك نوره الذي هو نور، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء.

وفي رواية: لا يقوم له شيء قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنُكَ وَكُنْ مِنْ

(إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار، حجاب النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). وقال تعالى: "فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين".

ونفي هذا الأثر الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة يتجلّى لعباده المؤمنين كما يشاء. فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار. ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار". فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء.

وقوله "وهو يدرك الأبصار" أي يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير".

وقد يكون عبر بالأبصار عن المبصرين كما قال السدي في قوله: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" لا يراه شيء وهو يرى الخلائق. وقال أبو العالية في قوله تعالى: "وهو اللطيف الخبير" قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم وهذا كما قال تعالى إخبارا عن لقمان فيما وعظ به ابنه: "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير". انتهى.

وكما أن الانسان يرى نور الشمس والقمر ولا يحيط بهما، ولا يرى ذاتهما فكذلك الرؤية رؤية بدون إحاطة، **وبدون رؤية للذات الإلهية الغيبية، فلا يعلم ذات الله إلا الله،** وإنما رؤية للأنوار الإلهية وتجلياتها، فالانتباه لكاف التشبيه في الحديث النبوي يدل على ذلك:

ففي صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - حديث: 7019: عن جرير قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: "إنكم سترون ربكم **كما** ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا"

وفي صحيح البخاري - كتاب الأذان - أبواب صفة الصلاة - باب فضل السجود - حديث: 785 حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي، أن أبا هريرة، أخبرهما: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فهل تمارون في الشمس ليس دونه سحاب" قالوا: لا، قال: " **فإنكم ترونه كذلك.. الحديث)،**

الشَّاكِرِينَ (144) سورة الأعراف (1).
فقال سبحانه: (لن تراني) ولم يقل: لن أر.
(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (2) وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى، وحصل له التسليم من الله، سأل الله تعالى أن ينظر إليه، فقال: "رب أرني انظر إليك قال لن تراني" **وقد أشكل حرف لن ههنا على كثير من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأييد**، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"

وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" وقيل: إنها لنفي التأييد في الدنيا جمعاً بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة.

وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" وقد تقدم ذلك في الأنعام... انتهى باختصار.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان")

وقوله "وزيادة" هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدود والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين.

وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضلهم ورحمته.

وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم:

عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبدالرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك:

ما رواه الإمام أحمد - وأسنده - عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ" وقال:

"إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم".

وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به.

وقال ابن جرير - وأسنده - أن أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) سورة يونس.
(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) سورة القيامة (1)).

"إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة؛ والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل" رواه أيضا ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي تميمه الهجيمي به.

وقال ابن جرير أيضا - وأسنده - عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً" قال:

"النظر إلى وجه الرحمن عز وجل".

وقال أيضا - وأسنده - أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً"؟ قال:

"الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل" ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث زهير به. وقوله تعالى "وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ" أي قَتَامٌ وسواد في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القفرة والغبرة

"وَلَا ذُلٌّ" أي هوان وصغار أي لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال تعالى في حقهم:

"فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا" أي نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته آمين.) انتهى باختصار.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (أي تراه عيانا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه "إنكم سترون ربكم عيانا")

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها:

لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين: أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال "هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟" قالوا لا قال "فإنكم ترون ربكم كذلك".

وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا".

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن".

وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة.

قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟

فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة" ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة".

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه: "إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك" يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات.

- أما الكافرون فقد أخبر القرآن أنهم محجوبون عن رؤيته:
(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ⁽¹⁾) (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين" ورواه الترمذي..
ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ولكن ذكرنا ذلك مفرداً في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق.
وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام،

ومن تأول ذلك بأن المراد بالي مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد "إلى ربها ناظرة"

قال: تنتظر الثواب من ربها رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضاً.
فقد أبعد هذا الناظر النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: "كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ"

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل.
ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى "إلى ربها ناظرة".

قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن "وجوه يومئذ ناضرة" قال حسنة "إلى ربها ناظرة".

قال: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق. انتهى باختصار.
قال القاضي أبو زيد الدبوسي: (وإلى) كلمة غاية، وما بين العبد وربّه مسافة، ولا له حد فيتصور غاية في النظر.

والعيان: إيقان بالذات فوق دليل الآيات، وزيادة دليل العلم بالذات حميدة، ومسافة النظر بالغاية مردودة، فوجب إثبات أصل النظر والرؤية على نفي حدهما في الشاهد، وتفويض تأويل الحد إلى الله تعالى قولاً وعدلاً بين قولين:

- نفي النظر إلى الله عز وجل أصلاً.
- وقول من أثبت النظر إليه بمسافة واختلاف مكانين بين العبد والرب، تعالى عن الأمكنة كما تعالى عن الأزمنة. انتهى انظر (الأمم الأقصى) للدبوسي ص 324 طبع دار الكتب العلمية بيروت.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (وقيل: "كَلَّا" ردع وزجر، أي ليس كما يقولون، بل "إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ".

قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون.

وقال جل ثناؤه: "وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة" [القيامة: 22 - 23] فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه.

وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.

(16) **ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17)** سورة المطففين.

ففي معرفة السنن والآثار للبيهقي - باب ما يستدل به على صحة اعتقاد الشافعي رحمه الله في حديث: 69: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت: أبا محمد بن جعفر بن محمد بن الحارث يقول: سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد بن الضحاك المعروف بابن بحر يقول: سمعت إسماعيل بن يحيى المزني يقول: سمعت ابن هرمرز القرشي يقول: سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل: **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)** (المطففين: 15) قال: **لما حجبهم في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا**، قال: فقال له أبو النجم القزويني: يا إبراهيم يعني المزني، به تقول ؟ قال: نعم، وبه أدين الله. قال: فقام إليه عصام فقبل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين، اليوم بيضت وجوهنا. قال الشيخ أحمد: وهذا لأن المزني رحمننا الله وإياه كان لا يخوض في الكلام. وقد روينا عنه بأسانيد أنه قال: القرآن كلام الله غير مخلوق) انتهى.

وروى الكلاباذي⁽¹⁾ عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم فإذا الرب جل وعز قد أشرف عليهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة)، وذلك قوله: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) (يس: 58)، فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم، فإذا احتجب عنهم بقي نوره وبركته عليهم وفي ديارهم).**

قال الشيخ الزاهد - الكلاباذي - رحمه الله: الإشراف صفة من ينظر إلى الشيء من مكان بعيد رفيع أو حال رفيعة، يقال: فلان مشرف على أحوالك، أي عرفها وأبصرها من جهة الرفة وعلو الدرجة، كما يقال: هو مشرف عليك، أي: مطلع من مكان عال، **والله عز وجل لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكن**، وهو على عرشه من جهة العلو والرفة عبر عنه بالإشراف، وليس

وقال الشافعي: لما حجب قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا. ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا.

وقال الحسين بن الفضل: لما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

وقال مجاهد في قوله تعالى: "المحجوبون": أي عن كرامته ورحمته ممنوعون.

وقال قتادة: هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم.

وعلى الأول الجمهور، وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه. انتهى.

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي - حديث آخر - حديث: 241، والحديث ضعيف، وإن كان النظر ثابت في القرآن والسنة الصحيحة، ولكن أردنا إيراد الشرح من الشيخ الكلاباذي رحمه الله تعالى.

معنى الإشراف تحديد ولا مكان من جهة العلو، فإذا نظر إلى أهل الجنة نظرا يريهم وجهه، وهو موصوف بالعلو والرفعة، عبر عنه بالإشراف، وليس معنى الإشراف تحديد ولا مكان من جهة الحول تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والله عز وجل قائل متكلم، والكلام صفة في ذاته لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهم سلاماً فهو قول منه كما قال: **(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ)**، وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية المنزلة عليه تلاوة ليزيل الشبهة في السلام منه وأنه قول يقوله، وكلام يكلمهم به، على ما يليق به جل وعز.

وقوله: " فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة " أي شغلوا عنها وحجبوا منها بلذة النظر إلى وجهه عز وجل، وذلك أن ما دون الله لا يقاوم تجليه عز وجل، ولولا أنه تعالى يثبتهم ويقويهم ويبقيهم، وإلا حل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له، ولكنه قوي قادر قاهر لا يؤوده شيء، ولا يمتنع عليه شيء فهو تعالى يبقيهم، ويثبتهم ويقويهم للنظر إليه، وتستولي لذة النظر عليهم، فينسيهم كل نعيم كانوا فيه لأنهم كانوا لذلك منتظرين، وإلى ذلك متطلعين، وإليه كانوا مشتاقين، وللجنة لأجله طالبين، لأنهم بذلك كانوا مبشرين، ولذلك كانوا موعودين بقوله جل وعز وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، وقوله عز وجل: **(وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ)** (القيامة: 22) **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** (القيامة: 23)، وقوله عز وجل: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)** (يونس: من الآية 26)، فإذا كان ذلك بغيتهم وكانت تلك طلبتهم وذلك كان في الجنة مرادهم فإذا أعطوا ذلك لهوا عما سواه معرضين ونسوا ذلك كله أجمعين، وشغلوا بما تلذ أعينهم، مما تشتهي نفوسهم محجوبين، فلا صفة لهم عند ذلك غير أنهم إليه ناظرون وله شاهدون، ولكلامه سامعون ولديه مقربون، سبحانه من تفضل على عباده المؤمنين وأوليائه المنتخبين بما لم يكن يبلغه همهم، ولا تصل إليه أوهامهم، فأكرمهم بما لم يخطر على القلوب ولا يدركه العقول فضلا منه ورحمة إنه ذو فضل عظيم.

ومعنى قوله: " حتى يحتجب عنهم " يجوز أن يكون معناه حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذي نسوه إلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التي سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذي وعدوه، وتنعموا بشهوات النفوس التي أعدت لهم، وليس ذلك إن شاء الله تعالى على معنى الاحتجاب عنهم، لأنه تعالى لا يحجبه شيء، وإنما يحجبهم عن نفسه برده إياهم إلى نعيم الأبدان وشهوة النفوس. وليس معنى يحجبهم عنه أن يكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين، وإلى نعيم الجنة ساكنين، وكيف يحجبهم عنه وهم بنعت المزيد، ودار الكرامة، ومحل القرب، والحجة بعد الشهود سلب

النعيم، وهو تعالى لا يسلبهم نعيما تفضل به عليهم ولكنه تعالى يردهم إلى ما نسوه، ولا يحجبهم عما شاهدوه حجة عينية واستتار. يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " بقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم " والنظر إذا صح، والحجة إذا ارتفعت، والوصلة إذا تمت لم يكن بين نظر المبصر وشهود السر فرق، ولا كان في حال الشهود والغيبة بون، بل يتفق الأوقات والأوقات، ويتساوى الأحوال فيكون في كل حال شاهدا، وبكل جارحة ناظرا، ولا يكون في حال محجوبا ولا بالغيبة موصوفا. حكى عن قيس المجنون أنه قيل له: ندعو لك ليلي؟ فقال: وهل غابت عني فتدعى. فقيل له: أتحب ليلي؟ فقال: المحبة ذريعة الوصلة، وقد وقعت الوصلة فأنا ليلي، وليلي أنا. وأنشدني بعض الصوفية:

شغلت قلبي بما لديك فما *** تنفك طول الحياة من فكري
وحيث ما كنت يا مدى هممي ** فأنت مني بموضع النظر
وأنشدوا لبعض الكبار:

جحدت الهوى إن كنت مذ جعل الهوى ** عيونك لي عينا تغض وتبصر
نظرت إلى سواك وإنما أرى ** غيركم أحلام نوم تقدر
أقيس سري عن سواك فلا أرى ** سواك وإني أنت ولكنه أكبر
وروي عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال: إن الله تعالى عبادا لو حجبهم في الجنة ساعة عن الرؤية لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها) انتهى.
فثبت أن المؤمنين غير محجوبين عن ربهم، وإلا لما عاقب الكافرين بالحجب عنه سبحانه. والله أعلم.

2 - وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَا لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنْ:

- اِعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ؛

- أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛

- (إِذَا كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا؛

وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنَى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ أ - غ)

- تَرَكَ (إِلَّا بِتَرَك - ب) التَّأْوِيلَ؛

- - وَلَزُومَ التَّسْلِيمِ؛

وَعَلَيْهِ دِينَ: (الْمُسْلِمِينَ - أ - الرُّسُل - ب)

المرسلين (وشرائع النّبيين - غ)؛

الشرح: إن التسليم برؤية المؤمنين الله تعالى في الجنة هو المطلوب، حيث ورد القرآن إثباته كما قدمنا، ولا ندخل في كيفية الرؤية، حيث لم يرد نص يخبر عن كيفية الرؤية، وإنما نسلم الأمر لله تعالى، وهو منهج الرسل والمؤمنين، وقد قدمنا دليل التسليم لله تعالى وإخباره.

وقد تميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم بإثباتهم رؤية الله يوم القيامة بلا كيفية، لأنهم سلموا بالنصوص الواردة، وأخضعوا عقولهم للنصوص القرآنية، ولم يخضعوا النصوص القرآنية لعقولهم كما فعله غيرهم.

الفصل الرابع

الإيمان بالقضاء والقدر:

خَيْرُهُ؛ وَشَرُّهُ؛ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى

مباحث القدر متعلقة بالإيمان:

بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَقُدْرَتِهِ؛ وَتَقْدِيرِهِ؛ وَمَشِيئَتِهِ؛

وإرادته؛ وفضله؛ وعدله؛ ورضاه؛ وبغضه؛ وحبه؛ وكرهه،

وهو متعلق بالربوبية والألوهية.

المبحث الأول - الإيمان بعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

المبحث الثاني - الإيمان بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ.

المبحث الثالث - الإيمان بِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى.

المبحث الرابع - الإيمان باللوح المحفوظ؛ وما سطره القلم إلى يوم القيامة.

المبحث الخامس - الاشتغال بما أظهره الله لنا من الشريعة؛ والكف عما

أخفاه عنا من المغيبات.

المبحث السادس - الإيمان بتوفيق الله تعالى للعمل

(استطاعة مقارنة للعمل لا يترتب عليها التكليف).

المبحث السابع - الإيمان بأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها

(استطاعة تهيئة الأسباب ويترتب عليها التكليف).

المبحث الثامن - الإيمان بأن أفعال الإنسان: بخلق الله؛ وكسب الإنسان.

الفصل الرابع
الإيمان بالقضاء والقدر:
خَيْرُهُ؛ وَشَرُّهُ؛ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى
مباحث القدر متعلقة بالإيمان:
 بعلم الله تعالى؛ وقدرته؛ وتقديره؛ ومشيئته؛
 وإرادته؛ وفضله؛ وعدله؛ ورضاه؛ وبغضه؛ وحبه؛ وكرهه،
 وهو متعلق بالربوبية والألوهية لله تعالى. (1).

المبحث الأول - الإيمان بعلم الله تعالى وقدرته:

- 1 - خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ؛
- 2 - وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا؛
- 3 - وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا؛
- 4 - وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛
- (مِنْ أَفْعَالِهِمْ - ب) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ (خَلَقَهُمْ - غ)؛
- وَعَلَّمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ؛
- 5 - وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ؛ وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛
- 6 - وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ:
- آدَمَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)؛
- وَذُرِّيَّتِهِ؛ حَقٌّ؛
- 7 - وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ:
- عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛

(1) **الربوبية:** هي علاقة الله تعالى بالعباد، وهي علاقة جبر وقهر، لا خيار للإنسان فيها بشيء، نحو الخلق والحياة والممات والرزق.. وكل شيء الإنسان فيه مجبر من الله تعالى فهو من صفة ربوبية الله تعالى، **وصفة الألوهية:** هي علاقة الإنسان بالله تعالى، وهي علاقة اختيار الإنسان، ومنها أتى **التكليف، والأمر والنهي الإلهي للإنسان**، وكان منهج القرآن أن إقرار الإنسان بربوبية الله تعالى أولاً يستلزمها إقرار الإنسان بألوهية الله، وهي عبادته سبحانه واتباع شرعه، والقضاء والقدر متعلق بالربوبية والألوهية، والحد الفاصل بينهما سر من أسرار الله تعالى كما قال الطحاوي رحمه الله، فلا يدخل الإنسان بكيف قضى وقدر؟، وإنما يدخل بماذا أمر ونهى ليعمل، فليعرف الإنسان حده، وليقف عنده، فإنه أسلم له والله أعلم.

- وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛
- فَلَا يَزْدَادُ (يُزَادُ - ب) فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ؛
- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلَّمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ؛
- 9 - وَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛
- 10 - وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ؛
- 11 - وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ؛
- وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛
- 12 - وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ:
- قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ؛
- فَقَدَّرَ ذَلِكَ (بِمَشِيئَتِهِ) تَقْدِيرًا:
- مُحْكَمًا؛
- مُبْرَمًا؛
- لَيْسَ فِيهِ:
- نَاقِضٌ؛
- وَلَا مُعَقَّبٌ؛
- وَلَا مُزِيلٌ؛
- وَلَا مُغَيِّرٌ؛
- وَلَا مُحَوِّلٌ؛
- وَلَا نَاقِصٌ؛
- وَلَا زَائِدٌ، مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَآوَاتِهِ وَأَرْضِهِ؛
- 13 - وَذَلِكَ (فَهَذَا - ب) مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ؛
- وَأَصُولِ الْمَعْرِفَةِ؛
- وَالْإِعْتِرَافِ:
- بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى (بِوَحْدَانِيَّتِهِ - ب)؛
- وَرُبُوبِيَّتِهِ؛
- كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2) [سورة
- الفرقان]؛
- وَقَالَ تَعَالَى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) [سورة الأحزاب]؛
- 14 - فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ (لِلَّهِ تَعَالَى - ب)

- (قَلْبُهُ - أ) فِي الْقَدَرِ (خَصِيماً - ب)؛
(وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ - ب) قَلْباً سَقِيماً،
- لَقَدْ التَّمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرّاً كَتِيباً،
- وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفْأَكاً أَثِيمَةً؛

المبحث الأول - الإيمان بعلم الله تعالى وقدرته:

- 1 - خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ؛
 - 2 - وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا؛
 - 3 - وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا؛
 - 4 - وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛
- (مِنْ أَفْعَالِهِمْ - ب) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ (خَلَقَهُمْ - غ)؛
وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ؛

- دليل خلق الله تعالى وعلمه وتقديره الآجال:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) سورة البقرة.

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) سورة البقرة.

(أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) سورة البقرة.

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115) سورة البقرة.

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) سورة البقرة.

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216) سورة البقرة.

(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220) سورة البقرة.

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) سورة البقرة.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) سورة البقرة.

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (270) سورة البقرة.

(قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) سورة آل عمران.

(إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) سورة آل عمران.

(هَآ أَنتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) سورة آل عمران.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) سورة النساء.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63) سورة النساء.

(وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) سورة المائدة.

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99) سورة المائدة.

(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ (109) سورة المائدة.

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ (116) سورة المائدة.

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3) سورة الأنعام.

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60) سورة الأنعام. (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) سورة الأنعام.

(أَلَا إِنَّهُمْ يَبْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5) سورة هود. (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) سورة إبراهيم.

(وَأَنْ تَجْهَرُوا بِالْقَوْلِ فَوَانهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) سورة طه. (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) سورة طه. (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) سورة السجدة.

(إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54) سورة الأحزاب. (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) سورة غافر.

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) سورة غافر. (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) سورة فصلت. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) سورة الممتحنة. (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) سورة الحاقة.

(إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7) سورة الأعلى. أخرج مسلم - في كتاب الإيمان - عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمِيرِيُّ، حَاجِّينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَسَأَلَنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هُوَ لَا فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛
دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاکْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ
أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ.

فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ؛ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ؛ وَيَتَقَفَّرُونَ
الْعِلْمَ؛ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ: أَنَّ لَا قَدَرَ؛ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفُ؟.

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ؛ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي؛ وَالَّذِي يَخْلِفُ
بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ؛ حَتَّى
يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ: شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ،
لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ؛ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا،
قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ.
قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ
فَأِنَّهُ يَرَاكَ).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ؟).
قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُقَاةَ؛
الْعُرَاةَ؛ الْعَالَةَ؛ رِعَاءَ الشَّاءِ؛ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ).

قَالَ: ثُمَّ انْطَلِقْ؛ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا؛ ثُمَّ قَالَ لِي: (يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟) قُلْتُ:
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) ⁽¹⁾ ورواه: خ: الترمذي

(1) قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث في رواية البخاري - باب سؤال جبريل:
(فائدة): زاد الإسماعيلي في مستخرجه هنا "وتؤمن بالقدر"، وهي في رواية أبي فروة أيضاً، وكذا
لمسلم من رواية عمارة بن القعقاع، وأكد بقوله "كله".
وفي رواية كههمس وسليمان التيمي "وتؤمن بالقدر خيره وشره" وكذا في حديث ابن عباس، وهو في
رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة "وحلوه ومره من الله".

وكان الحكمة في إعادة لفظ " وتؤمن " عند ذكر البعث الإشارة إلى أنه نوع آخر مما يؤمن به، لأن البعث سيوجد بعد، وما ذكر قبله موجود الآن، وللتنويه بذكره لكثرة من كان ينكره من الكفار، ولهذا كثر تكراره في القرآن، وهكذا الحكمة في إعادة لفظ " وتؤمن " عند ذكر القدر كأنها إشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف، فحصل الاهتمام بشأنه بإعادة تؤمن، ثم قرره بالإبدال بقوله: " خيره وشره وحلوه ومره " ثم زاده تأكيداً بقوله في الرواية الأخيرة " من الله " .
والقدر مصدر، تقول: قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها، أقدرة بالكسر والفتح قدراً وقدراً، إذا أحطت بمقداره.

والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين.

إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة، - كما ذكر أعلاه من رواية مسلم -
وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف من القدرية إنكار كون الباري عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها.

قال القرطبي وغيره: قد انقرض هذا المذهب، ولا نعرف أحدا ينسب إليه من المتأخرين.
قال: والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب الأول.

وأما المتأخرون منهم فأنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد فراراً من تعلق القديم بالمحدث، وهم مخصومون بما قال الشافعي:

"إن سلم القدري العلم خصم. يعني يقال له: أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟ فإن منع وافق قول أهل السنة، وإن أجاز لزمه نسبة الجهل، تعالى الله عن ذلك.) انتهى باختصار.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (.. عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني إلى آخر الحديث...

وأما قوله أول من قال في القدر فمعناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق.

ويقال القدر والقدر بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان وحكماهما ابن قتيبة عن الكسائي وقالهما غيره.
واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه: أن الله - تبارك وتعالى - قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده - سبحانه وتعالى - وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى .

وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه - سبحانه وتعالى - لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر.

قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر؛ ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم.

وقد حكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الإرشاد في أصول الدين أن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لا اعتقادكم إثبات القدر .

قال ابن قتيبة والإمام: هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهة وتواقع؛ فإن أهل الحق يفوضون أموركم إلى الله سبحانه وتعالى ويضيفون القدر والأفعال إلى الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم، ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره، وينفيه عن نفسه.

قال الإمام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القدرية مجوس هذه الأمة"

شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية هذا كلام الإمام وابن قتيبة.

وحديث "القدرية مجوس هذه الأمة" رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه أبو داود في سننه، والحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين، وقال: صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر.

قال الخطابي: إنما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية. وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً والله أعلم.

وقال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه:

الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها.

قال: والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر، يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى: (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي خلقهن،

قلت - أي النووي - : وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى.

وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه ومن أحسن المصنفات فيه وأكثرها فوائد كتاب الحافظ الفقيه أبي بكر البيهقي رضي الله عنه.

وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله أعلم.

قوله: (فوفّق لنا عبد الله بن عمر) هو بضم الواو وكسر الفاء المشددة، قال صاحب التحرير: معناه جعل وفقاً لنا، وهو من الموافقة التي هي كالالتحام، يقال: أتانا لتيفاق الهلال وميفاقه أي حين أهل لا قبله، ولا بعده، وهي لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام.

وفي مسند أبي يعلى الموصلي (فوافق لنا) بزيادة ألف والموافقة: المصادفة.

قوله: (فاكتنفته أنا وصاحبي) يعني صرنا في ناحيته. ثم فسره فقال: أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. وكنا الطائر جناحاه.

وفي هذا تنبيه على أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم، وهو أنهم يكتنفونه ويحفون به.

قوله: (فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي) معناه: يسكت ويفوضه إلي لإقدامي وجرأتي وبسطة لساني، فقد جاء عنه في رواية: لأنني كنت أبسط لساناً.

قوله: (ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم) هو بتقديم القاف على الفاء، ومعناه: يطلبونه ويتتبعونه هذا هو المشهور.

وقيل: معناه: يجمعونه، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن مآهان.

(يتفقرون) بتقديم الفاء، وهو صحيح وهو أيضا معناه: يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه.
وروي في غير مسلم يتقنون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح أيضا ومعناه أيضا: يتتبعون.
قال القاضي عياض: ورأيت بعضهم قال فيه (يتقعررون) بالعين، وفسره بأنهم يطلبون قعره أي غامضة وخفيه. ومنه تقعر في كلامه إذا جاء بالغريب منه.

وفي رواية أبي يعلى الموصلي يتقهررون بزيادة الهاء وهو ظاهر.
قوله: (وذكر من شأنهم) هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحيى بن يعمر والظاهر أنه من ابن بريدة الراوي عن يحيى بن يعمر يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به.

قوله: (يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف) هو بضم الهمزة والنون أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل، وهذا القول قول غلاتهم وليس قول جميع القدرية، وكذب قائله وضل واقتدى. عافانا الله وسائر المسلمين.

قوله: (قال يعني ابن عمر رضي الله عنهما فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر) هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية.

قال القاضي عياض - رحمه الله - : هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات، قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة.

قال غيره: ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة، فيكون من قبيل كفران النعم. إلا أن قوله: ما قبله الله منه، ظاهر في التفكير؛ فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر إلا أنه يجوز يقال في المسلم لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحا، كما أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة غير محوجة إلى القضاء عند جماهير العلماء بل بإجماع السلف وهي غير مقبولة فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا والله أعلم. وقوله: فأنفقه، يعني في سبيل الله تعالى، أي طاعته كما جاء في رواية أخرى. قال نبطويه: سمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى.

قوله: (لا يرى عليه أثر السفر) ضبطناه بالياء المثناة من تحت المضمومة. وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره. وضبطه الحافظ أبو حازم العدوي هنا (نرى) بالنون المفتوحة، وكذا هو في مسند أبي يعلى الموصلي وكلاهما صحيح.

قوله: (ووضع كفيه على فخذه) معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم. والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. والإيمان أن تؤمن بالله.. إلى آخره) هذا قد تقدم بيانه وإيضاحه بما يغني عن إعادته.

قوله: (فعبنا له يسأله ويصدق) سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل، إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتبعها على أحسن وجوها إلا أتى به فقال صلى الله عليه وسلم:

اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان فإن التتبع المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه وهذا

المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغي أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك. وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلايته؟! **قال القاضي عياض رحمه الله:** وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه. قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه بـ **(المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان)** إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة. والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (ما المسنول عنها بأعلم من السائل): فيه أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه.

وقد بسطت هذا بدلائله وشواهده وما يتعلق به في مقدمة شرح المذهب المشتملة على أنواع من الخير لا بد لطالب العلم من معرفة مثلها وإدامة النظر فيه والله أعلم.

قوله: (فاخبرني عن أماراتها) هو بفتح الهمزة والأمرة والأمار بإثبات الهاء وحذفها هي العلامة. **قوله صلى الله عليه وسلم: (أن تلد الأمة ربتها)** وفي الرواية الأخرى: ربتها على التنكير، وفي الأخرى: بعلها وقال يعني السراري. ومعنى ربتها وربتها. سيدها ومالكها وسيدتها ومالكها قال الأكثر من العلماء هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن؛ فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛ لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بتصريح أبيه له بالإذن، وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال.

وقيل: معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته، وهذا قول إبراهيم الحربي.

وقيل: معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان فيكثر ترددها في أيدي المشتريين حتى يشتريها ابنها ولا يدري، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور في غيرهن؛ فإن الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة، أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة في صورتين بيعا صحيحا وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد. وقيل في معناه غير ما ذكرناه. ولكنها أقوال ضعيفة جدا أو فاسدة فتركتها. وأما بعلها فالصحيح في معناه أن البعل هو المالك أو السيد فيكون بمعنى ربتها على ما ذكرناه. قال أهل اللغة بعل الشيء ربه ومالكه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون في قوله - سبحانه وتعالى - (أتدعون بعلا) أي: ربا. **وقيل:** المراد بالبعل في الحديث: الزوج ومعناه نحو ما تقدم أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري. وهذا أيضا معنى صحيح إلا أن الأول أظهر؛ لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى واحد كان أولى. والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) أما (العالة) فهم الفقراء، والعائل الفقير، والعيلة الفقير، وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر. والرعاء بكسر

في سننه: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.
وعن مجاهد قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما القدر؟ قال: " يا مجاهد أين قوله: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف: من الآية 54) " (1).

الراء وبالمد، ويقال فيهم (رعاة) بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان. والله أعلم.
قوله (فلبث مليا) هكذا ضبطناه لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء. وفي كثير من الأصول المحققة (لبثت) بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح.
وأما (مليا) بتشديد الياء فمعناه وقتا طويلا. وفي رواية أبي داود والترمذي أنه قال ذلك بعد ثلاث. وفي شرح السنة للبخاري (بعد ثالثة) وظاهر هذا: أنه بعد ثلاث ليال.
وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله في حديث أبي هريرة بعد هذا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ردوا علي الرجل، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " هذا جبريل".
فيحتمل الجمع بينهما أن عمر - رضي الله عنه - لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الحال بل كان قد قام من المجلس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال، وأخبر عمر - رضي الله عنه - بعد ثلاث إذ لم يكن حاضرا وقت إخبار الباقيين. والله أعلم.
قوله صلى الله عليه وسلم (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً.

واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم والمعارف والآداب واللطائف بل هو أصل الإسلام كما حكيناه عن القاضي عياض، وقد تقدم في ضمن الكلام فيه جمل من فوائده ومما لم نذكره من فوائده:
- أن فيه أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة، إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع.

وفيه أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل، ويدنيه منه، ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض. وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله. والله أعلم..). انتهى باختصار.
ودخل عبد الجبار الهمداني شيخ المعتزلة على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، أحد أئمة السنة، فقال: سبحان من تنزه عن الفحشاء.

فقال: الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

قال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟

فقال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟

فقال القاضي: أرأيت إن منعي الهدى وأورثني الضلال، أحسن إلي أم أساء؟

قال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء فبهت القاضي.

قلت محمد نور عفا عنه الغفور: لتقريب الموضوع لو أنك اشتريت لوحا من الخشب وقصصته بما يحلو لك، فهل يجوز للخشب أن يعترض عليك، ويقول لك: لماذا قصصتني؟ ولماذا فعلت بي كذا وكذا، والله المثل الأعلى، وكذلك الله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء، فافهم وسلم ترتاح واطلب من الله تعالى كل شيء، فهو استجاب لإبليس أفلا يستجيب لعبده المؤمن؟!.

(١) خلق أفعال العباد للبخاري - باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام - حديث: 17.

و عن ابن عباس رضي الله عنهما: " العجز والكيس من القدر " (1).

5 - وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ؛ وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ 132/1

- دليل أمر الله تعالى عباده، ونهيه عن معصيته:

الاشتغال بما أمر الله تعالى به، والابتعاد عما نهى عنه، خير من الاشتغال بكيف قدر سبحانه الأقدار؟ كيف علم؟ كيف أراد؟ كيف شاء؟ (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) [سورة الأنبياء]:
(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) سورة آل عمران.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) سورة آل عمران.
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) سورة النساء.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) سورة النساء.
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) سورة النساء.
(وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) سورة النساء.
(مَنْ يُطِغِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) سورة النساء.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92) سورة المائدة.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) سورة الأنفال.
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) سورة الأنفال.
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(١) خلق أفعال العباد للبخاري - باب أفعال العباد - حديث: 21

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) سورة النحل.
(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) سورة النور.

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) سورة النور.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33) سورة محمد.

(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا (17) سورة الفتح.

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) سورة التغابن.

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) سورة الحشر.
(إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا
عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9) سورة الممتحنة.

6 - وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ:

آدَمَ (صلوات الله عليه)؛
وذرِّيَّتِهِ؛ حَقٌّ؛

- دليل ميثاق الإيمان الذي أخذه الله تعالى على آدم وذرريته:

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ
تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
(173) وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174) سورة الأعراف.

فهذه هي الشهادة والهداية الأولى على الإنسان لذا قال الله تعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) سورة التوبة.

- وأرسل الله تعالى الرسل والأنبياء:

(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (165) سورة النساء. وهي الحجة الثانية.

- لهذا أقام الله تعالى الحجة على بني آدم بأخذه العهد عليهم:

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ (١) أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) سورة يس.

7 - وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ:
 - عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛
 - وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛
 - فَلَا يَزْدَادُ (يُزَادُ - ب) فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ؛
 - وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلَّمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ؛

- دليل أن الله تعالى عالم بكل شيء:

(يَا بَنِيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) سورة لقمان.

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) سورة يونس (2).

(١) قال الألوسي في تفسيره: (والعهد: الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة، والمراد منه ههنا: ما كان منه تعالى على السنة الرسل عليهم السلام، من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ.. (27) [سورة الأعراف] الآية، وقوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (168) [سورة البقرة] وغيرهما من الآيات الواردة في هذا المعنى.

- وقيل: هو الميثاق المأخوذ عليهم في عالم الذر إذ قال سبحانه لهم: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ).

- وقيل: هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الأمرة بعبادة الله تعالى، الزاجرة عن عبادة غيره عز وجل، فكأنه استعارة لإقامة البراهين). انتهى.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله "وعنده

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) سورة الملك.

9 - وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛

الدليل القرآني:

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) سورة الليل.

أخرج البخاري - كتاب تفسير القرآن - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ. فَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟

قَالَ: (اعْمَلُوا فُكُلٌ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؛ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى الْآيَةَ) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده. (1)

مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" الآية وقال تعالى "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها" الآية وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى "وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين". ولهذا قال تعالى "وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه".

أي إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راعون سامعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" انتهى.

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح - كتاب القدر - : (قوله (كنا جلوسا) في رواية عبد الواحد عن الأعمش " كنا قعودا " وزاد في رواية سفيان الثوري عن الأعمش " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد - بفتح الغين المعجمة والقاف بينهما راء ساكنة - في جنازة " فظاهره أنهم كانوا جميعا شهدوا الجنازة، لكن أخرجه في الجناز من طريق منصور عن سعد بن عبيدة فبين أنهم سبقوا بالجنازة وأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

ولفظه " كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ".

قوله (ومعه عود ينكت به في الأرض) في رواية شعبة " وبيده عود فجعل ينكت به في الأرض " وفي رواية منصور " ومعه مخرصة " بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الصاد المهملة هي عصا أو

قضيبي يمسكه الرئيس ليتوكأ عليه ويدفع به عنه ويشير به لما يريد، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها، وفي اللغة اختصر الرجل إذا أمسك المخرصة.

قوله (فكس) بتشديد الكاف أي أطرق. قوله (فقال ما منكم من أحد) زاد في رواية منصور " ما من نفس منقوسة " أي مصنوعة مخلوقة، واقتصر في رواية أبي حمزة والثوري على الأول.

قوله (إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة) أو للتنويع، ووقع في رواية سفيان ما قد يشعر بأنها بمعنى في الواو ولفظه " إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار " وكأنه يشير إلى ما تقدم من حديث ابن عمر الدال على أن لكل أحد مقعدين.

وفي رواية منصور " إلا كتب مكانها من الجنة والنار " وزاد فيها " وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة " وإعادة " إلا " يحتمل أن يكون " ما من نفس " بدل " ما منكم " " وإلا " الثانية بدلا من الأولى وأن يكون من باب اللف والنشر فيكون فيه تعميم بعد تخصيص، والثاني في كل منهما أعم من الأول أشار إليه الكرمانى.

قوله (فقال رجل من القوم) في رواية سفيان وشعبة " فقالوا يا رسول الله " وهذا الرجل وقع في حديث جابر عند مسلم أنه سراق بن مالك بن جعشم ولفظه " جاء سراق فقال يا رسول الله أنعمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أو فيما يستقبل؟ قال: بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير. فقال: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له " وأخرجه الطبراني وابن مردويه نحوه وزاد: وقرأ (فأما من أعطى - إلى قوله - العسرى) وأخرجه ابن ماجه من حديث سراق نفسه لكن دون تلاوة الآية.

ووقع هذا السؤال وجوابه سوى تلاوة الآية لشريح بن عامر الكلابي أخرجه أحمد والطبراني ولفظه " قال: ففيم العمل إذا؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له "

وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال " قال عمر: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو أمر قد فرغ منه؟ قال: فيما قد فرغ منه " فذكر نحوه. وأخرج البزار والفريابي من حديث أبي هريرة " إن عمر قال: يا رسول الله " فذكره.

وأخرجه أحمد والبزار والطبراني من حديث أبي بكر الصديق " قلت يا رسول الله نعمل على ما فرغ منه " الحديث نحوه.

ووقع في حديث سعد بن أبي وقاص " فقال رجل من الأنصار ".

والجمع بينها تعدد السائلين عن ذلك، فقد وقع في حديث عبد الله بن عمرو أن السائل عن ذلك جماعة ولفظه " فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل " الحديث أخرجه الفريابي.

قوله (ألا نتكل يا رسول الله) في رواية سفيان " أفلا " والفاء معقبة لشيء محذوف تقديره أفإذا كان كذلك أفلا نتكل، وزاد في رواية منصور وكذا في رواية شعبة " أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ " أي نعتد على ما قدر علينا،

وزاد في رواية منصور " فمن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاوة " مثله.

قوله (اعملوا فكل ميسر) زاد شعبة " لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل السعادة " الحديث،

وفي رواية منصور قال " أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة " الحديث.

وحاصل السؤال: ألا نترك مشقة العمل فإننا سنصير إلى ما قدر علينا.

وحاصل الجواب: لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له، وهو يسير على من يسره الله. **قال الطيبي:** الجواب من الأسلوب الحكيم، منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية، وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط. قوله (ثم قرأ: فأما من أعطى واتقى والآية) وساق في رواية سفيان ووكيع الآيات إلى قوله (العسرى).

ووقع في حديث ابن عباس عند الطبراني نحو حديث عمر وفي آخره " **قال اعمل فكل ميسر** " وفي آخره عند البزار " **فقال القوم بعضهم لبعض: فالجد إذا** ".

وأخرجه الطبراني في آخر حديث سراقه ولفظه " **فقال يا رسول الله فقيم العمل؟ قال: "كل ميسر لعمله، قال: الآن الجد الآن الجد** ".

وفي آخر حديث عمر عند الفريابي " **فقال عمر فقيم العمل إذا؟ قال: كل لا ينال إلا بالعمل، قال عمر: إذا نجتهد** ".

وأخرج الفريابي بسند صحيح إلى بشير بن كعب أحد كبار التابعين قال " **سأل غلامان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيم العمل:** فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم شيء نستأنفه؟ قال: بل فيما جفت به الأقلام، قال: **فقيم العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما هو عامل، قال: فالجد الآن** ".

وفي الحديث جواز القعود عند القبور والتحدث عندها بالعلم والموعظة. وقال المهلب: نكته الأرض بالمحصرة أصل في تحريك الأصبع في التشهد نقله ابن بطل، وهو بعيد، وإنما هي عادة لمن يتفكر في شيء يستحضر معانيه، فيحتمل أن يكون ذلك تفكرا منه صلى الله عليه وسلم في أمر الآخرة بقرينة حضور الجنازة، ويحتمل أن يكون فيما أبداه بعد ذلك لأصحابه من الحكم المذكورة، ومناسبته للقصة أن فيه إشارة إلى التسلية عن الميت بأنه مات بفراغ أجله.

وهذا الحديث أصل لأهل السنة في أن السعادة والشقاء بتقدير الله القديم، وفيه رد على الجبرية لأن التيسير ضد الجبر لأن الجبر لا يكون إلا عن كره ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير إلا وهو غير كاره له.

واستدل به على إمكان معرفة الشقي من السعيد في الدنيا كمن اشتهر له لسان صدق وعكسه لأن العمل أمانة على الجزاء على ظاهر هذا الخبر، ورد بما تقدم في حديث ابن مسعود، وأن هذا العمل الظاهر قد ينقلب لعكسه على وفق ما قدر، والحق أن العمل علامه وأمانة، فيحكم بظاهر الأمر وأمر الباطن إلى الله تعالى.

قال الخطابي: لما أخبر صلى الله عليه وسلم عن سبق الكائنات رام من تمسك بالقدر أن يتخذ حجة في ترك العمل فأعلمهم أن هنا أمرين لا يبطل أحدهما بالآخر:

باطن وهو العلة الموجبة في حكم الربوبية،

وظاهر وهو العلامة اللازمة في حق العبودية، وإنما هي أمانة مخيلة في مطالعة علم العواقب غير مفيدة حقيقة، فبين لهم أن كلا ميسر لما خلق له، وأن عمله في العاجل دليل على مصيره في الآجل، ولذلك مثل بالآيات. ونظير ذلك الرزق مع الأمر بالكسب، والآجل مع الإذن في المعالجة.

وقال في موضع آخر: هذا الحديث إذا تأملته وجدت فيه الشفاء مما يتخالج في الضمير من أمر القدر، وذلك أن القائل " **أفلا نتكل وندع العمل** " لم يدع شيئا مما يدخل في أبواب المطالبات والأسئلة إلا وقد طالب به وسأل عنه، فأعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القياس في هذا الباب متروك والمطالبة ساقطة، وأنه لا يشبه الأمور التي عقلت معانيها وجرت معاملة البشر فيما بينهم عليها، بل

طوى الله علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه كما أخفى عنهم أمر الساعة فلا يعلم أحد متى حين قيامها انتهى.

وقد تقدم كلام ابن السمعاني في نحو ذلك في أول كتاب القدر. وقال غيره: وجه الانفصال عن شبهة القدرية أن الله أمرنا بالعمل فوجب علينا الامتثال، وغيب عنا المقادير لقيام الحجة، ونصب الأعمال علامة على ما سبق مشيئته. فمن عدل عنه ضل وتاه لأن القدر سر من أسرار الله لا يطلع عليه إلا هو، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة كشف لهم عنه حينئذ. وفي أحاديث هذا الباب أن أفعال العباد وإن صدرت عنهم لكنها قد سبق علم الله بوقوعها بتقديره، ففيها بطلان قول القدرية صريحا، والله أعلم. انتهى.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قوله: (فنكس فجعل ينكت بمخصرته) أما (نكس) فبتخفيف الكاف وتشديدها، لغتان فصيحتان، يقال: نكسه ينكسه فهو ناكس كقتله يقتله فهو قاتل، ونكسه ينكسه تنكيسا فهو منكس، أي خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم. وقوله: (ينكت) بفتح الياء وضم الكاف وآخره وتاء مثناة فوق أي يخط بها خطا يسيرا مرة بعد مرة، وهذا فعل المفكر المهموم.

و(المحصرة) بكسر الميم ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف وغيرهما. وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الوقائع بقضاء الله تعالى وقدره؛ خيرها وشرها، ونفعها وضرها، وقد سبق في أول كتاب الإيمان قطعة صالحة من هذا.

قال الله تعالى: (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فهو ملك الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله .

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحر الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار، واختص الله به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛ لما علمه من الحكمة. وواجبنا أن نقف حيث حد لنا، ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها. والله أعلم. وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال: قال فسنيسره لليسرى وللعسرى، وكما صرحت به هذه الأحاديث. انتهى.

وقال السندي في شرحه على ابن ماجه - المقدمة - : (قوله (فنكت في الأرض) أي ضربها ضربا أثر فيها).

وقوله ومقعده الواو بمعنى أو أفلا نتكل: أي العمل لا يرد القضاء والقدر السابق فلا فائدة فيه، فنبه على الجواب عنه بأن الله تعالى دبر الأشياء على ما أراد وربط بعضها ببعض وجعلها أسبابا ومسببات، ومن قدره من أهل الجنة قدر له ما يقربه إليها من الأعمال، ووفقه لذلك بأقداره ويمكنه منه ويحرصه عليه بالترغيب والترهيب، ومن قدر له أنه من أهل النار قدر له خلاف ذلك وخذله حتى اتبع هواه وترك أمر مولاه.

وأخرج مسلم - كتاب القدر باب كيفية خلق آدمي - عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ، أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: (لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ) قَالَ: فَفِيمَا الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: (اعْمَلُوا فِكْلًا مُيسَّرًا).⁽¹⁾ ورواه: أحمد في مسنده. (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) سورة الطلاق).

10 - والأعمال بالخواتيم؛

الدليل القرآني:
(رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) سورة يوسف.
(رَبَّنَا فَاعْفُ رُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) سورة آل عمران.
(وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) سورة الأعراف.

قال البخاري بَاب الْعَمَلِ بِالْخَوَاتِيمِ:
عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَكْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا) فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ

والحاصل أنه جعل الأعمال طريقًا إلى نيل ما قدره له من جنة أو نار فلا بد من المشي في الطريق وبواسطة التقدير السابق يتيسر ذلك المشي لكل في طريقه ويسهل عليه، وتلاوة الآية للاستشهاد على أن التيسير منه تعالى . انتهى.

(1) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قوله: (جفت به الأقلام) أي مضت به المقادير، وسبق علم الله تعالى به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان).

قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به. وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلى الله تعالى: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) والله أعلم . انتهى.

الْمَوْتِ؛ فَجَعَلَ ذُبَابَةً سَيْفِهِ بَيْنَ تَذْيِيبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتَفَيْهِ؛ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.
فَقَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟).

قَالَ: قُلْتُ: لِفُلَانٍ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) ورواه: مسلم، أحمد في مسنده.

وأخرج الترمذي عن شهر بن حوشب قال: قُلْتُ لَأُمِّ سَلَمَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ:

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟
قَالَ: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ أَدْمِي إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاعَ).
فَقَالَا مُعَاذُ: (رَبَّنَا لَا تَزَعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا).

وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَأَنْسٍ وَجَابِرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَنُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ أَبُو عِيسَى: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ) ورواه: أحمد في مسنده.
اللهم إنا أسألك حسن الخاتمة الطيبة على كامل الإيمان بلا فتنة ولا محنة لي ولوالدي ولمشايخي وللمسلمين، ولقارئ هذا الكتاب وناشره. يارب العالمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

11 - وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ؛

- وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛

الدليل القرآني:

(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ (1) إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30) [سورة الأعراف].

(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) (2) [سورة الأعراف].

(أ) قال القرطبي في تفسيره: ("فريقا هدى" "فريقا" نصب على الحال من المضمر في "تعودون" أي تعودون فريقين: سعداء، وأشقياء. يقوي هذا قراءة أبي "تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة"؛ عن الكسائي.

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى "فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة" قال: من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة، وإن عمل بأعمال الهدى. ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى، وإن عمل بأعمال الضلالة. ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة، وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه.

قال: "وكان من الكافرين" [البقرة: 34] وفي هذا رد واضح على القدرية ومن تابعهم. وقيل: "فريقا" نصب بـ"هدى"، "وفريقا" الثاني نصب بإضمار فعل؛ أي وأضل فريقا. وأنشد سيبويه:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

قال الفراء: ولو كان مرفوعا لجاز. انتهى.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى "ولقد ذرأنا لجهنم" أي خلقنا وجعلنا لجهنم "كثيرا من الجن والإنس" أي هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء".

وفي صحيح مسلم أيضا من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: دعي النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم".

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود "ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد".

وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال "هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي" والأحاديث في هذا كثيرة ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها.

وقوله تعالى "لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها" يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى "وجعلنا لهم سمعا

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) (1) [سورة الروم]..

وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله الآية.

وقال تعالى "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" هذا في حق المنافقين وقال في حق الكافرين "صم بكم عمي فهم لا يعقلون" ولم يكونوا صما ولا بكما ولا عميا إلا عن الهدى كما قال تعالى: "ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون". وقال "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور". وقال "ومن يعيش عن ذكر الرحمن نفیض له شیطانا فهو له قرین وإنهم لیصدونهم عن السبیل ویحسبون أنهم مهتدون".

وقوله تعالى "أولئك كالأنعام" أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء" أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ولا تفقه ما يقول ولهذا قال في هؤلاء: "بل هم أضل" أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ولأنها تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ولهذا قال تعالى "أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون". (1) قال القرطبي في تفسيره: (فيه ثلاث مسائل):

الأولى: قال الزجاج: "فطرة" منصوب بمعنى اتبع فطرة الله. قال: لأن معنى "فأقم وجهك للدين" اتبع الدين الحنيف واتبع فطرة الله.

وقال الطبري: "فطرة الله" مصدر من معنى: "فأقم وجهك" لأن معنى ذلك: فطر الله الناس ذلك فطرة. وقيل: معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له؛ وعلى هذا القول يكون الوقف على "حنيفا" تاما. وعلى القولين الأولين يكون متصلا، فلا يوقف على "حنيفا". وسميت الفطرة دينا لأن الناس يخلقون له، قال جل وعز:

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" [الذاريات: 56].

ويقال: "عليها" بمعنى لها؛ كقوله تعالى: "وإن أسأتم فلها" [الإسراء: 7]. والخطاب بـ "أقم وجهك" للنبي صلى الله عليه وسلم، أمره بإقامة وجهه للدين المستقيم؛ كما قال: "فأقم وجهك للدين القيم" [الروم: 43] وهو دين الإسلام.

وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين؛ وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه. ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل. و"حنيفا" معناه معتدلا مائلا عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة.

الثانية: في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة - في رواية على هذه الملة - أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم؛ "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" في رواية: (حتى تكونوا أنتم تجدونها) قالوا: يا رسول الله؛ أفرأيت من يموت صغيرا؟ قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين). لفظ مسلم.

الثالثة: واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة: **منها الإسلام:** قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما؛ قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل؛ واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة، وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما: (ألا أحدثكم بما حدثني الله في كتابه، أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا مما أعطاهم الله حلالا وحراما...) الحديث.

وبقوله صلى الله عليه وسلم: (خمس من الفطرة...) فذكر منها قص الشارب، وهو من سنن الإسلام، وعلى هذا التأويل فيكون معنى الحديث:

أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة؛ أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار.

وقال آخرون: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها: أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ. قالوا: والفطرة في كلام العرب البداءة. والفاطر: المبتدئ؛ واحتجوا بما روي عن ابن عباس أنه قال: لم أكن أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي ابتدأتها. قال المروزي: كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه.

قال أبو عمر في كتاب التمهيد له: ما رسمه مالك في موطنه وذكر في باب القدر فيه من الآثار - يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا، والله أعلم.

ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي في قول الله تعالى:

"فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة" [الأعراف: 30].

قال: من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال الضلالة، ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه، قال: وكان من الكافرين.

قلت: قد مضى قول كعب هذا في "الأعراف" وجاء معناه مرفوعا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه.

قال: (أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم) خرج ابن ماجه في السنن.

وخرج أبو عيسى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال: (أتدرون ما هذان الكتابان)؟ فقلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا؟

فقال للذي في يده اليمينى: (هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا - ثم قال للذي في شماله - هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا...) وذكر الحديث، وقال فيه: حديث حسن.

وقالت فرقة: ليس المراد بقوله تعالى: "فطر الناس عليها" ولا قوله عليه السلام: (كل مولود يولد على الفطرة) العموم، وإنما المراد بالناس المؤمنون؛ إذا لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد، وقد ثبت أنه خلق أقواما للنار؛ كما قال تعالى: "ولقد نرأنا لجهنم" [الأعراف: 179] ز وأخرج الذرية من صلب آدم سوداء وببيضاء.

وقال في الغلام الذي قتله الخضر: طبع يوم طبع كافرا.

وروى أبو سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهار؛ وفيه: وكان فيما حفظنا أن قال: (ألا إن بني آدم خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً، ومنهم حسن القضاء حسن الطلب). ذكره حماد بن زيد بن سلمة في مسند الطيالسي قال: حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

قالوا: والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب: ألا ترى إلى قوله عز وجل: "تدمر كل شيء" [الأحقاف: 25] ولم تدمر السموات والأرض. وقوله: "فتحننا عليهم أبواب كل شيء" [الأنعام: 44] ولم تفتح عليهم أبواب الرحمة.

وقال إسحاق بن راهويه الحنظلي: تم الكلام عند قوله: "فأقم وجهك للدين حنيفاً" ثم قال: "فطرة الله" أي فطر الله الخلق فطرة إما بجنة أو نار، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (كل مولود يولد على الفطرة) ولهذا قال: "لا تبديل لخلق الله"

قال شيخنا أبو العباس: من قال هي سابقة السعادة والشقاوة فهذا إنما يليق بالفطرة المذكورة في القرآن؛ لأن الله تعالى قال: "لا تبديل لخلق الله" وأما في الحديث فلا؛ لأنه قد أخبر في بقية الحديث بأنها تبدل وتغير.

وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه؛ فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة؛ يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته.

واحتجوا على أن الفطرة الخلقة، والفاطر الخالق؛ لقول الله عز وجل: "الحمد لله فاطر السموات والأرض" [فاطر: 1] يعني خالقهم، وبقوله: "وما لي لا أعبد الذي فطرني" [يس: 22] يعني خلقتني، وبقوله: "الذي فطرهن" [الأنبياء: 56].

يعني خلقهن. قالوا: فالفطرة الخلقة، والفاطر الخالق؛ وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قالوا: وإنما المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعاً وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة؛ ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا.

واحتجوا بقوله في الحديث: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء - يعني سالمة - هل تحسون فيها من جدعاء) يعني مقطوعة الأذن.

فمثل قلوب بني آدم بالبهائم لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان، ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها؛ فيقال: هذه بحائر وهذه سوانب.

يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم السائمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم.

قالوا: ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمورهم ما انتقلوا عنه أبداً، وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون.

قالوا: ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً، لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئاً، قال الله تعالى:

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً" [النحل: 78].

فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها.

ومن الحجة أيضا في هذا قوله تعالى: **"إنما تجزؤون ما كنتم تعملون"** [الطور: 16].
"كل نفس بما كسبت رهينة" [المدثر: 38] ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء.
وقال: **"وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"** ولما أجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود والآثام عنهم في دار الدنيا كانت الآخرة أولى بذلك. والله أعلم.
ويستحيل أن تكون الفطرة المذكورة الإسلام، كما قال ابن شهاب؛ لأن الإسلام والإيمان: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وهذا معدوم من الطفل، لا يجهل ذلك ذو عقل.
وأما قول الأوزاعي: سألت الزهري عن رجل عليه رقبة أيجزي عنه الصبي أن يعتقه وهو رضيع؟ قال: نعم؛ لأنه ولد على الفطرة يعني الإسلام؛ فإنما أجزى عتقه عند من أجازاه؛ لأن حكمه حكم أبيه.
وخالفهم آخرون فقالوا: لا يجزي في الرقاب الواجبة إلا من صام وصلى، وليس في قوله تعالى: **"كما بدأكم تعودون"** [الأعراف: 29].
ولا في (أن يختم الله للعبد بما قضاه له وقدره عليه).
دليل على أن الطفل يولد حين يولد مؤمنا أو كافرا؛ لما شهدت له العقول أنه في ذلك الوقت ليس ممن يعقل إيماننا ولا كفرا، والحديث الذي جاء فيه:
(أن الناس خلقوا على طبقات).
ليس من الأحاديث التي لا مطعن فيها؛ لأنه انفرد به علي بن زيد بن جدعان، وقد كان شعبة يتكلم فيه.
على أنه يحتمل قوله: (يولد مؤمنا) أي يولد ليكون مؤمنا، ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه، وليس في قوله في الحديث:
(خلقت هؤلاء للجنة وخلق هؤلاء للنار) أكثر من مراعاة ما يختم به لهم؛ لا أنهم في حين طفولتهم ممن يستحق جنة أو نارا، أو يعقل كفرا أو إيماننا.
قلت: وإلى ما اختاره أبو عمر واحتج له، ذهب غير واحد من المحققين منهم ابن عطية في تفسيره في معنى الفطرة، وشيخنا أبو العباس.
قال ابن عطية: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به؛ فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم:
(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه) فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة.
وقال شيخنا في عبارته: إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق.
وقد دل على صحة هذا المعنى قوله: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقى كاملا بريئا من العيوب، لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم وجهه فتطرا عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل؛ وكذلك الإنسان، وهو تشبيهه واقع ووجهه واضح.
قلت: وهذا القول مع القول الأول موافق له في المعنى، وأن ذلك بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا، وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة: من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار؛ فلما عملت أهواؤهم فيهم أتنهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) سورة

والنصرانية فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً، وأنهم إن ماتوا صغاراً فهم في الجنة، أعني جميع الأطفال، لأن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صورة الذر أقرؤا له بالربوبية وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا" [الأعراف: 172].

ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقرؤا له بالربوبية، وأنه الله لا إله غيره. ثم يكتب العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول. - فمن كان في الكتاب الأول شقياً عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك.

- ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عمر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيداً. - ومن مات صغيراً من أولاد المسلمين قيل أن يجري عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة. - ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقض الميثاق، ذهب إلى هذا جماعة من أهل التأويل، وهو يجمع بين الأحاديث.

ويكون معنى قوله عليه السلام لما سئل عن أولاد المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) يعني لو بلغوا.

ودل على هذا التأويل أيضاً حديث البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث الطويل حديث الرؤيا، وفيه قول عليه السلام: (وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإبراهيم عليه السلام، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة).

قال فقيل: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأولاد المشركين). وهذا نص يرفع الخلاف، وهو أصح شيء روي في هذا الباب، وغيره من الأحاديث فيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء؛ قاله أبو عمر بن عبد البر.

وقد روي من حديث أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال: (لم تكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنة، ولم تكن لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من أهل النار، فهم خدم لأهل الجنة) ذكره يحيى بن سلام في التفسير له.

وقد زدنا هذه المسألة بيانا في كتاب التذكرة، وذكرنا في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس ما ذكره أبو عمر من ذلك، والحمد لله.

وذكر إسحاق بن راهويه قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: أخبرنا جرير بن حازم عن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس يقول: لا يزال أمر هذه الأمة مواتياً أو متقارباً - أو كلمة تشبه هاتين - حتى يتكلموا أو ينظروا في الأطفال والقدر.

قال يحيى بن آدم فذكرته لابن المبارك فقال: أيسكت الإنسان على الجهل؟ قلت: فتأمر بالكلام؟ قال فسكت.

وقال أبو بكر الوراق: "فطرة الله التي فطر الناس عليها" هي الفقر والفاقة؛ وهذا حسن؛ فإنه منذ ولد إلى حين يموت فقير محتاج، نعم، وفي الآخرة. انتهى.

التغابن. (1).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى "هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" أي هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك؛ فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى والله بما تعملون بصير). انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمنا وكافرا).

وروى أبو سعيد الخدري قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون فقال: (يولد الناس على طبقات شتى: يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا. ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا. ويولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا. ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا).

وقال ابن مسعود: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خلق الله فرعون في بطن أمه كافرا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا).

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود: (وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها). خرجه البخاري والترمذي وليس فيه ذكر الباع.

وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة).

قال علماؤنا: والمعنى تعلق العلم الأزلي بكل معلوم؛ فيجري ما علم وأراد وحكم. فقد يريد إيمان شخص على عموم الأحوال، وقد يريده إلى وقت معلوم. وكذلك الكفر.

وقيل في الكلام محذوف: فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق؛ فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه؛ قاله الحسن.

وقال غيره: لا حذف فيه؛ لأن المقصود ذكر الطرفين. وقال جماعة من أهل العلم: إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا. قالوا: وتامم الكلام "هو الذي خلقكم". ثم وصفهم فقال: "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" كقوله تعالى: "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" [النور: 45] الآية.

قالوا: فالله خلقهم؛ والمشي فعلهم. واختاره الحسين بن الفضل، قال: لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله "فمنكم كافر ومنكم مؤمن". واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) الحديث.

وقد مضى في "الروم" مستوفى. قال الضحاك: فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق، ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه.

وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب؛ يعني في شأن الأنواء.

وقال الزجاج - وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة - : إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب؛ مع أن الله خالق الكفر. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب؛ مع أن الله خالق الإيمان. والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه؛ لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه. ولا

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) (1) [سورة الذاريات].

يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه؛ لأن وجود خلاف المقدور عجز، ووجود خلاف المعلوم جعل، ولا يليقان بالله تعالى. وفي هذا سلامة من الجبر والقدر؛ كما قال الشاعر:

يا ناظرا في الدين ما الأمر لا قدر صح ولا جبر
وقال سيلان: قدم أعرابي البصرة فقيل له: ما تقول في القدر؟ فقال: أمر تغالت فيه الظنون، واختلف فيه المختلفون.

فالأوجب أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه). انتهى.
(1) قال القرطبي في تفسيره: (قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبد، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص).

والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون.
قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة، وقد قال الله تعالى: "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس" [الأعراف: 179] ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: "قالت الأعراب آمنا" [الحجرات: 14] وإنما قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقتبي.
وفي قراءة عبد الله: "وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون".
وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأمرهم بالعبادة.
واعتمد الزجاج على هذا القول، ويدل عليه قوله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً" [التوبة: 31].

فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيتته؟
قيل: قد تذللوا لقضائه عليهم؛ لأن قضاءه جار عليهم لا يقدر على الامتناع منه، وإنما خالفهم من كفر في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.
وقيل: "إلا ليعبدون" أي إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً؛ رواه علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة.

مجاهد: إلا ليعرفوني. الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" [الزخرف: 87] "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العظيم" [الزخرف: 9] وما أشبه هذا من الآيات.
وعن مجاهد أيضاً: إلا لأمرهم وأنهاهم. زيد بن أسلم: هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة؛ فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء منهم للمعصية.
وعن الكلبي أيضاً: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء؛ يدل عليه قوله تعالى: "وإذا غشيهم موج كالأظلم دعوا الله مخلصين له الدين" [لقمان: 32] الآية.

وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد.
وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبد بين العبودية والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد التذليل؛ يقال: طريق معبد. قال:
وظيفا وظيفا فوق مور معبد

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) سورة الأنبياء.

وأخرج البخاري - كتاب القدر باب في القدر - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عِلْقَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ؛ وَأَجَلِهِ؛ وَشَقِيٍّ؛ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَدْخُلُهَا.) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده. (1).

والتعبيد: الاستبعاد وهو أن يتخذه عبداً، وكذلك الاعتبار. والعبادة الطاعة، والتعبد التنسك. فمعنى "ليعبدون" ليزلوا ويخضعوا ويعبدوا. انتهى.

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قال ابن العربي: الحكمة في كون الملك يكتب ذلك كونه قابلاً للنسخ والمحو والإثبات، بخلاف ما كتبه الله تعالى فإنه لا يتغير ... وفيه أن الأعمال حسنة وسيئها أمارات وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء قاله الخطابي.

وفيه القسم على الخبر الصدق تأكيداً في نفس السامع.

وفيه إشارة إلى علم المبدأ والمعاد وما يتعلق ببدن الإنسان وحاله في الشقاء والسعادة.

وفيه عدة أحكام تتعلق بالأصول والفروع والحكمة وغير ذلك.

وفيه أن السعيد قد يشقى وأن الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة وأما ما في علم الله تعالى فلا يتغير.

وفيه أن الاعتبار بالخاتمة. قال ابن أبي جمر: نفع الله به: هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بماذا يختتم لهم.

وفيه أن عموم مثل قوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم) الآية مخصوص بمن مات على ذلك وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي وبالعكس وما ورد مما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا.

وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله، والحق أن النزاع لفظي، وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغير والتبدل ما يبدو للناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالأدعي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند الله.

وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ثم نقله إلى العلة ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يصير ترابا ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها، ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار وفقا بالأم لأنها لم تكن معتادة فكانت المشقة تعظم عليها فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل، ومن تأمل أصل خلقه من نطفة وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنسانا جميل الصورة مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه.

وفيه أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق، فالسابق ما في علم الله تعالى واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث، وهذا هو الذي يقبل النسخ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى.

واستدل به على أن السقط بعد الأربعة أشهر يصلي عليه لأنه وقت نفخ الروح فيه، وهو منقول عن القديم للشافعي والمشهور عن أحمد وإسحاق، وعن أحمد إذا بلغ أربعة أشهر وعشرا ففي تلك العشر ينفخ فيه الروح ويصلي عليه، والراجح عند الشافعية أنه لا بد من وجود الروح وهو الجديد، وقد قالوا فإذا بكى أو اختلج أو تنفس ثم بطل ذلك صلى عليه وإلا فلا، والأصل في ذلك من أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن جابر رفعه " إذا استهل الصبي ورث وصلى عليه ".

وقد ضعفه النووي في شرح المذهب والصواب أنه صحيح الإسناد لكن المرجح عند الحفاظ وقفه، وعلى طريق الفقهاء لا أثر للتعليل بذلك لأن الحكم للرفع لزيادته، قالوا وإذا بلغ مائة وعشرين يوما غسل كفن ودفن بغير صلاة وما قبل ذلك لا يشرع له غسل ولا غيره.

واستدل به على أن التخليق لا يكون إلا في الأربعين الثالثة فأقل ما يتبين فيه خلق الولد أحد وثمانون يوما وهي ابتداء الأربعين الثالثة وقد لا يتبين إلا في آخرها، ويترتب على ذلك أنه لا تنقضي العدة، بالوضع إلا ببلوغها وفيه خلاف، ولا يثبت للأمة أمية الولد إلا بعد دخول الأربعين الثالثة وهذا قول الشافعية والحنابلة وتوسع المالكية في ذلك فأداروا الحكم في ذلك على كل سقط ومنهم من قيده بالتخطيط ولو كان خفيا وفي ذلك رواية عن أحمد وحجتهم ما تقدم في بعض طرقه أن النطفة إذا لم يقدر تخليقها لا تصير علة وإذا قدر أنها تتخلق تصير علة ثم مضغة إلخ فمتى وضعت علة عرف أن النطفة خرجت عن كونها نطفة واستحالت إلى أول أحوال الولد.

وفيه أن كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر وعليه ينطبق قوله صلى الله عليه وسلم " الله أعلم بما كانوا عاملين " وسيأتي الإلمام بشيء من ذلك بعد أبواب.

وفيه الحث القوي على القناعة، والزجر الشديد عن الحرص، لأن الرزق إذا كان قد سبق تقديره لم يغن التعني في طلبه وإنما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا.

وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث " لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله " لما تقدم من الجمع بينهما في شرحه في " باب القصد والمداومة على العمل " من كتاب الرقاق.

وفيه أن من كتب شقيا لا يعلم حاله في الدنيا وكذا عكسه، واحتج من أثبت ذلك بما سيأتي قريبا من حديث على " أما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة " الحديث، والتحقيق أن يقال إن أريد أنه لا يعلم أصلا ورأسا فمردود وإن أريد أنه يعلم بطريق العلامة المثبتة للظن الغالب فنعم، ويقوى ذلك في حق من اشتهر له لسان صدق بالخير والصلاح ومات على ذلك لقوله في الحديث الصحيح الماضي في الجنائز " أنتم شهداء الله في الأرض " وإن أريد أنه يعلم قطعا لمن شاء الله أن

يطلعه على ذلك فهو من جملة الغيب الذي استأثر الله بعلمه وأطلع من شاء ممن ارتضى من رسله عليه.

وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف، وأما ما قال عبد الحق في " كتاب العقابة " أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجترئ على العظام فيهمج عليه الموت بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة، فهو محمول على الأكثر الأغلب.

وفيه أن قدرة الله تعالى لا يوجبها شيء من الأسباب إلا بمشيئته، فإنه لم يجعل الجماع علة للولد لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك.

وفيه أن الشيء الكثيف يحتاج إلى طول الزمان بخلاف اللطيف، ولذلك طالعت المدة في أطوار الجنين حتى حصل تخليقه بخلاف نفخ الروح، ولذلك لما خلق الله الأرض أولا عمد إلى السماء فسواها وترك الأرض لكثافتها بغير فتق ثم فتقتا معا، ولما خلق آدم فسوره من الماء والطين تركه مدة ثم نفخ فيه الروح.

واستدل الداودي بقوله " فتدخل النار " على أن الخبر خاص بالكفار، واحتج بأن الإيمان لا يحبطه إلا الكفر، وتعقب بأنه ليس في الحديث تعرض للإحباط وحمله على المعنى الأعم أولى فيتناول المؤمن حتى يختم له بعمل الكافر مثلا فيرتد فيموت على ذلك فتستعيز بالله من ذلك، ويتناول المطيع حتى يختم له بعمل العاصي فيموت على ذلك، ولا يلزم من إطلاق دخول النار أنه يخلد فيها أبدا بل مجرد الدخول صادق على الطائفتين، واستدل له على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح خلافا لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله فيموت على ذلك فيدخل النار، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ولا سيما إن طال عمره وقرب موته من كفره.

واستدل به بعض المعتزلة على أن من عمل عمل أهل النار وجب أن يدخلها لترتب دخولها في الخبر على العمل، وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته.

وأجيب بأنه علامة لا علة والعلامة قد تتخلف، سلمنا أنه علة لكنه في حق الكفار وأما العصاة فخرجوا بدليل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة. واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف ما لا يطاق لأنه دل على أن الله كلف العباد كلهم بالإيمان مع أنه قدر على بعضهم أنه يموت على الكفر.

وقد قيل إن هذه المسألة لم يثبت وقوعها إلا في الإيمان خاصة وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه وأما مطلق، الجواز فحاصل.

وفيه أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة، وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات بمعنى أنه خالقها ومقدرها لا أنه يحبها ويرضاها.

وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده، وخالف في ذلك القدرية والجبرية فذهبت القدرية إلى أن فعل العبد من قبل نفسه، ومنهم من فرق بين الخير والشر فنسب إلى الله الخير ونفي عنه خلق الشر، وقيل إنه لا يعرف قائله وإن كان قد اشتهر ذلك وإنما هذا رأي المجوس، وذهبت الجبرية إلى أن الكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا، وتوسط أهل السنة فمنهم من قال أصل الفعل خلقه الله وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور.

وأثبت بعضهم أن لها تأثيرا لكنه يسمى كسبا وبسط أدلتهم يطول.

والغريب أن هذه الآيات والأحاديث التي سمعها الصحابة رضوان الله عليهم، زادتهم عملاً وجهاداً ودعوة وتضحية وفتوحات للقلوب والعقول والبلاد والعباد، أي لم يفهموا منها الكسل والخنوع والتواكل كما فهم البعض لتبرير الكسل وحب الدنيا.

ووجدنا فيهم مثل المقداد بن عمرو يقوم - قبيل غزوة بدر - فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ⁽¹⁾. ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبُلُغه؛ فقال له رسول الله (خيراً، ودعأ له به). ⁽²⁾.

12 - وعلى العبد أن يعلم أن الله: - قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ؛

وقد أخرج أحمد وأبو يعلى من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض فقلت أوصني؟ فقال: إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وهو أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك الحديث. وفيه " وإن مت ولست على ذلك دخلت النار " وأخرجه الطبراني من وجه آخر بسند حسن عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء مرفوعاً مقتصراً على قوله: "إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه" ... وفي الحديث أن الأقدار غالبية والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة، وسيأتي في حديث على الآتي بعد بابين سؤال الصحابة عن فائدة العمل مع تقدم التقدير والجواب عنه " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " وظاهره قد يعارض حديث ابن مسعود المذكور في هذا الباب، والجمع بينهما حمل حديث علي على الأكثر الأغلب وحمل حديث الباب على الأقل، ولكنه لما كان جائزاً تعين طلب الثبات. وحكى ابن التين أن عمر بن عبد العزيز لما سمع هذا الحديث أنكره. وقال: كيف يصح أن يعمل العبد عمره الطاعة ثم لا يدخل الجنة انتهى. وتوقف شيخنا ابن الملقن في صحة ذلك عن عمر، وظهر لي أنه إن ثبت عنه حمل على أن راويه حذف منه قوله في آخره " فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " . أو أكمل الراوي لكن استبعد عمر وقوعه وإن كان جائزاً ويكون إيراد على سبيل التخويف من سوء الخاتمة . انتهى باختصار.

⁽¹⁾ الآية من سورة المائدة: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (24).

⁽²⁾ انظر سيرة ابن هشام 253/2 .

- فَقَدَّرَ ذَلِكَ (بِمَشِيئَتِهِ) تَقْدِيرًا:

- مُحْكَمًا؛

- مُبْرَمًا؛

- لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ؛

- وَلَا مُعَقَّبٌ؛

- وَلَا مُزِيلٌ؛

- وَلَا مُغَيِّرٌ؛

- وَلَا مُحَوِّلٌ؛

- وَلَا نَاقِصٌ؛

- وَلَا زَائِدٌ، مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ؛

- دليل سبق علم وتقدير الله تعالى:

(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19) سورة يونس.

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) سورة هود.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) سورة طه.

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) سورة الصافات.

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (45) سورة فصلت.

(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) سورة الشورى.

- دليل لا ينقص مما قدره الله تعالى شيئاً:

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) سورة فاطر.

- دليل ثبات سنن الله تعالى في خلقه:

(سُنَّةٌ مِمَّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) سورة

الإسراء.

(سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62) سورة الأحزاب.

(اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) سورة فاطر.

(فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85) سورة غافر.

(سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23) سورة الفتح.

- دليل لا مزيل لحكمه:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41) سورة فاطر.

- دليل لا معقب لحكم وتقدير الله تعالى:

(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41) سورة الرعد.

(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) سورة الرعد.

(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11) سورة الرعد.

مبحث دليل الإيمان بمشيئة الله تعالى:

1 - هداية الإنسان بمشيئة الله تعالى:

وهذه المشيئة الإلهية في هداية الإنسان جعلها الله بمشيئته لحكم كثيرة منها:

1 - حتى يبقى المؤمن معترفاً بفضل الله عليه، ولا يستكبر في إيمانه على

أحد كما حصل لإبليس:

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ

(75) سورة ص.

وكما حصل لعابد بني إسرائيل:

(وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الغالوتين (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سورة الأعراف.

2 - وحتى يبقى المؤمن يسأل الله تعالى دائماً الثبات على الإيمان، كما علمنا

الرسول ﷺ بكثرة دعائه:

أخرج مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) ورواه: حم.

وفي رواية الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا بِكَ وَبِمَا حَبَّبَتْ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: (نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) ⁽¹⁾ ورواه: ابن ماجه.

و علمنا الله تعالى أن ندعوه بدعاء الراسخين: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (8) سورة آل عمران.

3 - وقد تحصل فتن المخرج منها دعاء الله تعالى والإخلاص إليه وطلب الهداية منه سبحانه:

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213) سورة البقرة.

وبين الله تعالى أن الهداية من عنده:

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) سورة البقرة.

(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) سورة الأنعام.

(وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39) سورة الأنعام.

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

⁽¹⁾ قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَائِشَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ أَنَسٍ وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ أَنَسٍ أَصَحُّ.

يَعْمَلُونَ (88) سورة الأنعام.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

(107) سورة الأنعام.

(وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا

كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ (111) سورة الأنعام.

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) سورة

يونس.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) سورة يونس.

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ

يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) سورة يونس.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) سورة

هود.

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّهُ بِهِيَ الْمَوْتَى بَلْ اللَّهُ

الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ

الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31) سورة الرعد.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) سورة إبراهيم.

(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) سورة

النحل.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

وَلِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) سورة النحل.

(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) سورة النور.

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46) سورة

النور.

(وَلَوْ سِئْنَا لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) سورة القصص.
(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)
سورة القصص.

(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) سورة فاطر.
(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) سورة الزمر.
(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ
مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8) سورة الشورى.

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا
تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) سورة الشورى.

2 - إرسال الرسل بمشيئة الله تعالى:

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) سورة آل عمران.
(قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
(11) سورة إبراهيم.

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) سورة النحل.

(وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51) سورة الفرقان.
(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) سورة غافر.

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ (51) سورة الشورى.

3 - الله تعالى له أن يمحو ويثبت من الأقدار ما يشاء:

(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) سورة الرعد.

4 - إضلال الشيطان للعباد بمشيئة الله تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) سورة الأنعام.

(وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيلِيسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) سورة الأنعام.

5 - الضر والنفع بمشيئة الله تعالى:
(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) سورة الأعراف.

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49) يونس.

6 - الرزق بمشيئة الله تعالى:
(فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) سورة آل عمران.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) سورة التوبة.

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) سورة الرعد.

7 - حصول الأولاد بمشيئة الله تعالى:
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) سورة الشورى.

8 - جواب الله تعالى للمجادلين بالمشيئة الإلهية:
(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) سورة النساء.

(وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) سورة الأنعام.
(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا

أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ (133) سورة الأنعام.
(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) سورة الأنعام.

(قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْنَاكَ اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) سورة الأعراف.
(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) سورة يونس.

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (27) سورة الرعد.

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) سورة النحل.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) سورة النحل.

(وَلَئِنْ سَأَلْنَا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) سورة الإسراء.

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) سورة الكهف.

(فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) سورة المؤمنون.

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24) سورة الشورى.
(إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14) سورة فصلت

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) سورة فصلت.
(وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20) سورة الزخرف.
(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (28) سورة الإنسان.

9 - نعيم الجنة وعذاب النار بمشيئة الله تعالى:

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُكُمْ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284) سورة البقرة.
(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54) سورة الإسراء.
(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلَ لَكَ قُصُورًا (10) سورة الفرقان.
(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا (24) سورة الأحزاب.

10 - استجابة الدعاء بمشيئة الله تعالى:

(بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) سورة الأنعام.

11 - إهلاك الأفراد والأمم والدول بمشيئة الله تعالى لا بفعل الطبيعة:

(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) سورة الأعراف.
(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ (13) سورة الرعد.
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) سورة إبراهيم.

(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) سورة فاطر.

12 - كل ما يجري في الكون بمشيئة الله تعالى:

(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) سورة آل عمران.

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) سورة آل عمران.

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) سورة آل عمران.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وََمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) سورة المائدة.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18) سورة الحج.

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) سورة القصص.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) سورة الفرقان.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) سورة الروم.

13 - وَذَلِكَ (فَهَذَا - ب) مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ؛

- وَأَصُولُ الْمَعْرِفَةِ؛

- وَالْإِعْتِرَافِ؛

- بِتَوْحِيدِ (بِوَحْدَانِيَّتِهِ - ب) اللَّهِ تَعَالَى؛

- وَرُبُوبِيَّتِهِ؛

- كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2)

[سورة الفرقان]؛

- وَقَالَ تَعَالَى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) [سورة الأحزاب]؛

14 - فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ (لِلَّهِ تَعَالَى - ب)

- (قَلْبُهُ - أ) فِي الْقَدَرِ (خَصِيمًا - ب)؛

(وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ - ب) قَلْبًا سَقِيمًا،
- لَقَدْ التَّمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا،
- وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَاكًا أَثِيمًا؛

الدليل القرآني:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) (1) [سورة النحل].
فجمع في آية واحدة المشيئة له سبحانه، وأنه يُضِلُّ ويهدي من يشاء، وأنه سيَسْأَلُ الناس عن أعمالهم (2)، فمن اشتغل بكيف يشاء؟، أو كيف يُضِلُّ؟، أو كيف يُحاسب؟ فقد ضل، فعلى الإنسان أن يؤمن بما أخبر الله به، ويعمل فيما أمره، وينتهي عما نهاه، لا أن يشتغل بما اختص الله به من علم ومشیئة وقدرة وهداية وإضلال، وإنما يشتغل بما أمر به من الإيمان والتسليم بذلك، اللهم ارزقنا الأدب معك ومع رسلك وأوليائك وأصفيائك (3).

(1) قال ابن جرير في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء وتسنن عما كنتم تعملون)

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده، فصرتم جميعاً جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترون؛ ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفق هؤلاء للإيمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته والعاصي له بمعصيته). انتهى.

(2) انظر مقدمة كتاب (موقف البشر تحت سلطان القدر) لشيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله تعالى.

(3) روي أن قديراً دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له: يا ابن بنت رسول الله! الله تعالى عن الفحشاء؟ فقال له جعفر الصادق: يا أعرابي وِجْلُ ربنا أن يكون في ملكه ما لا يشاء.

فقال القديري: يا ابن بنت رسول الله (أحب ربنا أن يعصى؟!

قال: يا أعرابي! أفيعصى ربنا قهراً؟

قال: يا ابن بنت رسول الله أريت إن صدني الهدى فسلك بي طريق الردى، أحسن بي أم أساء؟!

فقال عليه السلام: إن منعك شيئاً هو لك فقد ظلم وأساء، وإن منعك شيئاً هو له فإنه يختص برحمته من يشاء، فأفحم القديري وبُهِت ولم يجد جواباً) انتهى انظر حز الغلاصم في إفحام المخاصم، تأليف شيث بن إبراهيم بن حيدر المعروف بابن الحاج القفطي المالكي ت 598، تحقيق عبد الله البارودي ص 18، نشر مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت.

المبحث الثاني
الإيمان بتقدير الله ومشيئته

- 1 - وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي:
بِتَقْدِيرِهِ (بِقُدْرَتِهِ - ب)؛
- وَمَشِيئَتِهِ؛
- وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛
- لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ؛ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛
- فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ؛
- وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛
2 - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ؛
- وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي (مَنْ يَشَاءُ - غ) فَضْلاً،
- وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛
- وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي: عَدْلًا؛ 137/1
3 - (وَكُلَّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ؛ بَيْنَ:
- فَضْلِهِ؛
- وَعَدْلِهِ - أ - ب)؛
4 - لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ؛
5 - وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ؛
6 - وَلَا غَالِبَ لَأَمْرِهِ؛
7 - أَمَّا بِذَلِكَ كُلُّهُ؛
- وَأَيُّقِنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ؛

المبحث الثاني الإيمان بتقدير الله ومشئته

1 - وكلُّ شيءٍ يجري:

بتقديره (بقدرته - ب)؛

- ومشئته؛

- ومشئته تنفذ؛

- لا مشيئة للعباد؛ إلا ما شاء لهم؛

- فما شاء لهم كان؛

- وما لم يشأ لم يكن؛

الدليل القرآني:

(إنا كلُّ شيءٍ خلقناه بقدر (49) سورة القمر.

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) سورة آل عمران.
(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) سورة الأنعام.

(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56) سورة المدثر.

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) سورة الإنسان.

(لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) سورة التکویر. (1).

^١ أورد فيما يلي مبحث المشيئة في القرآن بطريقة ثانية، وذلك حسب الأدوات التي جاءت معها:
1 - مشيئة الله تعالى:

- ولو شاء:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) سورة البقرة.
(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ

مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220) سورة البقرة.
(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَتِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْتُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (253) سورة البقرة.

(إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سورة النساء.

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) سورة المائدة.

(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) سورة الأنعام.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107) سورة الأنعام.
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) سورة الأنعام.

(وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) سورة الأنعام.

(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) سورة التوبة.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) سورة يونس.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) سورة هود.

(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) سورة النحل.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) سورة النحل.

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَايَاتِنَا الْأُولَى (24) سورة المؤمنین.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) سورة الفرقان.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8) سورة الشورى.

- وَلَوْ نَشَاءُ:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) سورة يس.

(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67) سورة يس.

(وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (60) سورة الزخرف.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَלَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ(30) سورة محمد.
(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(65) سورة الواقعة.
(لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَسْكُرُونَ(70) سورة الواقعة.

- وَلَوْ يَشَاءُ:

(فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ(4) سورة محمد.

- أَنْ لَوْ نَشَاءُ:

(أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(100) سورة الأعراف.

- لَوْ شِئْتُ:

(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(155) سورة الأعراف.

- وَلَوْ شِئْنَا:

(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(176) سورة الأعراف.

(وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا(51) سورة الفرقان.

(وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13) سورة السجدة.

- مَنْ يَشَاءُ:

(بِنَسَمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ(90) سورة البقرة.

(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(105) سورة البقرة.

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِتْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(142) سورة البقرة.

(رُئِيَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(212) سورة البقرة.

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(213) سورة البقرة.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(247) سورة البقرة.

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(269) سورة

البقرة.

(لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (272) سورة البقرة.

(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَنَّتَيْنِ التَّتَا فَنَّهُ تَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ) (13) سورة آل عمران.

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (37) سورة آل عمران.

(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلُ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (73) سورة آل عمران.

(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (74) سورة آل عمران.

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (179) سورة آل عمران.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) (49) سورة النساء.

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (40) سورة المائدة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (54) سورة المائدة.

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (88) سورة الأنعام.

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (128) سورة الأعراف.

(وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (15) سورة الأنفال.

(ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (27) سورة الأنفال.

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (25) سورة يونس.

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (107) سورة يونس.

(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) (13) سورة الرعد.

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ) (27) سورة الرعد.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (4) سورة إبراهيم.

(قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (11) سورة إبراهيم.

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) (2) سورة النحل.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (21) سورة النور.

(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (35) سورة النور.
(لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (38) سورة النور.
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (43) سورة النور.

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (46) سورة النور.
(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (56) سورة القصص.
(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) (21) سورة العنكبوت.
(بَنَصْرٍ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (5) سورة الروم.
(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (8) سورة فاطر.
(وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (22) سورة فاطر.

(رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) (15) سورة غافر.

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (13) سورة الشورى.

(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (19) سورة الشورى.
(أَوْ يُرَوِّجْهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (50) سورة الشورى.
(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْبُؤَهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَبَّلُوا الْعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (25) سورة الفتح.
(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (21) سورة الحديد.

(لَنَلَّا بِعِلْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْقَرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (29) سورة الحديد.

(وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (6) سورة الحشر.

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (4) سورة الجمعة.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31) سورة المدثر.

(يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (31) سورة الإنسان.
(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ (23) سورة الزمر.

- مِمَّا يَشَاءُ:

(فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (251) سورة البقرة.

- بِمَا شَاءَ:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) سورة البقرة.

- لِمَن يَشَاءُ:

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (261) سورة البقرة.
(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (284) سورة البقرة.
(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (129) سورة آل عمران.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (48) سورة النساء.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (18) سورة المائدة.

- كَيْفَ يَشَاءُ:

(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (6) سورة آل عمران.
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (64) سورة المائدة.
(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (48) سورة الروم.

- مَن تَشَاءُ:

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (27) سورة آل عمران.

- مَا يَشَاءُ:

(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (40) سورة آل

عمران.
(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (47) سورة آل عمران.
(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (17) سورة المائدة.
(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ) (13) سورة سبأ.
(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (4) سورة الزمر.
- مَا شَاءَ:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (8) سورة الانفطار.
- إِنْ يَشَاءُ:
(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا) (133) سورة النساء.
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) (19) سورة إبراهيم.
(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) (54) سورة الإسراء.
(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) (16) سورة فاطر.
(إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (33) سورة الشورى.

- إِنْ شَاءَ:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (28) سورة التوبة.
(قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) (33) سورة هود.
(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا) (10) سورة الفرقان.
(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (24) سورة الأحزاب.

(لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (27) سورة الفتح.
- إِنْ نَشَأَ:

(إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) (4) سورة الشعراء.
(أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) (9) سورة سبأ.
(وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ) (43) سورة يس.

- إِلَّا أَنْ يَشَاءَ:
(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (80) سورة الأنعام.
(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111) سورة الأنعام.
(قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) (89) سورة الأعراف.

(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) سورة هود.

- **إِلَّا مَا شَاءَ:**

(وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَئِذٍ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) سورة الأنعام.

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) سورة الأعراف.
(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49) سورة يونس.

(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) سورة هود.
(وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ (108) سورة هود.
(سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7) سورة الأعلى.

- **إِلَّا مَنْ شَاءَ:**

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ (87) سورة النمل.

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) سورة الزمر.

- **مَنْ نَشَاءَ:**

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) سورة الأنعام.
(حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) سورة يوسف.

(ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9) سورة الكهف.
(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) سورة الشورى.

- **مَنْ نَشَاءَ:**

(تُرْجَى مَنْ نَّشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ نَّشَاءُ وَمَنْ ابْتَدَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51) سورة الأحزاب.

- **مَا يَشَاءُ:**

(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133) سورة الأنعام.

(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (39) سورة الرعد.
(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (27) سورة إبراهيم.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (18) سورة الحج [انتبه يوجد سجدة].

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (45) سورة النور.
(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (68) سورة القصص.

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (54) سورة الروم.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (1) سورة فاطر.

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (27) سورة الشورى.

(وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ) (51) سورة الشورى.

- مَا نَشَاءُ:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا) (18) سورة الإسراء.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (5) سورة الحج.

- مَنْ أَشَاءُ:

(وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (156) سورة الأعراف.

- لِمَا يَشَاءُ:

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (100) سورة يوسف.

- لِمَنْ يَشَاءُ:

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (26) سورة الرعد.

(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (30) سورة الإسراء.
(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (62) سورة العنكبوت.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (37) سورة الروم.
(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (36) سورة سبأ.
(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (39) سورة سبأ.

(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (52) سورة الزمر.
(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (12) سورة الشورى.
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ) (49) سورة الشورى.

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (14) سورة الفتح.

(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (26) سورة النجم.

- وَلِنُنْشِئَنَّهُ:

(وَلِنُنْشِئَنَّهُ لِنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا) (86) سورة الإسراء.

- فَإِنْ يَشَاءُ:

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (24) سورة الشورى.

- إِذَا يَشَاءُ:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (29) سورة الشورى.

- وَإِذَا شِئْنَا:

(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا) (28) سورة الإنسان.

- إِذَا شَاءَ:

(ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) (22) سورة عبس.

2 - رد القرآن علي المحتجين بالمشيئة الإلهية علي كفرهم وضلالهم:

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) سورة الأنعام.

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (35) سورة النحل.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (47) سورة يس.

(إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا تَعَبُّوْا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (14) سورة غافر.

(وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (20) سورة الزخرف.

3 - مشيئة العباد:

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ

خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) سورة البقرة.

(وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثَ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) سورة الأنعام.

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) سورة الأعراف.

(وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) سورة الأعراف.

(وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31) سورة الأنفال.

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) سورة هود.

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) سورة يوسف.

(جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) سورة النحل.

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يَعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) سورة الكهف.

(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) سورة الكهف.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) سورة النور.

(لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (16) سورة الفرقان.

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (57) سورة الفرقان.

(فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) سورة الزمر.

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) سورة الزمر.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) سورة الزمر.

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) سورة فصلت.

(تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) سورة الشورى.

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35) سورة ق.

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (19) سورة المزمل.

(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37) سورة الم نشر.

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (39) سورة النبأ.

- 2 - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ؛
 - وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي) مَنْ يَشَاءُ - غ - (: فَضْلاً،
 - وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛
 - وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي: عَدَلاً؛
 3 - (وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ؛ بَيْنَ:
 - فَضْلِهِ؛
 - وَعَدْلِهِ - أ - ب)

الدليل القرآني:

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) سورة القصص.
 (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83) سورة النساء.
 (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) سورة النور.
 (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ

(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) سورة عبس.

4 - قول العبد إن شاء الله:

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) سورة البقرة.
 (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ (99) سورة يوسف.
 (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذَلِكَ عَدَا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) سورة الكهف.
 (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) سورة الكهف.

(قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) سورة الكهف.
 (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) سورة القصص.
 (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانَنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) سورة القصص.
 (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) سورة الصافات.

إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175) سورة النساء.
 (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ
 (35) سورة فاطر.
 تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
 (22) سورة الشورى.
 (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)
 سورة آل عمران.
 (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)
 سورة الأنعام.
 (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
 أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ (76) سورة النحل.
 (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) سورة النحل.

- 4 - لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ؛
- 5 - وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ؛
- 6 - وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ؛
- 7 - أَمَّا بِذَلِكَ كُلُّهُ؛
- وَأَيُّقِنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ؛

- 1 - دليل لا راد لقضائه:
 (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) سورة الأنعام.
- 2 - دليل لا معقب لحكمه:
 (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ
 وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41) سورة الرعد.
- 3 - دليل لا غالب لأمره:
 (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ

وَلَدَا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) سورة يوسف.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) سورة النساء.

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) سورة الأحزاب.

(قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) سورة هود.

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) سورة هود.

(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) سورة الأحزاب.

المبحث الثالث
الإيمان بأنَّ القدرَ سرٌّ
من أسرارِ الله تعالى

- 1 - وأَصْلُ القَدْرِ سرُّ الله تعالى في خَلْقِهِ؛
- 2 - لَمْ يَطْلُعْ عَلَى ذَلِكَ:
- مَلَكٌ مُقَرَّبٌ؛
- وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛
- 3 - وَالتَّعَمُّقُ؛ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ:
- ذُرِيَةُ الخَذْلَانِ؛
- وَسَلْمُ الحَرَمَانِ؛
- وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛
- 4 - فَالْحَذَرُ كُلُّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ:
- نَظَرًا؛
- وَفِكْرًا؛
- وَوَسْوَسةً؛
- 5 - فَإِنَّ الله تعالى:
- طَوَى عِلْمَ القَدْرِ عَنْ أَنَامِهِ (الأنام - ب)؛
- وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ (المَرَام - ب)؛
- كَمَا قَالَ تعالى فِي كِتَابِهِ:
(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (23) [سورة الأنبياء]؛
- فَمَنْ سَأَلَ: لَمْ فَعَلَ؟؛ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛
- وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ؛

المبحث الثالث
الإيمان بأنَّ القدرَ سرٌّ
من أسرارِ الله تعالى

1 - وأَصْلُ القَدْرِ سرُّ الله تعالى في خَلْقِهِ؛

2 - لَمْ يَطْلُعْ على ذَلِكَ:

- مَلَكٌ مُقَرَّبٌ؛

- ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛

3 - والتَّعَمُّقُ؛ والنَّظَرُ في ذَلِكَ:

- ذُرِيَّةُ الخَذْلَانِ؛

- وَسُلْمُ الحَرَمَانِ؛

- وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛

4 - فَالْحَذَرُ كُلُّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ:

- نَظَرًا ؛

- وَفِكْرًا ؛

- وَوَسْوَسةً؛

5 - فَإِنَّ الله تعالى:

- طَوَى عِلْمَ القَدْرِ عَنْ أَنَامِهِ (الأنام - ب)؛

- وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ (المَرَام - ب)؛

- كَمَا قال تعالى في كِتَابِهِ:

(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) [سورة الأنبياء]؛

- فَمَنْ سَأَلَ: لَمْ فَعَلَ ؟؛ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛

- وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ؛

1 - القدر سر من أسرار الله تعالى: لأنه متعلق بعلم الله تعالى وإرادته

وقدرته ومشيئته، وكل ذلك لا يطلع عليه الإنسان وبالتالي وجب أن يسلم الإنسان لربه، ويهتم بتنفيذ ما أمره الله تعالى من الاعتقاد والعمل.

2 - دليل غيب القدر على المخلوقات جميعاً:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) سورة

الحجر.

(الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك
وخلق كل شيء فقدره تقديراً (2) سورة الفرقان.
(نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (60) سورة الواقعة.
(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً (2) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل
على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً (3) سورة
الطلاق.

(ألم نخلقكم من ماء مهين (20) فجعلناه في قرار مكين (21) إلى قدر معلوم
(22) فقدرنا فنعم القادرون (23) ويل يومئذ للمكذبين (24) سورة المرسلات.
(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن
تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (148) قل فله سورة الحجة البالغة فلو
شاء لهداكم أجمعين (149) سورة الأنعام. (1).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم
وتحريم ما حرموا فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره
بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك
ولهذا قالوا:

"لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء".

كما في قوله تعالى: "وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم" الآية.

وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى:

"كذلك كذب الذين من قبلهم".

أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم
الله بأسه ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام:

"قل هل عندكم من علم".

أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه.

"فتخرجوه لنا" أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه.

"إن تتبعون إلا الظن" أي الوهم والخيال والمراد بالظن ههنا الاعتقاد الفاسد.

"وإن أنتم إلا تخرصون" تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "ولو شاء الله ما أشركنا" وقال "كذلك كذب الذين من قبلهم"

ثم قال "ولو شاء الله ما أشركوا" فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى، فأخبرهم الله أنها لا
تقربهم.

فقوله "ولو شاء الله ما أشركوا" يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وقوله تعالى "قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين" يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

"قل" لهم يا محمد:

"فله الحجة البالغة" أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى وإضلال من ضل.

فسمى الله الإيمان بأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء الحجة البالغة، لأنه صاحب الملك والإيجاد.

3 - دليل أن التعمق؛ والنظر في ذلك ذريعة الخذلان؛ وسلم الحرمان؛ ودرجة الطغيان:

لأنه عند قيام الإنسان بذلك فإنه لن يقدر قدره، وسوف يعمل فيما لا طاقة به، لأنه عند ذلك يريد الإنسان أن يصبح الهاو هذا مستحيل، وبالتالي سيعود بالخذلان والخسران، وسينطق بالخرافات. لذلك حذر الإمام الطحاوي العقل بقوله:

4 - فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً؛ وفكراً؛ وسوسةً؛ وللنجاة من ذلك على المؤمن أن يحافظ على قراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذات حتى لا يقع في حبال الوسوسة الشيطانية والإنسية.

5 - فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه الأنام - ب؛ ونهاهم عن مرامه (المرام - ب)؛ كما قال تعالى في كتابه: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (23)

"فلو شاء لهداكم أجمعين" فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين كما قال تعالى:

"ولو شاء الله لجمعهم على الهدى". وقال تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض" وقوله "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين".

قال الضحاك: لا حجة لأحد عصي الله ولكن الحجة البالغة على عباده انتهت. وقال القرطبي في تفسيره: ("قل قللة الحجة البالغة" أي التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها).

فحجته البالغة على هذا تبينه أنه الواحد، وإرساله الرسل والأنبياء؛ فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات، وأيد الرسل بالمعجزات، ولزم أمره كل مكلف.

فأما علمه وإرادته وكلامه فغيب لا يطلع عليه العبد، إلا من ارتضى من رسول. ويكفي في التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به لأمكنه.

وقد لبست المعتزلة بقول: "لو شاء الله ما أشركنا" فقالوا: قد ذم الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته.

وتعلقهم بذلك باطل؛ لأن الله تعالى إنما ذمهم على ترك اجتهدهم في طلب الحق، وإنما قالوا ذلك على جهة الهزاء واللعب.

نظيره "وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم" الزخرف: 20.

ولو قالوه على جهة التعظيم والإجلال والمعرفة به لما عابهم؛ لأن الله تعالى يقول:

"لو شاء الله ما أشركوا" الأنعام: 107.

و"ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله" الأنعام: 111.

"ولو شاء لهداكم أجمعين" النحل: 9. ومثله كثير. فالمؤمنون يقولونه لعلم منهم بالله تعالى. انتهى.

[سورة الأنبياء]؛ فَمَنْ سَأَلَ: لَمْ فَعَلَ؟؛ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛
كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ:

إن الإنسان الجاد الذي يعرف معنى الألوهية، لا يسأل الله تعالى لم؟ لأنه
يعرف نفسه بأنه أقل بكثير أن يسأل خالقه ومنشئه لم؟ فهذا شأن الجاهلين لمعنى
الألوهية والربوبية.

والمؤمن أكثر أدباً مع الله، فلا يسأله لم أعطيت؟ ولم خلقت؟ ولم جعلت فلاناً
فقيراً وآخر غنياً؟ وفلاناً ظالماً وآخر مظلوماً؟ وهكذا.. لأن الخالق سبحانه (فعال
لما يريد) فالخلق خلقه، والكل عبيده، والكل مفتقر إليه.

المبحث الرابع
الإيمان باللوح المحفوظ؛
وما سطره القلم إلى يوم القيامة

1 - وَتُؤْمِنُ:

- بِاللُّوْحِ؛

- وَالْقَلَمِ؛

- وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ؛

- فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ؛

- عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى (فِيهِ - ب) أَنَّهُ كَائِنٌ؛

- لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ؛

- لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛

- وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ؛

- عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ؛

- لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛

- جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛

2 - وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ؛

- وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ؛

المبحث الرابع
الإيمان باللوح المحفوظ؛
وما سطره القلم إلى يوم القيامة

1 - ونؤمن:

- باللوح؛

- والقلم؛

- وبجميع ما فيه قد رُقم؛

- فلو اجتمع الخلق كلهم؛

- على شيء كتبه الله تعالى (فيه - ب) أنه كائن؛

- ليجعلوه غير كائن؛

- لم يقدروا عليه؛

- ولو اجتمعوا كلهم؛

- على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن؛

- ليجعلوه كائناً؛ لم يقدروا عليه؛

- جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛

2 - وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه؛

- وما أصابه لم يكن ليخطئه؛

1 - دليل الإيمان باللوح والقلم وما قدره الله تعالى:

(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) (1) سورة الرعد.

(1) قال القرطبي في تفسيره: (أي يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء أن يوقعه بأهله ويأتي به. "ويثبت" ما يشاء؛ أي يؤخره إلى وقته؛ يقال: محوت الكتاب محواً، أي أذهبت أثره. "ويثبت" أي ويثبتته؛ كقوله: "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات" [الأحزاب: 35] أي والذاكرات الله. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: "ويثبت" بالتخفيف، وشدد الباقون؛ وفي قراءة ابن عباس، واختيار أبي حاتم وأبي عبيد لكثرة من قرأ بها؛ لقوله: "يثبت الله الذين آمنوا" [إبراهيم: 27]. وقال ابن عمر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا السعادة والشقاوة والموت). وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا أشياء؛ الخلق والخلق والأجل والرزق والسعادة والشقاوة. وعنه: هما كتابان سوى أم الكتاب، يمحو الله منهما ما يشاء ويثبت. "وعنده أم الكتاب" الذي لا يتغير منه شيء.

قال القشيري: وقيل السعادة والشقاوة والخلق والخلق والرزق لا تتغير؛ فالآية فيما عدا هذه الأشياء؛ وفي هذا القول نوع تحكم.

قلت: مثل هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد، وإنما يؤخذ: توقيفا، فإن صح فالقول به يجب ويوقف عنده، وإلا فتكون الآية عامة في جميع الأشياء، وهو الأظهر والله أعلم.

وهذا يروى معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وأبي وائل وكعب الأحبار وغيرهم، وهو قول الكلبي.

وعن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.

وقال ابن مسعود: اللهم إن كنت كتبتني في السعداء فأثبتني فيهم، وإن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني في السعداء؛ فإنك: تمحو ما تشاء وتثبت؛ وعندك أم الكتاب.

وكان أبو وائل يكثر أن يدعو: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامح واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

وقال كعب لعمر بن الخطاب: لولا آية في كتاب الله لأنباتك بما هو كائن إلى يوم القيامة:

"يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب".

وقال مالك بن دينار في المرأة التي دعا لها:

اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاماً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه).

ومثله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب) فذكره بلفظه سواء؛ وفيه تأويلان:

- أحدهما: معنوي، وهو ما يبقى بعده من الثناء الجميل والذكر الحسن، والأجر المتكرر،

فكانه لم يمت.

- والآخر: يؤخر أجله المكتوب في اللوح المحفوظ؛ والذي في علم الله ثابت لا تبدل له، كما

قال: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب".

وقيل لابن عباس لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أحب أن

يمد الله في عمره وأجله ويبسط له في رزقه فليتيق الله وليصل رحمه) كيف يزداد في العمر والأجل؟!

فقال: قال الله عز وجل: "هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده" [الأنعام: 2].

فالأجل الأول: أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته.

والأجل الثاني: يعني المسمى عنده - من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله؛ فإذا اتقى

العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ؛ ما شاء، وإذا عصى وقطع

رحمه نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده في أجل البرزخ فإذا تحتمل الأجل في علمه

السابق امتنع الزيادة والنقصان؛ لقوله تعالى:

"فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" [الأعراف: 34].

فتوافق الخبر والآية؛ وهذه زيادة في نفس العمر وذات الأجل على ظاهر اللفظ، في اختيار حبر الأمة،

والله أعلم.

وقال مجاهد: يحكم الله أمر السنة في رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة؛ وقد مضى القول فيه.

وقال الضحاك: يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب.

وروى معناه أبو صالح عن ابن عباس. د

وقال الكلبي: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم سئل الكلبي عن هذه الآية؟

فقال: يكتب القول كله، حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلت وشربت ودخلت وخرجت ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب.

وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير: يمحو الله ما يشاء من الفرائض والنوافل فينسخه ويبدله، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، وجملة الناسخ والمنسوخ عنده في أم الكتاب؛ ونحو ذكره النحاس والمهدوي عن ابن عباس - وأسنده - "يمحو الله ما يشاء" يقول:

يبدل الله من القرآن ما يشاء فينسخه، "ويثبت" ما يشاء فلا يبدله، "وعنده أم الكتاب" يقول: جملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ.

وقال سعيد بن جبير أيضاً: يغفر ما يشاء - يعني - من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفره.

وقال عكرمة: يمحو ما يشاء - يعني بالتوبة - جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالى: "إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً" [الفرقان: 70] الآية.

وقال الحسن: "يمحو الله ما يشاء" من جاء أجله، "ويثبت" من لم يأت أجله.

وقال الحسن: يمحو الآباء، ويثبت الأبناء. وعنه أيضاً: ينسى الحفظة من الذنوب ولا ينسى.

وقال السدي: "يمحو الله ما يشاء" يعني: القمر، "ويثبت" يعني: الشمس؛ بيانه قوله: "فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة" [الإسراء: 12].

وقال الربيع بن أنس: هذا في الأرواح حالة النوم؛ يقبضها عند النوم، ثم إذا أراد موته فجأة أمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته وردّه إلى صاحبه؛ بيانه قوله: "الله يتوفى الأنفس حين موتها" الآية [الزمر: 42].

وقال علي بن أبي طالب: يمحو الله ما يشاء من القرون، كقوله: "ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون" [يس: 31] ويثبت ما يشاء منها، كقوله: "ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين" [المؤمنون: 31] فيمحو قرناً، ويثبت قرناً.

وقيل: هو الرجل يعمل الزمن الطويل بطاعة الله، ثم يعمل بمعصية الله فيموت على ضلاله؛ فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بمعصية الله الزمان الطويل ثم يتوب، فيمحوه الله من ديوان السيئات، ويثبت في ديوان الحسنات؛ ذكره الثعلبي والماوردي عن ابن عباس.

وقيل: يمحو الله ما يشاء - يعني الدنيا - ويثبت الآخرة.

وقال قيس بن عباد في اليوم العاشر من رجب: هو اليوم الذي يمحو الله فيه ما يشاء، ويثبت فيه ما يشاء، وقد تقدم عن مجاهد أن ذلك يكون في رمضان.

وقال ابن عباس: إن لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام، من درة بيضاء، لها دفتان من ياقوتة حمراء، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة، يثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء.

وروي أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله سبحانه يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبين من الليل فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء).

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (12) (1) سورة يس.
(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (53) سورة القمر.
(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22) (2) سورة البروج.

والعقيدة أنه لا تبديل لقضاء الله؛ وهذا المحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدم أن من القضاء ما يكون واقعا محتوما، وهو الثابت؛ ومنه ما يكون مصروفا بأسباب، وهو المحو، والله أعلم.
وقال الغزنوي: وعندي أن ما في اللوح خرج عن الغيب لإحاطة بعض الملائكة؛ فيحتمل التبديل؛ لأن إحاطة الخلق بجميع علم الله محال؛ وما في علمه من تقدير الأشياء لا يبدل.
"وعنده أم الكتاب" أي أصل ما كتب من الآجال وغيرها.
وقيل: أم الكتاب اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير.
وقد قيل: إنه يجري فيه التبديل.
وقيل: إنما يجري في الجرائد الآخر.
وسئل ابن عباس عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق، وما خلقه عاملون؛ فقال لعلمه: كن كتابا، ولا تبديل في علم الله، وعنه أنه الذكر؛ دليله قوله تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" [الأنبياء: 105] وهذا يرجع معناه إلى الأول؛ وهو معنى قول كعب.
قال كعب الأحبار: أم الكتاب علم الله تعالى بما خلق وبما هو خالق. انتهى.
(أ) قال القرطبي في تفسيره: (والإمام: الكتاب المقتدى به الذي هو حجة. وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: أراد اللوح المحفوظ. وقالت فرقة: أراد صحائف الأعمال.) انتهى.
وقال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى: "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والإمام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكذا في قوله تعالى "يوم ندعو كل أناس بإمامهم" أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل "ووضع الكتاب وجيء بالنبیین والشهداء".
وقال تعالى: "ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا". انتهى.
(م) قال القرطبي في تفسيره: (أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.
قال ابن جرير - وأسنده - عن أنس بن مالك في قوله تعالى "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" في جبهة إسرافيل.
وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال: ما من شيء قضى الله: القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه.
وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه.
وقد روى البغوي - وأسنده - عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة

(ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) سورة القلم. (1).
(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) (2) سورة النبأ.
أخرج أبو داود - باب القدر - عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ
لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي؟.

بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافته من الدر والياقوت
ودفناه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك.
وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقال الطبراني - وأسنده - عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى خلق
لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون
وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء." (انتهى).

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (قال الإمام أبو جعفر بن جرير - وأسنده - عن ابن عباس قال: أول ما
خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا اكتب؟ قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام
الساعة)..

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً - وأسنده - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم "إن أول ما خلق الله القلم والحوث قال للقلم اكتب قال ما أكتب؟ قال كل شيء كائن إلى يوم
القيامة" ثم قرأ "ن والقلم وما يسطرون.

وقوله تعالى "والقلم" الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم
علم الإنسان ما لم يعلم" فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي
بها تنال العلوم ولهذا قال "وما يسطرون" قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون.

وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أي وما يعملون وقال السدي وما يسطرون يعني
الملائكة وما تكتب من أعمال العباد.

وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق
السموات والأرضين بخمسين ألف عام وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم.

فقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن الوليد بن عباد بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت
فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يا
رب وما أكتب؟ قال اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد" وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد؛ وأخرجه
الترمذي وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود.

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى "وما يسطرون" أي
يكتبون كما تقدم.

(٢) قال القرطبي في تفسيره: ("كل" نصب بإضمار فعل يدل عليه "أحصيناه" أي وأحصينا كل شيء
أحصيناه. وقرأ أبو السمال "وكل شيء" بالرفع على الابتداء.

"كتاباً" نصب على المصدر؛ لأن معنى أحصينا: كتبنا، أي كتبناه كتاباً. ثم قيل: أراد به العلم، فإن ما
كتب كان أبعد من النسيان. وقيل: أي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة.

وقيل: أراد ما كتب على العباد من أعمالهم. فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله
تعالى إياهم بالكتابة؛ دليله قوله تعالى: "وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين" [الأنعام: 10 - 11].
انتهى.

قال: لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ.

قال: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مِثْلُ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ: مِثْلُ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ) ورواه ابن ماجه: أحمد في مسنده.

أخرج ابو داود - باب القدر - عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ لَابْنِهِ:
يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ؛ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ؛ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي) ورواه: الترمذي في سننه.

وأخرج الترمذي - باب تفسير القرآن - قال حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ؟

قَالَ: يَا بُنَيَّ أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْرَأِ الزُّحْرَفَ، قَالَ: فَقَرَأْتُ: (حَمِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ).

فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا أُمُّ الْكِتَابِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟
قَالَ: فَإِنَّهُ كِتَابُ كَتَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ، فِيهِ إِنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَفِيهِ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.
قَالَ عَطَاءٌ: فَلَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ مَا كَانَ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟

قَالَ: دَعَانِي أَبِي، فَقَالَ لِي:
يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وأخرج الترمذي - باب تفسير القرآن - قال حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّبَالِسِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَنَسًا عِنْدَنَا يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ عَطَاءٌ: لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وأخرج الترمذي - باب صفة القيامة - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا؛ فَقَالَ:

(يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَحْذِهِ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

إن هذه العقيدة تدفع بالمؤمن قدماً نحو العمل للمستقبل، ولا يتحسر على الماضي إلا بمقدار أخذ العبرة منه للمستقبل، ولا يعيش في دوامة لو فعلت كذا لكان كذا، فهو يؤمن بقدر الله تعالى، فلا يخاف إلا الله تعالى، ويؤمن بأن الله تعالى هو الشافي ولو من مرض عضال، قد يئس الطب من علاجه، كل ذلك يدفع المؤمن على مواجهة الأحداث بقلب الواثق بإيمانه بالله تعالى، وصدق الله إذ يقول:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (51) سورة التوبة.

وقد دفعت هذه العقيدة بالمؤمن أن يتحدى الكفر، واثقاً بقول الله تعالى: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) (52) سورة التوبة. (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) (14) سورة التوبة.

المبحث الخامس
الاشتغال بما أظهره الله لنا من الشريعة؛
والكف عما أخفاه عنا من المغيبات

- 1 - فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ:
 - مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛
 - وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ:
 - لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ:
 - عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَهُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ
 - وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ وَهُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
 - فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ؛
 - وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ؛
 - وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ: إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ؛ وَتَرْكِ طَلْبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ؛
- 2 - وَكُلُّ يَعْْمَلُ (وَكُلُّ يَعْْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ - ب)
 - لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ (مِنْهُ - غ)
 - وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ؛
- 3 - وَالْخَيْرُ؛ وَالشَّرُّ: مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ (أ - غ)؛

المبحث الخامس
الاشتغال بما أظهره الله لنا من الشريعة؛
والكف عما أخفاه عنا من المغيبات

- 1 - فَهَذَا جُمْلَةٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ:
- مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛
- وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ:
- لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ:
- عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَهُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ
- وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ وَهُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
- فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ؛
- وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ؛
- وَلَا يَتَّبِعُ الْإِيمَانُ: إِلَّا بَقْبُولَ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ؛ وَتَرْكَ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ؛

الشرح: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ: هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ: هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ، فَالاشتغال بما أمر الله به هو مهمة المؤمن، وليس من مهامه أن يعرف كيف يعلم الله؟ أو كيف يقدر؟ أو كيف يشاء؟
الدليل القرآني:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) سورة الإسراء.
(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) سورة البقرة.

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) (1)

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (هذه مفاتيح الغيب التي استأنس الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب "لا يجليها لوقتها إلا هو" وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك. ومن شاء الله من خلقه.

2 - وَكُلٌّ يَعْمَلُ وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ - (ب)
- لَمَّا قَدْ فَرَّغَ لَهُ (مِنْهُ - غ)
- وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ؛

الدليل القرآني:

(كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)

سورة الإسراء.

(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84) سورة

الإسراء. (1).

3 - وَالْخَيْرُ؛ وَالشَّرُّ: مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ (أ - غ)؛

الدليل القرآني:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)

سورة الأنبياء

(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) سورة الأعراف.

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ

وكذلك "لا تدري نفس ماذا تكسب غدا" في دنياها وأخرها" "وما تدري نفس بأي أرض تموت" في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك.

وهذه شبيهة بقوله تعالى "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو" الآية.

وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب. ثم ساق الأحاديث) انتهى باختصار.

(١) قال القرطبي في تفسيره: (قال ابن عباس: ناحيته. وقاله الضحاك، مجاهد: طبيعته. وعنه: حدثه. ابن زيد: على دينه. الحسن وقتادة: نيته. مقاتل: جبلته. الفراء: على طريقته ومذهبه الذي جبل عليه. وقيل: قل كل يعمل على ما هو أشكل عنده وأولى بالصواب في اعتقاده. وقيل: هو مأخوذ من الشكل؛ يقال: لست على شكلي ولا شاكلتي. قال الشاعر:

كل امرئ يشبه فعله ما يفعل المرء فهو أهله

فالشكل هو: المثل والنظير والضرب. كقوله تعالى: "وأخر من شكله أزواج" [ص: 58]. الشكل (بكسر الشين): الهيئة. يقال: جارية حسنة الشكل. وهذه الأقوال كلها متقاربة.

والمعنى: أن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن. والآية والتي قبلها نزلتا في الوليد بن المغيرة؛ ذكره المهدوي. انتهى.

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2) سورة الفرقان.

المبحث السادس
الإيمان بتوفيق الله تعالى للعمل
(استطاعة مقارنة للعمل لا يترتب عليها التكليف)

- 1 - والاستطاعة التي يجب فيها الفعل:
- من نحو التوفيق؛ الذي لا يجوز أن يوصف به المخلوق مع الفعل؛
- 2 - (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون - أ - غ)؛
- (ولا يطيقون إلا ما كلفهم؛
وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله
- نقول:
- لا حيلة لأحد؛
- ولا تحول لأحد؛
- ولا حركة لأحد؛
- عن معصية الله إلا بمعونة الله؛
- ولا قوة لأحد على:
- إقامة طاعة الله؛
- والنبات عليها؛
- إلا بتوفيق الله تعالى - أ - غ)؛

المبحث السادس
الايمان بتوفيق الله تعالى للعمل
(استطاعة مقارنة للعمل لا يترتب عليها التكليف)

- 1 - والاستطاعة التي يجب فيها الفعل:
- من نحو التوفيق؛ الذي لا يجوز أن يوصف به المخلوق مع الفعل؛
- 2 - (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون - أ - غ)؛
- (ولا يطيقون إلا ما كلفهم؛
وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله
- نقول: - لا حيلة لأحد؛
- ولا تحول لأحد؛
- ولا حركة لأحد؛ عن معصية الله إلا بمعونة الله؛
- ولا قوة لأحد على: - إقامة طاعة الله؛
- والثبات عليها؛
- إلا بتوفيق الله تعالى - أ - غ)؛

الدليل القرآني:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ^(١) (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) سورة الفاتحة.
(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) سورة الأعراف.

(١) قال أبو طالب الثعلبي في تفسيره: "وقد جمع في هذه الآية إبطال الجبر والقدر معاً، لأنه وصف عباده بأنهم يعبدون، فأثبت لهم كسباً، وعلمهم الاستعانة، ولو كان العبد مستطيعاً قبل الإعانة لما احتاج إلى الاستعانة، فنفى عنهم القدرة، فهو كقوله: (وما رميت إذ رميت رميت (17) [سورة الأنفال] نفى الخلق وأثبت الكسب.

قال: وسائر آيات السور على مناقضة قواعد المعتزلة، لأنه بدأ بالتسمية، وإن جعل الاسم زائداً فمعناه: بالله كانت الكائنات أولاً، لأن العبد إذا كان خالقاً لكسبه، مستطيعاً له، لم يكن للاستعانة بالاسم معنى، ثم عليهم حمده، وقد قبح سيرة من أحب أن يُحمد بما لم يفعل، فدل على أنه الفعال لكل شيء، ثم أمرهم بالاستعانة وسؤال الهداية، وعلى زعمهم لا حاجة إليها وإلى الهدى، لأنه قد هداهم بالدعوة، وبيان الأدلة، وليس الهدى على زعمهم خلق المعرفة، ففاتحة الكتاب شاهدة عليهم.) انتهى عن الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي تحقيق سيف الدين الكاتب، طبع دار الكتب العلمية بيروت ص25.

(وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) سورة يوسف.

(قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) سورة الأنبياء.

(أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) سورة هود.

(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) سورة الكهف.

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) سورة يوسف.

(قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) سورة هود.

والتعوذ بالله تعالى هو طلب الالتجاء والحماية والعون منه سبحانه، وهذا الطلب دليل العجز البشري بالالتجاء إلى الله تعالى قبل الفعل:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) سورة البقرة.

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) سورة آل عمران.

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) سورة الأعراف.

(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) سورة هود.

(وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) سورة يوسف.

فلقد استجار يوسفُ بالله تعالى وطلب منه المعونة للابتعاد عن الوقوع في الفاحشة فاستجاب الله له، وأعانه عليه، فضلاً منه وتكرماً، وتعليماً لنا بالاتباع أعاننا الله على ذلك.

(قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) سورة يوسف.

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) سورة النحل.

(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) سورة مريم.

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) سورة المؤمنون.

(وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) سورة غافر.

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مِمَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) سورة غافر.

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36) سورة فصلت.

(وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20) سورة الدخان.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) سورة الفلق.
(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) سورة الناس.
وقد بين الله تعالى أن التجاء المخلوق بالمخلوق استغناء عن الله تعالى
إرهاق وخسران:
(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6)
سورة الجن.

المبحث السابع
الإيمان بأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها
(استطاعة تهيئة الأسباب ويترتب عليها التكليف)

- 1 - وأما الاستطاعة مِنْ (جَهَة - أ - ب)
- الصَّحَة؛
- والُوسْع (والتَّوسّع - ب)؛
- والتَّمَكِين؛
- وَسَلَامَة (وَصِحَة - ب) (الآلات؛
فَهِ قَبْلَ الفَعْل؛ (وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخَطَابُ - أ - غ)؛
وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (286) [سورة البقرة]؛

المبحث السابع
الإيمان بأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها
(استطاعة تهيئة الأسباب ويترتب عليها التكليف)

**1 - وأما الإِستِطَاعَةُ مِنْ (جَهَةِ - أ - ب) -
- الصَّحَّةِ؛
- والوُسْعِ (والتَّوَسُّعِ - ب)؛
- والتَّمَكُّينِ؛
- وَسَلَامَةِ (وَصِحَّةِ - ب) (الآلاتِ؛
فَهِىَ قَبْلَ الْفَعْلِ؛ (وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخَطَابُ - أ - غ)؛
وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (سورة البقرة 286)؛**

الشرح: التكليف الشرعي بالأوامر والنواهي مرتبطة بأسبابهما، فالجنون سبب لإسقاط التكليف، ووجود العقل سبب في وجود التكليف، والمرض والسفر سبب للفطر مع القضاء فيما بعد، والمال والصحة سبب في فرض الحج، وهكذا في التقوى والجهاد في سبيل الله منوطان بالاستطاعة.

قال أبو حنيفة رحمه الله - في رسالة الفقه الأيسر - : إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية؛ هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه، وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية. انتهى.

الدليل القرآني:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (سورة البقرة 286).

(فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (97) سورة آل عمران.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ

اللَّهُ يُوفِّي الْيَكْمَ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) سورة الأنفال.
(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) سورة التغابن.
وقد أمر الله سبحانه بالاستعانة على طاعته بطاعته سبحانه:
(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) سورة البقرة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) سورة البقرة.

ومن جملة الاستعانة دعاءه سبحانه لعمل الطاعات وتهئية أسبابها:
(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) سورة البقرة.

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) سورة آل عمران.
(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151) سورة الأعراف.

(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) سورة إبراهيم.
(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) سورة النمل.

(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) سورة القصص.

(قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30) سورة العنكبوت.
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) سورة الأحقاف.

المبحث الثامن
الإيمان بأن أفعال الإنسان: بخلق الله؛ وكسب الإنسان

- 1 - وأفعال العباد:
- خلق (بخلق - ب) الله؛
- وكسب من العباد؛

المبحث الثامن
الإيمان بأن أفعال الإنسان:
بخلق الله؛ وكسب الإنسان وعمله

1 - وأفعال العباد:
- خلق (بخلق - ب) الله؛
- وكسب من العباد؛

الدليل القرآني:
(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) سورة الأنعام.
(قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) سورة الصافات.

ولو كان الإنسان خالقاً لفعله لأصبح خالقاً لشيء وبالتالي لأصبح شركياً لله تعالى، - والعباد بالله - وهذا مردود من وجهين:

1 - (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) سورة المؤمنون. فلو كان الإنسان خالقاً لشيء لنازع الله تعالى في حكمه، وهذا محال في الواقع.

2 - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِّي تُؤْفَكُونَ (3) سورة فاطر. فلو كان الإنسان خالقاً لشيء لرزق العباد من السماء؟.

ولو كان خالقاً لشيء لخلق إيمانه الذي تميز به عن سائر المخلوقات عن طريق التكليف الرباني، ولما كان للتكليف معنى عند ذلك، وهذا محال.

حقيقة الكسب (عمل؛ وفعل) في القرآن:

1 - **علم الله تعالى بما سيكسب (وبما سيعمل) الإنسان من عمل:**
(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) سورة لقمان.

2 - **حساب الله تعالى على كسب (عمل) الإنسان:**

(بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) سورة البقرة.

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281) سورة البقرة.

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) سورة البقرة.

(وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39) سورة الأعراف.

(سَيُخْلَفُونَ بِاللَّهُ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) سورة التوبة.

(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) سورة يونس.

(لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51) سورة إبراهيم.

(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) سورة يس.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) سورة الطور.

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) سورة المدثر.

3 - والحساب يوم القيامة على الكسب (العمل) ليس فيه ظلم للإنسان:
(فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) سورة آل عمران.

(وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) سورة آل عمران.

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22) سورة الجاثية.

(وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) سورة النساء.

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا

يَقْتَرِفُونَ (120) سورة الأنعام.
(قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) سورة الأنعام.

(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) سورة يونس.
(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) سورة النور.

(أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهِ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (24) سورة الزمر.
(الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) سورة غافر.

(تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) سورة الشورى.

4 - وإغواء الشيطان هو على الكسب (العمل):
(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْنَقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) سورة آل عمران.

5 - وضلال المنافقين من كسبهم:
(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا (88) سورة المنافقين.

6 - وإقامة حد السرقة في الدنيا على كسب الإنسان للسرقة:
(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) سورة النساء.

7 - جزاء تولية الظالمين من كسب ظلم الرعية:
(وَكَذَٰلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129) سورة الأنعام.
(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) سورة الروم.

8 - دليل كسب الإيمان:

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) سورة الأنعام.

9 - نزول البلاء بسبب كسب المعاصي وانتشار الكفر:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) سورة الأعراف.
(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45) سورة فاطر.

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) سورة الزمر.
(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) سورة فصلت.
(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30) سورة الشورى.

(كَلاَّ بَلْ سَرَّ أَنْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) سورة المطففين.

10 - الرحمة الالهية في تأخير الحساب على كسبهم:

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) سورة الكهف.

الجزء الثاني

ويتضمن هذا الجزء الإيمان بالملائكة والرسل والمنزلة عليهم، وباليوم الآخر، وعلامات الساعة، وبكرامات الأولياء الصالحين، وإثبات الخلافة الراشدة، وبعض التشريعات المتميزة.

ولم أسهب في الشرح والحاشية إلا حيثما يوجد نزاع، ولأنها تعتمد على الإيمان بإخبار الله تعالى، والتي تم بحثها في الجزء الأول بإسهاب.

الفصل الخامس الإيمان بالملائكة

- 1 - وَتُؤْمِنُ: بِالْمَلَائِكَةِ؛ وَالنَّبِيِّينَ؛ وَالْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ؛
- 2 - وَتُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ؛
- 3 - وَتُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ؛ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ؛

إيمان الملائكة بالله تعالى:

فائدة في قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) غافر.**

قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره:

مما حكي الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى: **(وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)**، فإن قيل: فأي فائدة في قوله ويؤمنون به؟ فإن الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن إلا وقد سبق الإيمان بالله؟

قلنا: الفائدة فيه ما ذكره صاحب «الكشاف»، وقد أحسن فيه جدا فقال إن المقصود منه التنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه، ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لأن الإقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء، ألا ترى أن الإقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء، فلما ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم، علم أنهم آمنوا به بدليل أنهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك، ورحم الله صاحب «الكشاف» فلو لم يحصل في كتابه إلا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا.

ويضيف الإمام الرازي أيضا: دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَرْشِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ)** وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: **(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)** [الْحَاقَّةُ: ١٧] وَلَا شَكَّ أَنَّ حَامِلَ الْعَرْشِ يَكُونُ حَامِلًا لِكُلِّ مَنْ فِي الْعَرْشِ، فَلَوْ كَانَ إِلَهُ الْعَالَمِ فِي الْعَرْشِ لَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ حَامِلِينَ لِإِلَهِ الْعَالَمِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُونَ حَافِظِينَ لِإِلَهِ الْعَالَمِ

وَالْحَافِظُ الْقَادِرُ أَوْلَى بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْمَحْمُولُ الْمَحْفُوظُ أَوْلَى بِالْعُبُودِيَّةِ، فَحِينَئِذٍ يَنْقَلِبُ
الْإِلَهُ عَبْدًا وَالْعَبْدُ إِلَهًا، وَذَلِكَ فَاسِدٌ، فَذَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْأَجْسَامِ مُتَعَالٍ
عَنِ الْعَرْشِ وَالْأَجْسَامِ). انتهى.

واعتماد أهل السنة والجماعة أن الله جل وعلا ليس له مكان لا في الأرض ولا
في السماء، لأنه كان ولا مكان، فهو على ما كان، وكذلك يدل على أن الملائكة
عليهم السلام - ولو كانوا في السموات - فإنهم لا يشاهدون الله تعالى، فإيمانهم
إيمان غيبي.

الفصل الخامس الإيمان بالملائكة

- 1 - وَنُؤْمِنُ: بِالْمَلَائِكَةِ؛ وَالنَّبِيِّينَ؛ وَالْكِتَابَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ؛
2 - وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ؛
3 - وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ؛ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ؛

1 - دليل الإيمان بالملائكة لإخبار الله تعالى عن وجودهم:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) سورة البقرة.

(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) سورة البقرة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) سورة النساء.

(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) سورة

الحج.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) سورة فاطر. (1).

¹ من الآيات التي أخبرتنا عن الملائكة أيضاً:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177) سورة البقرة.

2 - دليل الإيمان بالنبیین لإخبار الله تعالى عنهم:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) سورة البقرة.

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210) البقرة.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (248) البقرة. (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) آل عمران.

(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَانِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (39) آل عمران. (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) آل عمران. (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) آل عمران.

- قتال الملائكة مع المؤمنين:

(وَإِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124) آل عمران. (بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) آل عمران.

(وَإِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ عِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) الأنفال. (وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) الأنفال. (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) فصلت.

- تسبيح الملائكة:

(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) الرعد. (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) الزمر. (جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) الرعد. (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مَنْ أَمَرَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِي (2) النحل.

يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) سورة النساء.

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) سورة الأنعام. (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) سورة الأنبياء. (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) سورة الشعراء. (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) سورة الكهف.

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) سورة لقمان.

وخاتمهم سيدنا محمد - صلى الله عليهم وعلى آله وسلم - :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) سورة آل عمران.

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) سورة الأحزاب.

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) سورة محمد.

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) سورة الفتح.

3 - دلائل الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين لإخبار الله تعالى عنهم:

1 - نُؤْمِنُ بِالصُّحُفِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19) سورة الأعراف.

2 - وَنُؤْمِنُ بِالزُّبُورِ الْمُنْزَلِ عَلَى سَيِّدِنَا دَاوُدَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) سورة النساء.
(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ (105) سورة الأنبياء.

3 - وَنُؤْمِنُ بِالتَّوْرَةِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى؛

4 - وَبِالْإِنْجِيلِ الْمُنْزَلِ عَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
(3) سورة آل عمران.

**5 - وَنُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:**

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لَكُلٌّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) سورة المائدة.

4 - وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) سورة ق.
(وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (10) سورة الانفطار.

5 - وَنُؤْمِنُ بِمَلِكِ الْمَوْتِ؛ الْمُؤَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) سورة

السجدة.

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ
فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) سورة النساء.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) سورة النساء.

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) سورة الأنفال.

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) سورة النحل.

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) سورة النحل.

الفصل السادس
الإيمان بالرُّسل والأنبياء
عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين
المبحث الأول - الإيمان بالرسل جميعاً
المبحث الثاني - الإيمان بنبوّة رسالة سيدنا محمد ﷺ.
المبحث الثالث - الإيمان بما خصّ الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ.

الفصل السادس
الإيمان بالرُّسل والأنبياء
عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين

قال تعالى:
(رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (165)
سورة النساء.

المبحث الأول - الإيمان بالرسل جميعاً

- 1 - لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى (فيما - ب) مَا جَاءُوا بِهِ؛
- 2 - وَنَقُولُ: - إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛
- وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا؛
- إِيْمَانًا؛
- وَتَصَدِيقًا؛
- وَتَسْلِيمًا؛

الفصل السادس
الإيمان بالرُّسل والأنبياء
عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين
المبحث الأول - الإيمان بالرسل جميعاً

1 - لا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى (فيما - ب) مَا جَاءُوا

بِهِ؛

الدليل القرآني:

(أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) سورة البقرة. (1)

وأخرج البخاري حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرْبَ وَجْهِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ! فَقَالَ: (مَنْ؟)، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: (ادْعُوهُ) فَقَالَ: (أَضْرَبْتُهُ) قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَخْلِفُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قُلْتُ: أَيُّ خَبِيثٍ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرْبْتُ وَجْهَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

(1) - ما هو عدد الرسل صلوات الله عليهم؟

روى الإمام أحمد - بسند ضعيف - عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ صَلَّيْتُ؟) قُلْتُ: لَا، قَالَ: (قُمْ فَصَلِّ)، قَالَ: فَقُمْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْإِنْسِ شَيَاطِينٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الصَّلَاةُ؟ قَالَ: (خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، مَنْ شَاءَ أَقَلَّ؛ وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الصَّوْمُ؟ قَالَ: (فَرَضٌ مُجْزِئٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَزِيدٌ) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَالصَّدَقَةُ؟ قَالَ: (أَضْعَافُ مِثْلِهَا) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَيُّهَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: (جَهْدٌ مُقِلٌّ، أَوْ سِرٌّ إِلَى فَقِيرٍ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوْلَ؟ قَالَ: (آدَمُ) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَنَبِيُّ كَانَ؟ قَالَ: (نَعَمْ، نَبِيُّ مُكَلَّمٍ).

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمْ الْمُرْسَلُونَ؟

قَالَ: (ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَبِضْعَةِ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا)، وَقَالَ مَرَّةً: (خَمْسَةَ عَشَرَ).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: (آيَةُ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). وانفرد به أحمد، وقال ابن كثير في تفسير آية الكرسي: ورواه النسائي.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى) ورواه: مسلم: أبو داود: أحمد في مسنده.
وأخرج البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ) ورواه: مسلم: أحمد في مسنده.

2 - وَنَقُولُ: - إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛

- وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا؛

- إِيْمَانًا؛

- وَتَصَدِيقًا؛

- وَتَسْلِيمًا؛

- دَلِيلُ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا:

(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (125) سورة النساء.

- دَلِيلُ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا:

(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (164) سورة النساء.

المبحث الثاني
الإيمانُ بنبوّةِ ورِسالَةِ سيدنا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

- 1 - وَإِنَّ مُحَمَّدًا:
 - عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى؛
 - وَنَبِيُّهُ (وَأَمِينُهُ - ب) الْمُجْتَبَى؛
 - وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى؛
 - وَ(أَنَّهُ - أ) خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ؛
 - وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ؛
 - وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ؛
 - وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛
- 2 - وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ:
 - فَغَيٌّ؛
 - وَهَوًى؛
- 3 - وَهُوَ الْمَبْعُوثُ:
 - (إِلَى عَامَّةِ الْجَنِّ؛
 - وَكَافَّةِ الْوَرَى سَقَطَتْ مِنْ - غ)؛
 - بِالْحَقِّ؛
 - وَالْهُدَى؛
 - (وَبِالنُّورِ؛
 - وَالضِّيَاءِ - أ - ب)؛

المبحث الثاني
الإيمانُ بنبوّةِ ورسالةِ سيدنا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

1 - وَإِنَّ مُحَمَّدًا:

- عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى؛

- وَنَبِيِّهِ (وَأَمِينُهُ - ب) الْمُجْتَبَى؛

- وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى؛

- وَ(أَنَّهُ - أ) خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ؛

- وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ؛

- وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ؛

- وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛

- دليل (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى):

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) سورة البقرة.

(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) سورة الأنفال.

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) سورة الإسراء.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) سورة الكهف.

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) سورة الفرقان.

(فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) سورة النجم.

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) سورة الحديد.

(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) سورة الجن.

- دليل أن سيدنا محمد (نَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى:
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)
سورة آل عمران.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) سورة محمد.
(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29) سورة الفتح.

- دليل أن سيدنا محمد (خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:
(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (40) سورة الأحزاب.
- دليل أن سيدنا محمد (إِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ؛ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ؛ وَحَبِيبُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ:
(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)
سورة آل عمران.
(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (80)
سورة النساء.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21) سورة الأحزاب.
- دليل أن سيدنا محمد (سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ:

- دليل جواز إثبات السيادة للأنبياء والمرسلين:
(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً
بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ (39) سورة آل عمران.

- دليل أن سيدنا محمد (سيد الخلق:
(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ (1) قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) سورة آل عمران.
 وروى مسلم - باب تفضيل نبينا على سائر الخلائق - عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) (2) ورواه: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن

(1) قال القرطبي في تفسيره: (الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم في قول علي وابن عباس رضي الله عنهما.

واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين؛ كقوله تعالى: "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة" إلى قوله: "ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه" [النحل: 112 - 113]
 فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أنفسهم...

والمراد أخذ ميثاق جميع الأنبياء، فمن لم يؤت الكتاب فهو في حكم من أوتي الكتاب، لأنه أوتي الحكم والنبوة. وأيضا من لم يؤت الكتاب أمر بأن يأخذ بكتاب من قبله، فدخل تحت صفة من أوتي الكتاب.) انتهى باختصار.

(2) قال النووي في شرحه للحديث: (قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره: هو الذي يفرع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارهم، ويدفعها عنهم.
 وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقيد أن في يوم القيامة يظهر سؤده لكل أحد، ولا يبقى منازع، ولا معاند، ونحوه، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين.

وهذا التقيد قريب من معنى قوله تعالى: (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازا، فانقطع كل ذلك في الآخرة.
 قال العلماء: وقوله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم) لم يقله فخرا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وإنما قاله لوجهين: أحدهما: امتثال قوله تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث)؛

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه، ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه صلى الله عليه وسلم بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى.
 وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كله؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم.
 وأما الحديث الآخر: " لا تفضلوا بين الأنبياء " فجوابه من خمسة أوجه: أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به. والثاني: قاله أدبا وتواضعا.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.
 والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.
 والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض). {

ماجه:أحمد في مسنده.

روى الترمذي - باب ومن سورة بني إسرائيل - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمُئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ.. الحديث) (1)

2 - وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ:

- فَعْيٍ؛

- وَهَوَى؛

الدليل القرآني:

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) سورة الأحزاب.

أخرج البخاري - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - عن أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي،

قوله صلى الله عليه وسلم: (وأول شافع وأول مشفع) إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثاني منهما قبل الأول. والله أعلم.) انتهى.

(1) قال المباركفوري في تحفته يشرح الحديث: (قوله: (أنا سيد ولد آدم) قاله إخباراً عما أكرمه الله تعالى من الفضل والسؤدد، وتحدثاً بنعمة الله تعالى عنده، وإعلاماً منه لأئمة ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله (ولا فخر) أي أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي أن أفخر بها، قاله الجزري...

"لواء الحمد" اللواء بالكسر وبالمد: الراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش، قاله الجزري في النهاية. قال الطيبي: لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رءوس الخلائق، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد.

وقال التوربشتي: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد، ودونه تنتهي سائر المقامات، ولما كان نبينا سيد المرسلين، أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطى لواء الحمد، ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرين، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: (آدم ومن دونه تحت لوائي) انتهى.

قلت - أي المباركفوري - : حمل لواء الحمد على معناه الحقيقي هو الظاهر، بل هو المتعين، لأنه لا يصار إلى المجاز مع إمكان الحقيقة.

"وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي" قال الطيبي: نبي نكره وقعت في سياق النفي وأدخل عليه من الإستغراقية، فيفيد استغراق الجنس..

(وأنا أول من ينشق عنه الأرض) أي للبعث فلا يتقدم أحد عليه بعثاً فهو من خصائصه). انتهى باختصار.

وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ) قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ،
أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ) (1). ورواه: مسلم: ابن ماجه: أحمد
في مسنده.

3 - وَهُوَ الْمَبْعُوثُ:

- (إلى عامة الجن؛
- وكافة الوري سقطت من - غ)؛
- بالحق؛
- والهدى؛
- وبالنور؛
- والضياء - أ - ب)؛

- دليل أن سيدنا محمد ﷺ رسول للإنس والجن:
(يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم

١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قوله: وأبو حازم هو سلمان الأشجعي. قوله: (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم. قوله: (وإنه لا نبي بعدي) أي فيفعل ما كان أولئك يفعلون. قوله: (وسيكون خلفاء) أي بعدي، وقوله: (فيكثرون) بالمثلثة وحكى عياض أن منهم من ضبطه بالموحدة وهو تصحيف، ووجه بأن المراد إكبار قبيل فعلهم. قوله: (فوا) فعل أمر بالوفاء، والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة. قال النووي: سواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول؛ أم لا، سواء كانوا في بلد واحد أو أكثر، سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا. هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور. وقيل: تكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره، وقيل: يقرع بينهما قال: وهما قولان فاسدان، وقال القرطبي: في هذا الحديث حكم ببيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها، وسكت عنبيعة الثاني. وقد نص عليه في حديث عرفة في صحيح مسلم حيث قال: "فاضربوا عنق الآخر". قوله: (أعطوهم حقهم) أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم، وستأتي تنمة القول في ذلك في أوائل كتاب الفتن. قوله: (فإن الله سائلهم عما استرعاهم) هو كحديث ابن عمر المتقدم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر؛ وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة. انتهى باختصار.

لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130) سورة الأنعام.

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) سورة الفرقان.
(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (28) سورة سبأ.

- دليل أنه (على الحق):

(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) سورة النمل.
(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) سورة محمد.

- دليل أنه (على الهدى):

(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (67) سورة الحج.

- دليل أنه (النور والضياء):

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) سورة الأعراف.

(الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) سورة إبراهيم.

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) سورة الحديد.

المبحث الثالث
الإيمان بما خصَّ الله تعالى
سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

- 1 - والمِعْرَاجُ حَقٌّ؛
وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- 2 - وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ؛ إِلَى السَّمَاءِ؛
ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا؛
وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ؛
وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) [سورة النجم]؛
فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛
- 3 - وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ؛
- 4 - وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ؛ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ؛

المبحث الثالث
الإيمان بما خصَّ الله تعالى
سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

- 1 - **والمعراج حقٌّ؛**
وقد أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم؛
2 - **وعرج بشخصه في اليقظة؛ إلى السماء؛**
ثم إلى حيث شاء الله من العلا؛
وأكرمه الله بما شاء؛
وأوحى إليه ما أوحى (ما كذب الفؤاد ما رأى (11) [سورة النجم]؛
فصلى الله عليه في الآخرة والأولى؛

- **دليل الإيمان بالإسراء:**
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا (1) سورة الإسراء.
- **دليل الإيمان بالمعراج:**
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا (1) (1) سورة الإسراء.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (سورة الإسراء: قال الإمام الحافظ المتقن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - وأسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمزم.

يمجد تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه).

"الذي أسرى بعبد" يعني محمداً صلى الله عليه وسلم "ليلاً" أي في جنح الليل.

"من المسجد الحرام" وهو مسجد مكة "إلى المسجد الأقصى" وهو بيت المقدس الذي بإبلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأهمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقوله تعالى "الذي باركنا حوله" أي في الزروع والثمار "النريه" أي محمداً "من آياتنا" أي العظام كما قال تعالى "لقد رأى من آيات ربه الكبرى" وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم.

(فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (14) (1) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) (2) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا

وقوله تعالى "إنه هو السميع البصير" أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذّبهم البصير بهم فيعطي كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة. ثم ذكر أحاديث الإسراء.. انتهى باختصار وقال القرطبي في تفسيره: (قال العلماء: لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية. وفي معناه أنشدوا:

يا قوم قلبي عند زهراء
لا تدعني إلا بيا عبدها
يعرفه السامع والرائي
فإنه أشرف أسمائي

وقد تقدم.

قال القشيري: لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، وأرقاه فوق الكواكب العلوية، ألزمه اسم العبودية تواضعاً للأمة.

ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر النقاش: ممن رواه عشرين صحابياً...

(لُتْرِيَةٌ مِنْ آيَاتِنَا) هذا من باب تلوين الخطاب والآيات التي أراه الله من العجائب التي أخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة إلى المسجد الأقصى في ليلة وهو مسيرة شهر، وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحداً واحداً، حسبما ثبت في صحيح مسلم وغيره. انتهى باختصار.

(أ) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله تعالى "إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيتها نور الرب، وغشيتها ألوان ما أدري ما هي؟).

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدر المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها "إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قال فراش من ذهب، قال: وأعطني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: أعطني الصلوات الخمس، وأعطني خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقدمات. انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة فقبل له: إن هذه السدرة، فغشيتها نور الخلق، وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، وقال فكلمه عند ذلك فقال له: (سل).

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد "إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قال كان أغصان السدرة لؤلؤاً ويقوتها وزبرجداً، فراها محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ربه بقلبه.

وقال ابن زيد: قيل يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: "رأيت يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل". انتهى باختصار.

(ب) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله تعالى "إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي؟).

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدر المنتهى وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها.

"إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قال فراش من ذهب قال: وأعطني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً:

طَعَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18) سورة النجم.
 فرؤية سيدنا محمد (لجبريل بهيئته الملائكية عند سدره المنتهى دليل أكيد على المعراج بشخص رسول الله ﷺ من المسجد الأقصى للسموات العلى، إلى سدره المنتهى:

قال ابن كثير في تفسيره: (قال الإمام أحمد - وأسنده - عن ابن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت جبريل على سدره المنتهى وله ستمائة جناح" .. وهذا أيضا إسناد جيد.) انتهى والله أعلم.

3 - وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ؛

- دليل الإيمان بحوض الكوثر:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) سورة الكوثر.

أخرج البخاري - باب تفسير سورة الكوثر - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، أَنْبِئُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ) ورواه: أحمد في مسنده.
 أخرج البخاري - باب تفسير سورة الكوثر - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: (أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ). ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: أبو داود: أحمد في مسنده.

أخرج البخاري - باب تفسير سورة الكوثر - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: فِي الْكَوْثَرِ هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ قَالَ أَبُو بَشِيرٍ قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ سَعِيدُ النَّهْرِ

أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمتة المقحقات. انفراد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة فقيل له: إن هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر وقال فكلمه عند ذلك فقال له سل.
 وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد "إذ يغشى السدرة ما يغشى" قال كان أغصان السدرة لؤلؤا ويقوتها وزبرجدا فرأها محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ربه بقلبه.
 وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟
 قال: "رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل.) انتهى باختصار.

الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه⁽¹⁾ وانفرد به البخاري. وأخرج البخاري - كتاب الفتن باب واتقوا فتنة - عن أبي حازم قال سمعتُ سهل بن سعد يقول: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا فرطكم على الحوض، فمن وردّه شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم) قال أبو حازم: فسمعتني النعمان بن أبي

(1) قال الحافظ في الفتح: (حديث ابن عباس من رواية أبي بشر عن سعيد بن جبير عنه أنه قال في الكوثر " هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه.

قال: قلت لسعيد بن جبير عنه أنه قال في الكوثر: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟.

فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ".

هذا تأويل من سعيد بن جبير جمع به بين حديثي عائشة وابن عباس، وكأن الناس الذين عناهم أبو بشر أبو إسحاق وقتادة ونحوهما ممن روي ذلك صريحا أن الكوثر هو النهر. وقد أخرج الترمذي من طريق ابن عمر رفعه " الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت " الحديث قال: إنه حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس " بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: نزلت على سورة. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر إلى آخرها.

ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة " الحديث.

وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس إنه الخير الكثير لا يخالف قول غيره إن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيداً أوماً إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه.

وقد نقل المفسرون في الكوثر أقوالاً أخرى غير هذين تزيد على العشرة:

- منها قول عكرمة: الكوثر النبوة.

- وقول الحسن: الكوثر القرآن.

- وقيل تفسيره.

- وقيل الإسلام.

- وقيل إنه التوحيد.

- وقيل كثرة الأتباع.

- وقيل الإيثار.

- وقيل رفعة الذكر.

- وقيل نور القلب.

- وقيل الشفاعة.

- وقيل المعجزات.

- وقيل إجابة الدعاء.

- وقيل الفقه في الدين.

- وقيل الصلوات الخمس ... انتهى.

عِيَّاش وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: (إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا، لَمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي) (1) ورواه: مسلم: أحمد في مسنده.

4 - وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي إِدْخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ؛ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ؛

لكي نفهم موضوع الشفاعة لا بد أن نتذكر بعض صفات الله تعالى التي منها:

- (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (253) سورة البقرة.
- (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (27) سورة إبراهيم.
- (فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ) (16) سورة البروج.
- (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (41) سورة الرعد.
- (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (23) سورة الأنبياء.

وسنبحث - إن شاء الله - موضوع الشفاعة:

- أولاً: ما هي آيات الشفاعة؟ وما هو معناها؟ وماذا ذكر المفسرون من معانيها؟

- وثانياً: ثم ما هي الأحاديث النبوية الشريفة الواردة بالشفاعة وأنواعها وحالاتها؟ وذلك ليعرف المسلم عقيدته بجلاء ووضوح، حتى لا يتلبس عليه الأمر، ويتيه مع التائهين.

- أولاً: آيات الشفاعة:

ما هو معنى الشفاعة: قال الشوكاني في تفسيره 82/1:

(والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول استشفعته أي سألته أن يشفع لي أي يضم جاهه إلى جاهك عند المشفوع إليه ليصل النفع إلى المشفوع له

(١) قال الحافظ في الفتح: (وقوله في حديث سهل " من ورده شرب " وقع في رواية الكشميهني " يشرب " وقوله " لم يظماً " قيل هو كناية عن أنه يدخل الجنة لأنه صفة من يدخلها.

وفي حديث أبي سعيد " إنك لا تدري ما بدلوا " وقع في رواية الكشميهني " ما أحدثوا " . وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبرئ النبي صلى الله عليه وسلم منهم وإبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب.

فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنائيتهم.

ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار والله أعلم .) انتهى.

وسميت الشفعة شفعة لأنك تضم ملك شريكك إلى ملكك).

الآية الأولى في الشفاعة:

- قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (255) سورة البقرة.

قال القرطبي في تفسيره:

(..تقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى؛ كما قال: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" [الأنبياء: 28].

قال ابن عطية: والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين، أو وصل ولكن له أعمال صالحة. وفي البخاري في "باب بقية من أبواب الرؤية": إن المؤمنين يقولون: ربنا إن إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا). وهذه شفاعة فيمن يقرب أمره، وكما يشفع الطفل المحبب على باب الجنة. وهذا إنما هو في قراباتهم ومعارفهم.

وإن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أمهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إلا بنفس الإيمان، ثم تبقى شفاعة أرحم الراحمين في المستغرقين في الخطايا والذنوب الذين لم تعمل فيهم شفاعة الأنبياء. وأما شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم في تعجيل الحساب فخاصة له.

قلت - أي القرطبي - : قد بين مسلم في صحيحه كيفية الشفاعة بيانا شافيا، وكأنه رحمه الله لم يقرأه وأن الشافعين يدخلون النار ويخرجون منها أناسا استوجبوا العذاب؛ فعلى هذا لا يبعد أن يكون للمؤمنين **شفاعتان**: شفاعة فيمن لم يصل إلى النار، وشفاعة فيمن وصل إليها ودخلها؛ أجازنا الله منها، فذكر من حديث أبي سعيد الخدري: (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم - قيل: يا رسول الله وما الجسر؟!، **قال**: دحض مزلة فيها خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة **يقال** لها: السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، **يقولون**: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على

النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، **فيقول عز وجل:** (ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه)، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به، **ثم يقول:** (ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه)، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به، **ثم يقول:** (ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه)، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا - وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (40) [سورة النساء]، **فيقول الله تعالى:** (شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حُما) وذكر الحديث.

ونذكر من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك - أو قال ليس ذلك إليك - وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله).

ونذكر من حديث أبي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام: (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا؛ ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود؛ حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود) الحديث بطوله.

قلت: فدللت هذه الأحاديث على أن شفاعة المؤمنين وغيرهم إنما هي لمن دخل النار وحصل فيها، أجازنا الله منها، وقول ابن عطية: "ممن لم يصل أو وصل" يحتمل أن يكون أخذه من أحاديث آخر، والله أعلم.

وقد خرج ابن ماجة في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا - وَقَالَ ابْنُ نَمِيرٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ - فَيَمُرُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسْقِيَتَكَ شَرْبَةً؟

قال: فيشفع له، ويمر الرجل على الرجل فيقول: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاولْتَكِ طَهُورًا؟ فيشفع له - قال ابن نمير - ويقول: يا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي لِحَاجَةٍ كَذَا

وكذا فذهبت لك ؟ فيشفع له).

وأما شفاعات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها؛ فقليل ثلاث، وقيل اثنتان، وقيل: خمس، يأتي بيانها في "سبحان" إن شاء الله تعالى. وقد أتينا عليها في كتاب "التذكرة" والحمد لله.

الآية الثانية في الشفاعة:

- قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (3) سورة يونس.

قال القرطبي في التفسير: (فلا يشفع أحد نبي ولا غيره إلا بإذنه سبحانه، وهذا رد على الكفار في قولهم فيما عبده من دون الله: (هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ).. (18) [سورة يونس]، فأعلمهم الله أن أحداً لا يشفع لأحد إلا بإذنه، فكيف بشفاعة أصنام لا تعقل.) انتهى.

قال الزجاج: إن الكفار الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون إن الأصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع إليه في شيء إلا بعد إذنه لأنه أعلم بموضع الحكمة والصواب... نقله الشوكاني في تفسيره.

وقال ابن الجوزي في تفسيره: (قوله تعالى: (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) فيه قولان:

أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له قاله ابن عباس، قال الزجاج: لم يجر للشفيع ذكر قبل هذا ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا.

والثاني: أن المعنى لا ثاني معه، مأخوذ من الشفع لأنه لم يكن معه أحد ثم خلق الأشياء.

فقوله: (إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) أي من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي) انتهى.

وقال أبو السعود في تفسيره: (.. بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير، ونفي للشفاعة على أبلغ الوجوه، فإن نفي جميع أفراد الشفيع بـ (من) الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على أتم الوجوه: كما في قوله تعالى: (لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) وهذا بعد قوله تعالى: (يدبر الأمر) (1) جار مجرى:

١ (الآية: (قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (43) سورة هود.

- قوله تعالى (.. وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ.. (88) عقيب قوله تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) (1).
 - وقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ) استثناء مفرغ من أعم الأوقات، أي ما من شفيع يشفع لأحد في وقت من الأوقات إلا بعد إذنه المبني على الحكمة الباهرة، وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الأخيار، والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة.
 كقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (38) [سورة عم]، وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى.. انتهى.

الآية الثالثة في الشفاعة:

- قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (79) سورة الإسراء.

قال القرطبي في التفسير: (اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال: [الأول] وهو أصحابها - الشفاعة للناس يوم القيامة؛ قاله حذيفة بن اليمان. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وفي صحيح مسلم عن أنس قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيؤتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته،

فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأوتى فأقول:

أنالها... وذكر الحديث.

قال محمد نور - عفا الله عنه - : قوله تعالى: (يدبر الأمر) هو في سورة يونس آية 3 - 31، وسورة الرعد: 2، وسورة السجدة: 5.
 (1) الآية: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (88) سورة المؤمنون.

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه في قوله: (.. عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (79) [سورة الإسراء] سئل عنها قال: (هي الشفاعة) قال: هذا حديث حسن صحيح.

إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام، حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة لأهل الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم، وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم؛ ولأجل ذلك قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

قال النقاش: لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر.

وقال ابن عطية: والمشهور أنهما شفاعتان فقط: العامة، وشفاعة في إخراج المذنبين من النار. وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء.

وقال القاضي أبو الفضل عياض: شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات: العامة، والثانية: في إدخال قوم الجنة دون حساب، الثالثة: في قوم من موحدي أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيها نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله أن يشفع ويدخلون الجنة. وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة: الخوارج⁽¹⁾ والمعتزلة، فمنعتها على أصولهم الفاسدة، وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح.

- الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين.

- الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها، وهذه لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعات الحشر الأول.

قال القاضي عياض: وعرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت لقول من قال: إنه

(1) مسمى الخوارج: هم قوم خرجوا على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروه بسبب قبوله للتحكيم محتجين بقوله تعالى: (إن الحكم إلا لله)، ومن صفاتهم الرئيسية هي تكفير المسلمين وقتال المسلمين، فهم لا يقاتلون الكفار، فيبدؤون بالمسلمين بقتالهم، وهم بغاة (أي يخرجون بقوة عسكرية على ولي أمر المسلمين): لا يقتل مدبرهم ولا تسبى نساؤهم ولا تذفف جراحهم كما بين ذلك فقيه أحكام البغاة سيدنا علي كرم الله وجهه.

يكره أن تسأل الله أن يرزقك شفاععة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات. ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتد بعمله مشفق أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. روى البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة).

[القول الثاني] أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة:

قلت: وهذا القول لا تنافر بينه وبين الأول؛ فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وببيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي...) الحديث.

[القول الثالث] ما حكاه الطبري عن فرقة، منها مجاهد، أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم معه على كرسیه؛ ورويت في ذلك حديثاً.

وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا على تطف في المعنى، وفيه بعد. ولا ينكر مع ذلك أن يروى، والعلم يتأوله. وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا، من أنكر جوازه على تأويله. قال أبو عمر ومجاهد: وإن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم: أحدهما هذا، والثاني في تأويل قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة" [القيامة: 22] تنتظر الثواب؛ ليس من النظر، قلت: ذكر هذا في باب ابن شهاب في حديث التنزيل، وروي عن مجاهد أيضاً في هذه الآية قال: يجلسه على العرش.

وهذا تأويل غير مستحيل؛ لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء كلها، والعرش قائماً بذاته، ثم خلق الأشياء من غير حاجة إليها، بل إظهاراً لقدرته وحكمته، وليعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بكل أفعاله المحكمة، وخلق لنفسه عرشاً استوى عليه كما شاء من غير أن صار له مماسا، أو كان العرش له مكاناً.

قيل: هو الآن على الصفة التي كان عليها من قبل أن يخلق المكان والزمان؛

فعلى هذا القول سواء في الجواز أقعد محمد على العرش أو على الأرض؛ لأن استواء الله تعالى على العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال وتحويل الأحوال من القيام والقعود والحال التي تشغل العرش، بل هو مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه بلا كيف. وليس إقعاده محمداً على العرش موجباً له صفة الربوبية أو مخرجاً له عن صفة العبودية، بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه.

وأما قوله في الإخبار: (معه) فهو بمنزلة قوله: "إن الذين عند ربك"، و"رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة" [التحريم: 11]. "وإن الله لمع المحسنين" [العنكبوت: 69] ونحو ذلك. كل ذلك عائد إلى الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة، لا إلى المكان.

[الرابع] إخراجه من النار بشفاعته من يخرج؛ قاله جابر بن عبد الله. ذكره مسلم. وقد ذكرناه في كتاب التذكرة والله الموفق.

اختلف العلماء في كون القيام بالليل سبباً للمقام المحمود على قولين:

أحدهما: أن البارئ تعالى يجعل ما شاء من فعله سبباً لفضله من غير معرفه بوجه الحكمة فيه، أو بمعرفة وجه الحكمة.

الثاني: أن قيام الليل فيه الخلوة مع البارئ والمناجاة دون الناس، فأعطى الخلوة به ومناجاته في قيامه وهو المقام المحمود. ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم، فأجلهم فيه درجة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يعطي ما لا يعطي أحد ويشفع ما لا يشفع أحد. و"عسى" من الله عز وجل واجبة. و"مقاماً" نصب على الظرف. أي في مقام أو إلى مقام.

وذكر الطبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي). فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الإنسان للأمور الجليلة كالمقامات بين يدي الملوك. انتهى.

الآية الرابعة في الشفاعة:

- قوله تعالى: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) (87)

سورة مريم.

قال القرطبي في التفسير:

(وهم المسلمون فيملكون الشفاعة فهو استثناء الشيء من غير جنسه أي لكن "من اتخذ عند الرحمن عهداً" يشفع فـ "من" في موضع نصب على هذا، وقيل هو في موضع رفع على البذل من الواو في "يملكون" أي لا يملك أحد عند الله

الشفاعة "إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً" فإنه يملك، وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً.

و"المجرمين" في قوله "ونسوق الجرمين إلى جهنم ورداً" يعم الكفرة والعصاة ثم أخبر أنهم لا يملكون الشفاعة إلا العصاة المؤمنون فإنهم يملكونها بأن يشفع فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا أزال أشفع حتى أقول يا رب شفّعني فيمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فيقول: يا محمد إنها ليست لك ولكنها لي) أخرجه مسلم بمعناه.

وقد تقدم وتظاهرت الأخبار بأن أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون؛ وعلى القول الأول يكون الكلام متصلاً، بقوله:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (81) [سورة مريم] فلا تقبل غدا شفاعة عبدة الأصنام لأحد، ولا شفاعة الأصنام لأحد، ولا يملكون شفاعة أحد لهم أي لا تنفعهم شفاعة كما قال: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (48) [المدثر: 48].

وقيل: أي نحشر المتقين والمجرمين لا يملك أحد شفاعة (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) (87) [سورة مريم] أي إذا أذن له الله في الشفاعة. كما قال: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ..) (255) [سورة البقرة]. وهذا العهد هو الذي قال:

(.. أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) (78) [سورة مريم] وهو لفظ جامع للإيمان وجميع الصالحات التي يصل بها صاحبها إلى حيز من يشفع.

وقال ابن عباس: العهد لا إله إلا الله وقال مقاتل وابن عباس أيضاً لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله وتبرأ من الحول والقوة [إلا] لله ولا يرجو إلا الله تعالى.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً) قيل: يا رسول الله وما ذاك؟ قال (يقول عند كل صباح ومساء:

(اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحياة بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك، فلا تكلني إلى نفسي، فإنك إن تكلني إلى نفسي تباعدني من الخير وتقربني من الشر، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفيانيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد).

فإذا قال ذلك طبع الله عليها طابعاً ووضعها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة

نادى مناد أين الذين لهم عند الله عهد فيقوم فيدخل الجنة) (1).

الآية الخامسة في الشفاعة:

- قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) (109) سورة طه.

قال ابن كثير في التفسير:

(يقول تعالى: (يومئذ) أي يوم القيامة (لا تنفع الشفاعة) أي عنده (إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً).

كقوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه).

وقوله: (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى).

وقال: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون).

وقال: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).

وقال: (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً).

وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال:

(أتي تحت العرش وآخر لله ساجداً، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع)

قال: (فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود) فذكر أربع مرات - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء - .

وفي الحديث أيضاً يقول تعالى: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجوا خلقاً كثيراً).

ثم يقول:

(أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان.

أخرجوا من النار:

(1) قال ابن كثير في تفسيره 57/4: وقال الإمام أحمد 412/1 حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنا سهيل عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود وذكر الحديث، ثم أورد تنمته: قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونا أخبر بكذا وكذا فقال ما فينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها انفرد به الإمام أحمد.

- من كان في قلبه ما يزن ذرة.
- من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان " الحديث.) انتهى.

الآية السادسة في الشفاعة:

- قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (28) سورة الأنبياء.
قال القرطبي في التفسير:

(قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد: هم كل من رضي الله عنه، والملائكة يشفعون غدا في الآخرة كما في صحيح مسلم وغيره، وفي الدنيا أيضا؛ فإنهم يستغفرون للمؤمنين ولمن في الأرض، كما نص عليه التنزيل على ما يأتي.

(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) يعني الملائكة.)
(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (23) سورة سبأ.
قال ابن كثير في التفسير:

(قال تعالى "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة. كما قال عز وجل "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ".

وقال جل وعلا " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ".

وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون".
ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكبر شافع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال " فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع " الحديث بتمامه...) انتهى.

وقال القرطبي في التفسير:

(.. أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام؛ إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة، وهم على غاية الفزع من الله؛ كما قال: "وهم من خشيته مشفقون" [الأنبياء: 28].

والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا؛ لما يقتدر بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن.... وهذا تنبيه من الله تعالى وإخبار أن الملائكة مع اصطفاؤهم ورفعته لا يمكن أن يشفعوا لأحد حتى يؤذن لهم، فإذا أذن لهم وسمعوا صعدوا، وكان هذه حالهم، فكيف تشفع الأصنام أو كيف تؤملون أنتم الشفاعة ولا تعترفون بالقيامة...) انتهى.

الآية السابعة في الشفاعة:

- قوله تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (26) سورة النجم.

قال ابن كثير في التفسير: (هذا كقوله "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"، "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له"، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله؟ وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه.) انتهى.

قال القرطبي في التفسير: (هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له. **قال الأخفش:** الملك واحد ومعناه جمع، وهو كقوله تعالى: "فما منكم من أحد عنه حاجزين" [الحاقة: 47]، وقيل: إنما ذكر ملكاً واحداً، لأن كم تدل على الجمع.) انتهى.

الآية الثامنة في الشفاعة:

- **دليل الإيمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم:**

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (5) سورة الضحى.

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضى" أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أنفر كما سيأتي.

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي - وأسنده - عن ابن عباس قال: عرض على

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً؛ سر بذلك، فأنزل الله "ولسوف يعطيك ربك فترضى" فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير وابن أبي

حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السدي عن ابن عباس: "من رضاء محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار" رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة - وأسنده - عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا" **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ". انتهى باختصار.

ونذكر الآية التي احتج بها البعض أنها نافية للشفاعة، وهي في الحقيقة في عدم الهداية لمن حقت عليه عدم الهداية:
وهي قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) (19) سورة الزمر.

فقال المعترض: أن من حقت عليه النار لا يمكن للرسول الشفاعة له، والجواب عليه هو أن نفهم معنى الآية من كتب التفسير ثم ننقاش الاعتراض.
قال القرطبي في تفسيره: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية).

قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان. وكرر الاستفهام في قوله: "أفأنت" تأكيداً لطول الكلام؛ وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: "أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون" [المؤمنون: 35] على ما تقدم.

والمعنى: "أفمن حق عليه كلمة العذاب" أفأنت تنقذه. والكلام شرط وجوابه. وجيء بالاستفهام؛ ليدل على التوقيف والتقرير.

وقال الفراء: المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب. والمعنى واحد.

وقيل: إن في الكلام حذفاً والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه؛ وما بعده مستأنف.

وقال: "أفمن حق عليه" وقال في موضع آخر: "حقت كلمة العذاب" [الزمر: 71] لأن الفعل إذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير والتأنيث؛ على أن التأنيث هنا ليس بحقيقي بل الكلمة في معنى الكلام والقول؛ أي أفمن حق عليه قول العذاب. انتهى.

قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما

هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له.) انتهى.

فإذاً اتضح أن الإنقاذ في معنى الآية هو الهداية، وليس معناه الشفاعة، علماً بأنه لم يقل أحد من علماء المسلمين أن الشفاعة تكون للكافر لإخراجه من النار، وإنما هي للمؤمن العاصي وحتى لأهل الكبائر كما تقدم.

ثانياً - الأحاديث النبوية في الشفاعة: وأحاديث الشفاعة بلغت حد التواتر منها:

1 - أخرج البخاري في صحيحه - كتاب تفسير القرآن - فقال: قال ابن عمر رضي الله عنهما: إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ. ورواه: الأئمة أحمد ومسلم والنسائي.

2 - - روى البخاري في صحيحه - كتاب العلم - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ.) ورواه: أحمد في مسنده.

3 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب التيمم - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.) ورواه: الأئمة أحمد ومسلم والنسائي والدارمي.

4 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ أَتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.) ورواه: الأئمة أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

5 - وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ عِنْدَهُ عُمَهُ فَقَالَ:

(لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِي صَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ)، وفي رواية عَنْ يَزِيدَ بِهِذَا وَقَالَ: تَغْلِي مِنْهُ أَمْ دِمَاغِهِ. ورواه: الأئمة أحمد ومسلم.

6 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب تفسير القرآن - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا:

- فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا!).
فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي انْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

- فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي فَيَقُولُ: انْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ.

- فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ.
- فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ: انْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.
- فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدُّ عَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ:

ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدِ يُعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعْ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعْ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ)، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (خَالِدِينَ فِيهَا).

7 - وفي رواية للبخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - زيادة: (ثُمَّ أَرْجِعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً.

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً.

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً).

8 - وفي رواية للبخاري في كتاب التوحيد زيادة أخرى: ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ آخِرُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تَشْفَعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ورواه: الأئمة أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه والدارمي.

9 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَارِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ). ورواه: الأئمة مالك وأحمد ومسلم والترمذي والدارمي.

10 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - فقال: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ عَمْرِو عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَانَتْهُمْ التَّعَارِيرُ) قُلْتُ مَا التَّعَارِيرُ؟ قَالَ: الضَّغَابِيسُ وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ، فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ)؟ قَالَ: نَعَمْ. ورواه: الأئمة أحمد ومسلم والترمذي..

11 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - عن عُمَرَ بْنِ ابْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ). ورواه: الأئمة أحمد والترمذي وأبوداود وابن ماجه.

12 - وروى البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟)، قُلْنَا: لَا، قَالَ: (فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا)، ثُمَّ قَالَ: (يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ: فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُيَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ).

فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا

فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ.
ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟، **فَيَقُولُونَ:** كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ،
 فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ صَاحِبَهُ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ؟ **فَيَقُولُونَ:** نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا،
 فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ،
 فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟، **فَيَقُولُونَ:** فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ
 الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْحَقِّ كُلِّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا.
 قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.
 فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يَكْلُمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ.
 فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ.

فَيَقُولُونَ: السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ
 رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُوْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ
 بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟

قَالَ: (مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ؛ وَكَالِيبُ؛ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ
 عَقِيقَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ
 وَكَالْجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،
 حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ:
 رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا.
 فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ
 وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ.

فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ
 مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ.

فَيَقُولُ: أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ
 عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ.

فَيَقُولُ: أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ
 مَنْ عَرَفُوا.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَءُوا:
 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا).
 فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: (بَقِيَتْ شَفَاعَتِي) فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتَحَسُوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُنُقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ.

فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. وَقَالَ حَبَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَتَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالُهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ.

قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلُهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ وَاسْلُ تَعْطَى قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأُنْتَبِئُ عَلَى رَبِّي بِنِّاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرَجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ وَاسْلُ تَعْطَى.

قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِّاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ.
 قَالَ: ثُمَّ أَسْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.
 قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ
 الثَّلَاثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي
 مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ:
 ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمِعُ وَأَسْفَعُ تُشَفِّعُ وَسَلْ تُعْطَهُ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُتْنِي عَلَى
 رَبِّي بِنِّاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ.
 قَالَ: ثُمَّ أَسْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.
 قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا
 يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:
 (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا).
 قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 ورواه الأئمة: أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي.

المبحث الرابع الإيمان بكرامات الأولياء

- 1 - ولا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛
وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ ؛
- 2 - وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَتِهِمْ ؛ وَصَحَّ عَنْ الثَّقَاتِ مِنْ رَوَايَاتِهِمْ ؛

- دليل عدم تفضيل أحد على الأنبياء والرسل :

لقد وصف الله تعالى أتباع الرسل بأنهم يؤمنون برسالة رسولهم، ولا يقدمون أنفسهم عليهم:

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) سورة آل عمران.
(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (111) سورة المائدة.

(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) سورة المائدة.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14) سورة الصف.

(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) سورة التوبة.

- وأمر الله تعالى أتباع الرسل بعدم التقدم على الرسول ﷺ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) سورة الحجرات.

حتى طلب منهم أن يقدموا صدقة قبل الطلب ثم نسخت، فكيف يمكن أن يتقدم أحد على الرسل؟!:

(ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13) سورة المجادلة.

- **وحتى الخضر فإنه لا يتقدم على الرسل وهو على قول الجمهور كان نبياً بدليل:**

(1) (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) سورة الكهف.

- **دليل كرامات الأولياء:**

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) سورة آل عمران.

(2) (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) الكهف. (3).

١ (قال القرطبي في تفسيره: (العبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور، وبمقتضى الأحاديث الثابتة، وخالف من لا يعتد بقوله، فقال: ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم آخر وحكى أيضا هذا القول القشيري، قال: وقال قوم هو عبد صالح، والصحيح أنه كان الخضر؛ بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال مجاهد: سمي الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء) هذا حديث صحيح غريب، الفروة هنا وجه الأرض؛ قاله الخطابي وغيره.

والخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس نبي، وقيل: كان ملكا أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول الصحيح؛ والله أعلم. انتهى.

٢ (قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ونظرا بهيجا ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال "وكفلها زكريا" بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جعله كافلا لها، قال ابن إسحق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره: إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم.

٣ (كرامات الصحابة بلغت حد التواتر وليس أدل عليها من فتحهم العالم خلال ستة عشر عاماً، ومن كراماتهم: روى البخاري في كتاب الصلاة عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب رضي الله

- دليل الاستقامة عين الكرامة:
(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) سورة يونس.

3 - ولا تُصدّق:

- كاهناً؛

- ولا عَرَّافاً؛

- دليل عدم معرفة أحد الغيب إلا بإذن الله تعالى:
قال الله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) سورة آل عمران.
وقال تعالى: (عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) (1) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى

عَنْهُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) وَآيَةُ الْحِجَابِ.
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يَكْلُمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.
وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ:
(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) فَنَزَلَتْ هَذِهِ. ورواه: مسلم: الترمذي: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

(١) قال القرطبي في تفسيره: ("عالم الغيب" "عالم" رفعا نعنا لقوله: "ربي". وقيل: أي هو "عالم الغيب" والغيب ما غاب عن العباد.

الغيب في كلام العرب كل ما غاب عنك، وهو من ذوات الياء يقال منه: غابت الشمس تغيب؛ والغيبه معروفة. وأغابت المرأة فهي مغيبة إذا غاب عنها زوجها، ووقعنا في غيبه وغيابه، أي هبطة من الأرض؛ والغيابه: الأجمة، وهي جماع الشجر يغاب فيها، ويسمى المظمن من الأرض: الغيب، لأنه غاب عن البصر.

واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا؛ فقالت فرقة: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول من أشرار الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراف والميزان والجنة والنار، قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها.

قلت - أي القرطبي - : وهذا الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره). قال: صدقت. وذكر الحديث.

مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) (1) سورة الجن.

وقال عبد الله بن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: "الذين يؤمنون بالغيب" [البقرة: 3].

قلت: وفي التنزيل: "وما كنا غائبين" [الأعراف: 7].

وقال: "الذين يخشون ربهم بالغيب" [الأنبياء: 49].

فهو سبحانه غائب عن الأبصار، غير مرئي في هذه الدار، غير غائب بالنظر والاستدلال؛ فهم يؤمنون أن لهم ربا قادرا يجازي على الأعمال، فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، لعلمهم بإطلاعه عليهم، وعلى هذا تتفق الآي ولا تتعارض، والحمد لله. وقيل: "بالغيب" أي بضمائرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين؛ وهذا قول حسن. وقال الشاعر:

وبالغيب أمانا وقد كان قوما يصلون للأوثان قبل محمد) انتهى.

(1) قال القرطبي في تفسيره: ("إلا من ارتضى من رسول" فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: "وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم" [آل عمران: 49].

وقال ابن جبير: "إلا من ارتضى من رسول" هو جبريل عليه السلام، وفيه بُعد، والأولى أن يكون المعنى: أي لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أي اصطفى للنبوة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالا على نبوته.

قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم.

وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوابعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟

فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوابع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالع المخصوص به، فلا فائدة أبدا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجم أن طالع مولدي يقضي علي بميتة الغرق

قل للمنجم صبحه الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقب؟، فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر.

فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

- دليل عدم تصديق الكهان والعرافين:

وروى الترمذي في كتاب الطهارة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ أَبُو عِيسَى لَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَكِيمٍ الْأَثَرَمِ عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى التَّغْلِيزِ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَتَى حَائِضًا فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ)⁽¹⁾.

4 - وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ؛

5 - وَأَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعَهُمْ وَأَتَّبَعَهُمُ لِلْقُرْآنِ؛

الدليل القرآني:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) (2) الَّذِينَ آمَنُوا

فقال سيدنا علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم، ولا لنا من بعده - من كلام طويل يحتاج فيه بآيات من التنزيل - فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك.

ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكاfer، والكاfer في النار، والله لنن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدك في الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان - ثم قال: يا أيها الناس! توكّلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي ممن سواه). انتهى.

(1) ثم قال الترمذي: فَلَوْ كَانَ إِنْثَانُ الْحَائِضِ كُفْرًا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِالْكَفَارَةِ، وَضَعَفَ مُحَمَّدٌ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ قَبْلِ إِسْنَادِهِ وَأَبُو تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيُّ اسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ ١ هـ. ورواه الأئمة أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم فكل من كان تقيا كان لله وليا ف"لا خوف عليهم" أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة "ولا هم يحزنون" على ما وراءهم في الدنيا وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف: أولياء الله الذين إذا رءوا ذكر الله.

وَكَانُوا يَنْقُوتَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) سورة يونس.

6 - وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ (الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ - ب)؛

وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ:

- أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ؛

- وَأَهْلُ الْفَقْهِ وَالنَّظَرِ،

- لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ؛

- وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ؛

هذا منهج أهل السنة والجماعة: الترحم والتوقير والاحترام والحب للعلماء العاملين السابقين، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله وآل بيته، والذين اتبعوهم بإحسان وإكرام إلى يوم الدين، الذين كانوا سبباً في إسلامنا عبر فتوحاتهم الغراء:

- دليل ذكر السلف الصالح بالخير من الصحابة والتابعين وتابعيهم

بإحسان:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) سورة الفاتحة.

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) سورة

وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار - وأسنده - عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله من أولياء الله؟ قال "الذين رءوا ذكر الله".

ثم قال البزار وقد روى عن سعيد مرسلًا وقال ابن جرير - وأسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله عباداً يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ" قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟ قال: "هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس".

ثم قرأ "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ثم رواه أيضاً أبو داود - بسند جيد إلا أنه منقطع -.

وفي حديث الإمام أحمد - وأسنده - أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتضافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفرح الناس ولا يفرعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" والحديث مطول). انتهى بتصرف.

الحشر (1).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (هؤلاء في القسم الثالث ممن يستحق فقرائهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه"، فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون" أي قائلين "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا" أي بغضا وحسدا "للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم".

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم".

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسيبوهم ثم قرأت هذه الآية: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" الآية.

وقال إسماعيل ابن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة **رضي الله عنها قالت: (أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها")** رواه البيهقي.

وقال أبو داود - وأسنده - عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: "وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب" قال الزهري: قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينه وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم: "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم"، فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب - أو قال حظ إلا بعض من تملكون من أرقانكم. كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير - وأسنده -:

1- قرأ أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" حتى بلغ "عليم حكيم"، ثم قال: هذه لهؤلاء،

2- ثم قرأ: "واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى" الآية، ثم قال هذه لهؤلاء،

3- ثم قرأ: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى" - حتى بلغ -

"للفقراء" - "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم"، ثم قال:

استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال: لنن عشت لياتين الراعي

وهو بسرّو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه). انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (يعني التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل.

وقال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع فكن قمرا، فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا، فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، ومن جهة النور لا تنقطع. ومعنى هذا: كن مهاجريا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريا، فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله.

وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة؛ فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزل التي بقيت.

وعن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما تقول في عثمان؟، فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: "للفقراء المهاجرين" الآية. قال لا، قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم: "والذين تبوءوا الدار والإيمان" الآية. قال لا، قال: **فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" الآية.**

وقد قيل: إن محمد بن علي بن الحسين، رضي الله عنهم، روى عن أبيه: أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه، ففسبوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عثمان - رضي الله عنه - فأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا، فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا لا، فقال: **قد تبرا من هذين الفريقين، أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" قوموا، فعل الله بكم وفعل. ذكره النحاس.**

هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفياء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدا منهم أو اعتقد فيه شرا إنه لا حق له في الفياء؛ روي ذلك عن مالك وغيره.

قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فياء المسلمين؛ ثم قرأ "والذين جاءوا من بعدهم" الآية.

هذه الآية تدل على أن الصحيح من أقوال العلماء قسمة المنقول، وإبقاء العقار والأرض شملًا بين المسلمين أجمعين؛ كما فعل سيدنا عمر رضي الله عنه؛ إلا أن يجتهد الوالي فينفذ أمرا فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس عليه وأن هذه الآية قاضية بذلك؛ لأن الله تعالى أخبر عن الفياء وجعله لثلاث طوائف: المهاجرين والأنصار - وهم معلومون - "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان"، فهي عامة في جميع التابعين والآتين بعدهم إلى يوم الدين.

وفي الحديث الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال: **(السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ووددت أن رأيت إخواننا)**، قالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ فقال: **(بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض).**

فبين صلى الله عليه وسلم أن إخوانهم كل من يأتي بعدهم؛ لا كما قال السدي والكلبي: إنهم الذين هاجروا بعد ذلك.

وعن الحسن أيضاً **"والذين جاءوا من بعدهم"** من قصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد انقطاع الهجرة. انتهى.

الفصل السابع الإيمانُ بعالمِ وحياءِ البرزخِ

قال الله تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) الْمُؤْمِنُونَ. (1)).

(١) قال القرطبي في تفسيره: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ: أي ومن أملهم وبين أيديهم. وقيل: من خلفهم. "برزخ" أي حاجز بين الموت والبعث؛ قال الضحاك ومجاهد وابن زيد. وعن مجاهد أيضاً أن البرزخ هو: الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا. وعن الضحاك: هو ما بين الدنيا والآخرة، وابن عباس: حجاب، والسدي: أجل، وقتادة: بقية الدنيا، وقيل: الإمهال إلى يوم القيامة؛ حكاه ابن عيسى، الكلبي: هو الأجل ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة، وهذه الأقوال متقاربة. وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ.

قال الجوهري: البرزخ الحاجز بين الشيئين. والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث؛ فمن مات فقد دخل في البرزخ. وقال رجل بحضرة الشعبي: رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة؟، فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة، وأضيف "يوم" إلى "يبعثون" لأنه ظرف زمان، والمراد بالإضافة المصدر). انتهى.

المبحث الأول - الإيمان بنعيم وعذاب القبر وسؤاله

1 - و(نُؤْمِنُ - ب):

- بِعَذَابِ الْقَبْرِ؛

- (وَنَعِيمِهِ - ب) لَمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا؛

ردت بعض الفرق عذاب القبر بأننا عندما نفتح القبر فلا نجد ذلك العذاب الذي تورده الأحاديث النبوية، وقد أجاب القرطبي في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى والآخرة) بما يلي:

ومثال ذلك : نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب، ولا يشعر بذلك أحد ممن حولهما من المنتبهين، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه. انتهى.

وردت كذلك عذاب القبر في عصرنا من يسمون أنفسهم بالقرآنيين أو أصحاب العقل بأن آيات القرآن الكريم تفيد بأن العذاب سيكون يوم القيامة ولم ترد في القرآن الكريم: كلمة (عذاب القبر) صراحة بذلك.

والجواب بسيط: إن العذاب الأساسي سيكون يوم القيامة وهذا لا يمنع من عدة عذابات قبلها بدأ من الدنيا نحو: المرض وتقتير الرزق والعاهة والهم والزلازل والبراكين والصواعق وكلها مشاهدة في الدنيا وغيرها كثير، وأما عذاب القبر فهو تخصيص من عام القرآن الكريم، وكما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته: (ما من عام إلا وقد خُص).

وحتى نطق الإيمان مخصوص بالإكراه: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (106) سورة النحل.

وهكذا في قوله تعالى في حالة المضطر: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (115) سورة البقرة.

وكذلك هنا عذاب القبر هو مخصوص من العذاب الأخروي على الطريق إلى أن يأتي يوم القيامة.

وأما عذاب الكافر فهو مستمر من الدنيا مروراً في القبر إلى يوم القيامة في جهنم والعياذ بالله تعالى.

وأما عذاب المؤمن وابتلاءاته فهو مرحلة تطهير له فإذا لم يكف ذلك في

الدنيا ففي عذاب القبر فإذا لم ينته تطهره من ذنوبه فوقفه المحشر والميزان والمرور على الصراط، فإذا لم يكف ذلك غمس في جهنم حتى تأتيه الشفاعة والله أعلم.

وقد وردت عدة آيات في عذاب القبر متنازع في تفسيرها لكن فسرنا بعض الصحابة رضوان الله عليهم بعذاب القبر، وأحاديث كثيرة جداً أثبتت عذاب القبر بدون أي تأويل،

فيكون معنا: آيات مخصوصة بعذاب القبر بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة رضوان الله مضاف لها أحاديث كثيرة جداً قد تصل إلى التواتر.

وأما الذي ينكر عذاب القبر لمخالفته لعقله فالجواب عليه:

1- إن أصل الإيمان هو الإيمان بالغيب وليس الإيمان بالمحسوس.

2- إن الغيب إما أن يعرف بالنقل وإما أن يعرف بالعقل:

أ - فالإيمان بالغيب عن طريق النقل الصحيح الواضح البين الذي لا لبس فيه ولا غموض، وهذا مشاهد في عالم الأخبار والكتب العلمية حيث نؤمن بنتائج الاختبارات ولم نرها.

ب- وقد يكون بالعقل مثل حالة جدول مندلييف في الكيمياء حيث جزم مندلييف بوجود عناصر كيميائية لم تكتشف بعد بوجودها، فصدقه جميع الكيميائيين، وثبت فيما بعد ذلك وتم اكتشافه العناصر الكيميائية، وكذلك بوجود حتى العقل والتفكير ولمك نره وهكذا.

فمن الآيات القرآنية التي نقلت لنا معلومة عن الغيب:

1- قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (101) سورة التوبة. وتفسير الآية محتمل لعذاب القبر ولغيره.

2- قوله تعالى: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (47) سورة الطور. وتفسير الآية محتمل لعذاب القبر ولغيره.

3- قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا

أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) سورة الأنعام. وتفسير الآية محتمل لعذاب القبر ولغيره.

4- وقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) سورة الأنفال. وتفسير الآية محتمل لعذاب القبر ولغيره.

5- وقوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) سورة إبراهيم وفيها تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم بتثبيت الله للمؤمن في القبر عند السؤال.

6- قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) سورة غافر. قال الإمام أبو حنيفة - في رسالة الفقه الأيسر - :

- من قال: لا أعرف عذاب القبر؛ فهو من الجهمية الهالكة؛ لأنه أنكر قوله تعالى: (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ (101) (1) [سورة التوبة] يعني عذاب القبر، وقوله

(1) الآية قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) سورة التوبة

1 - قال الطبري في تفسيره: (وقوله: (سنعذبهم مرتين) يقول: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين: إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر).

ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي؟ فقال بعضهم: هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: معنى ذلك: سنعذبهم عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة. وقال آخرون: كان عذابهم إحدى المرتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم، والمرة الأخرى في جهنم. وقال آخرون: بل إحدى المرتين: الحدود، والأخرى: عذاب القبر. ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي.

وقال آخرون: بل إحدى المرتين: أخذ الزكاة من أموالهم، والأخرى: عذاب القبر. ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم، عن الحسن.

وقال آخرون: بل إحدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به إلى علم صفة ذنوب العذابين؛ وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم، وليس عندنا علم بأي ذلك من أي. على أن في قوله جل ثناؤه: {ثم يردون إلى عذاب عظيم}، دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر.

تعالى: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ (47) (1) [سورة الطور] يعني في القبر. انتهى.

3- وقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) سورة الأنعام. (2).

وقوله: (ثم يردون إلى عذاب عظيم) يقول: ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم. انتهى باختصار.

2 - قال القرطبي في تفسيره: (قال ابن عباس: بالأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة. فمرض المؤمن كفارة، ومرض الكافر عقوبة).

وقيل: العذاب الأول الفضيحة باطلاع النبي صلى الله عليه وسلم عليهم؛ على ما يأتي بيانه في المنافقين. **والعذاب الثاني عذاب القبر.**

الحسن وقتادة: عذاب الدنيا وعذاب القبر.

ابن زيد: الأول بالمصائب في أموالهم وأولادهم، **والثاني عذاب القبر.**

مجاهد: الجوع والقتل. الفراء: القتل **وعذاب القبر.**

وقيل: السباء والقتل. وقيل: الأول أخذ الزكاة من أموالهم وإجراء الحدود عليهم، **والثاني عذاب القبر.** وقيل: أحد العذابين ما قال تعالى: "فلا تعجبك أموالهم - إلى قوله - إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا" [التوبة: 55]. والغرض من الآية اتباع العذاب، أو تضعيف العذاب عليهم. انتهى.

(1) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: (وقوله: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ) اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة).

فقال بعضهم: هو عذاب القبر. ذكره البراء وابن عباس.

وقال آخرون: عنى بذلك الجوع ذكره مجاهد.

وقال آخرون: عنى بذلك: المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد، ذكره ابن زيد.

والصواب من القول في ذلك عندي - أي عند أبي جعفر - أن يقال:

إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً **دون يومهم الذي فيه يصعقون**، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، **ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عم فقال:** (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ).

فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة، فتأويل الكلام:

وإن للذين كفروا بالله عذاباً من الله دون يوم القيامة، {ولكن أكثرهم لا يعلمون} بأنهم ذائقو ذلك العذاب. انتهى باختصار.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً" أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولداً أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى "أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء".

- 4- وقوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) سورة الأنفال. وتفسير الآية محتمل لعذاب القبر ولغيره.**
- 5- وقوله تعالى: **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) سورة إبراهيم. (1).**

قال عكرمة وقتادة: نزلت في مسليمة الكذاب "ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" أي ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتره من القول كقوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا" الآية.

قال الله تعالى: "ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت" أي في سكراته وغمراته وكرباته.

"والملائكة باسطو أيديهم" أي بالضرب كقوله: "لئن بسطت إلي يدك لتقتلني" الآية.

وقوله "يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء" الآية.

وقال الضحاك وأبو صالح باسطو أيديهم أي بالعذاب كقوله: **"ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم".**

ولهذا قال: "والملائكة باسطو أيديهم" أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم.

ولهذا يقولون لهم: "أخرجوا أنفسكم" وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم:

"أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق" الآية.

أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله **وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت وهي مقررّة عند قوله تعالى: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة".**

وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثاً مطولاً جداً من طريق غريب عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً **فإنه أعلم. انتهى.**

(١) قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: هو لا إله إلا الله.

وروى النسائي عن البراء قال: **"يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"** نزلت في عذاب القبر؛ يقال: من ربك؟ فيقول: ربي الله وديني دين محمد، فذلك قوله: **"يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة".**

وقد جاء هكذا موقوفاً في بعض طرق مسلم عن البراء أنه قول، والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وكتاب النسائي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم، عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر البخاري - وأسند - عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا أقعد المؤمن في قبره أتاه آت، ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة").**

وقد بينا هذا الباب في كتاب (التذكرة) وبيننا هناك من يفتن في قبره ويسأل، فمن أراد الوقوف عليه تأمله هناك.

وقال سهل بن عمار: رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ : ((الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : 27])) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

6- وقوله تعالى: **(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) سورة غافر. (1)).** لأن في الآخرة لا

فقال: أأتاني في قبري ملكان فظان غليظان، فقالا: ما دينك ومن ربك ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت: ألمثلي يقال هذا، وقد علمتُ الناس جوابكما ثمانين سنة؟! فذهبا. وقالا: أكتبت عن حريز بن عثمان؟ قلت نعم! فقالا: إنه كان يبغض عليا فأبغضه الله.

وقيل: معنى، "يثبت الله" يديمهم الله على القول الثابت، ومنه قول عبد الله بن رواحة:

يثبت الله ما أتاك من حسن تثبتت موسى ونصرا كالذي نصرا

وقيل: يثبتهم في الدارين جزاء لهم على القول الثابت.

وقال القفال وجماعة: **"في الحياة الدنيا" أي في القبر؛** لأن الموتى في الدنيا إلى أن يبعثوا، "وفي الآخرة" أي عند الحساب.

وحكاية الماوردي عن البراء قال: المراد بالحياة الدنيا المسألة في القبر، وبالأخرة المسألة في القيامة.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (قوله تعالى "النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا" فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار. ولهذا قال: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" أي أشده ألما وأعظمه نكالا).

وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.

ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلو بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الإمام أحمد - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وراك الله عذاب القبر.

قالت عائشة رضي الله عنها: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا، من زعم ذلك؟، قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئا من المعروف إلا قالت: وراك الله عذاب القبر، قال صلى الله عليه وسلم: "كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة".

ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه حمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته: "القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا أيها الناس استعينوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق" وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

وروى أحمد - وأسنده - عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتها امرأة يهودية فأعطتها، فقالت لها: وراك الله من عذاب القبر، فأكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا". قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال لنا رسول الله بعد ذلك:

"وإنه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم" وهذا أيضاً على شرطهما.

فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها.

وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب.

ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد - وأسند - عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "إنما يفتن يهود".

قالت عائشة رضي الله عنها: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ألا إنكم تفتنون في القبور".**

وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيز من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم - وأسند - .

وقد يقال إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها فلما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد روى البخاري - وأسند - عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر؟، فقال صلى الله عليه وسلم **"نعم عذاب القبر حق"**، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم.

ثم قال ابن كثير رحمه الله: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا. وقال قتادة في قوله تعالى "غدوا وعشيا" صباحا ومساء ما بقيت الدنيا، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم.

وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة.

وقال ابن أبي حاتم - وأسند - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها **فذلك عرضها** وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل ابن شريحيل من كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي.

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه:

"ثم انطلق به إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا.

"ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" وآل فرعون كالإبل المسومة يخطون الحجارة والشجر ولا يعقلون".

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله تعالى".

قال: قلنا يا رسول الله ما إثابة الله للكافر؟

فقال: "إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك".

قلنا فما إثابته في الآخرة؟

قال صلى الله عليه وسلم: **"عذابا دون العذاب"** وقرأ: "أدخلوا آل فرعون أشد العذاب". ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أصرم ثم قال: لا نعلم له إسناداً غير هذا.

وقال ابن جرير - وأسنده - عن الأوزاعي وسأله رجل فقال: رحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاً فوجاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فإذا كان العشي رجع مثلها سوداء قال وفطنتم إلى ذلك؟

قال: نعم قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترفت أرياشها وصارت سوداء فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع إلى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: "أدخلوا آل فرعون أشد العذاب".

قال: وكانوا يقولون إنهم ستمائة وألف مقاتل.

وقال الإمام أحمد ثنا إسحاق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة"** أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به. انتهى.

وقال القرطبي في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى والآخرة) فصل عذاب القبر رداً على المنكرين:

و بالجملة: فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم فليس تقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا. وهذا مما لا خلاف فيه. ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك.

فإن قالوا: كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخبطه ناقله، ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يسأل ولا يحيى وكذلك يشاهد الميت على سريرته وهو لا يجيب سائلاً ولا يتحرك ومن افترسه السباع، ونهشه الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير، وبطن الحيتان وحواصل الطيور، وأقاصي التخوم، ومدارج الرياح، فكيف تجتمع أجزاؤه؟ أم كيف تتألف أعضاؤه؟ وكيف تتصور مسائلة الملكين لمن هذا وصفه؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟

و الجواب عن هذا من وجوه أربعة:

أحدها: أن الذي جاء بهذا هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك.

الثاني: ما ذكره القاضي لسان الأمة وهو: أن المدفونين في القبور يسألون، والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجري عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليه والسلام لهم. ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبرائيل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام. وقد قال الله تعالى:

في وصف الشياطين: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم).

يوجد عشي وغدو وإنما حياة الآخرة لم تذكر فيها غدواً وعشيّاً وإنما حالة واحدة. والله أعلم.

أخرج البخاري - كتاب العلم - عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا شَأْنُ النَّاسِ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْتُ آيَةً فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَانِي الْغَشْيُ فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ فَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيئُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ **فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ** مِثْلُ أَوْ قَرِيبَ لَا أَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ يُقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤِقِنُ لَا أَدْرِي بَأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيُقَالُ: نَمَّ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ: لَا أَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه) ورواه مسلم: النسائي: أحمد في مسنده: الموطأ.

الثالث: قال بعض العلماء: لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به كما أنا نحسب المغمى عليه ميتاً. وكذلك صاحب السكته وندفنه على حساب الموت، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة في أجزائه.

قلت: ويعيده كما كان. كما فعل بالرجل الذي أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذري حتى تنسفه الرياح [الحديث] وفيه: [فأمر الله البر فجمع ما فيه. وأمر البحر فجمع ما فيه. ثم قال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك. أو قال مخافتك] أخرجه البخاري ومسلم وفي التنزيل **فخذ أربعة من الطير** الآية.

الرابع: قال **أبو المعالي:** المرَضِيُّ عندنا: أن السؤال يقع على أجزاء يعملها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها. وذلك غير مستحيل عقلاً. قال بعض علمائنا: وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله تعالى من صلب آدم عليه السلام **وأشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم قالوا: بلى.**

- 2 - وسؤال: مُنْكَرٌ؛ وَنَكِيرٌ؛
 - (لَلْمَيِّتِ - ب) فِي قَبْرِهِ عَنْ:
 - رَبِّهِ؛
 - وَدِينِهِ؛
 - (وَنَبِيِّهِ - ب)؛
 - عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ:
 - - رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 - - وَعَنْ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ؛
 3 - وَالْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؛
 أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ؛

- دليل سؤال منكر ونكير للميت في قبره:
**(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
 الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) سورة إبراهيم. وقد سبق شرحها قبل قليل.**
 وأخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال:
**(إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
 اللَّهِ) فُذِّلَتْ قَوْلُهُ: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ).**
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهِذَا وَزَادَ: **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا) نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ** ورواه مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: أبو داود:
 ابن ماجه: أحمد في مسنده.

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بحائطٍ من حيطانِ المدينة أو مَكَّةَ فسمعَ صوتَ إنسانينِ يُعَذِّبانِ في قُبُورِهِمَا فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

(يُعَذِّبانِ وَمَا يُعَذِّبانِ فِي كَبِيرٍ) ثُمَّ قَالَ: (بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ).

ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرِ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: **(لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيَبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيَبَسَا).**

ورواه مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلم.

وأخرج البخاري عن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ). فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟

فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ).

ورواه مسلم: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفَظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ)) حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ

بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ⁽¹⁾)) . وفي رواية : ((وَضَلَعِ الدِّينَ، وَغَلَبَةِ الرَّجَالِ⁽²⁾)) . رواه مسلم .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ :
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، **وَعَذَابِ الْقَبْرِ**،
اللَّهُمَّ أَتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ
دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا) . رواه مسلم .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ : ((
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، **وَعَذَابِ النَّارِ**، وَمِنْ شَرِّ الْغِنَى وَالْفَقْرِ)) . رواه
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ : ((حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))، وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ .

وأورد الإمام النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين هذا الباب:
باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار

والقراءة

وعن أَبِي عَمْرٍو - وَقِيلَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ : أَبُو لَيْلَى - عَثْمَانُ بْنُ
عَفَانَ رضي الله عنه، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فُرِعَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:
(اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ **وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسَأَلُ**) رواه أَبُو دَاوُدَ .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قَالَ : إِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا
تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ مَاذَا أَرَا جُعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي .
رواه مسلم . وَقَدْ سَبَقَ بِطَوْلِهِ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنْ
خَتَمُوا الْقُرْآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنًا . انتهى .

وقد شرع عدة أعمال يعملها الحي ويهب ثوابها للميت رجاء تخفيف
العذاب عنه وزيادة في رفع مقامه، فأورد النووي رحمه الله كذا لك:

(1) قال النووي في شرح صحيح مسلم 26/9 : ((الكسل : هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه ، وأما العجز : فعدم القدرة عليه ، وقيل : هو ترك ما يجب فعله ، والتسوية به ، وكلاهما تستحب الإعادة منه . وأما استعاذته من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر ، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط ... وأما استعاذته من الجبن والبخل ، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات ، والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر ... وبالسلمة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعت للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق)) .
(2) قال الحافظ ابن حجر في الفتح 207/11 : ((الضلع هو الاعوجاج والمراد به هنا ثقل الدين وشدته ، وغلبة الرجال : أي شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجاً ومرجاً)) .

باب الصدقة عن الميت والدعاء له

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر : 10] .
وعن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رجلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي افْتُلِثَتْ نَفْسُهَا وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقَتْ عَنْهَا ؟ قَالَ : ((نَعَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ .

وعن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم .

باب البكاء والخوف عِنْدَ الْمُرُورِ بِقُبُورِ الظَّالِمِينَ ومصارعهم وإظهار الافتقار إِلَى اللَّهِ تَعَالَى والتحذير من الغفلة عن ذلك

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ - يَغْنِي لَمَّا وَصَلُوا الْحِجْرَ - دِيَارَ ثَمُودَ - : ((لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ .

وفي رواية قَالَ : لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ : ((لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ)) ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَاَزَ الْوَادِي .

الفصل الثامن

الإيمان بالعلامات الكبرى قبل يوم القيامة

المبحث الأول - الإيمان بأشراط الساعة

- 1 - وَتُؤْمِنُ (بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ أ - غ)
- 1 - مِنْ خُرُوجِ (بِخُرُوجِ - ب) الدَّجَالِ؛
- 2 - وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ؛
- 3 - وَتُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛
- 4 - وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا؛

الفصل الثامن الإيمان بالعلامات الكبرى قبل يوم القيامة

المبحث الأول - الإيمان بأشراط الساعة

1 - وَتُؤْمِنُ (بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ أ - غ)

- دليل الإيمان بعلامات الساعة الكبرى:
(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (18) سورة محمد. (1).
(اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) سورة القمر. (2).

(1) قال ابن كثير في تفسيره: ("فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة" أي وهم غافلون عنها. "فقد جاء أشراطها" أي أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى: "هذا نذير من النذر الأولى أذفت الآزفة".

وكقوله جلت عظمتة: "اقتربت الساعة وانشق القمر".

وقوله سبحانه وتعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه".

وقوله جل وعلا: "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون" فبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأمارات الساعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت به نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه.

وقال الحسن البصري: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسمائه صلى الله عليه وسلم أنه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي.

وقال البخاري - وأسند - سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه: هكذا بالوسطى والتي تليها: "بعثت أنا والساعة كهاتين".

ثم قال تعالى: "فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم" أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك؟ كقوله تعالى "يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى".
"وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد". انتهى.

(2) قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى "أتى أمر الله فلا تستعجلوه".

قال "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

وقد وردت الأحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار - وأسند - عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال: "والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه".

وما نرى من الشمس إلا يسيراً.
"قلت" هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ "حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره:
قال الإمام أحمد - وأسنده - عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال: "ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى".
وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن سهل ابن سعد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بعثت أنا والساعة هكذا" وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى". أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن وهب السوائي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني"، وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى.
وقال الإمام أحمد - وأسنده - قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"أنتم والساعة كهاتين"** تفرد به أحمد رحمه الله.
وشاهد ذلك أيضاً في الصحيح في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:
"أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم؛ ولت حذاء؛ ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء؛ يتصا بها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا منها بخير ما بحضرتكم".
فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهبوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً والله لتملؤنه أفعبتم والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم.
وقال أبو جعفر بن جرير - وأسنده - عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال:
ألا إن الله يقول "اقتربت الساعة وانشق القمر" ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق.
فقلت لأبي: أيستبق الناس غدا؟

فقال: يا بني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألا إن الله عز وجل يقول "اقتربت الساعة وانشق القمر" ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة.

وقوله تعالى "وانشق القمر" قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة.

وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال "خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر" وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات
ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:"

- علامات الساعة الكبرى لانتهاى العالم، وعندها لا تقبل توبة ولا إيمان

لقوله تعالى:

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) سورة الأنعام.

1 - من خُروج (بُخْرُوج - ب) الدَّجَال؛

2 - وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ؛

3 - وَنُومِنُ بَطْلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛

4 - وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا؛

1 - دليل خروج الدجال: الأحاديث النبوية منها:

روى البخاري في كتاب الحج عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ).

ورواه مسلم: أحمد في مسنده: الموطأ.

وقال مسلم عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: (مَا تَذَكَّرُونَ؟) قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ: الدُّخَانُ؛ وَالدَّجَالُ؛ وَالدَّابَّةُ؛ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ؛ وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ؛ وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ؛ وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ؛ وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) (1)

- "رواية أنس بن مالك" قال الإمام أحمد - وأسنده - عن أنس بن مالك قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال "اقتربت الساعة وانشق القمر" ورواه مسلم. وقال البخاري - وأسنده - عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما

قال الإمام أحمد - وأسنده - عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. انتهى باختصار.

(1) قال النووي في شرحه: (..قوله: صلى الله عليه وسلم في أشراف الساعة: (لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال).

ورواه: الترمذي في سننه: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.
ودليل الدخان قوله تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10)
سورة الدخان.

ثانياً - دليل نزول سيدنا عيسى بن مريم إلى الأرض من القرآن الكريم:
1 - الآية الأولى (وكهلاً): قال الله تعالى: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ
الصَّالِحِينَ (46)).

وقال سبحانه مؤكداً على رؤية الناس لسيدنا عيسى كهلاً:
(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً..) (110) سورة آل عمران.
وأما كلامه حال كهولته فعندما ينزل آخر الزمان:

فقد أورد الطبري عن ابن زيد رحمه الله: " قد كلمهم عيسى في المهدي،
وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل" (1)، ونقل البغوي عن الحسين بن
الفضل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَهْلاً﴾ قال: " بعد نزوله من السماء" (2)،
وقال البيضاوي: " وكهلاً: بعد نزوله" (3)، ونقل ذلك ابن الجوزي عن ابن
عباس رضي الله عنهما (4).

هذا الحديث يؤيد قول من قال: إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهية الزكام،
وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة، وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا،
وإنكار ابن مسعود عليه، وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم
وبين السماء كهية الدخان.

وقد وافق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي
صلى الله عليه وسلم، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار.
وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ
دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ). قال المفسرون: هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا.

وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال.
قوله صلى الله عليه وسلم: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية
(نار تخرج من قعر عدن) هكذا هو في الأصول: (قعر) بالهاء والقاف مضمومة، ومعناه من أقصى
قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن.

قال الماوردي: سميت عدنا من العدون، وهي الإقامة؛ لأن تبعاً كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وهذه
النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرح به في الحديث. انتهى.

(1) جامع البيان (270/3).

(2) تفسير البغوي، ص (38).

(3) أنوار التنزيل، ص (40).

(4) انظر زاد المسير (390/1).

ويطلق الكهل في اللغة على من عمره بين الثلاثين والأربعين، فأصبح دليلاً محتملاً.

2 - الآية الثانية: قال سبحانه: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (159) سورة النساء. فجاءت صيغة أهل الكتاب بالجمع، وصيغة الايمان به مفردة فدلّت الآية على أن أهل الكتاب سيؤمنون به عند نزوله ورؤيتهم به، وتلك إحدى مرجحات معنى الآية والله أعلم، ويحتمل كذلك أنه يؤمنون به عند معاينة الموت، فأصبح دليلاً محتملاً.

3 - الآية الثالثة: (وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا آلَهُتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ (60) (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ (61) سورة الزخرف. (1).

وضمير (وإنه) محتمل عودته لعيسى وهو الأقوى لقربه، ويحتمل أنه عائد إلى القرآن في بداية السورة، فأصبح دليلاً محتملاً في نظر البعض.

4 - الآية الرابعة: قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) سورة التوبة، قال

(1) قال ابن كثير في تفسيره: قوله سبحانه وتعالى "وإنه لعلم للساعة" تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام.

وفي هذا نظر وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فإن السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام.

"ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا" ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى "وإنه لعلم للساعة" أي أمانة ودليل على وقوع الساعة.

قال مجاهد: "وإنه لعلم للساعة" أي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً.

وقوله تعالى "فلا تمترون بها" أي لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنة لا محالة "واتبعون" أي فيما أخبركم به. انتهى.

المفسرون: **هذا عند نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام لا يبقى في الأرض أحد إلا أسلم .**

فإذا كانت الآيات تحتل معنيين - لنفرض جدلاً - فنحتاج لترجيح، (والقاعدة تقول: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال)، وهذا الترجيح قد أتى من تواتر الأحاديث الصحيحة في نزول سيدنا عيسى عليه السلام، وإذا لم يقتنع الخصم بتواتر الأحاديث فلنقل أحاديث آحاد - تماشياً مع الخصم - فقامت على ترجيح أحد المعنيين، فإذا قدم الخصم عقله على السنة الصحيحة مع ما ورد من وجوه القرآن المحتملة والمؤيدة لما جاءت به السنة الصحيحة انكشف أمر الخصم، واتضح هواه في منهجه، بعدم اتباع القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ومعلوم أن أمور الغيب تقوم على الخبر الصادق الصحيح النقل، ولا تقوم على العقل بمفرده، وواجب العقل التصديق بما جاء به الخبر الصادق الصحيح، إن كان مؤمناً بالمخبر الصادق.

وآخر من ألف في الموضوع الشيخ محمد أنور شاه الكشميري كتاباً سماه: **(التصريح بما توتر في نزول المسيح)** وحققه الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله، فأورد 71 حديثاً نبوياً صحيحاً، **رواها أكثر من تسع وعشرين صحابي، فأصبحت متواترة، و25 أثراً من أقوال الصحابة والتابعين فأصبح الفهم كذلك متواتر ومعلوم من الدين بالضرورة،** ورد فيه على من أنكر نزول سيدنا عيسى عليه السلام، من الفرقة القاديانية الكافرة التي تدعي الاسلام، وقد أجمع علماء الاسلام في الأزهر وباكستان وغيرهما على كفر القاديانية الأحمدية، في القرن المنصرم، وقد أنكر نزول عيسى عليه السلام بعض دعاة التجديد وممن تبعهم من بعض مشايخ الأزهر، وقد رجع بعضهم ممن أدرك كتاب التصريح والله الحمد والمنة⁽¹⁾ بادعاء مخالفتها للعقل أحياناً، وبادعاء ترجيح أحد المعنيين في الآيات

(١) وقد ألفت كتباً في نزول السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قديماً وحديثاً كتاب **" نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان "** لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة (911 هـ)، طبع الكتب العلمية - بيروت 1989 تحقيق محمد عبد القادر عطا، وتحقيق سعد كريم الدرعي نشر دار ابن خلدون بالاسكندرية، وهو من أفضل الكتب في الردود على الخصم واستفساراته. وقد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله في حاشية كتاب **" التصريح بما تواتر في نزول المسيح "** لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي المتوفي سنة (1352 هـ)، وهو كتاب مطبوع تحقيق أستاذنا الشيخ مجدد علوم السنة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله تعالى، ط3 ص 56 عدداً من الكتب : **1 - كتاب " نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة "** للشيخ العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله، طبع القاهرة 1362.2

التي لا تثبت النزول أحياناً أخرى، فوجب الالتزام بالسنة النبوية المتواترة والمشهورة للترجيح بين معنيين محتملين للآيات القرآنية وهذا جرياً مع الخصم المنكر في احتمال معنيي الآيات القرآنية رغم وضوحها في نزول عيسى عليه السلام.

وإنَّ أحاديث نزول عيسى عليه السلام بلغت حدَّ التواتر (١)، وهذه أقوال بعض علمائنا رحمهم الله التي تدل لذلك :

قال الإمام الطبري رحمه الله – بعد ذكر الخلاف في مسألة وفاة عيسى

عليه السلام :-

"وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي **لتواتر الأخبار** عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال)) " (٢).

2 – كتاب "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام " لأبي الفضل عبد الله محمد صديق الغماري، طبع القاهرة 1369، قلت م نور: ونشرته عالم الكتب 1999 - 167 صفحة، حيث أورد أحاديث لتسع وعشرين صحابياً، فدل على التواتر..

3 - كتاب "إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر السلام" له أيضاً طبع القاهرة طبعة ثانية بدون تاريخ.

4 - كتاب "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام لإمام العصر الشيخ محمد أنوشاه الكشميري ط الهند، دون تاريخ، ثم طبع في باكستان كراتشي 1380 في 340 صفحة.

5 - كتاب "تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام لإمام العصر الكشميري أيضاً ط الهند 1351، ثم في باكستان 1380.

6 - كتاب "الجواب المقتع المحرر في الرد من طغي وتجب بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر للعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله ط القاهرة 1345.

7 - كتاب الشبهات العظام في الرد على منكر نزول عيسى عليه السلام للشيخ محمد علي أعظم رحمه الله تعالى ط حلب 1378.

8 - كتاب "اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح ابن مريم عليه السلام آخر الزمان" للشيخ محمد العربي التباني الجزائري المقيم في مكة المكرمة ط القاهرة 1369.

9 - كتاب " التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح " للشوكانى المتوفي سنة (1250 هـ)، وهو كتاب مخطوط، ويوجد صورة منه في الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله تعالى - في المدينة النبوية .

10 - فتوى العلامة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في نزول سيدنا عيسى ط مصر، وطبعت في آخر "عقيدة أهل الإسلام".

(١) الحديث المتواتر ما رواه جمع غير عن جمع غير من مبدأ السند إلى منتهاه بحيث تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب .

(٢) جامع البيان (287/3) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً" (1).
وقال العلامة صديق حسن خان بعدما أورد أحاديث نزوله عليه السلام: "جميع ما سقناه **بالغ حدّ التواتر** كما لا يخفى على من له فضل اطلاع" (2).
وللشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح).

وقال الغماري رحمه الله تعالى:

"تواتر هذا - أي: أحاديث نزول عيسى ﷺ - تواتراً لا شكّ فيه، بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء، كالقاديانية ومن نحا نحوهم" (3).
وقال في عون المعبود: **"تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة" (4).**

وقال العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله: "نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون، لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره" (5).

١ (تفسير القرآن العظيم (4/167) .

٢ (الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ص (160) .

٣ (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام، ص (5) .

٤ (عون المعبود (11/307) .

٥ (حاشية تفسير الطبري (6/460) .

2689 - نا عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: (وإنه لعلم للساعة) (الزخرف: 61) قال: **نزول عيسى ابن مريم علم للساعة، وناس يقولون: « القرآن علم للساعة ».**

650 - عبد الرزاق قال: أخبرني يحيى بن يعلى، عن الكلبي، عن شهر بن حوشب، قال: عرضنا الحجاج على أعطياتنا بطانة، وعلي ثياب رثة (الرث: القديم الهالك البالي، والمراد سيئ الهيئة)، وتحتي فرس رثة، فقال لي: يا شهر، ما لي أرى فرسك رثة، وثيابك رثة؟ قال: فقلت: « أما الفرس فقد ابتعتها، ولم آل، وأما ثيابي فبحسب الرجل ما وارى عورته » قال: « ولكني أراك تكره لباس الخز (الخبز: ثياب تنسج من صوف وحرير) » قال: قلت: « ما أكرهه » قال: « فأمر لي بقطعة من خز، وكساء خز، وعمامة من خز » ثم قال: يا شهر « آية من كتاب الله، ما قرأتها إلا اعترض في نفسي منها شيء » قول الله تعالى: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) (النساء آية رقم: 159)، وأنا أوتى بالأسارى، فأضرب أعناقهم، فلا أسمعهم يقولون شيئاً؟

قال: قلت: « إنها رفعت إليك على غير وجهها، إن النصراني إذا خرجت نفسه » أو قال: « روحه ضربته الملائكة من قبله ودبره » وقالوا: أي خبيث إن المسيح الذي زعمت أنه الله، وأنه ابن الله، وأنه

ثالث ثلاثة - عبد الله، وروحه، وكلمته، فيؤمن به حين لا ينفعه إيمانه، وإن اليهودي إذا خرجت نفسه ضربته الملائكة من قبله ودبره، وقالوا: أي خبيث إن المسيح الذي زعمت أنك قتلت - عبد الله، وروحه، وكلمته، فيؤمن به حين لا ينفعه إيمانه، فإذا كان عند **نزول عيسى** آمنت به أحيائهم، كما آمنت به موتاهم، فقال: «من أين أخذتها؟» قال: قلت: عن محمد بن علي، قال: لقد أخذتها من معدنها، قال شهر: «وايم الله، ما حدثتني إلا أم سلمة، ولكني أحببت أن أغيطه»
وفي تفسير مجاهد 597/2: **تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم**

عن مجاهد (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني **نزول عيسى** بن مريم صلى الله عليه وسلم.
وفي تفسير مقاتل بن سليمان 195/3: قال عبد الله: خصمتك ورب الكعبة، ألسنت ترعم أن عيسى ابن مريم نبي، وتثنى عليه وعلى أمه خيراً، وقد علمت أن النصارى يعبدونها، وعزيز يعبد، والملائكة تعبد، فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضيينا أن نكون معهم، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): 'لا، فقال عبد الله: أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة، فضجوا من ذلك، فأنزل الله تعالى: (عن الذين سبقت لهم منا الحسنى)، يعني الملائكة، وعزيز، وعيسى، ومريم، (أولئك عنها مبعدون) [الأنبياء: 101]، وأنزل: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) [آية: 57]، يعني يضجون تعجباً لذكر عيسى، عليه السلام، عبد الله بن الزبير وأصحابه هم هؤلاء النفر، (وقالوا: آلهتنا خير أم هو)، يعني عيسى، وقالوا: ليس آلهتنا إن عذبت خيراً من عيسى بأنه يعبد، يقول الله تعالى: بل هو (ما ضربه لك إلا جدلاً)، يقول: ما ذكروا لك عيسى إلا ليجادلوك به، (بل هم قوم خصمون) [آية: 58]. (إن هو إلا عبد)، يعني عيسى، عليه السلام، يقول: ما هو إلا عبد (أنعمنا عليه) بالنبوة، (وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل) [آية: 59]، يقول الله تعالى: حين ولد من غير أب، يعني آية وعبرة ليعتبروا، قوله: (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) [آية: 60] [مكانكم، فكانوا خلفاً منكم، **(وإنه لعلم للساعة) ثم رجع في التقديم إلى عيسى، فقال: (وإنه لعلم للساعة)، يقول: نزوله من السماء علامة للساعة.**

وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ) البعث بعد الموت ويقال **نزول عيسى** ابن مريم (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا 0104) (الإسراء) جميعاً
وقال الرازي رحمه الله في تفسيره للآية: (أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) (الأعراف: 137) ثم بالآخرة يورثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند **نزول عيسى** ابن مريم عليه السلام) هـ.

وقال أيضاً في تفسير **(ليُظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)** يريد الإسلام، وقيل: ليظهره، أي الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلبة وذلك بالحجة، وههنا مباحث:

الأول: **(وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ)** والتمام لا يكون إلا عند النقصان، فكيف نقصان هذا النور؟ فنقول إتمامه بحسب النقصان في الأثر، وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق إلى المغارب، إذ الظهور لا يظهر إلا بالإظهار وهو الإتمام، يؤيده قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (المائدة: 3) وعن أبي هريرة: أن ذلك عند **نزول عيسى** من السماء) هـ. وذكره الرازي وابن الجوزي في (زاد المسير)، وذكره البغوي والنسفي والماوردي والنيسابوري وحقي في (روح البيان) والألوسي في (روح المعاني) كل في تفسيره، وقال ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير): (قوله تعالى وإنه لعلم للساعة في هاء الكناية قولان:

أحدهما أنها ترجع إلى عيسى عليه السلام ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما نزول عيسى من اشرط الساعة يعلم به قربها وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي، والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن إسحاق.

والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن قاله الحسن وسعيد بن جبير، وقرأ الجمهور لعلم بكسر العين وتسكين اللام، وقرأ ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن وقتادة وحמיד وابن محيصن بفتحهما، قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين فالمعنى أنه يعلم به قرب الساعة، ومن فتح العين واللام فانه بمعنى العلامة والدليل) اهـ.

وقال الخازن في تفسيره: اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين:

فالتريق الأول أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكرها في معناها وجوهاً:

الأول: معناه أني قابضك ورافعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاماً، والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره.

الوجه الثاني: أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فجعل النوم وفاة، وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف، فمعنى الآية: أني منيمك ورافعك إلي.

الوجه الثالث: أن المراد بالتوفي حقيقة الموت، قال ابن عباس: معناه أني مميتك، قال وهب بن منبه: إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه، وقيل: إن النصاري يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه إليه.

الوجه الرابع: أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب، والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر، فأما كيف يفعل؟ ومتى يفعل؟ فالأمر فيه موقوف على الدليل.

وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره إن شاء الله تعالى.

الوجه الخامس: قال أبو بكر الواسطي: معناه أني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك إلي، ذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة.

الوجه السادس: أن معنى التوفي أخذ الشيء وافياً، ولما علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصاري؛ أن المسيح رفع لا هوته يعني روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده، فرد الله عليهم بقوله: (إني متوفيك ورافعك إلي)، فأخبر الله تعالى أنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً.

الطريق الثاني: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا تقديره: أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض.

وقيل: لبعضهم هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في القرآن؟، قال: نعم قوله تعالى: (وكهلاً) وذلك لأنهم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء.

وفي تفسير السمعاني 304/2 - 427/5: قوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) قال المفسرون: **هذا عند نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام لا يبقى في الأرض أحد إلا أسلم.**

وقال الألوسي في روح المعاني: (وأكثر المفسرين على الاحتمال الثاني قالوا: وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فإنه حينئذ لا يبقى دين سوى دين الإسلام، والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة، لأن مآل الإتمام هو الإظهار ولو كره المشركون).

وقال الألوسي أيضا في تفسيره 34/22: (ولا يقدح في ذلك ما أجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ونطق به الكتاب على قول، ووجب الإيمان به، وأكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان).

والعجيب أن الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله زعم أن الإيمان بنزول عيسى إلى الأرض وأنه من علامات الساعة أنها ليست من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة وقد أطبقت جميع كتب العقيدة والتفسير والحديث بتأكيدها.

فقال الشيخ متولي الشعراوي في تفسيره 2411/1 عند تفسيره لقول الله تعالى:

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) المائدة.

(وإن أمر الرفع في الإسلام مقبول . فقد رفع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعراج، ودار بينه وبين إبراهيم عليه السلام حوار، وكذلك دار حوار بينه وبين يحيى عليه السلام، وأدم عليه السلام وغيرهم من الأنبياء، وفرض الحق الصلاة على أمة المسلمين في تلك الرحلة . نحن - إذن - نصدق تماماً مسألة صعود الإنسان بشحمه ولحمه إلى السماء كأمر وارد وحاصل، أما طول المدة أو عدمها فذلك لا ينقض المبدأ .

أما مسألة ارتباط نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض بقيام الساعة، فالتصوص في هذه المسألة من القرآن الكريم محتملة وغير قطعية الدلالة، وقد وردت في السنة النبوية المطهرة، ولكنها غير معلومة من الدين بالضرورة فلا تكفر من يتأبى عليه فهمها، وقد أراد الحق سبحانه الرحمة بالخلق؛ لذلك فكل شيء يقف فيه العقل ولا يزيد به حكم من الأحكام يأتي به الله في أسلوب لا يسبب الفتنة . فإن صدقنا أن عيسى رفع فلن يزيد ذلك علينا حكماً ولن ينقض حكماً، ولذلك جاء الحق سبحانه بمسألة الإسراء بنص قطعي، أما مسألة المعراج فلم تأت نصاً في القرآن بل جاءت التزاماً لأن الحق سبحانه قال: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } [النجم: 13 - 15] .

وهكذا فالإسراء آية أرضية، والمعراج آية سماوية . والآية الأرضية يمكن أن يقيم رسول الله الدليل عليها، وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ووصفه لهم بقوله سبحانه: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (1) [الإسراء]

لقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أوصاف القوافل التي رآها في طريق العودة، إذن كان الإسراء آية أرضية، أما الآية السماوية وهي المعراج فجاءت التزاماً وكذلك أمر رفع عيسى عليه السلام، فمن يرى أن ذلك جاء من طلاقة قدرة الله فهو يصدق ذلك . ومن يقف عقله نقول له: إن وقوف عقلك لا يخرجك عن الإيمان واليقين . وعندما نتأمل بالدقة اللغوية كلمة « توفيتني » نجد « توفاه » قد تعني أماته، فالحق سبحانه يقول: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } [السجدة: 11] .
والحق سبحانه وتعالى يقول أيضاً: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } [الزمر: 42]، إنه سبحانه يسمى النوم وفاة، وسماه - أيضاً - موتاً .

وقال الشهيد سيد قطب رحمه الله في ظلاله: (وإنه لعلم الساعة . فلا تمترن بها . واتبعون . هذا صراط مستقيم . ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين) ..

وقد وردت أحاديث شتى عن **نزول عيسى** عليه السلام إلى الأرض قبيل الساعة وهو ما تشير إليه الآية: { وإنه لعلم للساعة } بمعنى أنه يُعلم بقرب مجيئها، والقراءة الثانية { وإنه لعلم للساعة } بمعنى أمارة وعلامة . وكلاهما قريب من قريب، ثم اورد الأحاديث في نزول سيدنا عيسى عليه السلام).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها" ⁽¹⁾. وإليك تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (159) سورة النساء ⁽²⁾)

(¹) حاشية شرح الطحاوية.

(²) قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك:

1 - فقال بعضهم معنى ذلك "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" قال: قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام، وقال العوفي عن أبي عباس مثل ذلك. وقال ابن مالك في قوله "إلا ليؤمنن به قبل موته" قال: ذلك عند نزول عيسى وقبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به. وقال الضحاك عن ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يعني اليهود خاصة.

وقال الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه رواهما ابن أبي حاتم. وقال ابن جرير - وأسنده - عن الحسن وإن من "أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" قال: قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقال ابن أبي حاتم - وأسنده - جويرية بن بشير قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد قول الله عز وجل "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"؟ قال: قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر.

وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

2 - قال ابن جرير: وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به بعيسى قبل موت الكتابي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى. وأسند ابن جرير عن مجاهد في قوله: (إلا ليؤمنن به قبل موته) كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب.

قال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى.

وعن ابن عباس قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح. وعن سعيد بن جببر عن ابن عباس: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: هي في قراءة أبي قبل موتهم ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى.

قيل لابن عباس: أرايت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء. قيل: أرايت إن ضربت عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه.

وكذا روى سفيان الثوري عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)، قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن ضرب بالسيف تكلم به قال:

وإن هوى تكلم به وهو يهوي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هارون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجويبر.

وقال السدي: وحكاه عن ابن عباس ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موتهم. وقال عبدالرزاق عن إسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله: **(إلا ليؤمنن به قبل موته)** قال: "لا يموت أحد منهم حتى يؤمن" بعيسى قبل أن يموت وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه. 3 - ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء قال ابن جرير: وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل موت الكتابي: ذكر من قال ذلك أسند ابن جرير قال: عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته.

ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام.

ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً:

فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: **"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"**: أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي بأعمالهم التي شاهدوها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة: (وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) الآية. وقال تعالى: (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين.

وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو ضرب سيف أو أفرسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم.

ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها ما ذكرناه **من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى:**

الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظام، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما

ليس فيه فرغوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوا كبيرا وتنزه وتقدس لا إله إلا هو. "

ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له :

قال البخاري رحمه الله في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول: " نزول عيسى ابن مريم عليه السلام":

1 - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها " .

ثم يقول أبو هريرة: (اقرأوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ..

2 - وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم "

3 - وأخرج قال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسؤون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته "

" حديث آخر " قال أحمد - وأسنده - عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان فإذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص.

قال: فيهلكه الله إذا رأيته حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله.

قال: فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه.

قال: ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم، وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد إلى ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارا " رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه.

وأخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: (سبحان الله) أو (لا إله إلا الله) أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه".

قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها ورفع ليتها.

قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطراً كأنه الطل أو الظل "نعمان الشاك" فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال:

(يا أيها الناس هلم إلي ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار.

فيقال: من كم؟

فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.

قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق " ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعاً.

صفة عيسى عليه السلام:

عن أبي هريرة: " فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه قطر وإن لم يصبه بلل".

وفي حديث النواس بن سميان " فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأته قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث انتهى طرفه".

وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" ليلة أسري بي لقيت موسى " قال فنعتته " فإذا رجل " أحسبه قال " مضطرب الرأس كأنه من رجال شنوءة " قال: " ولقيت عيسى " فنعتته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس " يعني الحمام " ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به " الحديث.

وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت موسى وعيسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط"، وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهرائي الناس المسيح الدجال فقال: " إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية".

ولمسلم عنه مرفوعاً " وأراني الله عند الكعبة في المنام وإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمتة بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا: هو المسيح ابن مريم ثم رأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور العين اليمنى

العلامة الكبرى الثالثة لقيام الساعة - طلوع الشمس من مغربها فدليله:
الحديث السابق في رقم (1).

وأخرج الترمذي حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) قَالَ: (طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعْهُ. (1)

4 - دليل خروج دابة الأرض:

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82) سورة النمل.

5 - دليل خروج قوم يأجوج ومأجوج:

(قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءُوكُمْ مِّنْ دُونِ الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكُمْ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) سورة الكهف.

(حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (96) سورة الأنبياء.

أول علامات الساعة ظهوراً؟:

أخرج أبو داود - باب علامات الساعة - حَدَّثَنَا مُؤَمِّلُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ

كأشبهه من رأيت بابل قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال ".

ثم رواه البخاري عن سالم عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر ولكن قال: " بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهدى بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهرق رأسه ماء - فقلت من هذا؟

فقالوا: ابن مريم فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبه طافية قلت من هذا؟ قالوا: الدجال وأقرب الناس به شبها ابن قطن ".

وقوله تعالى " ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا "

قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر بعبودية الله عز وجل.

وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: " وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس " إلى قوله " العزيز الحكيم ".

(١) قال المباركفوري في تحفة الأحوذى: (.. قوله: (قال طلوع الشمس من مغربها) أي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن المراد بقوله (بعض آيات ربك) هو طلوع الشمس من مغربها ".

قوله: (هذا حديث غريب) وأخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه) انتهى.

عَنْ أَبِي حَيَّانَ النَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ جَاءَ نَفَرٌ إِلَى مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ فَسَمِعُوهُ يُحَدِّثُ فِي الْآيَاتِ أَنَّ **أَوَّلَهَا الدَّجَالُ**، قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَحَدَّثَنِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَمْ يَقُلْ شَيْئاً سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدَّابَّةُ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، فَأَيُّتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ وَأَظُنُّ أَوَّلَهُمَا خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا) (1) ورواه: مسلم: ابن ماجه.

(1) قال المباركفوري في عون المعبود: (.. وقال في فتح الودود: يريد أن ما قاله باطل لا أصل له لكن نقل البيهقي عن الحلبي:

أن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها.

وذلك لأن الكفار يسلمون في زمان عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة فلو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزل عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم أيام عيسى، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً، ولذلك أول بعضهم هذا الحديث بأن الآيات إما أمارات دالة على قرب القيامة وعلى وجودها ومن الأول الدجال ونحوه، ومن الثاني طلوع الشمس ونحوه فأولية طلوع الشمس إنما هي بالنسبة إلى القسم الثاني انتهى.

(إن أول الآيات خروجاً) أي: ظهوراً ضحى بالتئوين أي وقت ارتفاع النهار.

قال العلقمي قال ابن كثير: أي أول الآيات التي ليست مألوفة وإن كان الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدتهم وأمثالهم مألوفة، فإن خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية انتهى.

وقال القرطبي في التذكرة: روى ابن الزبير أنها جمعت من كل حيوان، فرأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق النعامة وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخالصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كيش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثني عشر ذراعاً ذكره الثعلبي والماوردي وغيرهما ذكره العريزي.

(فأيتهما): بشدة المثناة التحتية (فالأخرى على أثرها): بفتحيتين وبكسر فسكون أي تحصل عقبها. (قال عبد الله): أي ابن عمرو (وكان يقرأ الكتب): جملة حاليتها وقائلها أبو زرعة أي والحال أن عبد الله بن عمرو كان يقرأ الكتب أي التوراة ونحوها من الكتب السماوية فالظاهر أن ما قاله عبد الله يكون مكتوباً فيها أو مستنبطاً منها.

(وأظن أولهما خروجاً إلخ): مقولة، قال: قال المنذري: وأخرجه مسلم وابن ماجه وليس في حديث ابن ماجه قصة مروان .) انتهى.

الفصل التاسع

الإيمان بعوالم الآخرة

المبحث الأول - الإيمان بالبعث من القبر للحساب.

المبحث الثاني - الإيمان بوجود الجنة والنار وأبديتهما.

المبحث الثالث - الإيمان بأن دخول الجنة بفضل الله تعالى؛ ودخول النار بعذله.

المبحث الرابع - الإيمان بعدم خلود أهل الكبائر في النار من الأمة المحمدية.

الفصل التاسع
الإيمان بعوالم الآخرة
المبحث الأول - الإيمان بالبعث من القبر للحساب

- وَتُؤْمِنُ:

1. آ - بِالْبَعْثِ مِنَ الْقَبْرِ
2. ب - وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛
3. ج - وَالْعَرْضِ؛
4. د - وَالْحِسَابِ؛
5. هـ - وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ؛
6. و - وَالثَّوَابِ؛
7. ز - وَالْعِقَابِ؛
8. ح - وَالصِّرَاطِ؛
9. ط - وَالْمِيزَانَ؛

المبحث الأول - الإيمان بالبعث من القبر للحساب

- وَتُؤْمِنُ:

1. أ - بالبعث من القبر
2. ب - وجزاء الأعمال يوم القيامة؛
3. ج - والعرض؛
4. د - والحساب؛
5. هـ - وقراءة الكتاب؛
6. و - والثواب؛
7. ز - والعقاب؛
8. ح - والصراط؛
9. ط - والميزان؛

الدليل القرآني:

1 - دليل البعث من القبور وإعادة الحياة:

(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) سورة الأعراف.

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) سورة الأعراف.

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) سورة يونس.

(أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) سورة الإسراء.

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) سورة الأنبياء.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا

عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) سورة الحج.
(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) سورة
العنكبوت.

(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19) سورة الروم.
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ
إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ (25) سورة الروم.
(وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) سورة الروم.
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ
ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) سورة الروم.
(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي
الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) سورة الروم.

(مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28) سورة لقمان.
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمِ الْغَيْبِ لَا
يَعُزُّبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3) سورة سبأ.
(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) سورة فاطر.
(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7) سورة
الحج.

(فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) سورة يس.
(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (78) سورة يس.
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) سورة فصلت.
(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11)
سورة الزخرف.

(وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) سورة الجاثية.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) سورة الأحقاف.
(أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15) سورة ق.

وسورة القيامة تعالج الشبه جميعها وترد عليها:

(لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالنَّفْعُ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) أُولَى لَكَ فَأُولَى (34) ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى (35) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخُلِقَ فَسَوَى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)

2 - دليل الجزاء على الأعمال يوم القيامة:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) سورة طه.

3 - دليل العرض:

(وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا (48) سورة الكهف.

(يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَاتُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) سورة الحاقة.

هـ - دليل قراءة أعمال الإنسان من كتابه:

(وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (13) سورة الإسراء.

4 - 5 - دليل الثواب والعقاب:

(فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَنَقْلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا

(11) سورة الانشقاق.
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)
سورة الزلزلة.

6 - دليل المرور على الصراط - وهو جسر فوق جهنم - :
(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جَذِيًّا (72) سورة مريم.
وروى البخاري - باب فضل السجود - عن أبي هريرة أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالَ: (هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ،

قَالَ: (فَهَلْ تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟) قَالُوا: لَا،
قَالَ: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا
فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ.
وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا
مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ
:أَنْتَ رَبُّنَا فَيَذَعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ
مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ.

وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ،
وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلِ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟
قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو.
حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا
مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ
تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ،
فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَسُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ
فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ
أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بَوَجهِهِ قَبْلَ النَّارِ.
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا،

فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي
اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ.
فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا
رَبِّ قَدَّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ:

(أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟).

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقَكَ.

فَيَقُولُ: (فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ).

فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ
فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ.

فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ
اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ: (وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ
لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟).

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ
فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

فَيَقُولُ: (تَمَنَّيْتُ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ).

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مَنْ كَذَا وَكَذَا) أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

قَالَ اللَّهُ: (لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ: (لَكَ ذَلِكَ
وَمِثْلُهُ مَعَهُ).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ)

(¹) ورواه: مسلم: الترمذي في سننه: النسائي: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.

7 - دليل ميزان الأعمال:

(١) قال الحافظ في الفتح: (اختلف في المراد بقوله " آثار السجود " ف قيل هي الأعضاء السبعة الآتي
ذكرها في حديث ابن عباس قريبا وهذا هو الظاهر، وقال عياض: المراد الجبهة خاصة.
ويؤيده ما في رواية مسلم من وجه آخر " أن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم
" فإن ظاهر هذه الرواية يخص العموم الذي في الأولى). انتهى.

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47) سورة الأنبياء.

المبحث الثاني
الإيمان بوجود الجنة والنار وأبديتهما

- 1 - والجنة؛ والنار مخلوقتان؛
- لا تفنّيان (لا يفنّيان - ب - غ) أبداً (أ - ب)؛
- ولا تبّيدان (ولا يبّيدان - ب - غ)؛

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:
الدليل القرآني:

- آ - دليل خلق ووجود الجنة الآن:
قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الوصية:
ب - دليل خلود المؤمنين في الجنة يوم القيامة:
- دليل خلق ووجود النار الآن:
- دليل خلود الكافرين في النار يوم القيامة:

المبحث الثاني الإيمان بوجود الجنة والنار وأبديتهما

1 - والجنة؛ والنار مخلوقتان؛
- لا تفنيان (لا يفنيان - ب - غ) أبداً (أ - ب)؛
- ولا تبيدان (ولا يبيدان - ب - غ)؛

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (ومن قال: إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين. فقل له: هما شيء؛ أو ليستا بشيء؟ وقد قال الله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) [سورة القمر]؛ وقال تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا (46) [سورة غافر] فإن قال: إنهما تفنيان. فقل له: وصف الله نعيمهما بقوله: (لا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ (33) [سورة الواقعة]، ومن قال: هما تفنيان بعد دخول أهلها فيهما؛ فقد كفر بالله تعالى؛ لأنه أنكر الخلود فيهما.)⁽¹⁾

أ - دليل خلق ووجود الجنة الآن:
(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) سورة البقرة. فالجنة مخلوقة حيث كان فيها سيدنا آدم وأما حواء.
(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) سورة آل عمران. فكلمة (أُعِدَّتْ) بصيغة الماضي دليل خلقها ووجودها الآن.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الوصية: (والجنة والنار حق؛ وهما مخلوقتان؛ لا فناء لهما، لقوله تعالى في حق الجنة: (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [سورة آل عمران: 133] وفي حق النار: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [سورة البقرة: 24]، خلقهما الله للثواب والعقاب.)

ب - دليل خلود المؤمنين في الجنة يوم القيامة:
(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) سورة النساء. فكلمة (أبدًا) دليل الخلود الدائم المستمر.
- دليل خلق ووجود النار الآن:

⁽¹⁾ انظر رسالة الفقه الأبيسط.

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) سورة البقرة.

(وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) سورة آل عمران.

- دليل خلود الكافرين في النار يوم القيامة:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) سورة النساء. (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (65) سورة الأحزاب.

(إِلَّا بِلَاغاً مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً (23) سورة الجن.

فكلمة (أبداً) تدل على الخلود الأبدي الذي لا نهاية له.

قال الإمام أبو حنيفة النعمان في الفقه الأكبر:

(والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين

أبداً، ولا يفنى عقاب الله تعالى، وثوابه سرمداً).

وقال في رسالة (العالم والمتعلم): (والجنة والنار حق؛ وهما مخلوقتان؛ لا

فناء لهما، لقوله تعالى في حق الجنة: (..أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) [سورة آل عمران]، وفي حق النار: (..أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) [سورة البقرة]، خلقهما الله للثواب والعقاب).

وقال في رسالة الوصية: (وأهل الجنة في الجنة خالدون، وأهل النار في

النار خالدون، لقوله تعالى في حق المؤمنين: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) [سورة البقرة]، وفي حق الكافرين: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) [سورة البقرة]).

المبحث الثالث
الإيمان بأن دخول الجنة بفضل الله تعالى؛
ودخول النار بعذله

- 1 - وإنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ؛
- وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا؛
- فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ؛
- وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ؛

المبحث الثالث
الإيمانُ بأنْ دخول الجنةِ بفضلِ الله تعالى؛
ودخول النارِ بعذله

1 - وإنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجنةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ؛

- وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا؛

- فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الجنةِ فَضْلًا مِنْهُ؛

- وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ؛

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الفقه الأكبر: (والله تعالى: متفضل على عباده؛ عادل؛ قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد؛ تفضلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو؛ فضلاً منه).
الدليل القرآني:

(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (105) سورة البقرة.

(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) سورة آل عمران.

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70) سورة النساء.

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) سورة الحديد. (1).

- دليل دخول النار بعذل الله وعدم ظلمه للداخلين:

(1) روى البخاري في كتاب المرضى أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ) قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ). ورواه مسلم: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) سورة آل عمران.

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (182) سورة آل عمران.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) سورة النساء.

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) سورة الأنعام.

(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54) سورة يونس.

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47) سورة الأنبياء.

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) سورة الزلزلة.

المبحث الرابع
الإيمان بعدم خلود أهل الكبائر في النار
من الأمة المحمدية

- 1 - وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ؛
- مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
- فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ؛
- إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ؛
- وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ؛
- بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ؛
- وَهُمْ فِي مَشِينَتِهِ؛
- وَحُكْمِهِ؛
- إِنْ شَاءَ:
- غَفَرَ لَهُمْ؛ وَعَفَا عَنْهُمْ؛ بِفَضْلِهِ؛
- كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (سورة النساء)؛
- وَإِنْ شَاءَ:
- عَذِبُهُمْ فِي النَّارِ؛ بِعَذْلِهِ؛
- ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا:
- بِرَحْمَتِهِ؛
- وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛
- ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛
ب - ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:
- مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ؛
- وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلٍ نُكْرَتِهِ:
- الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ؛
- وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ (كَرَامَتِهِ - ب)؛
ج - اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛
ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ (مَسْكُنًا بِالْإِسْلَامِ - ب) حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ؛

المبحث الرابع
الإيمان بعدم خلود أهل الكبائر في النار
من الأمة المحمدية

- 1 - وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ؛
- مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
- فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ؛
- إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ:
- وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ؛
- بَعْدَ أَنْ لَفَّوْا اللَّهَ عَارِفِينَ؛
- وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ؛
- وَحُكْمِهِ؛
- إِنْ شَاءَ:
- غَفَرَ لَهُمْ؛ وَعَفَا عَنْهُمْ؛ بِفَضْلِهِ؛
- كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ:
(وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (48).
[سورة النساء]؛
- وَإِنْ شَاءَ:
- عَذِبَهُمْ فِي النَّارِ؛ بِعَذَلِهِ؛
- ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا:
- بِرَحْمَتِهِ؛
- وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛
- ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛
ب - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:
- مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ؛
- وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلٍ نُكِرَتِهِ:
- الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ؛
- وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ (كَرَامَتِهِ - ب)؛

**ج - اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛
ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ (مَسْكُنًا بِالْإِسْلَامِ - ب) حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ؛**

آ - دليل عدم خلود أهل الكبائر في النار:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (48) سورة النساء.

- دليل الشفاعة وأنها هبة من الله تعالى لمن شاء من عباده:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (255) سورة البقرة.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (28) سورة الأنبياء.

(لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) (87) سورة مريم.

ب - دليل ولاية الله للمؤمنين:

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (257) سورة البقرة.

(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (68) سورة آل عمران.

(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (122) سورة آل عمران.

(إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) (19) سورة الجاثية.

د - دليل عدم تساوي المؤمن والكافر عند الله تعالى:

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (21) سورة الجاثية.

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) (18) سورة السجدة.

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) سورة القلم.

ج - دليل دعاء التثبيت على الإيمان والوفاء عليه:

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
(8) سورة آل عمران.
(وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّانَا
مُسْلِمِينَ (126) سورة الأعراف.
(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)
سورة يوسف.

الفصل العاشر

الإيمان بالإسلام ديناً؛

وشريعة خالدة إلى يوم القيامة

المبحث الأول - الإيمان بالإسلام ديناً.

المبحث الثاني - الإيمان بالإسلام شريعة - بعض التشريعات المتميزة - .

المبحث الثالث - اتباع السنة النبوية، وجماعة المسلمين وإجماعهم.

المبحث الرابع - الإيمان بوجوب: حُبِّ آل بيت رسول الله (وزوجاته

الطاهرات جميعهن، وحُبِّ أصحابه الكرام جميعهم، ومن تبعهم بإحسان.

المبحث الخامس - إثبات الخلافة الراشدة.

المبحث السادس - في السياسة الشرعية: عدم الخروج على ولاة

المسلمين.

المبحث السابع - الحب والبغض في الله والله تعالى.

المبحث الثامن - عصمة دماء المسلمين ما لم يقتربوا حدّاً من حدود الله

يوجب القصاص.

الفصل العاشر
الإيمان بالإسلام ديناً؛
وشريعة خالدة إلى يوم القيامة

المبحث الأول - الإيمان بالإسلام ديناً

- 1 - ودينُ الله في الأرض والسماء: واحدٌ؛ وهو دينُ الإسلام:
- كما قال الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (19)).
[سورة آل عمران]؛
- وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (3) [سورة المائدة]؛
- 2 - وهو أي الإسلام:
أ - بين الغلو والتقصير؛
ب - وبين التشبيه والتعطيل؛
ج - وبين الجبر والقدر؛
د - وبين الأمن والإياس؛

الفصل العاشر
الإيمان بالإسلام ديناً؛
وشريعة خالدة إلى يوم القيامة

المبحث الأول - الإيمان بالإسلام ديناً

1 - ودينُ الله في الأرض والسماء: واحدٌ؛ وهو دينُ الإسلام:
- كما قال الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (19) [سورة آل عمران].
- وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (3) [سورة المائدة]؛

الدليل القرآني:
(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
(85) سورة آل عمران.
(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ (125) سورة الأنعام.
(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) سورة الزمر.

2 - وهو أي الإسلام:
أ - بين الغلو والتقصير؛
ب - وبين التشبيه والتعطيل؛
ج - وبين الجبر والقدر؛
د - وبين الأمن والإياس؛

أ - دليل توسط التشريع بين الغلو والتقصير:
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى
عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ (143) سورة البقرة.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) سورة النساء.

ب - دليل توسط العقيدة بين التشبيه والتعطيل:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) سورة الشورى.

ج - دليل توسط الإيمان بالقضاء والقدر بين الجبر والقدر:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(51) سورة التوبة.

(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) سورة التوبة.

د - دليل التوسط بين الأمن والإياس:

(يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا إِنَّهُ لَا يِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَةُ الْكَافِرُونَ (87) سورة يوسف.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ (23) سورة العنكبوت.

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218) سورة البقرة.

المبحث الثاني
الإيمان بالإسلام شريعة
- بعض التشريعات المتميزة -

- 1 - ونرى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛
وعلى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ؛
- 2 - ونرى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ:
- فِي السَّفَرِ؛
- وَالْحَضَرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ؛
- 3 - وَالْحَجَّ؛ وَالْجِهَادَ:
- (فَرَضَانِ) ماضِيَانِ:
- مَعَ أُولَى الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛
- بَرَّهُمْ؛ وَفَاجِرِهِمْ؛ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛
- لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ (وَلَا يُنْقِضُهُمَا - أ - غ)؛

المبحث الثاني
الإيمان بالإسلام شريعة
- بعض التشريعات المتميزة -

**1 - ونرى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛
وعلى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ؛**

الدليل:

روى البخاري في كتاب الأذان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُصَلُّونَ لَكُمْ؛ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ) ورواه أحمد.

**2 - ونرى المَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ:
- في السَّفَرِ؛
- والحَضَرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ؛**

الدليل القرآني:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) سورة المائدة. (1).

(1) نورد فيما يلي مناقشة الإمام الكاساني - من أئمة المذهب الحنفي - فقد ناقش الموضوع مناقشة موضوعية فقال في باب الوضوء:

■ (الرابع) (أي من فرائض الوضوء) - غسل الرجلين مرة واحدة: لقوله تعالى: (وأرجلكم إلى الكعبين) بنصب اللام من الأرجل معطوفاً على قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) كأنه قال: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم، والأمر المطلق لا يقتضي التكرار.

■ (مناقشة مسح الرجلين أو غسلهما):

■ وقالت الرافضة الفرض هو المسح لا غير، وقال الحسن البصري: بالتخيير بين المسح والغسل، وقال بعض المتأخرين: بالجمع بينهما.

■ وأصل هذا الاختلاف: أن الآية قرئت بقراءتين بالنصب والخفض:

■ (دليل المسح):

■ فمن قال بالمسح أخذ بقراءة الخفض؛ فإنها تقتضي كون الأرجل ممسوحة لا مغسولة؛ لأنها تكون معطوفة على الرأس؛ والمعطوف يشارك المعطوف عليه في الحكم، ثم وظيفة الرأس المسح؛ فكذا وظيفة الرجل، ومصدق هذه القراءة أنه اجتمع في الكلام عاملان:

■ أحدهما: قوله (فاغسلوا)،

■ والثاني: حرف الجر وهو الباء في قوله: (برؤسكم) والباء أقرب فكان الخفض أولى.

■ (دليل التخيير بين المسح والغسل):

■ ومن قال بالتخيير يقول: إن القراءتين قد ثبت كون كل واحدة منهما قرآناً وتعذر الجمع بين موجبيهما، وهو وجوب المسح والغسل، إذ لا قائل به في السلف فيخير المكلف إن شاء عمل بقراءة النصب فغسل، وإن شاء بقراءة الخفض فمسح، وأيهما فعل يكون إتياناً بالمفروض، كما في الأمر بأحد الأشياء الثلاثة.

■ ومن قال بالجمع يقول: القراءتان في آية واحدة بمنزلة آيتين فيجب العمل بهما جميعاً ما أمكن، وأمكن ههنا لعدم التنافي إذ لا تنافي بين الغسل والمسح في محل واحد فيجب الجمع بينهما.

■ (دليل غسل الرجلين وترجيحه):

■ (ولنا) قراءة النصب، وأنها تقتضي كون وظيفة الأرجل الغسل؛ لأنها تكون معطوفة على المغسولات وهي: الوجه واليدان، والمعطوف على المغسول يكون مغسولاً تحقيقاً لمقتضى العطف، وحجة هذه القراءة وجوه:

■ أحدها ما قاله بعض مشايخنا إن قراءة النصب محكمة في الدلالة على كون الأرجل معطوفة على المغسولات، وقراءة الخفض محتملة؛ لأنه يحتمل أنها معطوفة على الرؤس حقيقة، ومحلها من الإعراب الخفض، ويحتمل أنها معطوفة على الوجه واليدين حقيقة، ومحلها من الإعراب النصب، إلا أن خفضها للمجاور قواعد الإعراب بالمجاورة طريقة شائعة في اللغة بغير حائل وبجائز:

■ أما بغير الحائل فكقولهم: حجر ضب خرب، وماء شن بارد، والخرب نعت الحجر لا نعت الضب، والبرودة نعت الماء لا نعت الشن، ثم خفض لمكان المجاورة.

■ وأما مع الحائل فكما قال تعالى: (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق) إلى قوله (وحورعين) لأنهن لا يطاف بهن، وكما قال الفرزدق:

فهل أنت إن ماتت أنانك راكب إلى زل بسطام بن قيس فخطب

فثبت أن قراءة الخفض محتملة؛ وقراءة النصب محكمة، فكان العمل بقراءة النصب أولى.

إلا أن في هذا إشكالاً وهو: أن هذا الكلام في حد التعارض، لأن قراءة النصب محتملة أيضاً؛ في الدلالة على كون الأرجل معطوفة على اليدين والرجلين، لأنه يحتمل أنها معطوفة على الرأس والمراد بها المسح حقيقة؛ لكنها نصبت على المعنى لا على اللفظ؛ لأن الممسوح به مفعول به، فصار كأنه قال تعالى: (وامسحوا برؤسكم). والإعراب قد يتبع: اللفظ؛ وقد يتبع المعنى، كما قال الشاعر:

معاوى اننا بشر فاسجج فلسنا بالجمال ولا الحديد

نصب الحديد عطفاً على الجبال بالمعنى لا باللفظ، معناه: فلسنا الجبال ولا الحديد، فكانت كل واحدة من القراءتين محتملة في الدلالة من الوجه الذي ذكرنا؛ فوقع التعارض.

{ القراءتين محتملتين فيطلب الترجيح }:

فيطلب الترجيح من جانب آخر وذلك من وجوه:

- أحدها: أن الله تعالى مد الحكم في الأرجل إلى الكعبين، ووجوب المسح لا يمتد إليهما.

■ - **والثاني:** أن الغسل يتضمن المسح، إذ الغسل إسالة، والمسح إصابة، وفي الإسالة إصابة وزيادة، فكان ما قلناه عملاً بالقراءتين معاً، فكان أولى.

■ - **والثالث:** أنه قد روى جابر وأبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قوماً تلوح أعقابهم لم يصبها الماء، فقال: (ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء) (رواه الثمانية).

■ وروى أنه توضأ مرة مرة وغسل رجليه وقال: (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به) (رواه لبن ماجه).

ومعلوم أن قوله: (ويل للأعقاب من النار) وعيد لا يستحق إلا بترك المفروض، وكذا نفي قبول صلاة من لا يغسل رجليه في وضوئه، فدل أن غسل الرجلين من فرائض الوضوء.

{ **والرابع** } وقد ثبت بالتواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل رجليه في الوضوء، لا يجحده مسلم، فكان قوله وفعله بيان المراد بالآية، فثبت بالدلائل المتصلة والمنفصلة أن الأرجل في الآية معطوفة على المغسول لا على الممسوح، فكان وظيفتها الغسل لا المسح، على أنه إن وقع التعارض بين القراءتين، فالحكم في تعارض القراءتين كالحكم في تعارض الآيتين، وهو أنه إن أمكن العمل بهما مطلقاً يعمل، وإن لم يمكن للتنافي، يعمل بهما بالقدر الممكن، وههنا لا يمكن الجمع بين الغسل والمسح في عضو واحد في حالة واحدة؛ لأنه لم يقل به أحد من السلف، ولأنه يؤدي إلى تكرار المسح لما ذكرنا أن الغسل يتضمن المسح.

(حمل قراءة الغسل على الرجلين، وقراءة المسح على الخفين توفيقاً بين القراءتين):

والأمر المطلق لا يقتضى التكرار، فيعمل بهما في الحالتين فتحمل قراءة النصب على ما إذا كانت الرجلان باديتين، وتحمل قراءة الخفض على ما إذا كانتا مستورتين بالخفين، توفيقاً بين القراءتين وعملاً بهما بالقدر الممكن، وبه تبين أن القول بالتخيير باطل عند إمكان العمل بهما في الجملة، وعند عدم الإمكان أصلاً ورأساً لا يخير أيضاً بل يتوقف على ما عرف في أصول الفقه.

- 3 - والحج؛ والجهاد:
 - (فَرْضَانِ) ماضِيَانِ:
 - مع أولي الأمر من المسلمين؛
 - برّهم؛ وفاجرهم؛ إلى قيام الساعة؛
 - لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ (ولا يُنْقِضُهُمَا - أ - غ)؛

من هم أولي أمر المسلمين:
 الآيات القرآنية التي وردت في أولي الأمر:
 قال الله تعالى:

- 1- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) سورة النساء.
 2- (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ
 وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83) سورة النساء.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (جور ستين سنة خير من هرج ساعة، فلا
 يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور أو فاسق يتمنى كل محذور الفوضى).

- دليل الحج ماض إلى يوم القيامة:
 (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
 عَنِ الْعَالَمِينَ (96) سورة آل عمران.
 - دليل الجهاد ماض إلى يوم القيامة:
 (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً (36) سورة التوبة.
 قال البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الجهاد ماض مع البرّ والفاجر
 لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الخیل معقود في نواصيها الخير إلى يوم

الْقِيَامَةِ). (1) ورواه: الثمانية.
وأخرج البخاري عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ: الْأَجْرُ؛ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).
ورواه: الثمانية.

وروى أبو داود في كتاب الجهاد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُكْفَرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ

(1) قال الحافظ في الفتح: (قوله: (باب الجهاد ماض مع البر والفاجر) هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه بنحوه أبو داود وأبو يعلى مرفوعا وموقوفا عن أبي هريرة، ولا بأس برواته، إلا أن مكحولا لم يسمع من أبي هريرة.

وفي الباب عن أنس أخرجه سعيد بن منصور وأبو داود أيضا وفي إسناده ضعف.
قوله: (لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ الْخ) سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد، لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر.
وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل، وفيه أيضا بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون، وهو مثل الحديث الآخر " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق " الحديث.

واستنبط منه الخطابي إثبات سهم للفرس يستحقه الفارس من أجله، فإن أراد السهم الزائد للفرس على الرجل فلا نزاع فيه، وإن أراد أن للفرس سهمين غير سهم راكمه فهو محل النزاع ولا دلالة من الحديث عليه، وسيأتي القول فيه قريباً إن شاء الله تعالى.

(تنبيه): حكى ابن التين أنه وقع في رواية أبي الحسن القاسبي في لفظ الترجمة " الجهاد ماض على البر والفاجر " قال: ومعناه أنه يجب على كل أحد.

قلت - أي ابن حجر - : إلا أنه لم يقع في شيء من النسخ التي وقفنا عليها، وقد وجدته في نسخة قديمة من رواية القاسبي كالجماعة، والذي يليق بلفظ الحديث ما وقع في سائر الأصول بلفظ " مع " بدل " على " والله أعلم.

(تكملة): روى حديث " الخيل معقود في نواصيها الخير " جمع من الصحابة غير من تقدم ذكره، وهم ابن عمر وعروة وأنس وجريير، وممن لم يتقدم سلمة بن نفيل وأبو هريرة عند النسائي وعتبة بن عبد عند أبي داود وجابر وأسماء بنت يزيد وأبو ذر عند أحمد والمغيرة وابن مسعود عند أبي يعلى وأبو كبشة عند أبي عوانة وابن حبان في صحيحيهما وحذيفة عند البزار وسودة بن الربيع وأبو أمامة وعريب - وهو بفتح المهلة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم موحدة - المليكي والنعمان بن بشير وسهل بن الحنظلية عند الطبراني وعن علي عند ابن أبي عاصم في الجهاد.
وفي حديث جابر من الزيادة في نواصيها الخير والنيل " وهو بفتح النون وسكون التحتانية بعدها لام، وزاد أيضا " وأهلها معانون عليها، فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة ".
وقوله " وأهلها معانون عليها " في رواية سلمة بن نفيل أيضا (انتهى.

أَخْرَأُمْتِي الدَّجَالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ. (1) وانفرد به.

(1) وروى أحمد في مسند المكثرين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ أَوْصِنِي فَقَالَ سَأَلْتُ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِكَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ) وانفرد به.

وروى أحمد أيضاً عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) وانفرد به.

وأما شرح الحديث فقال في عون المعبود شرح أبي داود: (ثلاث): أي ثلاث خصال (من أصل الإيمان): أي من أساسه وقاعدته.

(الكف عن قال لا إله إلا الله): أي وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن قالها وجب الامتناع عن التعرض لنفسه وماله.

(ولا تكفره): بالتاء فهي، وفي بعض النسخ بالنون فهو نفي، والتكفير والإكفار نسبة أحد إلى الكفر (ولا تخرجه): بالوجهين.

(بعمل): أي ولو كبيرة سوى الكفر خلافا للمعتزلة في إخراج صاحب الكبير إلى منزله بين المنزلتين.

(والجهاد ماض): أي والخصلة الثانية كون الجهاد ماضياً وناظراً وجارياً ومستمراً (منذ بعثني الله): أي من ابتداء زمان بعثني الله (إلى أن يقاتل آخر أمتي): يعني عيسى أو المهدي (الدجال): مفعول.

وبعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقياً. أما على يأجوج ومأجوج فلعدم القدرة عليهم، وعند ذلك لا وجوب عليهم بنص آية الأنفال، وأما بعد إهلاك الله إياهم لا يبقى على وجه الأرض كافر ما دام عيسى عليه الصلاة والسلام حياً في الأرض، وأما على من كفر من المسلمين بعد عيسى عليه الصلاة والسلام فلموت المسلمين كلهم عن قريب بريح طيبة وبقاء الكفار إلى قيام الساعة. قاله القاري.

(لا يبطله.. إلخ) بضم أوله، والمعنى لا يسقط الجهاد كون الإمام ظالماً أو عادلاً وهو صفة ماض أو خبر بعد خبر.

(والإيمان بالأقدار): أي بأن جميع ما يجري في العالم هو من قضاء الله وقدره، وهذه هي الخصلة الثالثة. والحديث سكت عنه المنذري. انتهى.

وقال عضد الدين الأيجي في كتابه المواقف: ولا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القدير العليم أو إشراك أو إنكار بالنبوة أو ما علم مجيئه بالضرورة أو المجمع عليه كاستحلال المحرمات وأما ما عداه فالقائل به مبتدع لا كافر.

وقال صاحب الذخيرة: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الذي يمنع التكفير تحسيناً بالظن للمسلم إن كان نية القائل الوجه الذي يمنع التكفير فهو مسلم وإن كان نيته الوجه الذي يوجب التكفير لاتنفعه فتوى المفتي.

قال ابن عابدين في رد المحتار: لو وجدت سبعون رواية متفقة على تكفير المؤمن ورواية ولو ضعيفة بعدمه يأخذ القاضي والمفتي بها دون غيرها. وقال أيضاً في عقود رسم المفتي نظاماً:

وكل قول جاء ينفي الكفراً * عن مسلم ولو ضعيفاً أخرى

ونقل أبو سعيد الخادمي في شرح الطريقة المحمدية عن أبي حنيفة: لا يكون الكفر كفراً حتى يعتقد عليه القلب.

- دليل بقاء الحج والجهاد مع أولي الأمر المسلمين برهم وفاجرهم:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (59)
سورة النساء.

أخرج أبو داود في سننه⁽¹⁾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برا كان أو فاجرا ،
والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا ، وإن عمل الكبائر ،
والصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا ، وإن عمل الكبائر).
وأخرج أبو داود في سننه⁽²⁾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: (الصلاة المكتوبة واجبة خلف كل مسلم برا كان أو
فاجرا وإن عمل الكبائر).

⁽¹⁾ سنن أبي داود - كتاب الجهاد- باب في الغزو مع أئمة الجور - حديث: 2184

⁽²⁾ سنن أبي داود - كتاب الصلاة- باب إمامة البر والفاجر - حديث: 507

المبحث الثالث
اتباع السنة النبوية، وجماعة المسلمين وإجماعهم

- 1 - وَتَتَّبِعُ: السُّنَّةَ؛ وَالْجَمَاعَةَ؛
وَنَجْتَنِبُ: الشُّذُودَ؛ وَالْخِلَافَ؛ وَالْفُرْقَةَ؛
- 2 - وَنَرَى:
- الْجَمَاعَةَ: حَقًّا؛ وَصَوَابًا؛
- وَالْفُرْقَةَ: زَيْغًا؛ وَعَذَابًا؛
- 3 - وَلَا (نُصَدِّقُ) مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ:
آ - الْكِتَابَ؛
ب - وَالسُّنَّةَ؛
ج - وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ؛

المبحث الثالث اتباع السنة النبوية، وجماعة المسلمين وإجماعهم

1 - وَنَتَّبِعُ: السُّنَّةَ؛ وَالْجَمَاعَةَ؛ وَنَجْتَنِبُ: الشُّذُودَ؛ وَالْخِلَافَ؛ وَالْفُرْقَةَ؛

- دليل اتباع السنة:
(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (80) سورة النساء).
- دليل اتباع الجماعة:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ (119) سورة التوبة.
(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) سورة آل عمران.
- دليل اجتناب الشذوذ؛ والخلاف والفرقة:
(وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) سورة الأنفال.
(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) سورة آل عمران.
- (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) سورة الشورى.

2 - وَنَرَى: الْجَمَاعَةَ: حَقًّا؛ وَصَوَابًا؛ وَالْفُرْقَةَ: زَيِّغًا؛ وَعَذَابًا؛

- دليل أن الجماعة حق وصواب:
(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (103) سورة آل عمران.
- دليل أن الفرقة زيغ وعذاب:
(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) سورة آل عمران.
(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (13) سورة الشورى.

3 - ولا (نُصَدِّقُ) مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ:

أ - الْكِتَابَ ؛

ب - وَالسُّنَّةَ ؛

ج - وَاجْمَاعِ الْأُمَّةِ ؛

أ - دليل عدم تصديق شيء يخالف الكتاب والسنة:

(أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) سورة

المائدة.

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114) سورة الأنعام.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41) سورة الرعد.

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36) سورة النور.
(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (50) سورة النور.

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10) سورة الشورى.

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (8) سورة التين.

(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14) سورة النساء.

(إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23) سورة الجن.

ب - دليل عدم تصديق شيء يخالف الرسول ﷺ:

(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) سورة التوبة.

(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ

يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوِادًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) سورة النور.

ج - دليل عدم تصديق شيء يخالف إجماع الأمة:
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (1) وَيَكُونَ الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ (143) سورة البقرة
(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115) (2) سورة النساء.
(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (3)
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ (110) سورة آل عمران.
وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى
يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) (4) ورواه: النسائي: أبو داود: مسلمي: أحمد في مسنده.

(1) قال السيوطي: (فيه دلالة على حجية إجماع الأمة) انظر الإكليل في استنباط التنزيل ص33.
(2) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى" أي ومن سلك غير
طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن
عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.
وقوله "ويتبع غير سبيل المؤمنين" هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع
وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم
العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم.
وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب أحاديث الأصول.
ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون
الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن
الاستنباطات وأقواها) انتهى باختصار.
(3) قال البيضاوي في تفسيره: (واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة؛ لأنها تقتضي كونهم أمراء
بكل معروف، وناهين عن كل منكر، إذ اللام فيهما للاستغراق، فلو أجمعوا على باطل؛ كان أمرهم
على خلاف ذلك.) انتهى.
(4) قال النووي في شرحه: (.. وأن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (حتى يأتي أمر الله) من الريح
التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة.
وأن المراد برواية من روى (حتى تقوم الساعة) أي: تقرب الساعة، وهو خروج الريح.
وأما هذه الطائفة؟ فقال البخاري: هم أهل العلم.

المبحث الرابع

الإيمانُ بوجوب:

حُبِّ آل بيتِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم
وزوجاته الطاهرات جميعهن رضي الله عنهن،
وحُبِّ أصحابه الكرام جميعهم، رضي الله عنهم،
ومن تبعهم بإحسان.

1 - وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلِ:

- فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ؛
- وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ؛
- فَقَدْ بَرِيَ مِنَ النِّفَاقِ؛

2 - وَنَحَبُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَلَا نَقَرُطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛
- وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛
- وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ؛
- وَبَغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ؛
- وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛
- وَحُبُّهُمْ:

وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟
قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين:

منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث.

وفيه دليل لكون الإجماع حجة، وهو أصح ما استدلل به له من الحديث، وأما حديث " لا تجتمع أمتي على ضلالة " فضعيف. والله أعلم. انتهى.

وروى أبو داود عن أبي مالك يعنِي الأشعري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالٍ: أَنْ لَا يَدْعُو عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا، وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ) ورواه الطبراني.

- دِينَ؛
- وَإِيمَانٌ؛
- وَإِحْسَانٌ؛

- وَبُغْضُهُمْ؛
- كُفْرٌ؛
- وَنِفَاقٌ؛
- وَطُغْيَانٌ؛

عدالة الصحابة فريضة قرآنية:

- وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ:
- سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- وَبَشَّرَهُمُ بِالْجَنَّةِ:
- نَشَّهَدُ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ؛
- عَلَى مَا شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ:

- 1 - أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيقُ (1)]؛
- 2 - وَعُمَرُ [بْنُ الْخَطَّابِ]؛
- 3 - وَعُثْمَانُ [بْنُ عَفَّانٍ]؛
- 4 - وَعَلِيٌّ [بْنُ أَبِي طَالِبٍ]؛
- 5 - وَطَلْحَةُ [بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ]؛
- 6 - وَالزُّبَيْرُ [بْنُ الْعَوَّامِ]؛
- 7 - وَسَعْدُ [بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ]؛
- 8 - وَسَعِيدُ [بْنُ زَيْدٍ]؛
- 9 - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ؛
- 10 - وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛

(1) ما كان بين قوسين [] ليس في الأصل.

المبحث الرابع
الإيمان بوجوب:
حُب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وزوجاته الطاهرات جميعهن،
وحُب أصحابه الكرام جميعهم،
ومن تبعهم بإحسان

1 - وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلِ:

- فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ؛
- وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ؛
- فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ النِّفَاقِ؛

- دليل حب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) سورة الفتح.
ورضى الله لا يتبدل ولا يتغير، وكان في البيعة أكثر من ألف ومئتي صحابي
من المهاجرين والأنصار، وفيهم الخلفاء الراشدون.

- دليل حب زوجات الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - الطاهرات

جميعهن:

(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (6) سورة الأحزاب.

فمن انتقص واحدة منهن فإنما ينتقص أمه بنص الآية، وينتقص رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الذي مات وهو عنهن راض، وهن زوجاته الطاهرات
التقيات اللواتي آثرن رسول الله على الدنيا وما فيها.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي

بَيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) سورة الأحزاب.
فسياق الآية هو زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويدل الضمير (ويطهركم) على أنه عم غير زوجاته كفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم. كما أن الوحي كان يتنزل في بعض بيوتهن.

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) سورة الأحزاب.

فهل هناك أفضل من تزويج الله تعالى نبيه بلا مهر؟! طبعاً لا.
(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52) سورة الأحزاب. وهذه الآية نسخت الآية التي سبقتها في النزول وهي قوله تعالى:
(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5) سورة التحريم.
وهل هناك أفضل من حكم الله تعالى لنبيه (في الحفاظ على زوجاته وعدم تبديلهن!!).

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) سورة التحريم.
وهذا دليل الرعاية الإلهية للزوجات الطاهرات من أمهات المؤمنين.

- دليل حب نرية الرسول ﷺ:
(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) سورة الأحزاب.

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) سورة الشورى.

روى البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء - عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ

إبراهيم وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). ورواه: مسلم: النسائي: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده: ط.

2 - وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَلَا نَفَرُّ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛

- وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛

- وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ؛

- وَبَغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ؛

- وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛

- وَحُبُّهُمْ:

- دِينٌ؛

- وَإِيمَانٌ؛

- وَإِحْسَانٌ؛

- وَبُغْضُهُمْ:

- كُفْرٌ؛

- وَنِفَاقٌ؛

- وَطُغْيَانٌ؛

قال عبد القاهر البغدادي في نهاية كتابه (الفرق بين الفرق):

(أجمع أهل السنة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة، وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من: كِنْدَةَ؛ وَفَزَارَةَ؛ وَبَنِي أَسَدٍ؛ وَبَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لم يكونوا من الأنصار ولا المهاجرين قبل فتح مكة، وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة، وأولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم؛ والصراط المستقيم).

وأجمع أهل السنة أن من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرًا من أهل الجنة، وكذلك من شهد معه أحدًا غير قزمان الذي استثناه الخبر (حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قزمان (هو في النار) - رغم بسالته - فتعجب من حضر، فإذا به يقع جريحاً ولا يصبر على الألم، فيقتل نفسه، وكذلك

كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية). انتهى.

عدالة الصحابة فريضة قرآنية، وليست نظرية اجتهدية بشرية:

1 - (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) سورة التوبة.

2 - (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) سورة التوبة.

فالصحبة ثبتت بالنص لأبي بكر رضي الله عنه، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: لا تحزن إن الله معنا، مفخرة لأبي بكر إلى يوم القيامة، ولم يقل له: إن الله معي وحدي فلا تخف، وإنما شملت المعية أبا بكر رضي الله عنه، وكذلك إمامة أبي بكر بالناس في الصلاة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقتداء سيدنا علي كرم الله وجهه به، وإمامته في الحج كذلك وانضوائه تحت إمرة أبي بكر في أول حجة في تاريخ الإسلام، حيث كانت مهمة علي ثلاثة آيات أوائل سورة براءة على الناس، ليعلم المشركون بتلك التبرئة وانتهاء العهد، وتابع علي حجه تحت قيادة أبي بكر رضي الله عنهما، كل ذلك أهله أن يكون خليفة المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومبايعة الصحابة له بلا استثناء.

3 - (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) سورة الفتح.

4 - (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) سورة الفتح.

وهل هناك أفضل شهادة وتزكية من مبايعة الله ورسوله ﷺ للصحابة في بيعة الرضوان في الحديبية عندما وصل نبأ قتل المشركين لسيدنا عثمان فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب البيعة على قتال المشركين، فقام المهاجرون والأنصار - وكانوا أكثر من ألف وأربعمئة صحابي فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الشهادة في سبيل الله، ثم نزلت الآية لتؤكد شهادة الله للبيعة.

5 - (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ

ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) سورة الفتح.

6 - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8) سورة التحريم.

والآيات في ذلك كثيرة.

3 - وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ:

- سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَبَشَّرَهُم بِالْجَنَّةِ:

- نَشَّهَدُ لَهُم بِالْجَنَّةِ؛

- عَلَى مَا شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ:

1 - أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيق]؛

2 - وَعُمَرُ [بْنُ الْخَطَّاب]؛

3 - وَعُثْمَانُ [بْنُ عَفَّان]؛

4 - وَعَلِيٌّ [بْنُ أَبِي طَالِب]؛

5 - وَطَلْحَةُ [بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ]؛

6 - وَالزُّبَيْرُ [بْنُ الْعَوَّام]؛

7 - وَسَعْدُ [بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ]؛

8 - وَسَعِيدُ [بْنُ زَيْدٍ]؛

9 - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ؛

10 - وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛

الدليل النبوي:

روى الترمذي - باب مناقب عبد الرحمن بن عوف - حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مِسْمَارٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ مُوسَى بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ حَدَّثَهُ فِي نَفَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
 (عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ
 وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ).
 قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ.
 فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ مَنْ الْعَاشِرُ؟
 قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ).
 قَالَ أَبُو عِيْسَى: أَبُو الْأَعْوَرِ هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ) ورواه: أبو
 داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده.

وفي السنن الكبرى للنسائي - كتاب المناقب - مناقب أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
 رضي الله عنه - حديث: 7924 - حديث: 7936 - حديث: 7937 - 7939: عن
 عبد الله بن ظالم قال: دخلت على سعيد بن زيد فقلت: " ألا تعجب من هذا الظالم
 أقام خطباء يشتمون علياً؟ " فقال: أوقد فعلوها، أشهد على التسعة أنهم في الجنة،
 ولو شهدت على العاشر لصدقت، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 حراء، فتحرك فقال: **(أُثْبِتْ حَرَاءَ⁽¹⁾)**، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد "
 قلت: ومن كان على حراء؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر،
 وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد قلنا: "
 فمن العاشر؟ " قال: " أنا " .

وإليك بعض فضائل بقية العشرة وخصائصه:

5 - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

ففي الصحيحين واللفظ للبخاري: عن عائشة رضي الله عنها، تقول: كان النبي
 صلى الله عليه وسلم سهر، فلما قدم المدينة، قال: " ليت رجلاً من أصحابي

(١) فيه تكرار زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم لجبل حراء
 وجواز زيارة جبل حراء، وهو رد على يمنع زيارته بشتى الأعذار البعيدة عن الكتاب وعن السنة.

صالحا يحرسني الليلة "، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: "من هذا؟"، فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، ونام النبي صلى الله عليه وسلم. (1)

وفي صحيح البخاري(2): عن سيدنا علي رضي الله عنه، قال: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفدي رجلاً بعد سعد سمعته يقول: "ارم فداك أبي وأمي". وفي صحيح مسلم(3) عن عامر بن سعد، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه يوم أحد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ارم فداك أبي وأمي" قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه فسقط، فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجزه).

6 - طلحة: بن عبيد الله رضي الله عنه:

صحيح البخاري(4) عن قيس بن أبي حازم، قال: "رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم قد شلت".

وفي الصحيحين(5) عن أبي عثمان، قال: "لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم" غير طلحة، وسعد عن حديثهما

7 - الزبير: بن العوام رضي الله عنه ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(1) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله - حديث: 2750، وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - حديث: 4533 وغيرهما.

(2) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب المجن ومن يترس بترس صاحبه - حديث: 2770. (3) - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - حديث: 4536.

(4) - كتاب المناقب - باب ذكر طلحة بن عبيد الله - حديث: 3539. (5) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب ذكر طلحة بن عبيد الله - حديث: 3538، وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل طلحة - حديث: 4540.

في صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الخندق وهي الأحزاب -
حديث: 3903

عن ابن المنكر، قال: سمعت جابراً، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: " من يأتينا بخبر القوم " وفي رواية (بخبر بني قريظة)، فقال الزبير: أنا، ثم قال: " من يأتينا بخبر القوم " . فقال الزبير: أنا، ثم قال: " من يأتينا بخبر القوم " فقال الزبير: أنا، ثم قال: " إن لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير .

وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم - ذكر مقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه - حديث: 5555:

عن مسلم بن نذير، قال: كنا عند علي رضي الله عنه، فجاء ابن جُرْمُوز يستأذن عليه، فقال علي: أتقتل ابن صفية تَفْخَرًا؟ ائذنوا له وبشروه بالنار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل نبي حواري، وإن الزبير حواري وابن عمتي "

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: كنت أنا وعمر بن أبي سلمة، يوم الخندق مع النسوة (وفي رواية: يعني نسوة النبي صلى الله عليه وسلم)، في أطم حسان فكان يطأطئ لي مرة فأنظر، وأطأطئ له مرة فينظر، فكنت أعرف أبي إذا مر على فرسه في السلاح، إلى بني قريظة . قال: وأخبرني عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: فذكرت ذلك لأبي فقال: ورأيتني يا بني؟، قلت: نعم، قال: أما والله لقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يومئذ أبويه، فقال: " فذاك أبي وأمي " (1).

8 - أبو عبيدة: بن الجراح رضي الله عنه:

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب الزبير بن العوام - حديث: 3536، وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل طلحة - حديث: 4542.

وفي الصحيحين⁽¹⁾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن لكل أمة أميناً، وإن أميناً أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح". وفي الصحيحين⁽²⁾ عن حذيفة رضي الله عنه، قال: جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعت لنا رجلاً أميناً فقال: "لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح".

سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف:

روى أبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني سمعته وهو يقول: (عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة) ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح

وروى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: 10).

(1) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه - حديث: 3555 وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه - حديث: 4547.

(2) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قصة أهل نجران - حديث: 4129، صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه - حديث: 4549.

المبحث الخامس
إثبات الخلافة الراشدة واعتقادها

1 - وَنُثِبَتِ الْخِلَافَةُ؛

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- تَفْضِيلًا لَهُ؛

- وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ؛
- ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛
- وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ؛

المبحث الخامس إثبات الخلافة الراشدة واعتقادها

1 - وَنُثِبَتِ الْخِلَافَةُ؛

- بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- تَفْضِيلًا لَهُ؛
- وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ؛
- ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛
- وَالْأَنْمَةُ الْمَهْدِيُونَ؛

- الدليل النبوي على إثبات الخلافة الراشدة:

أخرج الترمذي - باب ما جاء بالأخذ بالسنة - عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ.

فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَعَلَيْهِ بَسْتِي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ) (1) قَالَ

(1) قال المباركفوري في تحفة الأحوزي في شرح الحديث: (قوله: (ذرفت) أي دمت (ووجلّت) بكسر الجيم أي خافت).

(إن هذه موعظة مودع) الإصافة فإن المودع بكسر الدال عند الوداع لا يترك شيئاً مما يهم المودع بفتح الدال أي كأنك تودعنا بها لما رأى من مبالغته صلى الله عليه وسلم في الموعظة.

(فماذا تعهد إلينا) أي فبأي شيء توصينا.

(وإن عبد حبشي) أي وإن تأمر عليكم عبد حبشي كما في رواية الأربعين للنووي أي صار أميراً أدنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته أو لو استولى عليكم عبد حبشي فأطيعوه مخافة إثارة الفتن، ووقع في بعض نسخ أبي داود وإن عبدا حبشيا بالنصب أي وإن كان المطاع عبدا حبشيا.

قال الخطابي: يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشيا ولم يرد بذلك أن يكون الإمام عبدا حبشيا، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأنمة من قريش".

وقد يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح في الوجود كقوله صلى الله عليه وسلم: "من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"، وقدر مفحص القطاة لا يكون مسجدا لشخص آدمي ونظائر هذا الكلام كثيرة.

(وإياكم ومحدثات الأمور إلخ) وفي رواية أبي داود: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

قال الحافظ بن رجب في كتاب جامع العلوم والحكم: فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثّة المبتدعة وأكد ذلك بقوله: كل بدعة ضلالة. والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة.

فقوله صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين، وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة هذه.

وروي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة. ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه وأقره علي واستمر عمل المسلمين عليه. وروي عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة، ولعله أراد ما أراد أبوه في التراويح انتهى ملخصاً. (فمن أدرك ذلك) أي زمن الاختلاف الكثير (فعليه بسنتي) أي فليلزم سنتي (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي بالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لإستنباطهم وإختيارهم إياها قاله القاري.

وقال الشوكاني في الفتح الرباني: إن أهل العلم قد أطالوا الكلام في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرها متعسفة، والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو العمل بما يدل عليه هذا التركيب بحسب ما تقتضيه لغة العرب، فالسنة هي الطريقة فكأنه قال: ألزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء. وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها. وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر.

وهذا الرأي عند عدم الدليل هو أيضاً من سنته لما دل عليه حديث معاذ لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بما تقضي؟" قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد؟" قال: فبسنة رسول الله، قال: "فإن لم تجد؟" قال: أجتهد رأيي قال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله" أو كما قال. وهذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم بما هو معروف فالحق أنه من قسم الحسن لغيره وهو معمول به وقد أوضحت هذا في بحث مستقل.

فإن قلت: إذا كان ما عملوا فيه بالرأي هو من سنته لم يبق لقوله وسنة الخلفاء الراشدين ثمرة؟ قلت: ثمرته أن من الناس من لم يدرك زمنه صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن الخلفاء الراشدين أو أدرك زمنه وزمن الخلفاء ولكنه حدث أمر لم يحدث في زمنه ففعله الخلفاء فأشار بهذا الإرشاد إلى سنة الخلفاء إلى دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشك ويختلج فيها من الظنون. فأقل فوائد الحديث أن ما يصدر عنهم من الرأي وإن كان من سنته كما تقدم ولكنه أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل.

أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه: ابن ماجه: أحمد في مسنده: مسلمي.
وأخرج البخاري - باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحَنْفِيَّةِ قَالَ:

قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟
قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟

وبالجملة فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم ينسب الفعل أو الترك إليه أو إلى أصحابه في حياته مع أنه لا فائدة لنسبته إلى غيره مع نسبته إليه لأنه محل القدرة ومكان الأسوة فهذا ما ظهر لي في تفسير هذا الحديث ولم أقف عند تحريره على ما يوافقه من كلام أهل العلم فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمضى ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم. انتهى كلام الشوكاني.

وقال القاري في المرقاة: قيل هم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام: قال: "الخلافة بعدى ثلاثون سنة" وقد انتهى بخلافة علي كرم الله وجهه.

قال بعض المحققين: وصف الراشدين بالمهديين لأنه إذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح أن يكون هاديا لغيره لأنه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعر: وهم الصديق والفاروق وذو النورين وأبو تراب علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لأنهم لما كانوا أفضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من الصحابة النبوية، وخصهم الله بالمراتب العلية، والمناقب السنية، ووطنوا أنفسهم على مشاق الأسفار، ومجاهدة القتال مع الكفار. أنعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى، والتصدي إلى الرياسة الكبرى، لإشاعة أحكام الدين، وإعلاء أعلام الشرع المتين، رفعا لدرجاتهم وإزديادا لثبوتاتهم) انتهى.

(عضوا) بفتح العين (عليها) أي على السنة (بالنواجد) جمع ناجذة بالذال المعجمة وهي الضرس الأخير، وقيل هو مرادف السن وقيل هو الناب.

قال الماوردي: إذ تكاملت الأسنان فهي ثنتان وثلاثون منها أربعة ثنايا وهي أوائل ما يبدو للناظر من مقدم الفم ثم أربع ربايعات ثم أربع أنياب ثم أربع ضواحك ثم اثنا عشر أضراس وهي الطواحن ثم أربع نواجد وهي أواخر الأسنان كذا نقله الأبهري، والصحيح أن الأضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجد والله أعلم.

والعض كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها فإن من أراد أن يأخذ شيئا أخذاً شديداً يأخذ بأسنانه أو المحافظة على الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض.

قوله: (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وسكت عنه أبو داود ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره، وقال: والخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر" فخص اثنين وقال: "فإن لم تجدني فأتى أبا بكر فخصه"، فإذا قال أحدهم وخالفه فيه غيره من الصحابة كان المصير إلى قوله أولى.

والمُحَدَّث على قسمين: مُحَدَّثٌ ليس له أصل إلا الشهرة والعمل بالإرادة فهذا باطل، وما كان على قواعد الأصول أو مردودا إليها فليس ببدعة، ولا ضلالة) انتهى كلام المنذري) انتهى باختصار.

قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ورواه: أبو داود.
وأخرج أحمد عن المُسَيَّبِ بْنِ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ: خَيْرُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَإِنَّا قَدْ أَحَدْتُنَا بَعْدَهُمْ أَحَدَانًا، يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا
مَا شَاءَ)
وأخرج له أيضاً قوله: لَا يُفْضَلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ إِلَّا جَلَدَتْهُ جِلْدَ
الْمُفْتَرِي.

والإجماع الذي حصل في بيعة الصحابة - رضوان الله عليهم - من أهل
الحل والعقد، وإجماع أهل السنة والجماعة على الخلافة الراشدة، للخلفاء الأربعة
أبي بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي رضي الله عنهم
وأرضاهم.

وقد كفانا الله تعالى ترتيبهم في الفضل فيبين لنا ترتيبهم في الخلافة عند أهل السنة
والجماعة، ولسيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمرنا باتِّباع سنة الخلفاء الراشدين عامة، وأمرنا بالافتداء بالأفعال
بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: **(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر
وعمر)⁽¹⁾**، فلهما زيادة فضل في الافتداء بهما، فحال أبي بكر وعمر فوق حال
عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

تقديم سيدنا عثمان على سيدنا عليٍّ لاجتهاد المهاجرين والأنصار في التقديم:
ففي صحيح البخاري⁽²⁾ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: " كنا نخير بين
الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم
عثمان بن عفان رضي الله عنهم .

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -
باب - حديث: 3680: عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اقتدوا باللذين من بعدي
أبي بكر، وعمر)** وهناك زيادة في صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب
الصحابة - ذكر أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالافتداء بأبي بكر - حديث: 7012:
(واقتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه)، ومصنف ابن أبي شيبة، ورواه الحاكم في
المستدرک وغيرهم.

(٢) صحيح البخاري - كتاب المناقب باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم -
حديث: 3476.

وفي صحيح البخاري (1) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: " كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم **لا نعدل** بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم .

قال أيوب السخيتاني: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال أيوب السخيتاني: من لم يقدم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

الصحابيان الجليلان ساداتنا أبو بكر وعمر رضي الله عنه: مقدمة :

في صحيح مسلم - كتاب التفسير - حديث: 5463 عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي " أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم".

وفي فضائل الصحابة ج 2/ص 910/ح 1741 للإمام أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتلون ويحدثون.

وفي تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني - خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام - حديث: 202: عن عائشة، رضي الله عنها وعن أبيها، قالت:

"أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم"

فمن أسوأ حالاً ممن خالف الله ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وآب بالعصيان لهما والمخالفة عليهما، ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 159)

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه - حديث: 3515.

وقال: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء:215)
فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل
الحسن فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، ولا يبسط لسانه
فيهم إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والإسلام
والمسلمين) انتهى.

1 - إذا كان الله تعالى لا يرضى عن الصاحبين الجليلين سادتنا أبي بكر وعمر
رضي الله عنهم - حسب زعمهم - فلماذا وضعهما الله تعالى بجانب حبيبه
صلى الله عليه وآله وسلم؟

فوجودهما بجانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووضعهما بجانب حبيبه
صلى الله عليه وآله وسلم تأكيد رضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم
عليهما، وإلا لما وضعهما بقرب حبيبه وهو القادر على إبعادهم عنه صلى
الله عليه وآله وسلم.

2 - إن سيدنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهم لهما النسب مع الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم وسادتنا عمر وعثمان رضي الله عنهم أصهار النبي صلى الله
عليه وآله وسلم، ومات صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض، وبذل
الخلفاء الثلاثة بالإضافة لسيدنا علي رضي الله عنهم أرواحهم فداء للإسلام، وفي
عهدهم حصلت الفتوحات الإسلامية المباركة.

3 - احتجوا في الشايكة بأن كلمة (صاحبه) لا تعني أنه مؤمن في قوله تعالى (إِلَّا
تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ..) (التوبة:40)!! فقد ورد الصاحب بمعنى الكافر
في مواطن عديدة في القرآن.

والجواب: إن الله تعالى رد عليهم في نفس الآية، فقال: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا
تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .. (معنا) ... (معنا) ولم يقل: معي، فالله تعالى مع الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر رضي الله عنه.

وزعم بعضهم أن الذي كان في الغار سيدنا علي رضي الله عنه؟!، والجواب:
إذا فمن كان في فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!!!!!!

4 - ثم إن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هو الوحيد الذي صلى خلفه الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول قائد حملة حج في تاريخ الإسلام، ولم يتخلف
عن غزوة قط، وعرض روحه للقتل في سبيل الله، وأنفق ماله في سبيل الله، ولم
يأخذ من خلافته مالا أو استمتع بمنصب، سوى أنه ثبت الدولة الإسلامية فأرسل

في زمن واحد ستة عشر جيشاً لقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومدعي النبوة، مما يعتبر معجزة عسكرية حتى تاريخه، وفي تأييده بالجنود نزل قوله تعالى في نصرته: **(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** (التوبة: 40)، فهو أول الإثنين والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثاني الإثنين، والله أيد أبا بكر بنجوده في حروبه، خلال السنتين اللتين عاشهما خليفة، فهو لم يأخذ من منصبه سوى الجهاد في سبيل الله تعالى، ودُفن بجانب حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي صحيح البخاري⁽¹⁾ عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو، عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، " فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: **(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ)** " (غافر: من الآية 28).

5 - أخذ الغلاة على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أنه لم يورث سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فدى، وأغضبها بذلك، ومن أغضب سيدتنا فاطمة رضي الله عنه فقد أغضب سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ففي صحيح البخاري⁽²⁾: عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **(فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)، وفي رواية لمسلم في صحيحه⁽³⁾: **(إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها)**.**

والجواب نوره - والله شاهد - ليس انتقاصاً من قدر سيدنا علي رضي الله عنه وإنما لضرورة البحث العلمي:

1 - إن سيدنا علي رضي الله عنه لم يورث سيدتنا فاطمة رضي الله عنه عندما استلم الخلافة، ولو كان يعتقد توريثها لوجب عليه توريثها، وورث هو منها أيضاً، ثم لورث أولادها وأولاده منها الإمامان الحسنين رضي الله عنهما.

2 - ثم إن سيدنا علي رضي الله عنه أغضب سيدتنا فاطمة رضي الله عنه في

⁽¹⁾ كتاب المناقب - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لو كنت - حديث: 3496

⁽²⁾ كتاب المناقب - باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث: 3531

⁽³⁾ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام - حديث: 4588

حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (1) في حادثتين مشهورتين، فهل نطبق عليه من أغضب سيدتنا فاطمة رضي الله عنها؟! طبعاً لا:

أ - روى البخاري عن سهل بن سعد، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: " أين ابن عمك؟ " قالت: كان بيني وبينه شيء، **فغاضبني**، فخرج، فلم يقل (أي نومة القيلولة) عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإنسان: (انظر أين هو؟)، فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسحه عنه، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: **(قم أبا تراب، قم أبا تراب)**. (2).

ب - وكذلك عندما أراد سيدنا علي رضي الله عنه أن يخطب بنت أبي جهل، فغضبت سيدتنا فاطمة رضي الله عنه وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فروى البخاري (3) أن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنه فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته حين تشهد، يقول: (أما بعد؛ أنكح أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبنت عدو الله، عند رجل واحد) فترك علي رضي الله عنه الخطبة.**

ج - قبل وفاة سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنه طلب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه زيارتها، فأذنت له، وتوفيت وهي رضي الله عنها راضية مرضية عنه.

١ (أؤكد للمرة الثانية والمئة والمليون أن الهدف ليس انتقاص سيدنا علي رضي الله عنه وإنما لضرورة البحث العلمي، فنحن معشر السنة لا نطنطن ولا نردد إغصاب سيدنا علي لسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما لا في الفضائيات ولا في الكتب ولا في الشائكة إلا على سبيل البحث العلمي، لوضع الأمور في نصابها، لأن استشهادهم بالحديث يضر سيدنا علي رضي الله عنه قبل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .

٢ (صحيح البخاري - كتاب الصلاة - أبواب استقبال القبلة - باب نوم الرجال في المسجد - حديث: 432

٣ (صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب ذكر أصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم - حديث: 3544

د - في السنن الكبرى للبيهقي - كتاب قسم الفيء والغنيمة - جماع أبواب تفريق الخمس - باب سهم ذي القربى من الخمس - حديث: 12123:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: **لقيت علياً رضي الله عنه عند أحجار الزيت فقلت له: بأبي وأمي ما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في حقكم أهل البيت من الخمس؟**

فقال علي رضي الله عنه: أما أبو بكر رحمه الله فلم يكن في زمانه أخماس، وما كان فقد أوفأناه، وأما عمر رضي الله عنه فلم يزل يعطيناه حتى جاءه مال السوس والأهواز، أو قال: الأهواز، أو قال: فارس "

قال الشافعي رضي الله عنه: أنا أشك، فقال في حديث مطر، أو حديث الآخر، فقال: في المسلمين خلة، فإن أحببتم تركتم حقكم فجعلناه في خلة المسلمين حتى يأتينا مال فأوفيكم حقكم منه، فقال العباس رضي الله عنه لعلي رضي الله عنه: لا تطمعه في حقنا، فقلت له: يا أبا الفضل، ألسنا أحق من أجاب أمير المؤمنين، ورفع خلة المسلمين؟ فتوفي عمر رضي الله عنه قبل أن يأتيه مال فيقضينا، **وقال الحكم:** في حديث مطر والآخر أن عمر رضي الله عنه قال: لكم حق، ولا يبلغ علمي إذا كثر أن يكون لكم كله، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم؛ فأبينا عليه إلا كله، فأبى أن يعطينا كله، قال الشافعي: فيما لم أسمع من أبي زكريا، وقد روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر رضي الله عنه قريباً من هذا المعنى، وذكره في القديم من حديث يونس عن الزهري.

مناظرة بين الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وأحد الرافضة في المقارنة بين ساداتنا أبي بكر وعلي رضي الله عنهم:

هذه مناظرة بين الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه مع أحد الرافضة وتوجد منها نسختان:

1- النسخة الأولى نسخة تركيا في خزانة شهيد علي باشا باستنبول ضمن مجموع رقمه 2764 حوى عدة رسائل في العقيدة والحديث هذه الرسالة الحادية عشرة منه.

2- النسخة الثانية نسخة الظاهرية وقد وقعت ضمن مجاميعها في المجموع رقم 111 وهي الرسالة التاسعة عشر منه. محقق الكتاب: علي بن عبد العزيز العلي آل شبل. الناشر: دار الوطن - السعودية - الرياض هاتف 4644659 - 4626124.

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

حدثنا الشيخ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري البخاري - قراءة عليه بمكة حرسها الله سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن مسافر قال أخبرنا أبو بكر بن خلف بن عمر بن خلف الهمداني قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أزمة قال: حدثنا أبو الحسن بن علي الطنافسي قال: حدثنا خلف بن محمد القطواني قال: حدثنا علي بن صالح قال: جاء رجل من الرافضة إلى جعفر بن محمد الصادق كرم الله وجهه، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه السلام فقال الرجل:

1 - يا ابن رسول الله من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
فقال جعفر الصادق رحمة الله عليه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

2 - قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قوله عز وجل (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة: 40)

فمن يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ وهل يكون أحد أفضل من أبي بكر إلا النبي صلى الله عليه وسلم؟!

3 - قال له الرافضي: فإن علي بن أبي طالب عليه السلام بات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم غير جزع ولا فزع.

فقال له جعفر: وكذلك أبو بكر كان مع النبي صلى الله عليه وسلم غير جزع ولا فزع.

4 - قال له الرجل: فإن الله تعالى يقول بخلاف ما تقول!.

قال له جعفر: وما قال؟

قال: قال الله تعالى: **(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** فلم يكن ذلك الجزع خوفاً؟ (في نسخة الظاهرية " أفلم يكن..).

قال له جعفر: لا! لأن الحزن غير الجزع والفزع، كان حزن أبي بكر أن يقتل

النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يدان بدين الله، فكان حزن على دين الله وعلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن حزنه على نفسه، كيف وقد أوسعته أكثر من مئة حريش فما قال: حس ولا ناف!

5 - قال الرافضي: فإن الله تعالى قال: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: 55)، نزل في علي

بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه وهو راکع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي جعلها في، وفي أهل بيتي).

فقال له جعفر: الآية التي قبلها في السورة أعظم منها، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: 54)

وكان الارتداد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ارتدت العرب بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم، واجتمعت الكفار بنهاوند وقالوا: الرجل الذين كانوا

ينتصرون به - يعنون النبي - قد مات، حتى قال عمر رضي الله عنه: اقبل منهم الصلاة، ودع لهم الزكاة، فقال: لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، ولو اجتمع علي عدد الحجر والمدر والشوك والشجر والجن والإنس لقاتلتهم وحدي. وكانت هذه الآية أفضل لأبي بكر رضي الله عنه.

6 - قال له الرافضي: فإن الله تعالى قال: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: 274)

نزلت في علي عليه السلام كان معه أربعة دنانير فأنفق ديناراً بالليل وديناراً بالنهار وديناراً سراً وديناراً علانية فنزلت فيه هذه الآية.

فقال له جعفر عليه السلام: لأبي بكر رضي الله عنه أفضل من هذه في القرآن: قال الله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) (الليل: 1) قسم الله، (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) (الليل: 2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) (الليل: 3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (الليل: 4) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى) (الليل: 5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) (الليل: 6) **أبو بكر رضي الله عنه.** (فَسُنِّسْرُهُ لِلْيُسْرَى) (الليل: 7) **أبو بكر رضي الله عنه.**

(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) (الليل: 17) **أبو بكر رضي الله عنه.** (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) (الشمس: 18) **أبو بكر رضي الله عنه .** وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) (الليل: 19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) (الليل: 20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى) (الليل: 21) **أبو بكر رضي الله عنه،** أنفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ألفاً حتى تجل بالعباء، فهبط جبريل عليه السلام فقال الله العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول: اقرأ علي أبي بكر مني السلام، وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا، أم ساخط؟ فقال: أسخط علي ربي عز وجل؟! أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض. ووعد الله أن يرضيه.

7 - قال الرافضي: فإن الله تعالى يقول: (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة:19) نزلت في علي عليه السلام.

فقال له جعفر عليه السلام: لأبي بكر مثلها في القرآن، قال الله تعالى (.. لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد:10)

وكان أبو بكر أول من أنفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من قاتل، وأول من جاهد. وقد جاء المشركون فضربوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى دمي، وبلغ أبا بكر الخبر فأقبل يعدو في طرق مكة يقول: ويلكم.. **(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ..)** (غافر:28)، فتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا أبا بكر فضربوه، حتى ما تبين أنفه من وجهه، وكان أول من جاهد في الله، وأول من قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من أنفق ماله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نفعتي مال كمال (أبي بكر)⁽¹⁾.

8 - قال الرافضي فإن علياً لم يشرك بالله طرفة عين.

قال له جعفر: فإن الله أثنى على أبي بكر ثناءً يغني عن كل شيء، قال الله تعالى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) (الزمر:33) محمد صلى الله عليه وسلم، (وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (الزمر:33) أبو بكر، وكلهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم كذبت وقال أبو بكر: صدقت، فنزلت فيه هذه الآية: آية التصديق خاصة، فهو النبي النقي المرضي الرضي، العدل المعدل الوفي.

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب - حديث:3679: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعتي مال أحد قط ما نفعتي مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله)، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الفضائل - ما ذكر في أبي بكر الصديق رضي الله عنه - حديث:31287: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نفعتي مال ما نفعتي مال أبي بكر)، قال: فبكى أبو بكر، فقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟

9 - قال الرافضي: فإن حب علي فرض في كتاب الله؛ قال الله تعالى: (.. قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ..) (الشورى:23)

قال جعفر: لأبي بكر مثلها، قال الله تعالى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر:10)، فأبو بكر هو السابق بالإيمان، فالاستغفار له واجب ومحبة فرض وبغضه كفر.

10 - قال الرافضي: فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما).

قال له جعفر: لأبي بكر عند الله أفضل من ذلك؛ حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس عنده غيري، إذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابهما - في الظاهرية شبابهم - فيما مضى من سالف الدهر في الأولين، وما بقي في غابره من الآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي ما داموا حيين) فما أخبرت به أحداً حتى ماتا⁽¹⁾.

11 - قال الرافضي: فأيهما أفضل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عائشة بنت أبي بكر؟

فقال جعفر: بسم الله الرحمن الرحيم ((يس) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (يس:2)، (حم) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (الزخرف:2)

فقال: أسألك أيهما أفضل فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم أم عائشة بنت أبي بكر، تقرأ القرآن؟!!

فقال له جعفر: عائشة بنت أبي بكر زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في الجنة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة،

(١) مشكل الآثار للطحاوي - باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - حديث:1679: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: (يا علي!) هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي)، فما حدثت به حتى ماتا، وهوفي مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الفضائل - ما ذكر في أبي بكر الصديق رضي الله عنه - حديث:31301.

الطاعن على زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه الله، والباغض لابنة رسول الله خذله الله.

12 - فقال الرافضي: عائشة قاتلت علياً، وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال له جعفر: نعم، ويلك قال الله تعالى (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) (الأحزاب: من الآية 53).

13 - قال له الرافضي: **توجد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في القرآن؟ قال: نعم، وفي التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: 165)**

وقال تعالى: (أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (النمل: 62)

وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55)

14 - قال الرافضي: يا ابن رسول الله، فأين خلافتهم في التوراة والإنجيل؟

قال له جعفر: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (الفتح: 29) أبو بكر،

(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) عمر بن الخطاب،

(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) عثمان بن عفان،

(تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) علي بن أبي طالب،

(سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أصحاب محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) (الفتح: من الآية 29).

15 - قال: ما معنى في التوراة والإنجيل؟

قال: محمد رسول الله والخلفاء من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم لكزه في صدره!، قال: ويلك! قال الله تعالى (كُذِّرَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ) أبو

بكر (فَاسْتَعْلَظَ) عمر (فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ) عثمان (يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) علي بن أبي طالب (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29) أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم.

ويلك!، حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر⁽¹⁾)، ويعطيني الله من الكرامة ما لم يعط نبي قبلي، ثم ينادي قرّب الخلفاء من بعدك فأقول: يا رب ومن الخلفاء؟ فيقول: عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق، فأول من ينشق عنه الأرض بعدي أبو بكر، فيوقف بين يدي الله، فيحاسب حساباً يسيراً، فيكسى حلتين خضراوتين ثم يوقف أمام العرش.

ثم ينادي منادٍ أين عمر بن الخطاب؟ فيجئ عمر وأوداجه تشخب دماً فيقول من فعل بك هذا؟ فيقول: عبد المغيرة بن شعبة، فيوقف بين يدي الله ويحاسب حساباً يسيراً ويكسى حلتين خضراوتين، ويوقف أمام العرش، ثم يؤتى عثمان بن عفان وأوداجه تشخب دماً فيقال من فعل بك هذا؟ فيقول: فلان بن فلان، فيوقف بين يدي الله فيحاسب حساباً يسيراً ويكسى حلتين خضراوتين، ثم يوقف أمام العرش.

ثم يدعى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيأتي وأوداجه تشخب دماً فيقال: من فعل بك هذا؟ فيقول: عبد الرحمن بن ملجم، فيوقف بين يدي الله ويحاسب حساباً يسيراً ويكسى حلتين خضراوتين، ويوقف أمام العرش).

16 - قال الرجل: يا ابن رسول الله، هذا في القرآن؟.

قال: نعم، قال الله تعالى (.. بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (الزمر: 69).

(1) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة - ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من - حديث: 7009: عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين). ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، وفي رواية الحاكم زيادة: وتلا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) (ق: 44)، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

17 - فقال الرافضي: يا ابن رسول الله، أيقبل الله توبتي مما كنت عليه من التقريق بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟
قال: نعم، باب التوبة مفتوح فأكثر من الاستغفار لهم، أما إنك لو مت وأنت مخالفهم مت على غير فطرة الإسلام وكانت حسناتك مثل أعمال الكفار هباءً منثوراً.

فتاب الرجل ورجع عن مقالته وأتاب⁽¹⁾.
ثم هل تعرف عن آل البيت الذين أسماؤهم أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم⁽²⁾
محبة أهل البيت للخلفاء الراشدين

قد يشعر الكثير بالصدمة عندما يطلعون على حقيقة ظلت مخفية عن البعض وهي وجود ابن لـعلي وابن للحسين اسم كل منهما أبو بكر وعمر !!! فقد ذكرت المصادر الشيعية أن ممن ماتوا مع الحسين: أبو بكر بن علي أخو الحسين. وكذلك أبو بكر بن الحسين⁽³⁾. يقول المجلسي كان عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ممن استشهد مع الحسين في كربلاء⁽⁴⁾ وخالفه في ذلك الأصفهاني فقال بأن عمر بن الحسين لم يقتل وإنما كان أسيراً⁽⁵⁾

١ (وفي نهاية الرسالة كتب: تم بحمد الله وصلواته على محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلامه، على يد العبد المذنب الراجي عفو الله الخائف من عقاب الله يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري في شهر الله الأحد رجب من سنة تسع وستين وستمائة. رحم الله من ترحم عليه وعلى والديه وعلى جميع المسلمين. ملاحظة: بذل محقق الكتاب درجة عظيمة في التعليق على الكتاب مما يتعذر الإتيان به هنا

٢ (عن <http://arabic.islamicweb.com/shia/kids.htm>

٣ (جلاء العيون: المجلسي - ص 582 - كشف الغمة: الأربيلي - ج 2 ص 64 - مقاتل الطالبين: الأصفهاني - ص 87 و 142 - التنبيه والإشراف: المسعودي - ص 263

٤ (جلاء العيون: ص 582 -

٥ (مقاتل الطالبين: ص 119

أما أسماء بعض أهل البيت فهي: (أ) الخليفة علي رضي الله عنه: فقد سمي بعض أولاده بأبي بكر وعمر وعثمان⁽¹⁾

(ب) الحسنان رضي الله عنهما: فقد سمي كل واحد منهم أولاده بأبي بكر وعمر⁽²⁾.

(ج) موسى بن جعفر - رحمه الله - : سمي ولده بأبي بكر وابنته بعائشة⁽³⁾.

(د) زين العابدين - رضي الله عنه - : قد سمي ابنته بعائشة⁽⁴⁾.

(هـ) علي بن محمد الهادي: سمي ابنته بعائشة.

وهذا إن دل فإنما يدل على محبة أهل البيت (ع) لأصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وأما زعم الرافضة بأن هذه مجرد تسميات فنقول ولماذا لا يسمون أولادهم أبو جهل وأبو سفيان ووحشي وعبد الرحمن بن ملجم ويزيد والحجاج وزيد وفرعون وهامان؟

ثم لماذا لا يقتدي الرافضة بأهل البيت فيسمون أبناءهم بأبي بكر وعمر وعثمان؟! يقول جعفر الصادق رضي الله عنهم لامرأة سألته عن أبي بكر وعمر: أتولهما!! فقال: توليهما، فقالت: فأقول لربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟؟ فقال لها: نعم⁽⁵⁾.

وتعجب رجل من أصحاب الباقر حين وصف الباقر أبا بكر بالصديق!! فقال الرجل: أتصفه بذلك؟؟؟؟!! فقال الباقر: نعم، الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الآخرة⁽⁶⁾. انتهى.

(1) إعلام الوري: الطبرسي - ص 203 - الإرشاد: للمفيد ص 186 - تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 213 - جلاء العيون: ص 182 - كشف الغمة: ج 2 ص 64 - مقاتل الطالبين: ص 142

(2) إعلام الوري: ص 213 - جلاء العيون: 582 - مقاتل الطالبين: 78 و 119 - تاريخ اليعقوبي: ص 228 - التنبيه: ص 263 -

(3) كشف الغمة: ج 2 ص 90 و 217 - مقاتل الطالبين: ص 561 -

(4) كشف الغمة: ج 2 ص 334 - الفصول المهمة: ص 283 - نفسه

(5) روضة الكافي: ج 8 ص 101

(6) كشف الغمة: ج 2 ص 174، وإذا أنكر البعض هذه القصة، فالأدلة الواردة على لسان سيدنا جعفر رضي الله عنه هي أدلتنا.

فما رأي الرافضة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد هذه النقولات؟
4 - ومن فضائل سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أول ما وزع غنائم فتح فارس أعطى ساداتنا الإمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم وهب الإمام الحسين سلافة بنت يزيد جرد ملك كسرى بعد هزيمته في القادسية، حيث أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ثلاث بنات له أسيرات لسيدنا عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فأعطى إحداهن إلى سيدنا الحسين رضي الله عنهم فأنجبت له سيدنا علي بن الحسين الذي منه انتشرت ذرية سيدنا الحسين ومنها كانت الأئمة رضي الله عنهم فالفضل يعود إلى عدل سيدنا عمر رضي الله عنه، فلماذا ينكر عليه أهل الرفض؟ فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟، وكان يمكن ألا يعطيه، ويمكن أن يجري القرعة بين الصحابة رضي الله عنهم، ويمكن ويمكن، ولكن شدة حب سيدنا عمر رضي الله عنه لسيدنا الحسين رضي الله عنهم جعله دائماً محل نظر سيدنا عمر رضي الله عنه ولكونه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأى عدالة وأي حب أكثر من هذا، والمفترض على من يحب الأئمة أن يحب سيدنا عمر رضي الله عنه لأنه كان سبباً جعله الله لانتشار الأئمة من سلافة، فلا يمكن غمط حق سيدنا عمر رضي الله عنه بما نسمع ونقرأ من البغض له في قلوب الرافضة، وإليك بيان السلسلة:

ذرية سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه :

- 1 - الزوجة الأولى هي الرباب بنت امرئ القيس، فولدت له: عبد الله بن الحسين وبه يكنى والده، وسكينة (آمنة) بنت الحسين وتزوجها كل من: مصعب بن الزبير ثم زيد بن عمر العثماني ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله.
- 2 - الزوجة الثانية هي سلافة بنت يزد جرد (كسرى ملك الفرس)، والتي أهداها سيدنا عمر لسيدنا الحسين رضي الله عنهما فولدت له:

- 1 - سيدنا علي الأصغر زين العابدين بن الحسين الذي تزوج أم عبد الله بنت الحسن فولدت له 2 - محمد الباقر بن علي زين العابدين الذي تزوج من أم علي ومن أم سلمة، ومن أم كلثوم بنت الحسن ولم تتجب واحدة منهم له. فتزوج أم فروة بنت القاسم بنت محمد بنت أبي بكر الصديق فولدت له: 3 - جعفر الصادق: الذي تزوج من أم موسى التي ولدت له 4 - موسى الكاظم الذي أنجب 5 - علي الرضى الذي أنجب 6 - محمد الجواد الذي أنجب 7 - علي الهادي الذي أنجب 8 - الحسن العسكري الذي أنجب - إن ثبت أنه ولد 9 - محمد المهدي.

وهؤلاء مع سيدنا الحسن ووالده الإمام سيدنا علي بن أبي طالب هم الأئمة الإثنا عشرية لدى أهل السنة والشيعة، وهؤلاء هم أئمة صالحون عند أهل السنة، إلا أن أهل السنة والجماعة لا يقولون بعصمتهم، ولا بعصمة أحد من البشر سوى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم.

وفي صحيح البخاري⁽¹⁾ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إني لواقف في قوم، فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي، يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع أصحابيك، لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر " فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم). وإنما يعرف الفضل ذووه وأهله.

وزوج سيدنا علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم الكبرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد استشهاده، تزوجها ابن عمها محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها أخوه عون بن جعفر فماتت عنده، وعبد الله ابن جعفر ذي الجناحين ابن أبي طالب سمى أحد بنيهم **باسم أبي بكر**، وسمى ابناً آخر له باسم **(معاوية)**، ومعاوية هذا - أي ابن عبد الله بن جعفر بن أبي

(1) كتاب المناقب - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لو كنت - حديث: 3495.

طالب - سمي أحد بنيه باسم **(يزيد)** لأنه كان يعلم أن يزيد كانت سيرته صالحه، كما شهد له بذلك محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، حيث جاءه عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير وزعم له أن (يزيد) يشرب الخمر، ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب. فقال له محمد بن علي بن أبي طالب (كما جاء في البداية والنهاية 233:8): ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيتته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة. فقال له ابن مطيع والذي معه: إن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: "وما الذي خاف مني، أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا". قال إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأيناه. فقال لهم: "أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) ولست من أمركم في شيء". الخ.

5 - سألت بعض الشيعة: في عهد من دخل الإسلام إلى العراق وإيران؟
فقالوا: في عهد عمر بن الخطاب، فقلت: سبحان الله! أنتم تخرجون من الإسلام من أدخلكم فيه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟، فإن كنتم تعتقدون بأنكم مسلمين فكل حسنة تذهب إلى سيدنا عمر رضي الله عنه ولكل الصحابة رضي الله عنهم الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم لملاقاة أعتى دول الأرض فارس، وإلا لبقيتم عباداً للنار، فبهت الذي أنكر، **وجميع أهل البيت من الرافضة يتمتعون وينعمون ويستفيدون مالياً الآن بالخمسة من بركات سيدنا عمر رضي الله عنه بسبب دخول الإسلام إلى العراق وإيران، فعلى السادة (أهل البيت) الرافضة أن يعترفوا بفضل سيدنا عمر رضي الله عنه اعتقادياً ومالياً لأنه ببركة فتحه يأخذون الخمسة، وإنما يعرف الفضل ذوهه، وكما أخبر سبحانه: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن:60)، لو كانوا يفقهون أو يعقلون!!!.**

6 - واتهم غلاتهم الصحابة رضي الله عنهم بالنفاق، وعلى الأخص ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، والعياذ بالله تعالى، ويعتبر غلاتهم أن (سورة المنافقين) هي في الصحابة رضي الله عنهم عموماً، وفي الخلفاء الراشدين الثلاثة خصوصاً، والعياذ بالله تعالى على تلك المقولة العجيبة.

والجواب: إن ظاهرة النفاق لم تظهر في المهاجرين وإنما ظهرت في المدينة المنورة وبعد الهجرة النبوية، وهؤلاء الصحابة الخلفاء الراشدين الثلاثة من المهاجرين، ومن أوائل المسلمين في المرحلة السرية، ودخلوا في شعب أبي

طالب مسجونين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونال المشركون منهم ضرباً، وهؤلاء الثلاثة هم أكثر الصحابة رضي الله عنهم بذلاً لأموالهم وأنفسهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى، ولم يتخلفوا عن أية غزوة غزاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى ما كان من سيدنا عثمان رضي الله عنه في بدر، حيث أبقاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أميراً على المدينة لمرض زوجته بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما حصل ذلك أيضاً لسيدنا علي رضي الله عنه لمرض زوجته سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنه، ومعروف أن المنافق لا يبذل دمه وروحه في سبيل الله كما فعل رأس النفاق عبد الله ابن أبي بن سلول في غزوة أحد فانسحب بثلاث الجيش قبيل بدء الغزوة، واستحقاق بذل الدم في سبيل الله تعالى.

وإن المنافقين الذين بنو مسجد ضرار لم يكن منهم أي مهاجر، وكان الذي تولى كبره في ذلك عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق وحزبه.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ينشر الصحابة رضي الله عنهم الإسلام في الآفاق ويقاتلون في سبيل الله، ويعرضون حياتهم للموت، إذا كانوا من المنافقين حسب زعمهم؟! سبحانه هذا بهتان عظيم..، وإنما الذي اتهمهم بذلك هم أتباع فارس الذين قهرهم سيدنا عمر رضي الله عنه بالانتصار عليهم ولا يوجد أية حجة سوى الحقد والكراهة لسيدنا عمر رضي الله عنه فاتح فارس، ومبيد الطاغوت الفارسي.

6 - ثم إن الله تعالى هو علام القلوب، وما فيها من إيمان أو نفاق، فرضي عن الصحابة المبايعين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيعة الرضوان، وكانوا على أق تقدير ألف وأربعمائة صحابي لنصرة وفك أسر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث وصل الخبر أنه قتله مشركي مكة، فبايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه لقتال المشركين، فقال سبحانه: **(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: 18)، انتبه: (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) ... (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) فهل خصوم الصحابة رضي الله عنهم أعلم من الله بما في قلوب الصحابة؟! وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عن مؤمن بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالقُرآن الكريم كلام الله تعالى.**

- ثم إن الله تعالى وصف الذين يتبعون الصحابة رضي الله عنهم بإحسان هم من المؤمنين ومن لم يتبعهم فهو من غيرهم:

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبة: 100)

وفي صحيح مسلم⁽¹⁾ عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه "

- ثم قوله تعالى: **(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** (الحديد: 10)، وسادتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم من أهل مكة ومن المهاجرين ومن الذين أنفقوا أموالهم وقاتلوا في سبيل الله تعالى، ولا يوجد شيخ شيعي أو رافضي فيه تلك الصفات.

القضية الرابعة قضية الإمامة والخلافة:

وزعموا جميعاً أن الصحابة رضي الله عنهم انتزعوا الإمامة من سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه محتجين بالحديث النبوي:

1 - في مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الفضائل - فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حديث: 31479

عن البراء، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر؛ قال: **فنزلنا بغدير خم**، قال: فنودي: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة فصلى الظهر فأخذ بيد علي فقال: **" أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم "**، قالوا: بلى، قال: **" أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه "**، قالوا: بلى قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **(اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)**، قال: فلقية عمر رضي الله عنه بعد ذلك فقال: **هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة**.

ولهذا الحديث سبب أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرسل سيدنا علياً إلى اليمن لجلب الزكوات والصدقات، وفي أثناء رجوعه وصل الخبر إلى سيدنا علي رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متوجه للحج، فوضع نائباً عنه، واستعجل ليلقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحج ويحج معه، ولما انتهى الحج عاد سيدنا علي رضي الله عنه إلى

(١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم - حديث: 4716، وهو صحيح البخاري - كتاب المناقب.

قافلته، فوجد أن القافلة قد اقتسمت فيما بينها الصدقات، فعاتبهم سيدنا علي رضي الله عنه واستردها منهم، فغضب بعضهم من سيدنا علي رضي الله عنه، وتابع مسيره فالتقى مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في منطقة غدير خم، وحدثه بما حصل، فعندها وقف سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخطب بالناس، ليعلمهم حبه لسيدنا علي رضي الله عنه، وليرد على الناقمين على سيدنا علي رضي الله عنه وليس من بينهم مهاجرين فقال: **(اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، أي يرد** بذلك على الذين غضبوا من فعل سيدنا علي رضي الله عنه في استرجاعه منهم ما أخذوه من الصدقات.

2 - وفي مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الفضائل - فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حديث: 31452

حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عن زيد بن يثيع قال: بلغ علياً أن أناساً يقولون فيه، قال: فصعد المنبر فقال: " أنشد الله رجلاً ولا أنشده إلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلا قام، فقام مما يليه ستة، ومما يلي سعد بن وهب ستة، فقالوا: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه).**

وقد رد علي حيدر أحد علماء الشيعة رحمه الله على من زعم أن هذا نص في إمامة سيدنا علي رضي الله عنه في كتابه (طريق الاتحاد)، ⁽¹⁾، نلخصه بما يلي:

- 1- إن كلمة مولى لها في اللغة العربية 27 معنى، فأصبح لفظاً مشتركاً، وليس نصاً للخلافة، وبالتالي فقدت معنى الخلافة.
- 2- لم يحتج سيدنا علي رضي الله عنه طوال حياته بهذا الحديث على أنه الخليفة، حتى وبعد استلامه للخلافة، ولم يفهم هو منه هذا الفهم، ولو فهمه لاحتج به، وإنما احتج به على أنه من فضائله، كما مر ذكره آنفاً.
- 3- لو كانت الإمامة من العقيدة لوجب أن يكون هناك نص إلهي على تخصيص الخلافة، ولظهر في القرآن الكريم، وقد ذكر اسم (زيد) رضي الله عنهم في القرآن وهو أقل قدرأ من سيدنا علي رضي الله عنه، ولما لم يظهر ذلك علمنا أن الإمامة ليس فيها نصاً إلهياً ولا

(¹) تجده على الشبكة ترجمة الدكتور سعد رستم، ووضعت الفقرة منه في نهاية هذا الكتاب في ملحق رقم 6.

نبوياً⁽¹⁾ انتهى باختصار.

4- أقول إذا احتجوا بوجود قرآن آخر غير هذا القرآن المتداول بين المسلمين منذ خمسة عشر قرناً، فالجواب عليه مما أورده محب الدين الخطيب رحمه الله في كتابه المشهور (خطوط عريضة):

طعن الرافضة في القرآن الكريم

وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا، ولهم على التقارب نحو الوحدة، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن. بل إن أحد كبار علماء النجف، وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي - الذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة 1320 هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف في إيوان حجرة بانوا العظمى، بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو ديوان الحجرة القبلية عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي من باب القبلة في النجف بأقدس البقاع عندهم - هذا العالم النجفي ألف في سنة 1292 هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام علي كتاباً سماه: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة 1298 هـ وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً في خاصتهم ومتفرقاً في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، تطبع منه ألوف من النسخ، ويطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه وألف كتاباً آخر سماه "رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف، بأن دفنوه في ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوي في النجف.

ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراداه في الصفحة 180 من كتابه سورة تسميها الشيعة (سورة الولاية) مذكور فيها

(1) انظر الملحق رقم 6 تجد النص كاملاً

ولاية علي "يا أيها الذين آمنوا بالنبي، والولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم... الخ" وقد اطلع الثقة المأمون الأستاذ محمد علي سعودي - الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق براين. فنقل منه هذه السورة بالتلغراف، وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية.

وكما أثبتتها الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) فإنها ثابتة أيضاً في كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري، وهو مطبوع في إيران طبعت متعددة ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله المستشرق نولدكه في كتابه (تأريخ المصاحف) ج2 ص102 ونشرتها الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة 1842 ص431 - 439.

وكما استشهد العالم النجفي بسورة الآية على أن القرآن محرف، استشهد كذلك بما ورد في صفحة 289 من كتاب (الكافي) طبعة سنة 1278 بإيران، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند المسلمين فقد جاء بتلك الصفحة من كتاب الكافي ما نصه:

روى عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان، عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام (أي أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا المتوفى سنة 206) قال: "قلت له جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم!!"

ولا شك أن هذا الكلام قد اختلقته الشيعة على إمامها علي بن موسى الرضا ولكن معناه عندهم الفتوى بأنه لا يَأْثَمُ من قرأ القرآن كما يتعلمه الناس في المصحف العثماني، ثم إن الخاصة من الشيعة سيعلم بعضهم بعضاً ما يخالف ذلك مما يزعمون أنه موجود أو كان موجوداً عند أئمتهم من أهل البيت.

والمقارنة بين هذا الكلام المزعوم الذي يسر به بعضهم إلى بعض ولا يجهر به عملاً بعقيدة التقية⁽¹⁾، وبين ذلك القرآن المعلوم والشائع المرسوم في المصحف العثماني هي التي ألف حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) للقيام بها، ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملاً بعقيدة التقية،

فإن الكتاب ينطوي على مئات النصوص عن علمائهم في كتبهم المعتمدة، يثبت بها أنهم جازمون بالتحريف، ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجة حول عقيدتهم هذه في القرآن. ويبقى بعد ذلك أن هناك قرآنيين أحدهما عام معلوم، والآخر خاص مكتوم، ومنه سورة "الولاية"، وهم بذلك يعلمون بالكلمة التي افترضوها على إمامهم علي بن الرضا "اقرأوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يعلمكم".

ومما تزعم الشيعة أنه أسقط من القرآن آية "وجعلنا علياً صهرًا" زعموا أنها أسقطت من سورة "ألم نشرح" وهم لا يخلطون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة "ألم نشرح" مكية، ولم يكن علي صهرًا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة، وإنما كان صهره الوحيد فيها العاص بن الربيع الأموي رضي الله عنه الذي أثنى عليه صلوات الله عليه على منبر مسجده النبوي، لما أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة فشكت ذلك فاطمة إلى أبيها صلوات الله عليه، وإذا كان علي رضي الله عنه صهرًا للنبي صلى الله عليه وسلم على إحدى بناته، فقد جعل الله عثمان رضي الله عنه صهرًا له على ابنتيه الاثنتين، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما توفيت الثانية: "لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها".

ويزعم عالمهم أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (أحد مشايخ ابن شهر آشوب المتوفى سنة 588 هـ في كتابه الاحتجاج على أهل اللجاج) أن علياً قال لأحد الزنادقة - ولم يذكر اسمه - : وأما ظهورك عليّ تناكر قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء يتامى، فهو ما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين⁽²⁾ من القرآن بين القول في اليتامى، وبين نكاح النساء من الخطاب. والقصص أكثر من ثلث القرآن) انتهى من كلام محب الدين الخطيب رحمه الله.

والجواب عندي - قلت محمد نور عفا عنه ربه الغور - : إن الله تعالى تكفل بجمع القرآن وتلاوته وحفظه علي الأَشْهاد فقال سبحانه: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة: 17)، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 9)، فمن كذب آيات الله تعالى فقد كفر والعياذ بالله تعالى، ولا يمكن للقرآن الناقص - حسب زعمهم - أن يبقى سرياً طوال تلك الفترة، ومن زعم بأن لدى مكتبة مخطوطات الفاتيكان قرآن آخر، فإنما هو افتراء، وأتحدى

الفاتيكان أن يعلن ذلك رسمياً، حتى يتم إثبات كذب وتحريف تلك النسخة،
لأن القرآن محفوظ في صدور ملايين المسلمين، جيلاً بعد جيل، فضلاً عن
أطفالهم من العرب والأعاجم، حتى من أطفال إيران محفوظ في صدورهم،
فضلاً عن حفظه في السطور مكتوباً، فضلاً عن حفظه بالحاسب الآلي
والشابكة رابعاً.

ثم إذا كان سيدنا علي رضي الله عنه لديه القرآن الكامل فلماذا لم يعترض
على سيدنا عثمان صلى الله عليه وآله وسلم عندما نشره، وقبله سادتنا أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما، وإذا كان سيدنا علي رضي الله عنه يخاف من
عثمان أثناء نسخه وتوزيعه في الأمصار، أو استخدم أسلوب التقية، فلماذا لم
يصرح سيدنا علي رضي الله عنه خلال حكمه خمس سنوات؟، ثم لماذا لم
يصرح به الإمام الحسن رضي الله عنهم خلال حكمه ستة أشهر؟، ولم
يصرح به سيدنا الحسين رضي الله عنه، كل ذلك يدحض تلك الأقوال
الواهية، وهي أشبه بالخرافة ثم يتم تصديقها أنها حقيقة.... وهذا الأمر من
أركان الدين وليس تقية سياسية.

**8 - ثم يحتجون بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: فيما رواه البخاري (1) عن
سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله
عنه: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)،
وعملاً بقوله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأُثْمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمِّ مِيقَاتُ
رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا
تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (لأعراف: 142)**

والجواب:

- 1 - إن هارون أصبح خليفة في قوم موسى في حياة موسى عليهم السلام،
وكذلك سيدنا علي رضي الله عنه أخلفه على المدينة لمرض زوجته، وكذلك
أخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة سيدنا عثمان بن عفان
لمرض زوجته، وأخلف غيرهما، فلا تعتبر تلك الخلافة نصاً بعد وفاة
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتعدد أشخاصها.
- 2 - وإن هارون توفي قبل سيدنا موسى عليهما السلام، فبطل الاحتجاج
بكونه خليفة من بعده، وبقي الحديث الشريف منقبة لسيدنا علي رضي الله
عنه .
- 3 - وإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يصرح باسم سيدنا علي

(1) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي
الحسن رضي - حديث: 3524

رضي الله عنه أمام الملائكة ليقول: إن علياً هو خليفتي من بعدي، ولا يوجد شيء يمنعني صلى الله عليه وآله وسلم من قول ذلك.

4 - ثم إن سيدنا علي رضي الله عنه لم يخلف من بعده أحداً، وقال: أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

5 - ثم لماذا تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنهم وهو الخليفة الإمام الراشد الخامس، بالخلافة لسيدنا معاوية رضي الله عنه إذا كانت الخلافة في أهل البيت؟

- وقال بعض الشيعة: إن أهل السنة لم يأخذوا عن أهل البيت العلم، والشيعة أخذوا من النبع، وأهل السنة أخذوا علمهم من الفرع، والجواب:

- إن أهل السنة أخذوا العلم من أهل البيت ومن الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد قمت شخصياً بتأليف كتاب (مسند أهل البيت) عند أهل السنة، وطبعته دار التراث الإسلامي في القاهرة في مجلدين كبيرين مع صغر الحرف، أثبت فيه أخذ أهل السنة الحديث من أهل البيت رضي الله عنهم.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول للناس جميعاً، وليس رسولاً لأهل البيت فقط، وقد سمع منه صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث لم يسمعها منه سيدنا علي رضي الله عنه.

- إن الأئمة الأحد عشر عند الرافضة هم أئمة عند أهل السنة وهم سنيون، وكانت سدنة (الخدمة) حول أضرحتهم خلال التاريخ هم من أهل السنة، إلى أن أقام الرافضة منازعات كثيرة حتى أخذوا السدنة عنوة من أهل السنة، وإن ضرب ضريح الإمام العسكري في العراق منذ عدة سنوات كان من طرف الرافضة، لكي يأخذوا سدنته من أهل السنة المتواجدين هناك وهم من أهل الطريقة الرفاعية.

وهؤلاء العلماء الأجلاء الأحد عشر نعتقد بحفظ الله لهم والشيعة يعتقدون بعصمتهم، فلا عصمة إلا لمن يوحى إليه وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وانقطع وحي سيدنا جبريل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- إن تفسير أهل السنة لحديث (أهل بيتي هم سفينة النجاة)، فسرّها أهل السنة والجماعة بالقيادة الدينية، فكان منهم الأقطاب والأبدال والأولياء، فعاشوا في هناء وصفاء، وقادوا الأمة دينياً، ومشى المسلمون خلفهم ومعهم، بينما تفسير الشيعة لسفينة النجاة بالقيادة السياسية أدت بهم إلى أن أصبح أهل البيت سفينة الهلاك، فقتلوا عبر التاريخ بسبب معارضتهم السياسية، ولم

يكونوا سفينة نجاة كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم،
فتفسير أهل السنة بالقيادة الدينية جعلتهم سفينة نجاة حقيقية.
ثم نتساءل: ها دولة الرافضة قد قامت في إيران فلماذا لا يرأسها أهل
البيت، ونشأ فقه جديد ولاية الفقيه، فإذا ثبت لديهم (ولاية الفقيه)، فقد
رضوا بما فعل أهل السنة عبر التاريخ الإسلامي، وحسم الخلاف والجدل
لمن تدبر.

- **بعض الفرق تقول بتفضيل سيدنا علي على الشيخين رضي الله عنهم.**
والجواب: أجمع أهل السنة على تفضيل الشيخين ساداتنا أبي بكر وعمر
رضي الله عنهم على سيدنا علي رضي الله عنهم واختلف بعضهم في تفضيل
سيدنا عثمان على سيدنا علي رضي الله عنهم، ولا ينبغي على هذا الاختلاف
تضليل أو تكفير لأي طرف على طرف.
وقد سألتني أحد الأفاضل: إذا قرأنا فضائل الخلفاء الراشدين كل واحد على
حده، لوجدنا كل واحد منهم له فضائل عظيمة، فكيف نستطيع أن نرتب
أفضليتهم؟

فقلت له: إن الله تعالى أراحنا من عناء ذلك، فقد شاءت قدرته وحكمته أن
**يرتبهم لنا، حيث خص الله تعالى كل منهم بإظهار بعض الأحكام الفقهية لم
تكن لغيره:**

- فأظهر الله على يد سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فقه أحكام المرتدين
ومانعي الزكاة ومدعي النبوة وقام بكتابة القرآن الكريم.
- وأظهر الله على يد سيدنا عمر رضي الله عنه أحكام فقه الفتوحات
الإسلامية، وحصل في عهده عدد من أحكام من الإجماع: كتحريم زواج
المتعة، وإيقاع الطلاق الثلاث ثلاثاً، ودرء حد السرقة بشبهة الجوع، وجعل
الأراضي المفتوحة لبيت المال عملاً بقوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر: 7) وغير ذلك من الأحكام
الفقهية.

- وأظهر الله على يد سيدنا عثمان رضي الله عنه فقه كتابة المصحف
وتوزيعه على الأمصار، واستمرار الفتوحات، وتوسعة المسجد النبوي
ودخول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد بإجماع الصحابة، وقد
أنكر عليه بعض الصحابة على زخرفة المسجد بالجص فبين لهم أنه زينه من
ماله الخاص وهذا فقه جديد أيضاً.

- وأظهر الله على يد سيدنا علي رضي الله عنه أحكام فقه البغاة، وأحكام القدرية، والخوارج، وأحكام قتال الصحابة رضي الله عنهم عن اجتهاد منهم.
 - وأظهر الله تعالى فقه اقتتال الصحابة رضي الله عنهم للوصول إلى الحق، والاجتهاد لبلوغه ليس من المكفرات، وأن معنى الحديث الشريف: **(إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)**، فقلت: **يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)**(¹). قتال فيه حب قتل الآخر، وليس لنصرة الحق الذي يعتقده، فرضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً.
 - وأظهر الله على يد سيدنا الحسن رضي الله عنه فقه الصلح بين المسلمين.
- ***

حفظ الآل والصحابة فضل بعضهم على بعض:

- في صحيح البخاري(²) عن أبي بكر رضي الله عنهم، قال: "ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته"
- يقول سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين: لولا أبا الحسن لهلك عمر رضي الله عنهما.
- وفي صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت - حديث: 3489 **عن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي - أي سيدنا علي رضي الله عنه - أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال: " أبو بكر "، قلت: ثم من ؟ قال: " ثم عمر "، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت ؟ قال: " ما أنا إلا رجل من المسلمين " والله أعلم.**
- هكذا شأن الخلفاء الراشدين إذا ذكر أحدهم أمام الآخر، ذكر فضله، وأزال الـ (أنا) من نفسه، هكذا يعلمنا سيدنا علي رضي الله عنه: **ما أنا إلا رجل من المسلمين.**
- الإسلام يهذب النفوس ويمنعها من اللعن أو السب، وكل من يقوم بلعن أو سب الصحابة رضي الله عنهم لم يشرب أخلاق الإسلام، ولم تتهذب نفسه بأخلاق القرآن وإنما هو من السوق والرعاع:

(¹) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فسماهم المؤمنين - حديث: 31، وصحيح مسلم - كتاب الفتن وأشرط الساعة - باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما - حديث: 5248، وغيرهما.

(²) صحيح البخاري - - كتاب المناقب - باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث: 3530

ففي سنن الترمذي^(١) عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(ليس المؤمن بالطَّعان ولا اللَّعان ولا الفاحش ولا البذيء)**، هذا حديث حسن غريب.

وفي كتاب (تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة) لأبي نعيم الأصبهاني - فصل تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق سبط محمد بن يوسف الفارسي رضي الله عنهم: الحمد لله الموفق المعين وصلى الله على محمد الأمين، وعلى الصفوة من صحابته وآله أجمعين. وأسأل الله المعونة على ما كلف، والعصمة مما خوف، وعليه أتوكل، وإياه أستعدي وأستوفق لما يقرب من رضاه ويبعد من عقابه، ويوصل إلى جزيل ثوابه. واعلم أن الناس قد تشتت آراؤهم، واختلفت أهواؤهم، وانشعبوا شعبا، فصاروا فرقا مختلفين، وأحزابا متباينين، قد عظمت محنتهم في الإمامة في ابن أبي قحافة، وثبتت محبتهم لهم. فمن قائل قال: أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي رضي الله عنهم. ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ووقف. ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين. وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث وجمهور الأمة. ومنهم من يقول: أبو بكر وعمر ويقف عند عثمان وعلي. ومنهم من يقول: أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الإمامية. وكل هذه الفرق مقلد فيما انتحل سلفا يحتج به ويرضيه، ويتبرأ ممن يخالفهم ويعاديهم. واستعنت الله تعالى وأودعت هذا الجزء بيان الأصوب من النحل، والأقوم من المقالات والملل. أجمع في ذلك ما مدح الله تعالى به الصفوة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في مناقبهم وفضائلهم، ودل على مراتبهم وسوابقهم، وما اجتمع عليه الصحابة رضي الله عنهم بعده، وهم الممدوحون على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالخصال الحميدة والفضائل الكريمة. قال الله تبارك وتعالى: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في اللعنة - حديث: 1948.

اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. وقال تبارك وتعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. الآية. وقال تبارك وتعالى: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. وقال تبارك وتعالى: أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. وقال تبارك وتعالى: أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. وقال تبارك وتعالى: وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها. وقال تبارك وتعالى: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم الآية. وقال تعالى: محمد رسول الله والذين معه.. إلى آخر السورة. وقال: فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية. وقال تعالى: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين. وقال تعالى: هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وقال تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه الآيتين. سمحت نفوسهم رضي الله عنهم بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان، وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوهم متوكلين، فآثروا رضاء الله على الغناء، والذل على العز، والغربة على الوطن. هم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون حقاً، ثم إخوانهم من الأنصار، أهل المواساة والإيثار، أعز قبائل العرب جاراً، واتخذ الرسول عليه السلام دارهم أمناً وقراراً، الأعفاء الصبر والأصدقاء الزهر والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فمن انطوت سريره على محبتهم ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم، فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى به فقال: والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. الآية. فالصحابه رضي الله عنهم هم الذين تولى الله شرح صدورهم فأنزل السكينة على قلوبهم، وبشرهم برضوانه ورحمته، فقال: يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان جعلهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله، فجعلهم مثلاً للكتابين، لأهل التوراة والإنجيل، خير الأمم أمته وخير القرون قرنه، يرفع الله من أقدارهم، إذ أمر الرسول عليه السلام بمشاورتهم لما علم من صدقهم وصحة إيمانهم وخالص مودتهم، ووفور عقلهم، ونباله رأيهم، وكمال نصيحتهم، وتبين أمانتهم رضي الله عنهم أجمعين) انتهى.

المبحث السادس
في السياسة الشرعية:
عدم الخروج على ولاة المسلمين

1 - ولا نرى الخروج:

- على أئمتنا؛
- وؤلاة أمورنا؛
- وإن جاروا؛
- ولا ندعوا عليهم؛
- ولا ننزع يداً من طاعتهم؛
- ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة؛
- (ما لم يأمرُوا بِمَعْصِيَةٍ - أ - غ)؛
- وندعوا لهم؛
- بالصّلاح؛
- والمُعافاة؛

المبحث السادس
في السياسة الشرعية:
عدم الخروج على ولاة المسلمين

1 - ولا نرى الخروج:

- على أئمتنا؛
- وؤلاة أمورنا؛
- وإن جاروا؛
- ولا ندعو عليهم؛
- ولا ننزع يداً من طاعتهم؛
- ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة؛
- (ما لم يأمرُوا بِمَعْصِيَةٍ - أ - غ)؛
- وندعوا لهم؛
- بالصّلاح؛
- والمُعافاة؛

- دليل طاعة ولي الأمر المسلم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) (1) سورة النساء.

(1) قال ابن كثير في تفسيره: (قال البخاري - وأسنده - عن ابن عباس "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعمش به وقال الترمذي حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج. وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى. قال: فاجتمعوا لي حطباً. ثم دعا بنار فأضرمها فيها ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم: "لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف" أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به.

وقال أبو داود - وأسنده - عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" وأخرجاه من حديث يحيى القطان.

وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال: "إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان" أخرجاه.

وفي الحديث الآخر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذوع الأطراف. رواه مسلم.

وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول: "ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا" رواه مسلم. وفي لفظ له "عبداً حبشياً مجذوعاً".

وقال ابن جرير - وأسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سليكم ولاية بعدي فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم".

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون".

قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟

قال: "أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم" أخرجاه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية" أخرجاه.

وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" رواه مسلم.

وروى مسلم أيضاً عن عبدالرحمن بن عبدرب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

"إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن هذه الأمة جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور ينكرونها وتجيء فتنة يرفق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر".

قال فدنوت منه فقلت: أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي.

فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل بعضنا بعضاً، والله تعالى يقول:

"يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً".

قال: فسكت ساعة ثم قال: **أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.**

والأحاديث في هذا كثيرة.

وقال ابن جرير - وأسنده - عن السدي في قوله **"أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"**.

قال: بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا وأتاهم ذو العينتين فأخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فأتاه فقال: يا أبا اليقظان إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لأن قومي لما سمعوا بكم هربوا وإني بقيت فهل إسلامي نفعي غداً إلا هربت؟ قال عمار: بل هو ينفعك فأقم فأقام.

فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل فأخذه وأخذ ماله فبلغ عماراً الخبر فأتى خالداً.

فقال: خل عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني.

فقال خالد: وفيه أنت تجير؟ فاستبأ وارتفعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير، فاستبأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال خالد: يا رسول الله أتترك هذا العبد الأجدع يسبني؟!.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا خالد لا تسب عماراً، فإنه من سب عماراً يسبه الله؛ ومن يبغض عماراً يبغضه الله؛ ومن يلعن عماراً لعنه الله".

فغضب عمار فقام فتبعه خالد فأخذ بثوبه فاعتذر إليه ف رضي عنه فأنزل الله عز وجل قوله:

"أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق عن السدي مرسلًا ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **"وأولي الأمر منكم"** يعني أهل الفقه والدين.

وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية: **"وأولي الأمر منكم"**: يعني العلماء.

والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم.

وقال تعالى **"لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت"**.

وقال تعالى **"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"**.

وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال **"من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني"**.

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال تعالى **"أطيعوا الله"** أي اتبعوا كتابه وأطيعوا الرسول أي خذوا بسنته.

"وأولي الأمر منكم" أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح: **"إنما الطاعة في المعروف"**.

وقال الإمام أحمد - وأسنده - عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **"لا طاعة في معصية الله"**.

وقوله **"فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول"** قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله عز وجل: بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة.

كما قال تعالى: **"وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله"** فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129) (1) سورة الأنعام.

- دليل لزوم طاعتهم بالمعروف وإن جاروا:

أخرج البخاري عن أبي إدريس الخولاني أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي،

1 - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ)،

2 - قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ)،

3 - قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)،

"إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر.

وقوله "ذلك خير" أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير.

"وأحسن تأويلاً" أي وأحسن عاقبة ومآلاً كما قاله السدي وغير واحد.

وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب.) انتهى.

(أ) قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: "وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً" المعنى وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض أجعل بعض الظالمين أولياء بعض، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غداً).

ومعنى "نولي" على هذا نجعل ولياً.

قال ابن زيد: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس.

وعنه أيضاً: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله.

وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر.

ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم.

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقفاً، وانظر فيه متعجباً.

وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم.

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أعان ظالماً سلطه الله عليه).

وقيل: المعنى نكل بعضهم إلى بعض فيما يختارونه من الكفر، كما نكلهم غداً إلى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم من العذاب، أي كما نفعل بهم ذلك في الآخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا.

وقد قيل في قوله تعالى: "نوله ما تولى" [النساء: 115]: نكله إلى ما وكل إليه نفسه.

قال ابن عباس: تفسيرها هو أن الله إذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم. يدل عليه قوله تعالى:

"وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" [الشورى: 30]. انتهى.

- 4 - قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ؛ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)،
- 5 - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: (هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِنَا)،
- 6 - قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: (تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)،
- 7 - قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا؛ وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ) ورواه: مسلم: أبو داود: ابن ماجه: أحمد في مسنده (1).

(1) قال النووي في شرحه: (قوله: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟

قال: نعم، فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن). قال أبو عبيد وغيره: (الدخن) بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة، أصله: أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سواد، قالوا: والمراد هنا أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء.

قال القاضي: قيل: المراد بالخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. قوله بعده: (تعرف منهم وتكرر) المراد: الأمر بعد عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه. قوله صلى الله عليه وسلم: (ويهتدون بغير هدي) الهدى: الهيئة والسيره والطريقة. قوله صلى الله عليه وسلم: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة. وفي حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية. وفيه: معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها.

وقال الحافظ في الفتح: (قوله (في جاهلية وشر) يشير إلى ما كان من قبل الإسلام من الكفر وقتل بعضهم بعضا ونهب بعضهم بعضا وإتيان الفواحش. قوله (فجاءنا الله بهذا الخير) يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش، زاد مسلم في رواية أبي الأسود عن حذيفة " فنحن فيه ".

قوله (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم) في رواية نصر بن عاصم " فتنة ". وفي رواية سبيع بن خالد عن حذيفة عند ابن أبي شيبه " فما العصمة منه؟ قال: السيف، قال: فهل بعد السيف من تقية؟ قال: نعم هدنة ". والمراد بالشر ما يقع من الفتن من بعد قتل عثمان وهلم جرا أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

قوله (قال: نعم، وفيه دخن) بالمهملة ثم المعجمة المفتوحتين بعدها نون وهو الحقد، وقيل الدغل، وقيل فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب.

يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر. وقيل المراد بالدخن الدخان ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل الدخن كل أمر مكروه.

وقال أبو عبيد يفسر المراد بهذا الحديث الحديث الآخر: " لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه "

وأصله أن يكون في لون الدابة كدورة فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض .

قوله (قوم يهدون) بفتح أوله (بغير هدي) بباء الإضافة بعد الياء للأكثر وبياء واحدة مع التنوين للكشميهني، وفي رواية أبي الأسود " يكون بعدي أئمة يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي " .

قوله (تعرف منهم وتنكر) يعني من أعمالهم.

وفي حديث أم سلمة عند مسلم " فمن أنكر برئ ومن كره سلم " .

قوله (دعاة) بضم الدال المهملة جمع داع أي إلى غير الحق.

قوله (على أبواب جهنم) أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم، كما يقال لمن أمر بفعل محرّم: وقف على شفير جهنم.

قوله (هم من جلدتنا) أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب.

وقال الداودي: أي من بني آدم.

وقال القاسبي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن محالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن.

قيل: ويؤيد إرادة العرب أن السمرة غالبية عليهم واللون إنما يظهر في الجلد.

ووقع في رواية أبي الأسود " فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس " .

وقوله " جثمان " بضم الجيم وسكون المثناة هو الجسد ويطلق على الشخص.

قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور.

قلت - أي ابن حجر - : والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله:

" الزم جماعة المسلمين وإمامهم " يعني ولو جار ويوضح ذلك رواية أبي الأسود:

" ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك " وكان مثل ذلك كثيراً في إمارة الحجاج ونحوه.

قوله (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم) بكسر الهمزة أي أميرهم زاد في رواية أبي الأسود:

" تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك " .

وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: " فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفة فالهرب " .

قوله (ولو أن تعض) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة أي ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه. وتعض بالنصب للجميع، وضبطه الأشيري بالرفع، وتعقب بأن جوازه متوقف على أن يكون " أن " التي تقدمته مخففة من الثقيلة وهنا لا يجوز ذلك لأنها لا تلي " لو " نبه عليه صاحب المغني.

وفي رواية عبد الرحمن ابن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه " فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم " والجذل بكسر الجيم وسكون المعجمة بعدها لام عود ينص لتحتك به الإبل.

وقوله " وأنت على ذلك أي العض "، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا.

قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد لزوم كقوله في الحديث الآخر: "عضوا عليها بالنواجذ". ويؤيد الأول قوله في الحديث الآخر: "فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم".

وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم "دعاة على أبواب جهنم" ولم يقل فيهم "تعرف وتنكر" كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.

قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان: "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة".

وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم. **وقال قوم:** المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين. **قال الطبري:** والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك ينتزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها، ويؤيده رواية عبد الرحمن بن قرط المتقدم ذكرها،

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء؛ فحبيب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليحذرنه ويكون سببا في دفعه عن أراد الله له النجاة، وفيه سعة صدر النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه.

ويؤخذ منه أن كل من حبيب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية.

ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به وأن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيراً وكذا بالعكس.

ويؤخذ منه أن من جعل للدين أصلاً خلافاً للكتاب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعه.

وفيه: وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدى النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضع. انتهى.

قال محمد نور - عفا الله عنه - : ولعل البعض يسأل: هل هذه دعوة إلى الخنوع بالخضوع؟ يجيب الإمام أبو حامد الغزالي حجة الإسلام في كتابه: (الاقتصاد في الاعتقاد) فقال:

فإن قيل: فإن تسامحتم بخصلة العلم لزمكم التسامح بخصلة العدالة وغير ذلك من الخصال؟ قلنا: ليست هذه مسامحة عن اختيار ولكن الضرورات تبيح المحظورات، فنحن نعلم أن تناول الميتة مظور، ولكن الموت أشد منه، فليت شعري من لا يساعد على هذا ويقضي ببطلان الإمامة في عصرنا لفوات شروطها، وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدي لها، بل هو فاقد للمتصف بشروطها، فأى أحواله أحسن؟

- دليل ولا ندعوا عليهم، بل ندعوا لهم بالصلاح والمعافة:

أخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ) ورواه: النسائي: أحمد في مسنده.

- جواز الدعاء على الحاكم الكافر الذي يضطهد المسلمين:

أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئاً لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ:

(اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا

- أن يقول: القضاة معزولون والولايات باطلة، والأنكحة غير منعقدة، وجميع تصرفات

الولاية في أقطار العالم غير نافذة، وإنما الخلق كلهم مقدمون على الحرام؟!

- أو أن يقول: الإمامة منعقدة، والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار؟!

فهو بين ثلاثة أمور:

1 - إما أن يمنع الناس من الأنكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة، وهو مستحيل، ومؤدي إلى تعطيل المعايير كلها، ويفضي إلى تشتيت الآراء ومهلك للجماهير والدماء.

2 - أو يقول: إنهم يقدمون على الأنكحة، والتصرفات، ولكنهم مقدمون على الحرام، إلا أنه لا يحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرور الحال.

3 - وإما أن نقول: يحكم بانعقاد الإمامة مع فوات شروطها لضرورة الحال.

ومعلوم أن البعيد مع الأبعد قريب، وأهو الشرين خير بالاضافة، ويجب على العاقل اختياره. فهذا تحقيق الفصل وفيه غنية عند البصير عن التطويل.. انتهى.

و قال الجويني بعد أن ذكر الخلاف في خلع الإمام بسبب فسقه وترجيحه عدم الخلع بالفسق الطارئ :

"وهذا كله في بواذر الفسق، فأما إذا تواصل منه العصيان، وفشا منه العدوان، وظهر الفساد، وزال السداد، وتعطلت الحقوق والحدود، وارتفعت الصيانة، ووضحت الخيانة، واستجراً الظلمة، ولم يجد المظلوم منتصفاً من ظلمه، وتداعى الخل والخلل إلى عظام الأمور، وتعطل الثغور، فلا بد من استدراك هذا الأمر المتفاقم، على ما سنقرر القول فيه على الفاهم، إن شاء الله عز وجل، وذلك أن الإمامة إنما تعنى لنقيض هذه الحالة، فإذا أفضى الأمر إلى خلاف ما تقتضيه الزعامة والإيالة، فيجب استدراكه لا محالة، وترك الناس سدى ملتطمين مقتحمين لا جامع لهم على الحق والباطل أجدى عليهم من تقريرهم اتباع من هو عون الظالمين، وملاذ الغاشين، وموئل الهاجمين، ومعتصم المارقين الناجمين." غياث الأمم ص 80

يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ ثُمَّ سَمَى:

(اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ) وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَغِي فِي الْقَلْبِ، قَلْبِ بَدْرٍ) ورواه: مسلم: النسائي: أحمد في مسنده.

وقال البخاري بَاب الدُّعَاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ وَسَاقَ خَمْسَةَ أَحَادِيثَ.

وقال: بَاب الدُّعَاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبَعَ يُوسُفَ) وَقَالَ:

(اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ).

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ:

(اللَّهُمَّ الْعَنَ فُلَانًا وَفُلَانًا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) (1) وَقَالَ فِي الْبَابِ الَّذِي يُلِيهِ: بَاب الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ. (2)

(1) قال الحافظ في الفتح: (قوله) (باب الدعاء على المشركين) كذا أطلق هنا، وقيده في الجهاد بالهزيمة والزلزلة وذكر فيه أحاديث:

- الأول قوله (وقال ابن مسعود: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف) وهذا طرف من حديث تقدم موصولا في كتاب الاستسقاء وتقدم شرحه هناك.

- الثاني قوله (وقال: اللهم عليك بأبي جهل) أي بإهلاكه، وسقط هذا التعليق من رواية أبي زيد، وهو طرف من حديث لابن مسعود أيضا في قصة سلي الجزور التي ألقاها أشقى القوم على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم موصولا في الطهارة، وهو رابع الأحاديث المذكورة في الترجمة التي أشرت إليها آنفا في كتاب الجهاد.

- الثالث قوله (وقال ابن عمر: دعا النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال: اللهم العن فلانا وفلانا، حتى أنزل الله عز وجل: (ليس لك من الأمر شيء)) هذا أيضا طرف من حديث تقدم موصولا في غزوة أحد وفي تفسير آل عمران وتقدم شرحه وتسمية من أبهم من المدعو عليهم. انتهى.

(2) قال الحافظ في الفتح: (قوله: (باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي وقول النبي صلى الله عليه وسلم:

" اللهم اهد دوسا " وهو ظاهر فيما ترجم له.

وقوله " ليتألفهم " من تفقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين، وأنه صلى الله عليه وسلم كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم كما تقدم في الأحاديث التي قبل هذا بباب، والحالة الثانية حيث نؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم كما في قصة دوس وسيأتي شرح الحديث المذكور في المغازي إن شاء الله تعالى.

وقال الحافظ في: قوله (باب الدعاء للمشركين) تقدمت هذه الترجمة وحديث أبي هريرة فيها في كتاب الجهاد، لكن زاد " بالهدى ليتألفهم " وقد تقدم شرحه هناك، وذكرت وجه الجمع بين الترجمتين: والدعاء على المشركين والدعاء للمشركين وأنه باعتبارين.

وحكى ابن بطل أن الدعاء للمشركين ناسخ للدعاء على المشركين ودليله قوله تعالى:

(ليس لك من الأمر شيء). قال: والأكثر على أن لا نسخ، وأن الدعاء على المشركين جائز، وإنما النهي عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام، ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر، والمنع حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم، والتقيد بالهداية يرشد إلى أن المراد بالمغفرة في قوله في الحديث الآخر: " اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ".

العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها لأن ذنب الكفر لا يمحي، أو المراد بقوله: " اغفر لهم " اهدمهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة، أو المعنى اغفر لهم إن أسلموا، والله أعلم .) انتهى.

المبحث السابع
الحب والبغض في الله والله تعالى

1 - وَنُحِبُّ: أَهْلَ الْعَدْلِ؛ وَالْأَمَانَةِ؛
وَنُبْغِضُ: أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ؛

المبحث السابع الحب والبغض في الله والله تعالى

1 - وَنُحِبُّ: أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ؛ وَنُبْغِضُ: أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ؛

- دليل حب أهل العدل والأمانة، وبغض أهل الجور والخيانة:

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) سورة آل عمران.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) سورة النساء.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) سورة المائدة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) سورة المائدة.

(وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81) سورة المائدة.

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) سورة الأنفال.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) سورة الأنفال.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) سورة التوبة.
(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) سورة التوبة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) سورة الممتحنة.

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22) سورة المجادلة.

المبحث الثامن
عصمة دماء المسلمين
ما لم يقتربوا حداً من حدود الله يوجب القصاص

1 - وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
(إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ - أ - غ)؛

المبحث الثامن
عصمة دماء المسلمين
ما لم يقتربوا حداً من حدود الله يوجب القصاص

**1 - وَلَا تَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
(إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ - أ - غ)؛**

- دليل حفظ دماء المسلمين:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) سورة النساء.

روى مسلم في - كتاب البر والصلة - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).

- دليل درء الحدود بالشبهات:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) سورة النساء.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) سورة الحجرات.

روى الترمذي - باب ما جاء في درء الحدود - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ادْرَأُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ.) وانفرد به الترمذي.

وروى ابن ماجه - باب الستر على المؤمن ودرء الحدود بالشبهات - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا) وانفرد به ابن ماجه.

- دليل إقامة (1) حدود الله تعالى على من استحقه:

(1) إقامة الحدود الشرعية من مهمة ولي الأمر أو قاضيه، ولا يجوز لفرد أن يقيم الحد على فرد آخر مهما كان نوعه ودرجته، وإذا لم يقم ولي الأمر الحدود الشرعية فهو آثم عند الله تعالى، هذا إن اعتقد بوجوبها ولم يقدر على تنفيذها لأي سبب يبرئه عند الله تعالى، وإن أنكرها فقد خرج من ملة الإسلام لأنه جحد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والله أعلم.

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) سورة البقرة.

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179) سورة البقرة.

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) سورة النساء.

(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) سورة الطلاق.

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) سورة الحجرات.

الخاتمة

- فِهَذَا دِينُنَا وَإِعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا⁽¹⁾،
- وَنَحْنُ بُرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:
- مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ؛ وَبَيَّنَّاهُ؛
- وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى:
- أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ؛
- وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ؛
- وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ؛
- وَالْأَرَءِ الْمُتَفَرِّقَةَ؛⁽²⁾
- وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِّيَّةِ؛ مِثْلَ⁽³⁾

(1) هذا هو شأن أهل السنة والجماعة - وهم عامة المسلمين والسواد الأعظم منهم - يظهر عقيدهم أمام الملأ، ويرفضون العقائد السرية، أو عقيدة التقية، لأن دين الله تعالى لا يكون سرا، وإنما علنا، والحجة تقارع بالحجة، ولا تقارع في السر والسرية.

(2) قال الإمام تاج الدين السبكي - رحمه الله - : (وإذا كان الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد والأشعري على أنا لا نكفر أحداً من أهل القبلة فلم هذا التعصب؟ وما لنا لا نسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم، ولم ندر على ماذا ماتوا؟ وإت يُد لنا أحد بدعة قابلناه، وأما الأموات فلم تنبش عظامهم؟ هذا والله ما لا ينبغي) انظر معيد النعم ومبيد النقم، للسبكي ص70

(3) هذه مذاهب عقيدة قديمة، والآن نشأت مذاهب عقيدة جديدة بمسميات جديدة، وبأسماء جديدة، لا تجعل من القرآن ولا السنة أساساً ولا منهجاً، بل وتحارب القرآن والسنة بطرق مختلفة، وأساليب متباينة، ونشأت كذلك فرق تهدم الإسلام من الداخل باسم الإصلاح والتطوير ومن قرأ كتاب (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) لشيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله تعالى لعرف حقيقة الأفكار الدخيلة.

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، بمسميات جديدة، فالتوغل والإسهاب في شرح مذاهب لم يعد لها وجود - في واقعنا - ليس من الحكمة في شيء؛ إلا من قبيل التعرف على صراع أهل السنة مع المذاهب العقدية الأخرى، فالاشتغال بالحاضر وتبيان أحكامه الشرعية خير من الكلام عن واقع تاريخي، لم يعد له وجود في واقعنا، لأن الاشتغال في الماضي سينسينا واقعنا المرير، كما أنه سيزيد من فرقتنا، والتجمع لمقاومة أفكار اليوم خير من الصراع على الحكم على الماضي: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (134) [سورة البقرة].

وكما قال الإمام الطحاوي: (وَعِزُّهُمْ): أي من الأحزاب المختلفة التي لا تجعل الكتاب ولا السنة منهجاً وعقيدة، وهؤلاء هم: مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا: السُّنَّةَ؛ وَالْجَمَاعَةَ؛ وَخَالَفُوا الضَّلَالَةَ؛ فَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَاءٌ؛ وَهُمْ عِنْدَنَا: ضَلَالٌ؛ وَأَرْدِيَاءٌ، فلا بد من التبري من المذاهب الردية الماضية والحالية، وخاصة التي لا تعتقد بصلاحية الإسلام في هذا العصر أو أي عصر، فذلك كفر صريح، لأن الإسلام من عند الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، فالقول بعدم صلاحية الإسلام كالقول بأن الله لا يعلم ماذا سيجري في المستقبل، وهذا كفر صريح:

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (14)؟ [سورة الملك]
(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (8)؟ [سورة التين]

- الْمُشَبَّهَةُ؛
- وَالْمُعْتَزَلَةُ؛
- وَالْجَهْمِيَّةُ؛
- وَالْجَبْرِيَّةُ؛
- وَالْقَدْرِيَّةُ؛
- وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا:
- السُّنَّةُ؛
- وَالْجَمَاعَةُ؛
- وَخَالَفُوا الضَّلَالَةَ؛
- فَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ؛
- وَهُمْ عِنْدَنَا:
- ضَلَالٌ؛
- وَارْدِيَاءُ.

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الأهواء بقوله: "وإنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصلٌ إلا دخله" رواه أبو داود.

**أخرج أبو داود في سننه عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (36)؟ [سورة الزمر])
(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) [سورة الأنعام].
(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) [سورة الأعراف].
(أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) [سورة يونس].
(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) [سورة يوسف].
(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (3) [سورة الزمر].
فمن اعتقد ما نطق به القرآن فقد آمن، ومن اعتقد بخلافه عامداً فقد كفر، والله أعلم وهو ولي التوفيق، وهذا آخر ما تيسر من الحاشية على شرحي لمتن العقيدة الطحاوية، وكتبه أضعف خلق الله تعالى، وأحوجهم إلى رحمته ومغفرته وفضله في الدنيا والآخرة العبد العاجز محمد نور بن عبد الحفيظ بن حاج نور بن أحمد بن عمر سويد غفر الله ولواديه ولمشايقه وللمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين وصلى الله عليهم أجمعين.

هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة " زاد ابن يحيى، وعمره في حديثيهما " وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب لصاحبه " وقال عمرو : " الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله " (1).

1- بدعة إنكار القدر: وأول من أظهرها معبد الجهني(2) بالبصرة، كما

في صحيح مسلم(3) عن يحيى بن يعمر ويسمى هؤلاء القدرية(4)، فيزعمون أن الله لم يقدر أفعال العباد الاختيارية ولم يخلقها وإنما هي بخلق العباد بزعمهم، ومنهم من يزعم أن الله قدر الخير ولم يقدر الشر، ويزعمون أن المرتكب للكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، وينكرون الشفاعة في العصاة، ورؤية الله تعالى في الجنة.

2- بدعة الجهمية: ويسمون الجبرية أتباع جهم بن صفوان(5) يقولون:

إن العبد مجبور في أفعاله لا اختيار له وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء يأخذها الهواء يمناً ويسرة.

3- بدعة الخوارج(6): الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه،

ويكفرون مرتكب الكبيرة.

المشبهة:

****المعتزلة (7):**

(1) سنن أبي داود - كتاب السنة- باب شرح السنة - حديث: 4002 ، و مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين- حديث معاوية بن أبي سفيان - حديث: 16637، و المستدرک علی الصحیحین للحاکم - كتاب العلم- فصل: في توقيير العالم - حديث: 403

(2) راجع ما تكلم فيه: التبصير في الدين (ص/21)، تهذيب التهذيب (225/01).

(3) صحيح مسلم، أول كتاب الإيمان.

(4) راجع في مقالاتهم وفرقهم: التبصير في الدين (ص/63 و95).

(5) راجع في شأنه وفرقه: التبصير في الدين (ص/107)، الفرق بين الفرق (ص/211)، الملل والنحل (86/1).

(6) راجع في مقالاتهم وفرقهم: التبصير في الدين (ص/45 و62).

(7) موقع إسلام ويب <http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=66724>

تعريفهم : المعتزلة فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزال، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التي تعتبر قاسما مشتركا بين جميع فرقها، من أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق .

مؤسسها : واصل بن عطاء الغزال: قال الإمام الذهبي في ترجمته في السير : "البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي مولا هم البصري الغزال .. مولده سنة ثمانين بالمدينة، .. طرده الحسن عن مجلسه لما قال الفاسق لا مؤمن ولا كافر فانضم إليه عمرو واعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة "

عمرو بن عبيد: قال الذهبي في ترجمته في السير : " عمرو بن عبيد الزاهد العابد القدرى كبير المعتزلة .. قال ابن المبارك دعا - أي عمرو بن عبيد - إلى القدر فتركوه، وقال معاذ بن معاذ سمعت عمرو يقول إن كانت { تبت يدا أبي لهب } في اللوح المحفوظ فما لله على ابن آدم حجة، وسمعت ذكر حديث الصادق المصدق، فقال : لو سمعت الأعمش يقوله لكذبتة، إلى أن قال ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرددته .. مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل سنة أربع وأربعين ومائة "

العقائد والأفكار :

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطور خلافها فيما بعد، ولم يقف عند حدود تلك المسألة، بل تجاوزها ليشكل منظومة من العقائد والأفكار، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة التي لا يعد معتزليا من لم يقل بها، وسوف نعرض لتلك الأصول ولبعض العقائد غيرها، ونبتدىء بذكر الأصول الخمسة:

1- التوحيد: ويعنون به إثبات وحدانيته سبحانه ونفي المثل عنه، وأدرجوا تحته نفي صفات الله سبحانه، فهم لا يصفون الله إلا بالسلوب، فيقولون عن الله : لا جوهر ولا عرض ولا طويل ولا عريض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا بذى حرارة ولا برودة .. إلخ، أما الصفات الثبوتية كالعلم والقدرة فينفونها عن الله سبحانه تحت حجة أن في إثباتها إثبات لقدمها، وإثبات قدمها إثبات لقديم غير الله، قالوا: ولو شاركتها الصفات في القدم

الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية، فكان التوحيد عندهم مقتضيا نفي الصفات.

2- العدل: ويعنون به قياس أحكام الله سبحانه على ما يقتضيه العقل والحكمة، وبناء على ذلك نفوا أمورا وأوجبوا أخرى، فنفوا أن يكون الله خالقا لأفعال عبادته، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيرا وإن شرا، قال أبو محمد ابن حزم: "قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل". وأوجبوا على الخالق سبحانه فعل الأصلح لعباده، قال الشهرستاني: "اتفقوا - أي المعتزلة - على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وأما الأصلح واللفظ ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا هذا النمط عدلاً"، وقالوا أيضا بأن العقل مستقل بالتحسين والتقبيح، فما حسنه العقل كان حسنا، وما قبحه كان قبيحا، وأوجبوا الثواب على فعل ما استحسنته العقل، والعقاب على فعل ما استقبحه.

3- المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري، إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافرا بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصرا على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم.

4- الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر وأن الله لا يقبل فيهم شفاعاة، ولا يخرج أحدا منهم من النار، فهم كفار خارجون عن الملة مخلصون في نار جهنم، قال الشهرستاني: "واتفقوا - أي المعتزلة - على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض .. وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبتها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً "

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الأصل يوضح موقف المعتزلة من أصحاب الكبائر سواء أكانوا حكاماً أم محكومين، قال الإمام الأشعري في المقالات: "وأجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك" فهم يرون قتال أئمة الجور لمجرد فسقهم، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر .

هذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، فمن تلك العقائد :

6- نفاهم رؤية الله عز وجل: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله سبحانه وهو منزّه عن الجهة والمكان، وتأولوا قوله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } أي منتظرة .

7- قولهم بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة.

8- نفاهم علو الله سبحانه، وتأولوا الاستواء في قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوى } بالاستيلاء .

9- نفاهم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته . قال الإمام الأشعري في المقالات: "واختلفوا في شفاعة رسول الله هل هي لأهل الكبائر فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله "

10- نفاهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي .

تعدد فرق المعتزلة:

عادةً ما تبدأ الفرق في عددها وأفكارها صغيرة ثم ما تلبث أن تتشعب وتتفرق، فتصبح الفرقة فرقاً والشعبة شيعاً، وهكذا كان الحال مع المعتزلة فقد بدأت فرقة واحدة ذات مسائل محدودة، ثم ما لبثت أن زادت فرقها،

وتكاثرت أقوالها وتشعبت، حتى غدت فرقا وأحزابا متعددة، ونحاول في هذا المبحث أن نذكر بعضا من تلك الفرق، ونقدم موجزاً تعريفياً بها وبمؤسسيها، مع ذكر بعض أقوالها التي شذت بها عن أصحابها المعتزلة، فمن فرق المعتزلة:

1- **الواصلية:** وهم أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار، ثم فارقه بسبب خلافه معه في مسألة مرتكب الكبيرة، وقول واصل فيه بأنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين .

2- **الهذيلية:** وهم أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدمهم، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، من مفردات قوله: أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار.

3- **النظامية:** أتباع إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام كان قد خلط كلام الفلاسفة بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل منها قوله: أن الباري سبحانه لا يوصف بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئاً، ولا على أن ينقص منه شيئاً، وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة، وليس ذلك مقدوراً له، وقد ألزم بأن يكون الباري تعالى مجبوراً على ما يفعله تعالى الله .

4- **الخابطية والحدثية:** أصحاب أحمد بن خابط وكذلك الحدثية أصحاب الفضل الحدثي، كانا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة، ومن مفردات أقوالهما القول - موافقة للنصارى - بأن المسيح عليه السلام يحاسب الخلق في الآخرة . وكذلك قولهم: أن الرؤية التي جاءت في الأحاديث، كقوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) متفق عليه، هي رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعّال الذي منه تفيض الصور على الموجودات، فهو الذي يظهر يوم القيامة وترفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونها كمثل القمر ليلة البدر فأما واهب العقل "الله" فلا يرى.

5- البشرية: أصحاب بشر بن المعتمر كان من علماء المعتزلة، قال الذهبي: " وكان .. ذكيا فطنا لم يؤت الهدى، وطال عمره فما ارعوى، وكان يقع في أبي الهذيل العلاف وينسبه إلى النفاق " من أقواله: " أن الله تعالى قادر على تعذيب الأطفال وإذا فعل ذلك فهو ظالم " .

6- المردارية: أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار، ويسمى راهب المعتزلة، من مفردات أقواله : أن الله تعالى يقدر على أن يكذب و يظلم ولو كذب وظلم كان إلها كاذبا ظالما تعالى الله، وقال إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة، وكان مبالغا في القول بخلق القرآن وتكفير من خالفه، وقد سأله إبراهيم بن السندي مرة عن أهل الأرض جميعاً فكفرهم، فأقبل عليه إبراهيم، وقال الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك، فخزي ولم يحر جوابا.

7- الثمامية: أصحاب ثمامة بن أشرس النميري كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس، انفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها قوله: في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية أنهم يصيرون في القيامة ترابا، وكذلك قال : في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين .

8- الهشامية: أصحاب هشام بن عمرو الفوطي كان مبالغا في نفي القدر، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل، منها قوله: أن الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم، وقد ورد في التنزيل { ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم } ، ومنها قوله : أن الله لا يحب الإيمان إلى المؤمنين ولا يزيه في قلوبهم، وقد قال تعالى : { وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم } ومن أقواله: أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، وقال كذلك : أن النبوة جزاء على عمل وأنها باقية ما بقيت الدنيا.

فهذه هي المعتزلة نشأة وأقوالا ورجالا وعقائد، عرضناها مختصرة بغية تعريف القارئ بحال تلك الفرقة التي أوجدت جدلا شديدا في مراحل كثيرة من التاريخ الإسلامي، ووضعت الشرع المطهر في مخاصمة مفتعلة مع

العقل، فكان أثرها على الشرع سيئاً إذ قللت من هيئته، وأثرها على العقل أسوأ إذ وضعته في مكان لا يرتقي إليه .

وقفة مع المعتزلة

ربما ظن البعض أن المعتزلة قد ذهبت من غير رجعة، وأن أفكارهم الجريئة لم يعد لها وجود، وأن التوازن قد عاد لجذلية العقل والنقل، إلا أن هذا الظن خاطئ، فالمذهب المعتزلي ما زال موجوداً حياً في الصدور ومكتوباً في السطور، وما زالت فرق عديدة تتبناه، وإن اختلفت مسمياتها، فضلاً عن انتصار كثير من الحداثيين لمنهج الاعتزال في تقديم العقل على النقل وجعله حاكماً على نصوص الشريعة، فالاعتزال قائم ماثوث في العقائد والأفكار ولكن الذي ذهب هو حدته وصولته بعد زوال دولته، وتعرضه لعملية نقد متواصلة على أيدي أئمة السنة، فغداً هامداً يظنه الناس ميتاً وليس بميت، ونحاول في خاتمة عرضنا لعقيدة المعتزلة أن نقف وقفة مع هذا المنهج نبين فيه أمراً غاية في الأهمية هذا الأمر هو مخالفة منهج المعتزلة لمنهج السلف، ومباينة عقائد الاعتزال لعقائد الصحابة الكرام، ولنروي في هذا الإطار المناظرة الشهيرة التي قصمت ظهر المعتزلة، والتي جرت بين شيخ من شيوخ السنة وشيخ المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد، فقد جيء بشيخ سني كبير موثقاً بحديثه، حتى أوقفوه في حضرة الخليفة الواثق، فطلب منه الخليفة مناظرة أحمد بن أبي دؤاد فوافق، بعد أن طعن في قدرة أحمد بن أبي دؤاد على المناظرة:

وابتدأ السؤال قائلاً : مقالتك هذه التي دعوت الناس إليها، من القول بخلق القرآن أداخلة في الدين، فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها ؟ قال أحمد بن أبي دؤاد : نعم .

فقال الشيخ : فرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إليها أم تركهم ؟ قال أحمد : لا .

قال له : يعلمها أم لم يعلمها ؟

قال : عَلِمَهَا .

قال: فلم دعوت إلى ما لم يدعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وتركهم منه؟ فأمسك.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه واحدة. ثم قال له: أخبرني يا أحمد، قال الله في كتابه العزيز: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (المائدة: 3)، فقلت أنت: الدين لا يكون تاماً إلا بمقالتك بخلق القرآن، فالله تعالى - عز وجل - صدق في تمامه وكماله، أم أنت في نقصانك؟! فأمسك.

فقال الشيخ يا أمير المؤمنين، هذه ثانية. ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، قال الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } (المائدة: 67) فمقالتك هذه التي دعوت الناس إليها، فيما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أم لا؟ فأمسك.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، هذه الثالثة. ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتك التي دعوت الناس إليها، أتسع له أن أمسك عنها أم لا؟ قال أحمد: بل أتسع له ذلك. فقال الشيخ: وكذلك لأبي بكر، وكذلك لعمر، وكذلك لعثمان، وكذلك لعلي رحمة الله عليهم؟ قال: نعم. فصرف وجهه إلى الواصل، وقال: يا أمير المؤمنين، إذا لم يسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواصل: نعم، لا وسع الله علينا، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، فلا وسع الله علينا.

وبهذه المناظرة كسر الله شوكة المعتزلة فتحول وجه الخليفة عنهم، وما زال مذهبهم في هبوط إلى يومنا هذا.

ونختم بكلمة للعلامة ابن الوزير اليماني، يبين فيها هذا الأصل، قال رحمه الله:

"وقد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فكل ما لم يُبين من العقائد في عصر النبوة فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه والجدال، والمراد سواء كان إلى معرفته سبيل [غير النقل] أو لا، وسواء كان حقاً أو لا، وخصوصاً متى أدى الخوض فيه إلى التفرق المنهي عنه، فيكون في إيجابه إيجاب ما لم ينص على وجوبه". فاستمسك أخي

القارئ بمثل هذا الأصل العظيم، واحفظ به دينك فما لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ديناً فليس اليوم دين) انتهى.

الفرق بين الفكر الاعتزالي والفكر الأشعري⁽¹⁾:

في آخر العهد الأموي، ظهرت فرق كلامية تبحث في الآيات التي تتناول ذات الله وصفاته، وكذا الفعل والعدل الإلهي وعلاقة ذلك بالفعل الإنساني، ومن هذه الفرق الأولى خرجت الفرق المدرسية الكبرى في علم الكلام، لعل من أشهر هذه الفرق في مجال العقيدة: فرقنا المعتزلة والأشاعرة فما هي المعتزلة؟ وما هو الفرق بين الفكر الاعتزالي والفكر الأشعري؟

يُنسب المعتزلة إلى القدرية لأنهم أثبتوا القدرة والاستطاعة للإنسان، كما ينسبون إلى الجهمية، لأنهم نفوا الصفات، وقالوا بالتأويل، وأثبتوا التنزيه المطلق. غير أن فرقة المعتزلة قد تعدت مجال بحث هاتين الفرقتين، حيث اعتمدوا العقل اعتماداً مطلقاً -حتى لو تعارض مع النص- لصدق أحكامه فهو في التفكير الاعتزالي وسيلة لإثبات العقيدة باعتباره المصدر الأول للمعارف الدينية، ومعياراً صادقاً توزن به الحقيقة الدينية، فهو القوة القادرة على اكتساب العلم وإرشاد الإنسان في عمله، لاسيما فيما يعرف بوحداية الله وعدله، وجميع ما كلف به الإنسان. وبعبارة واحدة فالعقل إذاً عند المعتزلة قبل ورود السمع ورسول ولو لم يرسل الله رسولا، خلافاً للأشاعرة القائلين، بأن الواجبات كلها سمعية، لكن النظر العقلي في فهم العقيدة ليس ببدعة عندهم؛ وإنما هو ذو فائدة كبرى في إقامة الأدلة العقلية لتأييد العقيدة، إلا أن فائدته متعلقة بوجود النقل، لأن العقل في خدمة النقل وليس العكس، وإن كانا مصدران للمعرفة، من هنا يتفق كل من المعتزلة والأشاعرة، على أن المعارف تدرك بالعقل، لكن الخلاف بينهم في جهة وجوب الأحكام بالنقل أم بالعقل، إضافة إلى أن الأشاعرة لا يلتزمون بأحكام العقل إلا إذا أيدها النقل.

وبخصوص معرفة الله، يرى المعتزلة أن استعمال النظر في معرفة الله، والبرهنة على وجوده فرض ضروري على كل مسلم، بل على كل إنسان بمجرد كمال عقله عند البلوغ، في حين يرى الأشاعرة أن النظر في معرفة

(1) مقالة / د. أشريف أحمد ولد محمود أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بثنائية كيفية 2

الله بالعقل تحصل، لكنها لاتجب إلا با لنقل. ويجب عند المعتزلة على الإنسان معرفة الحسن والقبح والخير والشر بين الأفعال، ولو لم يرد بهما شرع باستثناء العبادات والمعاملات، فهذه سبيل إدراكها الكتاب والسنة، والشرع عند المعتزلة مخبر لاثبت عن الفعل، لأن مصدر الأمر والنهي هو العقل. كما أن المعتزلة أيضا يرون أنما يدرك العقل حسنه وجب فعله، وما يدرك قبحه وجب تركه بغض النظر عما أمر به الشرع ونهى عنه، مقابل الأشاعرة التي ترى بأن الإنسان لايلتزم بأحكام العقل هذه، إلا إذا أيدها النقل؛ لأن النقل هو المثبت لاالمخبر فقط، والعقل لايجب شيئا ولايقتضي تحسينا ولا تقبيحا. من ناحية أخرى إجتهد المعتزلة في تأكيد وحدة الله المطلقة، وتنزيهه إنطلاقا من قوله تعالى: (ليس كمثله شئ) هذا التباين الحاد الحاصل بين الله والإنسان، جعلهم ينفون عن الله كل شوائب التشبيه والتمثيل، وتعدد الشركاء معه، فهو القديم الذي لاقديم سواه، وفي هذا إنكار للنصرانية القائلة باشتراك الأقانيم الثلاثة في طبيعة واحدة: الأب والإبن وروح القدس، وقولهم بأن القرآن مخلوق وكلام الله ناتج عن قولهم بالتوحيد ونفي الصفات ودفاعهم عن مسألة خلق القرآن جزء من و دفاعهم عن قدم الله، وخشية أن يعتبر النبي محمد عليه الصلاة والسلام كلمة الله الأزلية، كما هو شأن المسيح لدى النصارى، وكذا إنكارهم للديانات الثنائية (المجوس) التي تدعي وجود إلهين قديمين (إله النور وإله الظلام)، وإنكارا لكلما أدعت المشبهة من تشبيهه وتجسيم يلحق ذات الله من كل وجه، فكل هذه الإعتقادات تتنافى مع عقيدة التوحيد من وجهة نظر المعتزلة، وتصطدم بقوله تعالى: (قل هو الله أحد.....) وقوله تعالى: (ليس كمثله شئ)؛ لأن هذه الآيات محكمات ولا تدل إلا على معنى واحد، وتدل صراحة على تنزيه الله ولا تقبل إلا تفسيرا واحدا، خلافا للآيات المتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى، ويدل ظاهرها على التشبيه أو الحلول من جهة معينة نحو قوله تعالى: (كل شئ هالك إلا وجهه) وقوله تعالى: (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى). وحرصا على تنقية عقيدة التوحيد والتنزيه من كل اعتبارات تشبيهية أو حلولية، أول المعتزلة جميع هذه الآيات التي توهم بالتشبيه تأويلا مجازيا عقليا. فردت الآيات المتشابهات الدالة على التشبيه ظاهريا إلى الآيات المحكمة (ليس كمثله شئ)، وهكذا قالوا أن الوجه لا يكون إلا لجسم، لذا أولوها: أن كل شئ هالك إلا ذاته أي نفسه، والوجه يعني الذات مشهور في اللغة، فيقال وجه هذا الثوب جيد، أي ذاته جيدة. أما المجئ فلا يتصور إلا من الأجسام،

لذا أولوها بقولهم بأن الله ذكر نفسه واراد غيره جريا على عادة العرب في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فبدلاً من أن نقرأ : وجاء أمر ربك فنقرأ (وجاء ربك) . أما الإستواء عند المعتزلة، فمعناه الظاهر: هو القيام وهو صفة جسمية، وبما أن الله يجب أن لا يكون كذلك، فالإستواء في نظرهم معناه الإستلاء والغلبة كما في قول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم * تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وبإصرار المعتزلة على التوحيد والتنزيه، أدى بهم إلى القول بنفي الصفات : كنفي رؤية الله بالأبصار في الدنيا والآخرة، وإن أجاز بعضهم رؤيته في الآخرة بالقلب أو البصيرة أو بحاسة سادسة، فمن أدلتهم العقلية على ذلك، بأن الرؤية هي اتصال الشعاع بين الرائي والمرئي، ولو أمكنت رؤيته لكان متحيزاً في مكان أمام الرائي، والله جل أن يكون متحيزاً في مكان، ولا تدركه الحواس، فرويته غير ممكنة، لقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) وينفون الحديث الدال على الرؤية قائلين أنه من الأحاديث الظنية التي لا توجب العلم، أما الآية فاولوها تأويلاً لغويًا بمعنى، أن وجوه المؤمنين ناضرة لثواب ربها منتظرة، فالنظر معناه الإنتظار كما في قول الشاعر:

فإن يك صدر هذا اليوم ولى * فإن غدا لناظره قريب. (أي منتظره)

وفي الإطار ذاته، نفوا كلام الله لأدلة عقلية وأخرى نقلية: فمن الأولى أن الخطاب مع الأنبياء جاء بصور مختلفة، مما يدل على أن كلام الله مختلف المعاني والمناهج، فهو إذاً مخلوق؛ لأنه موجه إلى مخلوقين . أما أدلتهم النقلية فكثيرة منها قوله تعالى: (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ[الأنبياء:2]) وقوله تعالى : (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[البقرة:106]) وهذا دليل على أن النسخ لا يقع إلا في الحادث، أما القديم فليس عرضة لذلك. من ناحية أخرى وللتأكيد على حكمة الله وعدله، فإن المعتزلة قالوا بنظريتين هما:

1- نظرية الصلاح والأصلح، ومؤداهما: أن الله في نظر المعتزلة حكيم

عادل لا يصدر منه إلا ما هو خير، وفيه صلاح العباد، بل إن بعضهم قال بأنه يجب على الله بأن لا يفعل إلا الأصلح والصلاح للإنسان، فالله لا يريد الشر ولا يأمر به، فهو لا يريد إلا الخير فقط، طالما أن

إرادة الله تتجه نحو عنايته بعباده، ولهم في هذا أدلة عقلية وأخرى عقلية، فمن أدلتهم العقلية أن مريد الخير خير، ومريد الشر شرير، فلو كانت إرادة الله تتعلق بالخير والشر لكانا مرادان لله، وكان المريد موصوفاً بالخيرية والشرية، وبالعدل وبالظلم وذلك محال على الله. أما أدلتهم العقلية فهي قوله تعالى: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) [غافر: 31] وقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: 185] واستناداً إلى هذا، فإن الله لا يريد ظلماً للعباد، ولا يحب الفساد، أما الشر الأخلاقي فهو آت من الإنسان، فكفر الكافر وعصيان العاصي شران من عمل الإنسان، بدليل أنهما فعلا قبيحان، والله لا يفعل القبيح ولا يريد، وبدليل أن الله نهى عنهما في نص القرآن.

2- وفيما يتعلق بمسألة الإضلال والهداية، قال المعتزلة: بأن الله عدل يجب عليه لعباده أن يمنحهم اللطف ليصلوا به إلى الهداية والطريق المستقيم، والنتيجة في نظر المعتزلة في هذا الصدد، أن الله ليس هو الهادي والمضل، بل الهداية والإضلال في هذا الصدد من الإنسان، واستدلوا بآيات منها: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) [يونس: 108] وقوله تعالى (قَدْ جَاءَكُم بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ) [الأنعام: 104]. لكن هذا الاتجاه المعتزلي والعقلاني الفلسفي، لم يكن ليرض به أهل (السنة) خاصة الأشاعرة الذين قالوا أن الإضلال والهداية من الله، (يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلْتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: 93] أي يخلق الهداية في قلب من يريد ويبسره لليسرى، ويخلق الإضلال في قلب من يريد ويبسره للعسرى، وهداية للمؤمنين معناه أن الله خلق هداهم، ونور بالإيمان قلوبهم، وتولى توفيقهم له، وإضلال الله للكافر معناه أن الله خلق ضلاله لمنع توفيقه عنهم، ويعزز الأشاعرة رأيهم بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [فاطر: 8] وقوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (الأنعام:125).

3- ومن جهة أخرى إذا كانت المعتزلة تقول أن الثواب مرتب على الصالح، والعقاب مرتب على العمل الطالح، فإن الأشاعرة قالوا إنه قادر على التصرف كيف يشاء، فهو إن شاء أثاب العاصي، وإن شاء عاقب المطيع، وإن شاء عاقب العاصي، وأثاب المطيع، وإن شاء عاقب فبعده، لأنه لاحق لأحد عليه، ولا يجب على الله ثواب ولا عقاب، واستدلوا بآيات: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر:53]

4- كما ردّ الأشاعرة على المعتزلة بخصوص إنكارهم لرؤية الله، فالله يرى بالأبصار في الآخرة للأدلة الآتية : لأن الآخرة ليست دار انتظار ولقرينة ذكر الوجه مع العينين، إضافة إلى أن معنى الرؤية في الآية الإحاطة والشمول.

5- وبخصوص مسألة كلام الله، وخلق القرآن، فإن الأشاعرة قالوا: بأنه كلام قديم من حيث معانيه وأفكاره، ومحدث من حيث ألفاظه وإشاراته المكتوبة، فهو تنزيل للمعاني والأفكار القديمة بألفاظ جديدة.

6- أما مسألة الصلاح والأصلح، فقد قال الأشاعرة بأن الله متصرف في ملكه وملكوته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فأرادته مطلقة وليست متعلقة لا بالإنسان ولا بالعالم . وليست معلة دائما بغايات وحكم، كما تدعي المعتزلة، وكان من الصلاح والأصلح أن لا يوجد في نظر المعتزلة شر، وأي صلاح في خلق إبليس والشياطين، وإعطائهم القدرة على إضلال الناس؟ فالمعتزلة إذا اخطأوا في نظر الأشاعرة، عندما قاسوا أفعال الله مع أفعال الإنسان، لذا فإنه لا يجب على الله رعاية الأصلح لعباده، ولاتحقيق الصلاح لهم، لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، كما لا يجب عليه الثواب والعقاب، فإن شاء أثاب الناس وإن شاء عاقبهم. و إن شاء أعدمهم ولم يحشرهم .

7- أما فيما يتعلق فيما ذهب إليه المعتزلة بخصوص مسألة الفعل الإلهي، وكونه متعلق بالخير فقط، ولا يريد الشر، ولا يأمر به، وهذا الاعتبار في نظر الأشاعرة، يقيد إرادة الله المطلقة بفعل الخير فقط، معتبرين بأن الله يريد لجميع ما كان، غير مرید لما لم يكن، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وبالتالي فإن الله يخلق الشر، كما يخلق الخير،

وأن إرادته شاملة لجميع الطاعات، والإيمان والمعاصي والكفر، وقد أتى الأشاعرة بادلة عقلية، يعززون بها رأيهم هذا من ذلك قوله تعالى: (فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ {البروج:16} وقوله : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) [الفلق:1] (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) [الفلق:2]، وقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس:99]. غير أن هذا الاختلاف و التباين الحاصل، بين هاتين الفرقتين المتكلمتين على الصعيد المنهجي والمعرفي والعقدي، والادبيولوجي، لايلغي الأرضية المشتركة، والإطار الديني والاجتماعي، والثقافي، والحضاري الذي تشكلتا فيه وصاغ توجهاتهما على ماهي عليه من توافق واختلاف.

وبعيدا عن الصراع العقدي و ما يغذيه من خلافات ايديولوجية ابراقماتية (نفعية)، التي حكمت مسار العلاقة بين هاتين الفرقتين المتكلمتين، فإنه من الأسلم و الأصوب اتباع موقف السلف المفوض للمتشابه من آيات الصفات، دون تأويل أو رجحان لقول الناظم

أمرر أحاديث الصفات كما أتت ***** من غير تأويل ولا رجحان

ونخلص في الأخير إلى أن الفرق بين الاعتزالي والفكر الأشعري، يمكن رصده على ثلاث مستويات:

أولها: خلاف حول الأسبقية المنهجية والأولية الإبيستمولوجية بين العقل والنقل.

ثانيا الصراع العقدي.

(ثالثها): وفوق هذا وذاك العامل الايديولوجي الذي يتصدر موقع التأطير والفاعلية لذلك الخلاف، ويعمل على توسيع دائرته.

ولكن هل انتهى هذا الخلاف عند هذا الحد، أم أنه سوف يتجدد من خلال إشكاليات لاحقة؟) انتهى.

قلت محمد نور عفا عنه ربه الغفور: إن المعتزلة مجانين بسبب تأليه العقل وضعف تقديس الله تعالى الذي ملك وخلق فهو فعال فيما يريد بخلقه.

وأضرب مثلاً بسيطاً للتوضيح والله المثل الأعلى: عندما تشتري أنت لوحاً خشبياً فأصبح في ملكك فلك أن تفعل به ما تشاء من نشره وصنع طاولة أو خزانة أو حرقه وإفناؤه فليس للجنس الأدنى أن يعترض على الجنس الأعلى والله أعلم وهو الهادي للصواب (اللهم اهدنا فيمن هديت).

ومن جانب آخر فإن الله تعالى دعا العقل المؤمن للاستسلام وليس للاعتراض كما فعل إبليس والعياذ بالله عندما قال سبحانه: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران:7] وأسميه عبادة العقل للحق سبحانه، أي هناك عبادة للعقل وهي الاستسلام المطلق لله تعالى.

فرقة الجهمية:

سوف نجد من هذا الاستعراض أن هناك دعوات معاصرة تدعوا لتبني فكر الجهمية وتنسبه للسلف وهم بذلك يتبعون السلف الطالح لا الصالح، لا قليلاً منهم.

الجهمية هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجري الثاني، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي⁽¹⁾ وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمد، وقتله سلم بن أحوز

(قال الإمام الذهبي في السير 6/ص26، 27 ط الرسالة (هو الجهم بن صفوان السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمير حارث بن شريح التميمي، وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن).

وجاء في شرح الطحاوية لابن أبي العزص 523 (وكان الجهم هذا قد ترك الصلاة أربعين يوماً "شكا" في ربه، وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين، يقال لهم السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات.

فقد قالوا له: يا جهم هذا ربك الذي تعبد هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا.. فقالوا هو معدوم.

فبقي أربعين يوماً "لا يعبد شيئاً"، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقاداً نحته.. فقال: إنه الوجود المطلق ونفى جميع الصفات). اهـ.

ويقول ابن كثير رحمه الله:

(ثم ما لبس جهم حتى قتله سلم بن أحوز أمير خراسان بمقاتلته هذه سنة ثمان وعشرين ومائة. وقد أخذ مقالته هذه عنة بشر بن غياث المريسي أبو عبد الرحمن شيخ المعتزلة قبحه الله وقبح من أخذ عنه وهو أحد من أضل المأمون واليه تنسب المريسية من المرجئة). البداية والنهاية 9/ص351 _ م10/ص643 ط مكتبة الأيمان بمصر.

المازني بمرور في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية. وهو أبو محرز، **الجهم بن صفوان الترمذي**، من موالى بني راسب ويعود أصله إلى مدينة في ترمذ والتي تقع حالياً في أوزباكستان على الحدود الأفغانية (أحدى قبائل الأذر)، ولد ونشأ في الكوفة. كان حاد الذكاء قوي الحجة ذا دأب ووفطنة وفكر وجدال ومراء، **صحب الجعد بن درهم**^(١) بعد قدومه إلى الكوفة وتأثر بتعاليمه، وبعد مقتل الجعد عام 105 هـ حمل لواء المعتزلة (من بعده إلى أن نفي إلى ترمذ في خراسان).

(١) **الجعد بن درهم**، أصله من خراسان، أسلم أبوه وصار من موالى بني مروان. وقد ولد في خراسان وهاجر بعد ذلك إلى دمشق حيث أقام هناك. كان الجعد يعيش في حي للنصارى، حيث تأثر هناك بجو الآراء الفلسفية المسيحية التي كانت تثار حول طبيعة الإله. وكان يكثر من التردد إلى (وهب بن منبه) أحد كبار التابعين (وكان كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول: أجمع للعقل، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل، وكان وهب ينهيه عن ذلك. وقد أعجب **محمد بن مروان** به وببعض أفكاره ليكون معلماً لابنه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

أراد الجعد أن يبالغ في توحيد الله وتنزيهه، مما دفعه إلى القول بنفي الصفات التي توحى بالتشبيه وتأويلها، ومن بينها صفة الكلام، مما أدى به إلى أن يقول بخلق القرآن، وقيل أنه تأثر في قوله هذا بـ أبان بن سمعان الذي كان أول من قال بخلق القرآن من أمة الإسلام، كما إنه كان ينفي أن يكون الله كلم موسى تكليماً، وأن يكون قد اتخذ إبراهيم خليلاً، فطلبه بنو أمية، فهرب إلى الكوفة أخذ الجعد ينشر تعاليمه بالكوفة، فتعلم منه **الجهم بن صفوان الترمذي** الذي تنسب إليه **الجهمية**، وفي عام (105 هـ / 724 م) استلم الحكم في دمشق هشام بن عبد الملك الذي عين خالد بن عبد الله القسري والياً على الكوفة، فقبض على ابن درهم، وفي أول يوم من أيام عيد الأضحى من ذلك العام قال خالد وهو يخطب خطبة العيد:

أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإنني مضحٌّ بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. وسئل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الغسيلي: من أين كان جهم؟ قال: من ترمذ، وكان يذهب في بدء أمره، ثم صار صاحب جيش الحارث بن سريج بمرور، فقتله سلم بن أحوز في المعركة، وقبره بمرور.

وسئل: ممن أخذ ابن أبي دؤاد؟ فقال: من بشر المريسي، وبشر المريسي أخذه من جهم بن صفوان، وأخذه جهم من الجعد بن درهم، وأخذه جعد بن درهم من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان لبيد يقرأ القرآن، وكان يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان طالوت زنديقاً، وأفشى الزندقة، ثم أظهره جعد بن درهم، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة، وكان خالد والياً عليها، أتى به في الوثاق حتى صلى وخطب، ثم قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإنني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: ما كلم الله موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل وحز رأسه بيده بالسكين

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن **الجهم بن صفوان** قتل على الزندقة والإلحاد، قال شيخ الإسلام: لا يعرف فيمن قتل بسيف الشرع على الزندقة أنه قتل ظلماً وكان ولياً لله، فقد

قتل الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وغيلان القدرى، ومحمد بن سعيد المصلوب، وبشار بن برد الأعمى، والسهروردي، وأمثال هؤلاء كثير، ولم يقل أحد من أهل العلم والدين في هؤلاء إنهم قتلوا ظلماً . انتهى
من كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة.

وفي فتح الباري شرح البخاري:
قوله (بسم الله الرحمن الرحيم - كتاب التوحيد) كذا للنسفي وحماد بن شاکر ، وعليه اقتصر الأكثر عن الفريبري، وزاد المستملي: الرد على الجهمية وغيرهم، وسقطت البسمة لغير أبي ذر، ووقع لابن بطل وابن التين "كتاب رد الجهمية " وغيرهم " التوحيد " وضبطوا التوحيد بالنصب على المفعولية، وظاهره معترض ؛ لأن الجهمية وغيرهم من المبتدعة لم يردوا التوحيد وإنما اختلفوا في تفسيره، وحجج الباب ظاهرة في ذلك، والمراد بقوله في رواية المستملي وغيرهم: القدريه، وأما الخوارج فتقدم ما يتعلق بهم في " كتاب الفتن " وكذا الرافضة تقدم ما يتعلق بهم في " كتاب الأحكام " وهؤلاء الفرق الأربع هم رءوس البدعة وقد سمي المعتزلة أنفسهم " أهل العدل والتوحيد " وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية، لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه أشرك، وهم في النفي موافقون للجهمية، وأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل، ومن ثم قال الجنيد فيما حكاه أبو القاسم القشيري: **التوحيد أفراد القديم من المحدث** .

وقال أبو القاسم التميمي في " كتاب الحجة " : التوحيد مصدر وَحَّدَ يُوحِدُ، ومعنى وحدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيهه، وقيل معنى وحدته عَلِمْتُهُ واحداً، وقيل: سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له، في إلهيته وملكوته وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره .

وقال ابن بطل: تضمنت ترجمة الباب أن الله ليس بجسم ؛ لأن الجسم مركب من أشياء مؤلفة وذلك يرد على الجهمية في زعمهم أنه جسم، كذا وجدت فيه ولعله أراد أن يقول المشبهة، وأما الجهمية فلم يختلف أحد ممن صنف في المقالات أنهم ينفون الصفات حتى نسبوا إلى التعطيل،

وثبت عن أبي حنيفة أنه قال: بالغ جهم في نفي التشبيه حتى قال: إن الله ليس بشيء،
وقال الكرمانى: الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون إلى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة أن لا قدرة للعبد أصلاً، وهم الجبرية بفتح الجيم وسكون الموحدة، ومات مقتولاً في زمن هشام بن عبد الملك انتهى . وليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة، وإنما الذي أطبق السلف على نهم بسببه إنكار الصفات . حتى قالوا: إن القرآن ليس كلام الله وأنه مخلوق،

وقد ذكر الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه " الفرق بين الفرق " أن رءوس المبتدعة أربعة إلى أن قال:

والجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وقال: لا فعل لأحد غير الله تعالى، وإنما ينسب الفعل إلى العبد مجازاً من غير أن يكون فاعلاً أو مستطيعاً لشيء،
وزعم أن علم الله حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، حتى قال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره، قال وأصفه بأنه خالق ومحيي ومميت وموحد بفتح المهملة الثقيلة ؛ لأن هذه الأوصاف خاصة به، وزعم أن كلام الله حادث، ولم يسم الله متكلاماً به، قال: وكان جهم يحمل السلاح ويقاتل، وخرج مع الحارث بن سريج، وهو بمهملة وجيم مصغر، لما قام على نصر بن سيار عامل بني أمية بخراسان فأل أمره إلى أن قتله سلم بن أحوز وهو بفتح السين المهملة وسكون اللام، وأبوه بمهملة وآخره زاي وزن أعور وكان صاحب شرطة نصر، وقال البخاري في " كتاب خلق أفعال العباد: بلغني أن جهما كان يأخذ عن الجعد بن درهم، وكان خالد القسري وهو أمير العراق خطب فقال:

إني مضح بالجعد بن درهم؛ لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً.

قلت - أي ابن حجر:- وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك، فكأن الكرمانى انتقل ذهنه من الجعد إلى الجهم فإن قتل جهم كان بعد ذلك بمدة، ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال: قال عبد الله بن المبارك : ولا أقل بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحياناً

وعن ابن المبارك إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ونستعظم أن نحكي قول جهم، وعن عبد الله بن شاذب قال: ترك جهم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك، وأخرج ابن أبي حاتم في " كتاب الرد على الجهمية " من طريق خلف بن سليمان البلخي قال: كان جهم من أهل الكوفة وكان فصيحاً، ولم يكن له نفاذ في العلم، فلقبه قوم من الزنادقة فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبد، فدخل البيت لا يخرج مدة ثم خرج فقال هو هذا الهواء مع كل شيء .

وأخرج ابن خزيمة في التوحيد، ومن طريقه البيهقي في الأسماء قال: سمعت أبا قدامة يقول: سمعت أبا معاذ البلخي يقول: كان جهم على معبر ترمذ، وكان كوفي الأصل فصيحاً ولم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم، فقيل له صف لنا ربك؟ فدخل البيت لا يخرج كذا، ثم خرج بعد أيام فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء .

وأخرج البخاري من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة قال: كلام جهم صفة بلا معنى، وبناء بلا أساس ولم يعد قط في أهل العلم، وقد سئل عن رجل طلق قبل الدخول فقال تعتد امرأته، وأورد آثاراً كثيرة عن السلف في تكفير جهم .

وذكر الطبري في تاريخه في حوادث سنة سبع وعشرين أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية وحاربه، والحارث حينئذ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة وكان جهم حينئذ كاتبه ثم ترأساً في الصلح وتراضياً بحكم مقاتل بن حيان والجهم، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل، فلم يقبل نصر ذلك واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين في خلافة مروان الحمار، فيقال: إن الجهم قتل في المعركة ويقال بل أسر، فأمر نصر بن سيار سلم بن أحوز بقتله فادعى جهم الأمان، فقال له سلم: لو كنت في بطني لشققتك حتى أقتلك فقتله، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال: قال سلم حين أخذه: يا جهم إني لست أقتلك ؛ لأنك قاتلتني، أنت عندي أحقر من ذلك؛ ولكني سمعتك تتكلم بكلام أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا قتلتك فقتله، ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي بلغ سلم بن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر أن الله كلم موسى تكليماً فقتله، ومن طريق بكير بن معروف قال: رأيت سلم بن أحوز حين ضرب عنق جهم فأسود وجهه، وأسند أبو القاسم اللالكائي في " كتاب السنة " له أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين، وذكر ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن رحمة صاحب أبي إسحاق الفزاري أن قصة جهم كانت سنة ثلاثين ومائة، وهذا يمكن حمله على جبر الكسر، أو على أن قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج، وأما قول الكرمانى: إن قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبد الملك فوهم ؛ لأن خروج الحارث بن سريج الذي كان جهم كاتبه كان بعد ذلك، ولعل مستند الكرمانى ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال: قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك إلى نصر بن سيار عامل خراسان: أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فإن ظفرت به فاقتله، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون قتله وقع في زمن هشام، وإن كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله أعلم . وقال ابن حزم في " كتاب الملل والنحل ": فرق المقرين بملة الإسلام خمس: أهل السنة ثم المعتزلة ومنهم القدرية، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرامية ثم الرافضة ومنهم الشيعة

ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية، ثم افترقوا فرقا كثيرة، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع، وأما في الاعتقاد ففي نبذ يسيرة، وأما الباقيون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب، فأقرب فرق المرجئة من قال: الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط وليست

كان الجهم بارعاً في علم الكلام فأخذ بنشر مذهبه في ترمذ إلى أن ظهر فيها وصار له أتباع، ووصل مذهبه إلى بلخ (أحدى أكبر مدن خراسان آنذاك) وانتشر فيها. وهناك كان يكثر من المناظرات والجدال، فكان يناظر قوماً يقال لهم السمنية من فلاسفة الهند، وكان يذهب إلى مسجد مقاتل بن سليمان (المفسر الشهير)؛ ليناظره، حيث كان مقاتل - بعكس الجهم بن صفوان تماماً - يميل إلى التشبيه.

وفي ترمذ تعرف الجهم علي الحارث بن سريج التميمي عظيم الأزد بخراسان وصار كاتباً له⁽¹⁾.

مذهبه

كان جهم بن صفوان بارعاً في علم الكلام وعلوم البلاغة وكان يرى ان الإسلام يتعرض لخطر عظيم لاسيما بعد ظهور تيارات التشبيه والتجسيم التي كان يتزعمها مقاتل بن سليمان آنذاك وجماعة من الحشوية المجسمة ممن يتسمون باسم اهل الحديث كان يقول بتنزيه الله ونفي التشبيه وتأول الآيات التي تشعر بالتشبيه عنه - سبحانه وتعالى - على ماكانت تفهمه العرب وقت نزول الوحي وكان يقول بنفي صفات الله الأزلية، كالقدرة والإرادة والعلم، وأثبت ان للعالم خالقاً لا تدرك صفته العقول من جهة ذاته

العبادة من الإيمان . وأبعدهم الجهمية القائلون بأن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الوثن من غير تقية، والكرامية: القائلون بأن الإيمان قول باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه، وساق الكلام على بقية الفرق ثم قال: فأما المرجئة فعمدتهم الكلام في الإيمان والكفر، فمن قال إن العبادة من الإيمان، وإنه يزيد وينقص ولا يكفر مؤمناً بذنب، ولا يقول إنه يخلد في النار فليس مرجئاً، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم . وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر، فمن قال القرآن ليس بمخلوق وأثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي وإن وافقهم في سائر مقالاتهم وساق بقية ذلك إلى أن قال: وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمسة، من مثبت لها وناف، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية، فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه، تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علواً كبيراً، ونظير هذا التباين قول الجهمية: إن العبد لا قدرة له أصلاً، وقول القدرية إنه يخلق فعل نفسه . قلت: وقد أفرد البخاري خلق أفعال العباد في تصنيف، وذكر منه هنا أشياء بعد فراغه مما يتعلق بالجهمية) ا هـ.

(1) أبو حاتم، الحارث بن سريج بن يزيد من بني مجاشع بن دارم التميمي - 128 هـ، - 746 م، عربي من قبيلة تميم، ثار على الدولة الأموية بخراسان عدة مرات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، مدعياً ظلم الدولة الأموية، وزعم أنه يدعو إلى الكتاب والسنة، وأنه صاحب الرايات السود، قُتل أمام سور مرو سنة 128 هـ.

وانما يدرك من جهة اثاره وهو الذي لا يعرف اسمه فضلا عن هويته إلا من نحو افاعيله وابداعه وتكوينه الأشياء فلسنا ندرك اسما من نحو ذاته بل من ذاتنا فالله كان ولا شيء غيره فخلق الذي خلق ولا صورة عنده في الذات لان قبل الخلق انما هو فقط واذا كان هو فقط فليس حينئذ جهة وجهة حتى يكون هو وصورة أو حيث وحيث حتي يكون هو وذو صورة والوحدانية تنافي هذين الوجهين وقال ايضا - نفياً للتشبيه والتجسيم - صفة الكلام، فكان يقول إن كلام الله إنما هو صفة فعل كسائر الأفعال التي تحدث في العالم وهي أيضا من خلقه - سبحانه وتعالى - وترتب على ذلك القول بخلق القرآن، كما كان ينفي رؤية الله في الآخرة ويحتج بقوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103].

و كل هذه المعتقدات ورثتها عنه وزادت عليها فرقة المعتزلة التي ظهرت مع منتصف القرن الثاني.. ولكن الجهم يختلف عن المعتزلة في بضعة مسائل:

1- فقد ذهب إلى أن الإنسان لا يوصف بالاستطاعة؛ أي أنه مجبر في هذه الحياة وانما الثواب والعقاب بافعال العباد الباطنية .

2- كما كان يقول بأن الجنة والنار تفنيان⁽¹⁾ وقال: ان حركات أهل الخالدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلها فيها وتلذذ اهل الجنة بنعيمها وتألم اهل النار بعذابها إذ لا يتصور حركات لا تتناهى اخرا كما لا تتصور حركات لا تتناهى اولا وحمل الآية (خالدين فيها ابداً) على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان واستشهد بالانقطاع بالآية (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء.

3- وكان يقول بأن الإيمان عقد بالقلب دون التلفظ باللسان (الإرجاء).

معتقدات الجهمية:

1. تنزيه الله و نفي التشبيه و تأويل الآيات التي تشعر بالتشبيه، كيد الله ووجهه سبحانه و تعالى. و من الصفات التي أولوها صفة الكلام، فكانوا يقولون إن كلام الله إنما هو داخل نفسه - سبحانه وتعالى -

(١) من المؤسف أن بعض مشايخ الخليل يقولون هذا القول ويؤيدونه ويناصرونه ويحيونه لأنه قال به ابن تيمية رحمه الله فأى سلف يتبعون؟!.

وترتب على ذلك القول بخلق القرآن، كما نفوا رؤية الله في الآخرة واحتجوا بقوله تعالى: { لا تدركه الأبصار }، وقالوا بأن طبيعة الإله أعلى من أن ترى بالأبصار البشرية.

2. نفي صفات الله الأزلية، كالقدرة والإرادة و العلم، وقالوا بأن هذه الصفات هي عين ذاته، وليست مستقلة عنه؛ أي أنه ليس قادراً بقدرة غير ذاته، وليس مريداً بإرادة غير ذاته، وليس عالماً بعلم غير ذاته

..

3. الإنسان لا يوصف بالاستطاعة على الفعل، بل هو مجبور بما يخلقه الله من الأفعال مثل ما يخلقه في سائر الجمادات، ونسبة الفعل إليه إنما هو بطريق المجاز كما يقال جرى الماء وطلعت الشمس وتغيّمت السماء .. إلى غير ذلك، وبسبب هذه النقطة يعدون من الجبرية.

4. الإيمان عقدٌ بالقلب وإن تلفظ الشخص بالكفر، وأن الإيمان لا يضر معه شيء، وبسبب هذه النقطة يعدون من المرجئة.

5. أن الله موجود بالأمكنة كلها، فقد أخرج ابن خزيمة في التوحيد بسنده أن الجهم بن صفوان كان يوماً على جسر ترمذ فقيل له: صف لنا ربك، فدخل البيت لا يخرج، ثم خرج بعد أيام فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء.

6. القول بفناء الجنة والنار، حيث قالوا أنه لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً فكذلك لا يتصور حركات لا تتناهى آخراً، وحملوا قوله تعالى: { خالدين فيها أبداً } على المبالغة، واستدل الجهم بن صفوان على الانقطاع بقوله تعالى: { إلا ما شاء ربك }، وقال: ((ولو كان مؤبداً بلا انقطاع لما استثنى)).

7. رد أهل السنة على الجهمية:

- رد أهل السنة على نفهم صفات الله الأزلية، وتأويلهم للصفات التي تشعر بالتشبيه، فقالوا: بأنه لا يجوز إثبات الصفات - كما يقول: المجسمة - ولا نفيها، واعتبروا بأن هذا مما لم يخض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة.
- رد أهل السنة على قولهم بأن (الإيمان لا تضر معه معصية) فيما يعرف بقاعدة الإيمان يزيد وينقص، فقالوا: بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- رد أهل السنة على قولهم بأن (الله موجود في الأمكنة كلها)، و استدلوا بأن الله تعالى لا تدركه الأبصار ولا يحيط به مكان لأنه خالق المكان والخوض في مثل هذا من المتشابه الذي لا يجوز الخوض فيه.
 - وأما قولهم بقاء الجنة والنار، فقد اعتُبر مخالفاً لصريح القرآن والأحاديث.
- الكتب التي ألفت في الرد على الجهمية كثيرة جداً منها:
1. الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف: أحمد بن حنبل
 2. الرد على الجهمية، تأليف: عبدالله بن محمد الجعفي البخاري المتوفى 229هـ.
 3. الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف: عبد العزيز بن يحيى الكناني المتوفى 240هـ.
 4. الرد على الجهمية، تأليف: محمد بن أسلم الطوسي المتوفى 242هـ.
 5. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، تأليف محمد بن إسماعيل البخاري صاحب صحيح البخاري المتوفى 256هـ.
 6. الرد على اللفظية، تأليف: محمد بن أحمد بن حفص بن الزبرقان المتوفى 264هـ.
 7. السنة والرد على الجهمية، تأليف: الأثرم أحمد بن محمد بن هاني المتوفى 273هـ.
 8. مصنف في مسألة اللفظ، أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي المتوفى 275هـ، وهو من تلامذة أحمد بن حنبل.
 9. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تأليف: ابن قتيبة الدينوري المتوفى 276هـ.
 10. الرد على الجهمية، تأليف: عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى 280هـ.
 11. الصفات والرد على الجهمية، تأليف: نعيم بن حماد الخُزاعي المتوفى 282هـ.
 12. الرد على الجهمية، تأليف: الحكم بن معبد الخُزاعي، المتوفى 295هـ.
 13. الرد على الجهمية تأليف اللغوي: إبراهيم بن محمد بن عرفة المشهور بنفطويه المتوفى 323هـ.
 14. الرد على الجهمية، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى 327هـ.

15. الرد على من يقول أن القرآن مخلوق، تأليف: أحمد بن سلمان النجاد المتوفى 348هـ.
16. الرد على الجهمية، تأليف: محمد بن إسحاق بن منده المتوفى 395هـ.
17. الرد على اللفظية، تأليف: ابن منده
18. بيان تلبيس الجهمية، تأليف: ابن تيمية المتوفى 728هـ.
19. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تأليف: ابن قيم الجوزية المتوفى 751هـ.
20. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: ابن قيم الجوزية المتوفى 751هـ.

وغيرها من الكتب الكثير

(فالمجسمة فرق شتى متفاوتة، وقد عد منها أبو الحسن الأشعري في - مقالات الإسلاميين - ست عشرة طائفة فقال: اختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسيم، وهل للبارئ تعالى قدر من الأقدار، وفي مقداره، على ست عشرة مقالة؟. انتهى. ثم ذكرها مفصلة.

وقال الشيخ علي الخضير في - شرح لمعة الاعتقاد: مذهب المجسمة وهم: المقاتلية أصحاب مقاتل بن سليمان فمذهبهم: أن الله جسم وجثة على صورة الإنسان له جوارح وأعضاء، وهو - مع هذا - لا يشبه غيره، ذكر ذلك عنهم الأشعري في - مقالات الإسلاميين.

والفرق بين المشبهة والمجسمة فرق واحد، وهو: أن المجسمة يثبتون أن لله جسما وينفون عنه أنه يشبه غيره، والمشبهة يثبتون أن الله له جسم ويشبهونه بغيره. انتهى.

والمجسم هو: من يصور الله بجسم وصورة، مثل الهشامية الذين يقولون: إن الله سبعة أشبار بشبر نفسه - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - والمشبه من شبه صفات الله بصفات الخلق، والتشبيه يؤدي للتجسيم، وبعض المبتدعة ينسبون التشبيه والتجسيم لأهل السنة، ولكن أهل السنة براء من ذلك، بل يكفرون من يقول به ويثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه من الصفات من دون تمثيل، عملا بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {الشورى: 11}. انتهى من موقع إسلام ويب.

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة: كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك فتمسك بها تنجو من التشبيه والتجسيم والله أعلم.

وفي موقع السنة: مقارنة بين أهل السنة والجهمية وفرقة المشبهة المجسمة وفيما يلي مقارنة بين عقيدة الجهمية وعقيدة أهل السنة وعقيدة المشبهة المجسمة. وستجد أن عقيدة الجهمية أخت عقيدة المشبهة المجسمة.

جدول مقارنة بين الجهمية وأهل السنة والمشبهة المجسمة:

الجهمية [1]	أهل السنة	المشبهة المجسمة
ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه.	أهل السنة يثبتون صفات الله دون تعطيل أو تشبيه وينفون عن الله أي صفة جسمية من صفات النقص وينزهون الله عن التشبيه والتجسيم والمماثلة بين الخالق تعالى وبين المخلوقين.	هذه الفرقة يثبتون الصفات ولا ينكرون جواز نسبة الجسمية والأعضاء والجلوس والقيود والحركة وغيرها من صفات الأجسام إلى الله تعالى ويثبتون المماثلة كما قاله ابن العثيمين وهو مذكور في هذه الرسالة في باب "نسبة المماثلة والمثابرة".
ويقول بخلق القرآن.	أهل السنة يكفرون من يقول بخلق القرآن أي صفة الله الأزلية الابدية أي كلام الله الأزلي الابدى ويميزون بين اللفظ المنزل في المصحف وصفة الذات النفسية التي لا تحل بشئ. [2]	هذه الفرقة حشوية فيها من يقول الحروف أزلية وكلام الله حروف وأصوات.
ويقول: إن الله في الأمكنة كلها.	أهل السنة عقيدتهم الجميلة النقية تنزيه الله	هذه الفرقة وافقت جهماً من ناحية وخالفته من

الجهمية [1]	أهل السنة	المشبهة المجسمة
	عن المكان والحد والجسم لأن الله ليس كالمخلوقين المحتاجين للتحيز والمكان.	ناحية. وافقته في أصل معتقده بجواز نسبة المكان إلى الله وخالفته بنسبة كل الأمكنة إلى الله إذ هم ينسبون له جهة فوق أو العلو ويقولون مكانه فوق العرش ويتردد بين السماء الدنيا والعرش فجعلوا سمواته وملائكته وعرشه وكل العالم العلوي أعلى منه وهو في السماء الدنيا في النصف الأخير من الليل وعلى زعمهم إن لم يكن هو الأعلى بالمكان والجهة فهو نقص. فنسبوا له النقص على حسب تفسيرهم لحديث النزول.
قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلاً في التجسيم.	أهل السنة يخالفون جهماً ومقاتل بن سليمان معاً. قال الإمام أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه. [3]	يخالفون جهماً ويوافقون مقاتلاً لا بل يبرئون ساحته من التجسيم. [4]
وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر.	من تلفظ بالكفر قد خرج من الإسلام وإن زعم أنه مسلم كمن يقول ولد الله.	يقولون بأن الكفر يقع ممن تلفظ به فيصير كافراً ويقولون أيضاً أن ليس كل من تكلم بالكفر

الجهمية [1]	أهل السنة	المشبهة المجسمة
		يصير كافرًا.
قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم، لإنكاره أن الله كلم موسى.	يثبتون أن الله كلم موسى بغير صوت فأسمعه كلامه الأزلي الأبدي الذي ليس صوتًا ولا حرفًا ولا لغة. [5]	يقولون كلام الله صوت وحرف فأجازوا حلول الأعراض بذات الله وبعضهم يقول يتكلم بما شاء متى شاء وهذا خلاف قول السلف.
زيادة على ما ذكره الذهبي- يقول جهم بقاء الجنة والنار.	أهل السنة يكفرون من يقول بقاء النار وكتبوا أدلة ذلك منها كتاب الإمام تقي الدين السبكي "الإعتبار ببقاء الجنة والنار". ونقل ابن حزم الإجماع على خلاف ما قاله جهم وأن من أنكر بقاء الجنة أو النار يكفر ووافقه ابن تيمية على هذا الإجماع.	هذه الفرقة طبعت كتاب ابن القيم الذي يذكر فيه أن عقيدة هذه الفرقة ومشايخها هي القول بقاء النار وقد ذكر ذلك في كتاب "مراح الأرواح". فغير قوله شيخهم فوافق جهما في نصف عقيدته فقالوا بقاء النار. وقد اشتهر ذلك عنهم مؤخرًا على شاشات المرئي.
الجهمية مرجئة جبرية - كما مر.	أهل السنة عقيدتهم بين الجبر والتفويض: ينسبون المشيئة للعبد والمشيئة لله ويقولون لا يشاء العبد إلا إن شاء الله ومشية الله فوق المشيئات.	يخالفون أهل السنة حول مسألة الإيمان كما مر فوق.

تثبت هذه المقارنة مخالفة أهل السنة للجهمية وأنه لا جامع بينهما بل الجمع والموافقة بين المشبهة المجسمة والجهمية في بعض أصولها وأقوالها كما

هو ظاهر وأن فرقة المشبهة المجسمة أحق من غيرها بالمؤاخاة بينها وبين الجهمية بينما أهل السنة بريئون من ذلك.⁽¹⁾

(١) ورد موقع (إسلام ويب) هذا القول بقوله: (ولا تصح نسبة القول بفناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فإن الراجح عنده أبديتها وعدم فنائها، وقد نص على ذلك رحمه الله في أكثر من موضع من كتبه، فقد قال رحمه الله تعالى في كتابه: درء تعارض العقل والنقل: وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وإنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ليس لذلك آخر... وقال رحمه الله أيضاً في كتابه: بيان تلبيس الجهمية: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهنم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها. اهـ وانظر كلام شيخ الإسلام أيضاً في مجموع الفتاوى (304/8)، (307/18) وفي غير ما موضع من كتبه الأخرى.

وسبب الغلط على شيخ الإسلام ونسبة القول بفناء النار إليه أن ابن القيم في كتابه (حادي الأرواح) قد ذكر الأقوال في فناء النار وعدمه، وأشار إلى أن ابن تيمية قد حكى بعض هذه الأقوال، والتي منها القول بفناء النار، وليس في ذلك ما يدل على نسبة هذا القول الباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد حكى هذه الأقوال غيره من أهل السنة والجماعة كشراح الطحاوية، وحكاية شيخ الإسلام لأقوال الطوائف مشحونة بها مؤلفاته، ولكن للرد عليها لا لتقريرها، وهذا واضح ولا يحتاج إلى مزيد بيان.

وأما الإمام ابن القيم، فإنه له قولين: الأول مال فيه إلى القول بفناء النار، وقواه وأيده بالأدلة، وذلك في كتابه (حادي الأرواح) (وشفاء العليل) كما أنه توقف في المسألة في كتابه (الصواعق المرسلّة) القول الثاني لابن القيم، وهو الموافق لمذهب أهل السنة هو القول بأبدية النار وعدم فنائها، وذكر ذلك منصوصاً عليه في كتابيه (الوابل الصيب) و(طريق الهجرتين). فقد قال في الوابل الصيب: وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه على بعض ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تقنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تقنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض. اهـ

وعلى هذا، فإن إطلاق القول بأن ابن القيم يقول بفناء النار غلط عليه، إذ تبين لك أن له قولان، وإنما البحث هو في أي القولين هو المتأخر الناسخ للأول؟

ولقد غلب بعض الباحثين الظن بأن ما قاله ابن القيم في (الوابل الصيب) و(طريق الهجرتين) ناسخ لما ذكره في (حادي الأرواح) و(شفاء العليل) و(الصواعق المرسلّة) وأيد هذا الاستنتاج ببعض الحجج انظرها في كتاب (كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار) (لعلي الحربي، طبعة دار طيبة).

[1] ما ينسب إلى جهنم في هذا الجدول على حسب ما ترجم الذهبي لجهنم بن صفوان. [2] ذكر صاحب "البيان" العمراني اليمني (558 هـ) أن الشافعي كفر القدريّة والقائل بخلق القرآن. قال البزدوي في "كشف الأسرار": وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول عن محمد بن الحسن". انظر "شرح العقيدة الطحاوية" للعلامة محمد بن محمد البابرتي المصري الحنفي (786 هـ)، مراجعة الشيخ زياد حمدان، مؤسسة الكتب الثقافية، ص 102.

[3] "سير أعلام النبلاء" ج 7، مؤسسة الرسالة. جاء في ترجمة مقاتل بن سليمان (مات نيف وخمسين ومائة) قال البخاري: مقاتل لاشئ البتة وقال الذهبي: "أجمعوا على تركه".

[4] قال خالد بن عثمان السبب أحد المعاصرين: "والإشكال أن الكثير من الناس أحياناً يتناقلون الشيء وهم لم يقرءوه ولم يتأملوه وإنما ينقل بعضهم عن بعض، ومن أمثلة ذلك أن مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة مائة وخمسين للهجرة تناقل الناس عنه كلام أبي حنيفة أنه جاءنا من قبل المشرق رأيان خبيثان جهنم معطل ومقاتل مجسم، ومقاتل له كتاب في التفسير أربعة مجلدات، وله تفسير خمسمائة آية حقق في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، أعني أن كتبه موجودة وليس فيها أي شيء من التجسيم، ولذلك لما ذكره شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة قال: وقد لا يثبت عنه، ومع ذلك الناس يتناقلون هذا عنه، فإذا ذكر مقاتل ذكر التجسيم، ولا يوجد في كتبه شيء من هذا، والله أعلم".

في "المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير" تفسير سورة المائدة (8). يا لها من شهادة ممن يوالي أهل التجسيم وقد أثبت الذهبي أن مقاتلاً كان مجسماً. وفي حاشية كتاب "الاسماء والصفات" ص 294: قال ابن الجوزي حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الجواربي يقولون إن لله صورة وأعضاء.. وقال أبو بكر بن العربي في

هذا، وإن القول ببقاء النار قد أثر عن بعض السلف وهم: عمر وابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وهذه الآثار إما أنها لا تصح نسبتها إليهم، أو أنها محمولة على وجه آخر غير القول ببقاء النار.

وانظر مناقشة هذه الآثار وإبطال الاستدلال بها في (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز (2/651)، (652 في الحاشية، طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق الأرنؤوط.

"العواصم من القواسم" فإن قالوا بالصورة والصوت والتعبير بالحوادث لم يكونوا من أهل القبلة، وحكم بخروجهم أصلاً وفرعاً من الملة. اهـ

[5] وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة تبين بطلان الروايات في ذلك [أي نسبة الصوت لله تعالى] زيادة على الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحادث فيه سبحانه. اهـ مقالات الكوثري 59.

وقال في ترجمته ابن المعلم القرشي في "نجم المهتدي ورجم المعتدي" ما نصه: "كان صحيح الاعتقاد مخالفاً للطائفة التي تزعم أنها أثرية، صنف كتابه المعروف بـ"كتاب الأصوات" أظهر فيه تضعيف رواية أحاديث الأصوات وأوهامهم، وحكى الشيخ تقي الدين شرف الحفاظ عن والده مجد الدين قال بأنه بلغ رتبة المجتهدين." اهـ

ونسبوا الإمام الطحاوي إلى المرجئة وهذه عقيدة كفرية

الإمام الطحاوي وعقيدته المشهورة التي لا يخالفها سني باعترافهم في مقدمة كتابهم الذي ألفوه لشرح "العقيدة الطحاوية" ظاهراً ودس عقائدهم حقيقة كما صرحوا بذلك لم يسلموا من هذه الفرقة فقد ردوا عليه كما في الأسفل وقالوا في كلامه "قصور نظر" ونسبوه إلى المرجئة وقالوا "كلامه فيه نظر بل هو باطل" [1]. قالوا: " وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة." إذ لم يذكر الطحاوي العمل بالأركان في تعريف الإيمان.

وزعم ابن باز أن في كلام الطحاوي نظراً، وقال: (إن كلامه باطل) تعليقات ابن باز على متن الطحاوية"، ص 15.

وهذا خلاف ما عليه زعيمهم فإن ابن تيمية لما عُقد له مجلس في تحقيق عقيدته، وقيل له: ما تعتقد؟ قال: أعتقد ما يعتقده الطحاوي، وخلص بذلك" اهـ كتاب "تحفة الثرك فيما يجب أن يكون في الملك" صحيفة 38.

والذي يظهر لمن تتبع ممارسات هذه الفرقة أن هذه الفرقة في أحسن أحوالها وعلى فرض أنهم يطلبون الإتياع لا الابتداع لا تتوانى عن الرد على الأكابر بحجة اتباع السلف وقد استشرى فيهم هذا المرض حتى ظنوا أنهم الأعلام بمذهب السلف ولو كان الذي يردون عليه من رؤوس السلف كالبخاري والطحاوي وترسخ فيهم أن من سبق من العلماء غاب عنهم ما فطنوا إليه، وقد فعل ذلك ابن تيمية كما نقل الذهبي في "بيان زغل العلم والطلب". والله أعلم.

ومن جملة ما قاله ابن أبي العز الذي ذكرناه سابقاً:

• عندما يذكر الطحاوي أن العالم له بداية وأن كل ما سواه كان معدوماً والله أبرزه من العدم إلى الوجود ولا يجوز أن يكون هناك حوادث لا أول لها يرد هذا الشارح بقول من قال إن الحوادث لا أول لها. متبعاً كلام ابن تيمية.

• وفي مكان آخر في قول الطحاوي: تعالى عن الحدود والغايات وفي قوله أن الله متعالٍ عن الحدود والغايات يعارضه ابن أبي العز ويقول بل الله له حد يعلمه هو ويقول الله في جهة فوق.

• وحيث يقول الطحاوي ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر يخالفه ابن أبي العز ويقول إن الله ينزل من فوق إلى تحت.

وهكذا مضى يحرف عقيدة الطحاوي زاعماً أنه يشرحها وأنه يتبع أبي حنيفة والطحاوي وكذب في الأمرين.

لأجل هذا الملا علي بن سلطان القاري لما ذكر شرح ابن أبي العز قال:

"إن مؤلفه يُغرب في استدلاله ويخالف العقيدة الحقة ويتبع المبتدعة القائلين بالجهة في حق الباري سبحانه." اهـ

وقال الحافظ الزبيدي فيه بأنه شرح فيه مجازفة وتجاوز للحدود وهو كالرد على أئمة أهل السنة. اهـ

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري فيه وطُبع شرحٌ لمجهولٍ يُنسبُ إلى المذهب الحنفي زوراً وينادي صُنْعُ يده بأنه جاهل بهذا الفن وأنه حشوى مُخْتَلٌ العيار. اهـ وقوله حشوى أي مشبه) انتهى. موقع السنة (1).

يقول العبدُ الفقير إلى الله تعالى الغني محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: فرغتُ من كتاب (العقيدة الطحاوية وأدلتها وترتيبها وشرحها)، للمرحلة الأولى بدون حواشي مع كتابته وإخراجه على الحاسب الآلي بنفسِي؛ وفي بيتي. وقدم لي أساتذتي الدكتور محمد فوزي فيض الله رحمه الله تعالى والدكتور أحمد الحجي الكردي جفظه الله قبل أن أضع الحاشية ثم قدم لي أستاذي الدكتور عناية الله إبلاغ أستاذ العقيدة واطلع على الحاشية وبقيت عنده سنة وطالبني بطباعته عدة مرات وذلك قبل مرضه.

وكانت آخر جلسة يوم الأحد 26 / صفر الخير / 1419 من هجرة المصطفى (الموافق 20 / 6 / 1998 من السنة الشمسية).

ثم بدا لي وضع الحواشي على فترات متقطعة كلما وجدت شيئاً مفيداً ضممته، وقد وضعت هذا الشرح عند أستاذنا الشيخ الدكتور عناية الله إبلاغ سنة كاملة - قبل مرضه - وأمرني بطباعته، وها أنا أمتثل لأمره بعد أن شرح الله صدري لإخراجه للقراء، فما كان من خير فمن توفيق الله تعالى، وما كان غير ذلك فمن عجزِي وجهلي أتوب إلى الله منه، وتم الانتهاء منه آخر مرة ودفعه للطباعة بتاريخ يوم الإثنين 24 جمادى الآخرة 1439 من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يوافق 2018/3/12

أسأل الله سبحانه حسن القبول، وأن ينفعني به وقارئه، ويهديني وإياه سواء السبيل، كما أسأله سبحانه حُسن الختام لي ولوالدي ومشايخي وأخص منهم مقدمي هذا الكتاب، والمسلمين عامة، حُرر في - الكويت - منطقة سلوى - حفظها الله وسائر بلاد المسلمين، وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرست

مقدمة شيخنا الأستاذ الدكتور:
محمد فوزي فيض الله حفظه الله
مقدمة شيخنا الأستاذ الدكتور:
عناية الله إبلاغ حفظه الله
مقدمة شيخنا الأستاذ الدكتور:
أحمد الحجي الكردي حفظه الله:
مقدمة المعد:

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

الفصل الأول - الإيمان المبحث الأول - أركان الإيمان

1 - والإيمانُ هُوَ:

لغة:

الركن الأساسي للإيمان:

- والتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ، 459/2

دليل أن القلب محل الإيمان والتصديق:
ومن الأحاديث النبوية على أهمية الإيمان ونطق الشهادتين بإخلاص ما يلي:

الركن الثاني للإيمان
المتمم للركن الأول الأساسي (تصديق القلب)
وذلك لإجراء أحكام الإسلام في الدنيا هو:

- الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ؛

الدليل القرآني:

ومما يؤكد أهمية الإقرار باللسان وعدم الاستهانة به؛ وإجراء أحكام الإسلام على من نطق بالشهادتين؛ وأمر قلبه إلى الله فيما يعتقده:

المبحث الثاني - أصل الإيمان:

2 - و(أصل - ب -) الإيمانِ هُوَ:

- الإيمانُ بالله تعالى؛

- وملائكته؛

- وكُتُبِهِ؛

- ورُسُلِهِ؛

- واليَوْمِ الْآخِرِ؛
- (والبعث بعد الموت - ب - غ)؛
- والقَدَرِ:
- خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛
- وَخُلُوهِ وَمُرِّهِ؛ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ج 2/ص 511
- 3 - وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ؛ 523/2

الدليل القرآني:

5 - والإِيمَانُ وَاحِدٌ؛

الدليل القرآني:

- 6 - وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ؛
- 7 - وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ:
- (بالْخَشْيَةِ - أ - ب) وَالتَّقَى؛
- وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى؛
- (وَمُلَازِمَةُ الْأَوَّلَى أ - ب)؛ ج 2/ص 504

الدليل القرآني:

الفصل الثاني: الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ

- 1 - وَنَسَمَى أَهْلَ قِبَلَتِنَا (مُسْلِمِينَ - أ - غ) مُؤْمِنِينَ:
- مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ؛
- وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ؛ 426/2
- 2 - وَلَا تُكْفِرُوا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ؛ 432/2

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الفقه الأكبر
وقال رحمه الله في رسالته إلى عالم البصرة عثمان البتي
وجاء في رسالة العالم والمتعلم لأبي حنيفة - وهو العالم - :

الدليل القرآني:

3 - وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ؛

الدليل القرآني:

- 4 - وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:
- (أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ؛
- وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ؛

- وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ - أ - ب)؛
 - وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ؛
 - وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ؛
 - وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ؛
 - وَلَا نُقَتِّطُهُمْ؛ 448/2
 5 - وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا؛ 529/2

الدليل القرآني:

6 - وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ:
 - بِكُفْرٍ؛
 - وَلَا بِشِرْكَ؛
 - وَلَا بِنِفَاقٍ؛
 - مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛
 - وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ 537/2

الدليل القرآني:

7 - وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يُنْقَلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؛
 وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ 456/2

الدليل القرآني:

8 - وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ؛ 458/2

الدليل القرآني:

الفصل الثالث

الإيمان بالله تعالى

أولاً - الإيمان بتوحيد الله تعالى

نقول في توحيد الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ:

1 - إِنْ اللَّهَ وَاحِدًا؛ ج 1/ص 21

1 - الدليل القرآني على وجود الله تعالى:

2 - الدليل القرآني على وحدانية الله تعالى:

ثانياً - الإيمان بصفات الله تعالى

المبحث الأول - الإيمان بالصفات السلبية لله تعالى؛

وهي تستلزم ثبوت الكمال لله تعالى

1 - لَا شَرِيكَ لَهُ؛ ج 1/ص 21

آ - مناقشة المشركين وإبطال شريك الباري سبحانه وتعالى:

الدليل القرآني:

ب - تنزيه الله تعالى عن الشريك:

الدليل القرآني:

ج - أمر الله تعالى بعدم اتخاذ الشريك:

الدليل القرآني:

د - خلود المشرك في نار جهنم:

الدليل القرآني:

هـ - لا طاعة لأحد يأمر بالشرك بالله تعالى:

الدليل القرآني:

2 - ولا شيء مثله؛ 57/1

الدليل القرآني:

3 - ولا شيء يُعْجِزُهُ (مُعْجِزُهُ ب)؛ 68/1

الدليل القرآني:

4 - لا إله غيرُهُ؛ 72/1

الدليل القرآني:

5 - ليسَ في مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ؛ 249/1

الدليل القرآني:

6 - لا يَفْنَى ولا يَبِيدُ؛ 78/1

الدليل القرآني:

7 - لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ؛

8 - ولا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ؛ 84/1

الدليل القرآني:

9 - ولا يُشَبِّه (ولا يُشَبِّهُهُ - ب) الْأَنَامُ؛ 84/1

الدليل القرآني:

10 - لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ؛ 117/1

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) سورة الشورى؛

ج 117/1

الدليل القرآني:

المبحث الثاني

الإيمان بما يستحيل على الله تعالى من الصفات الحادثة

1 - تَعَالَى (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) عَنْ:

- الْحُدُودِ؛

- وَالْغَايَاتِ؛

- وَالْأَرْكَانِ؛

- (وَالْأَعْضَاءِ - أ - ب)؛

- وَالْأَدَوَاتِ؛ 260/1

2 - لِاتِّحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ؛ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ؛ 260/1

1 - الدليل الأول: أن الغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الست: فوق وتحت؛ وأمام وخلف؛ ويمين ويسار، كل ذلك مخلوق لله تعالى:

- متى خلق الله الجهات؟:

1 - ثم خلق الله تعالى العماء:

2 - ثم خلق الله العرش والماء:

3 - ثم خلق الله السوات والأرض، فخلقت الجهات الست، وبدأ الزمان، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة وحجة الوداع:

2 - الدليل الثاني: على استحالة وصف الله تعالى بالمحدثات المخلوقة:

3 - وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ:

أ - الْأَضْدَادِ؛

ب - وَالْأَنْدَادِ - أ - غ)، 138/1

- دليل أنه تعالى متعال عن الأضداد:

- دليل أنه تعالى متعال عن الأنداد:

وقد ذم الله تعالى من جعل له نداً، فقال سبحانه:

المبحث الثالث

قواعد الإيمان بصفات الله تعالى

1 - وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ؛ 548/2

القاعدة الأولى: قول (الله أعلم) فيما اشتبه على الإنسان علمه ومعرفته

وقد علم الله نبيه (بالدعاء بطلب زيادة العلم فقال سبحانه:

وعلمه تفويض ما لم يعلم الله تعالى، فقال سبحانه:

وقد بين الله تعالى أن العلم بالشيء بمشيئته سبحانه:

وأخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم:

والمؤمن يرجع كل أموره الحياتية والعلمية إلى الله

ومن زعم أنه يستغني بعلمه عن الرسل والأنبياء فقد ضل وجهل:
وقد مدح الله تعالى الذين أوتوا العلم، ورفع درجاتهم ومقدارهم، بقوله:

2 - وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ: النَّفْيَ؛ وَالتَّشْبِيهَ، زَلْ، وَلَمْ يُصِبْ التَّنْزِيهَ؛ 249/1

القاعدة الثانية: الابتعاد عن نفي ما أثبتته الله تعالى، والابتعاد عن تشبيهه الله تعالى بخلقه، وهذا يعني إثبات بلا تشبيه ولا تكييف لقوله تعالى:

القاعدة الأساسية لفهم آيات الصفات هي: التنزيه المطلق لله تعالى

1 - تنزيه الله تعالى نفسه؛ تعظيماً لشأنه سبحانه؛ وتعليماً لنا:

2 - وأما تنزيه الملائكة لله تعالى:

3 - وأما تنزيه الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - لله تعالى:

4 - وأما تنزيه المؤمنين لله تعالى:

5 - لهذا جاءت آيات التنزيه تعلم المؤمن طريق التنزيه، أثناء المحاجة وخلال إقامة الحجة على الكافرين المجسمين من اليهود والنصارى ومن تبعهم:

6 - سبحانه دعاء المؤمنين في الجنة:

7 - وقد ورد الأمر الإلهي بتسبيحه صباح مساء، ليصبح العبد معتقد التنزيه لله تعالى ويمسي كذلك، وما بينهما؛ وفي الركوع والسجود؛ وفي كل آن، فقال سبحانه:

8 - وقد أخبرنا الله تعالى أن كل ما في السموات والأرض تسبحه وتنزهه:

9 - ومن كلمات التنزيه (تعالى):

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة في الدعاء بـ (سبحان) تعليماً للأمة على تنزيه الله تعالى

3 - فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا:

- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ؛

- مَنَعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ؛ 249/1

القاعدة الثالثة: إن الله تعالى واحد أحد؛ تفرد بصفات الأحدية والفردانية، فهو أحد فرد صمد لقوله تعالى:

4 - وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنْ:

الحديث الصحيح عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- فَهُوَ كَمَا قَالَ؛

- وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛

- وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ:

- مُتَأَوِّلِينَ بَارِئِينَ؛
 - وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَانِنَا؛
 - فَإِنَّهُ مَا سَلَّمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ:
 - سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛
 - وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 - وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ؛ 207/1
 - وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ:
 - التَّسْلِيمِ؛
 - وَالِاسْتِسْلَامِ؛ 231/1

القاعدة الرابعة لفهم آيات الصفات: التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ من أركان الإيمان، وعدم اتباع الهوى في الفهم:
 الدليل القرآني:
 وإذا كانت الملائكة قد سلّمت علمها لله أفلا يجدر بالإنسان المؤمن أن يسلم لله؟!:
 وإذا كانت الروح لا نعلم عن حقيقتها شيئاً، وإذا كان علم الإنسان محدوداً، أفلا يجدر بالإنسان أن يُسلم لله تعالى؟!:
 وعندما فوض العبد المؤمن أمره إلى الله تعالى نصره الله تعالى:
 - دليل عدم اتباع الهوى في الفهم:
 - النهي عن الجدال في الله تعالى بغير علم:
 - النهي عن تلبيس الحق بالباطل بالرأي الفاسد:

5 - (وَمَنْ وَصَفَ اللَّهُ بِمَعْنَى مَنْ مَعَانِي الْبَشَرِ أ - غ)
 - فَقَدْ كَفَرَ؛

- فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا: اُعْتَبَرَ؛
 - وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ؛
 - وَعِلْمُ أَنَّهُ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - ب) بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ؛ ج 206/1

القاعدة الخامسة لفهم آيات الصفات: عدم وصف الله تعالى بأي معنى معاني البشر:
 الدليل القرآني:

6 - فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ؛

- وَلَمْ يَقْتَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمَهُ؛
- وَحُجْبَةُ مَرَامُهُ عَنْ:
- خَالصِ التَّوْحِيدِ؛
- وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ؛
- وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ؛
- فَيَتَذَنَّبُ (بَيْنَ):
- الْكُفْرِ؛ وَالْإِيمَانِ؛
- وَالتَّصْدِيقِ؛ وَالتَّكْذِيبِ؛
- وَالْإِقْرَارِ؛ وَالْإِنْكَارِ أ - ب)؛
- مُوسُوسًا؛
- تَائِهًا؛
- شَاكًا (زَائِعًا - ب)؛
- لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا؛
- وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا؛ 231/1

القاعدة السادسة لفهم آيات الصفات: عدم الاشتغال فيما لا علم لنا به
من الكيفية:
الدليل القرآني:

المبحث الرابع - الإيمان بصفات الذات

1 - قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ؛ 75/1

2 - دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، 75/1

الدليل القرآني:

3 - وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ؛ 78/1

الدليل القرآني:

4 - (وَهُوَ - ب) حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ 89/1

الدليل القرآني:

5 - قَيُّومٌ لَا يَنَامُ؛ 89/1

الدليل القرآني:

6 - وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى؛ لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى؛ 684/2

- الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى:

- الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى رِضَى اللَّهِ تَعَالَى:

7 - ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ 117/1

- دليل أن الله على كل شيء قدير:

8 - وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ؛ 1/711

- دليل أن كل شيء فقير إلى الله ومحتاج إليه:

9 - وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؛ 117/1

الدليل القرآني:

10 - وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ؛

ولا يملكه شيء؛ 684/2

- دليل تفرد الله تعالى بالملك:

11 - وَلَا غَنَىٰ عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛
وَمَنْ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛
وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ؛ 684/2

الدليل القرآني:

12 - وَاللَّهُ تَعَالَى:

- يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ؛

- وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ؛ 676/2

- دليل استجابة الله تعالى للداعي بإخلاص، وقضاء حاجات عباده:

13 - وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ؛ وَصَدَقَتْهُمْ مَنَفَعَةُ لِلْأَمْوَاتِ؛ 663/2

- دليل منفعة دعاء الأحياء للأَمْوَاتِ:

- دليل منفعة صدقة الأحياء ووهب أجرها للأَمْوَاتِ:

المبحث الخامس

الإيمانُ بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء؛

واستحالة أن يحيط به شيء:

1 - مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَفَوْقَهُ؛ 373/2

2 - وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقُهُ؛ 394/2

- دليل إحاطة الله تعالى بكل شيء:

- دليل فوقية القهر والرفعة والمكانة والعلو غير الحسي لله تعالى:

- دليل الكمال المطلق لله تعالى:

- لهذا جاء النهي عن ضرب الأمثال الناقصة لله تعالى:

المبحث السادس

الإيمان بأن العرش والكرسي حق:

- 1 - (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ) كَمَا بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ؛ 364/2
- 2 - (وَهُوَ) جَلَّ وَعَلَا (مُسْتَعْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَادُونَهُ)؛ 372/2

- الآيات التي ورد فيها ذكر العرش:
- وأما الكرسي فدليله آية الكرسي:
- والعرش والكرسي - إن كان معناه الحسي - مخلوقان سيفنيان قال الله تعالى:

المبحث السابع الإيمان بصفات الأفعال

- 1 - خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ؛ 92/1
- 2 - رَازِقٌ بِلَا مَوْوَنَةٍ (مؤنة - ب)؛ 92/1
- 3 - مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ؛ 93/1
- 4 - بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ؛ 93/1

- دليل خالق بلا حاجة:
- دليل رازق بلا مؤونة:
- دليل مميت بلا مخافة:
- دليل باعث بلا مشقة:

- 5 - مازال بصفاته قديماً قبل خلقه؛
لَمْ يَزِدْ (يزد - ب) بِكُونِهِمْ شَيْئاً؛ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ؛ 96/1
- 6 - وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَرْلِيّاً؛
كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيّاً؛ 96/1
- 7 - لَيْسَ مِنْذُ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتِفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ؛
وَلَا بِإِحْدَاثِهِ (بِإِحْدَاثٍ - ب) الْبَرِيَّةِ اسْتِفَادَ اسْمَ الْبَارِي؛ 109/1
- 8 - (لَهُ مَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ،
وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ - أ - غ)؛ 116/1

- الدليل القرآني:
- دليل اتصاف الله تعالى بالخالقية:

- 9 - (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا؛
اسْتَحَقَّ هَذَا الْاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ؛
كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ (سقطت من ب)؛ 116/1

الدليل القرآني:

المبحث الثامن الإيمان بالقرآن كلام الله تعالى

- 1 - وإنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ؛
منهُ بدأ بلا كيفيةٍ قولاً؛ 172/1
- 2 - وأنزله على رُسوله (نبيّه - ب) وحياً؛ 172/1
- 3 - وصدّقه المؤمنون على ذلك حقّاً؛ 172/1
- 4 - وأيقنوا أنّه كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقة؛ 197/1
- 5 - ليس بمخلوق ككلام البريّة؛ 197/1
- 6 - فمن سمعه؛ فزعم أنّه كلامُ البشر؛ فقد كفر؛ 197/1
- 7 - وقد ذمه الله؛ وعابه؛ وأوعده بسقر؛
حيث قال تعالى: (سأصليه سقر) سورة المدثر 26،
- فلما أوعد الله بسقر لمن قال (إخباراً):
(إنّ هذا إلّا قولُ البشر) سورة المدثر 25
- 8 - ولا يشبهه (شبهه - ب) قول البشر؛ 205/1
- 9 - ولا نجادل في القرآن؛ 428/2
- 10 - ونشهد (ونعلم - ب) أنّه كلامُ ربِّ العالمين؛ 428/2
- 11 - نزل به الرّوح الأمين؛ 428/2
- 12 - فعلمه سيّد المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم؛ 428/2
- 13 - وهو كلامُ اللهِ تعالى؛
لا يساويه شيءٌ من كلام المخلوقين؛ 428/2
- 14 - ولا نقولُ بخلقه؛
ولا نخالف جماعة المسلمين؛ 428/2

- دليل كلام الله تعالى قائم في نفسه:
 - دليل ظهور القرآن بلا كيفية:
 - دليل نزول سيدنا جبريل بالقرآن على قلب سيدنا محمد ﷺ:
 - دليل أن القرآن كلام الله تعالى:
 - دليل أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق:
- قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر

المبحث التاسع
الإيمان بروية المؤمنين لله تعالى في الآخرة بلا كيفية

1 - والرُّؤْيَةُ حَقٌّ لَأَهْلِ الْجَنَّةِ:
 - بَغْيَرِ إِحَاطَةٍ؛
 - وَلَا كَيْفِيَّةٍ؛
 - كَمَا نَطَقَ كِتَابُ رَبَّنَا: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) [سورة القيامة].

- وَتَفْسِيرُهُ عَلَى: مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَعِلْمُهُ؛ 207/1
 - دَلِيلُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبَلَا كَيْفِيَّةٍ:
 - أَمَّا الْكَافِرُونَ فَقَدْ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُمْ:

2 - وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنْ:
 - اِعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ؛
 - أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛
 - (إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ؛
 وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنَى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ أ - غ)
 - تَرَكَ (إِلَّا بِتَرَكَ - ب) التَّأْوِيلَ؛
 - - وَلَزُومَ التَّسْلِيمِ؛
 وَعَلَيْهِ دَيْنٌ: (الْمُسْلِمِينَ - أ - الرُّسُل - ب)
 الْمُرْسَلِينَ (وَشَرَائِعَ النَّبِيِّينَ - غ)؛ 249/1
 وَإِلَيْكَ دَلِيلُ التَّسْلِيمِ:

الفصل الرابع

الإيمان بالقضاء والقدر:

خَيْرُهُ؛ وَشَرُّهُ؛ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

مباحث القدر متعلقة بالإيمان:

بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَقُدْرَتِهِ؛ وَتَقْدِيرِهِ؛ وَمَشِيئَتِهِ؛

وإرادته؛ وفضله؛ وعدله؛ ورضاه؛ وبغضه؛ وحبه؛ وكرهه،

وهو متعلق بالربوبية والألوهية.

المبحث الأول - الإيمان بعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ

1 - خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ؛ 124/1

2 - وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا؛ 126/1

3 - وَضَرَبَ لَهُمَ آجَالًا؛ 127/1

4 - وَلَمْ يَخَفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛

(مِنْ أَفْعَالِهِمْ - ب) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ (خَلَقَهُمْ - غ)؛

وَعَلَّمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ؛ 132/1

- دليل خلق الله تعالى وعلمه وتقديره الآجال:

5 - وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ؛ وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ 132/1

- دليل أمر الله تعالى عباده ونهيهم عن معصيته:

6 - وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ:

آدَمَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)؛

وَذُرِّيَّتِهِ؛ حَقٌّ؛ 302/1

- دليل ميثاق الإيمان الذي أخذه الله تعالى على آدم وذريته:

فهذه هي الشهادة والهداية الأولى على الإنسان لذا قال الله تعالى:

7 - وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ:

- عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛

- وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛

- فَلَا يَزْدَادُ (يُزَادُ - ب) فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ؛

- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلَّمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ؛ 317/1

الدليل القرآني:

9 - وَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ 318/1

الدليل القرآني:

10 - وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ؛ 318/1

الدليل القرآني:

11 - وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ؛

- وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ 318/1

الدليل القرآني:

12 - وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ:

- قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ؛

- فَقَدَّرَ ذَلِكَ (بِمَشِيئَتِهِ) تَقْدِيرًا؛

- مُحْكَمًا؛

- مُبْرَمًا؛

- لَيْسَ فِيهِ:

- ناقضٌ؛
- ولا مُعَقَّبٌ؛
- ولا مُزِيلٌ؛
- ولا مُغَيِّرٌ؛
- ولا مُحَوِّلٌ؛
- ولا ناقصٌ؛
- ولا زائدٌ، مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَواتِهِ وَأَرْضِهِ؛ 353/2

الدليل القرآني:

- 13 - وَذَلِكَ (فَهَذَا - ب) مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ؛
 - وَأَصُولِ الْمَعْرِفَةِ؛
 - وَالْإِعْتِرَافِ؛
 - بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى (بِوَحْدَانِيَّتِهِ - ب)؛
 - وَرُبُوبِيَّتِهِ؛
 - كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (2)
 [سورة الفرقان]؛

- وَقَالَ تَعَالَى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38)

[سورة الأحزاب]؛ 355/2

- 14 - فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ (لِلَّهِ تَعَالَى - ب)
 - (قَلْبُهُ - أ) فِي الْقَدَرِ (خَصِيمًا - ب)؛
 (وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ - ب) قَلْبًا سَقِيمًا،
 - لَقَدْ التَّمَسَّ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا،
 - وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَاكًا أَثِيمًا؛ 360/2

الدليل القرآني:

المبحث الثاني
 الإيمانُ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ

- 1 - وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي:
 بِتَقْدِيرِهِ (بِقُدْرَتِهِ - ب)؛
 - وَمَشِيئَتِهِ؛ 133/1
 - وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛
 - لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ؛ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛
 - فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ؛

- وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ 133/1

الدليل القرآني:

2 - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ؛

- وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي) مَنْ يَشَاءُ - غ - (: فَضْلاً،

- وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛

- وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي: عَدْلًا؛ 137/1

3 - (وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ؛ بَيْنَ:

- فَضْلِهِ؛

- وَعَدْلِهِ - أ - ب)؛ 138/1

الدليل القرآني:

4 - لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ؛

5 - وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ؛ 138/1

6 - وَلَا غَالِبَ لَأَمْرِهِ؛ 138/1

7 - آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ؛

- وَأَيُّقِنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ؛ 139/1

الدليل القرآني:

المبحث الثالث

الإيمان بأنَّ القدرَ سرٌّ

مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى

1 - وَأَصْلُ الْقَدْرِ سرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ؛

2 - لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ:

- مَلَكٌ مُقَرَّبٌ؛

- وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ 320/1

3 - وَالتَّعَمُّقُ؛ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ:

- ذُرِيَةُ الْخِذْلَانِ؛

- وَسُلْمُ الْحَرَمَانِ؛

- وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ 320/1

4 - فَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ:

- نَظَرًا ؛

- وَفِكْرًا ؛

- وَوَسْوَسةً؛ 320/1

5 - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى:

- طَوَى عِلْمَ الْقَدْرِ عَنْ أَنَامِهِ (الأنام - ب)؛
 - وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ (المَرَام - ب)؛
 - كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:
 (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء /23؛
 - فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟؛ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛
 - وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ؛ 320/1
 الدليل القرآني:

المبحث الرابع
 الإيمان باللوح المحفوظ؛
 وما سطره القلم إلى يوم القيامة

1 - وَنُومِنُ:
 - بِاللُّوحِ؛
 - وَالْقَلَمِ؛
 - وَبَجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ؛ 344/2
 - فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ؛
 - عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى (فيه - ب) أَنَّهُ كَائِنٌ؛
 - لَيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ؛
 - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛
 - وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ؛
 - عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ؛
 - لَيَجْعَلُوهُ كَائِنًا؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ 346/2
 - جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ 346/2
 2 - وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ؛
 - وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ؛ 352/2
 الدليل القرآني:

المبحث الخامس
 الاشتغال بما أظْهَرَهُ اللَّهُ لَنَا مِنَ الشَّرِيعَةِ؛
 وَالْكَفُّ عَمَّا أَخْفَاهُ عَنَّا مِنَ الْمَغِيبَاتِ

1 - فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ:
 - مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛

- وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ:
 - لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ:
 - عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَهُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ
 - وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ وَهُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
 - فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ؛
 - وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ؛
 - وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ: إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ؛ وَتَرْكِ طَلْبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ؛ 343/1

الشرح: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ: هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ: هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ.
 الدليل القرآني:
 (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) سورة الإسراء.
 (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) سورة البقرة.

2 - وَكُلٌّ يَعْمَلُ (وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ - ب)
 - لِمَا قَدْ فَرَّغَ لَهُ (مِنْهُ - غ)
 - وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ؛ 614/2
 الدليل القرآني:

3 - وَالْخَيْرُ؛ وَالشَّرُّ: مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ (أ - غ)؛ 614/2
 الدليل القرآني:

المبحث السادس
 الإيمان بتوفيق الله تعالى للعمل
 (استطاعة مقارنة للعمل لا يترتب عليها التكليف)

1 - وَالْإِسْطِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ فِيهَا الْفِعْلُ:
 - مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ؛ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ مَعَ الْفِعْلِ؛ 633/2
 2 - (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ - أ - غ)؛ 652/2
 - (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ؛
 وَهُوَ تَفْسِيرٌ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

- نَقُولُ:
 - لَاحِيْلَةٌ لِأَحَدٍ؛
 - وَلَا تَحْوُلُ لِأَحَدٍ؛
 - وَلَا حَرَكَةٌ لِأَحَدٍ؛
 - عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ؛
 - وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى:
 - إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ؛
 - وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا؛
 - إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى - أ - غ)؛ 652/2
 الدليل القرآني:

المبحث السابع
 الإيمان بأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها
 (استطاعة تهيئة الأسباب ويترتب عليها التكليف)

1 - وَأَمَّا الْإِسْطِطَاعَةُ مِنْ (جِهَةٍ - أ - ب)
 - الصَّحَّةِ؛
 - وَالْوُسْعِ (وَالْتَوْسُّعِ - ب)؛
 - وَالتَّمَكُّينِ؛
 - وَسَلَامَةِ (وَصِحَّةِ - ب) الْآلَاتِ؛
 فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ؛ (وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ - أ - غ)؛
 وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (286) [سورة
 البقرة]؛ 633/2
 قال أبو حنيفة رحمه الله - في رسالة الفقه الأيسر - :

المبحث الثامن
 الإيمان بأن أفعال الإنسان: بخلق الله؛ وكسب الإنسان

- 1 - وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ:
- خَلَقُ (بِخَلْقٍ - ب) اللَّهُ؛
- وَكَسَبَ مِنَ الْعِبَادِ؛ 639/2
الدليل القرآني:

الفصل الخامس الإيمان بالملائكة

- 1 - وَنُؤْمِنُ: بِالْمَلَائِكَةِ؛ وَالنَّبِيِّينَ؛ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ؛ 401/2
2 - وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ؛ 557/2
3 - وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ؛ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ؛ 561/2
الدليل القرآني:

- 1 - نُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ لِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ وَجُودِهِمْ:
2 - وَنُؤْمِنُ بِالنَّبِيِّينَ لِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ:
وختامهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - :
3 - وَنُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ:
- وَنُؤْمِنُ بِالصُّحُفِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
- وَنُؤْمِنُ بِالزَّبُورِ الْمُنَزَّلِ عَلَى سَيِّدِنَا دَاوُدَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
- وَنُؤْمِنُ بِالتَّوْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى؛ وَبِالْإِنْجِيلِ الْمُنَزَّلِ عَلَى
سَيِّدِنَا عِيسَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
4 - وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى:
5 - وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ؛ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

الفصل السادس

الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين

المبحث الأول - الإيمان بالرسل جميعاً

- 1 - لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى (فِي مَا - ب)
مَا جَاءُوا بِهِ؛ 523/2
الدليل القرآني:

- 2 - وَنَقُولُ: - إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛

- وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا؛

- إِيمَانًا؛

- وَتَصَدِيقًا؛

- وَتَسْلِيمًا؛ 401/2

الدليل القرآني:

المبحث الثاني
الإيمانُ بنبوّةِ رسالةِ سيدنا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

- 1 - وَإِنَّ مُحَمَّدًا:
عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى؛
وَنَبِيِّهِ (وَأَمِينُهُ - ب) الْمُجْتَبَى؛
وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى؛ 139/1
و(أَنَّهُ - أ) خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ؛ 156/1
وإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ؛ 158/1
وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ؛ 158/1
وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ 164/1

- دليل (وإنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى):
- دليل (وَنَبِيِّهِ (وَأَمِينُهُ - ب) الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى):
- دليل و(أَنَّهُ - أ) خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ:
- دليل وإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ؛ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ؛ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ:
- دليل وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ:

- 2 - وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ:
فَعْيٌ؛
وَهَوًى؛ 167/1

الدليل القرآني:

- 3 - وَهُوَ الْمَبْعُوثُ:
- (إِلَى عَامَّةِ الْجَنِّ؛
- وَكَافَّةِ الْوَرَى سَقَطَتْ مِنْ - غ)؛
- بِالْحَقِّ؛
- وَالْهُدَى؛
- (وَبِالنُّورِ؛
- وَالضِّيَاءِ - أ - ب)؛ 167/1

الدليل القرآني:

المبحث الثالث
الإيمانُ بما خَصَّ اللهُ تعالى
سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

1 - والمِعْرَاجُ حَقٌّ؛
 وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ 270/1
 2 - وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ؛ إِلَى السَّمَاءِ؛
 ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا؛
 وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ؛
 وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) [سورة النجم]؛
 فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ 270/1

دليل الإيمان بالإسراء والمعراج:

3 - وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ؛ 277/1

- دليل الإيمان بحوض الكوثر:

4 - وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ؛ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ؛ 282/1

دليل الإيمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم:

وأحاديث الشفاعة بلغت حد التواتر

المبحث الرابع

الإيمان بكرامات الأولياء

1 - وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛
 وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ؛ 741/2
 2 - وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَتِهِمْ؛ وَصَحَّ عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ؛
 746/2

الدليل القرآني:

3 - وَلَا نُصَدِّقُ:
 - كَاهِنًا؛
 - وَلَا عَرَّافًا؛ 505/2

الدليل القرآني:

4 - وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ؛ 505/2
 5 - وَأَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعَهُمْ وَأَتَّبَعَهُمُ الْقُرْآنُ؛ 510/2

الدليل القرآني:

6 - وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ (الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ - ب)؛
 وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ:

- أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ؛
 - وَأَهْلُ الْفَقْهِ وَالنَّظَرِ،
 - لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ؛
 - وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ؛ 740/2
 دليل ذكر السلف الصالح بالخير من الصحابة والتابعين وتابعيهم
 بإحسان:

الفصل السابع
 الإيمان بعالم البرزخ
 المبحث الأول - الإيمان بنعيم وعذاب القبر وسؤاله

1 - (وَيُؤْمِنُ - ب):
 - بِعَذَابِ الْقَبْرِ؛
 - (وَنَعِيمِهِ - ب) لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا؛
 قال أبو حنيفة - في رسالة الفقه الأيسر
 - أدلة أخرى على الإيمان بوجود عذاب القبر:

2 - وسؤال:
 - مُنْكَرٍ؛
 - وَنَكِيرٍ؛
 - (لِلْمَيِّتِ - ب) فِي قَبْرِهِ عَنْ:
 - رَبِّهِ؛
 - وَدِينِهِ؛
 - (وَنَبِيِّهِ - ب)؛
 - عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ:
 - رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 - وَعَنْ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ 572/2
 3 - وَالْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؛
 أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ؛ 572/2
 الدليل القرآني:

الفصل الثامن
 الإيمان بالعلامات الكبرى قبل يوم القيامة
 المبحث الأول - الإيمان بأشراط الساعة

1 - وَتُؤْمِنُ (بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ - أ - غ)
 - دليل الإيمان لعلامات الساعة الكبرى:

- 1 - من خُرُوجِ (بِخُرُوجِ - ب) الدَّجَالِ؛ 754/2
- 2 - وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ؛ 754/2
- 3 - وَتَوُؤْمُنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ 754/2
- 4 - وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا؛ 754/2

الدليل:

- 1 - دليل خروج الدجال: الأحاديث النبوية منها:
- 2 - دليل نزول سيدنا عيسى بن مريم إلى الأرض من القرآن:
- دليل طلوع الشمس من مغربها: الحديث السابق في رقم (1).
- 4 - دليل خروج دابة الأرض:
- 5 - دليل خروج قوم يأجوج ومأجوج:

الفصل التاسع

الإيمان بعوالم الآخرة

المبحث الأول - الإيمان بالبعث من القبر للحساب

- 1 - وَتَوُؤْمِنُ:
- آ - بِالْبَعْثِ مِنَ الْقَبْرِ
- ب - وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ 588/2
- ج - وَالْعَرْضِ؛
- د - وَالْحِسَابِ؛
- هـ - وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ؛ 600/2
- و - وَالثَّوَابِ؛
- ز - وَالْعِقَابِ؛ 600/2
- ح - وَالصِّرَاطِ؛ 605/2
- ط - وَالْمِيزَانَ؛ 608/2

الدليل القرآني:

- آ - دليل البعث من القبور وإعادة الحياة:
- ب - دليل الجزاء على الأعمال يوم القيامة:
- ج - دليل العرض:
- هـ - دليل قراءة أعمال الإنسان من كتابه:
- و - ز دليل الثواب والعقاب:
- ح - دليل المرور على الصراط - وهو جسر فوق جهنم - :
- ط - دليل ميزان الأعمال:

المبحث الثاني

الإيمان بوجود الجنة والنار وأبديتهما

- 1 - والجنة؛ والنار مخلوقتان؛
- لا تفنّيان (لا يفنّيان - ب - غ) أبداً (أ - ب)؛
- ولا تبّيدان (ولا يبّيدان - ب - غ)؛ 614/2

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

الدليل القرآني:

أ - دليل خلق ووجود الجنة الآن:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الوصية:

ب - دليل خلود المؤمنين في الجنة يوم القيامة:

- دليل خلق ووجود النار الآن:

- دليل خلود الكافرين في النار يوم القيامة:

المبحث الثالث

الإيمان بأن دخول الجنة بفضل الله تعالى؛
ودخول النار بعذله

- 1 - وإنَّ الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق؛ 614/2
- وخلق لهما أهلاً؛ 614/2
- فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه؛ 614/2
- ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه؛ 614/2

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في رسالة الفقه الأكبر:

الدليل القرآني:

- دليل دخول النار بعدل الله وعدم ظلمه للداخلين:

المبحث الرابع

الإيمان بعدم خلود أهل الكبائر في النار
من الأمة المحمدية

- 1 - وأهل الكبائر؛
- من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -
- في النار لا يخلدون؛
- إذا ماتوا وهم موحّدون:

- وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ؛
 - بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ؛
 - وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ؛
 - وَحُكْمِهِ؛
 - إِنْ شَاءَ:
 - غُفِرَ لَهُمْ؛ وَعَفَا عَنْهُمْ؛ بِفَضْلِهِ؛
 - كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) سورة النساء/48؛

- وَإِنْ شَاءَ:
 - عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ؛ بِعَذْلِهِ؛
 - ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا:
 - بِرَحْمَتِهِ؛
 - وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛
 - ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛
 ب - ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:
 - مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ؛
 - وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ:
 - الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ؛
 - وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ (كَرَامَتِهِ - ب)؛
 ج - اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛
 ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ (مَسْكُنًا بِالْإِسْلَامِ - ب) حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ؛ 524/2

الدليل القرآني:

أ - دليل عدم خلود أهل الكبائر في النار:
 - دليل الشفاعة وأنها هبة من الله تعالى لمن شاء من عباده:
 ب - دليل ولاية الله للمؤمنين:
 د - دليل عدم تساوي المؤمن والكافر عند الله:
 ج - دليل دعاء التثبيت على الإيمان والوفاء عليه:

الفصل العاشر
 الإيمان بالإسلام ديناً؛
 وشرعية خالدة إلى يوم القيامة
 المبحث الأول - الإيمان بالإسلام ديناً

1 - ودينُ الله في الأرضِ والسماءِ: واحدٌ؛ وهو دينُ الإسلام: كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (19) سورة آل عمران.

- وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (3) سورة المائدة، 786/2

الدليل القرآني

2 - وهو أي الإسلام:

أ - بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ؛

ب - وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ؛

ج - وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ؛

د - وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ؛ 786/2

أ - دليل توسط التشريع بين الغلو والتقصير:

ب - دليل توسط العقيدة بين التشبيه والتعطيل:

ج - دليل توسط الإيمان بالقضاء والقدر بين الجبر والقدر:

د - دليل التوسط بين الأمن والإيَّاس:

المبحث الثاني

الإيمانُ بالإسلام شريعةٌ

بعض التشريعات المتميزة

1 - وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛
وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ؛ 529/2

الدليل:

2 - وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ:

- فِي السَّفَرِ؛

- وَالْحَضَرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ؛ 551/2

الدليل القرآني:

3 - وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ:

- (فَرَضَانِ) مَاضِيَانِ:

- مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛

- بَرَّهِمْ؛ وَفَاجِرِهِمْ؛ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛

- لَا يُبْطَلُهُمَا شَيْءٌ (وَلَا يُنْقِضُهُمَا - أ - غ)؛ 555/2

- دليل الحج ماضٍ إلى يوم القيامة:

- دليل الجهاد ماض إلى يوم القيامة:
- دليل بقاء الحج والجهاد مع أولي الأمر المسلمين برهم وفاجرهم:

المبحث الثالث

اتباع السنة النبوية، وجماعة المسلمين وإجماعهم

- 1 - وَتَتَّبِعُ: السُّنَّةَ؛ وَالْجَمَاعَةَ؛
وَنَجْتَنِبُ: الشُّذُودَ؛ وَالْخِلَافَ؛ وَالْفُرْقَةَ؛ 544/2

- دليل اتباع السنة:
- دليل اتباع الجماعة:
- دليل اجتناب الشذوذ؛ والخلاف والفرقة:

- 2 - وَنَرَى:
الْجَمَاعَةَ: حَقًّا؛ وَصَوَابًا؛
وَالْفُرْقَةَ: زَيِّغًا؛ وَعَذَابًا؛ 775/2

- دليل أن الجماعة حق وصواب:
- دليل أن الفرقة زيغ وعذاب:

- 3 - وَلَا (نُصَدِّقُ) مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ:
أ - الْكِتَابَ ؛
ب - وَالسُّنَّةَ ؛
ج - وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ؛ 759/2

- أ - دليل عدم تصديق شيء يخالف الكتاب والسنة:
- ب - دليل عدم تصديق شيء يخالف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

- ج - دليل عدم تصديق شيء يخالف إجماع الأمة:

المبحث الرابع

الإيمان بوجوب:

حُبِّ آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وزوجاته الطاهرات جميعهن،
وحُبِّ أصحابه الكرام جميعهم،
ومن تبعهم بإحسان

- 1 - وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ:
- فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
- وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ؛

- وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ؛
- فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ؛ 737/2

- دليل حب صحابة رسول الله صلى الله وآله وسلم:
- دليل حب زوجات الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - الطاهرات
جميعهن:
- دليل على حب ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

2 - وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَلَا نَفَرُّ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛

- وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛

- وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ؛

- وَبَغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ؛

- وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛

- وَحُبُّهُمْ:

- دِينٌ؛

- وَإِيمَانٌ؛

- وَإِحْسَانٌ؛

- وَبُغْضُهُمْ:

- كُفْرٌ؛

- وَنِفَاقٌ؛

- وَطُغْيَانٌ؛ 689/2

قال عبد القاهر البغدادي في نهاية كتابه الفرق بين الفرق :
أجمع أهل السنة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة..
عدالة الصحابة فريضة قرآنية:

- وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ:

- سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ:

- نَشَّهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ؛

- عَلَى مَا شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

- وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ:

1 - أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيقُ]؛

2 - وَعُمَرُ [بْنُ الْخَطَّابِ]؛

3 - وَعُثْمَانُ [بْنُ عَفَّانٍ]؛

- 4 - وَعَلِيٌّ [بْنُ أَبِي طَالِبٍ]؛
- 5 - وَطَلْحَةُ [بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ]؛
- 6 - وَالزُّبَيْرُ [بْنُ الْعَوَّامِ]؛
- 7 - وَسَعْدُ [بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ]؛
- 8 - وَسَعِيدُ [بْنُ زَيْدٍ]؛
- 9 - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ؛
- 10 - وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ 689/2

الدليل النبوي:

المبحث الخامس إثبات الخلافة الراشدة

- 1 - وَنُتِبَتِ الْخِلَافَةُ؛
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
- تَفْضِيلًا لَهُ؛
- وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ؛ 698/2
- ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ 710/2
- ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ 712/2
- ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ 721/2
- وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛
- وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ؛ 726/2
- الدليل النبوي:

المبحث السادس في السياسة الشرعية عدم الخروج على ولاة المسلمين

- 1 - وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ:
- عَلَى أَيْمَتِنَا؛
- وَوَلَاةِ أُمُورِنَا؛
- وَإِنْ جَارُوا؛

- وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ؛
 - وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ؛
 - وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً؛
 - (مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ - أ - غ)؛
 - وَنَدْعُوا لَهُمْ:
 - بِالصَّلَاحِ؛
 - وَالْمُعَافَاةِ؛ 540/2

الدليل القرآني:

المبحث السابع

الحب والبغض في الله والله تعالى

1 - وَنُحِبُّ: أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ؛
 وَنُبْغِضُ: أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ؛ 546/2

- دليل حب أهل العدل والأمانة، وبغض أهل الجور والخيانة:

المبحث الثامن

عصمة دماء المسلمين

ما لم يقترفوا حداً من حدود الله يوجب القصاص

1 - وَلَا تَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 (إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ - أ - غ)؛ 539/2

- دليل حفظ دماء المسلمين:

- دليل درء الحدود بالشبهات:

- دليل إقامة حدود الله على المسلم - من قبل السلطان المسلم أو

قاضيه - :

الخاتمة

- فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،
 - وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:
 - مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ؛ وَبَيَّنَّاهُ؛ 791
 - وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى:
 - أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ؛
 - وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ؛
 - وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ؛

- والآراء المتفرقة؛
- والمذاهب الرديّة؛ مثل
- المشبهة؛
- والمعتزلة؛
- والجهميّة؛
- والجبريّة؛
- والقدريّة؛
- وغيرهم من الذين خالفوا:
- السنّة؛
- والجماعة؛
- وحالفوا الضلالة؛
- فنحن منهم براء؛
- وهم عندنا:
- ضلّال؛
- وأردياء، 791/2

اللهم كتاب لا رياء فيه ولا سمعة فمناك وإليك الفضل كله
قال إبراهيم بن أدهم: ما صدّق الله من أحبّ الشُّهرة.